

المركز الديمقراطي العربي

للدراستات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

تحليلات سياسية

دورية علمية محكمة

المركز الديمقراطي العربي

مجلة اتجاهات سياسية



ISSN 2569 - 7382

Journal of Political trends
international scientific periodical journal



المركز الديمقراطي العربي

للدراستات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

تحليلات سياسية

دورية علمية محكمة



الناشر:

المركز الديمقراطي العربي

للدراستات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center

Berlin / Germany

جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

لا يسمح بإعادة إصدار هذا العدد أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.

No part of this magazine may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي

للدراستات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية " ألمانيا / برلين "

magazin@democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي

لدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center For Strategic
Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

دورية علمية دولية محكمة

الرقم التسلسلي المعياري ISSN (ONLINE) 2569-7382

مجلة اتجاهات سياسية مجلة دورية علمية محكمة

تصدر عن المركز الديمقراطي العربي " ألمانيا / برلين "

وهي مجموعة من التقارير والتحليلات السياسية والقانونية والإعلامية التي تعني بكافة الشؤون الدولية والإقليمية ذات الصلة بالواقع العربي بصفة خاصة والدولي بصفة عامة. وتعتمد سياسة مجلة "إتجاهات سياسية" على أسلوب تقصي الحقائق وتقديم التحليلات العلمية، عن طريق مساهمة نخبة من الكوادر في المتابعة والإشراف على ما يصل من تقارير وتحليلات، حيث يترأس أقسامها أساتذة من ذوي الخبرة في العلوم السياسية والإعلام والقانون، من مختلف الجامعات العربية.

**Democratic Arab Center For Strategic
Political & Economic Studies**

Journal Of Political Trends

International Standard Serial Number

ISSN (Online): 2569-7382

An Academic, periodic, and peer-reviewed Journal issued by The Democratic Arabic Center Germany-Berlin It is a collection of political, legal, and media reports. Its analysis deals with all international and regional affairs that are related to the Arab reality, in particular, and the international reality, in general.



المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arab Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

Journal of Political Trends

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

رئيس التحرير: د. حمدي سيد محمد محمود

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. ميرال صبري العشري

نائب رئيس التحرير: د. علي فرجاني

مديرة التحرير: د. فتحية رحالي

العدد: التاسع والعشرون

كانون الأول - ديسمبر 2024

البريد الإلكتروني للمجلة:

magazin@democraticac.de

International Standard Serial Number

ISSN (Online): 2569-7382

اللجنة العلمية:

- أ.د. نيرمين الأزرق - أستاذ الصحافة بكلية الإعلام - جامعة القاهرة - مصر
- د. علاء نزار العقاد - أستاذ العلوم السياسية - جامعة غزة - فلسطين
- د. ماهر العربي - أستاذ العلوم السياسية - جامعة القاهرة - مصر
- د. خلود محمود - أستاذ الإعلام - معهد الدراسات الأدبية - جامعة الاسكندرية - مصر
- د. عمر المبروك اسباقة - أستاذ مشارك في العلوم السياسية - جامعة بني وليد - ليبيا
- د. نبيلة عبد الفتاح قشطي - أستاذ النظم السياسية - جامعة المنوفية - مصر
- د. سعيد مراح - أستاذ الإعلام - جامعة جيلالي لياي سيدي بلعباس - الجزائر
- د. علي مصباح الوحيشي - أستاذ مشارك بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا - ليبيا
- د. عبير محمود مجاهد - أستاذ الاقتصاد - كلية التجارة - جامعة الأزهر - مصر
- د. طارق المنصوب - أستاذ الاقتصاد - جامعة إب - اليمن
- د. محمد مساهل - أستاذ علوم الاتصال - كلية الإعلام - جامعة قسنطينة - الجزائر
- د. تامر عز الدين - باحث علوم سياسية - مدير مكتب فرنسا 24 - مصر
- د. حسين اللامي - أستاذ العلوم السياسية - جامعة ميسان - العراق
- د. جهاد ملكة - باحث ومحاضر لدى مركز التخطيط الفلسطيني - فلسطين
- د. عصام عبروط - أستاذ العلوم السياسية - فلسطين
- د. ميثم كاظم العميدي - أستاذ القانون الدستوري والنظم السياسية - العراق
- د. محمد زروق - أستاذ العلوم السياسية - جامعة شندي - السودان
- د. إقبال ناجي سعيد - أستاذ القانون - كلية مزايا الجامعة - العراق

الفهرس

ص	العنوان	م
	تقدير موقف: مسارات طوفان الاقصى.. الحرب وما بعدها أ. رواد بديوي محمد بدوي	
12	التطور العملياتي في استراتيجيات وأساليب المقاومة الفلسطينية القتالية في مواجهة الاجتياح البري الإسرائيلي لغزة وتأثيرها على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي د. بسمة خليل توم	1
25	الإبادة الجماعية وجرائم الحرب في غزة: دراسة قانونية حول دور المحاكم الدولية والتحديات التي تواجهها م.م علاء محسن ناصر/ الجامعة العراقية	2
38	المقترح الأمريكي للسلام بين مصر وإسرائيل 1969 د. انتصار محمد نصر طه	3
43	المخططات الإسرائيلية داخل القدس الشريف وتداعياتها المستقبلية على الهوية التاريخية للمدينة أ. أحمد بابا اهل عبيد الله	4
53	إمكانات الاستثمار الرياضي في الأردن: بين الحوافز الاقتصادية والمعوقات الهيكلية د. رنيم زياد أحمد جوابرة	5
64	السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط: تحليل لتوجهات إدارات ترامب وبايدن أ. محمد حياظة	6
86	عرض كتاب: التزييف العميق وتقنيات الخداع الرقمي - دراسة متعمقة في التحديات المهنية والتقنية المؤلف: د. علي فرجاني	7
103	مستويات تحقق الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية وتأثيره على النتاج الثقافي د. محمد أحمد محمد طرفة	8
148	واقع ومستقبل العلاقات العربية - الصينية: العلاقات المصرية - الصينية نموذجاً د. شرين محمد فهمي	9
154	الإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية د. عمر الخير إبراهيم	10
168	مشروع مجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية في ظل التحول الرقمي واستخدام الذكاء الاصطناعي د. منال علام على عبد العال	11
187	طبيعة إدارة الدبلوماسية الموازية في الأنظمة الفيدرالية: إقليم كردستان العراق أنموذجاً أ.م.د. بدرية صالح عبد الله	12

205	التشريعات المحلية والدولية حول الهجرة غير الشرعية ومدى تفعيلها على أرض الواقع "نموذجا دولة ليبيا" هناء عمر محمد كازوز	13
214	مؤامرة المس بأمن الدولة الداخلي - محاكمة مراكش 1971 أ. نعيم الخرازي	14
232	كيف تسهم المحلقيات الثقافية في تعزيز الدبلوماسية الثقافية؟ م.د. آيات محمد سعود	15
236	الدبلوماسية المغربية ودورها في الانتقال الديمقراطي في ليبيا بين الإنجازات والتحديات د. هاني محمد مفتاح أمبارك	16
260	تأثير ظاهرة التطرف وانعكاساتها على الكيانات السياسية والمجتمع د. نورالدين سعدون	17
285	الدبلوماسية الشعبية للصين: الأهداف والفواعل والأدوات م.م. أحمد عقيل عبد	18
306	أستراليا و حلف الناتو - نظرة مستقبلية وسيناريوهات محتملة د. مصطفى عيد إبراهيم	19
314	إشكالية الخطاب السياسي الاستشراقي عند بلفور وكرومر: قراءة في المفاهيم د. لغزال محمد / أ.د عبد النور الحضري	20
325	جدلية العلاقة بين الدولة المدنية والدولة الدينية وأثرها في الاستقرار السياسي أ.م. د ديمة عبدالله أحمد	21
347	دعوى الدفع بعدم المشروعية - الإطار القانوني والتطبيقات القضائية أ. مروان الفاهم	22
368	دلالات الحروب الأهلية في البلدان الإفريقية في ضوء الآليات القانونية الدولية (دراسة تحليلية) د. علي أحمد شنيب	23
388	التأثير الأمريكي الفاعل في الحراك النقابي بالبلاد التونسية والمسيرة نحو الإستقلال د. فتحية الرحالي	24
410	Beyond the Scene: The Complex Realities of the Gaza Genocide Azhar Khaled FarajAllah	25

مسارات طوفان الأقصى.. الحرب وما بعدها

رواد بديوي محمد بدوي/ باحث متخصص في الشؤون الآسيوية

المستخلص:

شكلت عملية ما سمي بطوفان الأقصى يوم السابع من أكتوبر/ تشرين الأول التي شنتها كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، منعطفًا حادًا في مسار الصراع العربي - الإسرائيلي وأحدثت تغييرات ليس على صعيد المواجهة المسلحة بين الاحتلال الإسرائيلي وحركات المقاومة الفلسطينية وحسب، وإنما سيكون لنتائجها ما هو أعمق وأهمها على مستوى مفاعيل الصراع والمقاومة وكذلك على مستوى مستقبل المشاريع المطروحة للتسوية بين الطرفين.

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، كتائب عز الدين القسام، الصراع العربي - الإسرائيلي.

Abstract:

The so-called Al-Aqsa Flood operation on October 7, launched by the Izz ad-Din al-Qassam Brigades, the military wing of Hamas, marked a sharp turning point in the course of the Arab-Israeli conflict and brought about changes not only in terms of the armed confrontation between the Israeli occupation and the Palestinian resistance movements, but its results will also be deeper and more important in terms of the effects of the conflict and resistance as well as in terms of the future of the proposed settlement projects between the two parties.

Keywords: Al-Aqsa Flood, Izz ad-Din al-Qassam Brigades, Arab-Israeli conflict.

إن الحدث منذ بدايته ارتباطًا بحجمه وردت الفعل الإسرائيلية المتمثلة بما أطلقت عليه " معركة السيوف الحديدية " كان واضحًا أنه لن يقتصر على حدود المواجهة المباشرة بين فصائل المقاومة الفلسطينية وإسرائيل وإنما سيextend إلى الإقليم وسعيد حسابات التوازنات الاستراتيجية في المنطقة وهذا ما باتت تلوح بوادره في الأفق خاصة ونحن أمام عهد رئاسي أمريكي جديد.

وعلى مدى تاريخ الصراع كان نهج المقاومة الفلسطينية هجوميًا بمستوى حروب العصابات وقدمت المقاومة الفلسطينية الكثير من المبادرات النوعية لكنها كانت في إطار فلسفة مقاومة محددة، وجاءت عملية طوفان الأقصى والتي أخذت صبغة إعلان الحرب كما جاء في خطاب محمد الضيف القائد الأعلى لكتائب عز الدين القسام يوم السابع من أكتوبر وهي مجرد ذاتها قضية تركت تبايناتها الواضحة بين الفصائل الفلسطينية وسيبرز الحديث حولها في قادم الأيام نظرًا لنتائج عملية طوفان الأقصى من الدمار في قطاع غزة والخسائر البشرية والمادية المتصاعدة في حدتها وأعدادها.

وهنا لا بد أن نركز على ثلاثة نقاط هامة في تناول عملية طوفان الأقصى أهمها النقطة الأولى بتبني إسرائيل لعقيدة جديدة عرفت باسم " النصر الحاسم " * القائمة على استخدام القوة حتى النهاية وتحقيق النصر الكامل وفرض الرؤية والاحداثات الإسرائيلية على أرض الواقع، وارتباطا بتلك العقيدة ننتقل للنقطة الثانية المرتكزة كليا على تغيير واقع قطاع غزة وبكل الاتجاهات الجغرافية والاستراتيجية والديمقراطية والبنوية والسياسة.

على صعيد الجغرافيا: مع انطلاق حرب السيوف الحديدية برز على سطح العمليات العسكرية الميدانية للجيش الإسرائيلي ما يعرف " بخطة الجنرالات " * وهي عملية بجوهرها الأساسي تهدف إلى تغيير واقع الجغرافيا في قطاع غزة وإعادة تشكيله بما ينسجم مع الحسابات الإسرائيلية في التعامل اللاحق مع قطاع غزة.

وتشكل العمليات العسكرية الحارية اليوم في شمال قطاع غزة النموذج الأبرز لتنفيذ الخطة، إضافة إلى ما محور تنساريم وفيلادلفيا والحدود الشرقية لقطاع غزة.

استراتيجيا: من الواضح أن الجيش الإسرائيلي سيعمد لاستراتيجية " الحرب الدائمة " ** وبناء على هذه الاستراتيجية فلن تكون مخرجات معركة السيوف الحديدية من المنظور الإسرائيلي مشاهمة لمخرجات الحروب والمواجهات السابقة منذ حرب (الرصاص المصهور) عام 2008 وما تلاها من حروب خاصة حرب عام 2014.

أما النقطة الثالثة فتتعلق بتغيير سلطة الحكم في قطاع غزة ورغم تعدد الخيارات المطروحة إلا أن خيار عودة السلطة الوطنية إلى قطاع غزة رغم القبول الدولي والاقليمي لها إلا أنها تواجه برفض إسرائيلي مستمر، فهذه المسألة تحديدا تتقاطع مع رؤية موجودة مسبقا في أروقة السياسة الإسرائيلية قائمة على إضعاف واستلاب دور وقدرات السلطة الوطنية الفلسطينية وما ترسيخ الانقسام الفلسطيني الداخلي بأدوات عديدة إلا تمنيلا لتلك الرؤية التي باتت اليوم واقعا من المنظور الإسرائيلي.

الحرب والانتخابات الأمريكية

مع عودة الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب الى رئاسة البيت الأبيض مجددا تصدر التكهنات حول توجهاته القادمة ارتباطا بفترة رئاسته السابقة وبما شهدته من احداث خرجت عن التقاليد الرئاسية الأمريكية خاصة تجاه منطقة الشرق الأوسط ولعل أبرزها مشروعه صفقة القرن المثيرة للجدل واعترافه بالقدس عاصمة دولة إسرائيل، والاهم اليوم في تلك التكهنات موقفه من الحرب على قطاع غزة.

من المهم إدراك جانب خلافي مهم وفارق بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي في التعاطي مع حركات الإسلام السياسي، فعهد الرئيس الديمقراطي السابق أوباما جلب قوى الإسلام السياسي للمنطقة وسمح لها بأفاق داخل النظم السياسية العربية خاصة في مرحلة الربيع العربي، على العكس تماما بالنسبة للحزب الجمهوري الذي لم يتعاطى مع الإسلام السياسي، ويتأسس على هذا التوجه تضيق فرص التسوية بين إسرائيل وحركة حماس ويرجح أن تزيد إسرائيل من ضغوطاتها العسكرية على حركة حماس.

وهذا لا يعني ترك المجال مفتوحا أمام عامل الوقت للجيش الإسرائيلي لأن ملف الشرق الأوسط المنوي تغيير شكله كما صرح ترامب فور اعلان النتائج سيتطلب بالضرورة الإسراع في إغلاق ملف الحرب والتصعيد في المنطقة خاصة مع توسعها لجهتي لبنان وإيران، من المرجح أن

يذهب الرئيس الأمريكي الجديد إلى انهاء سريع للحرب كخطوة أولى الترتيبات الأمريكية القادمة للمنطقة وليتسنى له العمل مع القوى والدول في المنطقة التي لن تقبل العمى المشترك في ظل الحرب المستعرة في قطاع غزة والتصعيد في لبنان.

الحرب على غزة إقليميا ودوليا

تكاد تلتقي المواقف الدولية ومن ضمنها الإقليمية تجاه حرب غزة بأنها أحد أعنى الحروب دموية وتدميرا في القرن الواحد والعشرين، ورغم التعاطف الرسمي الأوروبي والأمريكي الثابت مع إسرائيل لكن رغم ذلك لم تستطع أن تتغاضى في مواقفها عن الجرائم الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

وبالرغم من غياب التوافق التام أو حتى المتقارب إقليميا ودوليا حيال عدوان السيوف الحديدية على قطاع غزة لكن هناك نقطتان هامتان الأولى إنسانية ومشاركة حول ضرورة انتهاء الحرب وإعادة الاعمار وإغاثة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والثانية سياسية تدعم القوى الدولية والمجتمع الدولي عموما حرب إسرائيل على حركة حماس باعتبارها حركة إرهابية طبعاً مع التغاضي الواضح عن كل الإجراءات والاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والمتلاحقة على قطاع غزة والضفة الغربية.

الخروج من الحرب

لعل السيناريو الإسرائيلي الأكثر وضوحا لإنهاء الحرب القائمة الانسحاب من قطاع غزة فور انتهاء الخطط والترتيبات التي يفرضها الجيش الإسرائيلي مع إبقاء التوغل متاحا أمام العمليات العسكرية الإسرائيلية في أي وقت خاصة إذا تعلق الأمر بأي معلومات عن أشخاص أو تحركات ميدانية تراها إسرائيل وهو ما سيجعل قطاع غزة ساحة مفتوحة لعمليات الجيش الإسرائيلي.

أما على الجهة الأخرى فتكمن قضية إدارة شئون الحياة في قطاع غزة وهي ربما القضية الأكثر طرحا في الوقت الراهن ورغم تعدد المقترحات وما يتم تناوله من مشاريع، بلا شك سيكون الخيار الأفضل للمواطنين في قطاع غزة تولى السلطة الفلسطينية زمام الأمور وهو الخيار المرفوض لغاية الآن على الأقل من الجانب الإسرائيلي، وفي المقابل يتقلص الهامش أمام الطروحات حول تولى أطراف خارجية لتلك المهمة. ويتصدر المقترح المطروح في القاهرة مؤخرا لتشكيل لجنة إدارية من التكنوقراط لإدارة قطاع غزة اختراقا هاما تجاه التعتن الإسرائيلي أمام أي طرح يقدم دور فلسطيني لإدارة شئون قطاع غزة وهو الخيار الذي دفعت به القاهرة بقوة ووافقت عليه السلطة الفلسطينية مباشرة، ورغم التجاذبات التي رشحت حول موقف حركة حماس تجاهه وطرحها لمشروع حكومة الاعمال في الضفة الغربية وقطاع غزة وهو الخيار الذي لم يلق قبول في القاهرة ومن السلطة الفلسطينية.

على أرض الواقع تظهر المؤسسات الدولية الاغاثية والإنسانية تباشر مهامها وتقدم خدمات بديلة عن العديد من المؤسسات الرسمية خاصة في قطاعي الصحة والتنمية المجتمعية، وهذا ما يطرح التساؤل حول فرصة تلك المؤسسات لتكون جهات محتملة في تسيير الحياة العامة في قطاع

غزة؟ وبالتزامن مع قطع إسرائيل علاقاتها مع الأونروا ستزايد الحاجة لبدائل تتولى العمل الاغاثي والإنساني في قطاع غزة وهو ما قد يشكل بقوة فرصة لتعزيز دور ومساحة عمل تلك المؤسسات في قطاع غزة.

قطاع غزة.. مسار جديد للحياة

ومع تجربة الترواح الشامل لأهالي قطاع غزة أصبحت كثيرة القضايا الاجتماعية التي تحتاج الوقوف عندها وتناولها بحثا ودراسة والتي تأسست كنتائج منطقي لحياة الترواح وتأثيراتها القوية على الحياة السائدة والوعي المجتمعي.

إن طرح مسار حياة المواطنين في قطاع غزة اليوم بظروفها الراهنة تستدعي العمل الجاهد على تحليل التشوهات والمشكلات الاجتماعية والتغيرات لمقومات الهوية المجتمعية النمطية التي كانت سائدة ما قبل السابع من أكتوبر.

يدرك المواطن الغزي أن الحياة المقبلة على قطاع غزة لن تتشابه نهائيا بما قبل السابع من أكتوبر، وهذا الإدراك نابع أولا من حجم الخسائر المادية والبشرية التي طالت قطاع غزة إضافة إلى ورقة الهجرة من قطاع غزة والتي كانت قضية مثارة أساسا قبل عملية طوفان الأقصى مع تراجع كافة مقومات الحياة وفرص العيش المستقر والأمن، وهنا لا بد من طرح السؤال الهام حول مصير المجتمع في قطاع غزة؟؟.

ستتعدد الإجابات حول هكذا سؤال وفقا لمنظور أو أكثر لكن الإجابة الأكثر أهمية هنا أن مجتمع قطاع غزة تراجع مسافات كبيرة في ظرف عام على الأقل ولن يعود لمسار حياة طبيعة ومزدهرة إلا عبر عقد اجتماعي جديد يضم شرائح المجتمع وأحزابه وتنظيماته ونخبه وكافة القوى الفاعلة فيه، إضافة إلى مسار من إعادة الاعمار وفتح فرص العمل والأمن الغذائي والمعيشي وبناء نظام سياسي جديد ورشيد يستوعب حجم التضحيات والخسائر التي طالته.

التطور العمليّ في استراتيجيات وأساليب المقاومة الفلسطينية القتالية في مواجهة الاجتياح البري الإسرائيلي لغزة وتأثيرها على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي

د. بسمة خليل توم/ دكتوراه في العلوم السياسية /الأردن

المستخلص:

تتبع الدراسة تطور أساليب واستراتيجيات المقاومة الفلسطينية القتالية في مواجهة الاجتياح البري للجيش الإسرائيلي لغزة بعد عملية " طوفان الأقصى"، وتشخيص انعكاسات هذا التطور العمليّ لدى المقاومة الفلسطينية على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي في غزة بعد مرور عام . جرى استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الموضوع. وخلصت الدراسة إلى أن اعتماد المقاومة الفلسطينية لاستراتيجيات النظام العسكري المنجني والتعليق والاستتراف ومعادلة الردع كان لها دور رئيس إلى جانب تكتيكات " كمائن الموت" في إفشال الاستراتيجيات العسكرية للجيش الإسرائيلي في حربه على غزة في مراحلها الثلاث، ما أعاقه عن تحقيق أهدافه المعلنة منذ بدء الاجتياح البري على غزة. لذا ترى الدراسة أن هذه الإنجازات القتالية وهذا الصمود الأسطوري للمقاومة والشعب الفلسطيني على مدار العام الأول لعملية الطوفان يمهد لمرحلة جديدة على صعيد القضية الفلسطينية والواقع الإقليمي في آن.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية التعليق والاستتراف، كمائن الموت، العقد القتالية، العقيدة العسكرية الإسرائيلية، المقاومة الفلسطينية

Abstract:

The study tracked the development of Palestinian resistance combat methods and strategies in confronting the Israeli army's ground invasion of Gaza following the "Al-Aqsa Flood" operation. It also assessed the operational evolution of Palestinian resistance and its impact on the military doctrine of the Israeli army in Gaza after one year. The descriptive-analytical method was used to study the subject.

The study concluded that the Palestinian resistance's adoption of hybrid military strategies, attrition, and deterrence equations, alongside "death trap" tactics, played a major role in thwarting the Israeli army's military strategies in its three-stage war on Gaza. This hindered the army from achieving its declared objectives since the start of the ground invasion. Therefore, the study views these combat achievements and the legendary resilience of the Palestinian resistance and people during the first year of the "Flood" operation as paving the way for a new phase in the Palestinian cause and the regional reality simultaneously.

Keywords: Attrition and Suspension Strategy, Death Traps, Combat Nodes, Israeli Military Doctrine, Palestinian Resistance

المقدمة:

تخوض المقاومة الفلسطينية في حربها اللامتناهية مع الجيش الإسرائيلي منذ احتياحه البري لقطاع غزة بعد عملية "طوفان الأقصى" معارك شرسة، كشفت عن جهوزية عالية مكنتها من الصمود لفترة طويلة ولا تزال، نوعت خلالها من استراتيجياتها وأساليبها وحقت ضربات موجعة، تمثلت في قدرتها على تنفيذ عمليات تلحق الخسائر بالجيش الإسرائيلي، مع القدرة الفائقة على تغيير تكتيكاتها العسكرية في كل مرة، وتعديل خططها العسكرية بعد دراسة تكتيكات الجيش الإسرائيلي وفهم أسلوبه العسكري لتقاتل بقوة أكبر. لقد مكنتها التطور التكتيكي السريع والتكيف مع متغيرات ساحة المعركة واتجاهها نحو العمليات والكمائن المركبة " كمان الموت" من قتل عدد كبير من الجنود والضباط، ما أعجز الجيش الإسرائيلي عن فهم طرق عمل المقاومة وعدم تحقيق أهداف عسكرية حاسمة أو حماية جنوده.

لقد حولت المقاومة الفلسطينية حربها ضد الجيش الإسرائيلي في غزة إلى استراتيجية الاستنزاف المادي والمعنوي، في الوقت الذي استطاعت فيه أن ترسم لوحة الصمود الغزي الأسطورية، ما كان له تأثير واضح على فاعلية العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي.

مشكلة الدراسة:

أظهرت المقاومة الفلسطينية في مواجهتها للاحتياح البري الإسرائيلي لغزة أساليب متنوعة ومركبة في سياق تطوير عملياتي كان له أثر كبير في استمرار أمد المعركة، التي تجاوزت العام - إلى حين كتابة هذه الدراسة - وهي لا تزال تحافظ على زخمها ومفاجأتها، ما رفع مستوى الخسائر والمخاوف الإسرائيلية. وعليه تكمن الإشكالية في تتبع انعكاسات تطور استراتيجيات وأساليب المقاومة الفلسطينية القتالية وتنوعها على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها في مجالين؛ من خلال تتبع التطور العملياتي وأساليب القتال عند المقاومة الفلسطينية واستراتيجياتها القتالية في مواجهة الاحتياح البري الإسرائيلي بعد عملية "طوفان الأقصى"، والذي مكنتها في ظل التكيف السريع مع متغيرات ساحة المعركة من قتل عدد كبير من الجنود والضباط، وأعجز الجيش الإسرائيلي عن فهم طرق عمل المقاومة وعدم تحقيق أهداف عسكرية حاسمة. كما تكمن أهميتها من خلال دراسة وتتبع انعكاسات تنوع أساليب واستراتيجيات المقاومة الفلسطينية القتالية على عقيدة الجيش الإسرائيلي العسكرية في غزة.

أهداف وأسئلة الدراسة:

في سعي لتتبع تطور أساليب واستراتيجيات المقاومة الفلسطينية القتالية في مواجهة الاحتياح البري للجيش الإسرائيلي لغزة بعد "طوفان الأقصى"، ومحاولة تشخيص انعكاسات هذا التطور العملياتي على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي، وعلى مستقبل الحرب عليها، حاولت الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما أبرز الأساليب والاستراتيجيات القتالية التي انتهجتها المقاومة الفلسطينية في مواجهة الاحتياح البري الإسرائيلي على غزة؟

- ما تأثير التطور العملياتي للمقاومة الفلسطينية على عقيدة الجيش الإسرائيلي العسكرية في غزة منذ الاحتياح البري؟

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات المختلفة التي ناقشت موضوع الدراسة بجوانب متعددة، والمنشورة في كتب ومجلات متخصصة ومحكمة، وستعرض الدراسة عددا منها والمتمثلة فيما يلي:

- دراسة (توم، 2024) بعنوان: الحرب اللامتناهية في غزة منذ " طوفان الأقصى" وانعكاساتها على قدرة الردع الإسرائيلية ومعادلة القوة في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي

تناولت الدراسة تفعيل المقاومة الفلسطينية لاستراتيجيات الحرب اللامتناهية منذ عملية " طوفان الأقصى" والحرب الإسرائيلية على غزة، وتشخيص انعكاسات تنامي قدرتها على تهديد الكيان الإسرائيلي على معادلة القوة في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وقدرة الردع الإسرائيلية. جرى استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الموضوع.

هذا وتوصلت الدراسة إلى أن نجاح المقاومة الفلسطينية في تفعيل استراتيجيات الحرب اللامتناهية وصمودها وقدرتها على تكبيد الجيش الإسرائيلي خسائر جمة منذ " طوفان الأقصى" والحرب الإسرائيلية على غزة، قد بدل مواقع القوة والقدرة على إدارة دفة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وحوّل المقاومة الفلسطينية إلى طرف يستطيع التأثير والتقرير في مساري الحرب و المفاوضات، وخاصة بعد نجاحه في إثبات عدم نجاعة الردع الإسرائيلي، وتأثيره المحدود جدا على نهج وسلوك المقاومة.

- دراسة (حسين، 2021) بعنوان: كئيب القسام ومعركة " سيف القدس" إمكانات الردع النسيبي في حرب غير متناهية

بينت الدراسة أن المواجهات العسكرية بين قوى المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي في (2008، 2009، 2012، 2014، 2021) والتي كانت ساحتها الأساسية قطاع غزة المحاصر منذ خمسة عشر عاما، بأنها حروب غير متناهية نظرا إلى التفاوت في القوة العسكرية بين الطرفين من ناحية، وبسبب التكتيكات والاستراتيجيات التي تتبعها قوى المقاومة الفلسطينية في مواجهة القوة الهائلة لجيش الاحتلال الإسرائيلي من ناحية أخرى. ومع ذلك، لم يستطع الكيان الإسرائيلي، صاحب التفوق العسكري في هذه الحروب غير المتكافئة، من تحقيق نصر أو حسم المواجهات لصالحه، وفشل في تحقيق الأهداف التي يضعها عند كل مواجهة، مثل ضرب البنية التحتية للمقاومة، وإضعاف قدراتها، وردعها عن إطلاق الصواريخ تجاه العمق الإسرائيلي، بل على العكس، ازدادت قوة المقاومة الفلسطينية نسبيا في قطاع غزة على مستوى الكفاءة القتالية (التدريب، والتعليم، والتطوير)، والكفاءة الفنية (التحضير، والتجهيز، وإدارة المعركة)، خاصة في المواجهة الأخيرة في أيار/ مايو 2021 التي أطلقت عليها قوى المقاومة الفلسطينية معركة "سيف القدس".

دراسة (فول، 2017) بعنوان: العقيدة العسكرية الإسرائيلية بين التحديات الإقليمية والقدرة على التكيف

تتبع الدراسة مسيرة التطور في العقيدة العسكرية الإسرائيلية منذ نشأة الكيان الإسرائيلي عام 1948، وقدرته على التكيف مع متغيرات المنطقة، وتنوع استراتيجياته القتالية لمواجهة المخاطر الداخلية والخارجية، بما يضمن له التفوق والتوسع على حساب الآخر باستمرار. وتوصلت الدراسة إلى أن غياب الفكر الاستراتيجي لدول المنطقة في التصدي لمخططات الكيان الإسرائيلي يقف وراء نجاحه خلال ما يقارب السبعين عاما في التعاطي مع مستجدات المنطقة، والقدرة على تكيف استراتيجياته العسكرية بما يضمن تحقيق أمنه ومواجهة جميع التحديات.

وما يميز هذه الدراسة أنها تتناول جانبا ذا علاقة من خلال تتبع تطور الأساليب والاستراتيجيات القتالية للمقاومة الفلسطينية منذ الاحتياح الإسرائيلي البري على غزة بعد عملية " طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر 2023، وتأثير هذا التطور العملي على الاستراتيجيات العسكرية الإسرائيلية المطبقة في غزة بعد مرور عام .

منهجية الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، في تتبع تطور الأساليب والاستراتيجيات القتالية لدى المقاومة الفلسطينية في مواجهتها للاحتياح البري للجيش الإسرائيلي بعد عملية " طوفان الأقصى"، وانعكاساتها وتأثيرها على عقيدة الجيش الإسرائيلي العسكرية، ومستقبل الحرب على غزة.

هيكلية الدراسة:

تم تناول هذه الدراسة في مبحثين وعلى النحو التالي:

المبحث الأول: التطور العملي للمقاومة الفلسطينية ضد الاجتياح البري الإسرائيلي لغزة: الاستراتيجيات والأساليب

المبحث الثاني: انعكاسات التطور العملي للمقاومة على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي في غزة

المبحث الأول: التطور العملي للمقاومة الفلسطينية ضد الاجتياح البري الإسرائيلي لغزة: الاستراتيجيات والأساليب

نوعت المقاومة الفلسطينية في تصديها للتوغل البري الإسرائيلي بعد عملية "طوفان الأقصى" من أساليبها واستراتيجياتها القتالية، ما أتاح لها تكبيد الجيش الإسرائيلي خسائر كبيرة، حرمته من تحقيق الحسم السريع الذي كان يتطلع إليه، في الوقت الذي تمكنت فيه من إطالة أمد صمودها في مواجهته.

المطلب الأول: استراتيجيات المقاومة الفلسطينية القتالية في مواجهة الاجتياح البري الإسرائيلي لغزة

من أهم ملامح استراتيجيات المقاومة الفلسطينية القتالية هي تنوعها والقدرة على تغييرها حسب مقتضيات الحاجة، ففي الوقت الذي أحسنت فيه المقاومة الفلسطينية فهم استراتيجيات العدو القتالية والقدرة على توقع تكتيكاته وأساليبه، عجز الجيش الإسرائيلي عن فهم طرق عمل المقاومة، ما أعجزه أيضا عن تحقيق أهداف عسكرية حاسمة. ومن أبرز هذه الاستراتيجيات:

1) استراتيجية "معادلة الردع" الفلسطينية: عندما غابت أسس ومعايير توازن القوى في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، لجأت المقاومة الفلسطينية في غزة في صراعها مع الكيان الإسرائيلي إلى اعتماد استراتيجية القدرة على التهديد وصاغت "معادلة الردع" في نسختها الفلسطينية، خاصة في ظل تشديد الحصار الذي ضرب عليها ومنع وصول المواد الأولية المستخدمة في التصنيع العسكري؛ لذلك سعت المقاومة لتحقيق "معادلة الردع" في غزة باتجاهين؛ أولهما: بناء شبكة أنفاق قتالية أطلق عليها اسم "مترو حماس"، شكلت هذه الأنفاق سلاحا استراتيجيا للمقاومة الفلسطينية في غزة، ومعرفة صامته حاضتها تحت الأرض بأنواعها الثلاث؛ أنفاق هجومية: مخصصة لاختراق الحدود مع الأرض المحتلة، وشن هجمات خلف خطوط قوات الاحتلال، وأخرى مخصصة كمرابض لراجمات الصواريخ ومدافع الهاون، التي توفر حماية لوحدة المدفعية من غارات الطائرات، وتسمح بإطلاق الرشقات الصاروخية من تحت الأرض. وأنفاق دفاعية: تستخدم داخل الأراضي الفلسطينية؛ لنصب الكمائن وتنقل المقاتلين بعيدا عن أعين الطائرات الإسرائيلية وغاراتها. وأنفاق لوجيستية: تستخدم كغرف قيادة وسيطرة لإدارة المعارك، وتوجيه المقاتلين وإقامة القادة الميدانيين وتخزين الذخائر والعتاد العسكري وتجمع زمر المقاتلين، وتضم غرف ومقاسم الاتصالات السلكية الداخلية للمقاومة. يشار إلى أن صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، أعلنت أن شبكة الأنفاق التي بنتها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة فاقت التقديرات الإسرائيلية قبل الحرب بمئات المرات، وأن الجيش الإسرائيلي فوجئ بأن حجم شبكة الأنفاق في القطاع يفوق تقديرات القادة العسكريين بنحو 600%، في حين كانت التقديرات تشير قبل الحرب إلى وجود نحو 100 إلى 200 كيلومتر من الأنفاق¹. وثانيهما: تصنيع العديد من الأسلحة وتطويرها بشكل مستمر، فقد نجحت المقاومة الفلسطينية في تعويض النقص الشديد في مصادر الحصول على السلاح من خارج قطاع غزة بما أتيح لها محليا، من ذلك: إعادة تدوير مئات القذائف التي حصلت عليها من سفينتين حرييتين بريطانيتين كانتا غارتين في سواحل غزة منذ الحرب العالمية الأولى، وكذلك مخلفات القذائف والصواريخ التي أطلقها الجيش

1) بسمة نوم، الحرب اللامتناهية في غزة منذ "طوفان الأقصى" وانعكاساتها على قدرة الردع الإسرائيلية ومعادلة القوة في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، مجلة اتجاهات سياسية، 7(28): 12-25، 2024، ص (19).

الإسرائيلي على غزة إبان معركة "العصف المأكول عام 2014، واستخدام أنابيب مياه المستوطنات الإسرائيلية التي انسحب منها الاحتلال عام 2005، ما أتاح لها صنع العديد من الصواريخ قصيرة وطويلة المدى، وصناعة المسيرات الاستطلاعية والهجومية¹، والألغام والقذائف. تعد "معادلة الردع" الفلسطينية تطوراً كبيراً للمقاومة وتفكيراً استراتيجياً لفصائلها، الأمر الذي أخرج الكيان الإسرائيلي. لقد أصبحت إحدى محددات قواعد الاشتباك بين كلا الطرفين غير المتكافئين في القوة أو العناد، فالمقاومة الفلسطينية بات لديها ما لديها من إمكانيات عسكرية وصاروخية ولوجستية، وبات لديها من الخبراء القادرين على تقدير الموقف وتحديد مسارات وأولويات إدارة المعركة، فعدت قادرة بفعل تصاعد قوتها ومستوى إدارتها على فرض "معادلة ردع" جديدة تربك حسابات العدو².

(2) استراتيجية التعليق والاستنزاف: أدركت المقاومة الفلسطينية أن الحرب الطويلة ستكون مكلفة جدا للكيان الإسرائيلي، فحرب الاستنزاف هي نوع من الحروب التي يستطيع فيها أحد الطرفين تقويض القوة العسكرية للطرف الآخر، واستنزاف مقدراته وتكبيده خسائر مادية ومعنوية. أطلق الجنرال الفرنسي اندريه بوفر Andre Bouver على حرب الاستنزاف " نظرية التعرية أو التآكل" فقال: إنه ليس للصراع أن يدور لسبب تحقيق انتصارات على طول الخط في انتصارات مدوية، ولكنه يكفي المحافظة على استمرار الصراع وتصاعده، ودفع العدو نحو قبول الوضع بقسوته وظروفه، وبتزايد الثقل على العدو وتزايد الضغوط المعنوية³. ويقول كوبي مايكل Kobi Michael أحد أبرز الباحثين في جامعة جنوب ويلز في المملكة المتحدة أن: قادة المقاومة يعملون باستمرار على تحسين استراتيجية التعليق والاستنزاف؛ هدفهم هو وضع حد للحرب مع ضمان بقاء حركة حماس كقوة عسكرية وحكومية على حد سواء، وهذا سيكون جوهر النصر بالنسبة لهم. إن هذا الانتصار المتصور لحماس من شأنه أن يعني ترسيخ الوضع المضطرب ليس فقط في قطاع غزة، بل على جميع جبهات محور المقاومة ضد الكيان الإسرائيلي. وتشكل هذه الاستراتيجية تحدياً خطيراً للكيان الإسرائيلي، مما يخلق حرب استنزاف مستمرة ويعيق قدرته على تحقيق سيادته وتأمين سكانه المدنيين في المجتمعات الواقعة على طول حدوده⁴.

لقد تمكنت المقاومة الفلسطينية من حر الكيان الإسرائيلي إلى فخ الحرب الطويلة، ما شكل مأزقا كبيرا للجيش الإسرائيلي، فإطالة أمد الحرب البرية وتوريط الجيش الإسرائيلي فيها، دون نتائج حاسمة مقارنة بالأهداف التي أعلنها (استعادة الرهائن، تدمير حركات المقاومة وعلى رأسها حماس، تدمير الأنفاق) كان له آثار سلبية مادية ومعنوية. وهو ما عبر عنه أبو عبيدة الناطق العسكري باسم " كتاب القسام" الجناح العسكري لحركة حماس في قوله: مستعدون لمعركة استنزاف طويلة وجر الجيش الإسرائيلي إلى مستنقع لا يجد فيه إلا القتل⁵. يشير الخبير العسكري اللواء فايز الدويري بأن المقاومة تعتمد حاليا مبدأ حرب الاستنزاف حتى تتفادى التحديات المحيطة بها من طائرات مراقبة وإسناد نارى وأسلحة ذكية، وهو أمر يمنحها إطارا زمنيا مفتوحا لتنفيذ عملياتها وفق الظروف على الأرض. وبناء على ذلك، فإن المقاومة ربما تمضي أياما دون تنفيذ أي عملية لأنها تنتقي أهدافها وفق المعطيات على الأرض⁶.

(3) استراتيجية النظام العسكري المنجدين: يقول قاصد أحمد، فريق متقاعد ونائب أسبق لقائد الجيش الأردني أن: " المقاومة لها استراتيجية مختلطة في هذه المرحلة، وهي الدفاع بحرب العصابات بعد أن نفذت عمليات تعطيل وتخريب لهذا الهجوم الإسرائيلي منذ 6 مايو/ أيار 2024،

1) أحمد حسين، كتاب القسام ومعركة " سيف القدس" مكنات الردع النفسي في حرب غير متناظرة، سلسلة أوراق استراتيجية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 4: 1-14، 2021، ص (4).

2) محمد أبو ليلى، "الصير الاستراتيجي" في ميزان معادلة "الردع" لدى المقاومة الفلسطينية، <https://2u.pw/CfiEmT2>، 2022، شوهذ 2024/7/31.

3) فاطمة عمر، أسباب حرب الاستنزاف (1967-1970)، مجلة التاريخ والمستقبل، العدد 73: 1357-1369، 2023، ص (1363).

4) Kobi Michael, Hamas' Strategy of Suspension and Attrition, 4 SEEN 29/7/2024, <https://2u.pw/vYgrit0L>.

5) موقع الإخباري، <https://2u.pw/6zGEGfsx>، 2024، شوهذ 2024/7/29.

6) موقع الجزيرة نت، الدويري: إسرائيل خأت معارك الأفراد للحد من خسائرها الكبيرة للكيان، <https://2u.pw/PO4MAOXc>، 2024، شوهذ 2024/7/29.

حيث أنها تسمح بتوغل محدود يصل فيه العدو الإسرائيلي إلى مناطق مختارة، ومن ثم الهجوم عليهم بوسائل القتال المختلفة. فالمقاومة تمارس حالة من الخلطة الاستراتيجية، التي تؤدي بشكل أو بآخر إلى الهدف الكبير لها، وهو أن توقع خسائر كبيرة وترفع ثمن الحرب على الكيان الإسرائيلي، إلى أن توصله إلى حالة الفشل والإعاقة العسكرية الكاملة من الوصول إلى نتائج، وبالتالي تفتح المجال أمام إنهاء الحرب. فهي تتمتع بتحضير وتخطيط كاملين للمقاومة، ذات نظام عسكري هجين، يمكن أن تنفذ عمليات عسكرية نظامية كجيش نظامي، ويمكن أن تلجأ إلى حرب عصابات بالوقت المناسب، ويمكن أيضاً أن تخلط بينهما¹.

يقول الخبير العسكري والاستراتيجي حاتم كريم الفلاح: " بأن المقاومة تفوقت على جيش الاحتلال في رفع باستخدام تكتيك حرب العصابات، ونجحت في مواجهة قواته المدججة بأحدث التقنيات الحربية بعناصر مسلحة بأسلحة خفيفة، ولكنها تتميز بالجرأة وحفة الحركة، فعناصر المقاومة تقوم بالانسحاب فوراً إلى منطقة آمنة عقب تنفيذ العملية باستخدام عدد من الطرق منها الأنفاق التي ما زالت فاعلة بنسبة (65%) بحسب تقارير أميركية، إضافة إلى المناطق المبنية التي تؤمن الرصد والمراقبة². وهو ما أكده أيضاً المحلل العسكري الإسرائيلي نير دفوري "Nir Dvori" في تصريح له نشرته القناة 12 العبرية على موقعها الإلكتروني تحت عنوان " هل حقق الجيش الإسرائيلي الأهداف التي حددها حتى الآن؟. محبياً أن: " حركة حماس تستثمر تفوقها في حرب العصابات بجنوبي قطاع غزة، باعتبارها "منطقة تعرفها جيداً"، وشدد على أن عدد القتلى الكبير للجيش الإسرائيلي خلال الـ 24 ساعة الأخيرة يؤكد وجود " معارك ضارية"، وأن قدرة مقاتلي حماس على تعقب الجيش الإسرائيلي، والخروج من فتحات الأنفاق حتى في المناطق التي احتلها الجيش، وإطلاق الصواريخ المضادة للدبابات أو قذائف (آر بي جي)، تنجح في إلحاق خسائر بقواتنا"³.

المطلب الثاني: الأساليب القتالية للمقاومة الفلسطينية منذ الاجتياح البري لغزة.. تنوع وتطوير

استخدمت فصائل المقاومة الفلسطينية تكتيكات وأساليب مبتكرة في حربها اللامتناهية مع الجيش الإسرائيلي منذ الاجتياح البري لغزة. يقول الباحث في الشأن السياسي والاستراتيجي سعيد زياد أن: " قدرة فصائل المقاومة على تنفيذ عمليات تلحق الخسائر بالجيش الإسرائيلي تأتي من قدرتها على تغيير تكتيكاتها العسكرية بما يفقد الاحتلال قوة العمل الاستخباراتي، فالمعلومات التي يجمعها عن طرق عمل المقاتلين، سرعان ما تتغير وقائعها. فقد تمكنت المقاومة في كل مرة من تعديل خططها العسكرية بعد دراسة تكتيكات الجيش الإسرائيلي وفهم أسلوبه العسكري لتقاتل بقوة أكبر بعد انتهاء الهدنة، كما أنها في بداية العملية البرية اعتمدت على تقسيم القطاع إلى (3) مناطق دفاعية تتمتع كل منها بشكل قتالي خاص. لكن بعد انتهاء الهدنة، قسّمت القطاع إلى بقع قتالية مستقلة، تقاتل كل بقعة بشكل مركزي مستقل، وتقوم البقع الأخرى بدور الإسناد فقط، وذلك ما يجعل وصول فصائل المقاومة إلى مرحلة الاستتراف صعباً جداً، كما حدث في كل من رفح وجباليا في الوقت نفسه"⁴. ولعل من أبرز هذه الأساليب القتالية:

(1) العقد القتالية " الزمر القتالية": ذكرها أبو عبيدة الناطق الإعلامي لحماس في خطبته أكثر من مرة، مشيراً إلى أن: " هناك المئات من المجاهدين في العقد القتالية ينتظرون بفارغ الصبر دورهم الجهادي". فما هي العقد القتالية؟ وكيف وظفتها المقاومة الفلسطينية في تصديها

(1) موقع القدس العربي، خبير عسكري: خلطة إستراتيجية تفسر صمود المقاومة أمام إسرائيل بغزة، <https://2u.pw/hySbMdvC>، 2024، شوهد 2024/7/30.

(2) موقع الجزيرة نت، خبير عسكري: المقاومة تفوقت على جيش الاحتلال باستخدام تكتيك حرب العصابات، <https://2u.pw/kxW1GlaD>، 2024، شوهد 2024/7/30.

(3) زين خليل، محلل إسرائيلي: "حماس" تستثمر تفوقها في حرب العصابات جنوبي قطاع غزة، <https://2u.pw/gLanr9u8>، 2024، شوهد 2024/7/30.

(4) موقع الجزيرة نت، بعد 8 أشهر من الحرب.. كيف تستمر المقاومة في إلحاق الخسائر بجيش الاحتلال؟، <https://2u.pw/JDeXYEWu>، 2024، شوهد 2024/7/31.

للاحتياح البري الإسرائيلي على غزة؟. العقد القتالية هي: عبارة عن خلايا لا مركزية صغيرة من المقاومين يتراوح عدد أفرادها في حالة تنفيذ أعمال قتالية منفردة بين (3 و5) أفراد، ويمكن أن يرتفع العدد إلى أكثر من (10) مقاومين في العمليات العسكرية المركبة¹.

في ظل تقدير المقاومة المسبق لخطط الجيش الإسرائيلي الهجومية في أي منطقة من غزة، وحسب طبيعة القتال فيها تشكل المقاومة "العقد القتالية"، إذ يترك للمقاوم في عقده تقدير نشاطه العسكري بطريقة لا مركزية، ودون الحاجة للرجوع لقيادته، فهو يحدد متى يبدأ وأين يكمن وأي آلية يستهدف. ذلك وأنه بحسب المهمة الموكلة له وفق خطط مسبقة يتم تسليح أفراد العقدة، فبناء على دراسة التهديد والمخاطر على جميع المحاور القتالية يتم إعداد الخطط والكمائن وفق عمليات الاستطلاع والمراقبة وجمع المعلومات الاستخبارية عن خطط العدو وحشوده وموضع قواته. تتألف أعداد العقد القتالية بحسب المهمة الموكلة لهم؛ فتألف من (2 إلى 3) كحد أقصى في حالات القنص؛ بينما تتألف من (3 إلى 5) في مهمات المدفعية واستهداف مدرعات العدو؛ أما في حالات المهام المركبة فتتكون العقدة من مقاتلين من النخبة، وقد تشترك أكثر من عقدة في تنفيذ عملية واحدة، وأحياناً تكون العقد من أكثر من فصيل من فصائل المقاومة، وهذه العمليات تشتمل على القنص والافتحام والاشتباك المباشر مع جنود الاحتلال، واستهداف الإمدادات وطواقم الإنقاذ. لقد طورت المقاومة الفلسطينية من أسلوب عقدها القتالية، فنذت عمليات نوعية خلف خطوط العدو كما حدث في جحر الديك، عندما تمكن المقاومون من استدراج قوات الجيش الإسرائيلي إلى مداخل الأنفاق وتفجيرها. إن المقاوم في عقده القتالية يعمل بشكل غير مركزي، ويستطيع التصرف حسب ما تقتضيه الحاجة في حال انقطاعه عن قيادته، وفي بعض الأحيان يملك المقاوم بضع أسابيع في مكانه دون الدخول في اشتباك، وتحت أي ظرف لتنفيذ مهمة محددة. كما حدث في كمين مخيم المغازي، الذي أوقع أكثر من (20) ضابطاً وجندياً بين قتيل وجريح².

(2) كمان الموت: صرح أبو عبيدة الناطق الإعلامي لحركة حماس بأنه: ستستمر ضرباتنا الموجعة للعدو (جيش الاحتلال الإسرائيلي) في كل مكان يتواجد فيه. ولن يجد جيش الاحتلال سوى "كمان الموت" في أي بقعة من أرضنا بعون الله³.

لقد اتجهت المقاومة في تصديها للاحتياح البري للجيش الإسرائيلي نحو ما أطلق عليه "كمان الموت"؛ وتعد الكمان العسكرية أحد أنجع العمليات الخاطفة التي تنفذها المجموعات القتالية ضد عدوها من مكان مخفي ومحمي؛ ليكون لها أثر كبير مادي ومعنوي في حال حسن اختيار الزمان والمكان المناسبين، وتوافرت مقومات النجاح. يعرفها اللواء فايز الدويري بأنها: "عملية معقدة ومركبة ودقيقة مبنية على قراءة ميدانية استشرافية وتقدير موقف ميداني، وتتكون من عدد من الخطوات المتتالية المخطط لها⁴. لقد تنوع شكل العمليات التي نفذتها المقاومة الفلسطينية، ففي المرحلة الأولى للحرب على غزة، استخدمت عمليات القنص في مناطق التوغل البري الإسرائيلي، والاستهداف المباشر بمضادات الدروع وقذائف "الياسين" والقصف بقذائف الهاون. وفي المرحلة الثانية كانت المقاومة تميل إلى أساليب استنزاف الجنود الصهاينة عبر الكمان المركبة المفخخة، والعمليات التي تميل نحو تنفيذ عدة ضربات في ذات الكمين لإيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر، فكانت تستخدم العبوات الناسفة شديدة الانفجار مثل "شواظ" و"العمل الفدائي"، بالإضافة إلى صواريخ "إسرائيلية" لم تنفجر، فضلاً عن الأنفاق المفخخة وتفخيخ المنازل في المناطق التي توجد فيها قوات عملياتية إسرائيلية⁵.

(1) وكالة عجلون الإخبارية، العقدة القتالية.. نكبات القسام في مواجهة جيش الاحتلال، <https://2u.pw/GdSKkptL>، 2024، شوهه 2024/8/1.

(2) المرجع السابق.

(3) موقع المصري اليوم، «كمان الموت».. أول تعليق من أبو عبيدة على مقتل 8 جنود للاحتلال في رفح، <https://2u.pw/aNYskwZO>، 2024، شوهه 2024/7/31.

(4) موقع الجزيرة نت، الكمين.. نكبات عسكري لإرباك العدو وماغننه، <https://2u.pw/Fkg6nrTO>، 2024، شوهه 2024/7/31.

(5) وكالة القدس للأخبار، الكمان المركبة وحرب العصابات في غزة... أساليب مختلفة لمواجهة معقدة، <https://2u.pw/ZzrmMakf>، 2024، شوهه 2024/8/1.

بين المحلل العسكري العقيد ركن حاتم الفلاح في حديث لقناة الجزيرة: أن عمليات المقاومة الأخيرة في قطاع غزة شهدت تطورا نوعيا لم يكن معتادا في العمليات السابقة. فالتطور النوعي الذي شهدته عمليات المقاومة الأخيرة يتمثل في إتباعها الكمائن النوعية التي تنصبها لجيش الاحتلال، اشتباكا مباشرا كأحد مراحل المواجهة العسكرية بين الطرفين. بينما كانت الكمائن السابقة تقتصر على تفجير الألغام والانسحاب السريع¹. كما تكرر أيضا استخدام مصطلح "المسافة صفر" في إشارة إلى الاقتراب الكبير والسريع لمقاتلي المقاومة في المواجهة مع قوات الجيش الإسرائيلي، تجلت فيها بطولات المقاومين، ما يدل على جرأة المقاوم الفلسطيني الذي يتمتع بعزيمة قوية، وشجاعة لا مثيل لها.

(3) أسلوب الإغارة المفاجئة "سمكة الصحراء": وفيها تكون عملية الإغارة، وهي أحد أنواع العمليات التعرضية للقوات المدافعة، وعادة تقوم بها قوات النخبة، وتسمى أيضا "سمكة الصحراء"، يكون فيها الظهور في الزمان والمكان غير المتوقعين، بعد إنجاز الاستطلاع الدقيق والمستمر حتى تنفيذ العملية في المناطق الدفاعية للقوة المهاجمة، تهدف إلى الترويع والصدمة لقوات العدو باستخدام القوة والعنف والوقت القصير في التنفيذ، وينسحب المنفذون قبل تمكن العدو من القيام بأي رد فعل، وتنقسم القوة المباشرة عادة إلى ثلاثة أقسام؛ القوة الأولى: قسم للحماية؛ والمعنية بمنع الإمدادات وتأمين طريق الانسحاب، القوة الثانية: قوة الاقتحام، والثالثة: قوة التنفيذ، وبعد التنفيذ تنسحب قوة التنفيذ أولا ثم قوة الاقتحام ثم قوة الحماية، وكل ذلك في وقت قياسي. وقد نفذت كتائب القسم الجناح العسكري لحماس إغارة مشاهة على مقر قيادة عمليات الاحتلال في مدينة رفح، وأعلنت كتائب القسم أن عددا كبيرا من مقاتليها أغاروا على مقر قيادة عمليات الاحتلال قرب حي تل سلطان، وأوقعوا قتلى وجرحى في صفوف الاحتلال².

تعد أساليب المقاومة الفلسطينية في غزة حالة عسكرية فريدة، ونموذج متقدم في العمل العسكري، قال فيها الخبير العسكري والاستراتيجي اللواء فايز الدويري: "إن إدارة المعركة من قبل المقاومة الفلسطينية متقدمة جدا ويجب أن تُدرّس في جميع الكليات العسكرية في العالم، وما تطبقه المقاومة خارج عن المؤلف فهم يفكرون دائما خارج الصندوق التقليدي، مؤكدا على إيلاء إدارة المقاومة اهتماما نوعيا برفع الروح المعنوية لمقاتليها³.

المبحث الثاني: انعكاسات التطور العملي للمقاومة على أبعاد العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي في غزة

شهدت عقيدة الجيش الإسرائيلي العسكرية مراجعات متتالية خلال العقدين الأولين من نظام الألفية الثالثة، وذلك بحسب المتغيرات والمعطيات التي شهدتها كل مرحلة، إذ تظهر الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عبر الخطط الأركانبة التي تقر كل خمس سنوات، من خلال أهداف السياسة العسكرية وآليات تطبيقها، ومجالات استخدام القوة، التي تتناسب مع طبيعة التحديات التي يواجهها الكيان الإسرائيلي. لتواجه صدمة كبرى في مواجهتها للتطور العملي لدى المقاومة الفلسطينية خلال الاجتياح البري لغزة بعد عملية "طوفان الأقصى"، وليصبح واقع الجيش الإسرائيلي في غزة شاهدا على بدء تصدع نظرياته العسكرية.

المطلب الأول: العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي خلال العقدين الأولين من نظام الألفية الثالثة ... لمحة تاريخية

في مطلع نظام الألفية الثالثة وعلى إثر أحداث 11 سبتمبر 2001، سعى الكيان الإسرائيلي لإظهار مؤازرته لأمريكا في حربها على (الإرهاب)، فعمل على صياغة استراتيجية عسكرية متسقة وتغيرات النظام الدولي، متبينة للنظرية الأمريكية واستراتيجيتها في العراق، والقائمة

(1) موقع الجزيرة نت، حيدر عسكري يكشف تطورا نوعيا بعمليات المقاومة الأخيرة، <https://2u.pw/IBYh5vmf>، 2024، شوهدهد 2024/7/31.

(2) موقع الشرق، "سمكة الصحراء" صدمة جديدة لإسرائيل في غزة.. والدويري يكشف أسرارها وماذا تعني، <https://2u.pw/St0e6WYt>، 2024، شوهدهد 2024/8/2.

(3) موقع الجزيرة نت، الدويري: ما تقدمه القسم خارج عن المؤلف وكمن المشاورة نفذ بنفق وهمي، <https://2u.pw/J703oU23>، 2024، شوهدهد 2024/8/2.

على الاستخدام المكثف وفي آن واحد لجميع أنواع الأسلحة وبشكل مفاجئ؛ لقد تبنى الكيان الإسرائيلي في ظل عودة اليمين للحكم نظرية "الأمن المطلق" وتعني الحق في الدفاع عن مصالح وأمن الكيان الإسرائيلي في أي مكان وزمان وبأية وسيلة وضد أي هدف؛ لتهريب الخصم المباشر وكافة الخصوم في المنطقة¹.

في الفترة من (2003-2006) ظهرت خطة كيلع، أصدر خلالها رئيس الأركان آنذاك موشيه يعلون كتيب بعنوان " جزئيات ديناميكية"، تقوم خطة كيلع على " الحرب عن بعد" و " القتال المتفرق" تجاه المخاطر المتوقعة وحركات المقاومة، وفي هذا النوع من القتال لا حاجة للفرق المدرعة لإخضاع العدو، ويكفي استخدام سلاح الجو والمسح الاستخباري والصواريخ عالية الدقة، ووحدات برية نخبوية لتدمير العدو². إلا أن الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 2006 كشفت عن خلل كبير في استراتيجية الردع ونقل المعركة إلى أرض العدو وحسمها بأسرع ما يمكن، ما أوصل الكيان الإسرائيلي وفق تقرير فينوغراد Winograd إلى الإقرار بالإخفاق، والتراجع عن فكرة تقليص عدد قواها والاتجاه نحو تعزيز سلاح المشاة والمدربات، والاعتماد على قوات الاحتياط، وبناء منظومة دفاعية لاعتراض الصواريخ، ما قاد إلى خطة تيفين (2008-2012)، والتي تقوم على: الاحتفاظ ببنية وحجم تشكيلات الجيش الإسرائيلي، تطوير قوة الردع، تطوير قدرة المناورة البرية، تعزيز القدرة الدفاعية، المحافظة على التفوق النوعي وتعزيز القدرة على نقل المعركة إلى أرض العدو³.

ورغم أن خطة تيفين أعادت الاعتبار للقوات البرية، إلا أن الكثير من القيادات المدنية والعسكرية كانت لا تزال ترى ضرورة الاعتماد على التكنولوجيا، خاصة في ظل تنامي ظاهرة الحروب اللامتماثلة، ونتاج هذه القناعة ظهر ما عرف بخطة عوز (2011-2014) والتي تقوم على: ضرورة تقليص فرق سلاح البر؛ لاختفاء خطر الحروب التقليدية على جميع الجبهات، زيادة الإنفاق على أجهزة الاستخبارات والقدرات القتالية برا وبحرا وجوا، والتركيز على الحرب السيبرانية. ولكن بعد حرب العصف المأكول عام 2014 في غزة ظهرت خطة جدعون (2015-2019)، قدمها رئيس الأركان جادي آيزنكوت والتي تطالب بتوحيد ذراع العمليات البرية وذراع السايبر واللوجستيك؛ بهدف توحيد الرؤية البرية الكاملة، فأيزنكوت يؤمن أن العامل البشري هو ساحة المعركة الرئيسية، رغم أن القتال سيكون له مكونات تكنولوجية، وذلك ضمن ما عرف بمفهوم " الذراع الموحد". ولقد اعتبر البعض أن هذه الخطة لم تأت بجديد باستثناء إضافة مصطلح الدفاع إلى جانب مصطلحات الردع والإنذار المبكر والحسم السريع في الاستراتيجية الجديدة⁴.

جاءت بعدها خطة تنرفا (2020 - 2024) التي وضعها رئيس الأركان أفيف كوخافي، تدور حول تكثيف فتل الجيش في النطاق والدقة، وتهدف إلى جعل الجيش أكثر تكنولوجية وأشد فتكا، من خلال توسيع قوة النار برا وجوا وبحرا، وفي حرب السايبر والحرب الإلكترونية، يكون فيها 70% للهجوم و 30% للدفاع؛ لتقصير أمد القتال وضمان تدمير العدو أي " الزخم والحصاد السريع"⁵.

معركة " سيف القدس " 2021 في مواجهة خطة تنرفا

انطلقت معركة سيف القدس عام 2021، وجهت خلالها المقاومة الفلسطينية ضربات صاروخية في العمق الإسرائيلي على إثر اقتحامات المستوطنين للمسجد الأقصى والمخططات الإسرائيلية لترحيل سكان حي الشيخ جراح في القدس. ما اعتبره قائد الجيش أفيف كوخافي فرصة

(1) مراد فول، العقيدة العسكرية الإسرائيلية بين التحديات الإقليمية والقدرة على التكيف، مجلة البحوث السياسية والإدارية، العدد 10: 174-188، 2017، ص (182-183).

(2) رامي أحمد، أركان الجيش الإسرائيلي: الخطط والتحديات، <https://2u.pw/8oohYrZK>، 2021، شوه 2024/8/5.

(3) مراد فول، مرجع سابق، ص (182-183).

(4) مركز أبحاث غرب آسيا، استراتيجية كوخافي بين النظرية واختبارات التجربة، <https://2u.pw/NZu5dUU8>، 2021، شوه 2024/8/6.

(5) مركز أبحاث غرب آسيا، مرجع سابق، ص (14)..

ساخته لتنفيذ خططه العسكرية وعلى رأسها خطة " تنوفا"، الهادفة إلى تدمير " مترو حماس" في ضربة فناكة للمقاومين وشبكة الأنفاق، غير أن المقاومة استطاعت كشف الخطة مبكراً، وتمكنت من إفشائها، ما شكل إخفاقاً قاسياً للجيش الإسرائيلي¹.

فالمبادأة في الهجوم كان من المقاومة الفلسطينية، فهي التي حددت ساعة الصفر في معركة " سيف القدس" وقطعت نجاح خطة الحرب الإسرائيلية على غزة، القائمة على المباغثة واختيار التوقيت الأنسب لإسرائيل، لقد شهد نجاح الضربة الأولى من المقاومة على فشل التقديرات الاستخباراتية الإسرائيلية عن حجم ونوع الضربة، ما يعني فشل أحد مرتكزات العقيدة العسكرية الإسرائيلية وهي الإنذار المبكر، كما فشل الجيش الإسرائيلي في تحقيق " النصر" الذي قال عنه أفيغ كوخافي: أن النصر عبارة عن تدمير 30% من قوة العدو المادية والبشرية في الضربة الأولى في المعركة، الأمر الذي يؤدي إلى استسلامه وإجباره على الخضوع لشروط الكيان الإسرائيلي لوقف إطلاق النار. فلا الجيش الإسرائيلي حقق " النصر" ولا حسم المعركة. لقد فشلت خطة تنوفا في منع تعاضم قدرات المقاومة الفلسطينية العسكرية، والحد من القدرة الانتاجية العسكرية للمقاومة وتطوير تقنياتها، وإدخال أسلحة جديدة وجبهات قتال جديدة، رغم الحصار على غزة².

المطلب الثاني: عقيدة الجيش الإسرائيلي العسكرية في مواجهة التطور العملياتي للمقاومة بعد " طوفان الأقصى":

المراحل والنتائج

رسم الجيش الإسرائيلي مراحل عسكرية استراتيجية ثلاث في حربه على غزة إثر عملية " طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر/ تشرين الأول عام 2023، إذ بدأت المرحلة الأولى مباشرة بقصف إسرائيلي جوي ومدفعي استمر (20) يوماً، تبعه توغل بري بمناورات عسكرية واسعة استمرت حتى 24 نوفمبر/ تشرين الثاني، توصل على إثرها الطرفان لهدنة مؤقتة لمدة أسبوع، تم فيها تبادل عدد من الأسرى وإدخال مساعدات طبية وإنسانية إلى غزة. عاد بعدها القصف الإسرائيلي المدمر للبنى التحتية للقطاع، واجهته المقاومة الفلسطينية بقصف صاروخي مكثف للمناطق المحتلة. ثم ليكون الأول من ديسمبر / كانون الأول 2023 مطلع المرحلة الثانية للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية في حربها على غزة، إذ شن فيها الجيش الإسرائيلي هجوماً واسعاً قاده الفرقة (98) بثمانية ألوية على مدينة خان يونس، وأحر على المنطقة الوسطى من القطاع قاده الفرقة (36) ثم استبدلت بالفرقة (99). استمرت المواجهة بين الطرفين في هذه المرحلة لما يقرب من أربعة أشهر، انسحب بعدها الجيش الإسرائيلي من المنطقة الوسطى على إثر تفجير المعازي الذي كبدت فيه المقاومة الفلسطينية الجيش الإسرائيلي عدداً كبيراً من القتلى من سلاح الهندسة الإسرائيلي. اتسمت هذه المرحلة في بداياتها " بالتعادل الاستراتيجي"، إذ احتفظ الطرفان بالإمكانات والقدرات التي مكنتهما من حوض معركة شبه متوازنة - رغم الفوارق في موازين القوى بين الطرفين - ميدانية وعملياتية واستراتيجية. إلا أن إطالة أمد هذه المرحلة التي شرفت على تسعة أشهر وتزامنا مع بدء الهجوم الإسرائيلي على رفح في 6 مايو/ أيار 2024 أصاب الطرفين الإنهاك والاستنزاف، وبدأ الجيش الإسرائيلي يعاني من نقص كبير في القوات القتالية والمعدات والآليات والذخائر نتيجة العمليات النوعية للمقاومة الفلسطينية، التي أظهرت تداعيات منظومة الاستشعار والإنذار المبكر لدى الكيان الإسرائيلي، وفشل منظومة القبة الحديدية في التصدي لصواريخ المقاومة، وخاصة في ظل تزايد التهديدات والمواجهات على جبهتي الضفة الغربية والجبهة اللبنانية، وتنامي قدرة المقاومة الفلسطينية على العودة إلى معظم المناطق التي انسحب منها الجيش الإسرائيلي³.

1) عدنان أبو عامر، معركة غزة الأخيرة وآفاقها المستقبلية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 127: 126-131، 2021، ص (128).

2) حسن لافي، "سيف القدس" وتداعيات المشروع الصهيوني: القوة العسكرية، <https://2u.pw/paHvWth3>، 2021، شوهد 2024/8/6.

3) حاتم الفلاح، الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية في المرحلة الثالثة.. الأهداف والمعوقات، <https://2u.pw/Gx0hxQtI>، 2024، شوهد 2024/9/25.

أما المرحلة الثالثة من الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على غزة فقد أشير إلى أنها تعني الانتقال من القصف المكثف على غزة إلى القصف المستهدف المستند إلى معلومات استخباراتية، على أن تشمل هذه المرحلة " التركيز على عمليات برية محدودة" وتخفيض القوات البرية واللجوء إلى الغارات الجوية، وإقامة منطقة عازلة على الحدود بين الكيان الإسرائيلي وقطاع غزة، وإبقاء قواته في محوري نتساريم وفيلادلفيا وتوسعهما من (2 - 4) كيلومترات تحضيرا للمرحلة الثالثة. قال المحلل السياسي أسامة محمد في تعليقه على المرحلة الثالثة للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على غزة: " إن عمليات الجيش الإسرائيلي في المرحلة الثالثة تتركز على عدة مبادئ ومحددات عسكرية منها: توفر معلومات استخباراتية دقيقة، الاعتماد على السرعة والمفاجأة وعناصر التكامل وكثافة النيران والدقة في عمليات إطلاق النار، وإغلاق فرص النجاة أمام المقاومة، على أن يشمل انسحاب الجيش الإسرائيلي من المناطق التي يتوغل فيها خروجه خارج القطاع أو التمركز في محوري نتساريم وفيلادلفيا دون البقاء داخل القطاع". هذا وتشمل المرحلة الثالثة الاستمرار في خلق حالة الفوضى واستهداف القوى المدنية لإيجاد حالة فراغ في القطاع. يعلق المحلل السياسي الفلسطيني إبراهيم المدهور: أن المرحلة الثالثة مازالت غير مفهومة في ظل عدم وجود ملامح أو خطة لها، وأنها شعار إعلامي، والاحتلال مازال غير قادر على الانتقال من مرحلة لأخرى¹.

إن نجاح الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية في غزة يمكن أن تقاس بمجموعها للوصول إلى مرحلة رابعة، يستطيع الكيان الإسرائيلي فيها السيطرة على القطاع وفرض منظومة حكم ينسجم مع الاحتلال. فهل تحقق ذلك بعد مرور ما عام على عملية " طوفان الأقصى"؟. يمكن الإجابة على هذا التساؤل من خلال محددات ثلاث؛ أولها: مدى النجاح أو الإخفاق في تحقيق أهداف العملية العسكرية الإسرائيلية على غزة. وثانيها: مدى النجاح أو الإخفاق في ممارسة الضغوط على المقاومة الفلسطينية لتقوية الموقف التفاوضي للكيان الإسرائيلي. وثالثها: امتلاك رؤية مستقبلية (اليوم التالي) والقدرة على تحقيقه. وببساطة يمكن القول بأنه بعد مرور عام على العمليات العسكرية الإسرائيلية بمراحلها الثلاث، لم يستطيع الكيان الإسرائيلي تحقيق أهدافه العسكرية (تدمير حركات المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حماس والقضاء على بنيتها العسكرية وتعطيل قدرتها على إطلاق الصواريخ على الأراضي المحتلة، استعادة جميع الرهائن، وتدمير الأنفاق)، بل على العكس أعلن أكثر من مسؤول إسرائيلي أن هدف القضاء على حماس وقدراتها القتالية بعيدة المنال، وتفكيك أنفاقها أمر صعب رغم ولوج الجيش الإسرائيلي في القطاع طولا بعرض. أما فيما يتعلق بقدرة الكيان الإسرائيلي على ممارسة الضغوط لتقوية موقفه التفاوضي وإجبار حماس على الانصياع لشروطه، فلم يتم رغم ممارسته لكافة أنواع الضغوط من خلال استهداف المدنيين وإبادتهم، ثم اللجوء إلى ورقة التهجير، واللعب على ورقة رفع والعمليات العسكرية التي أفشلتها المقاومة، والسيطرة على معبري رفح وفيلادلفيا، ثم اللجوء إلى الاغتيالات، كل ذلك فشل إلى الآن في دفع المقاومة إلى الإذعان، بل على العكس أصبحت حماس غير معنية بالجلوس إلى طاولة المفاوضات مع الوسطاء ما دام الكيان الإسرائيلي قد تراجع عن قبول الأراضية التفاوضية التي اتفق عليها في 2 يوليو. أما عن تحديد ملامح اليوم التالي فلم يستطيع رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو إلى حين كتابة هذه الدراسة فرض السيناريو الذي يريد².

الخلاصة:

في ظل تنامي قدرة المقاومة الفلسطينية في غزة على تنويع استراتيجياتها وأساليبها القتالية في سياق تطور عملياتي كبير. نجحت المقاومة خلال عام بعد عملية " طوفان الأقصى" باستخدام استراتيجيات " معادلة الردع" و" التعليق والاستتراف" و" النظام العسكري المهجين"، وتمكنت في حربها اللامتماثلة مع الجيش الإسرائيلي من تفعيل ما عرف بالكمائن المركبة " كمان الموت"، و" العقد القتالية" و" الغارات

1 (نور أبو عيشة، المرحلة الثالثة من حرب غزة.. عمليات أقل وجرائم أكثر (تقرير)، <https://2u.pw/Bx9AClq>، 2024، شوهده 2024/9/25.

2 (بلال التليدي، أمريكا وإسرائيل.. حدود العقل الاستراتيجي.. قراءة في مآلات طوفان الأقصى، <https://2u.pw/ZtvuFKbK>، 2024، شوهده 2024/9/26.

المفاجئة". ما أصاب الجيش الإسرائيلي بانتكاسات كثيرة في حربه على غزة، رغم قدرته الكبيرة على صياغة استراتيجيات عسكرية محكمة ومتسقة وتغيرات الوضع القائم، وأعاقه عن تحقيق أهدافه؛ فبعد مرور عام لم يستطع بعد القضاء على المقاومة الفلسطينية في غزة وعلى رأسها حماس، ولا تدمير شبكة الأنفاق بشكل كامل، ولا تحرير معظم الرهائن، أو حتى رسم معالم اليوم التالي للحرب. ما يعني بالضرورة أن الاستراتيجيات العسكرية للكيان الإسرائيلي لم تفلح بعد في غزة رغم كل المحازر والتشكيل وحرب الإبادة التي تمارس بحق أهل غزة. وعليه يمكن القول أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي منذ عملية "طوفان الأقصى" قد دخل أولى مراحل عملية التحرير، وأن هذه الإنجازات القتالية وهذا الصمود الأسطوري للمقاومة والشعب الفلسطيني على مدار العام الأول لعملية الطوفان تمهد لمرحلة جديدة على صعيد القضية الفلسطينية والواقع الإقليمي في آن.

المراجع:

المراجع العربية:

- أبو عامر، عدنان، معركة غزة الأخيرة وآفاقها المستقبلية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 127: 126-131، 2021.
- أبو عيشة، نور، المرحلة الثالثة من حرب غزة.. عمليات أقل وجرائم أكثر (تقرير)، <https://2u.pw/Bx9AclIq>، 2024.
- أبو ليلي، محمد، "الصير الاستراتيجي" في ميزان معادلة "الردع" لدى المقاومة الفلسطينية، <https://2u.pw/CfjEmT2I>، 2022.
- أحمد، رامي، أركان الجيش الإسرائيلي: الخطط والتحديات، <https://2u.pw/8oohYrZK>، 2021.
- التليدي، بلال، أمريكا وإسرائيل.. حدود العقل الاستراتيجي.. قراءة في مآلات طوفان الأقصى، <https://2u.pw/ZtvuFKbK>، 2024.
- توم، بسمة، الحرب اللامتناظرة في غزة منذ "طوفان الأقصى" وانعكاساتها على قدرة الردع الإسرائيلية ومعادلة القوة في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، مجلة اتجاهات سياسية، 7(28): 25-12، 2024.
- حسين، أحمد، كتاب القسام ومعركة "سيف القدس" إمكانات الردع النسبي في حرب غير متناظرة، سلسلة أوراق استراتيجية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 4: 1-14، 2021.
- خليل، زين، محلل إسرائيلي: "حماس" تستثمر تفوقها في حرب العصابات جنوبي قطاع غزة، <https://2u.pw/gLanr9u8>، 2024.
- عمر، فاطمة، أسباب حرب الاستنزاف (1967-1970)، مجلة التاريخ والمستقبل، العدد 73: 1357-1369، 2023.
- الفلاح، حاتم، الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية في المرحلة الثالثة.. الأهداف والمعوقات، <https://2u.pw/Gx0hxQtl>، 2024.
- فول، مراد، العقيدة العسكرية الإسرائيلية بين التحديات الإقليمية والقدرة على التكيف، مجلة البحوث السياسية والإدارية، العدد 10: 174-188، 2017.
- لافي، حسن، "سيف القدس" وتداعي المشروع الصهيوني: القوة العسكرية، <https://2u.pw/paHVvth3>، 2021.
- مركز أبحاث غرب آسيا، استراتيجية كوفاجي بين النظرية واختبارات التجربة، <https://2u.pw/NZu5dUU8>، 2021.
- موقع الجزيرة نت، الدويري: إسرائيل لجأت لمعارك الأفراد للحد من خسائرها الكبيرة للآليات، <https://2u.pw/PO4MAOXC>، 2024.
- موقع الجزيرة نت، خبير عسكري: المقاومة تفوقت على جيش الاحتلال باستخدام تكتيك حرب العصابات، <https://2u.pw/kXW1GIaD>، 2024.
- موقع الجزيرة نت، بعد 8 أشهر من الحرب.. كيف تستمر المقاومة في إلحاق الخسائر بجيش الاحتلال؟، <https://2u.pw/JDeXYEWu>، 2024.

- موقع الجزيرة نت، الكمين.. تكتيك عسكري لإرباك العدو ومباغتته، <https://2u.pw/Fkg6nrTO>، 2024.
- موقع الجزيرة نت، خبير عسكري يكشف تطورا نوعيا بعمليات المقاومة الأخيرة، <https://2u.pw/IBYh5ymf>، 2024.
- موقع الجزيرة نت، الدويري: ما تقدمه القسام خارج عن المألوف وكمين الشابورة نُفذ بنفق وهمي، <https://2u.pw/J703oU23>، 2024.
- موقع الشرق، "سمكة الصحراء" صدمة جديدة لإسرائيل في غزة.. والدويري يكشف أسرارها وماذا تعني، <https://2u.pw/St0e6WYt>، 2024.
- موقع القدس العربي، خبير عسكري: خلطة إستراتيجية تفسر صمود المقاومة أمام إسرائيل بغزة، <https://2u.pw/hySbMdvC>، 2024.
- موقع RT الإخباري، <https://2u.pw/6zGEGfsx>، 2024.
- وتد، محمد، نصف عام من الحرب على غزة.. إسرائيل تخسر قوة الردع وتفشل باستعادتها، <https://2u.pw/7hVaTyxn>، 2024.
- وكالة عاجلون الإخبارية، العقدة القتالية.. تكتيك القسام في مواجهة جيش الاحتلال، <https://2u.pw/GdSKkptL>، 2024.
- وكالة القدس للأباء، الكمائن المركبة وحرب العصابات في غزة... أساليب مختلفة لمواجهة معقدة، <https://2u.pw/ZzrmMakf>، 2024.

Foreign references:

- Kobi Michael, Hamas' Strategy of Suspension and Attrition, <https://2u.pw/vYgrlt0L>, 2024.
- Sajjad Safaei, Israel Has Failed to Restore Deterrence, <https://2u.pw/nn6OOLen>, 2024.

الإبادة الجماعية وجرائم الحرب في غزة: دراسة قانونية حول دور المحاكم الدولية والتحديات التي تواجهها

م.م علاء محسن ناصر/ الجامعة العراقية

المستخلص:

تناول البحث موضوع جريمة الحرب على غزة وفرص ادانة زعماء الكيان الاسرائيلي بجريمة الابادة الجماعية حيث تم التطرق في المطلب الاول الى المحاكم الدولية المتمثلة بمحكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية وتأسيسها ونطاق عملها وصلاحتها اما المطلب الثاني فقد تناول جريمة الابادة الجماعية ومفهومها وتعريفها وفقا للقوانين والاتفاقيات الدولية اضافة لشرح اركان جريمة الابادة الجماعية في حين تطرق المطلب الثالث الى احصائيات جرائم العدوان على غزة وموقف محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية اضافة للضغوط التي مورست على هاتين المحكمتين بغية منع تجريم زعماء الكيان بجريمة الابادة . وفي نهاية البحث تم التوصل لعدد من الاستنتاجات تركز على المصاعب التي تواجه المحاكم الدولية والتي تمثل عائقا امام امكانية تجريم الكيان الاسرائيلي.

الكلمات المفتاحية: الحرب على غزة، الكيان الاسرائيلي، الابادة الجماعية، المحكمة الجنائية.

Abstract:

The research dealt with the topic of the war crime on Gaza and the chances of convicting the leaders of the Israeli entity of the crime of genocide. The first section addressed the international courts represented by the International Court of Justice and the International Criminal Court, their establishment, scope of work and jurisdiction. The second section addressed the crime of genocide, its concept and definition according to international laws and agreements, in addition to explaining the elements of the crime of genocide. The third section addressed the statistics of the crimes of aggression on Gaza and the position of the International Court of Justice and the International Criminal Court, in addition to the pressures exerted on these two courts in order to prevent the leaders of the entity from being convicted of the crime of genocide. At the end of the research, a number of conclusions were reached that focused on the difficulties facing international courts, which represent an obstacle to the possibility of criminalizing the Israeli entity.

Keywords: War on Gaza, Israeli entity, genocide, International Criminal Court

المقدمة

منذ اليوم الاول للعدوان على غزة لم تتورع اسرائيل ممثلة بحكومتها وقواتها العسكرية باستهداف المدنيين موقعة القتلى من الاطفال والنساء والشيوخ والمدنيين الابرياء دون ادنى اكرام ودون اي احترام لحقوق الانسان والقانون الدولي والمتابع لتصریحات المسؤولين الاسرائيليين يلاحظ بما لا يقبل الشك رغبتهم وعن قصد في استهداف هذا الكم الهائل من المدنيين ولم تخفي الحكومة الاسرائيلية نيتها بتهجير الفلسطينيين من منازلهم بالقوة والنار ومع كل هذا الاستهداف العاشم فان اسرائيل كانت تستفيد على الاغلب وتستقوي بمساندة حليفها الاول والاكثر تاثيرا وهي الولايات المتحدة التي سعت دوما مع جميع الدول العربية المؤيدة للصهيونية للتغطية على تلك الجرائم او تبريرها وتصويرها كردة فعل مبررة ولم تتورع من خلال بعض مسؤوليها عن التهديد المبطن والعلني للمحكمة الجنائية في حال تجريم القادة الاسرائيليين اضافة الى الوقوف عائقا امام الاعتراف بفلسطين كدولة كاملة السيادة لما له من دور مهم في تمثيل نفسها في المحافل والمحاكم الدولية. الا انه ورغم

كل هذه المجازر والترويع وتقطيع الاشلاء الجثث المترامية والخراب ورغم مشاهدة العالم لكل ما يجري وسيجري الا انه يبقى من الصعب محاكمة قادة الكيان بجرائم الابادة لاسباب عدة ربما ابرزها الضغوط الكبيرة التي تتعرض لها المحاكم الدولية التي تنظر بهذه المجزرة . ومع ذلك فان هذه الحرب ورغم كل ماخلفته من مجازر واحداث دموية يندى لها جبين الانسانية فهي لم تخلو من نتائج ايجابية حيث انما لفتت نظر العالم واعادت القضية الفلسطينية وحق الفلسطينيين في دولة مستقلة الى الواجهة اضافة الى ذلك فانها كشفت زيف الادعاءات الامريكية والعالم الحر فيما يخص شعاراتهم المناادية بالحرية وحقوق الانسان الى اخره من المثل التي كانت تتغنى بها زيفا .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث بتسليط الضوء على الاعمال الاجرامية التي يقوم بها الكيان الاسرائيلي ومدى انطباق جريمة الابادة الجماعية على تلك الأفعال.

مشكلة البحث:

برغم ما يجري من عنف وجرائم وقتل لآلاف المدنيين واجبارهم على النزوح وتدمير المنازل والمؤسسات العامة والبنى التحتية والحديث عن تهجير الفلسطينيين برغم كل هذا فان هناك قيود فيما يخص طرح هذا الموضوع في محكمة العدل الدولية ، تنطلق إشكالية البحث من سؤال مركزي وهو هل هناك فرص لإدانة إسرائيل بجريمة الإبادة الجماعية التي ترتكبها في غزة امام محكمة العدل الدولية؟ ومن هذا السؤال المحوري تنطلق عدة أسئلة:-

- هل يعد استهداف المدنيين والابرياء العزل في غزة عملية إبادة جماعية؟
- هل يعد عدم اكتراث اسرائيل لتحذيرات الجنائية ناجما عن استقوائها بحلفائها؟
- هل طبيعة الجنائية وقراراتها قوية لدرجة انها تشكل رادعا حقيقيا لمرتكبي الاعمال المخالفة للقانون الدولي؟

الفرضية :-

ينطلق البحث من فرضية مفادها كلما زادت الضغوط الدولية والاعتبارات السياسية على المحاكم الدولية قلل من فرص أدانة إسرائيل بجريمة الإبادة الجماعية .

منهج البحث :-

اعتمد الباحث المنهج الوصفي في دراسة موضوع الابادة وشروطها ومدى انطباقها على الافعال التي يقوم بها الكيان الاسرائيلي ضد المدنيين

الكلمات المفتاحية غزة ، جريمة الابادة ، المحاكم الدولية.

المبحث الأول - المحاكم الدولية

سيتم خلال هذا المطلب اعطاء صورة عن محكمتي العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية لصلتها بموضوع البحث كونهما ينظران بموضع الجرائم التي ترتكبها اسرائيل في غزة والتي راح ضحيتها الاف المدنيين وهدمت المنازل واستهدفت المدارس والمرافق الاخرى والمستشفيات وفي كثير من الحالات عن قصد.

المطلب الاول: المحكمة الجنائية الدولية :

تعريف المحكمة الجنائية الدولية: وهي محكمة دولية تتميز بكونها دائمة ومستقلة يقع مقرها في لاهاي بهولندا انشئت بهدف التحقيق مع الافراد المتهمين بارتكاب جرائم بالغة الخطورة تحضى باهتمام المجتمع الدولي وتهدف هذه المحكمة الى ملاحقة هؤلاء الافراد ومحاكمتهم في حال ارتكاب جرائم كجريمة الابادة الجماعية و الجرائم ضد الانسانية و جرائم الحرب و جرائم العدوان .وقد كانت بداية انشاء المحكمة بتاريخ 17 من تموز عام 1998 في روما حيث تم اعتماد نظاما اساسيا يسمح بانشاء المحكمة الجنائية الدولية من 120 دولة وعرف ب"نظام روما الاساسي" وهي بذلك قبلت اختصاص محكمة جنائية دولية دائمة بالتقاضي في احط الجرائم التي ترتكب في اراضيها بعد دخول نظام روما الاساسي حيز النفاذ في الاول من تموز عام 2002 ولا تعد المحكمة الجنائية الدولية بديلا عن المحاكم الوطنية حيث انه واستنادا الى نظام روما الاساسي فان من حق اي دولة ممارسة ولايتها القضائية الجنائية على المسؤولين عن ارتكاب جرائم دولية وليس للمحكمة الجنائية الدولية ان تتدخل الا في حالة عدم مقدرة تلك الدول في اجراء تحقيق مع مرتكبي تلك الجرائم وانزال العقوبات بحقهم او في حال عدم رغبتها في ذلك والهدف من هذه المحكمة هو عدم افلات من يرتكبون تلك الجرائم التي تقلق المجتمع الدولي ما يسهم بمنع ارتكابها.⁽¹⁾

وما يميز هذه المحكمة انها انشئت من الدول الاطراف بمعنى انه تم انشائها بارادة الدول ولم تنشئ من قبل الامم المتحدة او مجلس الامن كما هو الحال في بعض المحاكم وهذا الامر يسهم باضفاء المزيد من الاستقلالية في عملها بمواجهة الاجهزة الدولية والدول الا فيما يتعلق بالتعاون والاحالات والمساعدات القضائية حتى ان مجلس الامن ليس له الا احالة الحالات التي تعتبر تهديدا للامن والسلم الدوليين او ارجاء التحقيق ولن يتدخل في التحقيقات او في موضوع اصدار الاحكام والقرارات ونطاق الاختصاص المكاني للمحكمة الجنائية الدولية هو الدول التي صادقت على ميثاقها وليس لها اختصاص على الدول غير المصادقة على الميثاق الا اذا طلبت احدى الدول ذلك يشار الى ان مجلس الامن الدولي يملك حق الاحالة للمحكمة اذا رأى -من وجهة نظره- ان الجريمة التي ارتكبت تدخل في اختصاص المحكمة وتلك الجريمة تمثل تهديدا للسلم والامن الدوليين.⁽²⁾

وفي هذا السياق يقول استاذ القانون الدولي ايمن سلامة "ان الجنائية الدولية ليست تابعة للامم المتحدة او اي مؤسسة اخرى وهي هيئة مستقلة ولا يمكن لاي دولة ان تؤثر على ما يصدر منها ويضيف ان قرارات الجنائية الدولية تتمتع بالالزام وهي لا تصدر القرارات فقط بل تصدر مذكرات اعتقال ويضيف ويمكن ان تتحرك الدعاوى في المحكمة الجنائية الدولية باربع اليات اولها ان المدعي العام فيها ومن تلقاء نفسه يقوم بتحريكها وفقا للمادة 15 من نظامها الاساسي وفي هذه الحالة يجب ان تكون الدولة عضوا في المحكمة الجنائية وفي الحالة الثانية بالامكان قيام دولة عضو في المحكمة باحالة جرائم مدعى ارتكابها في اقليمها الى المدعي العام اما في الحالة الثالثة تقوم دولة ليست عضوا بتقديم دعوى وهو لا يعني بالضرورة اقرار الدولة بالانضمام الى المحكمة في حين ان الالية الرابعة تتمثل بتقديم مجلس الامن الدولي حالة معينة يرى انها جرائم حرب او جرائم ضد الانسانية كما حدث في العام 2005 في القرار المرقم 1993 وذلك باحالة احداث دارفور الى المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية.⁽³⁾

1 - فهم المحكمة الجنائية الدولية ، المحكمة الجنائية الدولية ، لاهاي ، 2020 ، ص6.

2 - حامد سيد محمد حامد ، الوجيز في الشرح والتعليق على ميثاق المحكمة الجنائية الدولية وفقا لأخر التعديلات ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، 2016 ، ص19.

3 - <https://www.alhurra.com/arabic-and-international/2024/04/30> - الجنائية الدولية والعدل الدولية ما الفرق بين المحكمتين؟ ، موقع الحرة ، 1 مايو 2024 ، 3 اخر تاريخ زيارة 2024/5/28.

بلغ عدد الدول التي صادقت على قانون المحكمة 114 دولة ذكر ان الرئيس الامريكى الاسبق بيل كلينتون قد وقع على نظام روما في 31 من ديسمبر عام 2000 الا ان خلفه جورج بوش الابن الغى ذلك التوقيع في ايار عام 2001 و دشّن حملة عالمية ضد المحكمة. في طريق انتهجته الولايات المتحدة للتحلل من اي قيود او التزامات قانونية دولية يمكن ان تؤثر ولو بشكل بسيط على سياستها القائمة .⁽¹⁾

المطلب الثاني: محكمة العدل الدولية

تعتبر الجهاز القضائي الرئيسي للامم المتحدة بدأت عملها في العام 1946 حيث حلت محل محكمة العدل الدولية الدائمة والتي بدأت العمل عام 1922 ويشبه النظام الاساسي لمحكمة العدل الدولية نظام سابقها بشكل كبير وهو جزء لا يتجزأ من ميثاق الامم المتحدة. يشار الى ان مقر محكمة العدل الدولية في قصر السلام في مدينة لاهاي في هولندا وتتألف المحكمة من 15 قاضيا يتم انتخابهم من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن ولمدة تصل الى تسع سنوات وتجري الانتخابات كل ثلاث سنوات ويمثل اعضاء المحكمة حكوماتهم ولكنهم قضاة مستقلون وهناك شروط يجب ان تتوفر في القضاة منها ان يشهد لهم بالكفاءة في القانون الدولي.⁽²⁾

وفي ما يخص عملها فان البت في النزاعات القانونية بين الدول بمثابة المهمة الاولى للمحكمة حيث تشكل اجراءات التقاضي تلك 80% من نشاط المحكمة اضافة الى أمور اخرى ذات صلة بالقانون الانساني الدولي واستخدام القوة والمسؤولية الدولية للدول والقانون الدولي للبيئة وتلجا الدول للمحكمة عندما ينشب الخلاف بينها بخصوص ترسيم الحدود او في حال ادعاء دولة على اخرى بانها اخترقت احدى قواعد القانون الدولي او معاهدة معينة وكذلك في حال احتاجت الامم المتحدة او احد وكالاتها الى رأي قانوني باحدى القضايا التي يكتنفها الغموض او الاشكال ولا تستطيع المحكمة النظر في قضية الا بموافقة الدول المعنية اضافة الى ذلك يمكن لمحكمة العدل الدولية النظر في اي مسألة قانونية دولية وبامكان جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة ان تقدم دعوى قضائية امامها كما وان للدول غير الاعضاء ايضا الحق في اللجوء للمحكمة ولكن وفق شروط معينة وبالتالي فان اختصاص محكمة العدل الدولية يشمل جميع دول العالم . اما المهمة الثانية للمحكمة فهي تتمثل في الاحابة على الاسئلة القانونية التي يتم عرضها من قبل بعض الهيئات والوكالات المتخصصة التابعة للامم المتحدة وتصدر وفقا لذلك اراء استشارية.⁽³⁾

ولا يمكن اللجوء الى محكمة العدل الدولية بغية الفصل في نزاع ناشي بين الدول الا في حال قبول تلك الدول ولايتها القضائية ويمكن للدول الاطراف ان تقبل اختصاصها بشكل عام مسبقا وذلك من خلال ايداع اعلان طوعي وفقا للفقرة الثانية من المادة 36 من النظام الاساسي بقبول ممارسة الولاية القضائية من قبل المحكمة كذلك يمكن قبول اختصاص المحكمة مسبقا من خلال النص على ذلك في احد بنود الاتفاقيات المبرمة او قبوله في حينه من اجل في فصل المحكمة في نزاع معين. ان اعتبار قبول الدول بولاية المحكمة شرطا اساسيا يبين اسلوب المحكمة الحذر في طريقة التعامل مع الدول احتراماً لسيادتها ولمبدأ المساواة التي نص عليها القانون الدولي.⁽⁴⁾

المبحث الثاني - جريمة الابادة مفهومها واركائها

1 - المحكمة الجنائية الدولية جهاز قضائي دولي لمواجهة جرائم الحرب والابادة ، موقع الجزيرة ، 2024/5/28 ، <https://www.aljazeera.net> ، اخر تاريخ زيارة 2024/5/28 .

2 - عبد المجيد ابراهيم عبد الكريم، المحكمة الجنائية الدولية والمعايير المزدوجة في احكامها ، دار الاكاديميون للنشر والتوزيع، الاردن ، 2019 ، ص 20.

3 - محكمة العدل الدولية آلية دولية لتعزيز السلام في العالم ، موقع الجزيرة ، 2023/11/29 ، على الرابط <https://www.aljazeera.net> . تاريخ آخر زيارة 2024/5/29 .

4 - محكمة العدل الدولية ام المحكمة الجنائية الدولية ايها يمكنها مساعدة الشعب الفلسطيني ، اوريان ، 21 ، 28 شباط / 2024 ، 4 ، تاريخ اخر زيارة 2024/6/26 . <https://orientxxi.info/magazine/article7101> .

المطلب الاول: مفهوم جريمة الابادة :

لخص (ليمنكن) الابادة في مايلي "اني اعني بالابادة الجماعية تدمير امة او مجموعة عرقية ولا تعني الابادة بشكل عام التدمير المباشر للامة, الا حين تقترن الابادة الجماعية بقتل كل اعضاء الامة, وتستند الابادة الجماعية على خطة متسقة من خلال اعمال مختلفة, هدفها تدمير الاسس الضرورية لحياة جماعة قومية بهدف تدمير هذه الجماعة " ويكون هدف الخطة بشكل مفصل تفتيت المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية والشعور القومي او الديني او الوجود الاقتصادي للجماعة القومية واضعاف الامن الشخصي وحتى حياة الافراد الذين ينتمون للجماعات.⁽¹⁾ و لا تحدث الابادة الجماعية بين عشية وضحاها بل هي على الاغلب استراتيجية مقصودة وهي ايضا تتجاوز حدود البلد المتضرر منها ليصل تأثيرها لسكان المناطق المجاورة فتهدد امنهم وسلامتهم. ان تأثير جرائم الابادة الجماعية لا يقتصر على وقت وقوعها بل ينعكس على الاجيال المقبلة.⁽²⁾

وقد وضع نظام روما الاساسي وفي المادة الخامسة الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة حيث نصت

1- يقتصر اختصاص المحكمة على اشد الجرائم خطورة موضع اهتمام المجتمع الدولي باسره وللمحكمة بموجب هذا النظام الاساسي اختصاص النظر في الجرائم التالية:

ا - جريمة الابادة الجماعية

ب الجرائم ضد الانسانية

ج جرائم الحرب

د جرائم العدوان

وتشمل جريمة الابادة الجماعية كما عرفتها المادة السادسة الافعال الاتية والتي يتم ارتكابها بنية اهلاك جماعة او قومية او اثنية او عرقية او دينية اهلاكا كلياً او جزئياً :

أ-قتل افراد الجماعة .

ب-الحاق ضرر جسدي او عقلي جسيم بافراد الجماعة

ت-اخضاع الجماعة عمدا لاحوال معيشية يقصد بها اهلاكها الفعلي كلياً او جزئياً

ث-فرض تدابير تستهدف منع الانجاب داخل الجماعة

ج-نقل اطفال الجماعة عنوة الى جماعة اخرى.⁽³⁾

1 - علاء بن محمد صالح الهمص ، تطور المسؤولية الجنائية الدولية حول جريمة الابادة الجماعية ، مكتبة القانون والاقتصاد ، السعودية ، الطبعة الأولى ، 2012 ، ص20 .

2 -برنامج التوعية المعني بالابادة الجماعية ضد التوتسي لعام 1994 في راوندا والامم المتحدة ، موقع الأمم المتحدة ، <https://www.un.org/ar> ، آخر تاريخ زيارة 2024 /10/15 .

فاروق عمر وآخرون ، المحكمة الجنائية الدولية الية قصاص دولية من مجرمي الحرب ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان ، 2003 ، ص17.-³

ويؤكد رئيس مؤسسة "JUSTICIA" الحقوقية والعميد في الجامعة الدولية للاعمال في ستراسبورغ المحامي بول مرقص ان احكام اتفاقية "منع جريمة الابادة الجماعية" تسري حتى على الدول التي لم تصدق عليها وذلك وفقا للحكم الذي اصدرته محكمة العدل الدولية والتي اعتبرت انها بمثابة قانون دولي عرفي وبالتالي فانها ملزمة لجميع الدول لذلك تصريجات المسؤولين الاسرائيليين بالتحلل من التزاماتها تجاه المحاكم الدولية لا يعفيها من المسؤولية في حال ثبت ارتكابها لجرائم اباداة بحق الفلسطينيين⁽¹⁾.

المطلب الثاني: اركان جريمة الابادة

1- الركن المادي: ويتمثل بالمظهر الذي تظهر فيه الجريمة الى العالم الخارجي ويمكن القول انه السلوك غير المشروع الذي يترتب عليه ضرر لانه لاجرمية بدون سلوك مادي ملموس يحدث اخلالا بنظام المجتمع ويمس المصالح التي يحميها القانون ويقدم الركن المادي الدليل على وقوع الجريمة وبالتالي التعرف على مرتكبيها سواء كان على شكل فعل او عمل معين او امتناع ينسب الى الجاني والامثلة كثيرة على السلوك الاجرامي في الجريمة الدولية كاستهداف المدنيين ضرب المدارس والمستشفيات او قتل الاسرى او الجرحى اما السلوك السليبي في الجرائم الدولية فيتمثل في احجام الفرد او الدولة عن القيام بفعل يتوجب القيام به مما يفضي الى عدم تحقق نتيجة يوجب القانون تحققها⁽²⁾ وقد حدده النظام الاساسي بارتكاب اي من الافعال المنصوص عليها في المادة السادسة من النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية⁽³⁾ وقد تم ايراد تلك الافعال حصرا ولايشترط ان تؤدي تلك الافعال او احدها الى تدمير الجماعة كليا انما يكفي ان يكون جزئيا كذلك يكون التأمير او التحريض المباشر والعلني او محاولة ارتكاب جريمة الابادة كافي ايضا كما لا يكون تحقق الركن المادي ان يكون السلوك ايجابيا ان سلبيا لتحقق جريمة الابادة ومثال على ذلك ماقضت به المحكمة الجنائية الخاصة برواندا على رئيس الوزراء السابق (كامباندا) بمسؤوليته عن جريمة الابادة لعدة اسباب منها عدم القيام باعمال تسهم بايقاف المذابح المرتكبة بصفته رئيسا للوزراء.⁽⁴⁾

2- الركن المعنوي: في موضوع الركن المعنوي يجب التمييز بين العنصر المعنوي الذي يجب توافره في كل من الافعال كالقتل الخ من جهة والعنصر المعنوي المحدد والمطلوب لاعتبار تلك الافعال تندرج ضمن جرائم الابادة الجماعية من جهة اخرى وما يميز جريمة الابادة الجماعية بوجود قصد خاص يتمثل في الاهلاك سواء كان جسديا او بيولوجيا او ثقافيا اذ ان هذه الجريمة قائمة على اساس عدم الاعتداد بشخصية الضحية بمعنى انها لا تستهدف الضحية بسبب وجود صفات شخصية بل لكونه عضو من الجماعة ووضحت المادة السادسة من قانون محكمة الجنايات الفئات التي تنصب نحوها نية الاهلاك ب"الفئات القومية والعرقية والاثنية والدينية" كذلك وضحت المادة نفسها البعد العددي بذكرها "هلاكا كليا او جزئيا" اذا يضم المعتدي الرغبة في قتل عدد كبير من الجماعة المستهدفة. و لا يشترط تمكن الجاني من تدمير اعضاء الجماعة من خلال تنفيذ احدى الافعال المحظورة بموجب اتفاقية منع جرائم الابادة الجماعية الا انه من الضروري ان يكون في ذهن الجاني قصدا خاصا لتدمير الجماعة لدى قيامه لاي فعل من تلك الافعال وبالتالي لشرط توفر القصد الخاص اهمية وقائية اذ انه يتيح تجرمة الابادة الجماعية قبل ان يتمكن الجاني فعليا من تدمير الجماعة وبالامكان اثبات الركن المعنوي الخاص بنية الابادة بشكل مباشر من خلال التصريحات او الاوامر او من خلال السياق الذي يتم فيه التدمير الموجه للجماعة⁽⁵⁾.

1 - اسرار شبارو ، مقالة "الابادة الجماعية" ماذا تعني وفق القانون الدولي؟ على موقع قناة الحرة ، 2023/11 /29 ،

<https://www.alhurra.com/arabic> ، تاريخ اخر زيارة 2024 /6 /7 .

2 - طارق احمد ابراهيم ، المواجهة القضائية في الجريمة الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الحقوق ، جامعة الشرق الأدنى ، قبرص ، 2020 ، ص 19 و20.

3 - زياد احمد محمد العبادي ، دور المحاكم النائية الدولية الخاصة في تحديد جريمة الابادة الجماعية والمعاقبة عليها ، كلية الحقوق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، الاردن ، 2016 ، ص 24

4 - سمير داود سلمان ، بحوث جنائية ، المركز القومي للاصدارات القانونية ، القاهرة ط1 ، 2015 ، ص 21-26 .

5 - فدوى الذويب ، المحكمة الجنائية ، بحث لنيل شهادة الماجستير ، شركة بيت المقدس للمحامات والدراسات ، فلسطين ، 2014 ، ص 10.

ولكون جريمة الإبادة الجماعية جريمة عمدية اذن يشترط لتحقيق المسؤولية عنها تحقق الشرط الجنائي المتمثل بالادارة الحرة للقيام بالعمل الا انها ارادة تنقصها الانسانية وتقترب بالعلم وقصد تدمير جماعة لسبب اثني او قومي او عرقي او ديني تدميرا كلياً او جزئياً. الا ان القصد العام لا يكفي في جريمة الابادة حيث يشترط توفر القصد الخاص المتمثل بوجود ارادة قائمة على اساس العلم و ما يهدف اليه العمل اي نية الإبادة.⁽¹⁾

3- الركن الدولي : ويقصد به ان تقوم الجريمة بناء تدير وتخطيط من مجموعة معينة او دولة ويتم تنفيذ الدولة للجريمة الدولية بناء على قوتها او سائلها الخاصة او قدرتها التي لا يمكن توافرها في الاشخاص العاديين وقد يكون تنفيذ الجريمة من قبل افراد ورغم ذلك يتوافر الركن الدولي اذا عمل هؤلاء باسم دولة او كانوا يعملون كوكلاء عنها واستعانوا بمقدراتها واستخدموا وسائلها. ان القيام بعدوان مسلح او التحضير لاستخدام القوة فيه او تنظيم عصابات مسلحة لغرض شن هجمات على اقليم دولة اخرى محاولة لاثارة حرب او نشاط ارهابي في دولة بشكل منافي للقانون الدولي او التدخل في شؤون دولة اخرى وعدم اللجوء الى الحلول السلمية والتوجه الى الحرب فمثل هذه الجرائم لا يتم ارتكابها الا من قبل حكومات الدول وبكل الاحوال فان المجتمع الدولي يعتبر الانسان من اشخاص القانون الدولي العام وهو محور المسؤولية الجنائية وبذلك لا تقام الدعوى على الشخص المعنوي وانما على الشخص الطبيعي كونه يمتلك الارادة والوعي ووفقا لذلك تقرر مسؤوليته.⁽²⁾

ما يميز الجرائم الدولية عن الجرائم التي يتم المعاقبة عليها وفقا للقانون الوطني هو وجود ركن دولي حيث ان الاركان الاخرى مشتركة بين النوعين الجرائم الدولية والجرائم التي تكون في اطار القانون الوطني وان كانت هذه الاركان تتضمن احكاما مختلفة بين القانون الوطني والدولي لكن هذا التفريق غير كاف كي يكون للجرائم الدولية استقلالية تامة ولذلك يكون الامر اكثر وضوحا بفضل وجود الركن الدولي وهو ما يميزه عن الاحكام الخاصة⁽³⁾.

المبحث الثالث - نتائج الحرب على غزة وموقف المحاكم الدولية

لقد احدثت الحرب على غزة دمارا هائلا ربما و لا نبالغ ان قلنا انها من اكثر الحروب تدميرا بما خلفته من قتل للمدنيين واعداد كبيرة وتظهر ان هناك تطابقا بين مواد المحكمة الجنائية واتفاقية منع الابادة الجماعية الخاصة بموضوع جريمة الابادة وما يجري من جرائم في غزة والتصريحات التي يدلي بها العديد من المسؤولين في الكيان الاسرائيلي والتي تشي بوجود اصرار على القتل والتهجير عن قصد سعيا لاخلاء المدينة من اهلها بكل الوسائل دون اكرثات وسنستعرض في هذا المبحث الجرائم المرتكبة ضد المدنيين في غزة ونورد تصريحات بعض المسؤولين الاسرائيليين التي تفوح منها رائحة القصد باحداث الابادة الجماعية . وموقف محكمة العدل الدولية والجنائية الدولية .

المطلب الأول : احصائيات القتل والدمار في غزة

ان الجرائم ضد الانسانية تنسم باها ترتكب بشكل واسع النطاق وبصورة منهجية وعلى الاغلب فان عدد الضحايا فيها يكون كبيرا وهذا ما يفرجها من نطاق الجرائم الفردية التي يرتكبها شخص من تلقاء نفسه ويجب ايضا ان تكون هذه الجريمة التي وقعت بشكل واسع ومنهجي ضد السكان المدنيين قد وقعت وفق سياسة دولة او سياسة منظمة معينة لان عنصر سياسية الدولة او المنظمة هو العنصر الاساسي في جعل الجرائم ضد الانسانية جرائم دولية تدخل ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية حيث ان السياسة المنهجية تضيف درجة كبيرة من الخطورة على الافعال الاجرامية المرتكبة ما يجعلها تشكل اعتداء على المجتمع الدولي فتكون حينها الانسانية باكملها هي

1 - سمير داود ، مصدر سبق ذكره ، ص28 -ص29 .

2 - عيسى محمود عبيد ، محكمة العدل الدولية ودورها في تطوير قواعد القانون الدولي الجنائي ، دار امجد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2019 ص67.

3 - ترنتيل درويش ، بخصوصية الجرائم ضد الانسانية وجرائم الحرب في نظام المحكمة الجنائية الدولية (نظام روما)، المجلة الدولية للفقهاء والقضاء والتشريع، مصر ،المجلد الثالث العدد 1، 2022 ، ص36.

المجنى عليه⁽¹⁾ وهو ما ينطبق تماما على الجرائم التي ترتكب من قبل اسرائيل ضد غزة حيث بلغ عدد الضحايا بالالاف ولم تعد غزة صالحة للسكن تماما اضافة لتدمير تام للبنى التحتية والمستشفيات وهو محاولة لافراغ المدينة من اهلها وهي نوايا لانتفيتها اسرائيل في اكثر من مناسبة في انتهاك لكل مبادئ القانون الدولي وحقوق الانسان. حيث ان احصائيات الحرب حتى هذا اليوم 8 من اكتوبر سنة 2024 تشير الى ان عدد الشهداء في غزة حتى هذه اللحظة 41909 الف شهيد منهم 16927 من الاطفال و11487 من النساء و2419 مسنا و986 من الطواقم الطبية و496 من الكوادر التعليمية و175 صحفيا و203 من موظفي الاونروا و85 من الدفاع المدني و743 شهيدا في الضفة الغربية منهم 160 طفلا اما عدد المفقودين فقد بلغ 4700 مفقودا من الاطفال.⁽²⁾

ولم يسلم الحجر ايضا حيث اتبع الكيان الاسرائيلي ومنذ بدء العدوان على غزة في السابع من اكتوبر تشرين الاول الماضي سياسة الارض المحروقة حيث افادت تقارير دولية ان الاحتلال كان يسقط ما يقرب من 500 قنبلة يوميا على قطاع غزة خلال المئة يوم الاولى من العدوان ما يعني 50 الف قنبلة في كل شهر واسفرت النتائج عن الهجمات المكثفة على سكان قطاع غزة عن تدمير هائل في جميع مرافق الحياة وكشف مركز الامم المتحدة للاقمار الاصطناعية عن ان نحو 55% من ابنية قطاع غزة والتي في غالبيتها سكنية دمرت بشكل كلي او تعرضت لضرر كبير وكشف المركز الاممي عبر منصة "اكس" ان مجموعة 137297 مبنى تضررت جراء القصف الاسرائيلي ووضح المركز استنادا لتحليل اجراها شدة تضرر المباني بالشكل الاتي 36591 مبنى دمر داخل غزة واكثر من 16 الف مبنى تضررت ضررا شديدا اما التي تعرضت لتضرر متوسط فهي اكثر من 47 الف وما يزيد عن 36 الف مبنى تعرضت لاضرار طفيفة ولا ينحصر الضرر في الابنية السكنية فقط بل هناك استهداف منهجي للمرافق الاخرى من مساجد ومدارس ووفقا للامم المتحدة فان اسرائيل دمرت اكثر من 80% من المدارس التي يختمى بها النازحون⁽³⁾. حيث اكدت فرانثيسكا البانيز المقررة الاممية لحقوق الانسان في الاراضي الفلسطينية "ان اسرائيل كثفت هجماتها على رفح بعد ان امرتها محكمة العدل الدولية بوقف عملياتها في المدينة كاشفة عن ان الانباء التي تصلها من الناس المحاصرين هناك بانها "مروعة" وازافت ان اسرائيل لن توقف جنونها حتى يقوم المجتمع الدولي بايقافه ودعت الى فرض عقوبات على اسرائيل وحظر تزويدها بالاسلحة لحين ايقاف هجماتها على رفح⁽⁴⁾ وفي نفس السياق وتعليقا على نفس الجريمة المرتكبة من قبل حكومة الكيان الاسرائيلي في رفح دعا ستيفان دوجاريك المتحدث باسم الامم المتحدة الى وقف الرعب والمعاناة في قطاع غزة وعبر عن ادانته باشد العبارات للهجوم الذي استهدف خيام النازحين في رفح⁽⁵⁾

ان هذه الادانات وغيرها لم تؤثر كثيرا بموقف حكومة الكيان والداعمين له حيث استمرت المجازر لهذه اللحظة وتزداد شراسة يوما بعد يوم بذريعة القضاء على حماس. والكثير من التصريحات لمسؤولين اسرائيليين تكون وجود قصد بالابادة حيث دعا وزير الامن القومي الاسرائيلي المتطرف ايتمار بن غفير في مقابلة حيث قال "يجب تشجيع الهجرة من غزة، مئات الالاف سيرحلون، مضيفا كفى الحديث عن

1 - عبد الحميد محمد عبد الحميد ، دور المحكمة الجنائية الدولية في حماية وتعزيز حقوق الانسان بمواجهة الجرائم ضد الانسانية بحث مقدم الى مؤتمر " RETHINKING HUMAN RIGHTS " Research Presented to the Conference of ، تركيا ، 2018 ، ص 13 .

2 ، تاريخ https://www.pcbs.gov.ps/site/lang__ar/1405/Default.aspx - دولة فلسطين الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، على الموقع https://www.pcbs.gov.ps/site/lang__ar/1405/Default.aspx ، آخر زيارة 8 اكتوبر 2024 .

3 - سياسة الارض المحروقة..كم بلغ حجم الدمار في غزة جراء الحرب؟، تلفزيون العربي، 4 يونيو 2024 ، <https://www.alaraby.com/news> ، تاريخ آخر زيارة 2024/6/8.

4 - بعد امر العدل الدولية.مقررة اممية تدعو الى فرض عقوبات على إسرائيل، موقع التلفزيون العربي ، 2024 / 5/25 ، <https://www.alaraby.com/news> ، آخر تاريخ زيارة 2024/10/12.

5 - جوتيريش يطالب اسرائيل بوقف معاناة الفلسطينيين على الفور يفتح جميع المعابر، موقع القاهرة الإخبارية ، 2024/5/28 ، <https://alqaheranews.net/news> ، 2024/10/12.

المعونات الانسانية معونات انسانية فقط مقابل معاملة انسانية لاسرانا واخراجهم " (1) اما وزير المالية الاسرائيلي بتسلييل سموتريتش وفي تصريح اعلامي اعتبر ان تجويع مليوني فلسطيني في غزة قد يكون "عادلا واحلاقيا" (2)

ان هذين التصريحين على سبيل المثال لمسؤولين اسرائيليين رفيعين ومؤثرين في الحكومة الاسرائيلية والحرب الجارية مع هذا الكم الهائل من القتلى والحراب والدمار ومحاولات التهجير يشكل دليلا على وجود نية وقصد لدى المسؤولين الاسرائيليين في ارتكاب عمليات اباده جماعية ودليلا لايقبل الشك لاعتبارهما مجرمي حرب متورطين بشكل مباشر في مايجري في غزة .

المطلب الثاني: موقف المحاكم الدولية من مجازر غزة والضغط السياسية المعرقة لتجريم مرتكبيها

برز موقفين لمحكمة العدل الدولية والتي تنظر في دعوى جنوب افريقيا التي تتهم فيها سلطات الكيان الاسرائيلي بارتكاب جرائم اباده جماعية بحق الفلسطينيين والتي انضم لها عدد من الدول اضافة الى موقف المحكمة الجنائية الدولية ممثلة بموقف المدعي العام وعلى وجه الخصوص حديثه عن سعيه للحصول مذكرات توقيف بحق عدد من المسؤولين الاسرائيليين وعدد من قادة حماس ما ولد ردود افعال قوية من جانب المسؤولين الإسرائيليين اضافة الى عدد من المسؤولين والنواب الامريكانيين بلغت حد التهديد .

أولاً: دعوى جنوب افريقيا

نظرت محكمة العدل الدولية خلال يومي 11 و12 من يناير كانون الثاني 2024 في الدعوى التي رفعتها جنوب افريقيا والتي تتهم فيها اسرائيل بارتكاب جرائم اباده جماعية في غزة , ويقع عبء اثبات الافعال المتعمدة التي تسبب للمدعى عليه على عاتق المدعي وعليه فان الجدل القانوني يتعلق ببثوق الوقائع ومن ثم انطباق التوصيف القانوني المتمثل ب"جريمة الابادة الجماعية" على تلك الافعال وكان الجزء الاهم في المرافعات هو اثبات تلك الوقائع والتوصيف القانوني لها وقد اثار طلب جنوب افريقيا اتخاذ تدابير احترازية مؤقتة جدلا قانونيا حول وجود حقوق ذات اولوية توجب اتخاذ هذه التدابير. (3)

واصدرت محكمة العدل الدولية في 28 من اذار 2024 قرارا نص على تدابير اخرى اضافة للاجراءات المؤقتة التي طلبتها جنوب افريقيا والمتعلقة بتطبيق اتفاقية منع جريمة الابادة الجماعية في قطاع غزة وجاء في بيان المحكمة ان التدابير المؤقتة التي تم تضمينها في القرار الصادر في 26 كانون الثاني يناير بخصوص هذه القضية لا تعالج بشكل كامل العواقب التي حدثت نتيجة للتغيرات في الوضع مما يبرر تعديل هذه التدابير كما وبينت المحكمة في قرارها ان الظروف المعيشية الكارثية للفلسطينيين في قطاع غزة شهدت مزيدا من التدهور لاسيما في ضوء الحرمان واسع النطاق من الغذاء وغيره من الامور الضرورية والاساسية التي يعاني منها الفلسطينيون في غزة مضيفة ان المجاعة بدأت بالظهور وقد شملت التدابير المؤقتة الاضافية في قرار المحكمة انه على اسرائيل وبموجب التزاماتها تجاه اتفاقية منع جريمة الابادة الجماعية والمعاقب عليها وفي ظل تدهور الظروف المعيشية للفلسطينيين في قطاع غزة وانتشار الجوع والمجاعة الوشيكه ان تتخذ التدابير اللازمة والفعالة لضمان -دون تاخير بالتعاون مع الامم المتحدة.

¹ - <https://www.aljazeera.net> - بن غفير يجدد الدعوة لتهجير سكان غزة ويثير عاصفة انتقادات بإسرائيل ، موقع الجزيرة ، 11 / 8 / 2024 ، تاريخ اخر زيارة 12 / 10 / 2024 .

² - وزير المالية الاسرائيلي تجويع مليوني شخص في غزة عادل واحلاقي ، موقع مونت كارلو ، 7 / 8 / 2024 ، <https://search.app/2VXmFmn9vhvcrYej9> ، اخر زيارة 12 / 10 / 2024 .

³ - محكمة العدل الدولية تقر تدابير مؤقتة اضافية في دعوى جنوب افريقيا ضد اسرائيل بخصوص غزة ، موقع الأمم المتحدة ، 11 / 3 / 2024 . <https://news.un.org/ar/story/2024/03/1129661> تاريخ آخر زيارة 15 / 6 / 2024 .

"توفير الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية التي تشتد الحاجة إليها. دون عوائق وعلى نطاق واسع - بما في ذلك الغذاء والماء والكهرباء والوقود والماوى والمساعدات الإنسانية ومتطلبات الملابس والنظافة والصرف الصحي فضلا عن الامدادات الطبية والرعاية الطبية للفلسطينيين في جميع أنحاء غزة- بما في ذلك عن طريق زيادة قدرة وعدد نقاط العبور البرية وابقائها مفتوحة لاطول فترة ممكنة" كما وتضمن قرار المحكمة ان على اسرائيل وبشكل فوري ضمان عدم قيام قواتها العسكرية بارتكاب اي اعمال تنتهك حقوق الفلسطينيين في غزة كمجموعة محمية بموجب اتفاقية منع الابادة الجماعية بما في ذلك طريق المنع من خلال اي اجراء والعمل على اوصول المساعدات الإنسانية بصورة عاجلة وطالبت المحكمة اسرائيل بتقديم تقرير عن جميع التدابير التي تم اتخاذها خلال شهر واحد من تاريخ القرار . يذكر ان التدابير المؤقتة هي عبارة عن اوامر يتم اصدارها من قبل المحكمة وتسبق الحكم النهائي في قضية ما والهدف منها منع احداث اضرار يتعذر اصلاحها ومن خلالها تلزم الدولة المدعى عليها بالامتناع عن اتخاذ اجراءات معينة لحين صدر الحكم النهائي.⁽¹⁾

يذكر ان نيكارغوا وكولومبيا وتشيلي بالاضافة الى دول اخرى انضمت الى دعوى جنوب افريقيا ضد الكيان الاسرائيلي وهناك دول اخرى تقدمت رسميا ك ليبيا ودول اخرى اعلنت عزمها الانضمام الى الدعوى مستقبلا.

ثانيا :موقف الجناية الدولية والمدعي العام

اعلن كريم خان المدعي العام للجناية الدولية سعيه للحصول على مذكرات توقيف بحق رئيس وزراء الكيان الاسرائيلي بنيامين نتانياهو ووزير دفاعه يواف غالانت بتهم ارتكاب جرائم التجويع والقتل العمد والابادة او القتل مضيضا ان ان اسرائيل اتركت جرائم ضد الإنسانية متهما اياها "بشن هجوم واسع النطاق ومنهج ضد المدنيين الفلسطينيين"⁽²⁾

وقال خان في بيان له ان هناك اسباب معقولة تدفعه للاعتقاد بان نتياهو وغالانت و3 من قادة حماس في مقدمتهم رئيس المكتب السياسي اسماعيل هنية يتحملون المسؤولية الجناية عن ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في قطاع غزة واسرائيل وأشار الى ان رئيس وزراء اسرائيل ووزير دفاعه وقادة حماس ارتكبوا جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية الا انه لم يتطرق لجريمة الابادة الجماعية التي تتهم اسرائيل بارتكابها في غزة من قبل العديد من الاطراف الدولية وقد اتهم المدعي العام للمحكمة الجنائية نتياهو ووزير دفاعه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية خلال العدوان على قطاع غزة وهي القتل والابادة بما في ذلك الاضطهاد والافعال اللانسانية والوفيات الناجمة عن الجوع وجميعها تتعارض مع نظام روما . ومن الملاحظ على بيان المدعي العام عدم اتهام قادة الكيان الاسرائيلي بارتكاب جريمة الابادة واكتفى باتهمهم بارتكاب جريمة الابادة والقتل ضمن الجرائم ضد الإنسانية وليس هناك تفسير واضح لذلك الا انه يمكن الإشارة الى ان الجرائم ضد الإنسانية وبضمنها سلوك الابادة والقتل ترتكب في سياق هجوم واسع النطاق وقتل منهجي في حين ان جرائم الابادة الجماعية تعمل على تدمير الجماعات باختلاف مشاربها سواء كانت دينية او او قومية او مذهبية ومما شاكل ذلك اضافة الى ان الجرائم ضد الإنسانية لا تشترط اثبات وجود النية لارتكابها بعكس جريمة الابادة الجماعية حيث تعد النية فيها ركنا اصيلا لاثبات وقوعها من عدمه وهو يشكل صعوبة امام اثبات وقوعها من عدمه وبذلك يمكن التوقع ان عدم اتهام المدعي العام للقادة الإسرائيليين بجرائم الابادة ربما لرغبته بفحص الانتهاكات الاخرى والتي تقع ضمن الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وتعتمد توجيه هجمات الى المدنيين.⁽³⁾

¹ ، 2024/1/13 - كمال جعلاب، دعوى جنوب افريقيا امام محكمة العدل الدولية :مساراتها القانونية ومالاتها المحتملة، موقع الجزيرة ، <https://www.aljazeera.net/opinions/2024/6/17> ، تاريخ آخر زيارة 17/6/2024 ،

² ، <https://www.alhurra.com/israel/2024/05/23> - معركة المحكمة الجنائية الدولية مع اسرائيل اختبار للنظام الدولي ، موقع الحرة ، - تاريخ آخر زيارة 17/6/2024 .

³ - وائل المصري ، الجناية الدولية .قراءة قانونية في اعلان كريم خان ضد اسرائيل وحماس، موقع الجزيرة ، 2024-5-21 ، تاريخ آخر زيارة 19/6/2024 . <https://www.aljazeera.net/politics/2024/5/21> ،

يذكر انه وفي حال صدور مذكرات توقيف من الجنائية الدولية فان للامر تبعات ابرز تلك التبعات تقييد حركة الاشخاص التي تصدر بحقهم وسيسبب ذلك تردد الدول الموقعة على الاتفاقية في استقبالهم والبالغ عددها 124 دولة⁽¹⁾

ثالثا: الضغوط والقيود على المحاكم الدولية

وما ان اعلن المدعي العام للجنائية الدولية كريم خان سعية لاستحصال مذكرات توقيف بحق رئيس الكيان الاسرائيلي بنيامين نتياهو وعدد من القيادات الاسرائيلي وعدد من قيادات حماس حتى تعرض لهجوم شرس من قبل الولايات المتحدة الامريكية بلغ حد التهديد في تناقض صارخ مع القيم التي يجترها المسؤولون الامريكيون طوال عقود عن مبادئ الحرية والعدالة وحقوق الانسان فقد جاء رد الرئيس الامريكي بايدن سريعا حيث وصف طلب المدعي العام للمحكمة الجنائية اصدار او امر اعتقال بحق قادة إسرائيليين ب"الامر الشائن" (2) كما صوت مجلس النواب الامريكي لتمرير مشروع لفرض عقوبات على مسؤولي المحكمة الجنائية الدولية كرد على سعي المحكمة اصدار مذكرة اعتقال بحق مسؤولين اسرائيليين وفي مقدمتهم رئيس حكومة الكيان بنيامين نتياهو حيث تمت الموافقة على مشروع القانون باغلبية 247 صوتا مقابل 155 صوتا وينص مشروع القانون على فرض عقوبات على الاشخاص "المشاركين في اي جهود للتحقيق او اعتقال او احتجاز او محاكمة اي شخص محمي من قبل الولايات المتحدة وحلفائها" وتشتمل العقوبات على الغاء التاشيرات وحظر المعاملات العقارية الامريكية. وامعانا في الضغط والتهديدي توعد رئيس مجلس النواب مايك جونسن المحكمة الجنائية في حال اصدار اوامر اعتقال بحق بعض القيادات الاسرائيلية قائلا " ان الكونغرس سيتخذ اجراء لمعاقبة المحكمة الجنائية الدولية وضمان ان قيادتها تواجه عواقب اذا واصلت المضي قدما" (3)

الاستنتاجات

- 1- ان تعرض المحاكم لضغوط كبيرة قد لا يأتي بنتائج بمستوى الطموح تصنف الفلسطينيين خصوصا ان الجميع يعرف حجم التأثير والسلطة الذي تتمتع به الدول الكبرى خصوصا الولايات المتحدة والتي تدافع بشدة عن اسرائيل وتبرر جرائمها بحق الشعب الفلسطيني ويمارس الكثير من المؤثرين في السياسة الامريكية اسلوب التهديد تجاه المحكمة الجنائية على وجه الخصوص
- 2- ان اثبات جريمة الابادة يواجه الكثير من المضاعف منها شروط اثباته
- 3- ان وضع قادة حماس مع قادة اسرائيل في خانة الاتهام خصوصا اذا ما علمنا ان فلسطين تمثل عضوا في المحكمة الجنائية الدولية ربما يضيف عوائق أخرى.

المصادر:-

1. احمد الخطيب ,توقيف بحق قيادات اسرائيل وحماس التي تشته بهم ؟ ، ، موقع بي بي سي ، 21 مايو ايار 2024 ، <https://www.bbc.com/arabic/articles/c044npm9p4no> ، تاريخ آخر زيارة 19 /6 /2024.

- احمد الخطيب ,توقيف بحق قيادات اسرائيل وحماس التي تشته بهم ؟ ، ، موقع بي بي سي ، 21 مايو ايار 2024 ، <https://www.bbc.com/arabic/articles/c044npm9p4no> ، تاريخ آخر زيارة 19 /6 /2024 .

- بايدن يعلق على مذكرة المحكمة الجنائية الدولية بشأن نتياهو ، موقع سكاي نيوز ، 2024/ 5/20 ، <https://www.skynewsarabia.com/world> ، تاريخ آخر زيارة 2024/6/19 .

العربية ، 5 يونيو حزيران 2024 ، cnn - ماذا نعرف عن مشروع القانون الذي اقره النواب الامريكي لمعاقبة المحكمة الجنائية الدولية ، موقع <https://arabic.cnn.com> ، تاريخ زيارة 2024 /6/20 .

2. اسرار شبارو ، مقالة "الابادة الجماعية" ماذا تعني وفق القانون الدولي؟ على موقع قناة الحرة ، 29 / 11 / 2023 ، <https://www.alhurra.com/arabic> ، تاريخ اخر زيارة 7 / 6 / 2024 .
3. بايدن يعلق على مذكرة المحكمة الجنائية الدولية بشأن نتنياهو ، موقع سكاي نيوز، 20 / 5 / 2024 ، <https://www.skynewsarabia.com/world> ، آخر تاريخ زيارة 19 / 6 / 2024.
4. برنامج التوعية المعني بالابادة الجماعية ضد التوتسي لعام 1994 في راوندا والأمم المتحدة ، موقع الأمم المتحدة ، <https://www.un.org/ar> ، آخر تاريخ زيارة 15 / 10 / 2024 .
5. بعد امر العدل الدولية..مقررة اهمية تدعو الى فرض عقوبات على إسرائيل، موقع التلفزيون العربي ، 25 / 5 / 2024 ، <https://www.alaraby.com/news> ، آخر تاريخ زيارة 12 / 10 / 2024.
6. بن غفير يجدد الدعوة لتطهير سكان غزة ويثير عاصفة انتقادات بإسرائيل ،موقع الجزيرة ، 11 / 8 / 2024 ، <https://www.aljazeera.net> تاريخ اخر زيارة 12 / 10 / 2024.
7. ترتيل درويش ،خصوصية الجرائم ضد الانسانية وجرائم الحرب في نظام المحكمة الجنائية الدولية (نظام روما)،المجلة الدولية للفقهاء والقضاء والتشريع، مصر ،المجلد الثالث العدد 1، 2022 ، ص36.
8. الجنائية الدولية والعدل الدولية ما الفرق بين المحكمتين؟ ، موقع الحرة ، 1 مايو 2024 ، <https://www.alhurra.com/arabic> - <https://www.alhurra.com/arabic> and-international/2024/04/30 اخر تاريخ زيارة 28 / 5 / 2024 .
9. جوتيريش يطالب اسرائيل بوقف معاناة الفلسطينيين على الفور بفتح جميع المعابر، موقع القاهرة الإخبارية ، 28 / 5 / 2024 ، <https://alqaheranews.net/news> ، 12 / 10 / 2024.
10. حامد سيد محمد حامد ، الوجيه في الشرح والتعليق على ميثاق المحكمة الجنائية الدولية وفقا لأخر التعديلات ،المركز القومي للإصدارات القانونية ، 2016 ، ص19.
11. دولة فلسطين الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، على الموقع https://www.pcbs.gov.ps/site/lang_ar/1405/Default.aspx ، تاريخ آخر زيارة 8 أكتوبر 2024 .
12. زياد احمد محمد العبادي ،دور المحاكم النائية الدولية الخاصة في تحديد جريمة الابادة الجماعية والمعاقبة عليها ،كلية الحقوق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، الاردن ، 2016، ص 24
13. سمير داود سلمان ، بحوث جنائية ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ط1، 2015 ، ص21-26 .
14. سياسة الارض المحروقة..كم بلغ حجم الدمار في غزة جراء الحرب؟ ، تلفزيون العربي ، 4 يونيو 2024 ، <https://www.alaraby.com/news> ، تاريخ آخر زيارة 8 / 6 / 2024.
15. طارق احمد إبراهيم ، المواجهة القضائية في الجريمة الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الحقوق ، جامعة الشرق الأدنى ، قبرص ، 2020 ، ص 19 و20.
16. عبد الحميد محمد عبد الحميد ، دور المحكمة الجنائية الدولية في حماية وتعزيز حقوق الانسان بمواجهة الجرائم ضد الانسانية ،بحث مقدم الى مؤتمر " RETHINKING HUMAN RIGHTS" Research Presented to the Conference of ، تركيا ، 2018 ص 13.
17. عبد المجيد ابراهيم عبد الكريم،المحكمة الجنائية الدولية والمعايير المزدوجة في احكامها ، دار الاكاديميون للنشر والتوزيع، الاردن ، 2019، ص20.

18. علاء بن محمد صالح الهمص ، تطور المسؤولية الجنائية الدولية حول جريمة الإبادة الجماعية ، مكتبة القانون والاقتصاد ، السعودية ، الطبعة الأولى، 2012 ، ص20 .
19. عيسى محمود عبيد ، محكمة العدل الدولية ودورها في تطوير قواعد القانون الدولي الجنائي ، دار مجد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2019 ص67 .
20. فاروق عمر وأخرون ، المحكمة الجنائية الدولية قصاص دولية من مجرمي الحرب ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان ، 2003 ، ص17 .
21. فدوى الذويب ، المحكمة الجنائية ، بحث لنيل شهادة الماجستير ، شركة بيت المقدس للمحامات والدراسات ، فلسطين ، 2014 ، ص10 .
22. فهم المحكمة الجنائية الدولية ، المحكمة الجنائية الدولية ، لاهاي ، 2020 ، ص6 .
23. كمال جعلاب ، دعوى جنوب افريقيا امام محكمة العدل الدولية : مساراتها القانونية ومآلاتها المحتملة، موقع الجزيرة ، 2024/1/13 ، <https://www.aljazeera.net/opinions> ، تاريخ آخر زيارة 2024/6/17
24. ماذا نعرف عن مشروع القانون الذي اقره النواب الامريكى لمعاقبة المحكمة الجنائية الدولية ، موقع cnn العربية ، 5 يونيو حزيران 2024 ، <https://arabic.cnn.com> ، تاريخ زيارة 2024 /6/20 .
25. المحكمة الجنائية الدولية جهاز قضائي دولي لمواجهة جرائم الحرب والابادة ، موقع الجزيرة ، 2024/5/28 ، <https://www.aljazeera.net> ، اخر تاريخ زيارة 2024/5/28 .
26. محكمة العدل الدولية آلية دولية لتعزيز السلام في العالم ، موقع الجزيرة ، 2023/11/29 ، على الرابط <https://www.aljazeera.net> . تاريخ آخر زيارة 2024/5/29 .
27. محكمة العدل الدولية ام المحكمة الجنائية الدولية ايهما يمكنها مساعدة الشعب الفلسطيني ، اوريان 21 ، 28 شباط / 2024 ، <https://orientxxi.info/magazine/article7101> ، تاريخ اخر زيارة 2024/6/26 .
28. محكمة العدل الدولية تقر تدابير مؤقتة اضافية في دعوى جنوب افريقيا ضد اسرائيل بخصوص غزة ، موقع الأمم المتحدة ، 11 / 3 2024/ <https://news.un.org/ar/story/2024/03/1129661> . تاريخ آخر زيارة 2024/ 6 /15 .
29. معركة المحكمة الجنائية الدولية مع اسرائيل اختبار للنظام الدولي ، موقع الحرة ، - <https://www.alhurra.com/israel/2024/05/23> ، تاريخ آخر زيارة 2024/6/17 .
30. وائل المصري ، الجنائية الدولية ..قراءة قانونية في اعلان كريم خان ضد اسرائيل وحماس، موقع الجزيرة ، 2024-5-21 ، <https://www.aljazeera.net/politics/2024/5/21> ، تاريخ آخر زيارة 2024/6/ 19 .
31. وزير المالية الاسرائيلي تجويع مليوني شخص في غزة عادل واحلاقي ، موقع مونت كارلو، 7 / 2024/8 ، <https://search.app/2VXmFmn9vhvcrYej9> ، اخر زيارة 2024/10/ 12

المقترح الأمريكي للسلام بين مصر وإسرائيل 1969

اعداد / د. انتصار محمد نصر طه / باحثة متخصصة في التاريخ الحديث والمعاصر

المستخلص:

مشروع "التقاط الثلاثة عشر" كان محاولة من الولايات المتحدة الأمريكية لتسوية النزاع بين مصر وإسرائيل في فترة ما بعد حرب 1967 (حرب يونيو). أُطلق هذا المشروع في عام 1969 وكان يهدف إلى إيجاد حل سلمي للنزاع العربي الإسرائيلي، مع التركيز على حل قضية قناة السويس والانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلتها إسرائيل في الحرب، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة. في هذا السياق، كان الرئيس الأمريكي آنذاك، ريتشارد نيكسون، يسعى لتوجيه الضغط على كلا الطرفين، مصر وإسرائيل، للتوصل إلى تسوية عبر سلسلة من المفاوضات. استندت الخطة إلى فكرة أن الولايات المتحدة ستعمل كوسيط بين الأطراف، وأن إسرائيل قد تقبل بالانسحاب من الأراضي المحتلة إذا ضمنت لها الأمن على المدى الطويل، إلا أن الخطة لم تلقَ قبولاً كبيراً من جميع الأطراف المعنية. مصر، لم تكن راضية عن الحلول المقترحة باعتبارها غير كافية لإعادة الأراضي المحتلة، في حين أن إسرائيل كانت ترفض بشكل قاطع أي نوع من الانسحاب من الأراضي التي سيطرت عليها. في نهاية المطاف، فشل مشروع "التقاط الثلاثة عشر" في تحقيق تسوية حقيقية، وبدلاً من ذلك، استمر النزاع لفترة طويلة أخرى حتى كانت هناك محاولات أخرى للتوصل إلى تسوية سلمية، أبرزها اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام 1978.

الكلمات المفتاحية: مشروع "التقاط الثلاثة عشر"، النزاع بين مصر وإسرائيل، الأراضي المحتلة، اتفاقيات كامب ديفيد.

Abstract:

The "Thirteen Points Project" project was an American attempt to settle the conflict between Egypt and Israel in the period following the June 1967 war. This project was launched in 1969 and aimed to find a peaceful solution to the Arab-Israeli conflict, with a focus on resolving the Suez Canal issue and Israeli withdrawal from the territories occupied by Israel in the war, including the West Bank and the Gaza Strip.

In this context, the then US President, Richard Nixon, was seeking to direct pressure on both parties, Egypt and Israel, to reach a settlement through a series of negotiations. The plan was based on the idea that the United States would act as a mediator between the parties, and that Israel might accept withdrawal from the occupied territories if it guaranteed its long-term security. However, the plan was not widely accepted by all parties concerned. Egypt was not satisfied with the proposed solutions, considering them insufficient to return the occupied territories, while Israel categorically rejected any kind of withdrawal from the territories it had seized.

Ultimately, the Catch-13 project failed to achieve a real settlement, and instead the conflict continued for a long time until there were further attempts to reach a peaceful settlement, most notably the Camp David Accords between Egypt and Israel in 1978.

Keywords: Thirteen Points Project, Egypt-Israel conflict, Occupied territories, Camp David Accords.

ما بين السادس والاثني عشر من مايو 1969م، التقى مساعد وزير الخارجية الأمريكية جوزيف سيسكو Joseph Sisco بالسفير السوفياتي أناتولي دوبرينين Anatoly Dobrynin لتقديم وثيقة أولية مشتركة لاستخدامها كأساس لجولة جديدة من المفاوضات تحت إشراف مبعوث الأمم المتحدة السفير/ جونار يارنج ، وفي السادس عشر من مايو 1969 تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروع أطلق عليه (النقاط الثلاثة عشرة) وهو عبارة عن وثيقة تمهيدية تقترح على حكومتي مصر وإسرائيل، كانت أهم بنوده النقاط الآتية:

- 1- إجراء مفاوضات مباشرة تحت إشراف السفير جونار يارنج.
 - 2- قبول الطرفين قرار مجلس الأمن رقم 242 واعترافهما بأن الاتفاق على أحكام التسوية السلمية.
 - 3- الاتفاق على إنهاء الحرب وأماكن الحدود الحدود الآمنة والمُعترف بها.
 - 4- وضع كيان قطاع غزة بين إسرائيل والأردن ومصر.
 - 5- عدم القيام بأى عمل عدواني يهدد الطرف الآخر.
 - 6- إعلان مصر احترامها واعترافها بسيادة دولة إسرائيل وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي وحققها في الحياة في سلام داخل حدود آمنة معترف بها دون التعرض للتهديد بالقوة أو استخدامها.
 - 7- تتعهد إسرائيل بالتزام مماثل تجاه مصر.
 - 8- يتفق الطرفان على أن المناطق التي تنسحب القوات الإسرائيلية سوف يتم تجريفها من السلاح تحت إشراف السفير جونار يارنج.
 - 9- تأمين حرية الملاحة في خليج العقبة ومضيق تيران وقناة السويس لجميع السفن.
 - 10- وضع ضوابط لمسألة اللاجئين وكيفية توطينهم على أساس خيار حق العودة إلى أرض الوطن وفقاً لشروط محددة.
 - 11- وجوب التوقيع على الاتفاق واعتماده في الولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾.
- رفض الجانب السوفيتي المقترح الأمريكي وأصروا على حدود ما قبل 1967م، مع عدم نزع سلاح سيناء، في حين رأى الرئيس جمال عبد الناصر أن الموقف الأمريكي لم يتغير وأن الأسلوب هو تغير مسمى المشروع ووصفه بأنه مجرد ترديد كلام وقبول المشروع بالرفض من جميع الأطراف
- ورداً على المقترح الأمريكي تقدم الاتحاد السوفيتي بمشروع بعد زيارة قام بها جروميكو Gromyko وزير الخارجية إلى القاهرة ونوقشت بنود المشروع مع سيسكو في واشنطن يوم الثامن عشر من يونيو 1969م، وصف روجرز المشروع السوفيتي بأنه تحرك نحو الأمام ويصلح لتعديل الاقتراح الأمريكي وقرر روجرز إيفاد سيسكو إلى موسكو لعرض هذا التعديل⁽²⁾.

¹⁾F.R.U.S, 1969–1976, Volume XXIII, Arab-Israeli Dispute, 1969–1972, Editorial Note, Doc28.

الأهرام: عدد 30109، 18 مايو 1969، ص1.

²⁾ نص المشروع السوفيتي على قبول مبدأ انسحاب إسرائيل من الجمهورية العربية المتحدة إلى حدود نهائية يتم وضعها من قبل الطرفين ، (ب) التزام عربي إلى سلام تعاقدي واستعداد للمفاوض بشكل مباشر تحت رعاية غارنج . وأن تكون الحدود النهائية بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل هي الحدود الدولية السابقة التي كانت موجودة قبل حرب (يونيو 1967م .انظر: مزيد من التفاصيل

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تفسر مجهودات الاتحاد السوفيتي بأن السوفيت تريد استمرار العلاقات الثنائية لأسباب تتعلق بالشرق الأوسط والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بشكل عام. وإيهم يستخدمون المحادثات، على الأقل جزئياً، كدليل للعرب على أن جهودهم لإخراج إسرائيل من الأراضي المحتلة مستمرة بلا هوادة كما يرغب السوفيت في تسوية سياسية من شأنها إخراج الإسرائيليين من الأراضي المحتلة⁽¹⁾

نلاح مما سبق أنه على الرغم من عدم تطابق الموقف السوفيتي مع المقترح الأمريكي إلا إنه هناك اتفاق حول الحاجة إلى اتفاق دائم للسلام وتسوية شاملة.

كان الاقتراح السوفيتي مشجعاً بدرجة تكفي لاستنفار المزيد من المناقشات، خلال الفترة من الرابع عشر حتى الثامن عشر من يوليو 1969م، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مشروعها المطور وكان مكون من أربع عشرة نقطة عرضها جوزيف سيسكو على الجانب السوفيتي في موسكو، وكان مشروعاً مضاداً للمشروع السوفيتي سالف الذكر، ولكنه يتفق معه في أنه مشروع منفرد للسلم بين مصر وإسرائيل⁽²⁾ تمثلت أهم نقاطه في التالي:

أولاً: إجراء المفاوضات المباشرة تحت إشراف السفير يارنيج.

ثانياً: انسحاب إسرائيل إلى حدود يتم الاتفاق عليها مع عدم الانسحاب إلى حدود مصر الدولية.

ثالثاً: يتزع السلاح من جميع المناطق التي تنسحب منها القوات الإسرائيلية.

رابعاً: اعتبار مضيق تيران طريقاً مائياً دولياً.

خامساً: إيداع وثائق الاتفاق لدى الأمم المتحدة بعد إقامة السلام الدائم بين مصر وإسرائيل وليس عندما تنسحب إسرائيل من كافة الأراضي العربية.

سادساً: التفاوض حول قطاع غزة بين كل من مصر والأردن وإسرائيل مع إمكانية بحث مسألة قطاع غزة مؤقتاً بواسطة الولايات المتحدة.

سابعاً: يكون لإسرائيل الحق في الموافقة على أعداد اللاجئين منذ 1948م وتحديد العائدين، وهذا البند مخالف لقرار اللاجئين⁽³⁾.

كان واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقدم بذلك أي حل لتحقيق السلام بالشرق الأوسط.

F.R.U.S, 1969-1976, Volume XXIII, Arab-Israeli Dispute, 1969-1972, Memorandum From Secretary of State Rogers to President Nixon, Soviet Counterproposal on Arab-Israeli Dispute, Washington, June 20, 1969, Doc34, P113.

هنري كيسنجر : مرجع سابق، ص 44، 43.

1) F.R.U.S, 1969-1976, Volume XXIII, Arab-Israeli Dispute, 1969-1972, Memorandum From the Assistant Secretary of State for Near Eastern and South Asian Affairs (Sisco) to President Nixon and Secretary of State Rogers, Washington, July 21, 1969, Doc 39.

2) F.R.U.S, 1969-1976, Volume XXIII, Arab-Israeli Dispute, 1969-1972, Memorandum From the Assistant Secretary of State for Near Eastern and South Asian Affairs (Sisco) to President Nixon and Secretary of State Rogers, Washington, July 21, 1969, Doc 39.

الأهرام: عدد 30170، 18 يوليو 1969، ص 1.

³ مذكرات محمود رياض: مرجع سابق، ص 206-209.

كان هدف المشروع الأمريكي هو الدخول في مناورة سياسية جديدة مع الاتحاد السوفيتي، ولكنه كان يعتبر أسوأ المحاولات الأمريكية في تقديم حل منفرد بين مصر وإسرائيل.

وبانتهاء المحادثات في موسكو تحددت مواقف القوتين الأمريكية والسوفيتية بصورة واضحة فدافعت كل منهما عن عدم قدرتها على مزيد من التحرك في غياب تنازلات من الطرف الآخر، وبوجه خاص حث الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة على أن تكون أكثر وضوحاً فيما يختص بالحدود النهائية بين مصر وإسرائيل⁽¹⁾.

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر في الثالث والعشرين من يوليو 1969م ألقى خطاباً افتتح به الدورة الثالثة للمؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي، واتهم فيه الولايات المتحدة الأمريكية بالتواطؤ مع إسرائيل⁽²⁾.

ذكر محمود رياض في مذكراته قائلاً عن المشروع الأمريكي: " كان من الطبيعي أن أرفض هذا المشروع باعتباره غير صالح للمناقشة"، كما عرض الرئيس جمال عبد الناصر هذا المشروع في اجتماعات مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا، وكان الغرض من العرض أن يطلع كافة المسؤولين على موقف أمريكا الذي يزداد سوءاً فذكر عبد الناصر قائلاً " إن هذا المشروع هو مشروع يستهدف ان نستسلم للشروط الإسرائيلية، وجر أقدامنا إلى حل منفرد مع إسرائيل نتخلى فيه عن الدول العربية الأخرى والقضية الفلسطينية كلها، وأن أمريكا تستطيع أن تنحاز لإسرائيل كما تشاء، ولكن طالما أنها لم تنجح في أرغامنا على التفاوض مع إسرائيل أو توقيع صلح معها، أو الاستسلام للحل المنفرد، فإنه لا إسرائيل ولا الولايات المتحدة تكون قد كسبت بعد حرب يونيو"، وأضاف عبد الناصر قائلاً " إن تزايد الانحياز الأمريكي لإسرائيل سوف يدفع الاتحاد السوفيتي إلى التسليم معنا بعدم جدوى الحل السلمي"⁽³⁾.

كما أشار هيكل في مقاله الأسبوعي بجريدة الأهرام في الخامس عشر من اغسطس 1969م أنه على الرغم من بعض مظاهر تغيير السياسة الأمريكية التي رافقت بداية ولاية الرئيس نيكسون إلا إن سياسة أمريكا عادت على مواقفها السابقة بدعم إسرائيل والمحافظة على موارد النفط العربي، كما إنها لا تزال تبذل جهودها في عزل مصر عن العالم العربي وقلب نظام حكم الرئيس عبد الناصر⁽⁴⁾.

نلاحظ مما سبق أنه في كل المقترحات المقدمة لحل منفرد بين مصر وإسرائيل لم تكن استعادة سيناء بالكامل موضع جدل من الولايات المتحدة، بل كانوا يلجئون للمناورة في مقترحاتهم مرة بترع السلاح في سيناء ومرة أخرى بالحديث عن وجود دولي في شرم الشيخ. كما نلاحظ مما سبق أيضاً فشل كل المحاولات الأمريكية للربويعه بين مصر والاتحاد السوفيتي.

قائمة المصادر والمراجع

-F.R.U.S, 1969-1976, Volume XXIII, Arab-Israeli Dispute

- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1969: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

¹ (وليم كوانت: مرجع سابق، ص 130.

² الأهرام : 30176، 24 يوليو 1969، ص1؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1969: مرجع سابق، ص172.

³ محمود رياض: مذكرات محمود رياض، ص 207، 208.

⁴ الأهرام : عدد 30198، 15 اغسطس 1969، مقال بصراحة، محمد حسنين هيكل، ص1؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1969، ص173.

المذكرات الشخصية

1. مذكرات محمود رياض: مذكرات محمود رياض 1948-1978 البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، مكتبة المستقبل العربي، القاهرة، ط2، 1985.
- هنري كيسنجر: ترجمة عاطف أحمد عمران، الجزء الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط2005.
1. وليم كوانت: عملية السلام الدبلوماسية الأمريكية والتراع العربي إسرائيلي منذ 1967، ترجمة مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1994.

الدوريات:

- الأهرام عدد مايو 1969.
- الأهرام: عدد يوليو 1969.
- الأهرام عدد اغسطس 1969.

المخططات الإسرائيلية داخل القدس الشريف وتداعياتها المستقبلية على الهوية التاريخية للمدينة

أ. أحمد بابا اهل عبيد الله/ جامعة عبد المالك السعدي/ كلية الحقوق القانونية والاقتصادية /طنجة/ المغرب

المستخلص:

يتناول هذا المقال المخططات والحفريات التي قامت بها إسرائيل وتقوم بها منذ عقود في مدينة القدس وداخل المسجد الأقصى. ويبدو من الوقائع التاريخية والوقائع على الأرض تؤكد أن هناك مجموعة من الإجراءات والمخططات والحفريات التي تقوم بها مجموعات إسرائيلية، هدفها طمس الهوية التاريخية للقدس والأقصى، من خلال سياسات مبرمجة تهدف إلى تغيير معالم القدس الشريف ومعالم المدينة، بدءاً بتغيير أسماء الأماكن والأزقة داخل القدس، والدفع باتجاه تهجير السكان المقدسيين. أو طردهم بشتى الطرق من منازلهم خارج القدس وتوسيع التهويد بالعمل على الحفريات داخل المسجد الأقصى. إضافة إلى ذلك، فإن السياسة الإسرائيلية الرسمية تعمل على خطط وبرامج من أهم ركائزها تغيير معالم مدينة القدس والأقصى، وخلق واقع جديد يتناقض مع الطبيعة التاريخية والقانونية للقدس والأقصى.

الكلمات المفتاحية: القدس، المسجد الأقصى، إسرائيل، الجماعات، تهويد الحفريات.

Abstract:

This article examines the plans and excavations that Israel has carried out and has been carrying out for decades in the city of Jerusalem and inside the Al-Aqsa Mosque.

It appears from historical facts and facts on the ground that there is a group of actions, plans and excavations undertaken by Israeli groups, the aim of which is to obliterate the historical identity of Jerusalem and Al-Aqsa, through programmed policies aimed at changing the city's landmarks, starting with changing the names of places and alleys inside Jerusalem and pushing for the displacement of the Jerusalemite population .

Or expel them in various ways from their homes outside Jerusalem and expand Judaization by working on excavations inside Al-Aqsa Mosque. In addition, official Israeli policy is working on plans and programs whose most important pillars are changing the features of the city of Jerusalem and Al-Aqsa and creating a new reality that contradicts the historical and legal nature of Jerusalem and Al-Aqsa.

Keywords: Jerusalem, Al-Aqsa Mosque, Israel, groups, Judaization excavations.

مقدمة:

في ظل الصمت العربي والاسلامي، والتواطؤ الدولي، تواصل سلطات الاحتلال الإسرائيلي مخططاتها في مدينة القدس المحتلة، وتجريدها من المعالم الإسلامية كافة، مستخدمة في ذلك كافة الوسائل التعسفية من أجل تهويد المدينة وطردها سكانها المقدسين الأصليين منها، ابتداء بالاستلاء على الأراضي وإقامة المستوطنات عليها، ومرورا بالتدمير الجزئي لأسوار وبوابات الأقصى واستمرار الحفريات تحت أقصانا المبارك.

إلى جانب ذلك تواصل "المؤسسة الإسرائيلية المتطرفة ذاتها أعمال الحفر الواسعة التدميرية بواسطة سلطة الآثار الإسرائيلية تحت أساسات مدينة القدس و المسجد الأقصى المبارك، بهدف تهويد المدينة و إفراغها من مضمونها العربي الإسلامي".¹

إن الخطر الذي يواجه مدينة القدس و المسجد الأقصى المبارك دق ناقوسه منذ أمد بعيد، و هو في استمرار و اضح و فاضح، و كلما تقاعس العرب و المسلمون عن كبح هذا الخطر الإسرائيلي و التصدي له، كثف المحتل من وتيرة تهويده للمدينة المقدسة علانية و وفق مخطط مرمح و ممنهج و مرسوم بعناية فائقة، للنيل من هوية الأرض العربية و مقدساتها الإسلامية و المسيحية، و يصب ذلك كله في مصلحة بناء الهيكل المزعوم، و أصبح ذلك واضحا و ماثلا على مرأى و مسمع من العالم أجمع، و أمام أعين الجميع، و ممن تغاضوا عبر سنوات طويلة عن حقيقة ما يجري، متناسين أن التاريخ سجل و يسجل مواقف الصامدين، و سكوت الخائفين و تواطؤ المفرطين.

أهمية البحث:

القدس من أقدم المدن في العالم و هي الموقع الذي ترنو إليه جميع الحضارات و الشعوب على اختلافها، و المطمع الذي حاول الجميع الفوز به، لأنها صمدت أمام جميع المحاولات الهادفة للنيل منها، و تغيير خصائصها التاريخية و الثقافية.

و من خلال هذا البحث نسلط الضوء على الخطر الصهيوني المستمر على مدينة القدس و المسجد الأقصى، و نضع بين أيديكم حقائق تاريخية تكشف حقيقة الاعتداءات الصهيونية التي طالت المقدسات الإسلامية في مدينة القدس الشريف، و لم يسلم منها البشر و الحجر.

مشكلة البحث:

إن ما تقوم به الدولة الصهيونية من تهويد و استيطان و اعتداءات و ترحيل لسكان المدينة المقدسة و المسجد الأقصى منذ احتلال فلسطين 1948، لم يحر سياسة جديدة قديمة للكيان الصهيوني لإخفاء معالم هوية القدس و المسجد الأقصى العربية و الإسلامية.

بذلك مشكلة البحث تتحدث في السؤال التالي:

- ما هي المخططات و السياسات المتبعة من قبل الإسرائيليين لطمس هوية القدس و المسجد الأقصى؟
- ينبثق من هذا السؤال العديد من الأسئلة الفرعية التالية:

- 1 - كيف أثرت سياسة الاعتداءات و الحفريات الإسرائيلية على المسجد الأقصى؟
 - 2 - كيف أصبحت سياسة الاستيطان و جدار الفصل الإسرائيلي سلاح لطمس هوية القدس العربية و الإسلامية و تهجير أبنائها؟
- لذلك نطرح الفرضيات التالية للإجابة عليهم:

- مؤامرة الحفريات على المسجد الأقصى.
- جماعات صهيونية هدم المسجد الأقصى.
- الاستيطان و ترحيل سكان القدس.
- جدار الفصل الإسرائيلي.

نعالج البحث من خلال محورين:

المحور الأول: المسجد الأقصى في دائرة الاستهداف الإسرائيلي.

1 - عيسى القدومي، الأثار... و تهويد تاريخ القدس، مركز الدراسات المعاصرة، بتاريخ 2010/002/28، على الرابط

تنطرق داخل هذا المحور إلى التحدث عن الاستهداف المباشر من قبل الصهاينة إلى المسجد الأقصى من خلال الاعتداءات المتكررة و مؤامرة الحفريات تحت المسجد لطمس هويته ونسلط الضوء على الجمعيات والمنظمات اليهودية التي تعمل لهدم المسجد الأقصى.

المحور الثاني: مدينة القدس تحت وطأة العدوان الإسرائيلي.

نعالج في هذا المحور تهويد القدس وطمس هويتها الإسلامية، من خلال الاستيطان الممنهج والجدار الصهيوني الذي يقسم المدينة ويهجر أبناءها.

المناهج المتبعة في البحث:

- المنهج التاريخي: من خلال عرض الوقائع والأرقام التاريخية.
- المنهج الوصفي: من خلال وصف الآثار المترتب عن تهويد القدس والمسجد الأقصى.

المحور الأول: المسجد الأقصى في دائرة الاستهداف الإسرائيلي

" المقصود بالمسجد الأقصى المبارك، هو المساحة المستورة الواقعة داخل أسوار القدس في زاويتها الشرقية الجنوبية. فسوره الشرقي متحد مع سور القدس والجنوبي أكثر من الجهة الشرقية متحد كذلك، والباقي من الجهة الجنوبية الغربية بكاملها والشمالية بكاملها فهو سور خاص داخل المدينة المسورة نفسها. شكل المسجد مضلع، ذو أضلاع أربعة غير منتظمة، طول ضلعه الغربي 491م، والشرقي 462 م، وأقصراها الجنوبي 281 م والشمالي 330م".¹

لقد حفظ الله تعالى حدود المسجد الأقصى فلم يتعداها أحد، حيث قام المسلمون على مر التاريخ (أبويون ومماليك) على ترسيخ حدود المسجد. فأقاموا الأسوار في الجهتين الشمالية والغربية وشيدوا الأروقة العالية والمدارس الشائخة والمرافق العظيمة.

لكن الاحتلال الإسرائيلي منذ وطأت قدماه الأرض الفلسطينية بدأ مخططاته في البحث عن الهيكل المزعوم من خلال الاعتداءات المتكررة على حرمة المسجد الأقصى المبارك وعلى المصلين فيه، وعمليات الحفر المنظمة حول المسجد الأقصى، وإنشاء الأنفاق ذات الأطوال المتعددة بغية إقامة متاحف صهيونية داخل المسجد الأقصى، يتم ذلك كله في إطار جمعيات ومنظمات، إن احتلت أسماءها، فأهدافها واحدة، تصب جميعها في سبيل هدم المسجد الأقصى. وسوف نعرض هذه الأشكال كالاتي:

1 - الاعتداءات على المسجد الأقصى.

يعيش المسجد الأقصى اليوم أياما عصيبة نتيجة المخططات الإسرائيلية الرامية إلى تهويده، وتغيير معالمه وصولا إلى هدمه، ولم تتوقف هذه المخططات يوما واحدا، بل هي في تزايد مستمر، وفيما أبرز المحطات التي تمثل انتهاكات صارخة ضد المسجد الأقصى:

1948/07/16: أغار المستوطنون اليهود على الحرم القدسي، واسقطت طائراتهم في أرض الحرم ستين قبلة، أصابت إحداها قبة الصخرة، وأخرى أصابت المسجد الأقصى.

1967/06/07: رفعت قوات الاحتلال الاسرائيلية علم الاحتلال فوق قبة الصخرة المشرفة، وصودر وقتها حائط البراق.

1967/08/15: الحاخام الأكبر للجيش الصهيوني شلومو غرون وخمسون من أتباعه يقيمون صلاتهم في ساحة الحرم الشريف.

1969/08/21: قيام صهيوني أسترالي بحرق منبر صلاح الدين، وقد بلغت مساحة الجزء المحترق من المسجد 1500 متر مربع.

1970/07/22: دخلت مجموعة يهودية إلى الحرم الشريف، وهي تنشئ أناشيدها التي تدعو لتدمير المسجد الأقصى.

- مايو 1980: العثور على مخزن للمتفجرات بالقرب من المسجد الأقصى كان قد أعده الحاخام مانيو كاهانا، وفيه أكثر من طن من مادة (تي.أن.تي) بهدف نسف المسجد الشريف.
- 1982/02/24: سمحت الشرطة الإسرائيلية لمجموعة من أعضاء الكنيسة بالقيام بجولة داخل الحرم الشريف.
- 1984/04/11: اقتحم جندي اسرائيلي المسجد الأقصى، ثم أطلق النار على حراس المسجد فقتل اثنين منهم. تلا ذلك اشتباكات أدت إلى استشهاد تسعة فلسطينيين.
- 1982/05/06: إطلاق نار على قبة الصخرة. وفي العام نفسه قام أحد نشطاء حركة "كاخ" الصهيونية بمحاولة لنسف المسجد الأقصى، لكن المحاولة اكتشفت قبل تنفيذها.
- 1984/03/11: اكتشف حراس المسجد الأقصى 46 مستوطنًا يحملون المتفجرات استعدادًا لمهاجمة الأقصى.
- 1984/01/30: اكتشاف ثلاث قنابل يدوية أمام أحد أبواب المسجد الأقصى.
- أغسطس 1984: اكتشاف حراس الأقصى عددا من اليهود وهم يعدون لعملية نسف تامة للمسجد المبارك.
- 1990/10/08: نفذ جيش الاحتلال مجزرة في داخل الحرم القدسي الشريف أسفرت عن استشهاد 20 فلسطينيا، وجرح 115 آخرين.
- 1996/09/23: استيقظ سكان القدس على سلطات الاحتلال وهم يقيمون نفقا تحت السور الغربي للمسجد الأقصى، مما أحدث هبة فلسطينية تصدت للاحتلال، ما أدى إلى استشهاد أكثر من ثمانين فلسطينيا.
- 2000/09/28: قام رئيس الوزراء الصهيوني أرييل شارون بتدنيس المسجد الأقصى من خلال دخوله إلى ساحة الحرم برفقة الشرطة الصهيونية، ما أدى إلى اندلاع ما يعرف بانتفاضة الأقصى.
- 2005/02/23: الحكومة الصهيونية تطلب تمويلا لحطة أمنية لمراقبة المسجد الأقصى بالكاميرات، وهو ما باشرت العمل به بعد شهرين.
- 2006/06/13: رئيس وزراء الكيان الصهيوني إيهود أولمرت يؤكد على أن "جبل الهيكل" الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، غير قابل للتفاوض.
- 2006/09/01: بلدية القدس تعلن أن ساحات المسجد الأقصى هي ساحات عامة.
- 2009/04/05: صادرت سلطات الاحتلال حجرا من حجارة القصور الأموية الملاصقة للسور الجنوبي للمسجد الأقصى، مدعية أنه من حجارة "الهيكل الثاني".
- 2009/04/14: اقتحمت جماعات يهودية متطرفة، ساحات المسجد الأقصى المبارك من جهة بوابة المغاربة، قدر عددها بأكثر من 140 يهوديا متطرفا على شكل مجموعات صغيرة يتقدمها أحد الحاخامات الذي يطلق عليه تسمية "الريانيم" وذلك وسط حراسات شرطية مشددة.
- 2009/08/03: أعلنت جمعية "إيش هاتوراة" عن افتتاح متحف للتاريخ اليهودي من الحي اليهودي قبالة حائط البراق، يضم أكبر مجسم متحرك للهيكل في العالم.¹

1 - حرور شاهين، تمديد القدس: المرحلة النهائية إسقاط المسجد الأقصى !! الطبعة الإسلامية المسيحية-المستقبل، منشور

الدلائل 2 نوفمبر/تشرين ثاني 2010 على الرابط الإلكتروني www.elquds.org

2- الحفريات حول المسجد الأقصى.

تواصل السلطات الاسرائيلية حفرياتها تحت المسجد الأقصى منذ أمد بعيد، و على نسق متسارع مخطط له، و ذلك عبر حفر الأنفاق الكثيرة و من جهات عدة، حيث وصلت هذه الحفريات مع مرور الزمن إلى درجة متقدمة من الخطورة إلى أن اقتربت من (بئر الورقة) و هو (بئر الكأس) تحت الحرم القدسي الشريف.

وقد استمرت "المؤسسات الصهيونية المعنية بالتهويد والاستيطان في سياستها الثابتة الساعية إلى تزوير التاريخ من خلال الحفريات التي تقوم بها في مدينة القدس، وإلى تغيير واقع المدينة المقدسة لتحويلها إلى مدينة ذات طابع يهودي"¹.

"فالعديد من الحفريات تجري بهدف إضعاف البنية التحتية للأبنية والمسكن والمقدسات الإسلامية، حيث أصيب الكثير منها بتصدعات خطيرة، مثل المدرسة العثمانية، والمدرسة المزهرية والمدرسة الجوهريّة في باب الحديد ورباط الكرد، والزاوية الرفاتيّة، والمدرسة التنكزية في باب السلسلة، هذا إضافة إلى مئات المنازل التي سقطت أرضيتها وتصدعت جدرانها وتمنع السلطات أي ترميم فيها"².

إن الجماعات الصهيونية تخطط منذ احتلالها للمدينة المقدسة لتحقيق حلمها بإعادة العبادة إلى (الهيكال المزعوم) وإقامة ملكهم في مدينة القدس. إذ بادرت سلطات الاحتلال بالقيام بأعمال الحفر والتنقيب بدءاً من 1967 م تحت الجدارين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى، وتوالت هذه الحفريات التي غطت مساحات كبرى.

و منذ ذلك الوقت، و الحفريات تحت المسجد الأقصى لم تتوقف، بل تتسارع وثيرتها، و على الرغم من ذلك كله، فإن الصهاينة لم يعثروا على دليل مادي واحد على وجود هيكلكم، كما يزعمون. و ما استمرارهم في عمليات الحفر تحت المسجد الأقصى إلا مجرد تبرير ايدولوجي للدعاء بالحق في السيطرة على أرض فلسطين، و التمادي في ذلك من خلال العنجهية الاسرائيلية و الدعم الأجنبي في ظل الصمت العربي و الإسلامي.

في ظل هذه الأحداث "ساهمت لجنة التراث العالمي التابعة لليونسكو من خلال إصدار قرار يسمح لسلطات الاحتلال في فلسطين بالإشراف على باب المغاربة وهو أحد أبواب المسجد الأقصى، و أبحاث و أجازت منظمة اليونسكو بذلك لسلطات الاحتلال إجراء الترميمات - حسب زعمهم - في باب المغاربة، و أعطيت بذلك السلطات اليهودية الشرعية الدولية من أجل إجراء التغييرات الشاملة في ساحات حارة المغاربة و بابها و الذي هو جزء من المسجد الأقصى و أحد أبوابه. وهذا القرار يضع باب المغاربة على لائحة التراث العالمي كتراث "يهودي" !! والذي سيتيح لسلطات الاحتلال المضي قدماً في تنفيذ مخططاتها الرامية لتهويد مدينة القدس وتغيير معالمها وطابعها الإسلامي والسيطرة النهائية على المسجد الأقصى، وفرض أمر واقع لا يمكن رجوع اليهود عنه في أي مفاوضات جارئة أو قادمة"³.

وفيما يلي عرض تاريخي لمسلسل هذه الحفريات الصهيونية حول المسجد الأقصى:

"بدأت الحفريات الصهيونية حول المسجد الأقصى وتحتته في 1967/06/11. وقد جرت على امتداد 70 متراً أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدس الشريف، ووصل عمق هذه الحفريات إلى 14 متراً، وتم اكتشاف آثار إسلامية تحت المسجد الأقصى"⁴.

1 - التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008م، إصدار مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات- بيروت، ص 265.

2 - انظر المسجد الأقصى المدينة التاريخ، إصدار مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ص 110

3- انظر : بيان مركز بيت المقدس بشأن قرار اليونسكو...الذي يساهم في تمهيد القدس، موقع مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية على الشبكة العالمية الأترنيت، "www.aqsaonline.info"

4 - محمد إبراهيم ماضي، صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل، الطبعة الأولى مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1986، ص 73.

" سنة 1969 جرت حفريات على امتداد 80 مترا، مبتدئة من حيث انتهت المرحلة الأولى، ومتجهة إلى باب المغاربة، مارة تحت مجموعة الأبنية الإسلامية القديمة، وصدعتها، ثم حفرتها قوات الاحتلال في العام نفسه.¹"

" سنة 1970 بوشر بحفريات توقفت سنة 1974، ثم استؤنفت سنة 1975 حتى أواخر عام 1988، وقد امتدت ل 400 متر، مارة بأسفل خمسة أبواب الحرم القدسي²"

2004/02/15: انهار جزء من الطريق الواصل بين ساحة البراق وباب المغاربة بسبب الحفريات.

2005/09/28: سلطات الاحتلال تفتتح موقعا سياحيا في الأنفاق تحت المسجد الأقصى.

2006/03/13: تم افتتاح كنيس يهودي تحت المحكمة الإسلامية الملاصقة للمسجد برعاية رئيس الكيان الصهيوني الأسبق موشي كتساف.

2008/10/12: أقامت جمعية "عطيرت كوهينيم" الاستيطانية حفل افتتاح رسمي لكنيس تتجاوز مساحته 300 متر مربع في منطقة حمام العين، على بعد مئة متر غربي باب المطهرة في سور الأقصى.³

3- جماعات صهيونية لهدم المسجد الأقصى

هناك العديد من الجماعات الصهيونية التي أسست بهدف هدم المسجد الأقصى، وهي تعد بالعشرات لكن أهمها:

- جماعة جوش إيمونيم- كتلة الإيمان.

- غوش إيمونيم.

- منظمة يشيفان اتريت كوهاتين.

- حي فاكيام.

- منظمة سيونس شيون.

- مجموعة (آل هارهاشم).

- هيكل القدس.

- أمناء الهيكل.

- حشمو نائيم⁴

المحور الثاني: مدينة القدس تحت وطأة العدوان الإسرائيلي

القدس التي تتعاطم الأخطار المحدقة بها هذه الفترة "هي عاصمة فلسطين، وقد احتل الصهاينة الجزء الغربي منها عام 1948 م، وأعلنوها عاصمة لدولتهم "إسرائيل" التي أقيمت ذلك العام، ثم احتلوا الجزء الشرقي منها في الخامس من حزيران/ يونيو 1967، وسارعوا إلى ضمه

1- نفس المصدر، وصفحه.

2 نفس المصدر، وصفحه .

3-مقابلة في قناة الجزيرة، ضمن البرنامج بعنوان سرقة التاريخ في 2009/09/18 م وموقع الجزيرة الفضائية على الشبكة العالمية

4-محمد إبراهيم ماضي، صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل، مصدر سابق، ص 80

لإسرائيل، فأصبحت القدس بكاملها تحت الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي، القديمة داخل السور، والمدينة الجديدة خارجه وقرى القدس ومأثرها.¹ « سوف نعالج الأخطار و الاعتداءات المحدقة بها من خلال :

1 - الاستيطان والاعتداءات الاسرائيلية:

تحقق بمدينة القدس المحتلة اليوم أخطار كثيرة ومتعددة، ويعد خطر الاستيطان في المدينة أهم هذه الأخطار على الإطلاق. فهدفه النهائي هو جعل القدس عاصمة يهودية تقطنها أغلبية ساحقة من اليهود مع أقلية فلسطينية معزولة يمكن السيطرة عليها.

أ- زيادة عدد سكان اليهود في المدينة:

وذلك من خلال "تسمين المستوطنات القائمة و بناء مستوطنات و بؤر استيطانية جديدة في كل أنحاء المدينة و في الجزء الشرقي منها خصوصاً".²

ب - تقليل عدد السكان الفلسطينيين:

و يقوم الاحتلال بذلك من خلال عدة وسائل أبرزها:

الاستيلاء على الأحياء: "هناك بعض الأحياء الفلسطينية الكبيرة التي توجد في مناطق حيوية و هامة من مدينة القدس لم يتمكن الاحتلال من التخلص منها عبر الجدار الفاصل كونها تقع في قلب المدينة. لذا فإن الاحتلال يلجأ لزراعة بؤر استيطانية في هذه الأحياء عبر مصادرة أراضيها و إقامة مجمعات استيطانية عليها أو عبر هدم منازلها و تهجير سكانها أو حتى عبر السماح للمستوطنين باحتلال المنازل الفلسطينية فيها. وما تلبث هذه البؤر بعد ذلك أن تتوسع شيئاً فشيئاً عبر احتلال المستوطنين الجديد للأراضي المحيطة بهم و ادعاء ملكيتها أو عبر الاعتداء المتكرر على السكان الفلسطينيين والتضييق عليهم ما يدفعهم في نهاية المطاف للهجرة وترك الحي".³

و فيما يلي عرض لأبرز عمليات الاستيطان و الاعتداءات الاسرائيلية:

"- 1969/06/14: قوات الاحتلال تدمر 14 مبنى تاريخياً في القدس.

- 1970: بناء مستوطنة "كفار عفري"

- 1998/06/22: الحكومة الإسرائيلية برئاسة نتانياهو، تقرر توسيع الحدود الإدارية لمدينة القدس وضم المستوطنات المجاورة إلى المدينة.

- 1998: وزارة الداخلية الاسرائيلية تسحب بطاقات هوية 788 مقدسيا، وهو إجراء دوري تقوم به قوات الاحتلال لطرد المقدسيين.

- 2007/02/06: حرافات الاحتلال تبدأ بإزالة طريق باب المغاربة.

- 2008: بلغ عدد الفلسطينيين في القدس حوالي مائتين ألفاً، مقابل ستمائة وخمسين ألف مستوطن يهودي.

- 2010: الحكومة الاسرائيلية تصادق على بناء ألف وستمائة وحدة سكنية استيطانية في القدس والضفة الغربية.⁴

2- المواطن المقدسي بين هدم بيته وترحيله:

وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلية سياسات متعددة لإسراع التغيير الديموغرافي للسكان في مدينة القدس، منها:

1 - أحمد صدقي الدجاني، مراجعة المخططات الصهيونية الإسرائيلية ليهود القدس، وطمس هويتها الحضارية العربية الإسلامية. "بحوث الندوة العلمية" حول القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي-المسيحي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، الرباط، 19-21 أكتوبر 1993، ص 426.

2 - انظر تقرير حال القدس، خلال الفترة من كانون الثاني / يناير حت اذار / مارس 2013، تصدره إدارة الإعلام و المعلومات، مؤسسة القدس الدولية

3 - نفس المصدر.

4 - انظر عبد الكرم المدهون، قويد القدس الشريف، دراسات فلسطينية عربية، جامعة فلسطين، 2010، ص 3.

أ - سحب هويات عدد كبير من المقدسيين لأسباب مختلفة و بحجج واهية و كذلك عزل عدد كبير من سكان القدس خارج المدينة المقدس بفعل إقامة حدار الضم و التوسع الصهيوني.

ب - التضييق على المقدسيين و إجبارهم على الهجرة و ترحيلهم قسرا خارج المدينة المقدسة كما حدث مع نحو 17000 مقدسي هاجروا من القدس خارج فلسطين منذ احتلال اليهود للقدس عام 1967 م، و مع 1200 مقدسي هاجروا منها إلى خارجها داخل فلسطين و مع 8000 كانوا خارج فلسطين عند وقوع احتلال القدس.

ج - سياسة تجميد البناء الجديد للعرب الفلسطينيين وعدم السماح لهم بالتوسع الأفقي و الرأسى في البناء و كذلك هدم الأبنية بحجة عدم الترخيص حيث تم هدم نحو 550 منزلا حتى الآن منذ احتلال القدس عام 1967. مما يسبب نقصا في مساكن الفلسطينيين مما يفرض على السكان البحث عن سكن لهم خارج القدس.

د - إصدار 25 قانونا و عدد من القرارات و الأوامر لسلطات الاحتلال الاسرائيلية لمصادرة الأراضي و العقارات الفلسطينية في القدس و من أخطر هذه القوانين قانون أملاك الغائبين و قانون الأرض الخضراء و قانون المصادرة من أجل المصلحة العامة و قانون الضرائب و خاصة ضريبة الأرنونا على هذه الأراضي و العقارات و قانون المحميات الطبيعية.

هـ - تجهيل الإنسان الفلسطيني في القدس، و العمل على إفساده أخلاقيا، بنشر المخدرات و المسكرات على نطاق واسع، و ذلك لإيجاد جيل فلسطيني لا يهتم بقضاياهم المصرية و لا ينتمي لقيم الشعب الفلسطيني و أخلاقه. مما يؤدي إلى تهويد هذا الجيل من حيث اهتماماته.¹ و لمزيد من التفصيل لما يتعرض له المواطنون المقدسيون من تهجير قسري و تهويد لأحيائهم السكنية نعرض نموذجا على سبيل الذكر لا الحصر:

- مشروع (الحوض المقدس)

- "في تسعينيات القرن الماضي، طرحت بلدية الاحتلال في القدس مشروع تهويد المنطقة التي يسميها الاحتلال " الحوض المقدس"، و هي تشمل البلدة القديمة بكاملها و أجزاء واسعة من الأحياء و النواحي المحيطة بها، حي الشيخ جراح و وادي الجوز في الشمال، ضاحية الطور في الشرق، و ضاحية سلوان في الجنوب."²

و يتضمن مشروع التهويد هذا:

"إنشاء مدينة أثرية مطابقة للحوض الثوراتي "لأورشليم المقدسة" أسفل المسجد الأقصى و في ضاحية سلوان و أجزاء من الحي الإسلامي في البلدة القديمة، و ربط هذه المدينة بمجموعة من الحدائق و المنتزهات و المتاحف الأثرية القائمة فوق الأرض في محيط البلدة القديمة، و خصوصا في جنوبها حيث ضاحية سلوان و في شرقها حيث جبل الزيتون و ضاحية الطور."³

و لهذا المشروع أهداف متعددة على مختلف الصعد الثقافية و الديموغرافية و الدينية، من أبرزها:

- محور الهوية العربية و الإسلامية لمدينة القدس و استبدال هوية يهودية بها من الناحية التاريخية و الدينية.
- ترحيل عدد كبير من المقدسيين إلى مناطق أبعد عن المسجد الأقصى و البلدة القديمة أو حتى ترحيلهم خارج مدينة القدس.

1 - انظر نفس المصدر، ص 8.

2 - ابراهيم أبو جابر، قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرون، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2002.

3 - نفس المصدر

- عزل المسجد الأقصى عن الأحياء العربية الفلسطينية من مدينة القدس، مما يحرم المسجد من أحد أهم خطوط دفاعه، ويسهل على المحتل الاعتداء عليه كيف ومتى أراد.

3 - جدار الفصل الصهيوني

يسمى الاحتلال الاسرائيلي هذا الجدار بجدار الفصل، ويتخذ هذا الجدار مساراً يمكن الاحتلال من الحصول على أكبر مساحة أرض ممكنة، وأقل عدد من السكان الفلسطينيين وذلك من خلال الالتفاف على القرى والبلدات الفلسطينية وعزلها، ومنعها من الاتصال بمدينة القدس. "بعد اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000 و فشل أرييل شارون بالقضاء عليها في مئة يوم كما توعد، بدأت فكرة الجدار العازل تلوح في فكرة السياسة الصهيونية. فتم إقراره في شهر نيسان/أبريل من عام 2000 خلال اجتماع للمجلس الوزاري المصغر، ثم تم البدء بتنفيذه في شهر حزيران/يونيو من العام نفسه."¹

وبما ان القدس دائماً في قلب الصراع، فإن أحد أهم إنشاء الجدار كان تهويد المدينة، عن طريق تهجير سكانها المقدسيين وإحلال مستوطنين يهود محلهم وضم المستوطنات إلى محافظة القدس. " فالجدار سترك قرى فلسطينية بأكملها خارجه، و سيحرف أراضيها الزراعية بهدف بناء الطرقات، عازلاً بذلك مئات المنازل عن المدينة. و سيفقد المقدسيون خارج الجدار «هويتهم الزرقاء» في سنين قليلة. فهم سيعتبرون خارج حدود بلدية القدس، و سيسقط بالتالي حقهم في الإقامة، فيجدون أنفسهم غرباء عن مدينتهم ومعزولين عنها. فلا هم يستطيعون الاستفادة من الخدمات الطبية والتعليم ولا حتى الخدمات الاجتماعية، ناهيك عن دخول المدينة دون تصريح. وبالتالي سيكونون مجبرين إما لدخول القدس، ما يعني ترك بيوتهم وممتلكاتهم وأرزاقهم في الضواحي خارج جدار العزل، وهذا أمر صعب أو سيضطر للهجرة بعيداً عن القدس."²

خاتمة:

إن الصراع على القدس والمسجد الأقصى يبلغ أوجهه، والخطر يلامس جدران الحرم الشريف وأساسه، ويهدد مصير فلسطيني القدس في الأرقام متصلة بالتاريخ والقرارات التهودية، التي ترعاها حكومة اسرائيلية، تنبئ أن الخطر على المسجد الأقصى لم يعد بعيداً، وخصوصاً أن ردود الفعل لم ترتق إلى حجم الأحداث والمخاطر المحدقة بالقدس ومسجدها المبارك. مما يغري الاحتلال بتنفيذ مخططاته في بناء الهيكل المزعوم، وتهجير سكان القدس الأصليين. ولأن المسجد الأقصى ليس موقعا أثريا فحسب، بل يتعدى ذلك إلى موقعه وحضوره الروحي عند أكثر من مليار ونصف المليار مسلم.

وفي ظل واقع دولي صامت عن كل الخرقات التي يشهدها المسجد الأقصى والقدس كل يوم وما يترتب عنها من تجاوزات يجرمها حتى القانون الدولي، تبقى سلطات الاحتلال مستمرة في ممارساتها اتجاه القدس والأقصى، وفرض وقائع جديد على الأرض، وذلك استباقاً منها لأي مفاوضات في المستقبل مع الفلسطينيين على المستوى السياسي ضمن جهود تسوية النزاع العربي-الإسرائيلي.

المصادر والمرجع:

- محمد إبراهيم ماضي، صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل، الطبعة الأولى مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1986.
- ابراهيم أبو جابر، قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرون، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2002.

1 - أحمد الفرعي، توسع بلدية القدس في مخطط تهويلها، صحيفة الأهرام، 2003، ص 5.

2 - جعفر حسن، جدار القدس يعزل آلاف الفلسطينيين عن مدينتهم: صحيفة الحياة اللبنانية، 2005/07/18 عن موقع الأنترنيت

- أحمد صدقي الدجاني، مراجعة المخططات الصهيونية الإسرائيلية لتهويد القدس، وطمس هويتها الحضارية العربية الإسلامية. "بحوث الندوة العلمية" حول القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي-المسيحي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، الرباط، 19-21 أكتوبر 1993.
- تقرير حال القدس، خلال الفترة من كانون الثاني / يناير حت اذار / مارس 2013، تصدره إدارة الإعلام والمعلومات، مؤسسة القدس الدولية.
- عبد الكريم المدهون، تهويد القدس الشريف، دراسات فلسطينية عربية، جامعة فلسطين، 2010.
- أحمد القرعي، توسيع بلدية القدس في مخطط تهويدها، صحيفة الأهرام، 2003.
- مقابلة في قناة الجزيرة، ضمن البرنامج بعنوان سرقة التاريخ في 18/09/2009 م وموقع الجزيرة الفضائية على الشبكة العالمية.
- عيسى القدومي، الآثار... وتهويد تاريخ القدس، مركز الدراسات المعاصرة، بتاريخ 28/02/2010، على الرابط www.center-cs.net
- مركز بيت القدس للدراسات التوثيقية على الشبكة العالمية الانترنت على الرابط www.aqsaonline.info
- جيروم شاهين، تهويد القدس: المرحلة النهائية إسقاط المسجد الأقصى!! الهيئة الإسلامية المسيحية-المستقبل، منشور الثلاثاء 2 نوفمبر/تشرين ثاني 2010 على الرابط www.elquds.or
- التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008م، إصدار مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت.
- بيان مركز بيت القدس بشأن قرار اليونسكو...الذي يساهم في تهويد القدس، موقع مركز بيت القدس للدراسات التوثيقية على الشبكة العالمية الأترنيت، www.aqsaonline.info
- جعفر حسن، جدار القدس يعزل آلاف الفلسطينيين عن مدينتهم: صحيفة الحياة اللندنية، 18/07/2005 عن موقع الأترنيت www.palestine-info.info

إمكانات الاستثمار الرياضي في الأردن: بين الحوافز الاقتصادية والمعوقات الهيكلية

د. ريم زياد أحمد جوابرة/ محاضر غير متفرغ/ جامعات الأردن

المستخلص:

يعتبر الاستثمار ركيزة أساسية للرياضة في الوقت الحاضر، حيث باتت الرياضة صناعة إستثمارية تعتمد عليها العديد من الدول في إقتصادها لجذب رؤوس الأموال، وذلك بعد أن تحول مفهوم الرياضة إلى قطاع إقتصادي رئيسي، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهمية الإستثمار في المجال الرياضي، حيث تعتبر الرياضة من أهم القطاعات التي ترفد الإقتصاد، وتعزز النمو الإقتصادي وتمحور مشكلة الدراسة حول التحديات والمعوقات التي تفتقد إلى القوانين والتشريعات حول الأساليب المرجوة للإستثمار الصحيح في المجال الرياضي، وإستخدمت الدراسة المنهج الوصفي وهو منهج بحثي يستخدم في البحوث الإنسانية. بمختلف أفرعها، ومن نتائج هذه الدراسة، إن الإستثمار في المجال الرياضي يعتبر من المشروعات الناجحة جداً، التي تفيد الإقتصاد الوطني وترفد النمو الإقتصادي. و إن القوانين التي تشرع للإستثمار في مجال الرياضة تحقق قفزة نوعية في إنعاش الرياضة.

الكلمات المفتاحية: الإستثمار الرياضي، النمو الإقتصادي، القوانين والتشريعات، التخطيط المالي.

Abstract:

Investment is a key pillar of sports at the present time, as sport has become an investment industry that many countries rely on in their economy to attract capital, after the concept of sports turned into a major economic sector, and this study aimed to identify the importance of investment in the sports field, as sport is one of the most important sectors that supply the economy, and promote economic growth K The problem of the study revolves around the challenges and obstacles that lack laws and legislation about the desired methods for correct investment in the sports field, and the study was used The descriptive approach is a research method used in humanitarian research in its various branches, and one of the results of this study is that investment in the sports field is one of the very successful projects, which benefit the national economy and support economic growth. The laws that legislate investment in sports make a quantum leap in the revival of sports.

Keywords: Sports investment, economic growth, laws and regulations, financial planning.

الفصل الأول: الإطار النظري والدراسات السابقة:

خلفية تمهيد:

يعتبر الإستثمار الرياضي واحد من أهم المجالات التي تساعد على تحقيق تأثير إقتصادي كبير للعمل على مختلف المستويات، وتوليد إيرادات ضخمة تعود على كافة المستثمرين، وتعمل على خلق العديد من الفرص الخاصة بالعمل وتعزيز قطاع السياحة، وتحفيز الشركات للرعاية الرسمية للرياضات، وتم إختيار موضوعي هذا، لأن فرص الإستثمار في مجال الرياضة يعد من أهم المجالات الأساسية التي تهتم بها معظم الدول، حيث أن عدد كبير من المستثمرين يفكر في تحديد عملية الإستثمار الرياضي وتخصيص رأس المال والموارد وإمكانية تحقيق أرباح مالية كبيرة

في ذلك المجال، مقارنة بالمجالات الإستثمارية التقليدية التي يتم تطبيقها على الشركات والأسواق المالية. وإن العمل على الإستثمار في قطاع الرياضة له أهمية كبيرة تتمثل في خلق العديد من الفرص الخاصة بالعمل، وتعزيز قطاع السياحة، وتحفيز الشركات المهتمة بالرياضة، وإكتشاف المواهب والحفاظ على قيمة رأس المال، وتحقيق دخل بصورة مستمرة وتوفير السيولة المالية التي تساعد على تلبية الإحتياجات.

1.1 المقدمة.

يعتبر الإستثمار أحد الوسائل البارزة والمهمة والفعالة في وقت واحد لتنفيذ سياسات وبرامج التنمية والنمو الإقتصادي في الدول المتقدمة، وتعظيم أهميته بتعظيم الإحتياجات الإنسانية و إتساعها، الأمر الذي يتطلب تنظيمًا دقيقاً لهذه البرامج، لتنجح بأسرع وقت، فالإستثمارات دعامة رئيسية تعتمد عليها المؤسسات والهيئات في توفير التمويل اللازم لتحقيق كل الأهداف المرجوة. (سلامة.2021).

تحول مفهوم الرياضة مؤخراً إلى قطاع إقتصادي رئيسي يمكنه المساهمة في إزدهار جميع البلدان من الناحية الإقتصادية، فباتت الرياضة تستهدف كيان الإنسان رياضياً ونفسياً وإجتماعياً، ليس فقط نشاط ترفيهي إجتماعي، بل نشاط إقتصادي أيضاً، يحتمل الربح والخسارة، ويمثل صناعة حقيقية لإدخال رؤوس الأموال. (المركز القومي للبحوث الإجتماعية.1987).

تعد فرص الإستثمار في مجال الرياضة من أهم المجالات الأساسية حالياً التي تهتم بها العديد من الدول حيث أن عدد كبير من المستثمرين يفكر في تحديد عملية الإستثمار الرياضي، ويعني ذلك تخصيص رأس المال والموارد لتحقيق أرباح مالية خيالية في ذلك المجال، إذا ما تمت المقارنة بالمجالات الإستثمارية التقليدية التي يتم تطبيقها على الأسواق المالية. (Ertika.2023).

ولنلقي الضوء على أهم التحديات التي تواجه الإستثمار الرياضي في الأردن، كعدم إضطلاع الباحثون على واقع الإستثمار الرياضي وعملهم في المجال الرياضي، ووجود العديد من المعوقات، كالمعوقات الإدارية، والإجرائية، والإقتصادية، والقانونية والفنية للإستثمار، والعمل على حلها، وتهمة مناخ حديد رياضي، وقامت الأردن بتطبيق عدة طرق للإستثمار في المجال الرياضي عن طريق إستضافة الأحداث الرياضية الكبرى والإستثمار عن طريق برامج السياحة الرياضية، وإقامة المعسكرات الرياضية.

1.2 أهداف الدراسة:

يعد الإستثمار عنصراً أساسياً في النمو الإقتصادي وإزدهار المجتمعات، حيث يساهم في خلق فرص عمل جديدة و توسيع الإنتاج وتحسين الحياة الإقتصادية للأفراد، وتعتبر الرياضة إحدى أهم المجالات الإستثمارية المثمرة، وهو ما ثبت في السنوات الأخيرة كونها ذات صلة بالقطاع الإقتصادي، فهي تعمل على توليد إيرادات ضخمة تعود بالنفع على جميع المستثمرين، لذا هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهمية الإستثمار في مجال الرياضة في الأردن ويتفرع من الهدف الرئيسي الأهداف الفرعية التالية:

- التعرف على أبرز التحديات التي تواجه الإستثمار في القطاع الرياضي
- التعرف على جهود الحكومة الأردنية في دعم قطاع الإستثمار في مجال الرياضة؟.

1.3 مشكلة الدراسة:

باتت العديد من الدول في العالم تستمد قوتها وإستقرارها من خلال الإستثمارات الرياضية التي تدر عليها أموالاً ضخمة ومن ثم تابع الباحثون الطرق والأساليب المرجوة للإستثمار الصحيح في المجال الرياضي، إلا أنه واجه العديد من التحديات التي تفتقد إلى القوانين والتشريعات، وفق ما تتطلبه التغيرات العالمية في مجال التنافس الرياضي، بالإضافة إلى التحديات المادية،.، وتنبثق من مشكلة الدراسة الأسئلة التالية::

- ما هي التحديات التي تواجه قضية الإستثمار الرياضي؟
- ما هي الخطوات التي يتطلبها كل من المستثمر والرياضة لدفع التغيير الحقيقي؟

- ما هي الإجراءات التي إتبعتها الحكومة الأردنية لتشجيع الإستثمار الرياضي والتغلب على تحدياته؟

1.4 أهمية الدراسة:

تنقسم أهمية الدراسة إلى محورين :

أهمية الدراسة من الناحية العملية والتطبيقية

- يؤمل أن تستفيد من هذه الدراسة صانعو السياسات من خلال تعزيز الوعي بأهمية الإستثمار في المجال الرياضي، من خلال فهم التحديات التي تعيق جهودهم، مما يمكن أصحاب القرار والمنظمات المعنية من توجيه الدعم والتوجيه بفعالية نحو تخطي هذه التحديات.
- الإهتمام بدراسة أساليب الإستثمار الرياضي.
- يؤمل أن تستفيد من توصيات هذه الدراسة الباحثين في مشكلات الإستثمار في المجال الرياضي، للقيام بدورهم في توفير وسائل الإعلام بالمعرفة والأدوات اللازمة للتفاعل مع التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي بفعالية، مما يساهم في تعزيز قدرتهم على نقل الرسائل وزيادة الوعي حول قضايا الإستثمار في المجال الرياضي.

أهمية الدراسة من الناحية العلمية، والنظرية والفكرية

- يؤمل أن تمثل هذه الدراسة إضافة علمية بموضوعها، الذي يعد حاجة ماسة في عصرنا الحالي ومن الأدبيات التي تفتقر إليها المكتبات على حسب علم الباحثة.
- تتمثل في عرض إطار نظري علمي ومفيد عن أهمية الإستثمار في مجال الرياضة.
- يؤمل في هذه الدراسة توفير آفاق علمية وبخية لباحثين آخرين للخوض في مثل هذا المجال سعياً لإحداث التطور المنشود وإضافة معرفة جديدة للفكر الإقتصادي والرياضي والبحث العلمي لإحداث التغيير الإيجابي المطلوب.

- وهناك دوافع ذاتية ومجتمعية لأهمية الإستثمار:

أولاً: الدوافع الذاتية: حيث أن للباحث إتجاهات رياضية وبخية في مجال الإستثمار، وإستقطاب الفرص الريادية الداعمة للإقتصاد.

ثانياً: الدوافع المجتمعية: حيث من أهم الدوافع المجتمعية تحقيق إيرادات عالية ودعم قطاع الرياضة في الأردن.

1.5 منهجية الدراسة:

بعد الإطلاع على العديد من الدراسات اللازمة لإتمام هذا البحث تم إستخدام المنهج الوصفي، بإعتباره سرد ومشاهدة الشيء، وهو الطريقة أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث العلمي في تقصيه للحقائق العلمية، والذي يقوم على وصف الظواهر الإجتماعية الطبيعية كما هي في الواقع. جمع البيانات المستخدمة بالدراسة:

شملت البيانات المستخدمة في هذه الدراسة على بيانات أولية وبيانات ثانوية:

أ- البيانات الأولية:.

وهي البيانات التي قام الباحث بجمعها من مصادرها الأساسية وهي بيانات واقعية وأصلية تعبر عن مشكلة الدراسة، كدراسات الحالة.

ب- البيانات الثانوية:

هي مصادر البيانات التي تستخدم إذا ما تعذر الحصول على مصادر البيانات الأولية، وذلك أما تناول الموضوع بصورة غير مباشرة، بحيث يتم جمعها من المصادر المكتبية ومن مراجعة الدراسات السابقة، وتعزز هذه البيانات الجانب النظري عن طريق الأطر والأسس العلمية وتمثل هذه البيانات في ما يلي:

- المراجع والكتب ذات العلاقة بموضوع التخطيط الإستراتيجي وإدارة الأزمات. المواد العلمية والرسائل الجامعية والتقارير المختصة بموضوع الدراسة.

1.6 مصطلحات البحث:

الإستثمار لغة: مشتق من الثمر أي حمل الشجر والثمر هو المال والولد والذهب والفضة والمال المتثمر ويقال ثمر ماله أي نماءه، والإستثمار هو توجيه وتشغيل المال بقصد تحقيق ربح إقتصادي بغية زيادته ونموه. (عبد القادر. 2019).

الإستثمار الرياضي اصطلاحاً: زيادة في رأس المال عن طريق إستخدامه في عدة أنشطة تدر دخلاً في قطاع الرياضة.. (رزوق. 2012).

الإستثمار الرياضي إجرائياً: هو نشاط يستقطب الكثير من المال، كتخصيص رأس المال والموارد وإمكانية تحقيق أرباح مالية كبيرة، مقارنة بالمجالات التقليدية.

الإستثمار من وجهة نظر الباحث: القدرة على شراء أصول رأسمالية بقصد توفير مصدر جديد للدخل.

الإستثمار اصطلاحاً: هو عملية من عمليات إستغلال رأس المال بغية تحقيق فائض مالي وهو تكوين رأس مال وإستخدامه بهدف تحقيق الربح في الأجل القريب أو البعيد بشكل مباشر أو غير مباشر. (أبو قحف. 1988).

الإستثمار إجرائياً: هو شراء وبيع الأدوات الخاصة بالإستثمار المالي ممثلة بالأوراق المالية مثل الأسهم والسندات لتحقيق عوائد تناسب مع مستوى المخاطرة التي يتحملها الفرد، وهذا النوع من الإستثمار غير حقيقي لأنه لا يؤدي إلى زيادة الطاقة الإنتاجية في المجتمعات. (المالكي. 1988).

الإستثمار من وجهة نظر الباحث: هو عملية شراء لأصول ذات قيمة تدعى الأصول الرأسمالية، يشترها المستثمر وفقاً لتوقعات خاصة بالإقتصاد ومؤثراته، إما بإرتفاع قيمتها مع مرور الوقت، وإما لتوفير مصدر دخل.

الرياضة لغة: مصدر راض يروض روضاً، ورياضاً أي ذلل، يقال راض المهر، وراض نفسه بالتقوى، وراض القواني الصعبة أو ذللها. (القاموس المحيط. 2009).

الرياضة اصطلاحاً: هي مجهود جسدي أو مهارة تمارس وفق قواعد محددة متفق عليها بهدف المنافسة أو الترفيه أو تقوية الثقة بالنفس. (الداودي. 2020).

الرياضة إجرائياً: هي مجهود جسدي أو مهارة تمارس بموجب قواعد معينة بغية الترفيه والمنافسة والمتعة، أو التميز أو تطوير المهارات وتقوية الثقة بالنفس والجسد.

الرياضة من وجهة نظر الباحث: هي مجهود جسدي أو مهارة تمارس وفقاً لقواعد متفق عليها بهدف الترفيه.

1.7 حدود الدراسة:

الأردن

1.8 الدراسات السابقة:

دراسة محمد، محمود، سلامة. 2021، طرق وأساليب الاستثمار في المجال الرياضي بجمهورية مصر العربية، هدفت هذه الدراسة إلى تحديد طرق وأساليب الاستثمار في المجال الرياضي وإستخدام الباحثون المنهج الوصفي لملائمته لطبيعة هذه الدراسة ومن نتائج هذه الدراسة إنشاء شركات مساهمة للخدمات الرياضية والاستثمار عن طريق بيع تذاكر المباريات، وأوصت الدراسة بضرورة إقامة مصانع لصناعة الأدوات والآلات الرياضية والاستثمار عن طريق عقود الإنقاذ.

دراسة إسماعيل، مدياني. 2020، أثر الاستثمار في رأس المال البشري على النمو الاقتصادي في الدول العربية، دراسة قياسية لمجموعة من الدول العربية خلال الفترة (1990-2018)، هدفت هذه الدراسة إلى قياس أثر الاستثمار في رأس المال البشري على النمو الاقتصادي في مجموعة الدول العربية خلال الفترة ما بين 1990-2018 باستخدام نموذج بانل الساكن، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج هي غياب تأثير نسبة الالتحاق بالتعليم الابتدائي والتعليم الثانوي على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، وأوصت الدراسة بضرورة إدخال تعديلات على المنظومة التعليمية للدول العربية على مستوى المناهج والهيكل.

دراسة مقصود عبد القادر. 2019، فعالية مناخ الاستثمار لجذب الاستثمار بالمؤسسات الرياضية، دراسة ميدانية لمديرية الشباب والرياضة لولاية أدرار، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة فعالية المناخ الاستثماري في جذب الاستثمار الرياضي في المؤسسات الرياضية وإعتمدت الرياضة المنهج الوصفي وإستخدام الاستبيان كأداة لجمع البيانات وجاءت عينة البحث مكونة من (38) فرداً ومن أهم نتائج الدراسة: أن مختلف الإجراءات والسياسات المتبعة والتحفيزات الممنوحة لفائدة المستثمرين ورجال الأعمال، وأوصت الدراسة بتدعيم وإنعاش الاستثمار في المجال الرياضي على المستوى الوطني والمحلي.

دراسة السواعي. 2017، أثر الاستثمار الأجنبي المباشر على المتغيرات الكلية في الإقتصاد الأردني، هدفت هذه الدراسة إلى الحصول على الأدلة التجريبية حول تأثير الاستثمار الأجنبي المباشر على بعض المتغيرات الكلية للإقتصاد الأردني للفترة 1980-2013، باستخدام طرق تحليل السلاسل الزمنية كنموذج متجه تصحيح الخطأ، لبيان إتجاه العلاقة السببية بين المتغيرات، ومن نتائج هذه الدراسة وجود أدلة على إتجاه إيجابي لسببية غراينجر من تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الناتج المحلي الإجمالي وإلى الصادرات والمستوردات على المدى القصير والطويل، وأوصت الدراسة بدعم الإقتصاد المحلي وتشجيع الاستثمار. وتوفير بيئة إستثمارية جيدة لجذب وتوطين الإستثمارات الأجنبية.

دراسة محمد 2016، إستراتيجية مقترحة للإستثمار في المجال الرياضي، هدفت هذه الدراسة إلى وضع إستراتيجية للإستثمار الرياضي بجمهورية مصر العربية وإستخدمت الدراسة المنهج الوصفي وإستخدام الاستبيان وتحليل الوثائق وكات العينة (152) فرد، ومن أهم نتائج الدراسة أهمية وجود رسالة للإستثمار الرياضي وتطوير الإقتصاد وعدم وجود آلية واضحة لفض المنازعات في الإستثمار، وأوصت الدراسة بتعزيز أهمية وجود التسهيلات الإدارية للمستثمرين للحفاظ على حقوقهم وتشجيع الإستثمار الرياضي.

1.9 التعقيب على الدراسات السابقة:

تشابهت دراسات البحثية مع دراسة (سلامة) بالتحدث عن الإستثمار في المجال الرياضي ودراسة " مقصود" بتهيئة الإستثمار المناسب لجذب الإستثمارات الرياضية، وتشابهت دراستي مع دراسة (العجيلي)، بتناول المعوقات، الخاصة بالإستثمار لكن تم ذكر حالة مصر، في دراسته، وتم تناول (الأردن) في دراستي، وإختلفت دراستي عن دراسة "محمد" بأن الأخير تناول في دراسته إستراتيجية مقترحة للإستثمار في المجال الرياضي، وتتضح الفجوة البحثية بأن دراستي تناولت آفاق مستقبلية للإستثمار في الأردن، ومشروعات مقترحة مدروسة بخطط إستراتيجية لتطوير وتفعيل الإستثمار على أرض الواقع.

الفصل الثاني: الإستثمار في المجال الرياضي (مستقبل واعد للإقتصاد العالمي).

2. ماهية الإستثمار:

بات من الضروري على الدول العربية الإستثمار في العنصر البشري وإعطاؤه أهمية كبيرة من خلال التعليم والتدريب ليشكل دعامة لإقتصادها حيث يرفد النمو الإقتصادي لكافة الدول العربية خاصة النامية، وتوضحت خلال السنوات الآتية الوعي بقيمة الإنسان كهدف ووسيلة في منظومة التنمية الإقتصادية وأصبح طريق إيجابي للإندماج في منظومة الإقتصاد. (إسماعيل، مدياني، 2020).

للإستثمار أهمية كبرى في التنمية الإقتصادية وله دور إيجابي أيضاً في الإقتصاد، حيث يوفر التمويل اللازم للعديد من مشروعات التنمية ويدفعها للأمام ويزيد قدرتها على الإنتاج ومنافسة الأسواق العالمية. (فرج، 2016).

يعرف الإستثمار بأنه: عملية توجيه كافة الموارد والأموال إلى أصول أو مشاريع بغية تحقيق عوائد مالية في المستقبل، وهو عنصر أساسي في النمو الإقتصادي ويسهم في خلق فرص عمل جديدة وتوسيع الإنتاج، إن الارتباط الوثيق بين عمليات الإستثمار والإقتصاد تعمل على تعزيز النمو الإقتصادي وتحفيز الأنشطة التجارية والإستثمارية عند توجيه الأموال إلى المشاريع وخلق فرص عمل جديدة وتعزيز الإبتكار، ويعمل الإستثمار أيضاً على بناء المشاريع الجديدة وتطوير البنية التحتية للمجتمع ويسهم في تحسين الخدمات المقدمة للمجتمع، وتوفير عدة فرص تنمية للشباب، وتحسين جودة الحياة (DEAL، 2020).

2.1 دوافع الإستثمار والعوامل المؤثرة فيه:

توصف عملية الإستثمار بأنها إيداع الأموال والموارد في نشاط معين لتحقيق عوائد مستقبلية إستثمارية، ويتم الإستثمار لتحقيق الأرباح أو زيادة قيمة المال على المدى الطويل، ويكون في مجموعة من الأصول كالعقارات والأسهم والسندات والعديد من الأعمال التجارية.

للإستثمار عوامل ومؤثرات عديدة أذكر منها:

- الرغبة في الربح: أي العلاقة بين الإستثمار والربح علاقة طردية.
- التفاؤل والتشاؤم: أي النظرة المستقبلية للإستثمار.
- التقدم التكنولوجي: والتقدم العلمي الذي نشهده في العصر الحالي من رقي وإزدهار والزيادة في الطلب على الخدمات.
- بناء رأس المال الإجماعي: وبناء الكوادر العالمية المهنية في كافة القطاعات الحيوية.
- الإستثمار لغاية النمو الإقتصادي: فهو يعتبر مفتاح رئيسي للتنمية الإقتصادية.
- الإستقرار الأمني السياسي والإقتصادي، لأن الإستثمار يحتاج إلى سياسة ملائمة تعطي حرية ضمن إطار الأهداف العامة للقطاع الخاص في الإستيراد والتصدير. (جنيعر، 2000).

2.2 الرياضة والإقتصاد توأمان متلازمان: (الإستثمار والرياضة معاً لدفع التغيير الحقيقي).

للقطاع الرياضي أهمية كبيرة في بناء إقتصاد متماسك قوي ودفع التغيير الحقيقي، وإضافة نتائج إيجابية على مخرجات الإقتصاد، فالرياضة قطاع له دوره في الإقتصاد، ومصدر دخل قوي لما فيه من العديد من المكاسب المالية، الأمر الذي دفع العديد من الدول المتطورة أن تستثمر في هذا القطاع وتطوره بغية الحصول على أهداف إنسانية وثقافية وإقتصادية، وللتنافس مع الدول المتطورة، ولا نستطيع إنكار أن الرياضة مصدر دخل قومي مهم للعديد من الدول، لما تحتوي عليه من مكاسب وأرباح وضرائب يتم فرضها على النوادي الرياضيين واللاعبين والسوق الرياضية التي تتكون من عدة مجالات منها: الصناعة، والألبسة، وإيرادات الأحداث الرياضية الحية. (وهيبة، 2022).

تعتبر الرياضة أداة فعالة للتكلفة بإمتياز ومرنة بنفس الوقت، لتعزيز أهداف السلام، والتنمية الإقتصادية، حيث تعد الرياضة من العناصر التمكينية المهمة للتنمية المستدامة بالإضافة إلى دورها في تشجيع التسامح والإحترام والتمكين الإقتصادي للشباب. (ليمكي، 2015).

لقد تطورت الرياضة في الآونة الأخيرة إلى قوة دفع اقتصادية تسهم في ردف الإقتصاد العالمي وإنشاء فرص عديدة لتنمية الإيرادات الوطنية وتحفيز الإستثمارات ونمو أسواق العمل بعد أن كانت وسيلة ترفيهية، ونستنتج أن هناك علاقة تكاملية بين الرياضة والإقتصاد فعلى سبيل المثال، لوحظ إهتمام الدول الأوروبية منذ عقود بإقتصاد الرياضة بصفتها قاطرة إقتصادية وإجتماعية، حيث أثار إهتمام إستثمارات الدول الخليجية التي تتوق جاهدة إلى تعزيز سياسات التنويع الإقتصادي، ودعم نمو القطاعات غير النفطية. (الوري.2023).

2.3 الإستثمار في مجال الرياضة:

باتت الرياضة أحد فروع الإقتصاد الحديث بالتزامن مع ممارسة الأنشطة الرياضية التي تعتبر ذات أهمية إقتصادية ثنائية بالنسبة للفرد والمجتمع، حيث تعمل على تنمية المهارات الحركية التي تعزز مستوى التعليم المهني ثم زيادة الإنتاج، وبالنسبة إلى المجتمع كتخصيص الأسرة ميزانية خاصة لشراء الملابس والأجهزة الرياضية، ويمكننا إعتبار الرياضة وسيلة دعاية ومجال إعلانات واسع الإنتشار والإستثمار والتسويق ورسوم حقوق البث التلفزيوني وعوائد الدعاية والإعلانات وتنظيم الفعاليات العالمية مثل كأس العالم والألعاب الأولمبية. (محمد.2016).

ويعتبر الإستثمار في المجال الرياضي من أكثر المصادر ربحاً في العديد من الدول المتقدمة، حول العالم، فقد حققت الرياضة إيرادات وصلت إلى نحو 500 مليار دولار في عام 2022، وفقاً لأبحاث شركة "ستاتستا" المتخصصة بالإحصائيات. (سكاينبوز.2023).

إن الإقتصاد والتنمية الإقتصادية والرياضة بشقيها التنافسي والترويجي يشكلان علاقة تلازمية مستمرة بوجود كافة الكيانين المساهمين في دفع عجلة التنمية، الإقتصادية للدولة، فالرياضة أحد فروع الإقتصاد الحديث وممارسة النشاط الرياضي يعتبر ذات أهمية إقتصادية، بالنسبة للمواطن فهناك تكامل صريح بين الأنشطة الرياضية والمصالح الإقتصادية للمؤسسات الرياضية، فالنظام الرياضي يقوم على دعائم إقتصادية، فالهدف الأول من هذه العلاقة التكاملية يتمثل في إعتداد الرياضة على الإقتصاد لتمويل أوجه النشاط التنافسي والترويجي، والهدف الثاني يتمثل في رعاية المصالح التجارية والإستهلاكية للرياضة كمصدر للربح وتنمية الموارد. (الجوشي.2022).

وبات الحجم الإقتصادي للرياضة العالمية مثيراً نوعاً ما، حيث أن حصة الرياضة في القيمة المضافة الإجمالية تصل إلى 2% في قطاعات مثل الترفيه والثقافة والتعليم والفنادق والمطاعم، إلى جانب النمو النسبي في معدلات التوظيف، وذلك حسب دراسة أعدتها الإتحاد الأوروبي. (الجوشي.2022).

2.4: أهمية التخطيط للإستثمار الرياضي:

يعتبر الإستثمار الرياضي نشاطاً يستقطب ويرفد النوادي الرياضية بالكثير من المال، مثل أندية كرة القدم أو كرة السلة، فهو نشاط مبني على أساس تسويق الحقوق الخاصة بكل فريق حسب نظام البلد الذي يتبعه النادي، فالرياضة حالياً هي وسيلة لتعزيز الإستثمار الإقتصادي، حيث يتحقق الإستثمار في مجال الرياضة عن طريق التوجه إلى التنويع الإقتصادي في مجال الرياضات المختلفة كإنشاء منشآت رياضية وتدريب لاعبين وتأسيس فرق رياضية متميزة.. (الغدير.2023).

ويعرف التخطيط بأنه عملية إتخاذ قرارات ووضع أهداف وإستراتيجيات للمستقبل وتنفيذها ومتابعتها، لذا فإن التخطيط الإستراتيجي وخاصة "التخطيط المالي" أمر هام جداً في مجال الإقتصاد وأخص بالذكر مجال الرياضة.. (جميع.2021).

ويتعاطف دور التخطيط المالي للإستثمار خاصة في مجال الرياضة لما تدر من عوائد مالية ترفد الإقتصاد بشكل متكرر، فيعمل التخطيط المالي على زيادة عائد الإستثمار ROI للأفراد والمؤسسات عن طريق وضع أهداف مالية حلية ورسم خارطة إستراتيجية لتمهيد الطرق لتحقيق تلك الأهداف، وإتخاذ قرارات فعالة حول كيفية تخصيص الموارد، ويعمل الإستثمار الرياضي الملحق بالتخطيط المالي على تحقيق أقصى

إستفادة من الموارد المالية، وزيادة الربحية، وتعظيم الإنتاج، وضمان إستثمار رياضي فعال على المدى الطويل..(Faster Capital.2024).

2.5 مراحل تخطيط الإستثمارات الرياضية:

مراحل تخطيط الإستثمارات الرياضية (إستراتيجية مترابطة:

هناك عدة خطوات يجب أن يقوم بها أي شخص يفكر بالإستثمار الرياضي أو إنشاء مشروع إنتاجي فهي مهمة جداً، وتكون هذه المراحل على الشكل التالي:

- مرحلة توليد الفكرة الإستثمارية الرياضية: فهي تولد عن حاجة إجتماعية معينة تنعكس في وعي المستثمر لتحقيق أرباح رياضية مستقبلية.
- عمل دراسات تخطيطية، تشمل دراسة السوق والدراسة الفنية والتمويلية: وتضم:
- دراسة حالة السوق الرياضي: وذلك لتحديد قوى السوق وكيفية عملها، وكيف تؤثر على المشروع الرياضي وتحديد الإمكانيات الإستهلاكية المتاحة، والتركيز على دراسة القوة الشرائية.
- الدراسة الفنية: أي الخروج بالمشروع الرياضي إلى عملية التطبيق. كالأندية الرياضية مثلاً.
- الدراسة التمويلية: أي ضمان توفر كافة الموارد المالية لتشغيل المشروع الرياضي والتخطيط وتصميم الهيكل التمويلي للمشروع.
- مرحلة دراسة الجدوى الإقتصادية: ، حيث يتم تقييم الأسعار الإقتصادية السائدة في السوق بعيداً عن أي تدخلات خارجية.
- مرحلة دراسة الجدوى الإجتماعية للمشروع: حيث أن للإستثمار الرياضي العديد من الأهداف الإجتماعية، فالحاجات الإجتماعية هي منطلق أي مشروع إستثماري، لأنها تكشف من خلال دراساتها عن طبيعة المنافع التي يحققها للمجتمع مقابل التكاليف التي يتحملها للمفاضلة بين المشروعات.(الحسناوي،2022).

2.6.: تحديات الإستثمار الرياضي في الأردن:

يمثل الإستثمار ركيزة أساسية في بناء الإقتصاد الوطني وهو المحرك الأساسي له، وإن ضعف الآليات الترويجية الخاصة بعملية الإستثمار تشكل عاملاً رئيسياً في إعاقة عجلة النمو الإقتصادي، يواجه الأردن تحديات متنوعة بعملية إستقطاب الإستثمارات، بسبب ضعف الترويج، خاصة وسط المنافسات القوية مع الدول المجاورة ، وتبقى البيروقراطية، وعدم الوضوح عقبات أمام المستثمر المحلي والأجنبي. وهناك العديد من التحديات التي تواجه الإستثمار في مجال الرياضة، حيث إن مؤسسات النشاط الرياضي تتعرض للعديد من المعوقات والتحديات بيد إنشائها وتحد من نجاحها لذا يجب أن تتوفر بنية معرفية لإتباع خطوات ممنهجة للحد من ذلك. ويواجه الأردن تحديات متنوعة بعملية إستقطاب الإستثمارات جراء ضعف الآليات الخاصة بالترويج خاصة وسط المنافسة القوية من دول المنطقة، ولا تزال عدم وضوح الكلف وضعف الشفافية عقبات أمام المستثمر المحلي والأجنبي، وهناك تحديات خاصة للسياسات والإجراءات حيث وجب إعادة هيكلتها، لتعزيز الجاذبية الإستثمارية وتعزيز الشراكات مع القطاع الخاص، وتحسين البيئة الإستثمارية.(ملكوي،2024) ومن هذه التحديات أذكر: (العجيلي،1999)

- المخاطر المالية: أي التعرض لخسارة جزء أو كل من رأس المال المستثمر في الأسواق المالية.
- قلة المعرفة والخبرة: وتحديدأ في فهم الأسواق المالية وتحليل البيانات المالية يتطلب مهارات عالية.
- قلة السيولة المادية: حيث إذا تم الإحتياج إلى سيولة سريعة، يجد الأفراد صعوبة في إستعادة الأموال المستثمرة.
- التغيرات السياسية والإقتصادية: كالتدهور الإقتصادي والأزمات العالمية.

- التوقيت السيء: أي الدخول في الإستثمار لمشاريع رياضية في فترة تقلبات الأسواق أو الركود الإقتصادي.(DEAL.2020).
- هناك بعض القوانين التي تحد من الإستثمار في المجال الرياضي وتنبطه.

2.7 الإجراءات التي إتبعها الحكومة الأردنية لتشجيع الإستثمار الرياضي ومواجهة التحديات

كانت الرياضة لفترة طويلة خارج الإهتمامات الخاصة بتنمية الإقتصاد، لكن أثبتت الشواهد الحديثة، إتصال الرياضة بشكل وثيق بالقيم الإستهلاكية والإنتاج، فهي تدخل في إطار الدورة الإقتصادية سواء بإعتبارها منتجاً وشريكاً أو قيمة مضافة.

وبات الإستثمار الرياضي حول العالم يقدر بالمليارات، وكان للمؤسسات التجارية في الأردن دوراً بارزاً خلال الفترة المقبلة في الإسهام في نمو الإقتصاديات الخاصة، بالأردن من خلال الإستثمار الرياضي، وخطوة تحويل الأندية إلى شركات، فقد تم توجيه الأموال في مختلف دول العالم في الآونة الأخيرة للإستثمار بالرياضة، وأصبحت صناعة من الصناعات ذات مردود إقتصادي، وتم مناقشة الخصخصة في الأردن لفتح العديد من المشاريع الإقتصادية بإسم الأندية والمنتخبات والإستعانة بالخبرات من الخارج.(المرافي.2009).

ومن منطلق أن الحياة هي التطور في ظل التعامل مع الواقع ومتطلباته، قامت الأردن بطرح مشروعاً إستثمارياً رياضياً، وتطبيق حلول عملية للمدينة الرياضية في عمان كإستثمار أراضي المدينة، وبيع باقي الأراضي التي تقوم عليها المدينة الرياضية، ونقل مكاتبها بعيداً عن الإزدحامات المرورية والسكانية، وأن يتولى صندوق رأس المال والإستثمار الأردني هذه المهمة بالتعاون مع صندوق إستثمار أموال الضمان الإجتماعي بإستملاك أراضي المدينة الرياضية وتنفيذ المشاريع والبنى التحتية الجديدة، وعمل الأردن أيضاً على رفع سوية البنية التحتية الرياضية التي سوف تنعكس على المستوى الرياضي والبناء على الإنجازات التي تحققتها الفرق الرياضية الأردنية في المحافل العالمية والقارية..(الدياس.2024).

2.6 وبناءً عليه أوجز بعض الخطوات لدعم الإستثمار في المجال الرياضي:

إن تطور المنظومة الرياضية لا يكون إلا من خلال العلم ونتائج الأبحاث،لذا نرى الدول المتقدمة في المجال الرياضي تهتم إهتماماً بالغاً بالقمم والمؤتمرات العلمية في مختلف المجالات الرياضية وإحدى خطوات دعم الإستثمار في مجال الرياضة تكون عن طريق إدارته وإستيعابه في المجال الرياضي، وإعتباره مؤشر لتحقيق التمويل الذاتي بالإضافة إلى تغيير التفكير التقليدي لأهداف إنشاء الأندية الرياضية على سبيل المثال، والإنتقال من جانب اللهو والتسلية إلى عالم الإستثمار والإحتراف، والمال في مجال الرياضة، وتطوير العلاقات، الإقتصادية بين الدول، وتفعيل قوانين وتشريعات تسهل إقامة الفعاليات الرياضية بين الدول وتعزيز قيم المنظومة الرياضية فيها، وتوفير المناخ الإقتصادي والإجتماعي الداعم لبيئة الإستثمار في الرياضة من خلال تقوية السوق الرياضي بشكل فعال لتأمين المكان والزمان، المناسبين للجمع بين رغبة المستثمر في إستثمار أمواله، ورغبة المؤسسات الرياضية في الحصول على هذه الأموال.(الملا.2023).

النتائج:

- أهمية الرؤية الخاصة بالإستثمار الرياضي في النمو الإقتصادي.
- هناك العديد من طرق الإستثمار في المجال الرياضي،فهناك الإستثمار عن طريق إستضافة الأحداث الرياضية الكبرى، والإستثمار عن طريق الدعاية والإعلان، والإستثمار عن طريق برامج السياحة الرياضية وإقامة المعسكرات الرياضية.
- إن الإستثمار في المجال الرياضي يعتبر من المشروعات الناجحة جداً، التي تفيد الإقتصاد الوطني وترشد النمو الإقتصادي.
- إن القوانين التي تشرع للإستثمار في مجال الرياضة تحقق قفزة نوعية في إنعاش الرياضة.رياضة و الإستثمار فيه وتمويله.
- هناك العديد من التحديات والمعوقات التي تواجه قطاع الرياضة والإستثمار به.

- عمل الأردن على تطوير إستراتيجيات وخطط وطنية للنهوض بالإستثمار الرياضي.
- تعمل بيئة العمل الخاص بالإستثمار في الشأن الرياضي على إنعاش النشاط الرياضي.
- يتعرض الإستثمار في المجال الرياضي إلى العديد من التحديات الإقتصادية والثقافية والإجتماعية.
- إن الإستثمارات أحد العناصر الداعمة لتحقيق الأندية الرياضية لأهدافها.
- إن فرص الإستثمار في مجال الرياضة من أهم المجالات التي تعنى بها الدول العربية في وقتنا الحالي.

التوصيات:

- ضرورة الإستفادة من كافة أشكال الإستثمار المختلفة في المجال الرياضي.
- تعزيز الإستفادة في كافة التجارب السابقة في مجال الإستثمار الرياضي وتطبيقها.
- الحث على الإهتمام بالبنية التحتية للمنشآت الرياضية بغية جذب رؤوس الأموال.
- الحث على إنشاء شركات مساهمة للخدمات الرياضية لإستثمار الأموال فيها والإستفادة المستقبلية.
- تحديث خطط ممنهجة لإستضافة الأحداث الرياضية الكبرى مثل الأولمبياد، للعائد المادي الذي يعود على البلد من خلال السياحة الرياضية.
- إقتراح طرق جديدة لطرق الإنفاق على الإستثمار في المجال الرياضي.
- ضرورة تنمية الوعي الثقافي والعلمي والرياضي المترابط إرتباطاً وثيقاً بالإقتصاد الوطني.
- تكاتف جهود القطاعين العام والخاص في الأردن لتعزيز آليات الترويج للإستثمار.

المراجع:

1. Faster Capital.2024، التخطيط المالي، كيف يمكن للتخطيط المالي تحسين عائد الإستثمار،مقال.
2. أبو قحف عبد السلام.1988،السياسات والأشكال المختلفة للإستثمارات،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية.
3. إرتيكا.2023،مجالات الإستثمار الرياضي والأعمال، فرص الإستثمار في مجال الرياضة وتحقيق الأرباح،مقال ،شركة إرتقاء لدراسات الجدوى.
4. براهيم إسماعيل،محمد مدياني.2020،أثر الإستثمار في رأس المال البشري على النمو الإقتصادي في الدول العربية- دراسة قياسية لمجموعة من الدول العربية خلال الفترة (1990-2018)،بحث،مجلة آفاق علمية،مجلد 12،عدد 5،ص 576-576
ISSN:1112-9336,597
5. جميع،نبيلة، جميع وفاق.2021،التخطيط الإستراتيجي للإستثمار في الموارد البشرية، كمدخل لتحقيق التنمية في البلاد العربية،قراءة في تجربة ماليزيا،ASJP، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية،volume 10,Numero 2,pages 124-145
6. جنير، كاظم جليل.2000،العوامل المؤثرة في الإستثمار (دوافع الإستثمار)مقال، كلية العلوم السياحية،جامعة كربلاء.
7. الجبوشي،يحيى.2022،العلاقة المتبادلة بين الإقتصاد والرياضة،مقال،صحيفة مال.
8. الحساوي، سالم هلال.2022،مراحل تخطيط الإستثمارات، الإدارة المالية الحديثة، كتاب،ص 72-75.
9. الخوري،علي محمد.2023،القوة الإقتصادية للرياضة: الفرص والإستراتيجيات ،مركز الإتحاد للأخبار،تقرير.
10. الداودي،تامر.2020،الرياضة- تعريف-فوائد-أهمية-أنواع،المكتبة الرياضية الشاملة،مقال.

11. الدباس، محمد علي. 2024، بيع المدينة الرياضية، التفكير خارج الصندوق نحو استثمار رياضي محترف، رؤيا نيوز، تقرير.
12. ديل. 2020، أهمية الاستثمار وعوائقه، تقرير، www.deal-tr.com.
13. رحال، مصطفى حسين. 2011، أثر قانون ضريبة الدخل المؤقت رقم 28 لسنة 2009، في تشجيع الاستثمار في الأردن، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط.
14. رزوق، محمد أحمد عبدة. 2012، إستراتيجية الاستثمار الرياضي في المؤسسات الرياضية، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
15. سكاى نيوز عربية. 2023، الاستثمار في الرياضة الإيرادات تسجل رقماً قياسياً في 2022، تقرير.
16. السواعي، خالد محمد. 2017، بحث، Global Journal Of Economic And Business، المجلد 3 العدد 1، ص 62-95.
17. شهاب، خديجة عبد الله، الضناوي، محمد أمين. 2022، الرياضة والإقتصاد توأمان يتلازمان، تقرير، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، لبنان.
18. عبد القادر مقصود. 2019، فعالية مناخ الاستثمار في جذب الاستثمار الرياضي داخل المؤسسات الرياضية (دراسة ميدانية لمديرية الشباب والرياضة لولاية أدرار، بحث، مجلة الإبداع الرياضي، ASJP، volume 10, Numero 4K، >301-319 pages.
19. العجيلي، أشرف محمود حسين. 1999، معوقات الاستثمار في المجال الرياضي في جمهورية مصر العربية، رسالة ماجستير جامعة، جامعة حلوان، كلية التربية الرياضية، مصر.
20. الغدير، علي. 2023، الاستثمار الرياضي أهميته وكيف يتحقق، تقرير إلكتروني، مجلة رواد الأعمال.
21. القاموس المحيط. 2009، تاج العروس، ص 83.
22. ليمكي، ويلفريد. 2015، دور الرياضة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وقائع الأمم المتحدة، تقرير.
23. المالكي، عبد الله. 1988، حديث الإقتصاد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن.
24. محمد، أشرف صبحي، محمود أحمد كمال، سلامة إسلام عرفة علي. 2021، طرق وأساليب الاستثمار في المجال الرياضي بجمهورية مصر العربية، بحث، المجلة العلمية للتربية البدنية وعلوم الرياضة كلية التربية الرياضية للبنين بالهرم، جامعة حلوان، Doi 10.21608/jsbsh.2021,6875.3.1584
25. محمد، عادل رضوان. 2016، إستراتيجية مقترحة لإدارة الاستثمار الرياضي بالأندية الرياضية بجمهورية مصر العربية باستخدام الحوسبة الخضراء، المجلة العلمية للبحوث والدراسات في التربية الرياضية، مقال، مجلد 32، العدد 32، عدد 32، ص 387-387 10.21608/JSPS.48660,334
26. المرافي، زيد. 2009، مشاريع الاستثمار في الرياضة بين التشريع والجدوى الاقتصادية، مقال، جريدة الرأي، جريدة إلكترونية.
27. الملا، فيصل. 2023، قمة الرياضة وإدارة الاستثمار المستدام، تقرير، الأيام، جريدة إلكترونية.
28. ملكاوي، صالح. 2024، إقتصاديون: الأردن يواجه تحديات متنوعة بعملية إستقطاب الإستثمارات، مقال، المملكة، قناة إخبارية إلكترونية.

السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط: تحليل لتوجهات إدارات ترامب وبايدن

أ. محمد حباظة/ باحث في العلوم السياسية

المستخلص:

سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال الإدارتين المتتاليتين "دونالد ترامب" و "جو بايدن"، وقد توصلت الدراسة إلى أن العلاقات بين البلدين في ظل إدارة الأول في مجملها شهدت تحسنا ملحوظا عكس إدارة الأخير، وكذا تناولت الدراسة اتجاهات السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، وقد توصلت الدراسة إلى أن إدارة دونالد ترامب كانت الإدارة الأكثر دعما لإسرائيل منذ قيام الكيان الصهيوني على الأراضي الفلسطينية، وتوصلت الدراسة إلى أن العلاقة بين الخرطوم وواشنطن شهدت انفرجا بعد انتفاضة ٢٠١٩ التي أطاحت بنظام البشير، لكن مع قدوم إدارة بايدن لم تضع السودان في حساباته فكان الإهمال سيد الموقف، كما تناولت الدراسة موقف كلا من ترامب و بايدن من الانسحاب من أفغانستان وسياسة كلا منهما تجاه كابول، ثم تطرقت الدراسة إلى موقف الإدارتين من الملف النووي الإيراني والعلاقة مع طهران في مجملها، و أيضا سعت الدراسة إلى الكشف عن سياسة كلا من ترامب و بايدن تجاه الأزمة السورية وقد توصلت الدراسة إلى أن الملف السوري لم يكن موجودا في أجندة عمل كلا من إدارة بايدن و ترامب، وسلطت الدراسة الضوء على سياسة كلا من بايدن و ترامب تجاه أنقرة، وقد لوحظ أنها تحسنت بشكل كبير في ظل إدارة ترامب من حيث الشكل، ولكنها شهدت تراجعاً في ظل إدارة بايدن لأسباب كثيرة، وأخيرا وضعت الدراسة السيناريوهات المستقبلية لسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، في ظل الإدارة الأمريكية الجديدة، وذلك نتيجة لقرب موعد إجراء الانتخابات الأمريكية والمقرر عقدها في 5 نوفمبر 2024.

الكلمات المفتاحية: سياسة الإدارة الأمريكية، الشرق الأوسط، إدارة ترامب، إدارة بايدن

Abstract:

This study sought to shed light on US policy towards the Middle East during the two successive administrations of "Donald Trump" and "Joe Biden". The study concluded that relations between the two countries under the administration of the former in general witnessed a noticeable improvement, unlike the administration of the latter. The study also addressed the trends of US policy towards the Palestinian issue, and the study concluded that the administration of Donald Trump was the most supportive of Israel since the establishment of the Zionist entity on Palestinian lands. The study concluded that the relationship between Khartoum and Washington witnessed a breakthrough after the 2019 uprising that overthrew the Bashir regime, but with the arrival of the Biden administration, it did not take Sudan into account, so neglect was the master of the situation. The study also addressed the position of both Trump and Biden on the withdrawal from Afghanistan and the policy of each of them towards Kabul. Then the study touched on the position of the two administrations on the Iranian nuclear file and the relationship with Tehran in general. The study also sought to reveal the policy of both Trump and Biden towards the Syrian crisis. The study concluded that the Syrian file was not present on the agenda of both the Biden and Trump administrations. The study shed light on the policy of both Biden and Trump towards Ankara, and it was noted It has improved significantly under the Trump administration in terms of form, but has declined

under the Biden administration for many reasons. Finally, the study sets out future scenarios for US policy towards the Middle East under the new US administration, as a result of the approaching date of the US elections, scheduled for November 5, 2024.

Keywords: US administration policy, Middle East, Trump administration, Biden administration.

المقدمة :

أثار فوز الرئيس جو بايدن في السباق الانتخابي المنصرم حملة من التساؤلات حول معالم وتوجهات الإدارة الأمريكية الجديدة تجاه الشرق الأوسط، فالمنطقة تحظى باهتمام بالغ من قبل واشنطن نظرا لما تدخر به المنطقة من أهمية استراتيجية بالغة ، حيث الممرات البحرية لك قناة السويس ومضيق باب المندب ومضيق هرمز، إضافة إلى البحار والمحيطات التي تشرف عليها دول المنطقة ، وكذا الأهمية الاقتصادية والتي يقع علي رأسها خام النفط ، حيث تعد منطقة الشرق الأوسط الأكبر من حيث احتياطات النفط في العالم، ونتيجة لسياسة الانعزالية التي اتبعتها " دونالد ترامب " تجاه العالم بشكل عام والشرق الأوسط بشكل خاص، فرض بدوره العديد من التحديات علي الإدارة التالية في ضوء ذلك يسعى هذا التقرير إلي تسليط الضوء على السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال الإدارتين المتتاليتين " دونالد ترامب " و " جو بايدن " ، للكشف عن الثابت والمتغير في سياسة كليهما تجاه ملفات الشرق الأوسط المتعددة، وعلي الرغم من ذلك إلا أن هناك مجموعة من المحددات والثوابت في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، ثابتة بغض النظر عن تغير الإدارات وطبيعة الشخصيات ، موضوعة دائما في قائمة عمل كلا من الحزبين الجمهوري والديمقراطي وهما :

١. دعم الكيان الإسرائيلي وضمان تفوقه عسكريا واقتصاديا علي محيطه الإقليمي.

٢. ضمان أمن الطاقة ووصولها إلى أمريكا وحلفاء واشنطن الغربيون.

٣. محاولة ربط دول المنطقة بواشنطن ومواجهة الدور المتزايد لكلا من روسيا والصين بالمنطقة.

في مستهل حملته الانتخابية ، انتفض جو بايدن سياسة سائلة دونالد ترامب في التعامل في كثير من ملفات الشرق الأوسط، كالبرنامج النووي الإيراني وغيره .

أولاً:- سياسة بايدن و ترامب تجاه الشرق الأوسط:- فرضت سياسة دونالد ترامب تجاه الشرق الأوسط مجموعة من التحديات والعقبات علي إدارة بايدن، وكان علي الأخيرة أن تتعامل بمنهج وطريقة تختلف عن السابقة فيما يتعلق بالملفات الشرق أوسطية ، خاصة أن واشنطن حاضرة في معظم ملفات الشرق الأوسط إلام يكن كلها .

في البداية لم يهتم المرشح الرئاسي جو بايدن ، بتوضيح برنامجه للشرق الأوسط أثناء حملته الانتخابية ، فرغم وجود قسم مهم عن السياسة الخارجية في البرنامج الانتخابي لبايدن، إلا أن هذا الجزء لم يشمل شيئا مفيدا يخص الشرق الأوسط، اللهم إلا الانتقاد الذي تكرر مرارا لقيام الرئيس السابق ترامب بالانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران¹ ، وبالتالي لم يضع بايدن في برنامجه الانتخابي النقاط علي الحروف فيما يتعلق بسياسة المستقبلية تجاه الشرق الأوسط.

1 جمال عبد الحواد، اتجاهات السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في عهد بايدن، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢١.

مع وصول الرئيس بايدن إلى البيت الأبيض، أعطي اهتماما أكبر بالشئون الداخلية، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من مشكلات متنوعة وخطيرة ، من حيث وباء كورونا " كوفيد-19 "والذي عصفت بأرواح الآلاف من الأمريكيين، في ظل إدارة ترامب السيئة فيما يتعلق بتعامل مع الوباء ، حيث أنا ترامب كان يتعامل مع الوباء باستخفاف أو إذا صح القول عدم المبالاة أو باعتباره " انفلونزا بسيطة" ، إضافة إلى حالة الركود الاقتصادي الذي تزامن مع وباء كورونا ، وأيضا سيطرة حالة من العنصرية في الشارع الأمريكي علي أثر مقتل جورج فلويد ، وهو موطن أمريكي من أصول أفريقية علي يد مجموعة من رجال الشرطة في مدينة مينيابوليس في ولاية مينيسوتا ، وفي هذه الأثناء اتسع نطاق التظاهرات ولم تقتصر التظاهرات في ولاية مينيسوتا وحدها، ولكن اتسع نطاق التظاهر ليشمل العديد من المدن الرئيسية بالولايات المتحدة الأمريكية والذي شمل ما يقرب من ١٥٠ مدينة أمريكية وفقا لبعض التقديرات ،وهذا فرض علي الإدارة الجديدة إعطاء اهتمام أكبر بالأوضاع الداخلية لها في محاولة لإصلاح الأوضاع المتراكمة .

كانت إدارة بايدن أكثر اهتماما خاصة خلال العامين الأولين من توليه ، بموجهة النفوذ الصيني المتزايد في منطقة المحيطين الهندي والهادي " الاندوباسفيك" ، في مقابل اهتمام أقل بالمناطق الأخرى ومنها الشرق الأوسط، غير أن الأحداث الإقليمية والدولية سارعت في التغيير ، من قيام الحرب الأوكرانية إلى الصراع في السودان ، إضافة إلى الحرب في غزة ، وتداعيات ذلك علي المصالح الأمريكية في المنطقة، وهو ما فرض علي الولايات المتحدة الأمريكية إعادة ترتيب أوراقه في منطقة الشرق الأوسط.

١.السياسة الأمريكية تجاه مصر بين بايدن وترامب:- ارتبطت مصر والولايات المتحدة بعلاقات استراتيجية وثيقة ، حيث تلعب الولايات المتحدة دورا رائدا في كافة القضايا العالمية والإقليمية، في حين تلعب مصر دورا محوريا في الشرق الأوسط وأفريقيا والعالم الإسلامي¹ ،وعلي الرغم من ذلك فإن العلاقات المصرية- الأمريكية منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تسير علي وتيرة واحدة ، فقد كانت هناك حالة من التوتر والتصدد خلال عهد الرئيس جمال عبد الناصر والذي بلغ ذروته بعد أحداث ٥ من يونيو ١٩٦٧ ،حيث قطعت مصر العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية، واستمر الأمر علي هذا النحو حتي استؤنفت العلاقات مرة أخرى بعد نصر أكتوبر، في محاولة لإرساء دعائم السلام بين الطرفين المتحريين ، والتي انتهت بتوقيع الطرفين المصري والاسرائيلي معاهدة السلام عام ١٩٧٩ .

وقد شهدت العلاقات المصرية- الأمريكية تحسنا واضحا مع وصول الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، بعد حالة من الجمود سيطرت علي البلدين في عهد الرئيس باراك أوباما ، نظرا إلى انسجام المواقف حول عدد من قضايا الشرق الأوسط وفي مقدمتها محاربة الإرهاب ووقف انتشار الإرهاب الإسلامي المتطرف، وكذلك التشاور حول عدد من الملفات بما في ذلك الصراعات الدائرة في ليبيا و سوريا و اليمن ، إضافة إلى دور مصر المحوري في محاولة إيجاد حلا للقضية الفلسطينية.

مع إعلان فوز بايدن في الانتخابات الرئاسية ٢٠ يناير ٢٠٢١ ،بدأت علامات قلق تظهر علي بعض دوائر نخبة الرأي العام المصري علي أساس أن بايدن سوف يكون امتدادا للرئيس أوباما ، الذي كان بايدن نائبا له لثماني سنوات ، وكان مبعث القلق هو توجهات إدارة أوباما

Egypt – US relations : New chapter under Biden's Administration, 2021, accessed July 2024 <https://www.dailynewsegypt.com/2021/07/04/egypt-us-11/relations-new-chapter-under-bidens-administration>

وسياساتها الإيجابية تجاه جماعة الإخوان المسلمين باعتباره جماعة إسلامية معتدلة وذات طبيعة توصلها لأن تكون جدار صد التنظيمات الإسلامية المتطرفة كتنظيم داعش والقاعدة¹.

وعلي الرغم من حرص الدولتين علي مواصلة التعاون فيما بينهما، إلا أن العام الأول من تولي بايدن الحكم، شهدت العلاقات المصرية-الأمريكية تراجعاً مقارنة بالعلاقة بين البلدين في عهد ترامب، فعلي سبيل المثال اتخذت إدارة الرئيس بايدن قراراً بتعليق ١٣٠ مليون دولار من المساعدات العسكرية وربطها ببعض الإجراءات في مجال حقوق الإنسان، كما كان التعاون العسكري والأمني بين البلدين متداني إلى درجة كبيرة.

وفيما يتعلق بملف سد النهضة، فقد شجعت الولايات المتحدة الأطراف المعنية نحو إيجاد حل دبلوماسي للأزمة، إذ كشف المتحدث الإقليمي باسم وزارة الخارجية سمويل وريبرغ، علي أن الإدارة الأمريكية مستعدة لتقديم أي مساعدات سلمية للأطراف الثلاثة²، مؤكداً أن بلاده تدرك أهمية مياه النيل بالنسبة للمصريين، وبالرغم من ذلك إلا أن تفاعل الولايات المتحدة الأمريكية وتعطيها مع هذا الملف لم يكن بالمستوى المطلوب.

ومع اندلاع الحرب الأوكرانية سعت الولايات المتحدة الأمريكية لتحسين علاقته بمصر لضمان وصول أمدادات الطاقة لها ولحلفائه الغربيين من منطقة الخليج عبر قناة السويس، كما أن التعاون المصري - الأمريكي كان وثيقاً منذ اندلاع الحرب علي الأراضي الفلسطينية في قطاع غزة في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، وكان التوافق في الرؤى واضحاً حول ضرورة إدخال المساعدات الإنسانية إلي القطاع، والعمل علي وقف إطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن ومنع توسيع دائرة الصراع، ولكن في مقابل ذلك مازال هناك حالة من الجفاء في العلاقات بين البلدين فيما يتعلق بالصراع الدائر في الجبهة السودانية، بين قوات الدعم السريع والجيش السوداني، في مقابل تعاون أكبر مع الجانب السعودي حيث أطلقت مبادرة جدة في ٥ مايو ٢٠٢٣، وتعد أولى مبادرات العمل علي وقف إطلاق النار، وتسهيل وصول المساعدات الإنسانية، بهدف التوصل إلى تسوية شاملة، وانعقدت هذه القمة في مدينة جدة برعاية الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية.

٢. السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية بين بايدن و ترامب:- تشكلت السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، والتراع العربي - الإسرائيلي، بعد الهزيمة التي أحقتها إسرائيل بالدول العربية في ٥ من يونيو عام ١٩٦٧، حيث شكل ذلك مرتكز قوة لدي إسرائيل كي تدخل ضمن الحسابات الإستراتيجية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وفي المقابل اعتبرت أمريكا أن الهزيمة إضافة لها ولرصيده في المنطقة، فهي بمثابة درعا واقيا قادرا علي صد الدول العربية الموالية للاتحاد السوفيتي، وهذا الأمر يعزز المصالح الأمريكية بالمنطقة³.

ومع تنوع الشخصيات الحاكمة واختلاف الإدارات الأمريكية تتنوع معها سبل التعاطي مع القضية الفلسطينية بين الانحياز والانحياز الكامل وفي بعض الأحيان محاولة الظهور بالشكل المعتدل، ومع ذلك الاختلاف يبقني من الأمور التي لا يجوز فيها الاختلاف هو ضمان أمن إسرائيل والمحافظة علي ذلك الكيان باعتباره من الثوابت الراسخة في السياسة الأمريكية.

1 أحمد يوسف أحمد، مصر وإدارة "بايدن"، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مارس ٢٠٢١.

2 منحة الخارجية الأمريكية بكينغ عن موقف بلاده من أزمة سد النهضة، المصري اليوم، ٢٠٢٢، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤، <https://www.almasryalyoum.com/news/details/2742230>.

3 عبدالله مصباح محمد أبو دابر، الوضع الفلسطيني من بين إطارى ترامب وبايدن، مركز باحث للدراسات ص ١.

وكان البرنامج الانتخابي لرئيس دونالد ترامب، الأكثر انخيازاً لإسرائيل، ففي برنامجه الانتخابي حدد ترامب سياسة تجاه القضية الفلسطينية والتي تمثلت في ضمان أمن إسرائيل، واعتبار إسرائيل الحليف الديمقراطي الوحيد في الشرق الأوسط، وضرورة اعتراف السلطات الفلسطينية بإسرائيل، واعتراف أمريكا بالقدس كعاصمة أبدية لدولة إسرائيل، وبخصوص الأخيرة، فقد أعلن الرئيس الأمريكي ترامب في ٦ ديسمبر ٢٠١٧ اعترافه بالقدس كعاصمة لإسرائيل، وأعلن عن خطة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وهو ما أثار موجة غضب واسعة، حيث أصبحت الولايات بذلك جزءاً من المشكلة وليس الحل، ومقروض لعملية السلام بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني.

فيما يتعلق بإدارة بايدن، فلم تضع الإدارة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني علي رأس أولوياتها، غير أن الأحداث الأخيرة جعلت الولايات المتحدة تعطي أهمية أكبر للقضية الفلسطينية، وعلي الرغم من ذلك فقد أشار الرئيس بايدن في أكثر من مناسبة أن حل الدولتين هو السبيل الوحيد لحل الصراع، ومع ذلك لم تدخل الإدارة حتى الآن في تفاصيل قضايا جوهرية مثل القدس والحدود النهائية واللاجئين والأمن¹.

وصلت إدارة بايدن إلى الحكم وهي تحمل وعوداً بسحب صفقة القرن، التي سبق وأن وضعها الرئيس ترامب لمعالجة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، والعمل بدلاً من ذلك علي إحياء التفاوض بين الجانبين علي أساس حل الدولتين، وحتى قبل اندلاع الحرب بين حماس وإسرائيل، لم تف إدارة بايدن بوعدها بإقامة دولة فلسطينية، ولم تقدم مشروعاً بديلاً لصفقة القرن، الذي كان يتضمن بالفعل إقامة دولة فلسطينية علي ٧٠% من مساحة الضفة الغربية إضافة إلى قطاع غزة، وبالتالي يمكن القول أن إدارة بايدن لم تضع تصورات حول حدود الدولة الفلسطينية، كما لم يكن لديها القدرة الفعلية علي إقناع إسرائيل بقبول هذا الحل في ظل حكم اليمين المتشدد الذي يهيمن علي إسرائيل منذ مطلع القرن الحالي².

وكان للهجوم الواقع في ٧ من أكتوبر ٢٠٢٣، محفزاً لكلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الكونغرس الأمريكي علي تقديم المساعدات العسكرية إلى إسرائيل، كما أن وزارة الدفاع الإسرائيلية علي اتصال وثيق مع البنتاجون بشأن إعادة إمداد جيش الدفاع الإسرائيلي.

مع اندلاع الحرب بين حماس وإسرائيل عزم بايدن علي زيارة تل أبيب في ١٨ أكتوبر ٢٠٢٣، وطرح زيارة بايدن رسالتين واضحتين، التضامن مع إسرائيل وردع خصومها، فتعاطف بايدن ووضوحه وتماويه مع الصهيونية واستعداده لتحمل المخاطر السياسية يؤكد إخلاصه لإسرائيل وعلاقته الوثيقة بشعبها، كما أن وجود حامله طائرات أمريكية بالقرب من المياه الإسرائيلية يوجه رسالة قوية إلى الخصوم³.

كانت إدارة بايدن وسياستها شريكاً كبيراً للاحتلال الإسرائيلي في حربها علي قطاع غزة، وزودته بكل ما يحتاج إليه من دعم سياسي أو مالي أو إعلامي أو حتى الدعم العسكري، ومنعت أي إجراءات دولية تجرم الاحتلال، ذلك أن أمريكا تري في إسرائيل حجز الزاوية في

Hesham Youssef, things to know : Biden's Approach to the Israeli Palestinian conflict, 2021, accessed August 2024, 1
<https://www.usip.org/publications/2021/06/10-things-know-bidens-approach-israeli-palestinian-conflict>

2 سعيد عكاشة، حرب غزة وتأثيرها علي العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢٤.

David Makovsky , The Israeli- Hamas and U.S policy:An Update ,2023, accessed August 2024 <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/israel-hamas-war-and-us-policy-update>

سياستها في المنطقة العربية، وضرورة أن تستعيد إسرائيل قوة الردع وترميم صورها ودورها الوظيفي الذي تمشمه جراء معركة طوفان الأقصى مسألة حيوية¹.

٣. السياسة الأمريكية تجاه السودان بين بايدن و ترامب:- شهدت العلاقات الأمريكية- السودانية حالات من الشد والجذب ، خاصة في الفترة من بين ١٩٩٣ و ٢٠١٧ ، خلال تلك الفترة كانت العلاقات بين البلدين تتسم بالتباعد ، بسبب سياسة " البشير " المحلية والإقليمية وكان لذلك انعكاساته علي العلاقة بين البلدين، حيث ادرجت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣ السودان ضمن الدول الرعية للإرهاب ، إضافة إلي العقوبات الاقتصادية الضخمة التي تعرضت لها الخرطوم².

تم فرض العقوبات - التي تضمنت حظرا تجاريا واسع النطاق، وتجميد الأصول الحكومية، إضافة إلي فرض قيود علي قدرة السودان علي التعامل بالدولار الأمريكي عام ١٩٩٧ في ظل إدارة كلينتون ، بسبب دعم السودان المستمر للإرهاب، والجهود المستمرة لنظام البشير لزراعة الاستقرار في الحكومات المجاورة، إضافة إلي الانتهاكات المتعلقة بحقوق الإنسان، وفي وقت لاحق قررت إدارة أوباما تخفيض العقوبات المفروضة علي الخرطوم ، نظرا لتقدم الذي أحرزه نظام البشير في العديد من الملفات محل الخلاف بين البلدين، لكنها تركت قرار جعل تخفيف العقوبات دائما علي إدارة ترامب ، حيث قررت إدارة ترامب في أكتوبر ٢٠١٧ رفع العقوبات المفروضة علي السودان ، وفقا لما أحرزته السودان من تقدما كافيا علي ما يسمى بالمسارات الخمسة - مزيج من الأولويات المحلية والإقليمية، بما في ذلك تعليق الهجمات العسكرية في دارفور ومناطق الصراع الأخرى، والامتناع عن التدخل العسكري في الحرب الأهلية في جنوب السودان³.

مع اندلع انتفاضة ربيع ٢٠١٩ في السودان واعتقال عمر البشير وإقالته، عملت واشنطن والحكومات الغربية علي خلق شريك موثوق به في المنطقة ، وبحلول أواخر عام ٢٠١٩ خلال زيارة تاريخية إلي واشنطن قام بها رئيس الوزراء السوداني عبدالله حمدوك، أعلنت إدارة ترامب عن عملية لتطبيع العلاقات الدبلوماسية مع السودان من خلال تبادل السفراء، كما شرعت إدارة ترامب في بناء حزمة من المساعدات المهمة التي من شأنها تلبية اللحظة وتوفير المساعدات المالية والفنية والتنمية اللازمة للشريك الجديد⁴.

مع فوز بايدن في الانتخابات الرئاسية ، لم تشكل السودان جزء من حساباته ، فكان الاهتمام الأمريكي قليل أو به نوع من الإهمال، و مع اندلع الموجهات العسكرية بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع منذ ١٥ أبريل ٢٠٢٣ دع بايدن الأطراف المعنية إلي وقف إطلاق النار والانخراط في العملية التفاوضية لإيجاد حل للأزمة، وعلي الرغم من ذلك إلا أن الجهود الأمريكية لم تكن بالدستور المطلوب ، حيث أعطت الولايات المتحدة أهمية أكبر بالصراع الدائر علي الأراضي الأوكرانية منذ ٢٤ من فبراير ٢٠٢٢ ، في محاولة منها لكسر جناح النفوذ الروسي وإحباط أهدافه واستنزاف قوته ، وأيضا شكلت المواجهة العسكرية بين حماس وإسرائيل إضافة إلي بؤرة اهتمام الإدارة الأمريكية، مما حاد بها إلي وضع النزاع في السودان في مكانه متأخرا في الأجنحة الأمريكية.

1 عاطف الجولاني، محادثات السياسة الأمريكية تجاه الحرب الإسرائيلية علي غزة وانحائها المستقبلية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، المجلد ١٣٥، أبريل - ٢٠٢٤ ، ص ١.

2 أحمد سيد أحمد، أمريكا والسودان.. من العناء إلي التقارب المفروض ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢٠، العدد ٤٨٨٧٦.

3 Aly verjee, Sudan after sanctions Sudanese views of relations with the United states , 2018, accessed August 2024.

4 Cameron Hudson, A Us agenda for action in Sudan's information environment, 2023, accessed July, <https://www.atlanticcouncil.org/in-depth-research-reports/issue-brief/a-us-agenda-for-action-in-sudans-information-environment/>

وعلى الرغم من الفتور الأمريكي بالملف السوداني ، إلا أن مبادرة جدة تعد من أهم المبادرات التي أطلقت لوقف إطلاق النار، وتسهيل وصول المساعدات الإنسانية، وقد أطلقت المبادرة في ٥ مايو ٢٠٢٣ برعاية الولايات المتحدة الأمريكية و المملكة العربية السعودية في مدينة جدة، وكان بنود تلك المبادرة يتمثل في الآتي:-

-مناقشة الإجراءات الأمنية التي من المقرر اتخاذها بهدف تسهيل وصول المساعدات الإنسانية

-استعادة الخدمات الأساسية ووضع جدول زمني للمفاوضات، بهدف وقف الأعمال العدائية بشكل دائم

-استعادة الخدمات الضرورية وإعلان المبادئ¹.

لكن رغم ذلك لم تنجح مبادرة جدة في وقف الحرب بين الطرفين ، كما لم تعطي الإدارة الأمريكية الوقت الكافي لوفدها لوضع آليات جادة ومحكمة لمراقبة تنفيذ بنود المبادرة .

٤. السياسة الأمريكية تجاه أفغانستان بين بايدن و ترامب:- تتمتع أفغانستان بموقع جغرافي متميز بآسيا الوسطى، كما تمتلك العديد من الثروات المعدنية المتنوعة غير المستغلة، فضلا عن كونها أقرب معبر إلى أسواق جنوب آسيا، لذا تأتي أفغانستان علي قائمة المصالح الدولية والإقليمية، فقد سعت العديد من القوى الكبرى نحو السيطرة عليها للمحافظة علي مصالحها في المنطقة وتعزيز نفوذها في أفغانستان ومحيطها الإقليمي².

وكان لهجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ والذي كان المتهم فيها تنظيم القاعدة، دوره في أقدم الولايات المتحدة الأمريكية علي غزو أفغانستان تحت شعار الحرب العالمية علي الإرهاب، والتي أطلقها الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش الابن، واستمر هذا الغزو عشرون عاما ٢٠٠١-٢٠٢١ ولذا تعد أطول حرب خاضتها الولايات المتحدة، إضافة إلي الخسائر الضخمة التي تعرضت لها سواء أكانت خسائر في الأرواح تقدر بالآلاف أو الخسائر المادية تقدر بتريليونات الدولارات، وكان الهدف الرئيسي لسياسة الأمريكية تجاه أفغانستان منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، هو ضمان عدم تحويل البلاد إلي ملاذ أمن للجماعات الإرهابية.

لم يكن لدي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سياسته أمريكا أولا الكثير من الوقت لأفغانستان³، وبالتالي لم يكن لترامب استراتيجية واضحة تجاه أفغانستان، ففي بداية رئاسته كان ينتقد وجود قوات أمريكية في أفغانستان.

كان أمام الولايات المتحدة ثلاثة خيارات تتعلق بأفغانستان هما : الانسحاب العسكري الكامل، والمشاركة المحدودة في مكافحة الإرهاب، والبقاء في البلاد مع زيادة طفيفة في الانتشار العسكري والمشاركة السياسية المكثفة⁴، وكان الخيار الأخير هو الأقل سواء من وجهة نظرة إدارة ترامب، والذي يعني أن تبقى الولايات المتحدة القوات الأمريكية علي الأراضي الأفغانية مع إرسال قوات إضافية ، حيث أرسل حوالي ٣٥٠٠ جندي إضافي إلي أفغانستان ليصل إجمالي القوات الأمريكية إلي حوالي ١٤٥٠٠ جندي.

1 شيماء ماهر ، دينا الموم، إسماء عادل ، منة صلاح ، عام علي الحرب : رؤية تقييمية للصراع الحالي في السودان وسيناريواته المستقبلية ، إصدار خاص من مركز شاف ص ٢٧.

2 ياسين احمد اسماعيل صالح، الداعيات الدولية والإقليمية للانسحاب الأمريكي من أفغانستان مجلة كلية السياسة والاقتصاد ، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع عشر، أبريل ٢٠٢٢، ص ١.

3 سمر نامر ، لماذا فشلت الولايات المتحدة في أفغانستان، مجلة السياسة الدولية، <https://www.siyassa.org.eg/News/18085.aspx>

4 AKSHAY RANADE ,TRUMP'S Afghanistan strategy and Emerging Alignments in the Region: Implications for India, observer Research foundation, Issue No 209,November 2017 .

لكن في حقيقة الأمر كان الغريزة الأصلية لرئيس ترامب منذ البداية هو انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان ، لذا تفاوضت إدارة ترامب علي اتفاق انسحاب مع طالبان مع استبعاد الحكومة الأفغانية، وقد حددا تاريخا لذلك الانسحاب في مايو ٢٠٢١، ولقد التزمت إدارة ترامب بالإنفاق، وخفضت مستويات القوات الأمريكية من نحو ١٣ ألف جندي إلي ٢٥٠٠ جندي، علي الرغم من استمرار حركة طالبان في مهاجمة الحكومة الأفغانية وايواء العناصر الإرهابية من تنظيم القاعدة¹.

عندما تولي الرئيس جو بايدن منصبه، أعتقد أن الخيار الأصوب بالنسبة لبلاده هو إنهاء أطول حرب في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وإعادة القوات الأمريكية إلي الوطن، مع سعيه إلي إقناع الشعب الأمريكي عن الإنجازات التي حققتها أمريكا من قرار الغزو الذي استمر ٢٠ عاما كإزالة الارهابيين الذين هاجموا الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر، بما في ذلك أسامة بن لادن من ساحة المعركة².

عندما تولي بايدن الحكم كانت حركة طالبان في أقوى ذروتها العسكرية منذ عام ٢٠٠١ حيث تسيطر علي أو تتنافس علي ما يقرب من نصف البلاد، في الوقت ذاته كان عدد القوات الأمريكية علي الأراضي الأفغانية وصل إلي ٢٥٠٠ جندي فقط ، وهو أقل عدد من القوات في أفغانستان منذ عام ٢٠٠١ ، كما فرضت إدارة ترامب العديد من التحديات والعقبات أمام إدارة سالفه جو بايدن ،منها أن الإدارة المنتهية ولايتها لم تقدم أي استراتيجيات أو خطط لإجراء الانسحاب النهائي ، وهو ما فرض بالضرورة تحدي أمام بايدن ، حيث أنه لم يتبقى علي " اتفاق الدوحة" وهو اتفاق السلام الذي وقعه ترامب مع طالبان في العاصمة القطرية الدوحة ،سوي ما يزيد قليلا عن ثلاثة أشهر، إضافة إلي التوجس الأمريكي من أن تستأنف طالبان هجماتها علي القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها ، وفي هذا السياق أكد وزير الدفاع الأمريكي "أوستن" بأنه كانت المعلومات الاستخباراتية واضحة مفادها أنه إذا لم تغادر قوتنا وفقا للاتفاق فإن طالبان ستستأنف المحجمات علي قواتنا³.

بدأت القوات الأمريكية في الانسحاب من أفغانستان بشكل كامل ابتداء من ١١ أغسطس ٢٠٢١ واستمر الأجراء أسبوعين، ومع ذلك كان إجماع الجنود الأمريكيين أو المواطنين يتم بشكل عبثي أو فوضوي حيث أن إدارة بايدن لم تضع استراتيجية جادة لإجراء عملية الانسحاب ، وكنتيجة مترتبة علي ذلك وقع العديد من الضحية من بينهم ١٣ جنديا أمريكيا علي يد مفجر انتحاري عند بوابة الدير بمطار كابول الدولي .

مع الانسحاب الأمريكي من أفغانستان استطعت حركة طالبان السيطرة علي أجزاء كبيرة من الأراضي الأفغانية، إضافة إلي السيطرة علي طرق التجارة الرئيسية والمعابر علي طول الحدود الطاجيكية- التركمانية مع التقدم العسكري الهائل لحركة طالبان ، وبالتالي كان الغزو الأمريكي لأفغانستان قرار خاطئ بالنظر إلي نتائجه ، حيث تحملت الولايات المتحدة خسائر علي مدار ٢٠ عاما في حرب وصفت بالأبدية،

Eugene Kiely and Robert Farley, Timeline Of U.S . withdrawal from Afghanistan, 2021, accessed July 2024, 1
<https://www.factcheck.org/2021/08/timeline-of-u-s-withdrawal-from-afghanistan>

U.S. with drawl from Afghanistan document outlines the decisions and challenges surrounding the U.S. with drawl from 2
<https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2023/04/06/the-u-s-withdrawal-from-afghanistan>

3 مرجع سابق ذكره ص ٨

حيث قتل خلالها أكثر من ٢٣٠٠ جندي أمريكي وجرح ٢٠٦٦٠ جندي أخرى ، فضلا عن إنفاق واشنطن ما يقرب من تريليون دولار علي تلك الحرب بحلول عام ٢٠٢٠¹ .

٥. السياسة الأمريكية تجاه إيران بين بايدن وترامب:- منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ ، بدأ فصل جديد في العلاقات الأمريكية- الإيرانية، يغلب عليها التباعد والخلاف أكثر من التعاون والوفاق ، علي خلاف ما كان قبل الثورة الإسلامية حيث كانت العلاقات الإيرانية- الأمريكية من أمن العلاقات في المنطقة ، وكانت واشنطن تعتمد بشكل كبير علي طهران في تحقيق أهدافها ومصالحها .

وقد بدأت القضية عندما قررت إيران الدخول في البرنامج النووي، وبناء القدرات النووية لاعتبارات سياسية متعددة إقليمية ودولية ، وقد بدأت إيران برنامجها بالتعاقد علي مفاعلات نووية ، ومحاوله الحصول علي مواد نووية " انشطارية" من العديد من الدول، إضافة إلي سعيها الدؤوب نحو تدريب الكوادر المتخصصة ، وقد بدأ قرار التحول إلي القدرات النووية بقرار سياسي يمثل الإرادة السياسية للدولة ، وليس طبقا للقدرات التكنولوجية أو الفنية المتوفرة ، وذلك لأسباب ودوافع سياسية واستراتيجية² .

تعد السياسة الأمريكية تجاه الملف النووي الإيراني ركيزة أساسية في سياسته العالمية ، لا سيما الفترة التي أعقبت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، والتي دفعت الولايات المتحدة إلي مزيد من الجمود والتشدد تجاه العديد من الدول التي تسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وقد تباينت ردود الأفعال الأمريكية في هذا الشأن إذا تراوحت بين التدخل العسكري كما هو الحال في العراق، أو اللجوء إلي الأساليب الدبلوماسية الأقل خطرا والأقل تكلفة، فالولايات المتحدة تعد وجود مشروع نووي في منطقة الشرق الأوسط تهديد لمصالحها في المنطقة وعلي رأسها أمن الطاقة، فضلا عن ذلك فإن انعكاسات البرنامج النووي الإيراني علي الأمن الإقليمي في منطقة الخليج تبدو واضحة ، إذ أن امتلاك إيران للسلاح النووي يدفع دول الخليج أيضا إلي امتلاك السلاح النووي، وبالتالي سيؤدي ذلك إلي اختلال في موازين القوى في المنطقة، وبطبيعة الحال سيؤثر علي أمن إسرائيل وهو ما تخشاه الولايات المتحدة³ .

وكما سبقت الإشارة إلى أن العلاقات بين واشنطن وطهران اتسمت بالتوتر منذ قيام الثورة الإسلامية ١٩٧٩ ، ومحاوله نشر مبادئها خارج حدود الدولة الإيرانية لتشمل العالم كله ، كما صرح الإمام الخميني آنذاك بأنه سيعمل علي تصدير الثورة الإيرانية ومفهوم ولاية الفقيه إلي كل العالم ، ثم زادت العلاقات اضطرابا بين البلدين مع تصنيف إيران من قبل الولايات المتحدة علي أنها دولة مارقة ، أي تقع ضمن نطاق دول محور الشر ، إلي جانب كل من كوريا الشمالية والعراق في ذلك الوقت ، ومنذ ذلك الحين أصبحت لغة التصعيد هي السمة الأبرز في العلاقات بين البلدين.

ثم ما لبثت أن شهدت العلاقة بين البلدين نوع من التهذئة مع وصول الرئيس باراك أوباما إلي البيت الأبيض، بسبب سياسة أوباما المتحالفة مع دول وحركات الإسلام السياسي، وبالتالي أدي ذلك التحول إلي وجود تنسيق بين البلدين في العديد من الملفات وعلي رأسها الحرب السورية والأزمة في اليمن والحرب علي الإرهاب، وبحسب صحيفة وول ستريت جورنال وفي سابقة هي الأول من نوعها بعث الرئيس

1 خيارات السياسة الأمريكية بعد الانسحاب من أفغانستان ، مركز الإمارات للسياستات ، ٢٠٢١ ، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤ ، <https://epc.ae/ar/details/featured/khiarat-alsiyasa-alamriki>

baed-alainsihab-min-afghanistan

2 أحمد عبد العليم ، البرنامج النووي الإيراني (3-3) ، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦ ، تاريخ الدخول يوليو ٢٠٢٤ ، <https://rawabetcenter.com/archives/19629>

3 هديل حربي ذاري، الموقف الأمريكي من البرنامج النووي الإيراني ٢٠٠٩-٢٠١٩ ، مجلة قضايا سياسية ، العدد ٦٤ ، مارس ٢٠٢١ ، ص ٤ .

أوباما برسالة إلى المرشد الأعلى يخته فيها علي وضع اللمسات الأخيرة علي الاتفاق النووي، ولمح إلي إمكانية التعاون الثنائي لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية¹.

وعلي عكس سياسة بوش تجاه إيران والتي اتسمت بالعداء والتصعيد وفرض العقوبات، عملت إدارة أوباما علي تخفيف العقوبات المفروضة علي طهران ، ثم وقعت الولايات المتحدة الأمريكية رسميا علي خطة العمل الشاملة المشتركة في يوليو ٢٠١٥ ، وبموجبها وافقت إيران علي تفكيك جزء كبير من برنامجها النووي ، وفتح منشأها أمام عمليات التفتيش الدولي مقابل تخفيف العقوبات.

لكن مع صعود ترامب إلي سدة الحكم في الولايات المتحدة، انقلبت الموازين رأسا علي عقب ، لاسيما بعد تنفيذه لوعده الانتخابي والمتمثل في عملية الانسحاب من الاتفاق النووي الذي سبق أن وقعه أوباما في يوليو ٢٠١٥، وتبنيه استراتيجية جديدة تجاه طهران تعتمد علي فرض عقوبات قاسية²، مؤكدا أن الشركات الأمريكية لم تستفيد من رفع العقوبات المفروضة علي طهران، بينما استفدت نظرائه من الشركات الأوروبية والروسية وهذا ما يطلق عليه "سياسة الصفقة" في السياسة الخارجية لترامب، مرددا في أكثر من مناسبة بأن إيران استثمرت الاتفاق لدعم التنظيمات المسلحة، ودعم مليشيات الحوثيين في اليمن بصواريخ بالستية استهدفت حلفاء بلاده في الخليج كالسعودية³.

أعتمد ترامب في سياسته مع طهران علي "سياسة الوجه الخشن" ، ولكن علي الرغم من العقوبات الاقتصادية التي فرضتها إدارة ترامب إلا أن ذلك لم يمنع طهران من زيادة قدراتها علي تخصيب اليورانيوم، وأصبحت طهران الان قريبة من امتلاك السلاح النووي، مقارنة بما كانت عليه بعد توقيع الاتفاق ، حيث تشير العديد من المؤشرات والأدلة أن طهران كانت ملتزمة بالفعل بالاتفاق ، وقامت بتفكيك جزء كبيرا من برنامجها النووي ومنحت المفتشين الدوليين حرية واسعة⁴.

في أثناء حملته الانتخابية وعد الرئيس جو بايدن بعد استلامه السلطة بإعادة الاتفاق النووي مع إيران، معتبرا أنه أفضل طريقة للحد من البرنامج النووي، والتي سبق أن انسحب منها ترامب في ٨ أبريل ٢٠١٨ ، بعد استلام بايدن السلطة أعلن أنه سينتهج سياسات جديدة تجاه طهران، والتي من ضمنها توسيع نطاق الاتفاق النووي ليشمل صفقة أكبر تضم الصواريخ الباليستية، وصفا سياسة سألها بأنها كانت فاشلة ، وادت إلي أخطاء الضمانات التي قدمتها إيران في عدم تصنيع قنبلة نووية⁵.

علي الرغم من رفض إدارة بايدن سياسة ترامب والمتمثلة في "سياسة الضغط الأقصى" علي إيران لإجباره علي الالتزام بما تلمية الإدارة الأمريكية، إلا أن بايدن كان يميل إلي الطرق الدبلوماسية، إلا أن المفاوضات بين الطرفين شهدت العديد من العوائق، وأثيرت العديد من الخلافات بين الطرفين لأسباب تتعلق بقيام طهران بزيادة نسبة تخصيب اليورانيوم المسموح به في الاتفاق من ٣,٦٨% إلي ٦,٠% ، إضافة

1 امانح علي عثمان ، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إيران بين إدارة أوباما وترامب، مجلة جامعة جيهان- اربيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد ٥، العدد ٢(٢٠٢١) ، ص ٣٨ .

2 عنبقة بن يحيى ، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إيران في ظل إدارة دونالد ترامب، مجلة البحوث في الحقوق والعلوم السياسية، المجلد ٠٤ ، العدد ٠١ ، ديسمبر ٢٠١٨ ، ص ٢٥٢ .

3 سنار جبار علاي، العلاقات الإيرانية. الأمريكية في عهد دونالد ترامب، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤

<https://afaip.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%80-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B9%D9%87%D8%AF-%>

Zack Beauchamp, trump's withdrawal from the Iran nuclear deal – explained, 2018, accessed August 2024 , 4

<https://www.vox.com/world/2018/5/8/17328520/iran-nuclear-deal-trump-withdraw>

5 حاسم محمد هابس، موقف إدارة جو بايدن من البرنامج النووي الإيراني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٨٨، أكتوبر ٢٠٢٣، ص ٦٦.

إلى قيام إيران بتخصيب كمية كبيرة من اليورانيوم بلغت ٣٧٩٥,٥ كيلو جرام حسب تقرير وكالة الطاقة الذرية، بينما يقضي الاتفاق بإنتاج ٢٠٨,٨ كيلو جرام فقط، كما أن إيران لم تقدم إجابات حاسمة لوكالة الطاقة الذرية بشأن العثور على جزئيات يورانيوم في بعض المنشآت مثل توركوزآباد وورامين، ولم تستطع إدارة بايدن توسيع نطاق الاتفاق النووي مع إيران، حيث كان هناك رفضاً من جانب طهران بخصوص هذا الشأن.

٦. السياسة الأمريكية تجاه الأزمة السورية بين بايدن وترامب: شهدت المنطقة العربية منذ أواخر عام ٢٠١٠ وبداية ٢٠١١ تحولا سياسيا ضخما وموجه واسعاً من الاحتجاجات الشعبية اجتاحت العالم العربي، واتسمت الحركات الشعبية بأسلوب مختلف، إضافة إلى وجود قواه اجتماعية وسياسية جديدة علي الساحة، تلك الموجة والحراك الذي أنطلق من تونس مروراً بمصر وتفاعلت معها الشعوب العربية، بما فيهما الشعب السوري، والذي اعتقدت حكومته أنها محصنة تجاه ما يحدث في محيطها الإقليمي، حيث رسخت اعتقادها ذلك علي اساس أن الشعب السوري في حالة راضي تامة عن سياسة النظام الخارجية وتوجهاته المضادة لإسرائيل والولايات المتحدة، لكن ما حدث كان عكس ذلك حيث كان هناك حالة من الاحتقان داخل الشرائح الاجتماعية المختلفة في المجتمع السوري، وترتب علي ذلك العديد من العوامل منها استئراء الفساد، وتدهور الأوضاع الاقتصادية، إضافة إلى هيمنة الرئيس وترسيخ سياسة حكم الفرد المطلق، مع تهميش دور الأحزاب السياسية¹.

كانت الموجة الأولى من الاحتجاجات قد اندلعت في أوائل عام ٢٠١١، حيث قام مجموعة من الشباب الصغير بكتابة شعارات معادية للنظام علي الجدران العامة في جنوب مدينة درعا، وقد تم اعتقالهم وتعذيبهم، مما أدى بدوره إلى مظاهرات محلية طالبت بالإفراج عنهما، وانتشرت الاحتجاجات السلمية بسرعة في جميع أنحاء سوريا، لكن تعامل النظام مع المحتجين بطابع يغلب عليه العنف والوحشية.

منذ البداية، تولت الولايات المتحدة قيادة التحرك السياسي العربي في التعاطي مع الأزمة السورية، إلا أن ردود الفعل الأمريكي في ظل إدارة أوباما تميزت بالارتباك خاصة مع المرحلة الأولى للحركات الاحتجاجية، حيث كانت إدارة أوباما منشغلة بسحب قواتها من العراق وكيفية إيجاد مخرج من الأزمة المالية التي شلت الاقتصاد الأمريكي، وبالتالي كان تعاطي إدارة أوباما مع الأزمة السورية يتسم بتلكوه أو الهدوء، ذلك حتي تتمكن من سحب قواتها من العراق².

ولأن الإدارة الأمريكية تعد الانسحاب من العراق أولوية - لتحقيق وعد انتخابيا سبق أن أطلقه الرئيس أوباما لإعادة تموضع استراتيجي علي مستوي المنطقة والعالم، باعتبارها كانت غير راغبة في القيام بأي مغامرات عسكرية جديدة في المنطقة، نتيجة للأوضاع الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها الولايات المتحدة والمتمثلة في الأزمة المالية، إضافة إلى تعقد المشهد السوري، فقد أتبع أوباما منذ البداية سياسة التصعيد المضبوط والنفس الطويل، الهادفة إلى استنزاف النظام اقتصاديا وسياسيا وانهاكه عسكريا، وتشجيع الانشقاقات في أوساط النخب العسكرية والمدنية، والتضييق علي مجتمع رجال الأعمال، وعلي الساحة الدولية عملت إدارة أوباما علي عزل النظام ونزع شرعيته ومحاصرته بقرارات أممية تنتهي بوضع سورية تحت وصاية دولية³.

1 سهام فنجي سليمان أبو مصطفى، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية ٢٠١٣-٢٠١١، (رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأزهر غزة ٢٠١٥، ص ٤٠ .

2 مسعود رشدي، إستراتيجية الإدارة الأمريكية خلال فترة أوباما في إدارة الأزمة السورية (رسالة ماجستير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية- جامعة باتنة ١، ٢٠١٥) ص ٣٥ .

3 مروان قبيلان، المسألة السورية واستفطاباتها الإقليمية والدولية: دراسة في معادلات القوة والصراع علي سورية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس ٢٠١٥، ص ١١ .

منذ صعود تنظيم داعش أواخر يونيو ٢٠١٤ واستيلائه علي الموصل وضم الأراضي الخاضعة لسيطرته في الشرق السوري ، شدد الرئيس دونالد ترامب علي أولوية تعزيز وتقوية التحالفات القائمة وبناء تحالفات جديدة لمحاربة ما أسماه " إرهاب الإسلام المتطرف" ومحوه من الخريطة، وتأكيدده فيما بعد أن القضاء علي داعش هو الهدف الوحيد لسياسة الأمريكية في سوريا، وذلك نتاج طبيعي لسياسة الانعزالية التي اتبعها الرئيس ترامب منذ وصوله إلي البيت الأبيض¹.

أعتبر ترامب بشار الأسد شريكاً محتمل في محاربة تنظيم داعش، غير أن ذلك لا يعني اعتراف بشرعية النظام ، إنما يعكس ذلك محاولة الرئيس الأمريكي طمأنة الجانب الروسي بشأن تغير السياسة الأمريكية، ورغبته في تضيق الفجوة بين الرؤيتين الروسية والأمريكية، ودعم جهود مكافحة التنظيمات الإرهابية والحفاظ علي مؤسسات الدولة السورية من الاهيار ، غير أن الولايات المتحدة تري أنه لا تسوية سياسية ممكنة في ضوء استمرار بشار علي رأس السلطة².

وفي سابقة من نوعها اتخذت إدارة ترامب قراراً بشن هجوما عسكرياً علي قاعدة الشعيرات شمال غرب سوريا ، باستخدام ٥٩ صاروخاً ، وجاء الهجوم رداً علي الهجوم الذي شنته عناصر تابعة للنظام باستخدام الأسلحة الكيماوية ، والذي خلف وراءه عشرات القتلى من المدنيين بلغ ٨٦ مدنياً علي الأقل، وقال ترامب أن هذه الأفعال الشنيعة التي ارتكبتها نظام بشار الأسد هي نتيجة لضعف الإدارة السابقة وترددتها ، حيث قال الرئيس أوباما في عام ٢٠١٢ أن استخدام الأسلحة الكيماوية خطأ أحمر ولكنه لم يفعل شيئاً³، حيث اتسمت سياسة أوباما علي إطلاق الخطوط الحمراء والمزايدات في التهديدات ، كانت دائماً متجاهلة من قبل النظام السوري وحلفائه ، خاصة ما يتعلق باستخدام السلاح الكيماوي .

وعلي الرغم من تأكيد ترامب علي أن سياسته تختلف عن سياسة أوباما ، إلا أنها تلاقت في محصلة سياسته تجاه الأزمة السورية والتي كانت تصب في صالح إيران وروسيا، وكانت كلتا الإدارتين تعمل علي احتواء الأزمة وليس إيجاد حل جذري لها.

واصلت إدارة بايدن السير علي نهج ترامب فيما يتعلق بعملية الانسحاب من بقية مناطق الشرق الأوسط، ففي سوريا كانت سياسة بايدن إلي حد بعيد متقاربة مع سياسة ترامب، ويرجع ذلك جزئياً إلي استمرار فك الارتباط الأمريكي الذي بدأ مع عهد باراك أوباما واستمر مع ترامب وبايدن، إذ عملت إدارة بايدن علي تقليل انخراطها في سوريا ، ولم تلتفت كثيراً إلي قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٧ الدعوي إلي وقف إطلاق النار وإيجاد حل سياسي للأزمة⁴.

فمنذ تولي بايدن الحكم تعامل مع سوريا من دون اتجاه أو هدف واضح، مقيداً بالعديد من القيود المحلية والعالمية والخاصة بالصراع، كما حأت رئاسته عندما بلغ الصراع السوري علامة العقد ويواجه إرثاً من السياسة الأمريكية بشأن سوريا ، الغير متماسكة للغاية وغير المتسقة بشكل واضح ، وعلي هذا النحو من المحتمل أن إدارة بايدن لم تشعر أبداً بأنها قادرة علي تغير الوضع، أو تعديل الحقائق علي الأرض،

1 مؤلف جماعي ، الشرق الأوسط في ظل أحداث السياسة الخارجية الأمريكية " دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما و ترامب"، المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٧، ص ٣٠٨.

2 مرجع سابق ذكره ص ١٢.

3 <https://abcnews.go.com/International/us-launches-military-strike-syria/story?id=46632349>

4 خالد هاشم ، السياسة الخارجية الأمريكية ما بين جو بايدن و دونالد ترامب : استمرارية أم تغير ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير ٢٠٢٢، ص ٧.

حيث ينظر المنافسون أي روسيا وإيران إلى مصالحهم بشكل أكثر ديناميكية مما تفعله واشنطن ، ونتيجة لذلك عملت إدارة بايدن بنفس السياسة الضيقة التي اتبعتها سالفة دونالد ترامب¹.

٧. السياسة الأمريكية تجاه تركيا بين بايدن وترامب:- شهدت العلاقات التركية مع العالم الغربي عموماً العديد من الأوجه ، بين الصراع تارة إباء الحقبة العثمانية ، والتعاون تارة أخرى مع قيام الجمهورية التركية الحديثة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك ، ويعود السبب في ذلك التوجه الجديد إلى التوجهات الكمالية ذات الأفكار الغربية، ثم تطورت العلاقات الأمريكية-التركية خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إذ كانت الولايات المتحدة بدورها قد خرجت من عزلتها ، وبدأت في منافسة حامية الوطيس مع الاتحاد السوفيتي، وأصبحت منطقة الشرق الأوسط ضمن بؤر اهتمام القوتين العظميتين .

وتأسيساً على ذلك ، عدت الولايات المتحدة الأمريكية تركيا الدولة التي يمكن الاعتماد عليها لتنفيذ مآربها ومشاربها في المنطقة ، وهكذا وجدت في تركيا خير أداء لها في تنفيذ أهدافها ومصالحها في المنطقة ، وتنفيذ مخططاتها العسكرية والاستراتيجية من خلال استغلال موقعها الجغرافي المهم ، لمحاصرة الروس ومنعهم من الوصول إلى المياه الدفينة في البحر المتوسط².

كما مرت العلاقة بين البلدين في أعقاب الحرب الباردة بالعديد من التطورات ارتباطاً بالأحداث السياسية العالمية ، والتطورات التي حدثت على الساحة التركية والتي من أبرزها زول سيطرة المؤسسة العسكرية على مقاليد الحكم في تركيا ، وعلى الأخص بعد تسلّم حزب العدالة والتنمية الحكم في ٢٠٠٢ بقيادة رجب طيب اردوغان ، كما شكلت الأزمة الكردية منعطفاً مهماً في العلاقات بين البلدين ففي أعقاب الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ ، وغياب سلطة الدولة العراقية اتخذ حزب العمال الكردستاني المنطقة الحدودية العراقية مع إيران وتركيا موقعاً جديداً لمعسكراته وتدريباته العسكرية ، ومنطلقاً لهجمات داخل الأراضي العراقية ، وعلى أثر ذلك رفض البرلمان التركي السماح للولايات المتحدة باتخاذ الأراضي التركية ممراً له لدخول الأراضي العراقية³.

وقد تراجعت العلاقات بين واشنطن وأنقرة عقب محاولة الانقلاب الفاشلة التي انطلقت مساء يوم ١٥ يوليو ٢٠١٦ ، في محاولة من بعض القيادات العسكرية للإطاحة بالرئيس رجب طيب اردوغان ، وجاء الموقف الأمريكي من محاولة الانقلاب متأخراً وينتهي حالة من الغموض وعدم الشفافية ، مع ظهور مؤشرات عديدة للجانب التركي تؤكد أن الانقلاب كان بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية من ضمن المؤشرات ، ما صرح به الرئيس باراك أوباما قبل أربعة أشهر من محاولة الانقلاب قائلاً بأن الرئيس اردوغان فاشل وإستبدادي وقال أن اردوغان كان مصدر إحباط لنا وكنا نعتقد أنه قائد مسلم معتدل يمكن أن يكون جسراً بين الشرق والغرب وعقب ذلك التصريح توترت العلاقات بين الجانبين بشكل كبير، إضافة إلى الكتابات الصحفية لاسيما الفورين بولسي خلال الشهرين اللذين سبقا المحاولة الانقلابية عن

Abdulrahman al – masri and Reem salahy , The Biden administration's Syria policy sets a path towards disengagement. Here's why it's problematic, 1 2022, accessed August 2024 , <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/the-biden-administrations-syria-policy-sets-a-path-towards-disengagement-heres-why-its-problematic>

2 أحمد يونس زويد الجعشمي ، أحمد جاسم إبراهيم الشمري ، تطور العلاقات الأمريكية-التركية للمدة من ١٩٤٧-١٩٩١ دراسة تاريخية ، مجلة مركز بايل للدراسات الإنسانية ٢٠١٨ ، المجلد ٨ ، العدد ٢ ، ص ١٧ .

3 محمد رسمي الذنبيات ، العلاقات التركية – الأمريكية في ظل حزب العدالة والتنمية، (رسالة ماجستير منشورة، كلية الدراسات العليا- جامعة مؤنة ٢٠١٦) ص ١ .

الانقلاب العسكري القادم في تركيا ، مع بعض القضية العالقة بين البلدين ومنها رفض الولايات المتحدة تسليم فتح الله جولن زعيم التنظيم الموازي إلى تركيا ، والمقيم فيها منذ عام ١٩٩٩ ، والذي تعتقد في أنقرة أنه الرأس المدبرة للانقلاب¹.

في حقيقة الأمر هناك العديد من القضايا السياسية الخلافية بين واشنطن و أنقرة والتي تقف وراء تدهور العلاقات الثنائية بين الجانبين منها رفض تركيا دخول القوات الأمريكية إلى العراق عبر أراضيها ، المواقف الأمريكية من الأزمة السورية والدعم الأمريكي المتعاطف للأكراد في شمال سوريا والعراق وهذا الأمر يمثل تهديدا صريحا للأمن القومي التركي .

وعلي الرغم من أن اللقاء بين الرئيس اردوغان وترامب في واشنطن في بداية ولاية الأخير كان ناجحا من حيث الشكل ، إلا أنه لم ينتج في حقيقته سياسة جديدة لواشنطن تجاه أنقرة، فقد استمر الدعم الأمريكي للأكراد في شمال سوريا²، فيما استمرت إدارة ترامب في فرض العقوبات الاقتصادية علي أنقرة لأسباب متعددة منها قيام تركيا بشراء منظومة صواريخ إس ٤٠٠ الروسية الصنع ، إضافة إلى تهديد الرئيس دونالد ترامب مررا تركيا بفرض عقوبات اقتصادية إذا لم تحترم قواعد اللعبة في سوريا .

وفي مجمل القول فإن العلاقات التركية- الأمريكية في ظل ولاية ترامب اتسمت بالاقتراب الحذر ، ففي ١٩ ديسمبر ٢٠١٨ أعلن ترامب عن سحب قوات أمريكية من سوريا والبالغ عددهم ألفي جندي ، وكان القرار مفاجئا للجميع حيث اعترض عليه المسؤولون في الإدارة الأمريكية والحزبان الديمقراطي والجمهوري ، فيما رحب الرئيس اردوغان بالقرار باعتبار أن هذه القوات تحمي وتدعم قوات حماية الشعب الكردية ، والتي تصنفها أنقرة علي أنها جماعة إرهابية ، وبالتالي فإن ذلك الانسحاب يسهل علي أنقرة سهولة التدخل وضرب معقل المسلحين الأكراد ، وأعلن اردوغان توصله إلى اتفاق تاريخي مع ترامب لإقامة منطقة أمنة في سوريا ، لكن ترامب أعلن معارضته لأي تدخل عسكري تركي ضد الأكراد ، مخذرا أنقرة بأن أي هجوم عسكري علي الأكراد فإن الولايات المتحدة سوف تدمر الاقتصاد التركي³.

مع وصول بايدن إلى سدة الحكم لم يتعامل مع تركيا بصفتها حليفا كما هو الحال مع أعضاء الأطلسي الآخرين ، وباتت تعقد مع أنقرة صفقات محددة وفق معادلة منافع ومصالح ضيقة ، علي الرغم من خفض حدت التوترات بين واشنطن و أنقرة في بداية ولاية بايدن ، غير أن الأحداث الأخيرة عكسة الهدوء النسبي بين البلدين ، إذ كانت تركيا ممعنة في اتخاذ خيارات مستقلة بعيدا عن سرب الأطلسي وأعضائها، بعض هذه الخيارات قد يبدو أقرب إلى روسيا ودول أخرى معادية للولايات المتحدة الأمريكية.

أيضا كانت الحرب الأوكرانية سببا لتجميد العلاقة بين البلدين ، بسبب السياسة الحيادية لتركيا من الحرب التي شنتها روسيا علي الأراضي الأوكرانية في ٢٤ فبراير ٢٠٢٢ ، إضافة إلى التوجهات التركية الراجبة في تغير الموازين العالمية ، وإنهاء عصر الأحادية والانفتاح علي العصر المتعدد الأقطاب، بحيث يكون لأنقرة ثقلا فيه ، ويتجلى ذلك بوضوح في سعي تركيا الحثيث في توثيق علاقتها بكل الفاعلين الدوليين الكبار وعلي رأسهم روسيا والصين .

1 عبد الرحمن عادل ، العلاقات الأمريكية- التركية بعد انقلاب عام ٢٠١٦ ، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية ، المجلد ٣٧ ، العدد الأول ٢٠٢٣ ، ص ٧٥٢.

2 منصور أبو كرم ، اتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل حكم ترامب ، مركز حرمون للدراسات المعاصرة ، يناير ٢٠١٨ ، ص ٢٦.

3 محمد نور الدين ، التطورات المتناقضة في العلاقات الأمريكية التركية لنانيا وإقليميا ، مجلة شؤون عربية ، مارس ٢٠١٩ ، تاريخ الدخول يوليو ٢٠٢٤ ،

<https://arabaffairsonline.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D9%86%D8%A7%D9%82%D8%B6%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1>

كانت الحرب علي غزة سببا من ضمن الأسباب التي أدت إلي تراجع العلاقات بين البلدين مؤخرا ، حيث كانت مواقف اردوغان العلنية بشأن الصراع الدائر علي الأراضي الفلسطينية المعارض لسياسة الإسرائيلية ، غير مقبول بالنسب لواشنطن.

يحمل القول فيما يتعلق بالعلاقة التركية - الأمريكية في ظل إدارة بايدن ، أن واشنطن تعاملت مع أنقرة من منطلق أنها دولة صديقة وليست دولة حليفة ، فصدق تكون العلاقات معه قابلة لتذبذب في أي وقت كان ، لكن الحليف تكون العلاقة استراتيجية وتتسم بثبات النسبي ، أو بمعنى آخري الصديق يكون علي المدى القصير وفقا لما تقتضيه المصلحة ، أم الحليف يكون علي المدى البعيد حيث تكون الأهداف واحدة ومتسقة.

ثانيا. سيناريوهات مستقبلية لسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط:- إن عملية رسم سيناريوهات عن اتجاهات ومسارات السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في الآونة القادمة من الأمور التي يكتنفها بعض الصعوبات ، نظرا لاقتراب موعد إجراء الانتخابات الأمريكية، والمقرر عقدها في ٥ نوفمبر ٢٠٢٤ ، ومع انسحاب الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدن من السباق الرئاسي القادم ، تتزايد التكهانات بفرض فوز المرشح الجمهوري والرئيس السابق دونالد ترامب ، وهو ما يفرض بدوره العديد من التساؤلات حول المعالم المستقبلية لسياسة الإدارة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. فمن المتوقع في حالة فوز المرشح الجمهوري ترامب بالانتخابات الرئاسية ، أن يزيد التعاون بين الولايات المتحدة والعديد من الدول في منطقة الشرق الأوسط، خاصة أن ترامب لا يركز كثيرا علي ملفات حقوق الإنسان عكس الإدارة الحالية ، ويركز بدلا من ذلك علي المنافع والمصالح الاقتصادية ، وعلي الجانب الآخر ما يتعلق بالعلاقة بين واشنطن وطهران في حالة فوز ترامب فمن المتوقع أن تشهد مزيدا من التوترات ، ووفقا للعديد من المسؤولين الاستخباراتيين أكدوا أن إيران تعمل علي تأجيج الانقسامات المجتمعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتسعي لتقويض حملة ترامب الانتخابية ، مدفوعين برغبة في تجنب نتيجة يرون أنها ستزيد من التوترات مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد صرح مرشح دونالد ترامب لمنصب نائب الرئيس جيه دي فانس ، إن طريقة التعامل مع النظام الإيراني لا يجب أن تكون مجرد ضربات صغيرة ، أو قصف حول إيران ، بل يجب أن تكون ضربة قوية للنظام الإيراني نفسه ، وانتقد فانس سياسة بايدن في التعامل مع إيران وقال إن ترامب خلال وجوده في البيت الأبيض، منع وصول الأموال إلي النظام الإيراني من خلال سياسة الضغط الأقصى علي إيران، وارتبطت هذه السياسة بانخفاض كبير في صادرات إيران النفطية وأثرت بشدة علي الاقتصاد الإيراني¹.

وفيما يتعلق بالعلاقات الأمريكية - الإسرائيلية في حالة فوز المرشح الجمهوري ترامب، فمن المتوقع أن تكون علاقات متينة إلي حد بعيد ، وظهرت بوادر العلاقة الحميدة مع الزيارة الاخيرة لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو إلي الولايات المتحدة لإلقاء خطاب أمام الكونجرس ، وعقب ذلك اجتمع نتانياهو مع الرئيس الأمريكي جو بايدن ونائبة الرئيس كامالا هاريس ، وهي المرشحة المحتملة للحزب الديمقراطي في الانتخابات القادمة ، وكانت تصريحات هاريس إلي الصحفيين مقلقة لرئيس الوزراء الإسرائيلي ، إذ قالت انه ليس بالإمكان أن نغض الطرف عن هذه المأسي ، ولن أصمت ، في أشاره إلي الأوضاع المأساوية علي الأراضي الفلسطينية.

1 مرشح ترامب لمنصب نائب الرئيس: ينبغي توجيه "لكمة قوية" للنظام الإيراني ، إيران انترنشنال ، <https://www.iranintl.com/ar/202407162760>

وفي أعقاب اجتماع نتنياهو مع الرئيس جو بايدن ونائبة الرئيس كامالا هاريس، عقد اجتماعاً آخر جمعه مع الرئيس السابق ترامب في ولاية فلوريدا، وقال ترامب في أعقاب الاجتماع إن هاريس أظهرت عدم الاحترام لإسرائيل، وأنا لا أعرف كيف يمكن لشخص يهودي أن يصوت لها، لكن الأمر متروك لهم¹.

وبغض النظر عن الإدارة الأمريكية الجديدة سواء كانت ديمقراطية أم جمهورية، فأمن إسرائيل علي رأس أولويات السياسة الأمريكية، وإن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل سوف تظل وثيقة، باعتبار الولايات المتحدة بالنسبة لإسرائيل الحليف الأكثر أماناً.

إن العلاقة بين نتنياهو و ترامب علاقة وثيقة للغاية، وإن حدث لها بعض الجمود بعد خروج دونالد ترامب من البيت الأبيض، ومبادرة نتنياهو بتقديم التهئة لرئيس جو بايدن، وهو ما أثار انزعاج ترامب الذي كان يصف نتائج الانتخابات بأنها كاذبة، ولكن ذابا هذا الجمود مع القاء الأخير في ولاية فلوريدا، وقد صرح نتنياهو أكثر من مرة بأن ترامب أفضل صديق لإسرائيل في البيت الأبيض علي الإطلاق، هو الرئيس الأكثر تأييداً لإسرائيل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

في حالة فوز المرشحة الديمقراطية كامالا هاريس بالانتخابات الرئاسية، فمن المتوقع أن تحافظ إلى حد بعيد علي نهج الرئيس جو بايدن في سياستها الخارجية إزاء العديد من الملفات ولكنها قد تتبني لهجة أكثر صرامة مع إسرائيل بشأن الحرب في غزة².

وعلي الرغم من تأييدها بشكل علي لقرار حل الدولتين عندما كانت عضواً في مجلس الشيوخ، إلا أنها في أوائل عام ٢٠١٧ شاركت في دعم قرار يدين السياسات الاستيطانية الإسرائيلية، وخلال الحرب الإسرائيلية علي قطاع غزة برزت هاريس كواحدة من أوائل القادة في الإدارة الأمريكية الذين دعوا إلى وقف إطلاق النار، ووجهت انتقادات لاذعة للحكومة الإسرائيلية بشأن ملف المساعدات الإنسانية³.

من المتوقع في حالة فوز كامالا هاريس في الانتخابات الرئاسية، أن تسعى إلى استئناف المفاوضات مرة أخرى مع طهران في فيينا، والتي كانت قد توقفت في سبتمبر ٢٠٢٢، إذا انشغلت إدارة بايدن خلال الأشهر الماضية بالاستعداد لجولة جديدة من الانتخابات الرئاسية، ولم تعطي أهمية كبيرة بملف المفاوضات مع إيران بشأن البرنامج النووي، أما في حالة فوز مرشح ديمقراطي أخري فمن المتوقع أن يشرع في الجلوس مرة أخرى علي طاولة المفاوضات مع طهران لتواصل لاتفاق نووي جديد "برجام ٢"، لكن ذلك يتوقف علي الجانب الإيراني ومدى تقبله لتقدم تنازلات أثناء عملية المفاوضات في فيينا، وما يعزز فرص نجاح الإدارة الديمقراطية المحتملة من التوصل إلى اتفاق بشأن

1. Alayna Treene and kylie Atwood, Trump meets with Netanyahu for first time since departing White House, 2024, accessed 2024.

<https://edition.cnn.com/2024/07/26/politics/trump-netanyahu-meeting-mar-a-lago/index.html>

في حالة فوزها بالرئاسة... كيف ستكون السياسة الخارجية هاريس، جريدة الشرق الأوسط، تاريخ الدخول يوليو ٢٠٢٤

<https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85/%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7>

<https://aawsat.com/%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9%E2%80%8B/5042524-%E2%80%8B%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%A7%D9%84-%D9%81%D9%88%D8%B2%D9%87%D8%A7-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%B3%D8%AA%D9%83%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B3%D8%9F>

3 غادة عبد العزيز، أبرز الملامح المتوقعة للسياسة الخارجية لكامل هاريس حال فوزها بالانتخابات الرئاسية الأمريكية، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٤، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤،

<https://marsad.ecss.com.eg/82122>

الملف النووي ، هو صعود الإصلاحيين بالانتخابات الرئاسية الاخيرة في طهران بقيادة مسعود بزشكيان ، ويميل الإصلاحيون بشكل عام نحو التقارب مع الغرب وفتح النوافذ المغلقة ، كما عبر بزشكيان عن رغبته في استئناف المفاوضات النووية مع الغرب ، برغم انتقاده لعدم الالتزام الغربي بالتعهدات الواردة في الاتفاق النووي لعام ٢٠١٥¹.

الخلاصة :-

أنه علي الرغم مما تشكله منطقة الشرق الأوسط من أهمية كبيرة بالنسبة ل واشنطن ، إلا أن العقود الأخيرة شهدت تحولا كبيرا في طريقة تعاطي الولايات المتحدة مع ملفات الشرق الأوسط المختلفة ، حيث إدي ظهور منافسون جدد للولايات المتحدة إلى جعلها تبتعد كثيرا عن الشرق الأوسط وتفاعلاته ، مع الحفاظ علي الثوابت الراسخة ، والاهتمام بشكل أكبر بمناطق الصراع مع القوي الكبرى مثل منطقة المحيطين الهندي والهادي.

علي الرغم من تسويق بايدن في حملته الانتخابية بأن سياسته الخارجية ستكون مختلفة كثيرا عن سياسة سالفة دونالد ترامب وصفا أيها بالسياسة الفاشلة ، إلا أنه يمكن القول أن الاختلاف بين الإدارتين لم يكن سيد الموقف كما ادعي بايدن في بداية ولايته ، ولقد تقاربت كلتا الإدارتين في بعض ملفات الشرق الأوسط كضرورة الانسحاب من أفغانستان والموقف من الأزمة السورية، واهمال الشأن السوداني ، وقد حنحت إلى التناقض في البعض الآخر ، ولقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات العامة طبقا لما اشتملت عليه الدراسة وهي كما يلي:-

١. خلصت الدراسة إلى أن تفاعل كلا من الإدارتين جو بايدن ودونالد ترامب ، قد تراجعت عن الإدارات السالفة تجاه الشرق الأوسط، فقد اولت الإدارتين أهمية أكبر بمناطق الصراع مع القوي الكبرى كمنطقة المحيطين الهندي والهادي لمواجهة النفوذ الصيني ومنطقة أوروبا الشرقية لموجهة النفوذ الروسي .

٢. انتهت الدراسة إلى التأكيد علي محافظة الإدارتين علي ثوابت السياسة الأمريكية نحو المحافظة علي أمن الكيان ودعمه وضمن تفوقه علي حوار الإقليمي ، وضمن وصول الطاقة إلى واشنطن والعواصم الغربية المختلفة ، وموجهة القوة الصاعدة وإن كان بدرجة أقل لما كانت عليه سابقا.

٣. إشارة الدراسة إلى التحسن الواضح في العلاقة بين القاهرة وواشنطن في ظل إدارة ترامب عما كانت عليه في إدارة سالفة باراك أوباما ، ثم ما لبثت أن شهدت العلاقة بينهما نوع آخر من الجمود مع وصول جو بايدن إلى الحكم مع عدم التصعيد ، ثم فرضت الظروف الإقليمية علي إدارة بايدن زيادة انفتاحها علي القاهرة لمواجهة الاضطرابات المشتعلة في الشرق الأوسط.

٤. أكدت الدراسة أن إدارة دونالد ترامب كانت الإدارة الأمريكية الأكثر انخياز لإسرائيل ، واتخذت خطوات جادة في دعم الكيان الإسرائيلي منها اعتراف ترامب بالقدس كعاصمة ابدية لإسرائيل ، والإعلان عن خطة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ، وطرح مشروع صفقة القرن ، كما تشابكت إدارة بايدن في دعم الكيان ماديا وسياسيا وإعلاميا ، خاصة في حربها المستمرة في الوقت الحالي

1 ما مستقبل العلاقة بين واشنطن وطهران في ظل الإدارة الأمريكية القادمة ، ٢٠٢٤ ، تاريخ الدخول يوليو ٢٠٢٤ ، <https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/9504>

- علي قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ ، وتوفير الغطاء القانوني له وجرائمه في حق المدنيين ، وعرقلة أي محاولة دولية لتجريم الاحتلال ، وعلي الرغم من رفض إدارة بايدن مشروع صفقة القرن إلا أنها لم تقدم مشروعاً بديلاً يقوم بالأساس علي حل الدولتين.
٥. لقد تشابهت سياسة الإدارتين تجاه الخرطوم في مجملها، فالقد كان الإهمال وعدم الاكتراث لما يحدث على الأرض هو المشهد العام .
٦. كما أنا كلا من الإدارتين لم يكن لهم استراتيجية واضحة بشأن الملف الأفغاني ، وعلي الرغم من اختلاف ترامب وبايدن في طريقة التعامل مع ذلك الملف ، لكن تبقا الغريزة الأصلية التي جمعتهما هو قرار الانسحاب من الأراضي الأفغانية وهو ما تحقق في ظل ولاية الأخير.
٧. أكدت الدراسة علي التناقض في المواقف بين إدارة ترامب وإدارة بايدن ، حيث كانت الأول الأكثر تشدداً في التعامل مع طهران خاصة الجانب المتعلق بالملف النووي، وتمثلت سياسة ترامب مع طهران في الانسحاب من الاتفاق النووي الذي سبق أن وقعه أوباما في يوليو ٢٠١٥ ، مع الزيادة في فرض العقوبات الاقتصادية وهو ما يطلق عليه سياسة الضغط الأقصى ، فيما تبنت إدارة الاخير المسار التفاوضي مع إيران ، وكانت سياسة بايدن أقرب ما تكون إلي سياسة أوباما.
٨. كانت سياسة ترامب وبايدن متقاربة إلي درجة كبيرة في الملف السوري ، بخصوص فك الارتباط وسرعة الانسحاب وتقليل الانخراط في ديناميكيات الأزمة السورية .

٩. أكدت الدراسة علي التحسن الملحوظ بين الجانبين الأمريكي و التركي من حيث الشكل في عهد دونالد ترامب ، لكن من حيث المضمون والتحركات الفعلية فلم تنتج جديد ، فقد استمرت إدارة ترامب في فرض العقوبات علي أنقرة وتوجيه التهديدات اللاذعة خاصة ما يتعلق منها بالملف السوري، فيما بلغت قمت التوترات بين البلدين مع وصول بايدن إلي البيت الأبيض ، فكان التجاهل والارتياح سيد الموقف، وقد ساهمت الخيارات المستقلة لأنقرة في زيادة التوترات بين البلدين والتي يقع علي رأسها، موقف أنقرة من الحرب الأوكرانية الاقرب إلي الحياد وهو ما تعبره واشنطن انخيازاً كاملاً للجانب الروسي وخروج عن السرب الأطلسي، إضافة إلي موقف الرئيس رجب طيب اردوغان من الحرب علي قطاع غزة ، وتصريحاته المعارضة لسياسة الاحتلال وهو بدوره يزعم الإدارة الأمريكية.

قائمة المراجع :-

١. جمال عبد الجواد، اتجاهات السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في عهد بايدن، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢١ .
٢. Egypt – US relations : New chapter under Biden's Administration, 2021, accessed July. 2024 <https://www.dailynewsegypt.com/2021/07/04/egypt-us-relations-new-chapter-under-bidens-administration/>
٣. أحمد يوسف أحمد ، مصر وإدارة " بايدن" ، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مارس ٢٠٢١ .
٤. متحدث الخارجية الأمريكية يكشف عن موقف بالده من أزمة سد النهضة ، المصري اليوم ، ٢٠٢٢ ، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤ <https://www.almasryalyoum.com/news/details/2742230>
٥. عبدالله مصباح محمد أبو داير، الوضع الفلسطيني من بين إدارتي ترامب وبايدن ، مركز باحث للدراسات ص١ .
٦. Hesham Youssef, things to know : Biden's Approach to the Israeli Palestinian conflict, 2021

accessed August 2024, <https://www.usip.org/publications/2021/06/10-things-know-bidensapproach-Israeli-Palestinian-conflict>

٧. سعيد عكاشة، حرب غزة وتأثيرها علي العالقات الأمريكية- الإسرائيلية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢٤.

٨. David Makovsky , The Israeli- Hamas and U.S policy:An Update ,2023, accessed August 2024

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/israel-hamas-war-and-us-policy-update>

٩. عاطف الجولاني، محددات السياسة الأمريكية تجاه الحرب الإسرائيلية علي غزة واتجاهاتها المستقبلية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، المجلد ١٣٥، أبريل - ٢٠٢٤، ص ١ .

١٠. حمد سيد أحمد، أمريكا والسودان.. من العداء إلي التقارب المشروط ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢٠ ، العدد ٤٨٨٧٦ .

١١. Aly verjee, Sudan after sanctions Sudanese views of relations with the United states, 2024, accessed August 2024

١٢. Cameron Hudson, A Us agenda for action in Sudan's information environment, 2023, accessed July, <https://www.atlanticcouncil.org/in-depth-research-reports/issue-brief/a-us-agenda-for-action/in-sudans-information-environment>

١٣. شيماء ماهر ، دينا للموم، إسراء عادل ، منة صالح ، عام علي الحرب : رؤية تقييمية للصراع الحالي في السودان وسيناريواته مستقبلية ، إصدار خاص مركز شاف ص ٢٧ .

١٤. ياسمين احمد اسماعيل صالح، التدايعيات الدولية والإقليمية للانسحاب الأمريكي من أفغانستان ، مجلة كلية السياسة والاقتصاد ، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع عشر، أبريل ٢٠٢٢، ص ١ .

١٥. سمر تامر ، لماذا فشلت الولايات المتحدة في أفغانستان، مجلة السياسة الدولية،

<https://www.siyassa.org.eg/News/18085.aspx>

١٦. AKSHAY RANADE ,TRUMP'S Afghanistan strategy and Emerging Alignments in the :Region

. Implications for India, observer Research foundation, Issue No 209,November 201

١٧. Eugene Kiely and Robert Farley, Timeline Of U.S . withdrawal from. Afghanistan, 2021, accessed July 2024, <https://www.factcheck.org/2021/08/timeline-of-u-s-withdrawal-from-afghanistan/>

١٨. U.S. with drawl from Afghaniastan document outlines the decisions and challenges surrounding the

-U.S. with drawl from Afghaniastan. <https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements>

١٩. مرجع سابق ذكره ص ٨ .

٢٠. خيارات السياسة الأمريكية بعد الانسحاب من أفغانستان ، مركز الإمارات للسياسات ، ٢٠٢١ ، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤

<https://epc.ae/ar/details/featured/khiarat-alsiyasa-alamrikiya-baed-alainsihab-min-afghanistan>

٢١. أحمد عبد العليم ، البرنامج النووي الايران(٣- ٣)، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦ ، تاريخ الدخول يوليو

٢٠٢٤

<https://rawabetcenter.com/archives/19629>

٢٢. هديل حربي ذاري ، الموقف الأمريكي من البرنامج النووي الإيراني ٢٠٠٩- ٢٠١٩ ، مجلة قضايا سياسية ، العدد ٦٤ ، مارس ٢٠٢١ ، ص ٤ .
٢٣. امانح علي عثمان ، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إيران بين إدارة أوباما وترامب، مجلة جامعة جيهان- اربيل للعلوم الإنسانية الاجتماعية، المجلد ٥ ، العدد ٢(٢٠٢١)، ص ٣٨ .
٢٤. عتيقة بن يحيى ، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إيران في ظل إدارة دونالد ترامب، مجلة البحوث في الحقوق والعلوم السياسية، المجلد ١٠٤، العدد ١٠، ديسمبر ٢٠١٨ ، ص ٢٥٢ .
٢٥. ستار جبار علاوي، العلاقات الإيرانية- الأمريكية في عهد دونالد ترامب، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤ .

<https://afaip.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA,->

[/D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-D9%80-](https://www.vox.com/world/2018/5/8/17328520/iran-nuclear-deal-trump-withdraw)

[D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9-D9%81%D9%8A-](https://www.vox.com/world/2018/5/8/17328520/iran-nuclear-deal-trump-withdraw)

[%/D8%B9%D9%87%D8%AF-2](https://www.vox.com/world/2018/5/8/17328520/iran-nuclear-deal-trump-withdraw)

Zack Beauchamp, trump's withdrawal from the Iran nuclear deal – explained, 2018, ٢٦ accessed August 2024 ,

<https://www.vox.com/world/2018/5/8/17328520/iran-nuclear-deal-trump-withdraw>

٢٧. جاسم محمد هائيس، موقف إدارة جو بايدن من البرنامج النووي الإيراني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٨٨، أكتوبر ٢٠٢٣ ، ص ٦٦ .
٢٨. سهام فتحي سليمان أبو مصطفى، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية ٢٠١٣-٢٠١١ (رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأزهر غزة ٢٠١٥)، ص ٤٠ .
٢٩. مسعود رشدي، إستراتيجية الإدارة الأمريكية خلال فترة أوباما في إدارة الأزمة السورية (رسالة ماجستير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية- جامعة باتنة ١ ، ٢٠١٥)، ص ٣٥ .
٣٠. مروان قبلان ، المسألة السورية واستقطابها الإقليمية والدولية : دراسة في معادلات القوة والصراع علي سورية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس ٢٠١٥ ، ص ١١ .
٣١. مؤلف جماعي ، الشرق الأوسط في ظل أحداثات السياسة الخارجية الأمريكية " دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما و ترامب، المركز الديمقراطي العربي ، ٢٠١٥ ، ص ٣٠٨ .
٣٢. مرجع سابق ذكره ص ١٢ .

<https://abcnews.go.com/International/us-launches-military-strike-syria/story?id=46632349>

٣٤. خالد هاشم ، السياسة الخارجية الأمريكية ما بين جو بايدن ودونالد ترامب : استمرارية أم تغيير ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، فبراير ٢٠٢٢ ، ص ٧ .

Abdulrahman al – masri and Reem salahy , The Biden administration's Syria policy sets a path towards disengagement. Here's why it's problematic, 2022, accessed August 2024,

<https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/the-biden-administrations-syria-policy-sets-a->

[/path-towards-disengagement-heres-why-its-problematic](#)

٣٦. أحمد يونس زويد الجعشمي ، أحمد حاسم إبراهيم الشمري ، تطور العلاقات الأميركية- التركية للمدة من ١٩٤٧ - ١٩٩١ دراسة تاريخية ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠١٨ ، المجلد ٨ ، العدد ٢ ، ص ١٧ .

٣٧. محمد رسمي الذنبيات ، العلاقات التركية - الأمريكية في ظل حزب العدالة والتنمية،(رسالة ماجستير منشورة، كلية الدراسات العليا- جامعة مؤتة ٢٠١٦) ص ١.

٣٨. عبد الرحمن عادل ، العلاقات الأميركية- التركية بعد انقلاب عام ٢٠١٦ ، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية ، المجلد ٣٧ ، العدد الأول ٢٠٢٣ ، ص ٧٥٢ .

٣٩. منصور أبو كريم ، اتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل حكم ترامب ، مركز حرمون للدراسات المعاصرة ، يناير ٢٠١٨ ، ص ٢٦ .

٤٠. محمد نور الدين ، التطورات المتناقضة في العلاقات الأمريكية التركية ثنائيا وإقليميا، مجلة شؤون عربية ، مارس ٢٠١٩ ، تاريخ الدخول ٢٠٢٤ يوليو

<https://arabaffairsonline.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA>

[D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D9%86%D8%A7%D9%82%D8%B6%D8%A9-%D9%81%D9%8A-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-](#)

[%/D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%](#)

٤١. مرشح ترامب لمنصب نائب الرئيس :ينبغي توجيه " لكلمة قوية " للنظام الإيراني ، إيران اينترنشتال ،

<https://www.iranintl.com/ar/202407162760>

٤٢ . Alayna Treene and kylie Atwood, Trump meets with Netanyahu for first time since departing White House, 2024 , accessed 2024 , <https://edition.cnn.com/2024/07/26/politics/trump-netanyahumeeting-mar-a-lago/index.html>

٤٣ . في حالة فوزها بالرئاسة...كيف ستكون السياسة الخارجية لهاريس، جريدة الشرق الأوسط، تاريخ الدخول يوليو ٢٠٢٤

<https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85/%D8%A7%D9%84%D9%88>،

[%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA-](#)

[D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9%E2%80%8B/504252](#)

[4-](#)

[%E2%80%8B%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%A7%D9%84-](#)

[%D9%81%D9%88%D8%B2%D9%87%D8%A7-](#)

[%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D8%A7%D8%B3%D8%A9-](#)

[%D9%83%D9%8A%D9%81-](#)

[%D8%B3%D8%AA%D9%83%D9%88%D9%86-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-](#)

%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B3%D8%9F

٤٤. غادة عبد العزيز ، أبرز الملامح المتوقعة للسياسة الخارجية لكامل هاريس حال فوزها بالانتخابات الرئاسية الأمريكية، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، تاريخ الدخول أغسطس ٢٠٢٤ ،

<https://marsad.ecss.com.eg/82122/>

٤٥. ما مستقبل العلاقة بين واشنطن وطهران في ظل الإدارة الأمريكية القادمة ، ٢٠٢٤ ، تاريخ الدخول يوليو ٢٠٢٤ ،

عرض كتاب:

التزييف العميق وتقنيات الخداع الرقمي - دراسة متعمقة في التحديات المهنية والتقنية

الناشر: دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة

سنة النشر: 2024

المؤلف: علي فرجاني / باحث ومحاضر في صحافة الذكاء الاصطناعي والفضاء السيبراني

المستخلص:

تستعرض هذه الدراسة تقنية التزييف العميق (Deepfake) بوصفها إحدى أكثر الابتكارات التكنولوجية تطوراً وإثارة للجدل في العصر الرقمي، حيث تعتمد هذه التقنية على الشبكات العصبية التوليدية التنافسية (GANs) لتوليد محتويات مرئية وسمعية مزيفة تحاكي الواقع بدقة يصعب تمييزها عن الحقيقة. وقد اكتسبت هذه التقنية اهتماماً واسعاً نظراً لتداعياتها الخطيرة على مجالات متعددة، أبرزها الإعلام، السياسة، والأمن السيبراني.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأسس التقنية التي تقوم عليها تقنية التزييف العميق، مع تسليط الضوء على تأثيراتها العميقة على صناعة الإعلام وثقة الجمهور في المعلومات، وكذلك قدرتها على التأثير في الرأي العام والسياسات من خلال إنشاء محتويات مفكرة تُستخدم لأغراض خبيثة، مثل التأثير في نتائج الانتخابات أو تشويه سمعة الشخصيات العامة.

إضافة إلى ذلك، تركز الدراسة على الجانب الأمني، موضحة كيف يمكن استغلال هذه التقنية في شن هجمات سيبرانية معقدة تستهدف زعزعة الاستقرار السياسي والاقتصادي للدول. كما تتناول الدراسة الأبعاد القانونية والأخلاقية للتزييف العميق، موضحة الفجوات التشريعية الحالية التي تسمح باستخدام التقنية دون ضوابط كافية، مما يزيد من الحاجة إلى تحديث الأطر القانونية والتنظيمية لمواكبة التطور السريع في هذا المجال.

وفي الجانب الإيجابي، تستعرض الدراسة بعض التطبيقات البناءة للتزييف العميق، مثل استخدامه في الترفيه والتعليم والطب، حيث يساهم في تحسين المؤثرات البصرية في الأفلام، وتعزيز تجارب التعليم الافتراضي، فضلاً عن دوره في تطوير المحاكاة الطبية والجراحية.

تختتم الدراسة بمجموعة من التوصيات العملية والعلمية، تشمل تطوير تقنيات متقدمة لكشف المحتويات المزيفة، وتعزيز التعاون بين الحكومات والشركات التقنية والمؤسسات الإعلامية لمكافحة الاستخدامات الضارة للتزييف العميق. كما توصي بتعزيز التنقيف الإعلامي للجمهور لتمكينهم من التمييز بين المحتوى الحقيقي والمزيف، إلى جانب ضرورة تطوير أطر قانونية وأخلاقية شاملة للتعامل مع هذه التقنية، بهدف الحد من تأثيراتها السلبية وحماية استقرار المجتمعات والديمقراطيات.

الكلمات المفتاحية: تقنية التزييف العميق، الشبكات العصبية التوليدية التنافسية، هجمات سيبرانية، الفجوات التشريعية، المؤثرات البصرية، التعليم الافتراضي.

Abstrac:

his study examines **Deepfake technology**, one of the most advanced and controversial technological innovations of the digital age. This technology relies on **Generative Adversarial Networks (GANs)** to create highly realistic, yet artificially generated visual and audio content that is difficult to distinguish from genuine material. The widespread

attention garnered by Deepfake technology is largely due to its significant implications for various sectors, including media, politics, and cybersecurity.

The aim of this study is to analyze the technical foundations of Deepfake technology, highlighting its profound impact on the media industry and public trust in information. It also explores how Deepfake can manipulate public opinion and political processes by creating fabricated content used for malicious purposes, such as influencing election outcomes or damaging the reputations of public figures.

Additionally, the study addresses the security risks posed by Deepfakes, demonstrating how this technology can be exploited in complex cyberattacks aimed at destabilizing the political and economic stability of nations. The research also delves into the legal and ethical challenges associated with Deepfake technology, emphasizing the current legislative gaps that allow for its unregulated use, thereby underscoring the need to update legal and regulatory frameworks to keep pace with rapid technological advancements.

On a positive note, the study highlights some constructive applications of Deepfake technology, such as its use in entertainment, education, and healthcare. Deepfake technology contributes to enhanced visual effects in films, improves virtual learning experiences, and aids in medical and surgical simulations.

The study concludes with a set of practical and scientific recommendations, including the development of advanced technologies for detecting fake content, and fostering collaboration between governments, tech companies, and media institutions to combat the harmful uses of Deepfakes. Furthermore, it calls for increased media literacy to enable the public to distinguish between real and fake content, along with the need for comprehensive legal and ethical frameworks to mitigate the negative impacts of Deepfake technology and safeguard the stability of societies and democracies.

Keywords: Deepfake technology, Generative Adversarial Networks (GANs), Cyber attacks, Legislative gaps, Visual effects, Virtual education.

مقدمة :

في ظل التقدم الكبير الذي تشهده التكنولوجيا الرقمية، برزت تقنية التزييف العميق (Deepfake) كواحدة من أكثر الابتكارات إثارة للجدل، حيث تعتمد هذه التقنية على خوارزميات الذكاء الاصطناعي، وخاصة الشبكات العصبية التوليدية التافسية (GANs)، لتوليد محتويات رقمية مزيفة مثل الفيديوهات والتسجيلات الصوتية والصور، بحيث تبدو حقيقية للغاية ويصعب تمييزها عن الواقع. في البداية، تم توظيف هذه التقنية في مجالات الترفيه والإبداع الفني، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى مصدر قلق متزايد بسبب استغلالها لأغراض خبيثة في الإعلام والسياسة وحتى الأمن السيبراني، ما يثير تساؤلات حول تأثيراتها المستقبلية على مصداقية المعلومات واستقرار المجتمعات. لم يعد التزييف العميق مجرد أداة تكنولوجية، بل أصبح سلاحاً قوياً في أيدي من يسعى إلى التلاعب بالمعلومات وتشويه الحقائق. مع ظهور مقاطع فيديو مفبركة لشخصيات سياسية واجتماعية في مواقف محرجة أو الادلاء بتصريحات مزيفة، باتت هذه التقنية تستخدم على نطاق

واسع في التضليل الإعلامي وإثارة الفوضى. يُعد التأثير المباشر على الرأي العام من أخطر ما يمكن أن ينتج عن هذه التقنية، حيث يمكن أن تؤدي المعلومات المزيفة إلى قرارات متسارعة، أو خلق حالة من عدم الثقة بين الجمهور ووسائل الإعلام التقليدية.

من جهة أخرى، لا تقتصر مخاطر التزييف العميق على الإعلام فحسب، بل تتعداه لتشكل تهديداً واضحاً على العمليات السياسية والديمقراطية. في ظل الحملات الانتخابية التي تتعرض فيها الشخصيات العامة لمحاولات التشويه، تُستخدم هذه التقنية لتزييف فيديوهات أو تسجيلات تهدف إلى تغيير وجهات نظر الناخبين.

الأمن السيبراني: يمثل بدوره ساحة أخرى تتعرض لخطر التزييف العميق. في هذا السياق، يمكن للتقنية أن تُستخدم في هجمات سيرانية معقدة تستهدف مؤسسات حيوية أو شخصيات بارزة، مما يثير الأزمات السياسية أو الاقتصادية. الهجمات التي تعتمد على محتويات مزيفة قد تؤدي إلى تصاعد التوترات بين الدول، أو حتى إثارة التراعات العسكرية، نتيجة الثقة بالمحتويات الزائفة المتداولة عبر الإنترنت.

وعلى الرغم من هذه المخاطر، فإن التزييف العميق ليس بالضرورة أداة سلبية؛ إذ أنه يحمل إمكانات هائلة في مجالات مثل التعليم والترفيه. على سبيل المثال، يُستخدم التزييف العميق في صناعة الأفلام لتحسين المؤثرات البصرية وإعادة إحياء شخصيات تاريخية، أو في تقديم محاضرات تعليمية باستخدام شخصيات افتراضية. في الطب، تُستخدم التقنية في المحاكاة الجراحية والتدريب الطبي، مما يعزز من كفاءة العمليات التدريبية ويقلل من المخاطر.

ومع ذلك، فإن هذا التطور السريع في تقنية التزييف العميق يثير تساؤلات أخلاقية وقانونية معقدة. فمع عدم وجود أطر قانونية واضحة تنظم استخدامها، يصبح من الصعب محاسبة من يستخدمون هذه التقنية لأغراض غير قانونية أو خبيثة. وهذا الفراغ التشريعي يزيد من الحاجة الملحة لتطوير قوانين جديدة تحرم استخدام التزييف العميق في الجرائم الرقمية، مثل التشهير أو الابتزاز، وتضع حدوداً واضحة لضمان عدم استغلال هذه التقنية لإلحاق الضرر بالمجتمع.

في هذه الدراسة، يتم تقديم تحليل علمي لتقنية التزييف العميق، مع التركيز على الأسس التقنية التي تقف خلف هذه التكنولوجيا، وتأثيراتها على الإعلام والسياسة والأمن السيبراني. كما تستعرض الدراسة التطبيقات الإيجابية للتقنية، مع اقتراح حلول تكنولوجية وقانونية لمواجهة استخدامها الضار. تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يضع الأسس العلمية لفهم التقنية ويوفر توصيات عملية لمواجهة التحديات المتزايدة التي تفرضها على المجتمعات الحديثة.

في ظل هذه التحديات، يتطلب الأمر تصافراً الجهود الدولية بين الحكومات، المؤسسات الإعلامية، والشركات التقنية لتطوير أدوات متقدمة للكشف عن التزييف العميق، وإصدار تشريعات قانونية تواكب التطور السريع لهذه التقنية. إلى جانب ذلك، يجب تعزيز التوعية العامة وتثقيف الأفراد حول كيفية التحقق من صحة المحتويات الرقمية التي يتعرضون لها، للحد من تأثير التزييف العميق على الثقة في المعلومات المتداولة.

مشكلة البحث

تقنية التزييف العميق (Deepfake) تمثل مشكلة معقدة في عصرنا الحالي بسبب استخدامها المتزايد في خلق وترويج محتوى مزيف يبدو حقيقياً. تعتمد هذه التقنية على الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية التوليدية، لتوليد صور ومقاطع فيديو وصوتيات تبدو واقعية جداً ولكنها مزورة بالكامل. يكمن التحدي في أن هذه المحتويات تُستخدم على نطاق واسع لإحداث تأثيرات خطيرة في مجالات متعددة تشمل الإعلام، السياسة، الاقتصاد، والأمن السيبراني.

الأبعاد الأساسية لمشكلة البحث:

1- التضليل الإعلامي والسياسي: يمكن استخدام التزييف العميق لإنتاج فيديوهات مزيفة لشخصيات سياسية أو شخصيات عامة تنشر معلومات كاذبة أو تخلق تصورات خاطئة لدى الجمهور. يشكل هذا التحدي تهديداً حقيقياً على استقرار المجتمعات والديمقراطيات حول العالم.

2- فقدان الثقة في الإعلام والمعلومات: يخلق التزييف العميق بيئة رقمية يصبح فيها من الصعب على الأفراد والجماعات التمييز بين الحقيقة والزيف. يمكن أن يؤدي هذا إلى انعدام الثقة في الإعلام التقليدي وحث المعلومات المتاحة عبر الإنترنت، مما يسبب فوضى معلوماتية تعزز من انتشار الأخبار الكاذبة والمضللة.

3- تهديدات الأمن السيبراني: يمكن استخدام التزييف العميق في المحركات السيرانية، مثل إنتاج فيديوهات مزيفة أو تسجيلات صوتية لقادة سياسيين أو شخصيات بارزة في مؤسسات حيوية، مما يؤدي إلى زعزعة استقرار الدول أو إحداث أزمات سياسية أو اقتصادية خطيرة.

4- التحديات القانونية والأخلاقية: عدم وجود أطر قانونية واضحة تنظم استخدام التزييف العميق يعقد مسألة الحد من استغلاله لأغراض غير قانونية. في الوقت الذي تتطور فيه التقنية بسرعة كبيرة، تبدو القوانين الحالية غير كافية للتعامل مع المخاطر التي تنتج عنها.

تساؤلات الدراسة:

كيف يمكن أن تؤثر تقنية التزييف العميق على المجالات السياسية والإعلام والأمن السيبراني، وما هي أفضل الطرق لمكافحة استخدامها الضار؟

الأسئلة الفرعية:

- ما هي التحديات التقنية والعملية التي تفرضها تقنية التزييف العميق على الإعلام والسياسة؟
- كيف يمكن اكتشاف محتوى التزييف العميق باستخدام الذكاء الاصطناعي والتقنيات الحديثة؟
- ما هي الأطر القانونية والأخلاقية التي يمكن أن تساعد في تنظيم استخدام التزييف العميق؟

أهداف البحث:

يركز البحث على عدة أهداف رئيسية تتمحور حول فهم وتحليل تقنية التزييف العميق وتأثيراتها على مختلف المجالات، مع تقديم حلول علمية وعملية لمواجهتها. وفيما يلي الأهداف الرئيسية للبحث:

1- فهم الأسس التقنية لتقنية التزييف العميق:

- يهدف البحث إلى تقديم شرح علمي متعمق لآلية عمل تقنية التزييف العميق، بما في ذلك الأسس العلمية والخوارزميات المستخدمة في إنتاج المحتويات المزيفة، كما يركز البحث على تحليل عمل الشبكات التوليدية التنافسية (GANs) والدور الذي تلعبه في تحسين جودة المحتوى المزيف.

2- تحليل تأثير التزييف العميق على الإعلام والسياسة:

- يهدف البحث إلى تحليل التأثير المباشر وغير المباشر لتقنية التزييف العميق على وسائل الإعلام وعلى الاستقرار السياسي في الدول. وكيف تؤثر هذه التقنية على تشكيل الرأي العام وتوجيهه نحو معلومات كاذبة جزئياً رئيسياً من أهداف الدراسة.

3- استعراض تطبيقات التزييف العميق في المجالات المختلفة:

- يرصد البحث التطبيقات المختلفة للترفيف العميق، سواء كانت إيجابية مثل تحسين التجارب التعليمية والترفيهية، أو سلبية مثل استخدامها في التضليل السياسي والجرائم السيبرانية.

4- تحليل الأطر القانونية والأخلاقية المرتبطة بالترفيف العميق:

- يهدف البحث إلى تقديم تحليل دقيق للتحديات القانونية التي تواجه الحكومات والمؤسسات في تنظيم استخدام الترفيه العميق. سيتم استعراض القوانين الموجودة حالياً ومدى فعاليتها، مع اقتراح سبل لتحسين الأطر القانونية لتتماشى مع التطور السريع لهذه التقنية.

5- استراتيجيات كشف ومواجهة الترفيه العميق:

- يستعرض البحث الأدوات العلمية والتكنولوجية المستخدمة للكشف عن الترفيه العميق، مثل استخدام الذكاء الاصطناعي والخوارزميات المتقدمة. يهدف البحث إلى اقتراح حلول فعالة للكشف المبكر عن المحتوى المزيف، بالإضافة إلى تقديم استراتيجيات عملية لمواجهة هذه التقنية على المستويين القانوني والتكنولوجي.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على أحد أكبر التحديات التقنية التي يواجهها العالم في العصر الرقمي. يتزايد استخدام الترفيه العميق بشكل سريع، مما يجعله قضية ملحة تحتاج إلى حلول علمية وتنظيمية عاجلة. لذلك، يُعد البحث ذا أهمية خاصة للعديد من الجهات:

1- الأهمية التقنية والعلمية:

يعتبر البحث مرجعاً علمياً هاماً لفهم الأسس التقنية التي تقوم عليها تقنية الترفيه العميق. من خلال تحليل الخوارزميات الذكية مثل GANs وتعلم الآلة، يوفر البحث فهماً عميقاً للكيفية التي تُنشأ بها المحتويات المزيفة، مما يساعد الباحثين في مجالات الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني على تطوير أدوات جديدة لمكافحةها.

2- الأهمية الإعلامية والسياسية:

في عالم يعتمد فيه الناس بشكل متزايد على وسائل الإعلام الرقمي للحصول على المعلومات، يصبح التحكم في دقة هذه المعلومات أمراً بالغ الأهمية. سيساعد البحث الصحفيين والمؤسسات الإعلامية في فهم التحديات التي يفرضها الترفيه العميق على صناعة الإعلام، وكيف يمكن مواجهة هذا التهديد. كما أن الترفيه العميق يُعد أداة قوية للتأثير على السياسات الوطنية والدولية، مما يجعل البحث ذا أهمية كبيرة لصناع القرار والسياسيين.

3- الأهمية القانونية والأخلاقية:

تطرح تقنية الترفيه العميق أسئلة أخلاقية وقانونية معقدة تتعلق بحقوق الأفراد وخصوصيتهم، واستخدام المحتوى المزيف لأغراض خبيثة. يسعى البحث إلى مساعدة الحكومات والمشرعين على فهم الأبعاد القانونية لهذه التقنية، مع اقتراح حلول تشريعية تحمي المجتمعات من الاستخدامات الضارة للترفيف العميق.

4- الأهمية المجتمعية:

بالنسبة للمجتمع، يُعد الترفيه العميق تهديداً حقيقياً يمكن أن يزعزع الثقة بين الأفراد والإعلام والسياسات. يُعزز البحث الوعي حول هذه التقنية وكيف يمكن للفرد العادي أن يتعلم اكتشاف المحتوى المزيف والتصدي له. يلعب التثقيف الإعلامي دوراً حاسماً في الحد من تأثير الترفيه العميق على الأفراد والجماعات، وهو ما يهدف إليه البحث.

5- الأهمية في مجال الأمن السيبراني:

تستخدم هذه التقنية كجزء من الهجمات السيبرانية المتقدمة. يُعتبر التزيف العميق تهديداً للأمن القومي وللمؤسسات الحيوية. من هنا، تأتي أهمية البحث في توفير استراتيجيات أمنية وتقنية للكشف المبكر عن المحتوى المزيف، مما يساهم في حماية الدول والمؤسسات من التهديدات السيبرانية.

منهجية البحث :

يعتمد البحث على المنهج التحليلي لدراسة تقنية التزيف العميق، من خلال تحليل البيانات والأبحاث المنشورة حول الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في مجال توليد المحتوى المزيف. كما يعتمد على المنهج الوصفي في استعراض تطبيقات التزيف العميق وتحليل تأثيرها على الإعلام والسياسة، مع استشراف الحلول التكنولوجية والتنظيمية الممكنة لمكافحة هذه التقنية.

الفصل الأول: الأسس التقنية لتقنية التزيف العميق

الذكاء الاصطناعي وتعلم الآلة

تعتبر تقنية التزيف العميق جزءاً من ثورة الذكاء الاصطناعي، حيث تعتمد بشكل رئيسي على تعلم الآلة (Machine Learning) والتعلم العميق (Deep Learning). يتطلب التزيف العميق كميات كبيرة من البيانات المرئية والصوتية الأصلية للتدريب، حيث تُحلل هذه البيانات بواسطة خوارزميات معقدة تُنشئ نماذج رقمية دقيقة للأشخاص المراد تزيفهم.

يتعلم نموذج التزيف العميق من هذه البيانات إنشاء محاكاة رقمية للشخص المستهدف، بما في ذلك ملامح الوجه، تعابيره، وحركاته الصوتية. تعمل الشبكات العصبية العميقة (Deep Neural Networks) على ربط هذه المعلومات لإنشاء محتوى جديد يبدو مطابقاً للواقع، ولكنه في الحقيقة زائف بالكامل.

الشبكات التوليدية التنافسية (GANs)

تلعب الشبكات التوليدية التنافسية (Generative Adversarial Networks - GANs) دوراً محورياً في عملية التزيف العميق. تتكون هذه الشبكات من نموذجين يعملان معاً:

المولد (Generator): يُنشئ المحتوى المزيف (مثل الصور أو الفيديو) بناءً على البيانات التي تم تدريبه عليها.

المميز (Discriminator): يُقيّم ما إذا كان المحتوى الذي أنشأه المولد حقيقياً أو مزيفاً. بمرور الوقت، يتحسن المولد في خداع المميز، مما يؤدي إلى إنتاج محتويات مزيفة أكثر دقة.

تقوم GANs بتكرار عملية التدريب هذه آلاف المرات، مما يؤدي في النهاية إلى تحسين جودة التزيف حتى يصل إلى درجة يصعب معها اكتشاف التلاعب.

تقنيات الذكاء الاصطناعي الأخرى المستخدمة

بالإضافة إلى GANs، هناك عدة تقنيات ذكاء اصطناعي أخرى تُستخدم في توليد التزيف العميق:

1- **التعلم المتعمق (Deep Learning):** يتم استخدام شبكات عصبية معقدة متعددة الطبقات لتحليل الأنماط البيانية، مثل تحليل الصور أو الصوت.

2- **التعلم المعزز (Reinforcement Learning):** يُستخدم هذا النوع من التعلم لتحسين أداء النموذج من خلال مكافأة الشبكة العصبية عند إنتاج محتوى ناجح.

3- تحليل البيانات الكبيرة: (Big Data Analytics) يعتمد التزيف العميق على تحليل كميات ضخمة من البيانات، بما في ذلك صور ومقاطع فيديو وسجلات صوتية لاستخراج الأنماط الضرورية للتزيف.

الفصل الثاني: تطبيقات التزيف العميق

في الصحافة والإعلام

أصبحت تقنية التزيف العميق تشكل تحدياً هائلاً لوسائل الإعلام والصحافة التقليدية. يمكن للتزيف العميق أن يُستخدم لإنشاء مقاطع فيديو أو تسجيلات صوتية مزيفة لشخصيات عامة، مما يهدد مصداقية الأخبار والمعلومات المنشورة. على سبيل المثال، يمكن إنشاء فيديو يظهر فيه زعيم سياسي يتحدث عن أمر خطير، في حين أنه لم يقم بذلك أبداً. هذا النوع من التزيف يمكن أن يُستخدم كأداة للدعاية السياسية أو التضليل الإعلامي على نطاق واسع، مما يُعقد عملية التحقق من الحقائق ويزيد من احتمالية انتشار الأخبار الكاذبة.

في السياسة والأمن السيبراني

يُعتبر التزيف العميق سلاحاً قوياً في الصراعات السياسية والحروب السيبرانية. من خلال إنشاء محتويات مزيفة، يمكن التأثير على الانتخابات، تشويه سمعة السياسيين، أو إثارة الأزمات الدولية. على سبيل المثال، يمكن نشر فيديو مزيف يُظهر قائداً سياسياً يعلن قرارات خطيرة، مما قد يؤدي إلى توترات دولية أو حتى نزاعات عسكرية. تتناول الدراسة أيضاً أمثلة عملية، مثل تأثير التزيف العميق على الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، حيث تم استخدام مقاطع فيديو مزيفة لمحاولة التأثير على الرأي العام.

التطبيقات الإيجابية

- على الرغم من أن التزيف العميق يُستخدم غالباً لأغراض سلبية، إلا أن هناك استخدامات إيجابية لهذه التقنية. على سبيل المثال:
- في صناعة الأفلام: يُستخدم التزيف العميق لتحسين المؤثرات البصرية أو إحياء الشخصيات السينمائية القديمة.
- في التعليم: يمكن للتزيف العميق إنشاء محاضرات افتراضية تقدمها شخصيات تاريخية أو علماء مشهورون، مما يعزز من تجربة التعليم.
- في الطب: يُستخدم التزيف العميق في العمليات الجراحية الافتراضية أو تدريب الأطباء على حالات نادرة عبر تقنيات الواقع الافتراضي.

الفصل الثالث: التزيف العميق والأخبار الكاذبة في حروب الجيل الخامس

تعد حروب الجيل الخامس نوعاً جديداً من الحروب التي تعتمد بشكل أساسي على المعلومات والتقنيات الرقمية بدلاً من الأسلحة التقليدية. في هذه الحروب، أصبحت الأخبار الكاذبة والتزيف العميق أدوات فعالة لتوجيه الرأي العام، تضليل الجماهير، وتشكيل النتائج السياسية دون الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية المباشرة. يقدم هذا الفصل تحليلاً لدور التزيف العميق والأخبار الكاذبة في حروب الجيل الخامس وكيفية استغلالهما في إحداث تأثيرات استراتيجية على الدول والمجتمعات.

مفهوم حروب الجيل الخامس

حروب الجيل الخامس هي نمط جديد من الحروب غير التقليدية يعتمد على المعلومات والتكنولوجيا الرقمية للتأثير على استقرار الدول والمجتمعات من دون اللجوء إلى التدخل العسكري المباشر. بدلاً من استخدام القوة المسلحة لتحقيق الأهداف السياسية أو العسكرية، يتم

التركيز في هذا النوع من الحروب على استخدام الأدوات السيبرانية والحملات الإعلامية لتحقيق الأهداف. يعتمد هذا النوع من الحروب على المهجمات الموجهة لزعزعة الثقة في المؤسسات الحكومية والسياسية، وإثارة الشكوك حول الأحداث الجارية باستخدام أدوات مثل الأخبار الكاذبة والتزييف العميق.

التزييف العميق كأداة لحروب الجيل الخامس

التزييف العميق يُعتبر سلاحاً رقمياً متطوراً في حروب الجيل الخامس لأنه يُمكن الجهات الفاعلة من خلق محتوى مزيف يبدو حقيقياً جداً، مما يُصعب على الجمهور التمييز بين الحقيقة والخيال. يستخدم التزييف العميق شبكات الذكاء الاصطناعي لتوليد مقاطع فيديو أو تسجيلات صوتية مزيفة لشخصيات سياسية أو اجتماعية هامة، مما يخلق أزمات سياسية أو اجتماعية داخل المجتمعات المستهدفة.

الخصائص التي تجعل التزييف العميق أداة قوية في حروب الجيل الخامس:

1. **التأثير العاطفي:** الفيديوهات والتسجيلات الصوتية المزيفة تملك قدرة كبيرة على التأثير العاطفي على الجماهير، حيث إن الصوت والصورة تخلقان مستوى عالياً من المصادقية الظاهرية.
2. **سهولة الانتشار:** بفضل وسائل التواصل الاجتماعي، يمكن نشر المحتويات المزيفة بسرعة فائقة، مما يضاعف تأثيرها خلال وقت قصير.
3. **صعوبة الكشف الفوري:** نظراً لتطور تقنيات التزييف العميق، يصبح من الصعب على الأفراد العاديين وحتى المتخصصين اكتشاف المحتوى المزيف بسرعة، مما يتيح للمعلومات الكاذبة فرصة للانتشار قبل اكتشاف زيفها.

الأخبار الكاذبة والتزييف العميق في التأثير السياسي

تُستخدم الأخبار الكاذبة والتزييف العميق بشكل أساسي في الحروب النفسية والسياسية للتأثير على سير الانتخابات، أو تشويه سمعة القادة السياسيين، أو حتى إثارة الأزمات الدولية. يمكن استخدام مقاطع فيديو مزيفة لشخصيات عامة تُظهرهم يتخذون قرارات غير مقبولة، أو ينطقون بأشياء لم يقولوها، مما يؤدي إلى إثارة الرأي العام ضدهم. على سبيل المثال، في بعض الحالات، تم استخدام التزييف العميق لإنشاء تسجيلات مزيفة لمرشحين سياسيين قبل الانتخابات لتشويه سمعتهم أو التأثير على نتائج التصويت. التضليل الرقمي عبر الأخبار الكاذبة يمكن أن يغير مواقف الناخبين أو يدفع الحكومات إلى اتخاذ قرارات بناءً على معلومات مغلوطة.

الأمثلة العملية في الحروب السيبرانية

في حروب الجيل الخامس، تعتبر العمليات السيبرانية والتزييف العميق جزءاً لا يتجزأ من تكتيكات الحرب الرقمية. العديد من الأمثلة الحديثة تُظهر كيف يمكن أن يُستخدم التزييف العميق لزعزعة استقرار الدول وإثارة الشكوك حول حكوماتها. ومن بين الأمثلة البارزة:

- 1- **حملة التضليل في الانتخابات الأمريكية:** تم توجيه الاتهام إلى بعض الفاعلين الأجانب باستخدام التزييف العميق لإنتاج مقاطع فيديو مضللة تهدف إلى التأثير على الانتخابات الأمريكية.
- 2- **أزمات العلاقات الدولية:** في بعض الحالات، تم استخدام التزييف العميق لتزوير تصريحات قادة دول، مما أدى إلى تصعيد التوترات الدولية وإحداث خلافات بين الدول.

استراتيجيات مكافحة التزييف العميق والأخبار الكاذبة :

في مواجهة هذا التحدي المتنامي، بدأت الحكومات والمؤسسات التكنولوجية في تطوير أدوات متقدمة لكشف المحتويات المزيفة ومنع انتشار الأخبار الكاذبة. يشمل ذلك استخدام الذكاء الاصطناعي لكشف الأنماط غير الطبيعية في المحتويات الرقمية وتطوير خوارزميات يمكنها اكتشاف التزييف العميق بسرعة.

الفصل الرابع : الصحافة في عصر التزييف العميق: هل يمكن الوثوق بالأخبار؟

أحدثت تقنية التزييف العميق (Deepfake) ثورة كبيرة في عالم الإعلام، حيث بات من الممكن إنتاج مقاطع فيديو وصوتيات تبدو حقيقية تماماً لكنها مزيفة. هذه التقنية المتقدمة تعتمد على الذكاء الاصطناعي لإنتاج محتويات رقمية يصعب تمييزها عن الحقيقة، مما يطرح تساؤلات جوهرية حول موثوقية الأخبار في العصر الرقمي. يشكل هذا الفصل من البحث دراسة تفصيلية لتأثير التزييف العميق على الصحافة، مع التركيز على مدى قدرة المؤسسات الإعلامية على التصدي لهذه الظاهرة وضمان مصداقية الأخبار التي تنشرها.

إشكالية الثقة في الصحافة

في الوقت الذي كان يُعتبر فيه الإعلام التقليدي المصدر الأول والموثوق للمعلومات، أصبحت الصحافة تواجه تحديات غير مسبوقة بسبب تطور تقنيات التزييف العميق. يتساءل هذا الفصل عن مدى قدرة الجمهور على الوثوق بالمحتويات التي تقدمها وسائل الإعلام، في ظل انتشار الفيديوهات المزيفة والأخبار الكاذبة على نطاق واسع عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

تتمثل المشكلة الأساسية في أن تقنية التزييف العميق تُستخدم لتشويه الحقائق وإنتاج أخبار مضللة بطريقة تبدو مقنعة جداً، مما يجعل التحقق من صحة الأخبار مهمة أكثر صعوبة وتعقيداً. وهذا يُعرض مصداقية وسائل الإعلام التقليدية للخطر ويضعف الثقة العامة في الصحافة.

تأثير التزييف العميق على الصحافة

1- التزييف العميق وتضليل الجمهور

أصبحت الصحافة في مواجهة مباشرة مع التزييف العميق، الذي يسمح بتزوير الفيديوهات والمقاطع الصوتية لشخصيات عامة أو أحداث معينة، مما يخلق تصوراً زائفاً لدى الجمهور. يمكن لتقنية التزييف العميق أن تُستخدم لتصوير شخصيات سياسية أو اجتماعية وهي تقول أو تفعل أشياء لم تحدث بالفعل، مما يضلّل الرأي العام ويدفع الجماهير إلى اتخاذ قرارات أو تبني مواقف بناءً على معلومات مزيفة.

مثال عملي:

خلال الحملات الانتخابية، يمكن استخدام التزييف العميق لتزوير تصريحات مرشحين سياسيين بهدف تشويه سمعتهم أو تغيير مواقف الناخبين. يمكن لمقطع فيديو مزيف يظهر مرشحاً يدلي بتصريحات عنصرية أو معادية لمجموعة معينة أن يثير الجدل ويؤدي إلى تغييرات في النتائج الانتخابية، كل ذلك بناءً على تزييف متعمد.

2- فقدان الثقة في وسائل الإعلام

مع ازدياد انتشار تقنيات التزييف العميق، تواجه وسائل الإعلام التقليدية تحدياً جوهرياً في الحفاظ على ثقة الجمهور. يُنظر إلى الصحافة كجهة يُفترض بها التحقق من المعلومات وتقديم الحقائق، لكن عندما تصبح المعلومات المزيفة تنتشر بسرعة وتبدو واقعية، تزداد احتمالية أن يقع الصحفيون أنفسهم في فخ نشر الأخبار الكاذبة دون قصد. هذا يؤدي إلى تآكل الثقة في الصحافة التقليدية ويزيد من التحديات التي تواجهها في زمن المعلومات المزيفة.

3- التحدي المتمثل في سرعة النشر

تلعب السرعة دوراً كبيراً في عالم الصحافة الحديثة، حيث تحاول المؤسسات الإعلامية نشر الأخبار فوراً لتلبية حاجات الجمهور. ومع انتشار التزييف العميق، يمكن أن تُستغل هذه السرعة لنشر معلومات مزيفة قبل أن تتمكن المؤسسات من التحقق من صحتها. قد يؤدي هذا إلى نشر أخبار كاذبة على نطاق واسع قبل اكتشاف أنها مزيفة، مما يضر بمصداقية الوسيلة الإعلامية.

وأخيراً يشكل التزييف العميق تحدياً كبيراً للصحافة في العصر الرقمي، حيث يؤثر على قدرة وسائل الإعلام في تقديم معلومات موثوقة وصحيحة. مع انتشار الفيديوهات المزيفة والمعلومات المضللة، أصبح من الصعب على الجمهور الوثوق بالأخبار التي تقدمها وسائل الإعلام التقليدية. في الوقت ذاته، تُظهر استراتيجيات المواجهة مثل استخدام التقنيات الحديثة للكشف عن التزييف العميق وزيادة التحقق من المصادر أهمية كبيرة في حماية الصحافة من هذا التهديد الرقمي. رغم التحديات، يمكن للصحافة أن تعزز مصداقيتها إذا التزمت بالمعايير الأخلاقية واعتمدت على أدوات كشف فعالة لمواجهة التزييف العميق.

الفصل الخامس: الشبكات التوليدية والتعلم العميق: القوة الخفية وراء التزييف المتقن

في العصر الرقمي الحديث، تعد تقنية التزييف العميق واحدة من أكثر الابتكارات تطوراً وإثارة للجدل. إذ تعتمد هذه التقنية على تطبيقات الذكاء الاصطناعي لخلق محتويات صوتية ومرئية زائفة تحاكي الواقع بدقة كبيرة. في صلب هذه التقنية تكمن الشبكات التوليدية التنافسية (Generative Adversarial Networks - GANs) والتعلم العميق (Deep Learning)، وهما الأدوات الأساسيتان اللتان تقفان وراء التزييف العميق. هذا الفصل يهدف إلى استكشاف دور هاتين التقنيتين في التزييف المتقن وكيف تشكلان البنية التحتية لهذا النوع من التزييف.

التعلم العميق: الأساس العلمي للتزييف العميق

التعلم العميق هو فرع من فروع الذكاء الاصطناعي يعتمد على الشبكات العصبية الاصطناعية لتحليل كميات ضخمة من البيانات وتعلم أنماط معقدة منها. تختلف الشبكات العصبية العميقة عن غيرها من تقنيات تعلم الآلة التقليدية بقدرتها على التعلم من البيانات غير المهيكلة (مثل الصور والفيديوهات) واستخلاص أنماط دقيقة منها.

عند تطبيق التعلم العميق في التزييف العميق، يتم تدريب النموذج العصبي على كميات ضخمة من الصور والفيديوهات الحقيقية لشخص معين. يقوم النموذج بتحليل ملامح الوجه، تعابير الوجه، حركة العينين، وحتى توقيت النطق، بحيث يمكنه لاحقاً توليد فيديوهات جديدة تُظهر هذا الشخص يقول أو يفعل أشياء لم يقم بها بالفعل.

مكونات التعلم العميق:

- طبقات عصبية متعددة: تُستخدم شبكات عصبية تحتوي على العديد من الطبقات، حيث تتم معالجة البيانات تدريجياً من طبقة إلى أخرى. هذه المعالجة متعددة الطبقات تسمح للنموذج بفهم الأنماط البصرية المعقدة وإعادة إنتاجها بدقة.
- التحسين التدريجي: يتم تحسين الشبكة العصبية باستخدام خوارزميات التحسين التدريجي التي تُعدل أوزان الشبكة لجعل النموذج أكثر دقة في إنتاج المحتوى المزيف.

الشبكات التوليدية التنافسية: (GANs) محرك التزييف العميق

الشبكات التوليدية التنافسية (Generative Adversarial Networks) هي أحد أهم الابتكارات في مجال التعلم العميق والتي تُعتبر القوة الدافعة وراء التزييف العميق. قدم هذا المفهوم لأول مرة من قبل العالم إيان غودفيلو عام 2014، وهو يعتمد على نظام يتكون من نموذجين عصبيين يعملان في منافسة مستمرة:

- **المولد (Generator):** يحاول إنشاء محتوى مزيف يشبه البيانات الحقيقية. يقوم بتوليد صور، فيديوهات، أو تسجيلات صوتية تبدو واقعية.
 - **المميز (Discriminator):** يحاول التمييز بين المحتوى الحقيقي والمزيف الذي أنشأه المولد. يعمل على اكتشاف أي اختلافات بين المحتوى المزيف والحقيقي.
- يعمل النموذجان بطريقة تنافسية؛ حيث يحاول المولد باستمرار خداع المميز، وفي المقابل، يحاول المميز اكتشاف المحتوى المزيف. بمرور الوقت، يتحسن أداء كلا النموذجين حتى يتمكن المولد من إنتاج محتوى يصعب تمييزه عن المحتوى الحقيقي.

آلية عمل GANs:

- 1- **التدريب الأولي:** يتم تدريب المولد والمميز على بيانات حقيقية تتضمن صوراً أو فيديوهات لشخصيات معينة.
- 2- **الإنتاج والتقييم:** يقوم المولد بإنشاء صورة مزيفة، بينما يحاول المميز التمييز بين الصورة المزيفة والحقيقية.
- 3- **التحسين التنافسي:** يتم تعديل أوزان المولد والمميز بناءً على نتائج التقييم، مما يحسن من قدرة المولد على إنشاء محتوى مزيف أكثر دقة ومن قدرة المميز على اكتشافه.
- 4- **التكرار:** تستمر هذه العملية التنافسية لآلاف الدورات، مما يؤدي في النهاية إلى إنتاج محتوى مزيف متقن يصعب على البشر أو الأنظمة الآلية اكتشافه.

- كيف تُسهم الشبكات التوليدية والتعلم العميق في تحسين التزييف؟

يعود الفضل في جودة التزييف العميق إلى مزيج من التعلم العميق والشبكات التوليدية التنافسية. إذ أن التعلم العميق يسمح للنموذج بفهم الأنماط البصرية المعقدة وتحليل تفاصيل الوجه والحركة بدقة، في حين تُساعد GANs في توليد محتويات جديدة بناءً على هذه التحليلات. يؤدي هذا التزاوج إلى إنتاج فيديوهات ومحتويات مزيفة تنسم بالخصائص التالية:

- 1- **دقة عالية في التفاصيل:** مثل تعبيرات الوجه الدقيقة، حركة العينين المتناغمة، وتوقيت النطق المتزامن مع حركة الشفاه.
- 2- **تحسين جودة الصوت:** يمكن لـ GANs أيضاً إنشاء تسجيلات صوتية مزيفة تشبه صوت الشخص الحقيقي، بما في ذلك النبرة، الترددات، وحتى اللهجة.
- 3- **التكيف مع الظروف المختلفة:** يمكن للنموذج التكيف مع تغيرات الإضاءة، الزوايا المختلفة للوجه، وتعبيرات الوجه المختلفة، مما يجعل المحتوى المزيف يبدو طبيعياً في بيئات متنوعة.

- تطبيقات الشبكات التوليدية والتعلم العميق في التزييف العميق:

تمثل الشبكات التوليدية والتعلم العميق المحرك الأساسي لتقنيات التزييف العميق، وهي تُستخدم على نطاق واسع في العديد من المجالات، مثل:

- 1- **التزيف السياسي والإعلامي:** تُستخدم هذه التقنية في إنتاج فيديوهات مزيفة لشخصيات سياسية أو عامة بهدف تشويه سمعتهم أو التأثير على الرأي العام.
- 2- **صناعة الأفلام والترفيه:** تستخدم شركات الأفلام التزيف العميق لتحسين المؤثرات البصرية، مثل إحياء ممثلين متوفين أو إنشاء مشاهد معقدة لا يمكن تصويرها بالطرق التقليدية.
- 3- **الأمن السيبراني:** قد تُستخدم تقنية التزيف العميق في الهجمات السيبرانية لخلق محتوى مزيف يهدف إلى تضليل الجمهور أو إحداث اضطرابات سياسية واقتصادية.

- تحديات استخدام الشبكات التوليدية والتعلم العميق :

رغم قوة هذه التقنيات في إنشاء محتوى مزيف متقن، فإنها تواجه تحديات عديدة، أبرزها:

- 1- **صعوبة الكشف عن التزيف:** مع تقدم التعلم العميق وGANs، يصبح من الصعب على الأنظمة التقليدية اكتشاف المحتوى المزيف. يتطلب الأمر تطوير خوارزميات متقدمة للكشف عن الأنماط الغير طبيعية التي لا يمكن للبشر اكتشافها بسهولة.
- 2- **مخاطر الاستخدام الضار:** استخدام الشبكات التوليدية في إنتاج محتويات مزيفة يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة إذا تم استغلالها لأغراض غير قانونية أو مضللة، مثل تزوير الأدلة الرقمية أو التأثير على الانتخابات.
- 3- **التحديات الأخلاقية والقانونية:** يثير استخدام هذه التقنيات تساؤلات أخلاقية حول المسؤولية والمساءلة القانونية، خاصة في الحالات التي تؤدي فيها المحتويات المزيفة إلى أضرار جسيمة للأفراد أو المجتمعات.

تمثل الشبكات التوليدية التنافسية والتعلم العميق القوة الخفية وراء دقة وفعالية التزيف العميق. بفضل هذه التقنيات، يمكن إنتاج محتوى مزيف متقن يصعب على العين البشرية أو حتى الأنظمة الذكية اكتشافه. ومع ذلك، تُعد هذه التقنيات سيفاً ذا حدين، فهي تحمل إمكانيات هائلة في المجالات الإبداعية، لكنها أيضاً تُشكل تهديداً حقيقياً على المصداقية الإعلامية والأمن السيبراني.

الفصل السادس : فوضى المعلومات: كيف يتحول الإعلام الرقمي إلى أداة للتلاعب والخداع؟

مع التحولات الكبيرة التي شهدتها الإعلام الرقمي في العقود الأخيرة، ظهرت فرص هائلة لزيادة الوصول إلى المعلومات، لكن في الوقت نفسه، برزت تحديات خطيرة تتمثل في فوضى المعلومات وانتشار الأخبار الكاذبة والمضللة. في عصر التواصل الرقمي الفوري، أصبح من السهل إنتاج وتوزيع المعلومات بسرعة هائلة، مما يُحول الإعلام الرقمي إلى ساحة خصبة للتلاعب والخداع. هذا الفصل يستعرض كيف تسهم أدوات الإعلام الرقمي، بما في ذلك التزيف العميق (Deepfake) والأخبار الكاذبة (Fake News)، في خلق فوضى معلوماتية واسعة النطاق.

مفهوم فوضى المعلومات :

فوضى المعلومات هي الحالة التي ينتج فيها تضخم في حجم المعلومات، بحيث يصبح من الصعب على الأفراد أو المجتمعات التمييز بين الحقائق والتزيف. ينشأ هذا التضخم المعلوماتي نتيجة للتدفق المستمر والمتزايد من الأخبار، المنشورات، ومقاطع الفيديو عبر الإنترنت، والذي غالباً ما يكون مزوجاً بمحتويات مضللة أو مغلوطة.

تحدث فوضى المعلومات عندما لا يتمكن الجمهور من التحقق من دقة أو موثوقية المعلومات المتاحة، مما يؤدي إلى تشويه الوعي الجماعي، ويصبح من السهل توجيه الرأي العام والتلاعب بالحقائق.

كيف يتحول الإعلام الرقمي إلى أداة للتلاعب؟

مع ازدهار وسائل الإعلام الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبح من السهل إنتاج المحتويات ونشرها بسرعة، لكن هذه البيئة المفتوحة تسهل أيضاً نشر معلومات مضللة وأخبار كاذبة على نطاق واسع. الإعلام الرقمي يُستخدم كأداة للتلاعب والخداع من خلال عدة طرق، أبرزها:

1- التزييف العميق (Deepfake)

تعتبر تقنية التزييف العميق إحدى أخطر أدوات التلاعب الحديثة. بفضل هذه التقنية، يمكن إنشاء مقاطع فيديو مزيفة أو تسجيلات صوتية لشخصيات عامة أو سياسية، مما يؤدي إلى خلق تصورات خاطئة أو تضليل الجمهور بشأن أحداث أو تصريحات معينة.

أمثلة:

- يمكن إنشاء فيديو مزيف يظهر قائد سياسي يدلي بتصريحات لم يدلي بها، مما يؤدي إلى إثارة الفوضى أو زعزعة استقرار دولة بأكملها.
- يمكن استخدام التزييف العميق لتزوير فيديوهات لأفراد في مواقف معينة بهدف الابتزاز أو تشويه السمعة.

2- الأخبار الكاذبة (Fake News)

الأخبار الكاذبة هي معلومات مضللة تُنشر بقصد خداع الجمهور أو التأثير على سلوكهم. تنتشر الأخبار الكاذبة بسرعة كبيرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية، ويصعب في كثير من الأحيان التحقق من صحتها بسبب السرعة التي تنتقل بها.

دور وسائل التواصل الاجتماعي في فوضى المعلومات

تلعب منصات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك، تويتر، وإنستجرام دوراً كبيراً في تضخيم فوضى المعلومات. يُعزى ذلك إلى طبيعة هذه المنصات التي تعتمد على الخوارزميات لتوجيه المحتوى نحو المستخدمين بناءً على تفضيلاتهم، مما يعزز ما يسمى بـ "فقاعات المعلومات" (Information Bubbles). في هذا السياق، يتم تعزيز نشر الأخبار المزيفة أو المعلومات المضللة لأنها تلقى رواجاً سريعاً بين المستخدمين الذين يميلون إلى تصديق المحتوى الذي يدعم أفكارهم أو معتقداتهم.

خصائص وسائل التواصل الاجتماعي التي تساهم في الفوضى:

- السرعة الفائقة: الأخبار، سواء كانت حقيقية أو مزيفة، تنتشر بسرعة غير مسبوقة.
- التركيز على المحتوى الجذاب: الخوارزميات تفضل المحتويات المثيرة أو العاطفية التي تؤدي إلى تفاعل أكبر، حتى لو كانت هذه المحتويات غير دقيقة.
- صعوبة التحقق: بفضل حجم وسرعة تدفق المعلومات، يصبح من الصعب التحقق من صحة الأخبار في الوقت الحقيقي.

- استراتيجيات مكافحة فوضى المعلومات:

في مواجهة هذا التحدي، تحتاج المجتمعات إلى تطوير استراتيجيات فعالة لمكافحة فوضى المعلومات والتلاعب الرقمي. من بين هذه الاستراتيجيات:

1- التثقيف الإعلامي

تعتبر التوعية الإعلامية أداة أساسية لمساعدة الأفراد على التمييز بين المعلومات الحقيقية والمضللة. يجب تعزيز المهارات النقدية لدى الجمهور وتزويدهم بأدوات التحقق من الأخبار، مثل معرفة كيفية البحث عن المصادر الموثوقة والتحقق من صحة الأخبار عبر مواقع التحقق.

2- تطوير أدوات الذكاء الاصطناعي للكشف عن التزييف

تحتاج منصات التواصل الاجتماعي والمؤسسات الإعلامية إلى تطوير أدوات ذكاء اصطناعي متقدمة للكشف عن الأخبار الكاذبة والتزييف العميق بشكل أسرع وأكثر كفاءة. هذه الأدوات يمكن أن تحلل المحتويات الرقمية وتكشف أي علامات للتلاعب أو التحريف.

3- وضع أطر قانونية صارمة

على الحكومات أن تعمل على تطوير قوانين تجرم نشر الأخبار الكاذبة واستخدام التزييف العميق لأغراض غير قانونية. يجب أن تتضمن هذه القوانين عقوبات واضحة على الأفراد أو المنظمات التي تثبت مسؤوليتها عن نشر محتويات مضللة تؤثر على الأمن الاجتماعي أو السياسي. في ظل التحول الرقمي الكبير الذي يشهده العالم اليوم، تتحول وسائل الإعلام الرقمي إلى سلاح ذي حدين. فبينما تتيح الفرص لنشر المعرفة والوصول إلى المعلومات بسرعة، يمكن أيضاً استغلالها لنشر الفوضى والتلاعب بالحقائق. يشكل التزييف العميق والأخبار الكاذبة تحدياً حقيقياً للمجتمعات والديمقراطيات، حيث يسهمان في خلق فوضى معلوماتية تعرقل قدرة الأفراد على اتخاذ قرارات مستنيرة. من هنا، يأتي دور التثقيف الإعلامي، التقنيات الحديثة، والقوانين التنظيمية في مكافحة هذه الظاهرة وضمان الحفاظ على مصداقية المعلومات التي يتم تداولها في العصر الرقمي.

نتائج وتوصيات الدراسة

1- التطور السريع لتقنية التزييف العميق

كشفت الدراسة أن تقنية التزييف العميق شهدت تطوراً سريعاً بفضل التقدم في الشبكات التوليدية التنافسية (GANs) والتعلم العميق. هذه التطورات مكنت من إنشاء مقاطع فيديو وتسجيلات صوتية مزيفة بجودة عالية وبدقة كبيرة يصعب اكتشافها باستخدام الأساليب التقليدية. يشكل هذا التطور تحدياً كبيراً في قطاعات متعددة، لا سيما الإعلام، السياسة، والأمن السيبراني، حيث يمكن للمعلومات المضللة أن تحدث تأثيرات عميقة وبعيدة المدى على الجمهور وصناعة القرار.

2- التأثير على الإعلام ونزاهة المعلومات

أكدت الدراسة على وجود تهديد كبير لوسائل الإعلام الرقمية ونزاهة المعلومات نتيجة انتشار المحتويات المزيفة الناتجة عن التزييف العميق. مع تزايد صعوبة التمييز بين المحتوى الحقيقي والمزور، تواجه وسائل الإعلام تحدياً غير مسبوق في التحقق من صحة المحتويات التي تنشرها. الانتشار السريع للمعلومات الكاذبة، خاصة عبر منصات التواصل الاجتماعي، يزيد من فوضى المعلومات ويضعف ثقة الجمهور بوسائل الإعلام التقليدية.

3- تهديد العمليات الديمقراطية والانتخابات

كشفت الدراسة عن قلق متزايد بشأن استخدام تقنية التزييف العميق في التلاعب في الانتخابات، حيث يمكن أن يؤدي إنتاج فيديوهات أو تسجيلات مزيفة لمرشحين سياسيين إلى تشويه الحقائق، مما قد يؤثر بشكل كبير على نزاهة الانتخابات، وتشير الدراسة إلى أن حملات

التضليل الرقمي التي تعتمد على التزييف العميق قد تؤثر على مجموعات محددة من الناخبين من خلال دعايات موجهة مصممة للتلاعب بمواقفهم السياسية.

4- نقص الأطر القانونية الكافية

أشارت الدراسة إلى وجود نقص في الأطر القانونية الكافية لمعالجة الاستخدامات الضارة لتقنية التزييف العميق. القوانين الحالية لا تواكب التطورات التكنولوجية السريعة، ما يؤدي إلى استغلال التقنية في التضليل والخداع دون مواجهة عقوبات قانونية واضحة. يشكل هذا الفراغ القانوني فرصة لزيادة الاستخدامات غير المشروعة للتقنية.

5- الحاجة إلى أدوات متقدمة للكشف عن التزييف

أكدت الدراسة على الحاجة الملحة لتطوير أدوات تعتمد على الذكاء الاصطناعي للكشف عن المحتوى المزيف بكفاءة وسرعة. الأساليب التقليدية لم تعد فعالة في مواجهة المحتويات المزيفة عالية الجودة التي تنتجها تقنية التزييف العميق. ويجب توجيه الاستثمارات نحو تطوير أنظمة كشف متقدمة قادرة على مكافحة انتشار هذه المحتويات وحماية نزاهة النظم الرقمية.

التوصيات :

1- تعزيز التعاون بين الحكومات والشركات التقنية

توصي الدراسة بضرورة تعزيز التعاون بين الحكومات، الشركات التقنية، والمؤسسات الإعلامية لمواجهة المخاطر الناجمة عن تقنية التزييف العميق. يجب توحيد الجهود لتطوير أنظمة كشف متقدمة ومشاركة المعلومات حول التهديدات الناشئة. كما ينبغي العمل على وضع معايير مشتركة للتحقق من المحتوى وكشف التزييف العميق.

2- تسريع تطوير تقنيات كشف التزييف

يجب على المؤسسات التقنية تكثيف جهودها لتطوير تقنيات متقدمة للكشف عن التزييف العميق. هذه الأدوات يجب أن تكون قادرة على الكشف في الوقت الحقيقي وعلى نطاق واسع، لا سيما عبر منصات التواصل الاجتماعي حيث تنتشر المعلومات المضللة بسرعة. كما توصي الدراسة بالاستثمار في تطوير خوارزميات مضادة تعتمد على الذكاء الاصطناعي للكشف عن التلاعبات في المحتويات الرقمية.

3- تحديث الأطر القانونية والتنظيمية

توصي الدراسة بضرورة تحديث الأطر القانونية لمواكبة التطور السريع لتقنية التزييف العميق. يجب على الحكومات سن قوانين صريحة تجرم استخدام التقنية لأغراض خبيثة، مثل التأثير على الانتخابات، الابتزاز الرقمي، أو تشويه السمعة. كما ينبغي العمل على وضع لوائح دولية لتنظيم الاستخدام الأخلاقي لتقنيات الذكاء الاصطناعي في الإعلام الرقمي.

1- تعزيز الوعي المجتمعي والتثقيف الإعلامي

توصي الدراسة بضرورة زيادة الجهود المبذولة في مجال التثقيف الإعلامي ورفع مستوى وعي الجمهور بمخاطر التزييف العميق وكيفية التحقق من صحة المعلومات. من خلال حملات توعوية متكاملة، يمكن تقليل تأثير المعلومات المضللة وزيادة قدرة الأفراد على التعامل معها بعين نقدية.

2- تحسين ممارسات التحقق الإعلامي

يتعين على المؤسسات الإعلامية تبني بروتوكولات تحقق صارمة باستخدام الأدوات التقنية المتقدمة للكشف عن المحتويات المزيفة. يجب أن تشمل هذه البروتوكولات التدقيق المتعدد للمصادر واستخدام برامج كشف التزييف العميق قبل نشر أي محتويات مرئية أو سمعية. كما ينبغي على المؤسسات الإعلامية التعاون مع الشركات التقنية لتطوير أدوات مفتوحة المصدر تساعد الصحفيين والجمهور في التحقق من صحة المحتويات بشكل مستقل. الخاتمة

تشير هذه الدراسة إلى أن تقنية التزييف العميق أصبحت تمثل تحدياً كبيراً للمجتمعات الحديثة، حيث تساهم بشكل كبير في التلاعب بالمعلومات وخلق فوضى إعلامية تؤثر على الإعلام والسياسة والأمن. ومع تزايد استخدام هذه التقنية في التضليل، خصوصاً في الحملات الانتخابية ونشر الأخبار الكاذبة، يتضح أن الحلول الحالية غير كافية. يجب على الحكومات، المؤسسات الإعلامية، والشركات التقنية التعاون بشكل عاجل لتطوير أنظمة دفاعية قوية قادرة على كشف المحتويات المزيفة بسرعة وفعالية.

علاوة على ذلك، يتطلب الأمر تحديث الأطر القانونية لفرض عقوبات صارمة على الاستخدامات الضارة لهذه التقنية. كما يتعين على المجتمعات تعزيز التوعية الإعلامية والقدرات التحليلية للأفراد للتعامل مع المحتويات المزيفة بنظرة نقدية. في الوقت الذي تتقدم فيه التكنولوجيا بسرعة، تصبح الحاجة إلى اتخاذ تدابير استباقية أمراً ملحاً لحماية المجتمعات والديمقراطيات من التأثيرات السلبية لهذه التكنولوجيا المتطورة.

المراجع :

إيهاب خليفة ، الحرب السيبرانية، الاستعداد لقيادة المعارك العسكرية في الميدان الخامس ، العربي للنشر والتوزيع، 2021

ريتشارد هاتس، العالم بإيجاز، ترجمة ، محمد الجندي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2021

شادي عبد الوهاب منصور ، حروب الجيل الخامس، أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية، العربي للنشر والتوزيع ، 2019

علي فرجاني ، اقتصاد الانتباه في عصر المراقبة السيبرانية ، دار بدائل للنشر والتوزيع 2022

علي فرجاني ، التزييف العميق وتقنيات الخداع الرقمي ، دار السحاب للنشر والتوزيع ، 2025

علي فرجاني ، صحافة الذكاء الاصطناعي والبيئة الاعلامية الرقمية الجديدة ، دار السحاب للنشر والتوزيع ، 2024

نصر رمضان سعد الله حربي. (22-23 افريل 2019). الشائعات ونشرها عبر مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي (اثارها-المسؤولية

المرتبة عنها-سبل التصدي لها) دراسة مقارنة". المؤتمر العلمي السادس بكلية الحقوق القانون والشائعات (صفحة 07). جامعة طنطا.

نضال فلاح الضلاعين. (2014). الدعية والحرب النفسية. عمان: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع.

المراجع باللغة الأجنبية :

Hard, P. E. (2012). *L'internetchange-t-il vraiment nos sociétés Tome 1*. France : ED l'harmattan.

Monier, P. (2002). *Les Maitres du réseau les enjeux politiques d'interne*. France: ED La Découverte.

Geoffrey L.Herrera "Technology and International Transfrmation: the Rairroad.the Atom Bomb and Politics of technological chang.state university of new York

المواقع الالكترونية :

<https://www.analyticssteps.com/blogs/how-artificial-intelligence-ai-can-be-used-politics-government>

دليل التزييف العميق ، البرنامج الوطني للذكاء الاصطناعي ، الامارات

<https://ai.gov.ae/wp-content/uploads/07/2021/AI-DeepFake-Guide-AR-2021.pdf>

علي فرجاني ، صحافة الذكاء الاصطناعي .. ومواجهة الأخبار الزائفة

<https://www.siyassa.org.eg/News/19674.aspx>

Deep fakes and the Artificial Intelligence Act-An important signal or a missed opportunity.pdf

عقوبات تزييف مقاطع صوتية وفيديو بالذكاء الاصطناعي.. قانوني يوضح

<https://www.elwatannews.com/news/details/6680489>

<https://www.parlmany.com/News>

https://www.bsi.bund.de/EN/Themen/Unternehmen-und-Organisationen/Informationen-und-Empfehlungen/Kuenstliche-Intelligenz/Deepfakes/deepfakes_node.html

Regulating AI Deepfakes and Synthetic Media in the Political Arena

<https://www.brennancenter.org/our-work/research-reports/regulating-ai-deepfakes-and-synthetic-media-political-arena>

CEO of world's biggest ad firm targeted by deepfake scam

<https://www.theguardian.com/technology/article/2024/may/10/ceo-wpp-deepfake-scam>

Senate Rules Committee Advances Bills to Address Harmful AI in Elections

<https://cdt.org/insights/senate-rules-committee-advances-bills-to-address-harmful-ai-in-elections/>

[Positive Applications for Deepfake Technologyhttps://www.dataart.com/blog/positive-applications-for-deepfake-technology-by-max-kalmykov](https://www.dataart.com/blog/positive-applications-for-deepfake-technology-by-max-kalmykov)

This fictitious news show is entirely produced by AI and deepfakes

<https://www.popsoci.com/technology/deepfake-news-china-ai/>

<https://www.deepbrain.io/>

Deepfakes in documentary film production: images of deception in the representation of the real

<https://www.tandfonline.com/doi/full/#17503280.2023.2284680/10.1080abstract>

<https://www-californialawreview-org.translate.goog/print/deep-fakes-a-looming-challenge-for-privacy-democracy-and-national-security? x tr sl=en& x tr tl=ar& x tr hl=ar& x tr pto=sc>

Deepfakes: current and future trends<https://link.springer.com/article/10.1007/s10462-023-10679-x>

<https://time.com/6988935/trump-worries-ai-deepfakes-trigger-nuclear-war/>

مستويات تحقق الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية وتأثيره على النتاج الثقافي

د.محمد أحمد محمد طرفة/ صحفي وباحث في وزارة الثقافة العراقية

المستخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي من الإعلاميين والفنانين والأدباء والباحثين في وزارة الثقافة العراقية. والنتاج الثقافي الحالي لوزارة الثقافة العراقية. ومدى تأثير مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي على النتاج الثقافي. وطبقت الدراسة على عينة من كوادر وزارة الثقافة العراقية قوامها (32) مبحوث، توزعوا بين حقول الفن والأدب والإعلام والبحث العلمي. واتخذت هذه الدراسة من نظرية ذات العاملين (Two- factors theory) لفريدريك هرزبرج (Frederick Herzberg s) إطاراً -نظرياً- لتفسير نتائجها. وتوصلت هذه الدراسة عدة نتائج أبرزها: إن الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية ذات مستوى منخفض يتراوح بين الحياد إلى عدم الرضا. وإن مستوى الرضا الوظيفي المنخفض الذي توصلت إليه الدراسة قد انعكس بالسلب على النتاج الثقافي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية. وتوصلت الدراسة أيضاً بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات المبحوثين محاور الاستبانة كافة، تعزى إلى المتغيرات المستقلة كالنوع الاجتماعي والمستوى التعليمي والحقل الإبداعي الذي تنتمي إليه المبحوث وسنوات الخدمة.

الكلمات المفتاحية: الرضا الوظيفي، الكادر الإبداعي، النتاج الثقافي، وزارة الثقافة العراقية.

Abstract:

This study seeks to identify the level of job satisfaction of the creat staff of media professionals, artists, writers, and researchers in the Iraqi Ministry of Culture . And the current cultural production of the Iraqi Ministry of Culture. And the extent to which the level of job satisfaction of the creative staff affects cultural production.The study was applied to a sample of cadres from the Iraqi Ministry of Culture, consisting of (32) respondents, distributed among the fields of art, literature, media, and scientific research.

This study was based on theTwo-factor theory byFrederick Herzberg. A theoretical framework for interpreting its results. This study reached several results, the most notable of which are: The job satisfaction of the creative staff in the Iraqi Ministry of Culture is at a low level, ranging from neutrality to dissatisfaction. The low level of job satisfaction that the study found had a negative impact on the cultural production of the creative staff in the Iraqi Ministry of Culture. The study also found that there were no statistically significant differences in the answers All questionnaire axes are attributed to independent variables such as gender, educational level, creative field to which the respondent's .mechanism belongs, and years of service

Keywords: Job satisfaction, creative staff, cultural production, Iraqi Ministry of Culture.

_ المقدمة:

يعتبر العنصر البشري على مر الأوقات الجزء الأهم في عمل المؤسسات والدوائر، وجميع اشكال التنظيمات الساعية الى الربح المادي او المعنوي. من هنا تبدأ أهمية إيلاء هذا العنصر الاهتمام والرعاية الكافية من اجل كسب رضاه عن العمل الذي يؤديه، وموالاته للمؤسسة التي تؤمن له العمل، في سبيل تحقيق اعلى نسب النجاح لعمل تلك المؤسسة، وتأمين نجاحها او ربحها ماديا كان ام معنوياً.

تعود الدراسات العلمية للرضا الوظيفي والاهتمام به الى مطلع القرن العشرين كأحد العلوم الاجتماعية المهمة والحديثة، رغم وجود هذه الظاهرة منذ القدم، وأكثر قصة تداولاً بين الشعوب يدور محوراً حول هذه الظاهرة. قصة الرضا المتحقق إيجاباً وسلباً لدى عبید المنزل وعبید الحقل، بمختلف الحضارات الإنسانية. وآخرها في الولايات المتحدة الأمريكية، كما عبر عنها في ستينيات القرن العشرين المناضل الأمريكي من اصل افريقي مالكونم اكس (Malcolm. X).

يعبر الرضا الوظيفي (Job Satisfaction) لكادر أي مؤسسة عن مدى نجاحها بشكل استراتيجي، لذا غالباً ما تعبر نسب هذا الرضا المرتفعة والمتحققة لدى الكادر الوظيفي عن نجاح تلك المؤسسة من عدمه، والعكس صحيح.

لذا سعينا من خلال دراستنا هذه، التعرف على مستويات الرضا الوظيفي المتحقق لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية، ممثلاً بالفنانين والادباء والاعلاميين والباحثين، تجاه دوائرهم ومؤسساتهم، ومدى انعكاس ذلك الرضا على نتائجهم الثقافي عبر تلك الوزارة. من اجل تطوير عمل الوزارة والارتقاء به من خلال التعرف على هذا العنصر المهم، وإمكانية تشجيع الجوانب الإيجابية وتقديم الحلول والتوصيات لتجنب السلبيات.

_ مشكلة الدراسة:

تكمن المشكلة البحثية التي تسعى هذه الدراسة الى الكشف عنها في تحديد مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية ممثلاً بالإعلاميين والفنانين والكتاب والباحثين.. الخ. وتأثير ذلك المستوى المتحقق من الرضا الوظيفي على النتائج الثقافي لوزارة الثقافة العراقية.

_ أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كشفها لاهم الجوانب المؤثرة في معرفة مستويات الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي الرسمي في وزارة الثقافة العراقية من فنانين وادباء واعلاميين وباحثين. الخ وانعكاس ذلك المستوى من الرضا الوظيفي لهذا الكادر على النتائج الثقافي الفعلي للوزارة، مما يؤدي بالتالي الى امكانية تطوير النتائج الثقافي الرسمي للوزارة والارتقاء به ومن اجل تجنب السلبيات والمعوقات التي تحول دون تطور الجانب الإبداعي لدى الوزارة وكوادرها الإبداعية.

_ اهداف الدراسة:

انطلاقاً من المشكلة البحثية لهذه الدراسة فأما سعت الى تحقيق اهداف عدة تكمن في:

- 1- التعرف على مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي من الإعلاميين والفنانين والكتاب والباحثين.. الخ في وزارة الثقافة العراقية.
- 2- التعرف على النتائج الثقافي الحالي لوزارة الثقافة العراقية.
- 3- بيان تأثير مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي على النتائج الثقافي لوزارة الثقافة العراقية.
- 4- وجود فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمغزى النوع.

5- وجود فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير المؤهل العلمي.

6- وجود فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير الحقل الإبداعي.

5- وجود فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير سنوات الخدمة.

__ ادبيات الدراسة:

__ دراسة د. هناء عكاشة طلبة¹ (2022) استهدفت هذه الدراسة السعي لمعرفة ممارسات العلاقات العامة في مراكز الثقافة الدولية وتأثيرها بتشكيل الصورة الذهنية لدولتي الصين وروسيا. ومحاولة الكشف عن العوامل التي تؤثر بها. واستخدمت الدراسة منهج المسح الإعلامي باستعمال أداة الاستبانة متخذة من نظرية الصورة الذهنية اطارا نظريا لها. وتوصلت الدراسة الى ان اغلب الباحثين أفادوا، ان الصورة الذهنية التي شكلتها الفعاليات والأنشطة الثقافية في كلا المركزين، قد اتسمت بصفة إيجابية.

__ دراسة (عبد الستار سالم عوض 2018)² استهدفت هذه الدراسة، الكشف عن العلاقة والتأثير بين تمكين العاملين والرضا الوظيفي لديهم في المستشفيات الحكومية بمحافظة كركوك العراقية. واستخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي، واداة الاستبانة التي طبقت على عينة عشوائية. وتوصلت الدراسة الى ان توفر المعلومات كان الأكثر انسجاما بين مؤشرات التمكين، وعكس ذلك مؤشر المكافآت. وكذلك وجدت الدراسة علاقة ارتباط معنوية من إيجابية بين التمكين والرضا الوظيفي.

__ دراسة (Elizabeth et al : 2017)³: استهدفت هذه الدراسة، رصد اثر التمكين الإداري والأخلاقي والدعم التنظيمي من اجل تحقيق الرضا الوظيفي. واستخدمت في منهجيتها المنهج المسحي واداة الاستبيان الذي شملت (200) مبحوث. توزعوا على مختلف الشركات في جنوب افريقيا. وتوصلت الدراسة الى، وجود مناخ أخلاقي جيد في تلك الشركات حسب رأي المبحوثين. مكنهم من أداء واجباتهم وتحقيق الرضا الوظيفي لديهم.

__ دراسة خيرت عياد 2017⁴ تستهدف هذه الدراسة، توصيف وتحليل عامل الرضا الوظيفي، المرتبط بالعوامل النفسية والاجتماعية والمادية والمعنوية، لدى العاملين في العلاقات العامة في المنظمات والدوائر التابعة للدولة في الامارات العربية المتحدة. وعلاقة ما سبق بمتغيرات خصائص العينة. واستخدمت الدراسة منهج المسح الإعلامي من خلال استخدام اداة الاستبانة لجمع المعلومات. وخلصت الدراسة الى عدة

¹ د.هناء عكاشة طلبة. ممارسة العلاقات العامة في بمراكز الثقافة الدولية وعلاقتها بتشكيل الصورة الذهنية للدول. المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والاعلان. العدد (24). الجزء الثاني. يوليو/ ديسمبر/2022.

² عبد الستار سالم عوض 2018، العلاقة والاثر بين تمكين العاملين والرضا الوظيفي، مجلة الادارة والاقتصاد، جامعة كركوك، كلية الادارة والاقتصاد ، السنة الحادية والاربعون، العدد(1017).ص139_150 .

³ Elizabeth Chino Mona. Babatunde A, Popoola & Emmanuel Imuezerua. "The Influence Of Employee Empowerment. Ethical Climate, Organizational Support And Top Management Commitment On Employee Job Satisfaction, A Case of Companies in the Gauteng Province of South Africa", The Journal of Applied Business Research – January/February 2017 Volume 33, Number 1, (p: 27-42).

⁴خيرت عياد. الرضا الوظيفي لممارسين العلاقات العامة. دراسة مسحية على الدوائر والهيئات الحكومية الامارتية، المجلة العربية لبحوث الاعلام والاتصال. العدد(17). ابريل.يونيو. (2017). ص40_25.

نتائج منها ان عينة الدراسة لديها رضا جيد جدا عن الأجرور التي يتقاضونها. وظهرت نتائج البحث أيضا ان المبحوثين لديهم درجة رضا عالي عن الجوانب المادية الأخرى مما ولد لديهم ولاء للدوائر والمؤسسات التي يعملون لديها.

__ دراسة (Aldogailbi: 2017)¹ استهدفت هذه الدراسة رصد مستويات التمكين الإداري في مؤسسات التعليم العالي الخاص في العربية السعودية. واهم العقبات التي يواجهها العاملين في هذا القطاع. واستخدمت هذه الدراسة في منهجيتها المنهج المسحي والتطبيقي باستخدام أداة الاستبانة. وتوصلت الدراسة الى ان مستوى التمكين الإداري ماديا ومعنويا ما زال ضعيفا في هذا المجال. إضافة الى محدودية تفويض السلطة للعاملين.

__التعليق على الدراسات السابقة:

اتاحت الفرصة للباحث للاطلاع على مجموعة كبيرة من الدراسات العربية والأجنبية، ذات الاهتمامات الإعلامية وغير الإعلامية، من الدراسات التي تعنى بموضوع الرضا الوظيفي. حيث دلت الدراسات المستعرضة انفا، اهتمام القائمين بها من الباحثين على إيلاء مادة الرضا الوظيفي اهتمام كبيرا لما له من تأثير عالي على سير عمل المؤسسات، حكومية كانت ام خاصة، إضافة الى ان هذه الدراسات اولت اهتمام كبير بدراسة القطاع الثقافي بمختلف اشكاله، إضافة الى الرضا الوظيفي، مما يجعلها أي هذه الدراسات، قريبة من حقل موضوع دراستنا، مما أحاطت هذه الدراسات الباحث بدراية واطلاع أكبر بأبعاد وموضوع دراسته. وقد خرجت جميع الدراسات المعروضة بنوعين من النتائج، في التعرف على مستويات الرضا الوظيفي لدى المبحوثين. نتائج إيجابية تمثلت بتحقيق نسبة رضا وظيفي عالية لدى المبحوثين، تؤدي غالبا الى أداء وظيفي مثمر وولاء مطلق من كادر العمل الى المؤسسة التي ينتمي اليها. ونتائج سلبية تؤدي الى نفور العاملين وتذمرهم في تادية واجباقتهم. مما يؤدي بالتالي الى ضعف وتدهور في إنتاجية المؤسسة العام، وانخفاض في مستوى سمعتها بين المؤسسات المماثلة والمنافسة.

اما في الجانب المنهجي للدراسات المعروضة، تبين للباحث ان جميع هذه الدراسات استخدمت المنهج المسحي، كونه من اهم المناهج التي تعتمد عليها دراسات الرضا الوظيفي والراي العام. رغم وجود مناهج أخرى كالمنهج التجريبي² (Experimental Approach) الا انه نادر الاستخدام لصعوبة تطبيقه، بسبب الإمكانيات الفنية والمادية والزمنية التي يتطلبها استخدام مثل هذا المنهج في دراسات الرضا الوظيفي. كذلك ان جميع الدراسات المعروضة استخدمت أداة الاستبانة كأداة لجمع المعلومات والبيانات الخاصة بخصائص وارااء واتجاهات عينة البحث. وفي المعالجات الإحصائية التي استخدمت في هذه الدراسات، استخدمت الأساليب المتعددة المتوفرة في برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package For Social Sciences) المعروف اختصارا برنامج (SPSS). وفي الاطر النظرية، لجأت هذه الدراسات لمختلف النظريات والمداخل النظرية، مما ارشد الباحث الى انسب النظريات التي تتناسب مع مشكلة واهداف دراستنا هذه.

__ الاطار النظري للدراسة:

¹ Farrah Fite Cope (2017), The Relationship Between Teacher Empowerment in Decision Making and Teachers' Professional Intentions, Teacher Satisfaction, and Student Achievement, Unpublished PhD Thesis, The University of Memphis.

د. سامي طابع، بحوث الاعلام، دار الامان للطباعة، رقم الايداع/2001/5477.

ان الاطار النظري لأي دراسة علمية يمثل البناء او الهيكل لفكرة تلك الدراسة، وهو الأساس الذي يتم عليه بناء الدراسة، وليس الخلفية النظرية لموضوع الدراسة، كما يعتقد الكثير¹. ان أي دراسة او بحث لا يمكن ان يتم من فراغ نظري، بل يجب ان تقود الدراسة او البحث مجموعة من الافتراضات الأساسية حول طبيعة مجتمع العينة والعلاقة بينهما². لقد اهتمت الكثير من النظريات العلمية في تفسير مستويات الرضا الوظيفي لدى كوادر المؤسسات وانعكاسات حجم تلك المستويات من الرضا لدى تلك الكوادر على نتاج المؤسسة النهائي. ومن ابرز تلك النظريات العلمية القريبة من موضوع دراستنا نظرية التوقع (Expectancy Theory) لفكتور فروم³ (Vroom) الذي فسر الرضا الوظيفي من عدمه بالمقارنة التي يجريها افراد الكادر بين ما كان يطمح لتحقيقه من عوائد سلوكه الوظيفي الذي كان ينتهجه وبين مصلحته الشخصية المتحققة فعلا، مما يؤدي بالفرد الى المفاضلة بين البدائل المختلفة من اجل الضفر بالخيار الانفع ماديا ومعنويا الذي يتطابق مع ذلك السلوك.

اما النظرية الثانية الأكثر قربا الى موضوع دراستنا من نظرية فكتور فروم (Vroom) فهي نظرية عالم النفس ديفيد ماكيلاند⁴ (David McClelland) المتمثلة بنظرية الاحتياجات الثلاثة (Three Needs Theory) حيث ركز من خلال دراساته على الظروف المتاحة للعامل التي تمكنه من زيادة دافع الإنجاز، وحدد ثلاث احتياجات او حاجات رئيسة يسعى العامل لإشباعها من اجل رفع مستوى العمل الذي يؤديه. تمثلت هذه الحاجات بـ :

1- الحاجة للإنجاز: يميل الفرد الذي يمتلك هذه الرغبة للطموح العالي والتطلع الى التفوق وتحمل المسؤولية وتأدية المهام ذات التحدي العالي لقدراته ويرغب في تلقي رجع الصدى (Feed back) عن مستوى إنجاز. وغالبا لا يهتم للمردود المادي ما لم يكن ذلك في ميزان وحسابات النجاح.

2- الحاجة للقوة: ان الفرد الذي يمتلك الرغبة لتحقيق هذه الحاجة غالبا ما يكون طامحا الى المناصب العليا في المؤسسة، ليمارس نفوذه على الاخرين، كون هذه المناصب تشبع لديه هذه الرغبة او الحاجة.

3- الحاجة للانتماء: وتمثل هذه الحاجة الرغبة لدى الفرد في التفاعل مع الزملاء وتكوين صداقات جديدة من خلال ممارسة الواجبات المنوطة به لإشباع تلك الحاجة وتحقيق الرضا.

اما النظرية التي كانت اقرب من كل ما سبق وغيره لموضوع دراستنا والتي من خلالها تم تفسير نتائج هذه الدراسة فألها نظرية ذات العاملين (Two-factors theory) لفرديريك هرزبرج (Frederick Herzberg's)⁵ التي ترتبط ارتباط وثيق بتسلسل ماسلو الهرمي للاحتياجات الإنسانية (Maslow's hierarchy of needs)، حيث حدد هرزبرج (Herzberg's) مجموعتين من العوامل تمثلت المجموعة الأولى بمجموعة الدوافع التي تؤدي الى رضا العاملين عن أعمالهم الوظيفية المرتبطة بذات العمل او الوظيفة كإحساس الفرد بتحقيق منجز والشعور بتحمل المسؤولية وإمكانية الترقية للحصول على وظيفة اعلى والمشاركة في اتخاذ القرارات الخاصة بالعمل.

¹ د. محمد غريب، د. وجدي حلمي، مناهج البحث الاعلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، رقم الايداع: 2019/4171، ص87.

² د. حسن عماد مكاي، د. ليلى السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط13، 2018، رقم الايداع: 1998/13861، ص113.

³ جواد محمد الشيخ، عزيزة عبد الله شير، الرضا الوظيفي وعلاقته ببعض المتغيرات الديموجرافية لدى المعلمين، فلسطين، غزة، مجلة الجامعة الاسلامية، سلسلة الدراسات الانسانية، المجلد 16، العدد 1، 2008، ص686.

حمود سلمان العميان، 2002، السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال، ص289-292، دار وائل، عمان، الاردن⁴.

⁵ شكري سيد احمد، الرضا عن العمل لدى معلمي ومعلمات الرياضيات وعلاقته بكل من تأهيلهم العلمي وحرهم التدريسية، قطر، جامعة قطر، حولية كلية التربية 1991، العدد 1، ص

اما المجموعة الثانية من العاملين فأما تمثلت في الدوافع المؤدية الى عدم الرضا الوظيفي للأفراد عن عملهم واطلق عليها العوامل المحيطة بالوظيفة او العمل كالثروة ونمط القيادة وطبيعة العلاقة بين زملاء العمل وطبيعة العلاقة بين الموظف ورؤسائه في العمل إضافة للظروف السيئة المحيطة بالعمل.

جاءت هذه النظرية بعد دراسة معمقة اجراها هرزبرج (Herzberg's) عن طريق مركز الخدمة النفسية في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكية عن طريق اجراء مقابلات معمقة ومكثفة مع عينة من المهندسين والمحاسبين قوامها (200) مبحوث من العاملين في تلك الولاية، حيث تم سؤال المبحوثين عن سؤالين احدهم عن موقف إيجابي شعروا فيه بالسعادة والآخر موقف سلبي شعروا فيه بالاستياء وأسباب ومسببات ذلك الشعور في كل من الحالتين. وبناء على النتائج المتحصلة من أجوبة المبحوثين وجد هرزبرج (Herzberg's) ان الشعور بالرضا يختلف من حيث التركيب والنوع عن الشعور بالاستياء وعدم الرضا باختلاف العوامل المسببة لذلك، وان هذان النوع من الشعور لا يمثلان طرفي نقيض لمتغير واحد وانما هما عاملان او متغيران مستقلان عن البعض. فالرضا كما يراه هرزبرج (Herzberg's) يرتبط ارتباط وثيقاً بخمسة من العناصر ضمن محتوى العمل ممثلة بالإنجاز والنجاح والتقدير والاحترام إضافة الى الشعور بالمسؤولية والترقية. اما الاستياء وعدم الرضا فغالبا ما يرتبط بـ سياسة المؤسسة والاطر الإدارية العامة والعلاقة ما بين زملاء العمل وظروف او بيئة العمل. مما تقدم يتضح لنا ان هناك مجموعتين من العوامل مسؤولة عن ارتفاع او انخفاض مستوى الرضا الوظيفي لدى الفرد في المؤسسة التي يعمل فيها تكمن المجموعة الأولى في ذات الفرد وهي عوامل ذاتية، اما المجموعة الثانية من العوامل تكمن في المحيط او بيئة العمل التي يعمل فيها.

ان نظرية ذات العاملين (Two-factors theory) لفريدريك هرزبرج (Frederick Herzberg's) رغم رصانتها ومقبوليتها العلمية في العالم لما قدمت من اسهامات قيمة في تطور الفكر الإداري وزيادة المعرفة في دراسة ظروف وبيئة العمل، الا انها شافها شان باقي النظريات العلمية المختصة في العلوم الإنسانية قابلة للنقد إضافة الى التطور مع اخذ بنظر الاعتبار الفارق بين المكان والزمان¹.

تمت الاستفادة من توظيف من هذه النظرية كإطار نظري لدراستنا (مستويات تحقق الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية وتأثيره على النتاج الثقافي) من خلال اعداد أسئلة وعناوين محاور الاستبانة ومراعاة ان تكون خيارات هذه الأسئلة ومحاورها المختلفة تعبر عن مجموعة العوامل الذاتية للفرد العامل داخل المؤسسة (المبحوث) ومجموعة العوامل المحيطة ببيئة العمل لعينة الدراسة من الكوادر الإبداعية في وزارة الثقافة العراقية من فنانيين وادباء واعلاميين وباحثين...الخ. من اجل الكشف عن مستويات تحقق الرضا الوظيفي لذلك الكادر من عدمه وانعكاس ذلك المستوى على النتاج الثقافي لهذا الكادر.

— تساؤلات وفروض الدراسة:

لتحقيق اهداف الدراسة أعلاه فأما سعت الى الإجابة عن التساؤلات والتحقق من الفروض التالية:

— التساؤلات:

1- ما مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي من الإعلاميين والفنانين والكتاب والباحثين..الخ في وزارة الثقافة العراقية؟

2- ما تأثير مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي على النتاج الثقافي في وزارة الثقافة العراقية؟

— فروض الدراسة:

هاني عبد الرحمن الطويل، الإدارة التربوية والسلوك المنظمي. عمان ، الاردن. دار وائل للنشر، 2001ص78.¹

- 1- هل هناك فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير النوع الاجتماعي.
- 2- هل هناك فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير المؤهل العلمي.
- 3- هل هناك فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير الحقل الإبداعي.
- 4- هل هناك فروقات ذات دلالات إحصائية في مستويات تحقق الرضا الوظيفي لدى الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يرجع لمتغير سنوات الخدمة.

التعريفات الإجرائية للدراسة (مصطلحات الدراسة):

- 1- الوزارة تعني وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية.
- 2- دوائر الوزارة تعني جميع دوائر الوزارة التي تدار من قبل مدير عام وفروعها إضافة للدوائر المرتبطة بمكاتب الوكلاء والوزير.
- 3- النتاج الثقافي ويعني كل نتاج ثقافي يصدر عن الوزارة متمثلاً بالمطبوعات او المهرجانات او الغير راض او افلام... الخ من الاعمال الثقافية.
- 4- الكادر الإبداعي ويقصد به موظفو الوزارة من الفنانين والادباء والاعلاميين والباحثين.

نوع الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية (Descriptive Study)، ويعد أسلوب هذا النوع من الدراسات العلمية من الأساليب المميزة لدراسة الحالة كما هي عليه في الواقع ووصفها وصفا دقيقا وتفصيلا من خلال جمع البيانات الاجتماعية عبر الاستبانات المقننة للحصول على معلومات عينة البحث والمجتمع الذي تنتمي اليه هذه العينة¹.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي، الذي يعتبر من اهم المناهج العلمية البحثية للدراسات الوصفية في حقل الاعلام². حيث يعد منهج المسح الاعلامي من أهم المناهج المستخدمة في دراسة بحوث الرضا الوظيفي، في المؤسسات الخاصة والعامه، والذي من خلاله سيتم التعرف على مستويات الرضا الوظيفي لعينة دراستنا، ومدى انعكاس ذلك الرضا على النتاج الثقافي لوزارة الثقافة العراقية.

مجتمع الدراسة:

تمثل مجتمع هذه الدراسة في موظفين وزارة الثقافة العراقية ممن ينتمون الى الحقول الإبداعية الثقافية المختلفة كالفن بمختلف انواعه واشكاله والادب بمختلف مشاريعه والاعلام بجميع تخصصاته والبحث العلمي ممثلا بالكادر الاكاديمي والبحثي لمراكز الدراسات والبحوث.

عينة الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة عينة عشوائية طبقية (Striated Sample) بسبب وجود فئات إبداعية مختلفة في مجتمع الدراسة¹، قومها (32) مبحوث من الكوادر الثقافية الإبداعية في مجال الفن والادب والاعلام والبحث العلمي موزعة بين أغلب دوائر الوزارة كدائرة

احمد بدر، احمد (2118)، علوم الاعلام: البحث العلمي- المناهج - التطبيقات، القاهرة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر. ص 123. ¹

د. محمد الاحمد. 2024. النظام الاعلامي في العراق. بغداد. دار جسد المعرفة للنشر. ط1. ص22. ²

العلاقات الثقافية العامة ودائرة السينما والمسرح وثقافة الأطفال والشؤون الثقافية العامة ودائرة الفنون العامة ومراكز الدراسات والبحوث في الوزارة.

__ حدود دراسة:

انقسمت حدود الدراسة الى قسمين:

- 1- حدود زمنية: تمثلت في النصف الأول من العام 2024م. وهو المدة الزمنية التي وزعت فيها استمارات الاستبانة واستطلعت آراء ومواقف المبحوثين، وتم استكمال متطلبات الدراسة.
- 2- حدود مكانية: تمثلت في مقر وزارة الثقافة العراقية ودوائرها في بغداد وفروع تلك الدوائر في عدة محافظات عراقية.

__ أداة الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة أداة الاستبانة، في جمع المعلومات والبيانات. عبر مجموعة من الأسئلة المعدة مسبقاً، بخيارات اجوبة للمبحوثين وفق مقياس ليكرت (Likert scale). الذي يتيح للمبحوث الاختيار من بين أكثر من خيارين في الاجابة. وبلغت هذه الاسئلة (27) سؤال ضمن خمسة محاور رئيسية. تضمنت محور علاقة المبحوث بالإدارة، ومحور الأجور والخوافز، ومحور بيئة العمل، ومحور العوامل الخارجية، ومحور أخير للأسئلة العامة. إضافة الى بيانات المبحوثين. كذلك استخدمت في هذه الدراسة أداة المقابلة²، إضافة الى أداة الملاحظة التي تميز بها الباحث، كونه اعلامي سابق وباحث حالي في المؤسسة المستفيدة من الدراسة.

__ الصدق الظاهري لأداة الدراسة:

تم التحقق من الصدق الظاهري لثبات أداة الدراسة المتمثلة باستمارة الاستبانة من خلال عرضها على عدد من المحكمين³ المختصين في مجال الاعلام والعلاقات العامة للتحقق من صدقها.

__ قياس ثبات أداة الدراسة:

للتحقق من ثبات أداة الدراسة تم سحب عينة استرشادية بلغ قوامها (8) مبحوثين. وتم حساب متوسط محاور مفردات الأداة وباستخدام معامل قياس الثبات الفا كرونباخ (cronbachs alpha)، بلغ مجموع الثبات الكلي ل فقرات الدراسة ما نسبة (0.884). وتفاوتت نسب الثبات في فقرات المحاور كل على حدة بين (0.706) و (0.905). وان هذه القيم من الثبات تنحصر بين القيمة (صفر _1) مما يدل على وجود قيمة ثبات عالية لفقرات الاستبيان كون كلما اتجهت القيمة نحو الرقم (1) كلما زادت قيمة الثبات والعكس صحيح. وان هذه القيم التي توصلت اليها الدراسة من خلال العينة الاسترشادية جميعها تعتبر قيم ثبات عالية توهل أداة الدراسة لاستخدامها في التطبيق الميداني تحت ذات الظروف للعينة الفعلية للدراسة.

__ صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة:

د. محمد الاحمد. 2023. التشريعات الاعلامية في العراق. بغداد. دار جسد المعرفة للنشر. ط1. ص12. ¹

مقابلات أجريت مع عدة مدراء اقسام ممثلة بالموارد البشرية. التخطيط. الإحصاء. الحسابات في مقر الوزارة: ²

اسماء المحكمين: 1- ا.د. اكرم فرج الربيعي. رئيس قسم الاعلام بجامعة المستقبل. ³

2- ا.م.د. جواد محمد امين. استاذ الاعلام بجامعة كركوك.

3- ا.م.د. رياض محمد كاظم. خبير في مركز الدراسات والبحوث. وزارة الثقافة العراقية.

4- د. حمدي سيد محمد محمود. استاذ الاعلام والعلاقات العامة رئيس تحرير مجلة اتجاهات سياسية المحكمة والصادرة عن المركز الديمقراطي العربي في برلين.

اجرت الدراسة اختبار معامل الارتباط بيرسون (Pearson) لأجوبة العينة الاسترشادية، من اجل حساب الصدق والاتساق الداخلي لفقراتها. ومن خلال التعرف على درجة ارتباط كل فقرة من محاور الاستبانة والدرجة الكلية لمتوسط المحور، أظهرت النتائج ان درجات العلاقة تمتلك دلالة إحصائية مقبولة بمستوى اقل من (0.05).

_ أساليب المعالجة الإحصائية:

استخدمت الدراسة لتحليل البيانات التي تم الحصول عليها من خلال اداة الاستبانة لعينة الدراسة عدد كبير من الاساليب الاحصائية التي يتيحها برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية ((Statistical Package For Social Sciences) المعروف اختصارا برنامج (SPSS). وبرزت كل الاساليب الاحصائية تمثلت في:

- 1- التكرارات والنسب المئوية. حيث تم من خلال استخدام هذا الاسلوب الاحصائي معرفة الخصائص الشخصية والوظيفية لعينة الدراسة، وتحديد مسارات استجابات الباحثين تجاه فقرات ومحاور اداة الدراسة.
- 2- مقياس ليكرت (Likert scale) لحساب تفضيلات عينة الدراسة .
- 3- معامل الارتباط بيرسون (Pearson) واستخدامه في الدراسة لقياس صدق اتساق فقرات الأداة الدراسة بمحاورها.
- 4- معامل قياس الثبات الفا كرونباخ (cronbachs alpha) واستخدامه في الدراسة من اجل قياس ثبات فقرات الاستبيان مجتمعة وفقرات كل محور على حدة.
- 5- المتوسط الحسابي. الذي تم من خلال التعرف على مدى ارتفاع او انخفاض استجابات الباحثين، أي إيجاد المتوسط العام لاتجاهات افراد العينة. كذلك ساعدت الدراسة على ترتيب فقرات الاجابة حسب اعلى المتوسطات الحسابية .
- 6- الانحراف المعياري .

تم من خلاله اختبار الفروض للمتغيرات الثابتة في محاور الاستبيان التي تتضمن مجموعتين كمتغير النوع الاجتماعي T. اختبار 7- واستخدامه في الدراسة من اجل اختبار فرضيات الدراسة، بمتغيراتها المستقلة التي (One Way ANOVA) تحليل التباين الاحادي-8 تتضمن اكثر من مجموعتين مستقلتين كمتغير المؤهل العلمي والحقل، من خصائص العينة. والمتغير التابع ممثلا بمحاور الدراسة. من اجل تحديد وجود فروق ذات دلالة احصائية في فرضيات الدراسة من عدمه.

نتائج الدراسة ومناقشتها

أولاً: الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة:

جدول رقم (1) يمثل جدول الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة

النوع	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	25	78.1%
انثى	7	21.9%
المجموع	32	100.0%
المؤهل العلمي	التكرارات	النسبة المئوية
اقل من جامعي	2	6.3%

46.9%	15	جامعي
46.9%	15	دراسات عليا
100.0%	32	المجموع
النسبة المئوية	التكرارات	المجال الإبداعي
40.6%	13	فن
6.3%	2	آداب
31.3%	10	اعلام
21.9%	7	بحث علمي
100.0%	32	المجموع
النسبة المئوية	التكرارات	سنوات الخدمة في المجال الإبداعي
18.7%	6	من 1_15 سنة
18.8%	6	من 15_20 سنة
62.5%	20	اكثر من 20 سنة
100%	32	المجموع

تضمنت عينة الدراسة عينة عشوائية طبقية متكونة من (32) مبحوث. مثلت الكادر الإبداعي لوزارة الثقافة العراقية وتوزعت من حيث النوع بـ (25) من الذكور بنسبة (78.1%)، و(7) من الاناث بنسبة مئوية بلغت (21.9%).

اما من حيث المؤهل العلمي لعينة الدراسة فألما توزعت بواقع من ليس لديهم مؤهل جامعي بـ (2) من عينة الدراسة، وبنسبة مئوية بلغت (6.3%). وبلغ عدد المبحوثين ممن لديهم تحصيل جامعي (15) مبحوث وبنسبة مئوية بلغت (46.9%). وبلغ عدد المبحوثين ممن لديهم تحصيل دراسات عليا (15) مبحوث أيضا وبذات النسبة المئوية (46.9%).

اما فيما يخص الحقل الإبداعي الذي ينتمي اليه المبحوثين، فان عينة الدراسة توزعت كالآتي: حقل الفنون مثله (13) مبحوث بنسبة مئوية بلغت (40.6%). وحقل الآداب مثله (2) مبحوث وبنسبة مئوية بلغت (6.3%). وحقل الاعلام مثله (10) مبحوثين وبنسبة مئوية بلغت (31.3%). وأخيرا حقل البحث العلمي مثله (7) مبحوثين، وبنسبة مئوية بلغت (21.9%).

وأخيرا سنوات الخدمة في المجال الإبداعي، فألما توزعت بالشكل الآتي: (6) مبحوثين وبنسبة (18.7%) ممن لديهم خدمة وظيفية اقل من (15) سنة. وجاء (6) مبحوثين وبنسبة (18.8%) ممن لديهم خدمة وظيفية تتراوح من (15_20) سنة. وأخيرا جاء (20) مبحوث وبنسبة مئوية بلغت (62.5%) ممن تبلغ خدمتهم اكثر من (20) سنة.

ان هذه النسبة العالية التي تمثل المبحوثين ممن لديهم خدمة اكثر(20) سنة. بحسب ملاحظة الباحث، لا تعزى للصدفة البحثية لأسباب عديدة ابرزها ان اعداد الكوادر البشرية بصورة عامة في وزارة الثقافة العراقية، تعاني من التناقص المستمر خاصة في الأربع سنوات الأخيرة. بسبب شيخوخة الكادر، كون الاعداد التي تحال الى التقاعد لم يتم تعويضها، إضافة الى حالات الوفاة وترك العمل...الخ¹.

ثانيا: النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الخماسي لإجابات عينة الدراسة عن أسئلة محور العلاقة بالإدارة، واختبار فروق متغيراتها. كما مدرجة في أدناه:

س1: انا راض عن مسؤولي المباشر في العمل

س2: انا راض عن أوقات الدوام الرسمي ومواعيد الحضور والانصراف

س3: مستوى رضاك عن مشاركتك في تحديد اهداف العمل مع الإدارة

س4: انا راض عن عدالة توزيع المهام بين زملاء العمل من قبل الادارة

س5: انا راض عن عملي الحالي مقارنة بإمكانياتي الإبداعية في تخصصي

س6: انا راض عن الصلاحيات الممنوحة لي لأداء عملي الإبداعي حاليا

س7: انا راض عن التدريب والتطوير في تخصصي الإبداعي المتاح لي من قبل الادارة

جدول رقم (2) يبين تحليل النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الخماسي لإجابات عينة الدراسة

لأسئلة محور العلاقة بالإدارة

رقم السؤال	تكرارات ونسب	رأي جيد	رأي سيئ	متوسط	غير راض إطلاقاً	الانحراف	النسبة	T.Test	اتجاه العينة	رتبة السؤال
1	ni	4	4	2.84	4	1.22	56.8	-	محايد	7
	fi	12.5%	12.5%	38	12.5%	104	76	0.724		
2	ni	4	4	2.56	10	1.43	51.2	-	رأي سيئ	6
	fi	12.5%	12.5%	25	31.3%	544	5	1.724		
3	ni	0	0	2.53	4	0.98	50.6	-	رأي سيئ	4
	fi	0%	0%	13	12.5%	323	26	2.697		
4	ni	2	2	2.93	3	1.10	58.7	-	لا رأي	1
	fi	6.3%	6.3%	75	9.4%	534	5	0.320		
5	ni	4	4	2.62	4	1.18	52.5	-	لا رأي	5
	fi	12.5%	12.5%	50	12.5%	458	50	1.791		
6	ni	3	3	3	3	1.13	60	0	لا رأي	2
	fi	9.4%	9.4%	592	9.4%	592	3	0		
7	ni	5	5	3.12	1	1.21	62.5	0.584	لا رأي	3
	fi	15.6%	15.6%	50	3.1%	150	50	0.584		

مقابلة الباحث للسيد عباس حسن علي مدير قسم الموارد البشرية في مقر الوزارة نيسان 2024. ¹

درجة حرية	/	محايد	- 121.6 5	56	0.84	2.80	المحور ككل
--------------	---	-------	-----------------	----	------	------	------------

(□) الجدولية وفق عدد عينة الدراسة تقدر بـ (2.04)

إجابة الباحثون عينة الدراسة عن أسئلة الاستبيان في محور علاقة المبحوث بالإدارة فكانت النتائج الإحصائية وفق مقياس ليكرت الخماسي وفق الآتي:

1- عن السؤال الأول (انا راض عن مسؤولي المباشر في العمل) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.8438). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.22). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (56.87). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-0.724) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (7) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري للعينة.

2- عن السؤال الثاني (انا راض عن أوقات الدوام الرسمي ومواعيد الحضور والانصراف) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.56). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.43). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (51.25). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (1.72) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (6) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

3- عن السؤال الثالث (مستوى رضاك عن مشاركتك في تحديد اهداف العمل مع الإدارة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.53). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.98). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (50.62). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-2.69) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (4) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

4- عن السؤال الرابع (انا راض عن عدالة توزيع المهام بين زملاء العمل من قبل الإدارة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.93). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.10). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (58.75). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-0.32) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (1) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

5- عن السؤال الخامس (انا راض عن عملي الحالي مقارنة بإمكانياتي الإبداعية في تخصصي) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.62). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.18). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (52.5). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-1.79) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (5) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

6- عن السؤال السادس (انا راض عن الصلاحيات الممنوحة لي لأداء عملي الإبداعي حاليا) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.13). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (60). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (0) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (2) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

7- عن السؤال الثاني (انا راض عن التدريب والتطوير في تخصصي الإبداعي المتاح لي من قبل الادارة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.12). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.21). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (62.5). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (0.58) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (6) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

_ استخدام اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالنوع الاجتماعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة.

(جدول رقم 3) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير النوع الاجتماعي عن أسئلة محور العلاقة بالإدارة

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	النوع	المتغير
5.59	18.92	25	ذكر	العلاقة بالإدارة
6.81	22.14	7	انثى	

يلاحظ مما سبق في اختبار إجابة الباحثين في محور العلاقة بالإدارة في هذا الاستبيان تفوق عدد الباحثين الذكور على عدد الاناث حيث بلغ عدد الذكور (25) مبحوث يقابله (7) من الاناث. بينما يتفوق المتوسط الحسابي لنوع الاناث الذي بلغ (22.14) على المتوسط الحسابي لنوع الذكور الذي بلغ (18.92). وتمركزت إجابات الذكور بنسبة افضل من تمركز إجابات الاناث في هذا المحور، وذلك بسبب قلة درجة الانحراف المعياري في إجابات الذكور التي بلغت (5.59) بينما بلغت درجة تشتت إجابات الاناث بدرجة انحراف معياري اكبر بلغ (6.81).

جدول رقم (4) يبين نتائج اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالنوع الاجتماعي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة

اختبار T		اختبار Levene		طبيعة التجانس
Sig	T	Sig	F	
0.208	1.28-	0.408	0.704	متجانس
				غير متجانس

يلاحظ ان التباين متجانس من خلال اختبار إجابة الباحثين في محور العلاقة بالإدارة في هذا الاستبيان كون ان احتمالية (ليفن) تقدر بـ (0.704) وهي أكبر من (0.05) ويلاحظ أيضا ان احتمال اختبار تي يقدر (0.208) وهي بذلك أكبر من (0.05). وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية (ح0) التي تنص على لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور العلاقة بالإدارة من الاستبيان تعزى الى متغير نوع الباحثين. مما يدل على عدم تأثير علاقة الباحثين بالإدارة ذكورا كانوا ام اناث من الكوادر الإبداعية في وزارة الثقافة العراقية ودرجة مستويات الرضا الوظيفي المتحققة جراء ذلك.

— استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالمؤهل العلمي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة.

(جدول رقم 5) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي عن أسئلة محور العلاقة بالإدارة)

المحور	المستوى التعليمي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العلاقة بالإدارة	اقل من جامعي	2	17	2.83
	جامعي	15	19.4000	4.88
	دراسات عليا	15	20.2000	7.21

نتائج جدول الخصائص الوصفية للمستوى التعليمي في محور العلاقة بالإدارة في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد الباحثين ممن لديهم تحصيل علمي اقل من جامعي بلغ (2) مححوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (17) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (2.83). وبلغ عدد الباحثين ممن يحملون المؤهل الجامعي (15) مححوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (19.4000) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (4.88). فيما بلغ عدد الباحثين ممن يحملون مؤهل دراسات عليا (15) مححوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (20.2000) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (7.21). مما تقدم يتضح تمركز اجابات الباحثين ممن لا يحملون مؤهل جامعي بشكل افضل من تمركز إجابات الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي كون ان نسبة الانحراف المعياري للأجوبة ممن لا يحملون المؤهل الجامعي بلغ (2.83) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي حيث بلغت (4.88)، وان الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي اولي قد تفوق تمركز اجوبتهم على أجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل دراسات عليا، حيث بلغت أجوبة ممن يحملون مؤهل الدراسات العليا (7.21) وهي اعلى نسبة انحراف معياري لتشتت أجوبة الباحثين في هذا المجال.

جدول رقم (6) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالمؤهل العلمي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	19.500	2	9.750	0.769	0.769
داخل المجموعات	1068	29	36.828		
المجموع	1087.500	31	/		

ان نتائج اختبار جدول التحليل الأحادي (One Way ANOVA) في هذا المحور بين ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (19.500) بدرجة حرية (2) ومتوسط (9.75). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (1068) بدرجة حرية (29) ومتوسط (36.828). وبلغت قيمة اف (0.769). وبمستوى دلالة بلغ (0.769) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ اكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائيا في اجابات الباحثين في محور العلاقة بالإدارة من الاستبيان تعزى الى متغير المؤهل العلمي للمبحوثين.

_ استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة.

(جدول رقم 7) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور العلاقة بالإدارة)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العلاقة بالإدارة	فن	13	20.54	5.14
	آداب	2	18	5.65
	اعلام	10	18.70	6.42
	بحث علمي	7	19.62	7.55

نتائج جدول الخصائص الوصفية للحقل الإبداعي في محور العلاقة بالإدارة في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن ينتمون للحقل الفني بلغ (13) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (20.54) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (5.14). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الآداب (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (18) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (5.65). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الاعلام (10) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (18.70) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (6.42). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل البحث العلمي (7) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (19.62) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (7.55). مما تقدم يتضح تمركز اجابات المبحوثين ممن يعملون في الحقل الفني بشكل افضل من تمركز إجابات المبحوثين في بقية الحقول الإبداعية كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الفنانين بلغ (5.14) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الحقول الإبداعية الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث تشتت الأجوبة للمبحوثين في الحقل الادبي بنسبة انحراف معياري بلغ (5.65). وحلت فئة الإعلاميين بالترتيب الثالث من حيث تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (6.42). وحلت أخيرا فئة المبحوثين في حقل البحث العلمي من حيث تمركز الأجوبة، حيث بلغت نسبة الانحراف المعياري لهذه الفئة (7.55).

جدول رقم (8) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير

التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
--------------	----------------	-------------	----------------	--------	---------------

0.884	0.217	8.24	3	24.74	بين المجموعات
		37.95	28	1062.76	داخل المجموعات
		/	31	1087.50	المجموع

ان نتائج اختبار جدول التحليل الأحادي (ANOVA) في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (24.74) بدرجة حرية (3) ومتوسط (8.24). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (1062.76) بدرجة حرية (28) ومتوسط (37.95). وبلغت قيمة اف (0.217). وبمستوى دلالة بلغ (0.884) وهي بذلك - أي مستوى الدلالة - أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائيا في اجابات المبحوثين في محور العلاقة بالإدارة من الاستبيان تعزى الى متغير الحقل الابداعي للمبحوثين.

- استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة.

(جدول رقم 9) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الابداعي عن أسئلة محور العلاقة بالإدارة)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرار	الحقل الابداعي	المحور
0.50	2.26	6	من 15_1 سنة	العلاقة بالإدارة
0.85	3.14	6	من 20_15 سنة	
0.87	2.86	20	اكثر من 20 سنة	

نتائج جدول الخصائص الوصفية لحقل سنوات الخدمة في المجال الابداعي لمحور العلاقة بالإدارة في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن خدمتهم من 15_1 سنة بلغ (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.26) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.50). وبلغ عدد المبحوثين ممن تقع فترة خدمتهم من 20_15 سنة (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.14) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.85). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن تبلغ فترة خدمتهم اكثر من 20 سنة (20) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.86) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.87).

مما تقدم يتضح تمركز اجابات المبحوثين في الفئة التي تقع خدمتهم من 15_1 سنة بشكل افضل من تمركز اجابات المبحوثين في بقية الفئات الأخرى كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة هذه الفئة بلغ (0.50) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الفئات الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث قلة تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل سنوات الخدمة الفئة التي تقع من 20_15 سنة بنسبة انحراف معياري بلغ (0.85). وحلت فئة من لديهم خدمة اكثر من 20 سنة بالترتيب الثالث من حيث قلة تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.85) .

جدول رقم (10) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بسنوات الخدمة

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة بالإدارة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.52	4	1.26	1.861	0.174
داخل المجموعات	19.66	29	0.678		
المجموع	22.194	31	/		

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (2.52) بدرجة حرية (4) ومتوسط (1.26). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (19.66) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.678). وبلغت قيمة اف (1.861). وبمستوى دلالة بلغ (0.174) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور العلاقة بالإدارة من الاستبيان تعزى الى متغير عدد سنوات الخدمة في المجال الابداعي للمبجوثين.

ثالثا: النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الخماسي لإجابات عينة الدراسة عن أسئلة محور الأجور والحوافز، واختبار فروق متغيراتها. كما مدرجة في أدناه:

- س1: انا راض عن الثناء والتشجيع الذي اتلقاه من قبل الادارة
- س2: انا راض عن الترقية والعلاوة التي تمنح لي من قبل الادارة
- س3: انا راض عن الراتب الذي اتقاضاه مقارنة بأقراني في وزارات اخرى
- س4: انا راض عن المكافآت التي تصرف لي من قبل الادارة

جدول رقم (11) يبين تحليل النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الخماسي

لإجابات عينة الدراسة لأسئلة محور الأجور والحوافز

رقم السؤال	تكرارات	راض جدا	راض	محايد	غير راض	غير راض اطلاقا	التوسط	الانحراف	النسبة	T.Test	اتجاه العينة	رتبة السؤال
1	ni	1	12	6	10	3	3.0	1.1	61.	0.3	محايد	2
	fi	%3.1	%37.5	%18.8	%31.3	%9.4	62	05	25	20		
2	ni	0	2	2	11	17	4.3	0.8	86.	8.7	غير راض	3
	fi	0	%6.3	%6.3	%34.4	%53.1	43	65	87	83		
3	ni	0	2	5	13	12	4.0	0.8	81.	6.9	غير راض	1
	fi	0	%6.3	%15.6	%40.6	%37.5	93	92	87	29		
							8	96	6			

4	محايد	0.1 41	60. 62 6	1.2 56 84	3.0 31 3	3 %9.4	4 12.5 %	4 12.5 %	9 28.1 %	4 12.5 %	ni fi	4
/	غير راض	- 72. 74	72. 6	0.6 5	3.6 3	مجموع المحور ككل						

(الجدولية وفق عدد عينة الدراسة تقدر بـ (2.04) □ درجة حرية)

إجابة الباحثون عينة الدراسة عن أسئلة محور علاقة الباحث بالإدارة وفق مقياس ليكرت الخماسي وفق الآتي:

- 1- عن السؤال الاول (انا راض عن البناء والتشجيع الذي اتلقاه من قبل الادارة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.06). ونسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.10). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (61.25). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (0.32) وهي دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (2) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
 - 2- عن السؤال الثاني (انا راض عن الترقية والعلوة التي تمنح لي من قبل الادارة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (4.34). ونسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.86). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (86.87). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (8.78) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (3) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
 - 3- عن السؤال الثالث (انا راض عن الراتب الذي اتقاضاه مقارنة بأقراني في وزارات اخرى) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (4.09). ونسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.89). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (81.8). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (6.92) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (1) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
 - 4- عن السؤال الرابع (انا راض عن المكافآت التي تصرف لي من قبل الادارة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.031). ونسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.25). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (60.62). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (0.141) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (4) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- استخدام اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالنوع الاجتماعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والحوافز.

جدول رقم (12) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإجابات عينة الدراسة

وفق متغير النوع الاجتماعي عن أسئلة محور الأجور والحوافز

المتغير	النوع	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأجور والحوافز	ذكر	25	14.24	2.42

3.15	15.57	7	انثى
------	-------	---	------

لاحظ مما سبق في اختبار إجابة المبحوثين في محور الأجور والحوافز في هذا الاستبيان تفوق عدد المبحوثين الذكور على عدد الاناث حيث بلغ عدد الذكور (25) مبحوث يقابله (7) من الاناث. بينما يفوق المتوسط الحسابي لنوع الاناث الذي بلغ (15.57) على المتوسط الحسابي لنوع الذكور الذي بلغ (14.24). بينما تتركز إجابات الذكور بنسبة افضل من متركز إجابات الاناث وذلك بسبب قلة درجة الانحراف المعياري في إجابات الذكور التي بلغت (2.42) بينما بلغت درجة تشتت إجابات الاناث بدرجة انحراف معياري اكبر بلغ (3.15).

جدول رقم (13) يبين نتائج اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالنوع الاجتماعي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور العلاقة الأجور والحوافز

اختبار T		اختبار Levene		طبيعة التجانس
Sig	T	Sig	F	
0.238	1.20-	0.664	0.192	متجانس
				غير متجانس

ويلاحظ ان التباين متجانس من خلال اختبار إجابة المبحوثين في محور الأجور والحوافز في هذا الاستبيان كون ان احتمالية (ليفن) تقدر بـ (0.664) وهي اكبر من (0.05) ويلاحظ أيضا ان احتمال اختبار تي يقدر بـ (1.20-) وهي بذلك اكبر من (0.05). وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية (اج0) التي تنص على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات المبحوثين في محور الأجور والحوافز من الاستبيان تعزى الى متغير النوع الاجتماعي للمبحوثين. مما يدل على عدم تأثير علاقة المبحوثين بالإدارة ذكورا كانوا ام اناث من الكوادر الإبداعية في وزارة الثقافة العراقية ودرجة مستويات الرضا الوظيفي المتحققة جراء ذلك.

— استخدام تحليل التباين الاحادي (ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالمؤهل العلمي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والحوافز.

(جدول رقم (14) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي عن أسئلة محور العلاقة بالإدارة)

المحور	المستوى التعليمي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأجور والحوافز	اقل من جامعي	2	11.50	2.12
	جامعي	15	14.40	2.70
	دراسات عليا	15	15.06	2.40

نتائج جدول الخصائص الوصفية للمستوى التعليمي في محور الأجور والحوافز في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن لديهم تحصيل علمي اقل من جامعي بلغ (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (11.50) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات

بلغ (2.12). وبلغ عدد الباحثين ممن يحملون المؤهل الجامعي (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (14.40) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (2.70). فيما بلغ عدد الباحثين ممن يحملون مؤهل دراسات عليا (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (15.06) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (2.40). مما تقدم يتضح تمركز اجابات الباحثين ممن لا يحملون مؤهل جامعي بشكل افضل من تمركز إجابات الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي كون ان نسبة الانحراف المعياري للأجوبة ممن لا يحملون المؤهل الجامعي بلغ (2.12) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي حيث بلغت (2.70)، وان الباحثين الذين يحملون مؤهل دراسات عليا قد تفوق تمركز اجوبتهم على أجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي اولي ، حيث بلغ تشتت أجوبة ممن يحملون مؤهل الدراسات العليا (2.40) وهي اقل نسبة انحراف معياري لتشتت أجوبة الباحثين في هذه الفئة من فئة الذين يحملون مؤهل جامعي اولي البالغة (2.70) كما ذكرت سابقا.

جدول رقم (15) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالمؤهل العلمي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والخوافر

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	22.93	2	11.46	1.778	0.187
داخل المجموعات	187.03	29	6.45		
المجموع	2091.96	31	/		

ان نتائج اختبار (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (22.93) بدرجة حرية (2) ومتوسط (11.46). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (187.03) بدرجة حرية (29) ومتوسط (6.45). وبلغت قيمة اف (1.778). وبمستوى دلالة بلغ (0.187) وهي بذلك - أي مستوى الدلالة - أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائياً في اجابات المبحوثين في محور الأجور والخوافر من الاستبيان تعزى الى متغير المؤهل العلمي للمبحوثين.

- استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والخوافر.

(جدول رقم (16) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور الأجور والخوافر)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأجور والخوافر	فن	13	14.30	2.86
	آداب	2	16.50	0.70
	اعلام	10	14.10	2.84
	بحث علمي	7	15	2.08

نتائج جدول الخصائص الوصفية للحقل الإبداعي في محور الأجور والخوافر في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن ينتمون للحقل الفني بلغ (13) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (14.30) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (2.86). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الآداب (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (16.50) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.70). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الاعلام (10) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (14.10) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (2.84). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل البحث العلمي (7) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (15) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (2.08). مما تقدم يتضح متركز اجابات المبحوثين ممن يعملون في حقل

الادب بشكل افضل من تمرکز إجابات الباحثين في بقية الحقول الإبداعية كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الادباء بلغ (0.70) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الباحثين في الحقول الإبداعية الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث قلة تشتت الأجوبة للباحثين في حقل الدراسات العليا بنسبة انحراف معياري بلغ (2.08). وحلت فئة الإعلاميين بالترتيب الثالث من حيث قلة تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (2.84). وحلت أخيرا فئة الباحثين في الحقل الفني من حيث تمرکز الأجوبة، حيث بلغت نسبة الانحراف المعياري لهذه الفئة (2.86)

جدول رقم (17) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والحوافز

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	11.8	3	3.93	0.556	0.649
داخل المجموعات	198.16	28	7.07		
المجموع	209.96	31	/		

ان نتائج جدول التحليل الأحادي (One Way ANOVA) في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (11.8) بدرجة حرية (3) ومتوسط (3.93). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (198.16) بدرجة حرية (28) ومتوسط (7.07). وبلغت قيمة اف (0.556). وبمستوى دلالة بلغ (0.649) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ اكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور الأجور والحوافز من الاستبيان تعزى الى متغير الحقل الإبداعي للباحثين.

_ استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والحوافز.

(جدول رقم (18) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور الأجور والحوافز)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأجور والحوافز	من 15_1 سنة	6	3.29	0.92
	من 20_15 سنة	6	3.70	0.43
	اكتر من 20 سنة	20	3.71	0.61

نتائج جدول الخصائص الوصفية لحقل سنوات الخدمة في المجال الإبداعي لمحور الأجور والحوافز في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد الباحثين ممن خدمتهم من 15_1 سنة بلغ (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.29) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.92). وبلغ عدد الباحثين ممن تقع فترة خدمتهم من 20_15 سنة (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ

(3.70) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.43). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن تبلغ فترة خدمتهم أكثر من 20 سنة (20) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.71) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.61) مما تقدم يتضح تركز اجابات المبحوثين في الفئة التي تقع خدمتهم من 15_20 سنة بشكل افضل من تركز إجابات المبحوثين في بقية الفئات الأخرى كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة هذه الفئة بلغ (0.43) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الفئات الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث قلة تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل سنوات الخدمة الفئة التي تقع أكثر من 20 سنة بنسبة انحراف معياري بلغ (0.61). وحلت فئة ممن لديهم خدمة من 1 - 15 سنة بالترتيب الثالث من حيث قلة تشتت الإجابات، إذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.92) .

جدول رقم (19) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأجور والحوافز

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.86	2	0.430	1.016	0.374
داخل المجموعات	12.26	29	0.423		
المجموع	13.12	31	/		

ان نتائج اختبار جدول التحليل الأحادي (ANOVA) في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.86) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.430). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (12.26) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.423). وبلغت قيمة اف (1.016). وبمستوى دلالة بلغ (0.374) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات المبحوثين في محور الأجور والحوافز من الاستبيان تعزى الى متغير عدد سنوات الخدمة في المجال الابداعي للمبحوثين.

رابعاً: النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الخماسي لإجابات عينة الدراسة عن أسئلة محور بيئة العمل، واختبار فروق متغيراتها. كما مدرجة في أدناه:

س1: انا راض عن التوصيف او المسمى الوظيفي او اللقب العلمي الذي نلته عن عملي

س2: انا راض عن جماعة العمل من الزملاء

س3: انا راض عن مظهر غرفة ومكتب عملي

س4: انا راض عن المعدات والادوات التكنولوجية المتوفرة لإداء عملي

س5: انا راض عن نظافة مكان عملي ووسائل الراحة المتاحة

س6: انا راض عن الجانب الصحي المتوفر في مكان عملي من اضاءة وتهوية وغيرها

س7: انا راض عن إجراءات السلامة والأمان في مكان عملي

جدول رقم (20) يبين تحليل النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الخماسي لإجابات

عينة الدراسة لأسئلة محور بيئة العمل

رقم السؤال	نسب وتكرارات	راض جدا	راض	محايد	غير راض	غير راض اطلاقا	المتوسط	الانحراف	النسبة	T.Test	اتجاه العينة	رتبة السؤال
1	ni	2	3	2	17	8	2.1	1.1	43.	-	غير راض	3
	fi	6.3%	9.4%	6.3%	53.1%	25.0%	87.5	19.84	75	4.104		
2	ni	8	7	4	10	3	3.2	1.3	64.	0.8	محايد	7
	fi	25.0%	21.9%	12.5%	31.3%	9.4%	18.8	85.04	37.6	0.893		
3	ni	7	15	3	7	0	3.6	1.0	73.	3.6	محايد	6
	fi	21.9%	46.9%	9.4%	21.9%	0	87.5	60.66	75	3.667		
4	ni	5	6	8	9	4	2.9	1.2	59.	-	غير راض	2
	fi	15.6%	18.8%	25.0%	28.1%	12.5%	68.8	82.25	37.6	13.8		
5	ni	6	8	7	9	2	3.2	1.2	64.	1	محايد	5
	fi	18.8%	25.0%	21.9%	28.1%	6.3%	18.8	37.44	37.6	1		
6	ni	6	6	12	8	0	3.3	1.0	66.	1.6	محايد	4
	fi	18.8%	18.8%	37.5%	25.0%	0	12.5	60.66	25	1.667		
7	ni	7	9	10	5	1	3.5	1.1	70	2.5	محايد	1
	fi	21.9%	28.1%	31.3%	15.6%	3.1%	00.0	07.16	70	2.555		
مجموع المحور ككل												
							3.15	0.77	63	13.137	محايد	

درجة حرية (□) الجدولية وفق عدد عينة الدراسة تقدر بـ (2.04)

1- عن السؤال الاول (انا راض عن التوصيف او المسمى الوظيفي او اللقب العلمي الذي نلته عن عملي) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.18). ونسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.11). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (43.75). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (4.10) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (3) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

- 2- عن السؤال الثاني (انا راض عن جماعة العمل من الزملاء) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.21). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.38). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (64.37). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (0.89) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (7) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- 3- عن السؤال الثالث (انا راض عن مظهر غرفة ومكتب عملي) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.68). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.06). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (73.75). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (3.66) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (6) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- 4- عن السؤال الرابع (انا راض عن المعدات والادوات التكنولوجية المتوفرة لإداء عملي) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.96). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.28). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (59.37). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-138) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (2) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- 5- عن السؤال الخامس (انا راض عن نظافة مكان عملي ووسائل الراحة المتاحة) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.21). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.23). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (64.37). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (1) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (5) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- 6- عن السؤال السادس (انا راض عن الجانب الصحي المتوفر في مكان عملي من اضاءة وتهوية وغيرها) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.31). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.06). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (66.25). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (1.66) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (4) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- 7- عن السؤال الثاني (انا راض عن إجراءات السلامة والأمان في مكان عملي) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (3.50). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.10). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (70). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (2.55) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (1) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.
- استخدام اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل بمثلا بالنوع الاجتماعي وعلاقته بالمتغير التابع مثلا بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل.

جدول رقم (21) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير النوع الاجتماعي عن أسئلة محور بيئة العمل

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	النوع	المتغير
0.740	3.07	25	ذكر	بيئة العمل
0.844	3.47	7	انثى	

يلاحظ مما سبق في اختبار إجابة الباحثين في محور العلاقة بالإدارة في هذا الاستبيان تفوق عدد الباحثين الذكور على عدد الإناث حيث بلغ عدد الذكور (25) مبحوث يقابله (7) من الإناث. بينما يفوق المتوسط الحسابي لنوع الإناث الذي بلغ (3.47) على المتوسط الحسابي لنوع الذكور الذي بلغ (3.07). بينما تتمركز إجابات الذكور بنسبة أفضل من تمركز إجابات الإناث وذلك بسبب قلة درجة الانحراف المعياري في إجابات الذكور التي بلغت (0.740) بينما بلغت درجة تشتت إجابات الإناث بدرجة انحراف معياري أكبر بلغ (0.844).

جدول رقم (22) يبين نتائج اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالنوع الاجتماعي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل

اختبار T		اختبار Levene		طبيعة التجانس
Sig	T	Sig	F	
0.965	1.230-	0.965	0.002	متجانس
				غير متجانس

يلاحظ ان التباين متجانس من خلال اختبار إجابة الباحثين في محور طبيعة التجانس في هذا الاستبيان كون ان احتمالية (ليفن) تقدر بـ (0.965) وهي أكبر من (0.05) ويلاحظ أيضا ان احتمال اختبار تي يقدر (0.965) وهي بذلك أكبر من (0.05). وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية (ح0) التي تنص على لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور بيئة العمل من الاستبيان تعزى الى متغير النوع الاجتماعي للمبحوثين . مما يدل على عدم تأثير علاقة المبحوثين ببيئة العمل ذكورا كانوا ام اناث من الكوادر الإبداعية في وزارة الثقافة العراقية ودرجة مستويات الرضا الوظيفي المتحققة جراء ذلك.

— استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالمؤهل العلمي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل.

جدول رقم (23) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي عن أسئلة محور بيئة العمل

المحور	المستوى التعليمي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
بيئة العمل	اقل من جامعي	2	2.78	0.10
	جامعي	15	3.15	0.74
	دراسات عليا	15	3.20	0.85

نتائج جدول الخصائص الوصفية للمستوى التعليمي في محور بيئة العمل في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد الباحثين ممن لديهم تحصيل علمي اقل من جامعي بلغ (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.78) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.10). وبلغ عدد الباحثين ممن يحملون المؤهل الجامعي (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.15) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.74). فيما بلغ عدد الباحثين ممن يحملون مؤهل دراسات عليا (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.20) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.85).

مما تقدم يتضح تركز اجابات الباحثين ممن لا يحملون مؤهل جامعي بشكل افضل من تركز اجابات الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي كون ان نسبة الانحراف المعياري للأجوبة من لا يحملون المؤهل الجامعي بلغ (0.10) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي التي بلغت (0.74)، وان الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي قد تفوق تركز اجاباتهم على أجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل دراسات عليا ، حيث بلغ تشتت أجوبة ممن يحملون مؤهل الدراسات العليا (0.85) وهي اكبر نسبة انحراف معياري لتشتت أجوبة الباحثين في هذا المحور.

جدول رقم (24) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالمؤهل العلمي وعلاقته بالمتغير

التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.317	2	0.159	0.256	0.776
داخل المجموعات	17.98	29	0.620		
المجموع	18.300	31	/		

ان نتائج اختبار جدول التحليل الأحادي (ANOVA) في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.317) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.159). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (17.98) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.620). وبلغت قيمة اف (0.256). وبمستوى دلالة بلغ (0.776) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ اكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائيا في اجابات الباحثين في محور بيئة العمل من الاستبيان تعزى الى متغير المؤهل العلمي للباحثين. _ استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل.

جدول رقم (25) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور بيئة العمل

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
بيئة العمل	فن	13	3.45	0.67
	آداب	2	2.92	1.31
	اعلام	10	2.88	0.81
	بحث علمي	7	3.06	0.71

نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) للحقل الإبداعي في محور بيئة العمل في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن ينتمون للحقل الفني بلغ (13) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.45) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.67). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الآداب (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.92) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (1.31). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الاعلام (10) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.88) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.81). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل البحث العلمي (7) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.06) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.71).

مما تقدم يتضح تركز اجابات المبحوثين ممن يعملون في الحقل الفني بشكل افضل من تركز اجابات المبحوثين في بقية الحقول الإبداعية كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الفنانين بلغ (0.67) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الحقول الإبداعية الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل البحث العلمي بنسبة انحراف معياري بلغ (0.71). وحلت فئة الإعلاميين بالترتيب الثالث من حيث تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.81). وحلت أخيرا فئة المبحوثين في الحقل الادبي من حيث تركز الأجوبة، حيث بلغت نسبة الانحراف المعياري لهذه الفئة (1.31).

جدول رقم (26) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير

التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.025	3	0.675	1.161	0.342
داخل المجموعات	16.276	28	0.581		
المجموع	18.300	31	/		

ان نتائج جدول التحليل الأحادي (ANOVA) في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (2.025) بدرجة حرية (3) ومتوسط (0.675). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (16.276) بدرجة حرية (28) ومتوسط (0.581). وبلغت قيمة اف (1.161). وبمستوى دلالة بلغ (0.342) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة _ اكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائيا في اجابات المبحوثين في محور بيئة العمل من الاستبيان تعزى الى متغير الحقل الإبداعي للمبحوثين.

_ استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل.

(جدول رقم 27) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الابداعي عن أسئلة محور بيئة العمل)

المحور	الحقل الابداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
بيئة العمل	من 15_1 سنة	6	2.85	0.56
	من 20_15 سنة	6	3.45	0.94
	اكثر من 20 سنة	20	3.15	0.76

نتائج جدول الخصائص الوصفية لحقل سنوات الخدمة في المجال الابداعي لمحور بيئة العمل هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين من خدمتهم من 15_1 سنة بلغ (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.85) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.56). وبلغ عدد المبحوثين من تقع فترة خدمتهم من 20_15 سنة (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.45) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.94). فيما بلغ عدد المبحوثين من تبلغ فترة خدمتهم اكثر من 20 سنة (20) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.15) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.76).

مما تقدم يتضح تمركز اجابات المبحوثين في الفئة التي تقع خدمتهم من 15_1 سنة بشكل افضل من تمركز إجابات المبحوثين في بقية الفئات الأخرى كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة هذه الفئة بلغ (0.56) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الفئات الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث قلة تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل سنوات الخدمة فئة اكثر من 20 سنة بنسبة انحراف معياري بلغ (0.76). وحلت فئة من لديهم خدمة من 20-15 سنة بالترتيب الثالث من حيث قلة تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.94) .

جدول رقم (28) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور بيئة العمل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1.06	2	0.531	0.894	0.420
داخل المجموعات	17.23	29	0.594		
المجموع	18.300	31	/		

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (1.06) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.531). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (17.23) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.594). وبلغت قيمة اف (0.894). وبمستوى دلالة بلغ (0.420) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ اكبر من (0.05) مما يدل

على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور بيئة العمل من الاستبيان تعزى الى متغير عدد سنوات الخدمة في المجال الابداعي للمبشرين.

خامسا: النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الحماسي لإجابات عينة الدراسة عن أسئلة محور العوامل الخارجية، واختبار فروق متغيراتها. كما مدرجة في أدناه:

س1: انا راض عن القوانين والأنظمة التي تختص بإدارة عملي الإبداعي داخل الوزارة

س2: انا راض عن السياسات والإجراءات الحكومية المتعلقة بالتشجيع المادي والمعنوي لعملي الإبداعي

س3: انا راض عن عدم تأثير التزاماتي الاجتماعية الضرورية خارج العمل على نتاجي الابداعي

جدول رقم (29) يبين النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الحماسي لإجابات

عينة الدراسة لأسئلة محور العوامل الخارجية

رقم السؤال	اتجاه العينة	T.Test	النسبة	الانحراف	المتوسط	غير راض	غير راض	محايد	راض	راض جدا	مجموع	رقم السؤال
1	راض	6.929	81.876	0.89296	4.0938	0	2	5	13	12	n	1
						0	6.3%	15.6%	40.6%	37.5%	fi	
2	محايد	-1.938	53.125	1.003522	2.65625	3	13	9	6	1	n	2
						9.4%	40.6%	28.1%	18.8%	3.1%	fi	
3	غير راض	-3.418	49.376	0.87931	2.4688	5	10	14	3	0	n	3
						15.6%	31.3%	43.8%	9.4%	0	fi	
/	محايد	-59.20	61.4	0.56	3.07	المحور ككل						

إجابة الباحثون عينة الدراسة عن أسئلة الاستبيان في محور العوامل الخارجية فكانت النتائج الإحصائية وفق مقياس ليكرت

الحماسي وفق الآتي:

1- عن السؤال الاول (انا راض عن القوانين والأنظمة التي تختص بإدارة عملي الإبداعي داخل الوزارة) كانت إجابة العينة بمتوسط

حسابي قدره (4.09). ونسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.89). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر

بـ (81.87). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (6.92) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما

اتجاه العينة فانه كان الخيار (راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (1) وفق

نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

2- عن السؤال الثاني (انا راض عن السياسات والإجراءات الحكومية المتعلقة بالتشجيع المادي والمعنوي لعملية الإبداع) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.65). ونسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (1.003). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (53.12). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-1.9) وهي غير دالة احصائيا كونها اصغر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (محايد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (2) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

3- عن السؤال الثالث (انا راض عن عدم تأثير التزامات الاجتماعية الضرورية خارج العمل على نتاجي الابداعي) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.46). ونسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.87). ونسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (49.37). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-3.4) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (غير راض). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (6) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

_ استخدام اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالنوع الاجتماعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية.

(جدول رقم 30) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير النوع الاجتماعي عن أسئلة محور العوامل الخارجية

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	النوع	المتغير
0.540	3.09	25	ذكر	العوامل الخارجية
0.693	3	7	انثى	

يلاحظ مما سبق في اختبار إجابة الباحثين في محور العوامل الخارجية في هذا الاستبيان تفوق عدد الباحثين الذكور على عدد الاناث حيث بلغ عدد الذكور (25) مبحوث يقابله (7) من الاناث. بينما يفوق المتوسط الحسابي لنوع الذكور الذي بلغ (3.09) على المتوسط الحسابي لنوع للاناث الذي بلغ (3). بينما تتركز إجابات الذكور بنسبة افضل من تركز إجابات الاناث وذلك بسبب قلة درجة الانحراف المعياري في إجابات الذكور التي بلغت (0.540) بينما بلغت درجة تشتت إجابات الاناث بدرجة انحراف معياري اكبر بلغ (0.693).

جدول رقم (31) يبين نتائج اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالنوع الاجتماعي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية

اختبار T		اختبار Levene		طبيعة التجانس
Sig	T	Sig	F	
0.707	0.380	0.306	1.08	متجانس
				غير متجانس

يلاحظ ان التباين متجانس من خلال اختبار إجابة الباحثين في محور طبيعة التجانس في هذا الاستبيان كون ان احتمالية (ليفن) تقدر بـ (0.306) وهي اكبر من (0.05) ويلاحظ أيضا ان احتمال اختبار تي يقدر (0.707) وهي بذلك اكبر من (0.05). وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية (اج0) التي تنص على لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور العوامل الخارجية من الاستبيان تعزى الى متغير النوع الاجتماعي للباحثين. مما يدل على عدم تأثير علاقة الباحثين بالعوامل الخارجية ذكورا كانوا ام اناث من الكوادر الإبداعية في وزارة الثقافة العراقية ودرجة مستويات الرضا الوظيفي المتحققة جراء ذلك.

— استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالمؤهل العلمي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية.

(جدول رقم (32) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي عن أسئلة محور العوامل الخارجية)

المحور	المستوى التعليمي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العوامل الخارجية	اقل من جامعي	2	2.66	0.00
	جامعي	15	2.97	0.58
	دراسات عليا	15	3.22	0.55

نتائج جدول الخصائص الوصفية للمستوى التعليمي في محور العوامل الخارجية في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد الباحثين ممن لديهم تحصيل علمي اقل من جامعي بلغ (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.66) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.00). وبلغ عدد الباحثين ممن يحملون المؤهل الجامعي (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.97) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.58). فيما بلغ عدد الباحثين ممن يحملون مؤهل دراسات عليا (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.22) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.55).

مما تقدم يتضح تركز اجابات الباحثين ممن لا يحملون مؤهل جامعي بشكل افضل من تركز اجابات الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي كون ان نسبة الانحراف المعياري للأجوبة من لا يحملون المؤهل الجامعي بلغ (0.00) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي التي بلغت (0.58)، وان الباحثين الذين يحملون مؤهل دراسات عليا قد تفوق تركز اجوبتهم على أجوبة الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي ، حيث بلغ تشتت أجوبة ممن يحملون مؤهل الدراسات العليا (0.55) وهي اقل نسبة تشتت أجوبة الباحثين من فئة الجامعي.

جدول رقم (33) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالمؤهل العلمي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
--------------	----------------	-------------	----------------	--------	---------------

0.29	1.26	0.400	2	0.80	بين المجموعات
		0.315	29	9.14	داخل المجموعات
		/	31	9.94	المجموع

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.80) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.400). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (9.14) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.315). وبلغت قيمة اف (1.26). وبمستوى دلالة بلغ (0.29) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ اكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور العوامل الخارجية من الاستبيان تعزى الى متغير المؤهل العلمي للمبحوثين. _ استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في العوامل الخارجية .

(جدول رقم 34) بين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور العوامل الخارجية)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العوامل الخارجية	فن	13	3.05	0.44
	آداب	2	2.50	0.70
	اعلام	10	3.10	0.72
	بحث علمي	7	3.23	0.50

نتائج جدول الخصائص الوصفية للحقل الإبداعي في محور العوامل الخارجية في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن ينتمون للحقل الفني بلغ (13) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.05) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.44). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الآداب (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (2.50) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.70). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل الاعلام (10) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.10) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.72). وبلغ عدد المبحوثين ممن ينتمون لحقل البحث العلمي (7) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.23) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.50).

مما تقدم يتضح تركز اجابات المبحوثين ممن يعملون في الحقل الفني بشكل افضل من تركز إجابات المبحوثين في بقية الحقول الإبداعية كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الفنانين بلغ (0.44) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الحقول الإبداعية الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل البحث العلمي بنسبة انحراف معياري بلغ (0.50). وحلت فئة الادباء بالترتيب الثالث من حيث تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.70) . وحلت أخيراً فئة المبحوثين الاعلاميين من حيث تركز الأجوبة، حيث بلغت نسبة الانحراف المعياري لهذه الفئة (0.72) وهي اكبر نسبة تشتت أجوبة في جميع الفئات المبحوثة.

جدول رقم (35) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية

مستوى الدلالة	قيمة F	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.46	0.88	0.287	3	0.86	بين المجموعات
		0.324	28	9.08	داخل المجموعات
		/	31	9.94	المجموع

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.86) بدرجة حرية (3) ومتوسط (0.287). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (9.08) بدرجة حرية (28) ومتوسط (0.324). وبلغت قيمة اف (0.88). ومستوى دلالة بلغ (0.46) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائيا في اجابات الباحثين في محور العوامل الخارجية من الاستبيان تعزى الى متغير الحقل الإبداعي للمبحوثين.

_ استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية.

(جدول رقم (36) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور العوامل الخارجية)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العوامل الخارجية	من 15_1 سنة	6	3.05	0.64
	من 20_15 سنة	6	3.0	0.47
	أكثر من 20 سنة	20	3.10	0.59

نتائج جدول الخصائص الوصفية لحقل سنوات الخدمة في المجال الإبداعي لمحور العوامل الخارجية في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين ممن خدمتهم من 15_1 سنة بلغ (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.05) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.64). وبلغ عدد المبحوثين ممن تقع فترة خدمتهم من 20_15 سنة (6) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.0) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.47). فيما بلغ عدد المبحوثين ممن تبلغ فترة خدمتهم أكثر من 20 سنة (20) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.10) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.59)

مما تقدم يتضح تركز اجابات المبحوثين في الفئة التي تقع خدمتهم من 20_15 سنة بشكل افضل من تركز اجابات المبحوثين في بقية الفئات الأخرى كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة هذه الفئة بلغ (0.47) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الفئات الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث قلة تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل سنوات الخدمة فئة أكثر من 20

سنة بنسبة انحراف معياري بلغ (0.59). وحلت فئة ممن لديهم خدمة من 1-15 سنة بالترتيب الثالث من حيث قلة تشتت الإجابات، إذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.64).

جدول رقم (37) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور العوامل الخارجية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.48	2	0.02	0.071	0.932
داخل المجموعات	9.89	29	0.314		
المجموع	9.94	31	/		

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.48) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.02). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (9.89) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.314). وبلغت قيمة اف (0.071). وبمستوى دلالة بلغ (0.932) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور العوامل الخارجية من الاستبيان تعزى الى متغير عدد سنوات الخدمة في المجال الابداعي للمبحوثين.

سادسا: النتائج الإحصائية وفق استخدام مقياس ليكرت الثلاثي لإجابات عينة الدراسة عن أسئلة محور الأسئلة العامة،

واختبار فروق متغيراتها. كما مدرجة في أدناه:

- س1: هل تمارس عملك ضمن الحقل الإبداعي الذي تنتمي اليه؟
- س2: هل ينتمي مسؤولك المباشر الى ذات الحقل الإبداعي الذي تعمل فيه؟
- س3: هل تختص الدائرة التي تعمل فيها الى ذات الحقل الإبداعي الذي تنتمي اليه؟
- س4: هل انت راض عن نتاجك الإبداعي الحالي؟
- س5: لو اتاحت لك الفرصة في الانتقال الى العمل في وزارة أخرى تمنحك راتب ومخصصات اعلى من عملك الحالي ضمن ذات الاختصاص؟
- س6: لو اتاحت لك الفرصة في الانتقال الى العمل في وزارة أخرى تمنحك راتب ومخصصات اعلى من عملك الحالي ضمن اختصاص عمل مغاير لحقلك الإبداعي؟

جدول رقم (38) يبين النتائج الإحصائية باستخدام مقياس ليكرت الثلاثي لإجابات عينة الدراسة لمحور الأسئلة العامة

رتبة السؤال	اتجاه العينة	T.Test	النسبة	الانحراف	التوسط	غير موافق	يصعب التحديد	موافق	تكرارات ونسب	ن
5	موافق	4.443-	88.54	0.75602	2.65625	3	5	24	ni	1
						%9.4	%15.6	%75.0	fi	
1	يصعب	3.227-	72.91	0.71208	2.1875	11	4	17	ni	2
						%34.4	%12.5	%53.1	fi	
3	موافق	8.352-	86.45	0.50800	2.59375	6	1	25	ni	3
						%18.8	%3.1	%78.1	fi	
4	نعم	4.187-	81.25	0.71772	2.4375	7	4	21	ni	4
						%21.9	%12.5	%65.6	fi	
2	موافق	7.996-	91.66	0.55267	2.75	3	2	27	ni	5
						%9.4	%6.3	%84.4	fi	
6	يصعب	3.458-	64.58	0.71561	1.9375	10	4	18	ni	6
						%31.3	%12.5	%56.3	fi	
/	موافق	164.39	47	0.36	1.41	مجموع المحور ككل				

درجة حرية (□) الجدولية وفق عدد عينة الدراسة تقدر بـ (2.04)

إجابة الباحثون عينة الدراسة عن أسئلة الاستبيان في محور الأسئلة العامة فكانت النتائج الإحصائية وفق مقياس ليكرت الثلاثي وفق الآتي:

1- عن السؤال الأول (هل تمارس عملك ضمن الحقل الإبداعي الذي تنتمي إليه؟) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.65). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.75). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (88.54). أما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-4.44) وهي دالة إحصائياً كونها أكبر من قيمة (T) الجدولية. أما اتجاه العينة فإنه كان الخيار (موافق). أما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (5) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

2- عن السؤال الثاني (هل ينتمي مسؤولك المباشر الى ذات الحقل الإبداعي الذي تعمل فيه؟) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.18). وبنسبة انحراف معياري لتشتت آراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.71). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (72.91). أما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-3.22) وهي دالة إحصائياً كونها أكبر من قيمة (T) الجدولية. أما اتجاه العينة فإنه كان الخيار

(يصعب التحديد). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (1) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

3- عن السؤال الثالث (هل تخصص الدائرة التي تعمل فيها الى ذات الحقل الإبداعي الذي تنتمي اليه؟) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.59). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.50). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (86.45). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-8.35) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (موافق). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (1) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

4- عن السؤال الرابع (هل انت راض عن نتائج الإبداعي الحالي؟) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.43). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.71). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (81.25). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-4.187) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (موافق). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (4) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

5- عن السؤال الخامس (لو اتاحت لك الفرصة في الانتقال الى العمل في وزارة أخرى تمنحك راتب ومخصصات اعلى من عملك الحالي ضمن ذات الاختصاص؟) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (2.75). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.55). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (91.66). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-7.99) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (موافق). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (2) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

6- عن السؤال السادس (لو اتاحت لك الفرصة في الانتقال الى العمل في وزارة أخرى تمنحك راتب ومخصصات اعلى من عملك الحالي ضمن اختصاص عمل مغاير لحقلك الإبداعي؟) كانت إجابة العينة بمتوسط حسابي قدره (1.93). وبنسبة انحراف معياري لتشتت اراء عينة الدراسة يقدر بـ (0.71). وبنسبة مئوية لنسبة الإجابات تقدر بـ (64.58). اما نتيجة اختبار (T. Test) قدرت بـ (-3.45) وهي دالة احصائيا كونها اكبر من قيمة (T) الجدولية. اما اتجاه العينة فانه كان الخيار (يصعب التحدي). اما ترتيب إجابة هذا السؤال بين الأسئلة الأخرى من هذا المحور جاءت بالترتيب (6) وفق نسب المتوسط الحساب والانحراف المعياري لإجابة العينة.

_ استخدام اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالنوع الاجتماعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة.

(جدول رقم 39) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير النوع الاجتماعي عن أسئلة محور الأسئلة العامة

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	النوع	المتغير
0.378	1.44	25	ذكر	الأسئلة العامة
0.319	1.33	7	انثى	

يلاحظ مما سبق في اختبار إجابة الباحثين في محور الأسئلة العامة في هذا الاستبيان تفوق عدد الباحثين الذكور على عدد الإناث حيث بلغ عدد الذكور (25) مبحوث يقابله (7) من الإناث. بينما يفوق المتوسط الحسابي لنوع الذكور الذي بلغ (1.33) على المتوسط الحسابي لنوع الإناث الذي بلغ (3). بينما تتمركز إجابات الإناث بنسبة أفضل من تمركز إجابات الإناث وذلك بسبب قلة درجة الانحراف المعياري في إجابات الذكور التي بلغت (0.319) بينما بلغت درجة تشتت إجابات الذكور بدرجة انحراف معياري أكبر بلغ (0.378).

جدول رقم (40) يبين نتائج اختبار (T) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلاً بالنوع الاجتماعي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلاً بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة

اختبار T		اختبار Levene		طبيعة التجانس
Sig	T	Sig	F	
0.502	0.679	0.846	0.038	متجانس
				غير متجانس

يلاحظ ان التباين متجانس من خلال اختبار إجابة الباحثين في محور طبيعة التجانس في هذا الاستبيان كون ان احتمالية (ليفن) تقدر بـ (0.846) وهي أكبر من (0.05) ويلاحظ أيضاً ان احتمال اختبار تي يقدر (0.502) وهي بذلك أكبر من (0.05). وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية (اج0) التي تنص على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور الأسئلة العامة من الاستبيان تعزى الى متغير النوع الاجتماعي للمبحوثين. مما يدل على عدم تأثير علاقة الباحثين بالأسئلة العامة ذكورا كانوا ام اناث من الكوادر الإبداعية في وزارة الثقافة العراقية ودرجة مستويات الرضا الوظيفي المتحققة جراء ذلك.

(جدول رقم 41) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي عن أسئلة محور الأسئلة العامة

المحور	المستوى التعليمي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأسئلة العامة	اقل من جامعي	2	1.33	0.47
	جامعي	15	1.31	0.28
	دراسات عليا	15	1.53	0.41

نتائج جدول الخصائص الوصفية للمستوى التعليمي في محور بيئة العمل في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد الباحثين ممن لديهم تحصيل علمي اقل من جامعي بلغ (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.33) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.47). وبلغ عدد الباحثين ممن يحملون المؤهل الجامعي (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.31) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.28). فيما بلغ عدد الباحثين ممن يحملون مؤهل دراسات عليا (15) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.53) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.41).

مما تقدم يتضح تركز اجابات الباحثين ممن يحملون مؤهل جامعي بشكل افضل من تركز اجابات الباحثين الذين يحملون مؤهل جامعي كون ان نسبة الانحراف المعياري للأجوبة من لا يحملون المؤهل الجامعي بلغ (0.28) وان الباحثين الذين يحملون مؤهل دراسات عليا قد تفوق تركز اجوبتهم على أجوبة الباحثين الذين لا يحملون مؤهل جامعي ، حيث بلغ تشتت أجوبة ممن يحملون مؤهل الدراسات العليا (0.41) وهي اقل نسبة تشتت أجوبة الباحثين من فئة الذين لا يحملون مؤهل جامعي التي بلغت (0.47).

جدول رقم (42) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالمؤهل العلمي

وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.385	2	0.193	1.499	0.240
داخل المجموعات	3.72	29	0.128		
المجموع	4.11	31	/		

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.385) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.193). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (3.72) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.128). وبلغت قيمة اف (1.499). وبمستوى دلالة بلغ (0.240) وهي بذلك _ أي مستوى الدلالة_ أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائيا في اجابات الباحثين في محور الأسئلة العامة من الاستبيان تعزى الى متغير المؤهل العلمي للباحثين.

استخدام تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة.

(جدول رقم (43) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الإبداعي عن أسئلة محور الأسئلة العامة)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
بيئة العمل	فن	13	1.34	0.23
	آداب	2	1.50	0.70
	اعلام	10	3.10	0.48
	بحث علمي	7	3.23	0.35

نتائج جدول الخصائص الوصفية للحقل الإبداعي في محور الأسئلة العامة في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبحوثين من ينتمون للحقل الفني بلغ (13) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.34) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.23). وبلغ عدد المبحوثين من ينتمون لحقل الآداب (2) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.50) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.707). فيما بلغ عدد المبحوثين من ينتمون لحقل الاعلام (10) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.10) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.48). وبلغ عدد المبحوثين من ينتمون لحقل البحث العلمي (7) مبحوث، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (3.23) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.35).

مما تقدم يتضح تركز اجابات المبحوثين من يعملون في الحقل الفني بشكل افضل من تركز اجابات المبحوثين في بقية الحقول الإبداعية كون ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة الفنانين بلغ (0.23) وهي اقل من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبحوثين في الحقول الإبداعية الأخرى. وحلت في المركز الثاني من حيث تشتت الأجوبة للمبحوثين في حقل البحث العلمي بنسبة انحراف معياري بلغ (0.35). وحلت فئة الاعلاميين بالترتيب الثالث من حيث تشتت الإجابات، اذ حقق الانحراف المعياري لهذه الفئة ما نسبة (0.48). وحلت أخيراً فئة المبحوثين الادباء من حيث تركز الأجوبة، حيث بلغت نسبة الانحراف المعياري لهذه الفئة (0.70) وهي اكبر نسبة تشتت أجوبة في جميع الفئات المبحوثة.

جدول رقم (44) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بالحقل الإبداعي وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.114	3	0.038	0.267	0.848
داخل المجموعات	3.99	28	0.143		
المجموع	4.11	31	/		

ان نتائج (One Way ANOVA) جدول التحليل الأحادي في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.114) بدرجة حرية (3) ومتوسط (0.038). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (3.99) بدرجة حرية (28) ومتوسط (0.143). وبلغت قيمة اف (0.267). وبمستوى دلالة بلغ (0.848) وهي بذلك - أي مستوى الدلالة - أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائية في اجابات الباحثين في محور الأسئلة العامة من الاستبيان تعزى الى متغير الحقل الابداعي للمبوحين.

- استخدام تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA)، لاختبار علاقة المتغير المستقل ممثلا بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة .

(جدول رقم 45) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لإجابات عينة الدراسة وفق متغير الحقل الابداعي عن أسئلة محور الأسئلة العامة)

المحور	الحقل الإبداعي	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأسئلة العامة	من 15_1 سنة	6	1.22	0.29
	من 20_15 سنة	6	1.38	0.29
	أكثر من 20 سنة	20	1.48	0.39

نتائج جدول الخصائص الوصفية لحقل سنوات الخدمة في المجال الابداعي لمحور الأسئلة العامة في هذا الاستبيان أظهرت ان عدد المبوحين ممن خدمتهم من 15_1 سنة بلغ (6) مبوح، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.22) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.29). وبلغ عدد المبوحين ممن تقع فترة خدمتهم من 20_15 سنة (6) مبوح، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.38) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.29). فيما بلغ عدد المبوحين ممن تبلغ فترة خدمتهم أكثر من 20 سنة (20) مبوح، بمتوسط حسابي لإجاباتهم بلغ (1.48) وانحراف معياري لتشتت تلك الإجابات بلغ (0.39). مما تقدم يتضح تركز اجابات المبوحين في الفئة التي تقع خدمتهم من 15_1 سنة والفئة من 20_15 سنة بشكل افضل من تركز إجابات المبوحين في فئة المبوحين في سنوات الخدمة أكثر من 20 سنة كون نسبة الانحراف المعياري للفئتين الأولى والثانية تساوى فيهما الانحراف المعياري لتشتت أجوبة المبوحين حيث بلغ (0.29). فيما ان نسبة الانحراف المعياري لأجوبة فئة من هم في فئة أكثر من 20 سنة بلغ (0.39) وهي أكبر من نسبة الانحراف المعياري لأجوبة المبوحين في الفئتين السابقتين.

جدول رقم (46) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) لاختبار علاقة المتغير

المستقل ممثلا بسنوات الخدمة وعلاقته بالمتغير التابع ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محور الأسئلة العامة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.32	2	0.160	1.225	0.308
داخل المجموعات	3.79	29	0.131		
المجموع	4.11	31	/		

ان نتائج تحليل جدول التحليل الأحادي (ANOVA) في هذا المحور بينت ان مجموع المربعات بين المجموعات قد بلغ (0.32) بدرجة حرية (2) ومتوسط (0.160). فيما بلغ مجموع المربعات داخل المجموعات (3.79) بدرجة حرية (29) ومتوسط (0.131). وبلغت قيمة اف (1.225). وبمستوى دلالة بلغ (0.308) وهي بذلك - أي مستوى الدلالة - أكبر من (0.05) مما يدل على ان لا توجد فروق دالة احصائياً في اجابات المبحوثين في محور الأسئلة العامة من الاستبيان تعزى الى متغير عدد سنوات الخدمة في المجال الابداعي للمبحوثين.

رؤية الباحث وتوصياته عن النتائج النهائية للدراسة والاجابة عن تساؤلات وفروض الدراسة:

● مستوى الرضا الوظيفي لعينة الدراسة في محور (العلاقة بالإدارة):

ظهر الاتجاه العام لإجابات للمبحوثين في هذا المحور، بنسبة اتفاق عالية نسبياً بين آراء العينة. كون ان نسبة الانحراف المعياري لإجابات العينة عن أسئلة المحور ككل جاءت بنسبة (0.84). وهي نسبة منخفضة نسبياً لتشتت آراء العينة. ام الخيار (محايد) فانه الخيار الذي عبر عن اتجاه إجابات المبحوثين في محور العلاقة بالإدارة، من بين باقي الخيارات. ان الحيادية في رأي المبحوثين كما جاء في اتجاه عينة الدراسة، يعتبر سلبياً بتقدير الباحث كون هذا الرأي لا يخلو من المجاملة والتوجس، كما لمسناه من استفسارات المبحوثين. ولا يعفي القائمين على شؤون الوزارة في إعادة النظر بقيادات الوزارة او في اقل تقدير تحسين وتمتين أواصر العلاقة بين الكادر الإبداعي ومسؤولي الوزارة. فمثلاً جاء اتجاه إجابة عينة الدراسة، بـ (عدم الرضا) عن أوقات الدوام، وهذا يعود الى ان عينة الدراسة هم بالأصل من الكوادر الإبداعية، وليس من الكوادر الإدارية، وان الكوادر الإبداعية بمختلف الحقول كالفن و الادب او الاعلام او البحث العلمي، لا يتقيد اتجاها الثقافي ولا يرتبط بساعات عمل محددة، كالعاملين في الحقل الإداري. لذا يتوجب على القائمين والمهتمين في الشأن الثقافي من التشريعيين سن قوانين حديثة تراعي وتركز على العمل الإبداعي وتهتم بالنتائج الثقافية وتمنح ذلك الإنتاج أولوية على ما سواه من الشؤون الإدارية الأخرى. ان اتجاه إجابة عينة الدراسة، بـ (عدم الرضا) عن المشاركة في تحديد اهداف العمل مع الإدارة، يعود بالسلب على الرضا الوظيفي لعينة الدراسة، كون ان هذه العينة من النخب الثقافية وذات النتاج الفكري، ولتطور النتاج الثقافي لوزارة الثقافة العراقية لا بد من اشراك هذه النخب في تحديد اهداف العمل.

● مستوى الرضا الوظيفي لعينة الدراسة في محور (الأجور والحوافز):

ظهر الاتجاه العام لإجابات المبحوثين في محور الأجور والحوافز ، بنسبة اتفاق عالية نسبياً بين آراء العينة. كون ان نسبة الانحراف المعياري لإجابات العينة عن أسئلة المحور ككل جاءت بنسبة (0.65). وهي نسبة منخفضة نسبياً لتشتت آراء العينة. ام الخيار (غير راض) فانه الخيار الذي عبر عن اتجاه إجابات المبحوثين في محور الأجور والحوافز، من بين باقي الخيارات. ان عدم الرضا للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة يبين مستوى رضا وظيفي متدني. مما يدعو القائمين على امر وزارة الثقافة، سواء اكان هؤلاء القائمين من السلطة التنفيذية او التشريعية معالجة هذا الخلل المؤثر جدا في العطاء الثقافي للكادر، كون ان الأجور والحوافز لا تخص المستوى المعيشي للكادر الإبداعي ومن يعولون فحسب. وانما اصبح الجانب المادي من متطلبات الإبداع الضرورية، كالتصرف على المستلزمات التكنولوجية والإنتاجية، والمشاركات الداخلية والخارجية، وكذلك طباعة ونشر الأبحاث في المستوعبات المحلية والدولية... الخ. إضافة الى ان الجانب المادي اصبح في كثير من الأحيان مقياس من مقاييس من عوامل النجاح في عصر العولمة المادية.

• مستوى الرضا الوظيفي لعينة الدراسة في محور (بيئة العمل):

ظهر الاتجاه العام لإجابات الباحثين في محور بيئة العمل، بنسبة اتفاق عالية نسبياً بين آراء العينة. كون أن نسبة الانحراف المعياري لإجابات العينة عن أسئلة المحور ككل جاءت بنسبة (0.77). وهي نسبة منخفضة نسبياً لتشتت آراء العينة. أم الخيار (محايد) فإنه الخيار الذي عبر عن اتجاه إجابات الباحثين في محور بيئة العمل، من بين باقي الخيارات. أن سمة الحياد الطاغية على إجابات هذا المحور من مستوى الرضا الوظيفي، لم تشمل إجابات الباحثين عن المسمى الوظيفي وأدوات العمل، حيث بين إجابات العينة عن هاتين الجزئيتين من هذا المحور (محور بيئة العمل)، عدم الرضا وذلك يؤشر وجوب قيام أصحاب الأمر والرأي في الشأن الثقافي اتخاذ إجراءات عملية فورية من خلال تجهيز المستلزمات التكنولوجية اللازمة لإداء الأعمال الإبداعية، كذلك العمل على تشريع القوانين التي تهتم بالمسميات الوظيفية، فنية كانت أم علمية، لتشمل تغطية خاصة بمسميات والقاب الكادر الإبداعي الثقافي. للخلاص من عمومية المسميات الوظيفية الحالية التي لا تختص بالشأن الثقافي فحسب، وإنما تشمل جميع الوزارات والمرافق الحكومية في الدولة العراقية.

• مستوى الرضا الوظيفي لعينة الدراسة في محور (العوامل الخارجية):

ظهر الاتجاه العام لإجابات الباحثين في محور العوامل الخارجية، بنسبة اتفاق عالية نسبياً بين آراء العينة. كون أن نسبة الانحراف المعياري لإجابات العينة عن أسئلة المحور ككل جاءت بنسبة (0.56). وهي نسبة منخفضة نسبياً لتشتت آراء العينة. أم الخيار (محايد) فإنه الخيار الذي عبر عن اتجاه إجابات الباحثين في محور العوامل الخارجية، من بين باقي الخيارات. أن سمة الحياد الطاغية على إجابات هذا المحور من مستوى الرضا الوظيفي، وبحسب رأي الباحث من خلال ملاحظته بمقارنة أجوبة الباحثين في هذا المحور مع نتائج إجاباتهم عن المحاور السابقة، نستدل على قصور رؤية الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة، تجاه المسؤول الحقيقي عن تحقيق رضاهم، ففي إجاباتهم عن أسئلة هذا المحور فإن الكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية يبرؤون أو في أقل تقدير يحدون الجهة التشريعية عن مسؤولياتها تجاه تشريع القوانين التي ترفع من مستوى الشأن الثقافي العراقي، وكذلك رؤيتهم عن الحكومة العراقية. وهم يعزون بذلك سبب عدم تحقيق رضاهم الوظيفي، كما هي الإجابات في المحاور السابقة إلى السلطة المباشرة للشأن الثقافي ممثلة بوزارة الثقافة وما دون من دوائرها. أما رؤية الباحث المستقلة فأنها تتمثل في أن مسؤولية الارتقاء بالشأن الثقافي العراقي عامة، وشؤون وزارة الثقافة وكادرها الإبداعي خاصة، مسؤولية تضامنية تتحملها وزارة الثقافة ودوائرها مع الجهات الحكومية العليا، إضافة إلى السلطة التشريعية ممثلة بمجلس النواب ولجانته التي تعنى بالشأن الثقافي.

• مستوى الرضا الوظيفي لعينة الدراسة في محور (الأسئلة العامة):

ظهر الاتجاه العام لإجابات الباحثين في محور الأسئلة العامة، بنسبة اتفاق عالية نسبياً بين آراء العينة. كون أن نسبة الانحراف المعياري لإجابات العينة عن أسئلة المحور ككل جاءت بنسبة (0.36). وهي نسبة منخفضة نسبياً لتشتت آراء العينة. أم الخيار (موافق) فإنه الخيار الذي عبر عن اتجاه إجابات الباحثين في محور الأسئلة العامة، من بين باقي الخيارات. يتضح من خلال أجوبة الباحثين في هذا المحور (محور الأسئلة العامة) أن أغلب الكادر الإبداعي للوزارة يعمل في ذاته الحقل الإبداعي الذي ينتمي إليه، وبدوائر مختصة، كالفن أو الأدب أو الإعلام.. الخ. وهذا عامل إيجابي بحسب للوزارة، في كيفية توزيع مواردها البشرية، إلا أن تدنى مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة، يتجلى في رغبة الغالبية العظمى من هذا الكادر، وبحسب إجابات الباحثين بالموافقة في الانتقال إلى وزارات أخرى تمنحه أجور وحوافز أعلى، في حال اتبحت الفرصة لهم في الانتقال. مما يدل أن وزارة الثقافة تعتبر بيئة طاردة للكفاءات الإبداعية، ويتوجب الوقوف عند هذه الظاهرة ومعالجتها.

ـ الإجابة عن تساؤلات الدراسة:

من خلال الاطلاع على اتجاه اجابات عينة الدراسة من المبحوثين الممثلين للكادر الإبداعي من فنانين وادباء واعلاميين وباحثين في وزارة الثقافة العراقية، بمختلف محاور الاستبيان، معززة بمتوسط الحسابي الذي يمثل الراي العام لعينة البحث، والانحراف المعياري الذي يعبر عن نسبة تشتت أحوبة العينة، يتضح لنا، ان الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية ذات مستوى منخفض يتراوح بين الحياذ الى عدم الرضا، للأسباب والمسببات التي عرضتها نتائج الدراسة في أعلاه. وتعتبر هذه النتيجة إجابة عن تساؤل الدراسة الأول المتمثل بـ (ما مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي من الفنانين والكتاب و الإعلاميين والباحثين.. الخ في وزارة الثقافة العراقية؟).

اما التساؤل الثاني للدراسة في (مدى تأثير مستوى الرضا الوظيفي للكادر الإبداعي على النتاج الثقافي في وزارة الثقافة العراقية؟) فان الإجابة عن هذا التساؤل تظهر ان مستوى الرضا الوظيفي المنخفض كما ظهر في إجابة التساؤل الأول في أعلاه قد انعكس بالسلب على النتاج الثقافي للكادر الإبداعي في وزارة الثقافة العراقية، حيث اقتضرت مثالا لا للحصر نتاج اصدار الكتب في دائرة الشؤون الإدارية على (70)¹ عنوانا فقط، موزع بين اللغة العربية والكردية لسنة 2022. في حين اقتضرت عروض دار الأزياء على إقامة (11) عرض داخلي وخارجي فقط لعام 2022.² رغم انها دار مختصة بروض الأزياء ولديها سمعة دولية في هذا المضمار. وغير ذلك من تدني النتاج الثقافي في باقي دوائر وزارة الثقافة.

اما فروض الدراسة تم الإجابة عنها مفصلا في النتائج الإحصائية للدراسة من خلال اختبار نتائج تحليل التباين الاحادي (One Way ANOVA) حيث تم اختبار علاقة المتغيرات المستقلة ممثلة بالنوع الاجتماعي والمستوى التعليمي والحقل الإبداعي وسنوات الخدمة وعلاقتها بالمتغيرات التابعة ممثلا بإجابات عينة الدراسة في محاور الاستبيان كل على حده. وأظهرت جميع تلك الاختبارات بعدم وجود فروق دالة احصائيا في اجابات المبحوثين في محاور الاستبيان كافة، تعزى الى المتغيرات المستقلة.

المصادر والمراجع:

- د.هناء عكاشة طالبة. ممارسة العلاقات العامة في بمراكز الثقافة الدولية وعلاقتها بتشكيل الصورة الذهنية للدول. المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والاعلان. العدد (24). الجزء الثاني. يوليو/ ديسمبر/2022.
- عبد الستار سالم عوض 2018، العلاقة والاثر بين تمكين العاملين والرضا الوظيفي، مجلة الادارة والاقتصاد، جامعة كركوك، كلية الادارة والاقتصاد ، السنة الحادية والاربعون، العدد(1017).ص139_150 .
- Elizabeth Chino Mona. Babatunde A, Popoola & Emmanuel Imuezerua. "The Influence Of Employee Empowerment. Ethical Climate, Organizational Support And Top Management Commitment On Employee Job Satisfaction, A Case of Companies in the Gauteng Province of South Africa", The Journal of Applied Business Research – January/February 2017 Volume 33, Number 1, (p: 27-42).
- خيرات عياد. الرضا الوظيفي لممارسين العلاقات العامة. دراسة مسحية على الدوائر والهيئات الحكومية الامارتية، المجلة العربية لبحوث الاعلام والاتصال. العدد(17). ابريل.يونيو. (2017). ص25_40.

التقرير الاحصائي السنوي لعام 2022 لوزارة الثقافة والسياحة والاثار. قسم الاحصاء. ص116.¹

20التقرير الاحصائي السنوي لعام 2022 لوزارة الثقافة والسياحة والاثار. قسم الاحصاء. ص155.

- Farrah Fite Cope (2017), The Relationship Between Teacher Empowerment in Decision Making and Teachers' Professional Intentions, Teacher Satisfaction, and Student Achievement, Unpublished PhD Thesis, The University of Memphis

- د. سامي طابع. بحوث الاعلام. دار الايمان للطباعة. رقم الايداع/ 2001/5477.
- د. محمد غريب. د. وجدي حلمي. مناهج البحث الاعلامي. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. ط1. رقم الايداع: 2019/4171. ص87.
- د. حسن عماد مكاوي. د. ليلي السيد. الاتصال ونظرياته المعاصرة. الدار المصرية اللبنانية. ط13. 2018. رقم الايداع: 1998/13861.
- جواد محمد الشيخ، عزيزة عبد الله شيرير. الرضا الوظيفي وعلاقته ببعض المتغيرات الديموجرافية لدى المعلمين. فلسطين. غزة. مجلة الجامعة الاسلامية، سلسلة الدراسات الانسانية، المجلد16، العدد1، 2008، ص686.
- محمود سلمان العميان. 2002. السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال. ص289-292. دار وائل. عمان. الاردن.
- شكري سيد احمد، الرضا عن العمل لدى معلمي ومعلمات الرياضيات وعلاقته بكل من تأهيلهم العلمي وخبرتهم التدريسية. قطر. جامعة قطر. حولية كلية التربية 1991، العدد 1، ص 313.
- هاني عبد الرحمن الطويل، الإدارة التربوية والسلوك المنظمي. عمان، الاردن. دار وائل للنشر، 2001، ص78.
- أحمد بدر، أحمد (2118)، علوم الاعلام: البحث العلمي - المناهج - التطبيقات، القاهرة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر. ص 123.
- د. محمد الاحمد. 2024. النظام الاعلامي في العراق. بغداد. دار حسد المعرفة للنشر. ط1. ص22.
- د. محمد الاحمد. 2023. التشريعات الاعلامية في العراق. بغداد. دار حسد المعرفة للنشر. ط1. ص12.
- مقابلات أجريت مع عدة مدراء اقسام ممثلة بالموارد البشرية. التخطيط. الإحصاء. الحسابات في مقر الوزارة: أسماء المحكمين:
- 1- ا.د اكرم فرج الربيعي. رئيس قسم الاعلام بجامعة المستقبل.
- 2- ا.م.د جواد محمد امين. استاذ الاعلام بجامعة كركوك.
- 3- ا.م.د رياض محمد كاظم. خبير في مركز الدراسات والبحوث. وزارة الثقافة العراقية.
- 4- د. حمدي سيد محمد محمود. استاذ الاعلام والعلاقات العامة؛ رئيس تحرير مجلة اتجاهات سياسية المحكمة والصادرة عن المركز الديمقراطي العربي في برلين.

- مقابلة الباحث للسيد عباس حسن علي مدير قسم الموارد البشرية في مقر الوزارة نيسان 2024.
- التقرير الاحصائي السنوي لعام 2022 لوزارة الثقافة والسياحة والاثار. قسم الاحصاء. ص116.
- التقرير الاحصائي السنوي لعام 2022 لوزارة الثقافة والسياحة والاثار. قسم الاحصاء. ص155.

واقع ومستقبل العلاقات العربية الصينية: العلاقات المصرية الصينية نموذجاً

د. شرين محمد فهمي/ أستاذة العلوم السياسية بمعهد البحوث والدراسات العربية

المستخلص:

تسلط هذه الورقة الضوء على العوامل الداعمة للتعاون المصري الصيني كنموذج للعلاقات العربية الصينية، وتشير الورقة كذلك لمجالات التعاون المصري الصيني، والتحديات العلاقات المصرية الصينية، وتؤكد الورقة في الختام على وجود آفاق واسعة لتعميق العلاقات العربية الصينية في مختلف المجالات.

الكلمات المفتاحية: العلاقات العربية الصينية، التعاون المصري الصيني .

Abstract:

This paper highlights the factors supporting Egyptian-Chinese cooperation as a model for Arab-Chinese relations. The paper also refers to the areas of Egyptian-Chinese cooperation, the challenges of Egyptian-Chinese relations, and the paper concludes by emphasizing the existence of broad prospects for deepening Arab-Chinese relations in various fields.

Keywords: Arab-Chinese relations, Egyptian-Chinese cooperation.

مقدمة:

يعود تاريخ العلاقات بين الصين والدول العربية إلى أقدم العصور، إذ ربطت طرق الحرير البرية والبحرية للجانبين من أكثر من ألفي عام، ومع استقلال الدول العربية دخلت العلاقات العربية الصينية مراحل جديدة للتعامل الودي، حيث دعم الصين القوى لحركات التحرر العربية للحفاظ على سيادتها وحماية مصالحها، ومكافحة التدخل الخارجي⁽¹⁾. ومنذ مطلع سبعينات القرن العشرين، بدأت العلاقات العربية الصينية بمفهومها المؤسسي الحديث، تأخذ طابعاً دبلوماسياً ورسمياً أكثر نضوجاً واستقراراً واتزاناً ورسوخاً، ميز العلاقات بين الجانبين منذ تأسيسها، ومن ثم انطلقت بعدها عقود من التعاون المثمر والبناء والتقارب على كافة المستويات، وصولاً إلى الشراكة الاستراتيجية المتميزة بين الدول العربية والصين. ومع حلول القرن الحادي والعشرين، شهدت العلاقات بين الجانبين، تحولات جيوسياسية وجيوستراتيجية بالغة الأهمية، فقد بدأت المرحلة من انعقاد القمة الصينية - العربية بالرياض بالملكة العربية السعودية عام 2002، إلى جانب تبادل الزيارات رفيعة المستوى بين الجانبين والتي على خلفيتها تم توقيع اتفاقيات ثنائية للتعاون الاقتصادي بين الصين والدول العربية، وتأسيس منتدى التعاون العربي الصيني، الذي وفر آلية للتعاون، وأصبح علامة فارقة في تاريخ العلاقات بين الجانبين، فضلاً عن طرح الرئيس الصيني هو جين تاو أربعة مبادئ توجيهية لتطوير نوع جديد من الشراكة بين الصين والدول العربية، تركز على تعزيز العلاقات السياسية على أساس

(1) د. الصادق الفقيه، "العلاقات العربية - الصينية: رؤية مستقبلية"، آراء دول الخليج، 31 ديسمبر 2018، على الرابط التالي:

https://www.araa.sa/index.php?option=com_content&view=article&id=4657:2018-12-31-2-16-02&catid=4122&Itemid=173.

الاحترام المتبادل، وتوثيق الروابط التجارية والاقتصادية، وتوسيع التبادلات الثقافية وتعزيز التعاون في الشؤون الدولية، بهدف صون السلام العالمي، وتعزيز التنمية المشتركة⁽¹⁾.

وترتبط مصر والصين بعلاقات تاريخية وثيقة منذ زمن بعيد إذ يعد البلدان من مؤسسي حركة عدم الانحياز منذ أول لقاء جمع الجانبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورئيس مجلس الدولة الصينية "شو إن لأي" خلال الفترة من 18 حتى 24 أبريل 1955، على هامش مشاركتهما في المؤتمر الأفروآسيوي في مدينة باندونج بإندونيسيا.

وتعد مصر أول دولة عربية وأفريقية تقيم علاقات دبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية الجديدة منذ مايو 1956، ومنذ ذلك الحين شهدت العلاقات بين البلدين تطورات في كافة المجالات، وكان إعلان الشراكة الاستراتيجية بين الجانبين في 5 أبريل عام 1999 هو ثمرة هذا التفاهم والثقة المشاركة بينهما⁽²⁾.

وعليه، يستعرض هذا المقال أهم مجالات التعاون بين مصر والصين المقال أهم العوامل الداعمة للتعاون المصري - الصيني، ومجالات التعاون المختلفة بين الجانبين، فضلاً عن تناول أبرز التحديات التي تواجه العلاقات المصرية - الصينية.

أولاً: العوامل الداعمة للتعاون المصري - الصيني:

يتلاقى الشعبان المصري والصيني في تاريخ حضاري متشابه بشكل كبير، وهناك قواعد راسخة للعلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدولتين.

الجدير بالذكر أن الصين قد ساندت مصر في مواجهة التحديات التي شهدتها حيث دعمت قرار مصر بتأميم شركة قناة السويس، وأدانت العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، كما دعمت جهود مصر الخارجية في مكافحة الإرهاب والتطرف، وتبنت موقفاً داعماً لخيارات الشعب المصري خلال ثورتي 25 يناير 2011، و30 يونيو 2013⁽³⁾.

تعد العلاقات بين مصر والصين بمثابة حجر الأساس عند الحديث حول أفريقيا والصين، وذلك في ضوء اعتبار مصر نقطة بداية الوجود الرسمي للصين بالقارة السمراء، لكونها أول دولة أفريقية - وكذلك عربية - تقيم علاقات دبلوماسية مع الصين منذ ما يقرب من 68 عاماً.

كما كان للمتغير القيادي دور مهم فيما وصلت إليه العلاقات الثنائية بين مصر والصين في الوقت الراهن، بداية من الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس الصيني شو إن لأي، وصولاً إلى الرئيسين عبد الفتاح السيسي وشي جين بينغ، اللذين كان لهما دور كبير في دفع العلاقات الثنائية إلى الإمام، وتعتبر اللقاءات والزيارات الرسمية المتبادلة رفيعة المستوى بمثابة القوة الدافعة لازدهار العلاقات بين الجانبين خلال الفترة الماضية، حيث في 22 ديسمبر 2014 بدأ الرئيس عبد الفتاح السيسي أول زيارة له للصين عقب انتخابه رئيساً

(1) إميل أمين، "العلاقات العربية - الصينية ... ترسيخ الشراكة"، صحيفة الشرق الأوسط، 31 مارس 2023، على الرابط التالي:

<https://www.aawsat.com/home/article/4246286>.

(2) "لماذا اختارت مصر الصين؟ ولماذا اختارت الصين مصر؟"، جامعة عين شمس بالقاهرة، 10 يونيو 2021 على الرابط التالي:

<https://www.asu.edu.eg/ar/555/page>.

(3) د. رضا محمد هلال، "آفاق العلاقات المصرية في العصر المتعدد الوسائط"، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار المصري، 9 فبراير 2023.

<https://www.idsc.gov.eg/Article/detail/s/8070>.

للجمهورية، ورحب الرئيس بمقترح بكين بتطوير العلاقات بين البلدين، كما جرى وقتها توقيع وثيقة لإقامة علاقات شراكة استراتيجية لتتوالى بعدها زيارات الرئيس السيسي إلى الصين بشكل ملحوظ لتصل إلى ست مرات منذ عام 2014 لبحث ومناقشة سبل دعم العلاقات بين البلدين⁽¹⁾.

كما قام الرئيس الصيني شي جين بينغ بزيارة تاريخية إلى مصر عام 2016، فضلاً عن إطلاق حوار استراتيجي مشترك على مستوى وزيري خارجية البلدين في عام 2014، وهو ما أفسح المجال لقرار مشترك بمواصلة الارتقاء بالشراكة الاستراتيجية الثنائية الشاملة لتواكب العصر الجديد المرتقب.

وتوجد أيضاً عدة عوامل مفسرة لتطور العلاقات العربية - الصينية بشكل عام والعلاقات المصرية - الصينية بشكل خاص ومنها تصور الصين كقوة صاعدة ذات أجندة خالية من التدخل السياسي، وأيضاً الاعتماد المتبادل على الطاقة، هذا فضلاً عن أن الصين أصبحت أكثر مهارة في إدارة علاقاتها الدبلوماسية مع الدول العربية، يضاف إلى ذلك سعي الصين إلى تعزيز علاقاتها الثنائية مع الأطراف الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لتعزيز أهداف سياستها الخارجية، بدلاً من التركيز على المنطقة بشكل عام أو جماعي، وفي هذا السياق، أقامت الصين "شراكة استراتيجية شاملة" مع الجزائر 2014، مصر 2014، والسعودية 2016، وإيران 2016، والإمارات 2018، وتعد مصر بالنسبة للصين دولة قوية عسكرياً، وتملك نفوذاً سياسياً معتبراً، خاصة في أفريقيا، ومنطقة الشرق الأوسط، كما أنها أكبر دولة عربية من حيث عدد السكان، وسوق اقتصادية واعدة للمنتجات الصينية، بالإضافة إلى أهميتها التجارية في سياق مبادرة الحزام والطريق نتيجة سيطرتها على قناة السويس⁽²⁾.

ثانياً: مجالات التعاون المصري - الصيني

إن العلاقات المصرية الصينية، أصبحت نموذجاً للعلاقات المصرية المهمة مع قوة دولية رئيسية في النظام الدولي مثل الصين، وتلك العلاقات تتسم بدرجة كبيرة من التنوع، ويأتي هذا نتيجة توقيع اتفاق الشراكة الاستراتيجية بين الجانبين في 2014⁽³⁾.

المجال السياسي، تتسم العلاقات السياسية بين مصر والصين بخصوصية شديدة، من حيث توافق رؤاهما بشأن دعم الحلول السلمية والدبلوماسية للالتزامات والصراعات في منطقة الشرق الأوسط، بما في ذلك الوضع في سورياً والعراق وليبيا، وكذلك يتجلى بوضوح موقف بكين الثابت الداعم لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بالطرق الدبلوماسية في ضوء قرارات منظمة الأمم المتحدة تتبنى الدولتان موقفاً متشابهاً تجاه تطورات الأوضاع الحالية في قطاع غزة، حيث ترفض الصين محاولات تهجير الفلسطينيين من أرضهم وتحت مجلس الأمن منذ بداية الأزمة، على الاستجابة للنداء العام للمجتمع الدولي من أجل وقف شامل لإطلاق النار وإنهاء القتال واستهداف

(1) رسام عبد العليم، "العلاقات المصرية - الصينية... راسخة واستراتيجية وشاملة"، بوابة الأهرام، 28 مايو 2024، على الرابط:

<https://www.gate.ahram.org.eg/News/4813752.aspx>

(2) ناصر النميمي، "الحاضر وآفاق المستقبل: العلاقات العربية - الصينية"، مركز الدراسات العربية الأوراسية (CAES)، 31 أغسطس 2012:

<https://ww.eurasiar.org/edition/chinese-arab-relations>.

(3) بسام جمال، "فايز فرحات: العلاقات المصرية الصينية تطورت منذ توقيع اتفاق الشراكة الاستراتيجية في 2014"، الدستور، 30 مايو 2024:

<https://www.dostor.org.4723050>.

المدنيين والمنشآت، بجانب إدانة كافة انتهاكات القانون الدولي، يضاف إلى ذلك الموقف المشترك لمصر والصين والذي يطالب بضرورة تحمل المجتمع الدولي مسؤولياته لخلق أفق سياسي للسلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي⁽¹⁾.

كما تسعى البلدان إلى تعزيز التعاون الدولي في عصر العولمة وتحقيق أقصى استفادة من مبادرة "الحزام والطريق" التي أطلقها الرئيس الصيني شي جين بينغ عام 2013⁽²⁾، وكانت مصر من أوائل الدول التي أعلنت مساندتها ومشاركتها في هذه المبادرة، حيث تلعب هذه المبادرة إلى جانب مبادرة التنمية العالمية دوراً في رفع جهود التنمية على مستوى العالم، ورفع الشراكات الاستراتيجية في إطار التعاون جنوب جنوب.

المجال الاقتصادي والتجاري، يعد حرص البلدين على المشاركة في الأحداث والفعاليات الاقتصادية والتجارية الدولية الكبرى التي يتم تنظيمها في كليهما أحد الأبعاد الهامة في العلاقات الاقتصادية والتجارية بينهما، كما عززت الزيارات المتبادلة لمستوحي البلدين حركة التجارة بين مصر والصين، حيث تعد فرصة سانحة للترويج ولجذب استثمارات مصر في مختلف المجالات خاصة قطاعات البنية التحتية والصناعة والطاقة الجديدة، الجدير بالذكر أن الاستثمارات الصينية في مصر قد نمت بشكل كبير - بحسب إحصائيات وزارة التجارة الصينية -، إذ وصل حجم الاستثمار المباشر الصيني في مصر بنهاية عام 2020 إلى 1.191 مليار دولار أمريكي، وفي الفترة من يناير إلى سبتمبر 2021، وصلت الاستثمارات الصينية المباشرة في مصر إلى 223 مليون دولار أمريكي⁽³⁾.

الجدير بالذكر ارتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين من 12.2 مليون دولار في عام 1954 إلى 452 مليون دولار في عام 1995 وإلى أكثر من عشرة مليار دولار في عام 2013، ثم إلى أربعة عشر مليارات دولار وخمسمائة وستين مليون دولار في عام 2020، أي إنه اقترب من ألف مرة خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية⁽⁴⁾، ليصل بعد ذلك إلى 13.9 مليار دولار عام 2023 مقابل 16.6 مليار دولار في عام 2022 "وفقاً لبيانات جهاز التعبئة العامة والإحصاء المصري"⁽⁵⁾.

وأكد الدكتور مصطفى مدبولي إنه يوجد في مصر ما يقرب من 1080 شركة صينية، تعمل بالعديد من المجالات والقطاعات الاستثمارية المتنوعة، من أبرزها القطاع الصناعي والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وتطوير المناطق الاقتصادية والتمويل والمقاولات⁽⁶⁾. كما أن الصين تعد أكبر مستثمر في مشروع محور تنمية قناة السويس، ووفرت منطقة "تيذا" الصينية في شمال غرب خليج السويس فرص عمل أكثر من 3 آلاف مصري، وعملت الصين مع مصر ودول عربية معاً لربط المناطق الصناعية في "أبو ظبي"

(1) أشرف عبد الحميد، "الصين تكتنف عن اتفاق استراتيجي مع مصر.. قد يحدث تغيراً مهماً"، العربية، 16 يناير 2024:

<https://www.alarabiya.net/arab.and.world>.

(2) "العربي لـ (أ.ش.أ.): العلاقات المصرية - الصينية في أحسن مستوياتها بفضل الإرادة السياسية القوية للقائدين، وكالة أنباء الشرق الأوسط، 9 مارس 2024،

<https://www.mena.org/ar/nwes/dbcall/table/textnews/id/10617414>.

(3) وسام عبد العليم، مرجع سابق.

(4) مصر لتعزيز العلاقات الثنائية مع الصين: السيسي يشارك في افتتاح الاجتماع الوزاري العاشر لـ "منتدى التعاون بينك"، صحيفة الشرق الأوسط، 28 مايو 2004:

<https://www.aawsat.com>

(5) حسين إسماعيل، "العلاقات المصرية - الصينية.. الفرص والتحديات"، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار المصري، 21 يونيو 2021:

<https://www.idsc.gov.eg/Article/details/4683>.

(6) "رئيس الوزراء: طفرة كبيرة في العلاقات المصرية - الصينية"، موقع مصرناوي، 5 نوفمبر 2018:

https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2018/11/5/145699

والسويس وجازان بالموانئ القريبة، هذا فضلاً عن المشروعات العملاقة التي تعاقدت عليها مصر مع الصين، وأبرزها توقيع هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة في مصر ومجموعة "CGCOC" الصينية في مايو 2018 على مذكرة تفاهم لإنشاء أول منطقة صناعية في مدينة العلمين الجديدة، فضلاً عن عقد إنشاء أول خط للقطار الكهربائي "السلام - العاصمة الإدارية - العاشر" مع شركة "إفبيك" الصينية عام 2017 باستثمارات قدرها 1.2 مليار دولار على امتداد 66 كم تضم 11 محطة⁽¹⁾.

مجال الطاقة، هناك تعاون مكثف بين مصر والصين في مجال الطاقة حالياً، واتضح ذلك من خلال مشاركة 20 شركة صينية في التعاون في مجال النفط والغاز في مصر عبر تقديم خدمات الاستكشاف والاستغلال، وخدمات هندسية البترول، وتصنيع المعدات، وتجارة البضائع والتكرير والهندسة الكيميائية.

وفي مجال الفضاء، حرص الجانبان المصري والصيني على توطيد التعاون في هذا المجال الحيوي، حيث تمت عملية الإطلاق الناجحة للقمر الصناعي مصر سات-2 لتطبيقات الاستشعار عن بعد من قاعدة تيوتشان الصينية، بعد ما تم إنهاء أعمال التجميع واختيار القمر الصناعي، خلال يونيو 2023 بمقر وكالة الفضاء المصرية⁽²⁾.

ثالثاً: تحديات العلاقات المصرية - الصينية

تواجه كل من الصين ومصر في المرحلة الحالية تحديات عدة تكاد تكون متشابهة تتطلب مواجهتها أساليب أفضل للحفاظ على مسار تطور العلاقات بين الجانبين وفي مقدمتها قضايا تنمية وتمثل في الآثار الاجتماعية لعملية الإصلاح الاقتصادي، وفروق الدخل بين الأفراد، والحاجة إلى إعادة النظر في تقاسم عوائد التنمية لتكون أكثر عدالة، وتعديل النمط التنمية التقليدية، فالصين تتجه بتقل لتنمية المناطق المرتفعة الواقعة في غربها الأقل تنمية، وتتخذ إجراءات لتحديد الفئات الاجتماعية الضعيفة، والأمر كذلك بالنسبة لمصر، فقد اتخذت مصر إجراءات هيكلية كانت صعبة في بدايتها، خاصة لأن منها ما يتعلق بالدعم الحكومي للوقود والذي يؤثر على التغير فيه في كافة أسعار المنتجات، وكذلك دشنت مصر سلسلة من المشروعات الكبرى منها مشروع تنمية محور قناة السويس، ومشروع تنمية الساحل الشمالي الغربي والدلتا الجديدة، إضافة إلى مشروع إنشاء شبكة جديدة من الطرق، ومشروع العاصمة الإدارية الجديدة، وغيرها من المشروعات التي توفر المزيد من فرص العمل للشباب، وتعزز التنمية الاجتماعية للمناطق التي تُقام فيها، وتجذب المزيد من الاستثمارات الخارجية⁽³⁾.

وختاماً، فإن هناك مجالات رحبة لعلاقات بين البلدين واسعة في مجالات مختلفة: تعليمية، وعسكرية، ورياضية، وفنية وغيرها، والبيئة مهينة تماماً للانطلاق نحو مستقبل أفضل في ظل رؤية صادقة من لتنسيق والتعاون للارتقاء بالعلاقات الثنائية في كل المجالات.

المصادر:

(1) "6 قسم و17 لقاء.. تقرير يرصد محطات العلاقات المصرية الصينية في عهد السيسي"، موقع مصراري، 24 أبريل 2019، على الرابط:

https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2019/4/24/1556884/-6

(2) محمد الصفي، حنان الوالي، "المناطق" العلاقات المصرية الصينية تشهد تطوراً كبيراً على مختلف المستويات خلال السنوات الماضية:

<https://www.almasryalyoum.com/news/deta/3051929>.

(3) حسين إسماعيل، مرجع سابق.

- د. الصادق الفقيه، "العلاقات العربية - الصينية: رؤية مستقبلية"، آراء دول الخليج، 31 ديسمبر 2018، على الرابط التالي:
https://www.araa.sa/index.php?option=com_content&view=articel&id=4657:2018-12-31-2-16-02&atid=4122&Itemid=173
- إميل أمين، "العلاقات العربية - الصينية ... ترسيخ الشراكة"، صحيفة الشرق الأوسط، 31 مارس 2023، على الرابط التالي:
<https://www.aawsat.com/home/article/4246286>
- "لماذا اختارت مصر الصين؟ ولماذا اختارت الصين مصر؟"، جامعة عين شمس بالقاهرة، 10 يونيو 2021 على الرابط التالي:
<https://www.asu.edu.eg/ar/555/page>
- د. رضا محمد هلال، "آفاق العلاقات المصرية في العصر المتعدد الوسائط"، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار المصري، 9 فبراير 2023
<https://www.idsc.gov.eg/Article/detail/s/8070:2023>
- وسام عبد العليم، "العلاقات المصرية - الصينية... راسخة واستراتيجية وشاملة"، بوابة الأهرام، 28 مايو 2024، على الرابط:
<https://www.gate.ahram.org.eg/News/4813752.aspx>
- ناصر التميمي، "الحاضر وآفاق المستقبل: العلاقات العربية - الصينية"، مركز الدراسات العربية الأوراسية (CAES)، 31 أغسطس 2012
<https://www.eurasiaar.org/edition/chinese-arab-relations:2012>
- بسام جمال، "فايز فرحات: العلاقات المصرية الصينية تطورت منذ توقيع اتفاق الشراكة الاستراتيجية في 2014"، الدستور، 30 مايو 2024
<https://www.dostor.org.4723050:2024>
- () أشرف عبد الحميد، "الصين تكشف عن اتفاق استراتيجي مع مصر.. قد يحدث تغييراً مهماً"، العربية، 16 يناير 2024:
<https://www.alarabiya.net/arab.and.world>
- "العراقي لـ (أ.ش.أ.): العلاقات المصرية - الصينية في أحسن مستوياتها بفضل الإرادة السياسية القوية للقيادتين، وكالة أنباء الشرق الأوسط، 9 مارس 2024
<https://www.mena.org.eg/ar/nwes/dbcall/table/textnews/id/10617414>
- وسام عبد العليم، مرجع سابق.
- مصر لتعزيز العلاقات الثنائية مع الصين: السيسي يشارك في افتتاح الاجتماع الوزاري العاشر لـ "منتدى التعاون بيكين"، صحيفة الشرق الأوسط، 28 مايو 2004
<https://www.aawsat.com:2004>
- حسين إسماعيل، "العلاقات المصرية - الصينية.. الفرص والتحديات"، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار المصري، 21 يونيو 2021
<https://www.idsc.gov.eg/Article/details/4683:2021>
- "رئيس الوزراء: طفرة كبيرة في العلاقات المصرية - الصينية"، موقع مصرأوي، 5 نوفمبر 2018
https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2018/11/5/145699
- "6 قمم و17 لقاء.. تقرير يرصد محطات العلاقات المصرية الصينية في عهد السيسي"، موقع مصرأوي، 24 أبريل 2019، على الرابط:
https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2019/4/24/1556884/-6
- محمد الصيفي، حنان الوالي، "المشاطر" العلاقات المصرية الصينية تشهد تطوراً كبيراً على مختلف المستويات خلال السنوات الماضية:
<https://www.almasryalyoum.com/news/deta/3051929>

الإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية

د. عمر الخير إبراهيم/ جامعة الجزيرة/ قسم العلوم السياسية / مدير المركز السوداني للديمقراطية والتنمية

المستخلص:

يعتبر السودان نموذجاً للدول العربية التي واجهت أزمة حادة ومعقدة في الحكم لازمتها منذ استقلالها في 1956م. إذ تاريخياً مثلت التجربة الاستعمارية التي مر بها السودان أحد أهم جذور هذه الأزمة، والتي تمخضت عنها ثلاث قضايا سياسية ظلت سبباً وتحدياً رئيساً لكل الأنظمة الوطنية المتعاقبة وهي؛ السلام والوحدة الوطنية، العلاقة بين الدين والدولة، والدستور الدائم. أما السبب الأهم فقد تمثل في فشل أحزابه السياسية ونخبه في التوافق على الحد الأدنى من الشروط السياسية والدستورية لتجاوز هذه التحديات والتراخي على أسس عادلة لإدارة الدولة. النتيجة تطاولت لأزمة الحكم والسلطة، نزاعات وحركات مسلحة في الأطراف، إنقلابات عسكرية، ثم حرب كارثية في قلب العاصمة. قدمت الورقة تشخيصاً دقيقاً لأبعاد الأزمة السياسية السودانية بجانب رصد أهم الأدبيات، اتجاهاتها، تحليلاتها وأهم النتائج التي توصلت إليها. ثم طرحت مجموعة من الخطوات والمقترحات التي تصب في ضرورة تحقيق إصلاح سياسي ومؤسسي يساهم في إنهاء الأزمة.

الكلمات المفتاحية: السودان، الإصلاح، الإصلاح السياسي، الدين والدولة، الدستور.

Abstract:

Sudan represents an example of an Arab country that have faced a severe and complex crisis in governance since its independence in 1956. Historically, the colonial experience that Sudan went through represented one of the most important roots of this crisis, which resulted in three political issues that remained a major cause and challenge for all successive national regimes: peace and national unity, relationship between religion and state, and the permanent constitution. The most important reason was the failure of its political parties and elites to agree on the minimum political and constitutional conditions for overcoming these challenges and agreeing on fair bases for ruling the state. The result was a protracted crisis of governance and power, conflicts and armed movements in the periphery, military coups, and a disastrous war in the heart of the capital. The paper provides an accurate diagnosis of the dimensions of the Sudanese political crisis, in addition to citing the most important literatures, trends, analyses, and the most important findings. Then, the paper offers a set of proposals that focus on the need to achieve .political and institutional reform that contributes to a peaceful ending of the crisis

Keywords: Sudan, Reform, Political reform, Religion and State, Constitution.

مقدمة:

تهدف هذه الورقة الى البحث في خطوات ومتطلبات الإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية، ويمثل التركيز على هذا الهدف استجابة لتحدي الأزمة السودانية التي تطاول أمدتها منذ الاستقلال في 1956م وحتى اليوم. هناك إجماع بين معظم أهل الرأي والسياسة والمهتمين بالدولة والسياسة السودانية، أن السودان يعاني من أزمة حادة ومعقدة في الحكم. أسباب هذه الأزمة في الحكم يرجعها البعض الى عدم اكتمال عمليات بناء الدولة **State building** (مؤسسات الدولة)، وآخرون يرجعونها الى عدم اكتمال عمليات بناء الأمة **Nation building** (الهوية الوطنية). الورقة تتبنى المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، والمنهج المقارن، الأول في تتبع بدايات الأزمة السياسية

السودانية وأهم أسبابها وذلك من خلال تقسيم التاريخ السياسي السوداني الى ثلاثة مراحل؛ مرحلة الاستعمار التركي، مرحلة الاستعمار البريطاني، ومرحلة الحكم الوطني. فالافتراض الذي تقوم عليه الورقة يقول بأن فترتي الاستعمار التركي والبريطاني تركتا ميراثا كبيرا ساهم في تشكيل مستقبل السودان ما بعد الاستقلال 1956م. والثاني ينظر في محتوى النصوص والأحداث وتحليلها، بينما توظف الثالث (المنهج المقارن) في المقارنة بين المراحل التاريخية الثلاثة المشار إليها من ناحية أخرى. وأيضا الورقة تتضمن في مدخلها شرحا لمفاهيم أساسية مثل؛ الإصلاح، الإصلاح السياسي، والإصلاح المؤسسي، وتحدد المعاني والمضامين التي تعتمد عليها في استخدامها داخل الورقة. كذلك ترصد الورقة أهم الأدبيات المتوفرة التي تعاطت مع الموضوع بغرض معرفة اتجاهات الدراسات السابقة وأهم التحليلات والنتائج التي توصلت إليها للبناء على ما يمكن أن يمثل مدخلا للحل أو توجهها ايجابيا يدعم قضايا الإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية.

يلحظ الباحثون والمهتمون بالشأن السوداني وجود تعدد في السرديات الوطنية حول هوية الأمة، البعض يقول بالعروبة والاسلام وبعضهم يقول بالإفريقيانية وآخرون يقولون بالسودانوية. وهذا التعدد في السرديات يشير الى جزء من الأزمة السودانية في عمقها الثقافي ويلقي بظلاله على البعد الاجتماعي مما يعمق من الأزمة سياسيا. تفترض الورقة أن هناك تلازم بين تحدي بناء الأمة (الهوية الوطنية) وتحدي بناء الدولة (المؤسسات السياسية والدستورية)، ولكن الواقع يشير الى إهمال الأول من قبل الحكومات الوطنية المختلفة أو تعسفها في فرض هوية بعينها، والإفراط في التركيز على مؤسسات الإرث الاستعماري أو استجلاب مؤسسات غريبة على المجتمع وثقافته وحاجته. وفي هذا المجال يدور جدل كبير، فأراء تنتقد الإرث الاستعماري من المؤسسات السياسية والدستورية وتتهم الحكومات الوطنية بتبنيها والمحافظة عليها وترى فيها سببا في تعطيل بناء المشروع الوطني من ناحية والتشجيع على بروز ملامح لمشروعات وطنية مختلفة — إن لم تكن متعارضة فهي متوازية — ولا توجد مشتركات بينها للبناء عليها الآن أو مستقبلا. وربما كان في الصراع أو التنافس الحاد بين ما يعرف بالمشروع السياسي الاسلامي والمشروع السياسي العلماني على السلطة والذي إمتد من بدايات الحكم الوطني وحتى اليوم دليلا باثنا لغياب المشروع الوطني المتوافق عليه بين كافة التيارات الفكرية والسياسية، ومؤشرا سالباً على قابلية الأزمة السياسية على التطاول أكثر. كل هذه الآراء والتساؤلات تمثل تحديات حقيقية أمام عمليات الإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية، وهي أهم ما تهدف الورقة للإجابة عليه.

أولاً: المدخل المفاهيمي:

هذا الجزء من الورقة يركز على تفكيك المفاهيم الرئيسة للورقة؛ الإصلاح، والإصلاح السياسي والمؤسسي، ويحاول من خلال رصد الأدبيات المختلفة التي تناولها الإحاطة بأبعاد كل مفهوم وأهم الدلالات التي يتضمنها. الورقة تفترض الارتباط الوثيق بين المفاهيم الأساسية وتعمل على توضيحه ومن ثم توظيف كل ذلك في اطارها بما يخدم عنوانها وهدفها الرئيسي.

مفهوم الإصلاح:

يمثل مفهوم الإصلاح وأبعاده المرتبطة به مفتاحاً لفهم البعد المعرفي والعملية لعنوان الورقة وما يمكن أن تسهم به في إثراء الحوار والنقاش حول الأزمة السودانية وآفاق الحلول الممكنة لها. نجد أن الإصلاح في اللغة أصله من كلمة (صلح)، وقد ورد في لسان العرب؛ صلح يصلح صلاحاً، والصلاح ضد الفساد. إذا الفساد نقيض الإصلاح، وعليه فإن (اصلاح الشيء) يعني اقامته أو تحسينه. أما في المعجم الوسيط؛ (الصلاح) يعني الاستقامة أو السلامة من العيب، و(الصلح) إنهاء الخصومة أو حالة الحرب، ويقال (المصلحة) وتعني المنفعة وجمعها المصالح. ومما ذكره يتبين لنا بأن معنى الإصلاح لغة يقصد به التعديل والتغيير بما يحسن من الشيء أو الأمر ويضمن له المحافظة على شكله، وظيفته ومنفعته. أما اصطلاحاً ارتبط مفهوم (الإصلاح) بأفعال التصحيح أو التحسين للأشياء والأشخاص. ويشار إلى (الإصلاح) بأنه فعل أو عملية إصلاح مؤسسة أو ممارسة ما، ويمثل الفساد موضع ومحور الإصلاح الذي يستهدفه المصلحون. ويعرفه قاموس "أكسفورد" بأنه: "تغيير أو تبديل نحو الأفضل في حالة الأشياء ذات النقص، وخاصة في المؤسسات والممارسات السياسية الفاسدة أو الجائرة، إزالة بعض التعسف أو الخطأ". وفي القرآن الكريم ورد لفظ (الإصلاح) في أكثر من سورة مثل قوله تعالى: (والله يعلم المصلح من المفسد)، وقوله مخاطباً فرعون: (إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين). فالقرآن يقابل لفظة الإصلاح بالفساد، وعبارة التحجر في الأرض بالإصلاح، ما يؤكد على أن الإصلاح فعل إيجابي يقتضيه وجود الفساد والظلم. وفي رؤية أوسع يرى البعض ارتباطه بأحداث تغييرات وتعديلات بغرض التحسين على الأشياء، المؤسسات أو الممارسات الاجتماعية، السياسية والاقتصادية وغيرها. استناداً على ما ذكره عاليه فإن مفهوم الإصلاح الذي تتبناه الورقة يركز على أنه عملية إجراء تغييرات وتعديلات ضرورية بهدف التحسين والتطوير في النظم، المؤسسات والممارسات السياسية، ويفرضه في الغالب وجود وانتشار الظلم والفساد السياسي.

دلت التجارب المختلفة للمجتمعات والدول أن عمليات الإصلاح تتطلب مجموعة من الشروط والظروف المواتية التي يجب مراعاتها عند ابتداء أي محاولة للقيام بها. ويمكن الإشارة إلى أهم ثلاثة شروط للإصلاح وهي:¹

1. تحديد العلة أو الخلل المراد إصلاحه
 2. أن يكون التغيير نحو الأفضل (مثلاً أن تسود الحرية محل الاستبداد أو العدالة محل الظلم أو الاستقرار محل الفوضى)
 3. أن يكون التغيير له صفة الاستمرارية والاستدامة
- ويلاحظ أن شروط الإصلاح تقتضي الاتفاق حول تشخيص المشكلة وتحديد بدقتها وهي مسألة مهمة بدورها لا يمكن تقديم العلاج الأنسب والأجبع. والعلاج المقدم لا بد أن يقضي على المشكلة أو على الأقل يخفف من ضررها. أما الظروف والبيئة المواتية والداعمة لضمان نجاح مبادرات الإصلاح فتتمثل في الغالب في الآتي:

1. وجود أزمة تمثل مهدداً أو خطراً على النظام أو الدولة
2. وجود مرجعية فكرية أو أيولوجية تسند الدعوة إلى الإصلاح وتبرر للأفكار الإصلاحية
3. وجود جبهة سياسية قوية وقاعدة إجتماعية كبيرة داعمة لعملية الإصلاح

1 محمد محمود السيد، "مفهوم الإصلاح السياسي"، الحوار المنمذ، العدد، 3555، 2011/11/23، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=284594>

ويعتبر المجتمع والبيئة المستهدفة بالاصلاح عنصرا مهما في انجاحه، بدءا من توفر الوعي بالمشكلة وخطورها الى استلهاام الفكرة الاصلاحية التي تتوفر لها قاعدة اجتماعية واسعة مؤيدة وداعمة.

مفهوم الاصلاح السياسي والمؤسسي:

إن مصطلح (الاصلاح السياسي) لا يوجد اتفاق تام حول تعريفه ودلالاته بين المفكرين والأكاديميين، بل في كثير من الأحيان قد يختلط استخدامه بمصطلحات أخرى مثل؛ التنمية السياسية، التحديث السياسي أو التغيير السياسي. والأدبيات السياسية في غالبها تشير إليه وتعتبره مفهوما سياسيا مهما يتضمن الاشارة الى إجراء مجموعة من التغييرات والتعديلات في النظام السياسي، الحكم أو السلطة. هذه التغييرات والتعديلات توصف ايجابا بالتحسين أو التطوير في مؤسسة أو ممارسة. مثلا؛ يعرفه قاموس "ويستر" للمصطلحات السياسية (1988) بأنه: "تحسين النظام السياسي من أجل إزالة الفساد والاستبداد". وعرفته الموسوعة السياسية بأنه: "تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها، وهو بخلاف الثورة ليس إلا تحسين في النظام السياسي و الاجتماعي القائم دون المساس بأسس هذا النظام، أنه أشبه ما يكون بإقامة الدعائم التي تساند المبنى لكي لا ينهار وعادة ما يستعمل الإصلاح لمنع الثورة من القيام أو من أجل تأخيرها". أما صمويل هنتغون فيعرف الاصلاح السياسي بأنه: "تغيير القيم وأمط السلوك التقليدية، بتوسيع نطاق الولاء ليصل الى الأمة، وعقلنة الحياة العامة والبي في السلطة وتعزيز التنظيمات المتخصصة واعتماد مقياس الكفاءة"¹ وفي هذا التعريف إشارة الى فكرة العقلنة وربطها بين ومؤسسات السلطة مما يؤكد على الربط الوثيق لدى هنتغون بين البعد السياسي والمؤسسي. ويظهر هذا الربط أكثر في وثيقة الاسكندرية الاصلاحية حيث ورد فيها أن الاصلاح السياسي (يقصد به كافة الخطوات المباشرة وغير المباشرة، التي يقع عبء القيام بها على عاتق الحكومات والمجتمع المدني والقطاع الخاص وذلك للسير بالمجتمعات والدول قدما في غير إبطاء أو تردد بشكل ملموس، في طريق بناء نظم ديمقراطية وتحقيق أقصى قدر من الشفافية في الحياة العامة، بما يعني القضاء على الفساد، في اطار يؤكد الرشادة ودعم حقوق الانسان عن طريق التطور الديمقراطي).² حيث أكدت الوثيقة على أن الاصلاح السياسي يستهدف بناء نظم ومؤسسات ديمقراطية تتمتع بالشفافية وتصور حقوق الانسان. إذا يمكن التأكيد على أن الاصلاح السياسي مفهوم رغم أنه قد يبدو فضفاضاً في دلالاته ولكنه يعتبر مفتاحي في تجديد الحياة السياسية وتصحيح مساراتها وتطوير العملية السياسية. ومن مظاهره سيادة حكم القانون، الشفافية، ضمان التمثيل العادل للمجموعات الاجتماعية، واتساع قاعدة المشاركة الشعبية في إتخاذ القرار. الأمر الذي يعزز الإجماع من قبل المختصين بأن الاصلاح السياسي الفعال يسهم في زيادة فعالية الحكومة، يحقق الاستقرار داخل المجتمع، ويطلق الطاقات الاقتصادية الكامنة. بناء على ما ذكر، وفيما يتعلق بمفهوم الاصلاح المؤسسي، والذي يعرف على أنه عملية تتم بموجها إعادة النظر في مؤسسات الدولة وإعادة هيكلتها حتى تحترم حقوق الإنسان وتحافظ على سيادة القانون وتخضع لمحاسبة الناخبين. بل إن نجاح النظام السياسي واستقراره يعتمد على قدرته على إنجاز اصلاحات مؤسسية على نطاق واسع. ويعزى فشل مؤسسات الدولة أو ضعفها في دول العالم الثالث الى تعثر عملية بناء الدولة ما بعد الاستقلال،

1 صمويل هنتغون: (النظام السياسي لمجتمعات متغيرة)، ترجمة سمية فلو، (بيروت: دار الساقي، 1993م)، ص 121

2 سفيان فوكة: (الاستبداد السياسي واصلاح الحكم في العالم العربي)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، (2006 — 2007)، ص 67

الأمر الذي يطرح كثيرا من التساؤلات في حدها الأدنى عن قدرتها على القيام بوظائفها وفي بعدها الأعلى عن إمكانية استمرارها.¹ إذا الإصلاح المؤسسي يرتبط مباشرة بعملية بناء الدولة ويتأثر باكتمالها ايجابا كما يتأثر سلبا بتعثرها. ويغلب على مؤسسات دولة ما بعد الاستقلال أنها إما تعاني من اشكالات هيكلية أو تشريعية أو الاثني معا. أما الورقة فتتخذ مفهوم الإصلاح المؤسسي باعتباره جزءا من عملية الإصلاح السياسي في بعده الشامل. حيث ينظر للإصلاح المؤسسي وفقا لمعظم الأدبيات السياسية الواردة حوله على أنه يقصد به مراجعة وإعادة هيكلة مؤسسات الدولة بما يمكنها من إحترام وصيانة حقوق الانسان، المحافظة على سيادة حكم القانون، وجعلها خاضعة للمساءلة أمام الناخبين أو المواطنين. إذا الإصلاح المؤسسي لا يتحقق بمعزل عن الإصلاح السياسي والذي في جوهره يدعو الى محاربة الفساد والظلم سواء كان مصدره فردا أو مؤسسة، عليه، تتبنى الورقة التعريف التالي لمفهوم الإصلاح السياسي والمؤسسي: (هو الدعوة إلى إجراء تغييرات وتعديلات على النظام السياسي؛ قيمه، تشريعاته ومؤسساته، بما يجعله أوسع مشاركة، وأكثر كفاءة وعدالة).

ثانيا: الجذور التاريخية وأسباب الأزمة السياسية السودانية:

لا شئ يجمع عليه الباحثين في الشأن السوداني حدير بالتأمل والإحترام أكثر من إجماعهم على التنوع العرقي والديني والثقافي له. والمؤرخون في نظرهم لبدائيات تكون الدولة لسودانية بنحدهم إما أن يعودوا الى الفترة من (1502 - 1822م)، وهي فترة حكم السلطنة الزرقاء (مملكة الفونج)، أو الى فترة الحكم التركي (1822 - 1885م)، أو الى فترة حكم المهدي (1885 - 1898م).² وربما يكون في هذا الاختلاف بين المؤرخين والباحثين ما يعزز كثير من الحقائق التي يحاول أحيانا البعض القفز عليها إثباتا أو نفيًا تحقيقا أو دعما لأحدية سياسية ضيقة أو لعصية أيولوجية. فالوجود القومي والتاريخي للسودان وكثرة التفاعلات العرقية والدينية والثقافية واللغوية فيه تظل محل إعتراف من كل المؤرخين. الأمر الذي يمكن أن يجعلنا نبي في ورقتنا هذه على ما أجمع عليه المؤرخون، كالتبيعة التعددية للسودان عرقيا ودينيا وثقافيا، وهي حقيقة مهمة لها قيمتها وأثرها على قضايا الإصلاح السياسي والمؤسسي التي تعالجها الورقة. يمثل ميراث الفترة الاستعمارية للحقبتين؛ التركية والبريطانية، في السودان الأكثر تأثيرا في تشكيل واقع ومستقبل السودان آنذاك وربما إلى اليوم. فالأتراك والبريطانيين إستعمروا السودان وحكموه بالقوة وفرضوا عليه أنظمتهم ومؤسساتهم وقوانينهم لفترة تجاوزت المائة وعشرون عاما لم يقطعها ويفصل بينها إلا قيام الدولة المهدي لفترة أقل من خمسة عشر عاما. ووصفت فترة حكمهما بالمركية القابضة، بجانب الاستغلال والتوظيف للعاطفة الدينية في حالة الأتراك ولنظام الإدارات الأهلية في حالة البريطانيين لإحكام سيطرتهما على الدولة السودانية وشعبها. النتيجة، في حالة الاستعمار التركي تمدد وقوي النمط الديني الشعبي بعيدا عن سلطته ومؤسساته، فظهرت الطرق الصوفية وشيوخها ممثلين رئيسيين للتيار الديني الشعبي. وخرج من التيار الشعبي الصوفي تيار جهادي مقاوم (المهدي) قاد حركة تحررية دينية ووطنية ضد النظام نجحت في نهاية المطاف إلى هزيمته وإخراجه من البلاد.¹ سقط النظام التركي بعد أن حكم السودان لأكثر من ستين عاما، مخلفا وراءه تركة أمنية وإدارية مثقلة بالقهر والإكراه للأنظمة التي تأتي بعده. فورثت الدولة

1 مبادرة الإصلاح العربي، (الإصلاح المؤسسي في العالم العربي: إشكاليات وتحديات وآفاق)، 31 مايو 2018؛ <https://www.arab-reform.net/ar/publication/4996/>

2 أنظر في ما أورده: عبد العزيز حسين الصاوي، عن معالم رؤية قومية لتاريخ السودان السياسي، في كتابه: "أزمة المصير السوداني"، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2004)، ط 2، ص 149 - 165.

المهدية، ذات التوجه الاسلامي، هذا الميراث الأمني والإداري ولم تستطع أن تغير فيه كثيرا نسبة لرحيل قائدها الملهم أولا، ثم لقلّة زاد الثورة فكريا وقانونيا وإداريا ثانيا، وأخيرا لقصر الفترة الزمنية التي حكمت فيها المهدية؛ فقط ثلاثة عشر عاما (1885 - 1898م).² ورغم أن الثورة المهدية لم تُعمر كثيرا كدولة ونظام حكم إلا أنها استطاعت أن تضع قواعد ثابتة لكيان وطني ذي هوية إسلامية لازمت السودان ثقافيا وسياسيا منذ ذلك التاريخ وحتى الآن. ويلاحظ أن أكبر المشاكل التي واجهت الحكومات الوطنية بعد الاستقلال مثل قضية الجنوب (والتي انتهت لاحقا بالانفصال) لم يكن لها وجود خلال الحكم التركي للبلاد، وذلك ربما يعود الى أن مسألة الدين (الاسلام) بالنسبة للسلطنة الزرقاء (مملكة الفونج) والدولة المهدية كان ثابتا حيث يمثل فيهما الاسلام الدين الرسمي للدولة، ولم يكن البعد العرقي آنذاك مهددا للوحدة الوطنية.

أما حقبة الاستعمار البريطاني، فنجد أن بريطانيا ورغم تحالفها الشكلي مع الدولة المصرية في غزو السودان، إلا أنها حرصت على ضمان سيطرتها المباشرة على الشعب السوداني وموارده الاقتصادية. وعليه لما جاء الاستعمار البريطاني للسودان على أنقاض الدولة المهدية، سعى بكل ما أوتي من حيل وأدوات، ثقافية وسياسية، لتغيير الهوية الثقافية الإسلامية للشعب سيما تلك السمة الجهادية التي أحييتها المهدية كحركة دينية ثورية إصلاحية قامت في ظل نظام استعماري ظالم. فسعت بريطانيا لاحتواء الإسلام وتفريغه من محتواه السياسي، بجانب بث الأفكار القومية والعلمانية التي تعمل على تغريب المجتمع السوداني وتنصيره وتفتيت وحدته وتماسكه وتكريس الوجود البريطاني فيه. ولعل الفشل الذي منيت به الدولة الاستعمارية في طمس الهوية الثقافية الإسلامية للسودان جعلها تلجأ إلى سياسة فرق تسد لتلعب على قضايا مثل؛ شمال وجنوب، عرب وأفارقة، مسيحيين ومسلمين وهكذا... مُستغلّة هذه الثنائيات في إضعاف أي محاولات يمكن أن تتم في اتجاه تدعيم وحدة السودان أو تماسك هويته الثقافية الإسلامية. ولم تُجد كل محاولات الدولة الاستعمارية لتجاوز الفكرة التي أحييتها وأثبتتها الثورة المهدية؛ وهي دعوة التوحيد التي يقول بها الإسلام، وتقوم صراحة على الربط الوثيق ما بين الدين والدولة. وذلك خلافا لما تدعو له المسيحية، رغم أنها من الأديان التوحيدية، بضرورة الفصل ما بين الدين والدولة، التزاما بالقيادة المسيحية؛ "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله". من هنا نجد أن الدين (الإسلام) أصبح عاملاً أساسياً ومؤثراً جدا في واقع الحياة العامة في السودان، للدرجة التي يصعب معها النظر لواقعه الثقافي والسياسي والتاريخي دون استصحاب له. وتحقيقا لأهدافها، تبنت بريطانيا سياسة أمنية وإدارية صارمة منحت فيه أولوية عالية لخطر الطائفة الانصارية وضرورة التحكم في الدين الاسلامي ومؤسساته الشعبية.³ في عام 1922م، ونتيجة لحركات المقاومة المستمرة التي ظل الحكم الاستعماري البريطاني يتعرض لها من قبل أنصار المهدي والناشطين الوطنيين، من شماليين وجنوبيين، فقد تبني سياسة جديدة تعمل على توظيف الفروقات الدينية والعرقية لتثبيت أقدامه؛ أطلق عليها سياسة "المناطق المقفولة". السياسة الجديدة جعلت السلطات البريطانية تمنع اندماج الشعبين الشمالي والجنوبي، وحالت دون

1 عمر الخير إبراهيم: (الاسلام والدولة الفخرية: دراسة للمشروع السياسي الاسلامي في السودان 1989 --- 2005م)، رسالة دكتوراه قدمت بجامعة الخرطوم، 2008م، ص 136

2 المرجع السابق، ص 137 --- 138

Omer Elkhair Ibrahim, Islamization in Sudan: Political and Constitutional Changes (1989 --- 1999), Master thesis in Political Science, UIA, 3 Malaysia, March 2000, P. 23 --- 24.

تمازجها وتعايشهما. وساوت السياسة في المنع بين السودانيين الشماليين والمصريين، بحكم اتمائهم العربي والإسلامي، من دخول الجنوب؛ ثم شجعت القبائل المحلية على العودة إلى التقاليد القبلية في شؤونها الاجتماعية، كما شجعت نشر المسيحية فيه من خلال البعثات التبشيرية. وقد هدفت السياسة برمتها إلى تطوير شخصيتين منفصلتين للشمال والجنوب، بما يصاحب ذلك من اختلاف في اللغة والدين والعرق والثقافة والمؤسسات. وكانت النتيجة، أن قطعت صلة العروبة والإسلام بالجنوب وأفسح المجال للبعثات التبشيرية للعمل ليس فقط على الصعيد الديني وإنما على صعيد خلق شخصية جنوبية متميزة ومعادية للشخصية العربية الإسلامية.¹ التجربة الاستعمارية البريطانية؛ إثارة الوعي الوطني بقضايا مثل: الدين والعرق والجغرافيا (الجهوية أو الإقليمية)، وما تمثله هذه القضايا من تحدي حقيقي للشرعية والسيادة والمواطنة في إطار نموذج الدولة الوطنية الحديثة. ثم بعد حصول السودان على استقلاله في يناير 1956م، تحولت ذات القضايا التي غذت الوعي الوطني السوداني؛ مثل الدين والعرق والإقليم واللغة والثقافة، إلى واجهة الصراع السياسي طيلة فترة الحكم الوطني بمختلف أنظمتها واتجاهاته المتعاقبة.

بعد الاستقلال عن الحكم الاستعماري البريطاني، في الأول من يناير 1956م، وجدت الدولة الوطنية الحديثة في السودان نفسها أمام واقع سياسي جديد. تم فيه تجاوز قضايا مقاومة الاستعمار وطرده من البلاد كهدف استراتيجي إلى إثارة قضايا أخرى جديدة، شكلاً ومضموناً. بل لقد أفرز الوضع الجديد، لدى أفراد الشعب وقواه السياسية والاجتماعية، التقليدية والحديثة، شعوراً بالحرية والاستقلال أدى إلى ظهور كثير من الأفكار المتباينة والمتناقضة أحياناً، بين القوى والأطراف المختلفة داخل الدولة الوطنية الناشئة. فورثت الأنظمة الوطنية اشكالات سياسية معقدة وحادة أسهمت في خلق نوع من عدم الاستقرار والاضطراب السياسي الذي ظل ملازم للتاريخ السياسي السوداني. ومن خلال تتبع ميراث الحقتين الاستعماريين، التركية والبريطانية، يمكن أن نشير إلى أسوأ ما خلفته من تحديات سياسية لأنظمة الحكم الوطني متمثلاً في الآتي:

1. أن الدين (الإسلام) يمثل عائقاً أمام الاستقرار السياسي والتنمية السياسية
2. أن الاختلاف الإثني والديني والثقافي يمثل عائقاً أمام الوحدة الوطنية
3. التركيز لمركزية الحكم

ولعل ما تمت الإشارة إليه آنفاً من إرث يمكن رصد تجلياته بوضوح عند النظر في طبيعة الاشكالات التي صاحبت وواجهت النظم السياسية الوطنية المختلفة منذ الاستقلال في 1956م وحتى اليوم (أكتوبر 2023م). بل ظلت هذه الاشكالات سبباً رئيسياً في تغيير الأنظمة واسقاط الحكومات أياً كانت طبيعتها، ناتجة عن انتخاب ديمقراطي أو انقلاب عسكري. وبالنظر العميق للتحديات السياسية من حيث نوعها وطبيعتها يبدو جلياً أنها تعبر في جوهرها عن أزمة حكم حادة ومعقدة جدا بالنسبة لمجتمع لم يخرج من بدائته ولم تكتمل له دولة. وقد تجلت أزمة الحكم والسلطة في ثلاثة قضايا أساسية مثلت تحدي مستمر لكل الأنظمة والحكومات الوطنية السابقة والحالية، وربما القادمة أيضاً إن لم تجد حلاً شاملاً ودائماً. والقضايا هي؛ السلام والوحدة الوطنية، العلاقة بين الدين والدولة، والدستور الدائم. ونبدأ أولاً بقضية السلام والوحدة الوطنية ... وهو سؤال يفرضه واقع المجتمع السياسي القائم أصلاً على التعدد؛ اجتماعياً

1 محمد السمك: "الأقليات بين العروبة والإسلام"، (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، ص 103 - 104.

وثقافيا ودينيا. وقد كان بروز سؤال الوحدة الوطنية أولاً مع قيام الدولة الوطنية الحديثة في أوروبا، ومثل لاحقاً تحدياً ملحاً للدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا بعد نيلها للاستقلال من الدول الأوروبية المستعمرة. والسودان بتكوينه الاجتماعي يعتبر من أكثر البلاد الإسلامية الأفريقية تنوعاً في ثقافته السياسية؛ العروبة والأفريقية، مسلمين وغير مسلمين، بجانب الانقسام التقليدي الذي نشأ فيه تاريخياً بين الشمال والجنوب بفعل المستعمر. وتمثل مشكلة الجنوب إحدى أوضح الأمثلة حول قضايا السلام والوحدة الوطنية، إذ تصدرت الأحداث السياسية لكل الأنظمة والحكومات الوطنية المتعاقبة. ويلاحظ أن غالب الأنظمة والحكومات الوطنية ارتكبت ذات الخطأ في معالجتها (مشكلة الجنوب) والتي بدأت مع الاستقلال 1956م واستمرت بوتيرة متصاعدة حتى وصلت إلى حق تقرير المصير والانفصال بعد إجراء الاستفتاء في 2011م. حيث جاءت نتيجته مؤيدة للانفصال بنسبة 98%، فاستقل الجنوب بدولته، وتفاقت الأزمات بالبلاد وأسفر عنها مزيداً من الإغلاق للألق السياسي. فأغلب الأنظمة الوطنية رجحت الحل العسكري بدلاً من الحلول السياسية وعملت على فرض سياسات التعريب والأسلمة والتضييق على الرسائل المسيحية التبشيرية في الجنوب باعتبارها الوسيلة الأمثل لفرض هبة الدولة وتحقيق الوحدة الوطنية. اتخذت المشكلة لطبيعتها السياسية والثقافية والدينية والعرقية أبعاداً أكثر تعقيداً تم فيها توظيف كل هذه العوامل من قبل الغرب المسيحي وبعض الدول المعادية للسودان لابرز هوية جنوبية مخالفة للهوية الشمالية ومن ثم تكريسها لضمان استمرار الصراع السياسي بين الهويتين.¹ وتظهر تعقيدات المشكلة عند النظر في مطالب الحركات السياسية والمسلحة المختلفة التي تكونت في الجنوب وتبنت الدفاع عن حقوق الجنوبيين فنجد أنها في أطروحاتها دائماً تجمع وتمسك بمعارضة أمرين أساسيين هما:²

● الأمر الأول: تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان.

● الأمر الثاني: الدخول في معاهدات دفاع مشترك أو وحدة مع الدول العربية (مصر أو ليبيا مثلاً).

أما في قضية العلاقة بين الدين والدولة، نجد أن الدولة الوطنية الحديثة في أوروبا نشأت نتيجة للدعوة القومية - المشبعة بالروح العلمانية - التي انطلقت تطالب بإعادة النظر في أسس تأسيس الدول، وبصورة أعمق للنظر في طبيعة العلاقة ما بين الدين والدولة. فقبلت الدولة الوطنية الحديثة (العربية) الفكرة العلمانية الداعية إلى فصل الدين عن الدولة كعقيدة سياسية لها في كل الدول التي تكونت في أوروبا. أما في العالم الإسلامي والسودان تحديداً، ورغم الاختلاف البائن بين سياق الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي تعيش فيها المجتمعات الإسلامية عن نظيرتها الغربية المسيحية. إلا أن الأولى ونخبها المحافظة ونتيجة الهزيمة التي منيت بها على يد الدول الأوروبية وسقوطها عسكرياً وسياسياً وثقافياً، فقد ارتضت الفكرة القومية كأساس لتأسيس الدول باعتبارها صارت أمراً واقعاً ولكنها رفضت العلمانية الداعية إلى فصل الدين عن الدولة. واعتبرته بمثابة ردة دينية عن تعاليم الإسلام التي تقول بشموليته وباحتمائه على الشريعة والنظام في منظومته الدينية. ويؤكدون على فكرة الارتباط بين الدين والدولة، والأخلاق والسياسة من ناحية، ورفض كل الاتجاهات والأفكار غير الدينية التي يحاول بثها الغرب وسط المجتمعات الإسلامية بحجج ومبررات مختلفة؛ كالحداثة والتطور والتقدم

1 كامل إدريس: (السودان 2025: تقويم المسار وحلم المستقبل)، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2016م)، ص 78 - 79.

2 محمد السماك: "الأفليات بين العروبة والإسلام"، (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، ص 101.

وخلافه. ويظهر كل ذلك في الشعارات التي ترفعها هذه النخب وتياراتها المحافظة؛ "الإسلام دين ودولة"، "الإسلام هو الحل"، "القرآن دستور الأمة"، وهكذا. ولما كان السودان دولة كبيرة جغرافيا وتنصف بالتنوع والتعدد العرقي والديني فقد برز فيها تيارا محدودا مؤيدا للتوجهات والأفكار الغربية الداعية والداعمة لفكرة العلمانية والرافضة لأي صلة بين الدين والدولة. وأنفجر بسبب ذلك الاختلاف الأيديولوجي صراعا وتنافسا حادا بين التيارين (الاسلامي والعلماني) يكاد أثره يؤدي الى انهيار الدولة.

ثم تأتي لقضية الدستور الدائم، حيث ستة عقود مرت على استقلال السودان بدون دستور دائم، ويعتقد البعض أن غياب الدستور الدائم المتوافق عليه سبب أساسي في تأجيج النزاعات والصراعات والحروب التي ظلت تضرب البلاد منذ الاستقلال. خلال الفترات الديمقراطية، البرلمانات الثلاث كانت في الأساس جمعيات تأسيسية الغرض منها صناعة الدستور الدائم للبلاد، فأثبتت فشلها نتاج الصراع الأيديولوجي والسياسي الحاد بين القوى اليمينية واليسارية.¹ في المقابل نجحت الأنظمة العسكرية (النميري والبشير) في وضع دستور أطلق عليه دائم 1973م و 1998م على التوالي، ولكنه لم يصمد بعد ذهاب النظام في الحالين لإفترادهما للمشاركة والتوافق الكاملين. جاء دستور 2005م الذي تم وضعه بعد اتفاقية السلام الشامل بين نظام البشير والحركة الشعبية بقيادة جون قرنق، الأكثر توافقا وطنيا ومشاركة سياسية من كل الأحزاب. ورغم الإجماع الذي حظي به دستور 2005م، فشل في أن يكون دستورا دائما للبلاد، نتيجة الشعور بالظلم السياسي لدى الأحزاب الرئيسية. الأحزاب السياسية تتحمل مسؤولية الاخفاق في وضع دستور دائم للبلاد، ومطالبة أخلاقيا وسياسيا بمراجعة مواقفها وإدعاءاتها الأيديولوجية، للتوافق على وضع دستور دائم للبلاد.²

إجمالا، قد اختلفت الرؤى والمعالجات التي قدمتها الأنظمة السياسية المختلفة التي مرت على البلاد لمخاطبة القضايا المشار إليها أعلاه، وفقا لطبيعة الخلفية الفكرية والمذهبية للنظام من جهة، ولطبيعة الظروف الإقليمية والدولية السائدة من جهة أخرى.³ ويمكن من خلال القراءة والتحليل لخلفيات الجذور التاريخية للأزمة السياسية السودانية تلخيصها في تحديين؛ التعددية (العرقية، الدينية، اللغوية)، والفكرة الدينية (الدعوة لإحياء الدين وتحكيم الشريعة في المجتمع)، إذ يمثلان أكبر تحدي يواجه قضايا الإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية. وتطرح في المقابل أسئلة الحرية والمساواة والعدالة، حيث أن كثير من المعالجات والرؤى التي تطرح تركّز في خطاها على بعض هذه القضايا وتتجاهل أخرى، وتتجاهلها كلها أحيانا بمرر أن ذكرها يساعد على التكريس لها. بل حتى الحلول التي طرحت كانت تفتقر الى الشمول والديمومة مما زاد من تعقد وتعمق الأزمة وأصبحت مصدرا لمزيد من الاشكالات التي تفاقمت بعوامل الزمن وتكرار الأخطاء. ولعل أكبر أخطاء الأنظمة والحكومات الوطنية (العسكرية والمدنية) على الإطلاق هو الإصرار على إمتلاكها للحقيقة والحل واستخدامها التعسفي للسلطة في فرض رؤاها وتصوراتها السياسية. وتأتي تجربة الحرب الدائرة اليوم، (15 أبريل - 15 أكتوبر 2023م)، بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع (وهي قوات عسكرية أسسها نظام عمر البشير لمساندة الجيش في حربه ضد الحركات المسلحة في دارفور) لتدل على سهولة لجوء الأنظمة السياسية إلى تكوين مؤسسات موازية وجماعات مسلحة دون

1 المرجع نفسه، ص 30 - 31.

2 محي الدين تيناوي: (البحث عن دستور دائم في السودان)، جريدة الشرق، 8 آيار/ مايو 2021م، شوهد في 13 آيار/ مايو 2021م، في:

<https://al-sharq.com/opinion>

3 محمد عمر بيشرو: مصادر سين ذكره، ص 32 - 37.

خضوع قراراتها الى رقابة المؤسسات الدستورية أو موافقة الشعب، الأمر الذي ظل يتسبب في المزيد من اضعاف الدولة وتهميش الشعب وزيادة معاناته. عموماً تظل تجارب الحكم الوطني المختلفة التي مرت على السودان، تؤكد ضرورة إجراء إصلاحات سياسية ومؤسسية توفر إجابات للأسئلة الأساسية وتوجد معالجات عملية لقضيتي التعددية والعلاقة بين الدين والدولة بما يحقق فعلياً تأسيس دولة وطنية موحدة دون تضحية بمقوماتها المعنوية والأخلاقية والمادية أيضاً.

ثالثاً: رؤية للإصلاح السياسي والمؤسسي في السودان:

مثلت ثورة المعلومات والاتصالات في عالم اليوم إحدى أهم عوامل الدعوة الى التغيير والاصلاح السياسي والاجتماعي، نتيجة التحولات في أسلوب حياة المجتمعات وازدياد أشكال التنوع الثقافي والاجتماعي. وتعتبر المجتمعات والنظم السياسية التقليدية هي الأكثر تعرضاً لدعوات التغيير والاصلاح وذلك بسبب الفوارق المادية والمعنوية بينها وبين المجتمعات والنظم السياسية الحديثة. ويلاحظ أن اتجاهات البحث في التنمية والاصلاح السياسي في العقد الأخير عادت مرة أخرى الى دراسة الدولة بحجة أن بناء الدولة لم يكتمل في الكثير من المجتمعات النامية، بجانب الاخير الذي حصل لكثير من الدول في شرق أوروبا مثلاً والتي سبقها الاتحاد السوفيتي في ذلك.¹ وقد أشارت الورقة في مقدمتها إلى أن هناك مسألتان مهمتان ومتلازمتان تتعلقان بقضية الاصلاح السياسي والمؤسسي في السودان وهما؛ مسألة بناء الأمة (الهوية الوطنية)، ومسألة بناء الدولة (المؤسسات السياسية والدستورية). وقد مثلت القضية الأولى (بناء الأمة) تحدي حقيقي لكل الأنظمة السياسية الوطنية بعد الاستقلال، لأن الحكومات التي كانت أقرب إلى فترة المستعمر البريطاني شغلت نفسها بالسلطة وصراعاتها الداخلية على حساب التفكير في إيجاد مشروع وطني يقوم على مشتركات تؤسس لدولة واحدة وأمة واحدة ذات هوية وطنية متوافق عليها بين كافة مكونات المجتمع السوداني بتعدد العرقي، الديني والثقافي. واستمر مسلسل التجاهل لمسألة بناء الأمة حتى من الأنظمة والحكومات الوطنية المتعاقبة، العسكرية والمدنية، مما فاقم من الأزمة السياسية السودانية وعقد كل محاولات الحل من الداخل من ناحية، وفتح باباً للخارج كان مدخلاً لكثير من الاشكالات والمهددات السياسية والأمنية. النتيجة تعطل مشروع بناء الأمة السودانية ذات الهوية المتوافق عليها، وفي أحسن حالاته اتجه المشروع مؤيداً بنظام وسلطة غير منتخبة نحو فرض مشروع سياسي أحادي لا يحظى بتأييد القوى السياسية الرئيسة في البلد. وهذه التجارب منها ما كان مسنوداً بانقلاب عسكري (الجهة الإسلامية القومية) ومنها ما كان محاولة لاستغلال ثورة شعبية (قوى الحرية والتغيير). والدرس المستفاد هو أن بناء الأمة والدولة يحتاج الى الحد الأدنى من التوافق السياسي بين القوى السياسية الرئيسة، وإلا لن يكون هناك أمة ولا دولة يفخر بها.

التوافق السياسي والاصلاح السياسي:

ويعتبر مصطلح "التوافق السياسي" أحد المصطلحات الحديثة في السياسة وقد تزايد ظهوره في السنوات الأخيرة بصورة مكثفة في البلدان ذات الممارسة الديمقراطية الراسخة، وقد فرض هذا المصطلح في الأدبيات السياسية المعاصرة لمخاطبته ظاهرة تتعلق بتوجهات وممارسة سياسية جديدة بين القوى السياسية الحزبية. يصف مرشد القبي مفهوم التوافق بأنه؛ (نقاش يعبر بالأساس عن اختلاف التقييمات إزاء ظواهر وأشكال من الممارسة السياسية فرضت نفسها في العقود الأخيرة من قبيل وجود مظاهر من التقارب أو التحالف أو التوافق بين

قوى سياسية وأحزاب متباعدة في الأصل من جهة المرجعيّات الأيديولوجية والاستراتيجيّات والأهداف وخاصة بين القوى التي تُصنّف عادة في جهة اليمين مقابل ما يُصنّف عادة في جهة اليسار). (أنظر: <https://tanwair.com/archives/14712>) ولعل ما يلفت النظر فيما أشار إليه مرشد القي، أن التوافق بين القوى السياسية الحزبية في الغالب يتم بين قوى مختلفة ومتباعدة في مرجعيّاتها الأيديولوجية، وذلك أكثر ما يكون بين من يعرفون بالقوى اليمينية واليسارية. وأكد في وصفه بأن الاختلاف الأيديولوجي يتبعه في الغالب اختلاف في الأهداف والاستراتيجيات. فإذا كان التوافق مطلب للقوى السياسية الحزبية التي توجد في بيئات ديمقراطية راسخة، فكيف للقوى السياسية الموجودة في بيئات سياسية غير ديمقراطية أو إنتقالية. أو في بيئات متعددة ثقافيا، اجتماعيا وسياسيا وتعاني بجانب ذلك من نزاعات أهلية وحروب متطاولة. فالتوافق السياسي؛ يعني أن تجد المجموعات المختلفة الرئيسة فرص للتعبير عن مصالحها والوصول الى نتيجة عادلة أو مرضية في تحقيقها. والبعض ينظر للتوافق باعتباره يعبر عن وجود أفراد أصحاب مصالح مختلفة يراعون لمصالح الآخرين دون أن يتنازلوا عن مصالحهم الأساسية. فالتوافق السياسي لا يعني بالضرورة الإجماع السياسي، ولكنه حتما يعني إيجاد مكان للآخر ومشاركته.

هناك سؤال مهم وملح يطرح في حالة المجتمعات ذات السمة التعددية، خاصة تلك التي تعرضت لنزاعات عنيفة، أو تمر بفترات انتقال سياسي؛ كيف يتعامل الناس مع اختلافاتهم السياسية؟ الإجابة على هذا السؤال نجدها تأخذ أحد اتجاهين؛ إما باستخدام القوة والعنف أو بالقبول بالحلول السياسية. ويمثل الاتجاه الأول محاولة فرض فرد أو مجموعة أنفسهم على الآخرين وإخضاعهم لسلطتهم وحكمهم دون مراعاة لرغباتهم وإرادتهم وفي ذلك تجاوز لسؤال الشرعية. والشرعية هي مفتاح الرضا الشعبي والاستقرار السياسي للأنظمة السياسية. إذا استخدام القوة والعنف لن يمثل حلا ملائما ومستداما للمجتمعات التي تعاني من النزاعات العنيفة ولا تلك التي تمر بفترات انتقال سياسي. أما الاتجاه الثاني فيطرح حلا مناقضا للإتجاه الأول، ويقول بالتوافق والتسوية السياسية بين القوى السياسية والمكونات الاجتماعية المختلفة. وتقوم فكرة التوافق على الحوار والتفاوض بين القوى المختلفة أو المتعددة وصولا الى اتفاق يحفظ الحد الأدنى من مصالح الأطراف ويسمح بإقامة نظام حكم يضمن المصالح العامة والخاصة. ويؤسس هذا الإتجاه لفكرة التوافق السياسي بفرضيات ومنطلقات تعزز توجهه وتؤكد صلاحيته؛ أهم هذه المنطلقات والفرضيات:

1. أنه يسهم في تحقيق الشمول والمشاركة للمجموعات المختلفة في ترتيبات الحكم
2. أنه يحقق الشفافية والتعاون بين المجموعات المختلفة.
3. أنه يسهم في تحقيق الاستقرار السياسي

إذا التوافق السياسي بذلك يمكن أن يكون عنصرا نوعيا في معالجة التنافس السياسي والأيديولوجي الحاد في المجتمعات المتعددة والمعقدة، سيما في حالة السودان لأنه يمتاز بالآتي:

1. ضد فكرة العزل والاقصاء السياسي
2. آلية مهمة في إدارة فترات الانتقال السياسي (الفترات الانتقالية)
3. يمنع أو يضعف فرص التدخل الخارجي

واستنادا على ما ذكر، فإن التوافق السياسي تشتد الحاجة له أكثر عند فترات السيولة وعدم الاستقرار السياسي، باعتباره الأفضل عند اللجوء إليه لخلق أوضاع سياسية واجتماعية أكثر استقرارا. فالتوافق السياسي يخاطب مباشرة مسألة السلطة (الحكم)، ويعمل على عملية بنائها أو إعادة تصحيح مسارها، وذلك من خلال ضمان أكبر قدر من الاجماع السياسي والاجتماعي حولها.

ولما كان جوهر الاصلاح السياسي في غالب الأدبيات والتجارب السياسية الاصلاحية يقوم على تكريس الديمقراطية كمنهج للحكم وتحقيق مبدأ التداول السلمي للسلطة وفقا لإرادة الناخبين. فإن الاصلاح السياسي في هذه الحالة ترتبط مؤشراتته بقضية الديمقراطية باعتبارها أفضل الحلول المتوافق عليها بين غالب المهتمين بقضايا الاصلاح في المجتمعات والدول النامية. ويمثل اصلاح الأنظمة السياسية رأس الحربة في أي عملية اصلاح سياسي، حيث يرى فوكاياما أن الديمقراطية الليبرالية يجب أن تكون هي الخيار الأفضل للمجتمعات التقليدية أو الدول النامية.¹ فالديمقراطية قيم وآليات للحكم، وهي تهدف الى توسيع قاعدة المشاركة السياسية، احترام وصون حقوق الانسان، تحقيق التداول السلمي للسلطة بين مكونات المجتمع السياسية من خلال آلية الانتخابات. ولعل قيم وآليات الديمقراطية المذكورة هي ذاتها تعكس مؤشرات ومتطلبات عملية الاصلاح السياسي للدولة السودانية. وعند النظر الى أسباب الأزمة السياسية التي تمت الاشارة اليها في الجزء المتعلق بخلفيات وجذور الأزمة السودانية والمتمثلة في؛ غياب السلام وتهديد الوحدة الوطنية، جدل العلاقة بين الدين والدولة، وغياب الاتفاق على الدستور الدائم. تتعزز القناعة بأهمية وضرورة التوافق السياسي ولو في حده الأدنى بين القوى السياسية الرئيسية أو أوسع جبهة سياسية واجتماعية ممكنة باعتباره الطريق الأفضل لتحقيق الاصلاح السياسي والمؤسسي المرغوب للدولة السودانية. إن الخبرة التاريخية والمنطق يقولان بأن التوافق السياسي في المراحل الانتقالية، وخاصة في المجتمعات المتعددة والمعقدة، يسهم في توسيع قاعدة الانتقال الديمقراطي، بالتالي زيادة وتوسيع المشاركة السياسية.² وذلك يؤكد أهم فرضيات ومنطلقات التوافق السياسي وهي؛ أنه ضد مبدأ العزل والإقصاء السياسي وضد التدخل الخارجي. عليه، فإن نجاح الدعوة للتوافق السياسي، في حالة السودان، يمكن أن تسهم في تجاوز عقبات الانتقال الى الحكم المدني الديمقراطي، سيما وأن أكبر مهددات الانتقال؛ الدعوات لتقرير المصير (الحل في الجنوب/ترك في الشرق)، والتدخل الخارجي السافر في شؤون البلاد. ولما كانت هذه المهددات يمكن أن تمزق البلاد أو تخضعها تماما الى الخارج، ربما ينبغي على القوى السياسية الرئيسية أن تتجاوز المصالح الضيقة والآنية لها وتتنظر الى المصالح الكلية الوطنية. فإن الإمتحان الأكبر لها يتمثل في رفض التدخل الخارجي وتقديم تنازلات لتحقيق أكبر قدر من الاجماع السياسي والاجتماعي لعملية الانتقال الديمقراطي. ويمكن تحقيق التوافق السياسي من خلال آلية ظلت القوى السياسية منذ الاستقلال تدعو لها دون أن تنجح في الوصول اليها وهي المؤتمر الدستوري.

المؤتمر الدستوري والاصلاح السياسي:

طرح المؤتمر القومي الدستوري بعد استقلال السودان باعتباره الأساس الأهم في بناء الدولة الوطنية. تقوم الفكرة على إجماع القوى السياسية، الاجتماعية والثقافية بمختلف خلفياتهم، إثنائهم وإتمائهم — بدون إقصاء — للتفكير حول الأسئلة

1 <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=284594>

2 مارتن فان فليت وآخرون: "عمليات الاصلاح الدستوري والأحزاب السياسية"، إصدار المعهد الهولندي للديمقراطية متعددة الأحزاب، مركز الدراسات الافريقية، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، (السويد: يونيو

التأسيسية، لدولة السودان المستقلة. فكرة المؤتمر لم تنفذ، بعد إنتفاضة نيسان/ أبريل 1985م تمت الإشارة لها في اتفاقية الميرغني - قرنق 1988م، ثم تبنتها الحكومة الديمقراطية الثالثة وبدأ الإعداد لها في 1989م وأيضا لم تنفذ بسبب إنقلاب الإسلاميين، ثم تم طرحها مرة أخرى في مؤتمر أسمرال للقضايا المصرية 1995م، وأخيرا في إعلان قوى الحرية والتغيير يناير 2019م.¹ ظلت فكرة المؤتمر محل إجماع الأحزاب السياسية ولكن الأجدات الضيقة للأحزاب حالت دون تنفيذها. ولما كانت الحرية والديمقراطية من أهم شروط قيام المؤتمر، تعتبر الفترات التي تلي سقوط الأنظمة الدكتاتورية والشمولية أو فترات ما بعد الحرب هي أفضل الفترات لقيامه وضمان مشروعية نتائجه والقبالية لتنفيذها.² بالتالي المؤتمر يمثل أولوية قصوى وفرصة يجب التمسك بها لإعادة بناء وتأسيس الدولة السودانية؛ دستوريا وسياسيا وإجتماعيا. والمؤتمر القومي الدستوري هو المكان الأفضل لحسم قضايا؛ السلام والوحدة الوطنية، العلاقة بين الدين والدولة، ومسألة الدستور الدائم.

مقترحات للإصلاح السياسي والمؤسسي للدولة السودانية:

بناء على التشخيص الذي قدمته الورقة للأزمة السياسية السودانية حيث وصفتها بأزمة الحكم الحادة، تجلّت أبعادها في قضايا ومشكلات؛ غياب السلام وتمهيد الوحدة الوطنية، جدل العلاقة بين الدين والدولة، والفشل في التوافق على دستور دائم. وقد ظلت هذه المشكلات تواجه كل الأنظمة السياسية والحكومات المتعاقبة لها، دون النجاح في مخاطبتها. وهذه المشكلات كما أشرنا في أكثر من مقام، تمتد جذورها وأسبابها الى فترة الحقب الاستعمارية ولكنها تفاقمت وتعمقت نتيجة الأخطاء التي ارتكبتها الأنظمة والحكومات الوطنية. لذا فإن الحل لها لا يتوقع أن تقدم من قبل نظام أو حكومة تأتي بالغبلة أو القوة، لأن مسألة الكيفية التي يتم بها الوصول الى السلطة هي جوهر الأزمة التي يراد لها حلا. إذا يجب أن يتم مأسسة عملية الإصلاح السياسي أولا، وذلك من خلال النظر في التوافق على خطوات إجرائية تحدد وتأسيس مسار الإصلاح السياسي وتضع قواعد جديدة تحكم التنافس على السلطة وتحدد الكيفية التي يتم بها الحصول عليها وممارستها. وبالتالي فإن حوارا وطنيا حقيقيا وشاملا، وخطوة طريق لتغيير مستدام يركز على كيف يحكم السودان يمثل الإجابة الشافية لحل الأزمة السياسية المتطولة فيه. النتيجة المتوقعة؛ حل شامل، مصالحية وطنية متراضية عليها، واصلاحات سياسية حقيقية تمثل مخرجا أو حدا من الأزمة السياسية المعقدة في السودان.³ أهم مقترحات خطوات الإصلاح السياسي والمؤسسي يمكن إجمالها في الآتي:

1. الاتفاق على الديمقراطية كمبدأ ونظاما للحكم بين كافة القوى السياسية والاجتماعية.
2. الاتفاق على خارطة طريق وطني لإنجاز الإصلاح السياسي والمؤسسي الشامل.
3. عقد المؤتمر القومي الدستوري بمشاركة كافة القوى السياسية والاجتماعية للفصل في القضايا الوطنية العالقة (السلام والوحدة الوطنية، العلاقة بين الدين والدولة، الدستور الدائم).

1 الشفيق حضر، "السودان: المؤتمر القومي الدستوري"، القدس العربي، 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2019م، شوهد في 13 أيار/ مايو 2021م، في: <https://www.alquds.co.uk>

2 أبكر محمد أبو البشر، العقد الاجتماعي الجديد، سلسلة فراهة من أجل التغيير (11)، (المجموعة السودانية للديمقراطية أولا، 2013م)، ص 39.

International Crisis Group, Africa Report No. 194, 29 November 2012.3

4. اعداد الدستور الذي يعبر عن ويكرس للثقافة الديمقراطية.
5. إعداد قانون الانتخابات بمشاركة كل الأحزاب السياسية.
6. الاصلاح الحزبي وفقا للمبادئ التوجيهية والقيم الديمقراطية.
7. اطلاق دعوة للمصالحة الوطنية الشاملة.
8. تبني نظام الحكم الفيدرالي الذي يكرس للسلطات الفيدرالية السياسية والادارية والمالية.

المراجع:

- محمد محمود السيد، "مفهوم الاصلاح السياسي"، الحوار المتمدن، العدد، 3555، 11/23/ 2011 :
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=284594>
- صمويل هنتغتون: (النظام السياسي لمجتمعات متغيرة)، ترجمة سمية فلو، (بيروت: دار الساقي، 1993م)، ص 121
- سفيان فوكة: (الاستبداد السياسي واصلاح الحكم في العالم العربي)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، (2006 — 2007).
- مبادرة الاصلاح العربي، (الاصلاح المؤسسي في العالم العربي: إشكاليات وتحديات وآفاق)، 31 مايو 2018م؛-
<https://www.arab-reform.net/ar/publication/4996/>
- عبد العزيز حسين الصاوي، عن معالم رؤية قومية لتاريخ السودان السياسي، في كتابه: "أزمة المصير السوداني"، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2004)، ط 2 .
- عمر الخير إبراهيم: (الاسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسي الاسلامي في السودان "1989 — 2005م"، رسالة دكتوراه قدمت بجامعة الخرطوم، 2008.
- Omer Elkhair Ibrahim, Islamization in Sudan: Political and Constitutional Changes (1989 - 1999), Master thesis in Political Science, UIA, Malaysia, March 2000, P. 23 --- 24.**
- محمد السماك: "الأقليات بين العروبة والإسلام"، (بيروت: دار العلم للملايين، 1990.
- كامل إدريس: (السودان 2025: تقويم المسار وحلم المستقبل)، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2016.
- محي الدين تيتاوي: (البحث عن دستور دائم في السودان)، جريدة الشرق، 8 آيار/ مايو 2021م، شوهده في 13 آيار/ مايو 2021م، في :
<https://al-sharq.com/opinion>
<https://alghad.com/Section-204/>
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=284594>
- مارتن فان فليت وآخرون: "عمليات الاصلاح الدستوري والأحزاب السياسية"، إصدار المعهد الهولندي للديمقراطية متعددة الأحزاب، مركز الدراسات الافريقية، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، (السويد: يونيو 2012).
- الشفيع حنضر، "السودان: المؤتمر القومي الدستوري"، القدس العربي، 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2019م، شوهده في 13 آيار/ مايو 2021م، في :
<https://www.alquds.co.uk>
- أبكر محمد أبو البشر، العقد الاجتماعي الجديد، سلسلة قراءة من أجل التغيير (11)، (المجموعة السودانية للديمقراطية أولا، 2013م)، ص 39 .

International Crisis Group, Africa Report No. 194, 29 November 2012.

مشروع مجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية في ظل التحول الرقمي واستخدام الذكاء الاصطناعي

د. منال علام على عبد العال / رئيس الإدارة المركزية لإعداد القادة بالهيئة العامة لقصور الثقافة / مصر

المستخلص:

في ظل غزو الذكاء الاصطناعي، وإشكالية العالم الرقمي الذي يتجه إلى طمس الهويات الوطنية للشعوب وتذويبها وتمجيتها في ثقافة وهوية واحدة، أصبح علينا أن نتشبث بالقيم التراثية لكونها العمود الفقري لخصوصيتنا الثقافية ومكوناتنا الحضارية. لذا قمت هذه الدراسة بتقديم مقترح برنامج مجتمعي يهتم بغرس القيم وإنماء العقل لمعالجة الكسل الفكري وغياب الانتماء الثقافي ومخاطر الاندماج الاجتماعي من خلال طلبة كلية الاعلام والفنون التطبيقية وآداب قسم تاريخ والفنون الجميلة، للاستفادة من الجهود الإبداعية للشباب في وضع المحتوى لفكر الرؤية الاستراتيجية التي تقوم على دمج كل الموروثات الثقافية في خطة مستقبلية للتنمية الشاملة ومعالجة أزمة الحفاظ على الهوية وتعزيز فكرة المحافظة على الإرث الثقافي من خلال برامج متخصصة ولتحديد معالم الشخصية الوطنية للدولة على الصعيد المحلي وصورها الذهنية على الصعيد الخارجي.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التحول الرقمي، الذكاء الاصطناعي، الهوية التراثية، مشروع مجتمعي.

Abstract:

In the face of the invasion of artificial intelligence and the dilemma of the digital world, which tends to blur the national identities of peoples, dissolve them, and hybridize them into a single culture and identity, we must hold on to our heritage values as they are the backbone of our cultural uniqueness and our civilizational components. Therefore, this study aims to propose a community program that focuses on instilling values and developing the mind to address intellectual laziness, the absence of cultural belonging, and the risks of social integration. This will be done through the students of the College of Media, Applied Arts, and Department of History and Fine Arts, in order to benefit from the creative efforts of young people in shaping the content of the strategic vision, which is based on integrating all cultural legacies into a future plan for comprehensive development, and addressing the crisis of preserving identity and promoting the idea of preserving cultural heritage through specialized programs. This will also help in identifying the national character of the state at the local level and its mental image at the external level.

Keywords: Culture - digital transformation - artificial intelligence-Heritage identity - a community project.

المقدمة:

عرف العالم ثورة تكنولوجية غيرت مفهوم الثقافة ومحدداتها وكان للفضاء الافتراضي وشبكة الانترنت دور في تداحل الأنساق الثقافية والقيم الكونية وشجع على مضاعفة التواصل بين الأفراد.مختلف فناتهم وإثارة قضايا متعددة ومتنوعة في جميع المجالات وقد أسهم

المجتمع الشبكي في تغيير سيرورة بناء الهوية والعلاقات الاجتماعية بفعل تغيير السياقات الثقافية والقيم والمعايير المؤسسة لمفهوم الهوية (1)

يأتي الاهتمام بالتراث كأحد ملامح الحفاظ على الهوية التراثية فمن ليس له ماضٍ ليس له حاضر ولا مستقبل وقد شهدت الآونة الأخيرة تزايداً مضطرباً في التطور التكنولوجي في كافة مناحي الحياة .

وواقع أن الثورة التكنولوجية والثقافية وأن منحت للمجتمع معنى آخر فقد وضعتنا أمام صراع قوتين العولمة والهوية، وقد خلقت مجال الذكاء الاصطناعي قيم جديدة في المستقبل وهنا أصبح من الضروري أن نسعى لفهم واستيعاب قوة الذكاء الاصطناعي ونطاقه وقدراته وهل هو فرصة أم تحدٍ.

ومن ثم تحاول هذه الورقة البحثية تقييم هذه الحقبة الجديدة من الذكاء الاصطناعي التي من المرجح أن تؤثر على شتى جوانب مجتمعنا وتجربتنا على إعادة ضبط فهمنا لتأثير الذكاء الاصطناعي على حياتنا والقيم الأخلاقية التي تتبعها وما يسببه من غياب الانتماء الثقافي ومخاطر الاندماج المجتمعي فكثير من مظاهر الثقافة مهددة بالاندثار ومع الخوف من الانصهار في الثقافات الأخرى أصبح علينا أن نتشبث بالقيم لكونها العمود الفقري لخصوصياتنا الثقافية ومكوناتنا الحضارية في ظل إشكالية العالم الرقمي الذي يتجه إلى طمس الهويات الوطنية للشعوب وتزويبها وتمجيتها حتى لا تبقى إلا ثقافة وهوية واحدة ونجد أنفسنا قد وقعنا نحن تحت هيمنة ثقافة ليس بثقافتنا وإخضاعنا لحضارة لا تمت لنا بصلة (2)

الاحتفاظ بالهوية ليس فقط ضرورة نفسية للحفاظ على توازننا النفسي وليس فقط ضرورة اجتماعية لتماسك المجتمع في ضوء تشريعاته وقوانينه وعاداته وتقاليده إنما هو أيضاً الحافز على التقدم والتفوق في المستقبل وبالتالي يصير الحفاظ على الهوية ضرورة. الشباب جيل محظوظ يشهد ثورة تكنولوجية تغير العالم من حولهم، سنلقي نظرة على كيفية تكييف الشباب مع هذه التقنيات وكيف يمكنهم الاستفادة القصوى منها في تحقيق أهدافهم وتحقيق أهداف المشروع المجتمعي، ومن ضمن التقنيات التي سيتم تناولها هي الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي والتطبيقات الذكية وكثير من الابتكارات الأخرى التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة الشباب اليوم (3) فاستخدام التكنولوجيا بشكل مفرط قد يؤدي إلى إشكاليات مثل الكسل الفكري وتأثيرات سلبية على الصحة النفسية فيجب على الشباب الاستفادة من التكنولوجيا بشكل متوازن (4)

الشباب هم الفئة الأكثر استخداماً لهذه التقنية وتفاعلهم مع التطورات يظهر جلياً من خلال التعامل مع المحيطين بهم وهجرتهم إلى العالم الافتراضي وبالتالي كان لا بد من معرفة اتجاهات الشباب نحو الحفاظ على التراث وأيضاً معرفة الانعكاسات التكنولوجية خاصة

1- هدى كرمبلى، مارس 2022، الثقافة الرقمية ورهان الهوية الدينية عند الشباب عند الشباب المغربي، مجلة إنسانيات، عدد 95، من ص 77-100

2- هيام عبد الفتاح، سبتمبر 2017، التكنولوجيا الحديثة ودورها في حفظ وتحسين تراث المخطوط، مكتبة السلمانية باسطنبول نموذجاً، مجلة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التخصصية، مجلد 1، العدد 3

3- ربيع محمد على نوفل وآخرون، التراث كأحد أشكال تأصيل الهوية في الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة، دراسة تحليلية، المحلة العلمية للتربية النوعية والعلوم التطبيقية، كلية التربية النوعية- جامعة الفيوم- مصر

4- هدى كرمبلى، مرجع سابق

على الانتماء الثقافي عند هذه الفئة ، حيث أحدثت الثورة التكنولوجية تحولات جذرية في الهوية (1) ، لذا يقدم هذا البحث نتائج مشروع مجتمعي يعالج انعكاس التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي على الحفاظ على الهوية التراثية عند الشباب ومدى مساهمة أفراد هذا المشروع كفاعلين في الخروج بالتراث الرقمي .

أهمية البحث

- تعزيز الهوية التراثية من خلال القدرة على الاستمرار والتجدد الدائم والحوار النقدي الإيجابي مع المتغيرات الجديدة ومع الثقافات الأخرى.
- محاولة إدراك مفاهيم غياب الانتماء الثقافي ومدى تأثيرها على الهوية التراثية من خلال طرح المشروع مجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية.
- تزويد الشباب القائمين على المشروع بالخبرات والمعلومات المهتمة بالتراث وكل المتطلبات المشروع.
- المساهمة في تشكيل وجدان افراد المجتمع نحو الهوية التراثية.
- الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في الحفاظ على الهوية التراثية المصرية للعالم.
- الاستفادة من عولمة الثقافة المعاصرة في تصدير الهوية التراثية المصرية للعالم
- تسليط الضوء على معوقات أو سلبيات استخدام الذكاء الاصطناعي في معالجة أزمة الهوية.
- المساهمة في تشكيل وجدان الأطفال نحو الهوية التراثية وأفكار شبابية لمواجهة ضعف إلمامهم بثقافة أمتهم وتراثهم.

أهداف البحث

- عرض المفاهيم الفكرية والثقافية لموضوع أزمة الحفاظ على الهوية التراثية في ظل التحول الرقمي.
- التعرف على دور التحول الرقمي واستخدام الذكاء الاصطناعي في معالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية.
- تصميم نموذج مشروع مجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية
- توظيف الشباب في المشروع المجتمعي بما يخدم حل أزمة الحفاظ على الهوية.
- وضع خطط قانونية ومالية وإدارية تخدم حماية التراث.
- إنشاء مراكز وطنية تسعى لتدريب الأفراد على حماية تراثهم

مشكلة البحث

سيتم التركيز في هذا البحث على معالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية التي أصبحت في معظمها تتأثر بالتكنولوجيات الحديثة التي يعاني شبابها بما يمكن وصفه بالكسل الفكري أو غياب الانتماء فتضيع هويته التراثية في أزمة ومخاطر الاندماج الاجتماعي وتزيد بذلك من مشاكله وربما جعلته مصدرا للتهديد لذلك يتم التركيز على توعية الشباب لكونهم أكثر عرضة لأخطار التقدم التكنولوجي من جهة وأكثر قدرة لتوظيف إيجابيات التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي لخدمة الحفاظ على الهوية التراثية من جهة أخرى.

1 - بحمي خديجة، 03/06/2019 ، تأثير الإعلام الجديد على الانتماء الثقافي للشباب الجزائري دراسة ميدانية على عينه من شباب ولاية السلف، جامعة الجزائر

تحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيسي التالي :

ما هو المشروع المجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية في عصر التحول الرقمي؟

أسئلة البحث

1. ما طبيعة المفاهيم الفكرية والثقافية لموضوع أزمة الحفاظ على الهوية التراثية في ظل تطور التكنولوجيا؟

2. ما واقع التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي وانعكاساته على الهوية؟

3. كيف يمكن توظيف الشباب لصياغة مشروع مجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية؟

4. ما مدى الاستفادة من الأفكار المبدعة في معالجة أزمة الحفاظ على التراث؟

ولإجابة عن هذه الأسئلة وضعنا فرضيات أساسية:

- يفرض التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي منطقا جديدا في بناء الهوية التراثية .
- أصبح الشباب فاعلا في اختيار وتشكيل طرق الحفاظ على هويتهم.
- يقدم الشباب كل التصورات الجديدة والمبدعة لهويتهم التراثية في التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي.

منهج البحث:

- اتبع البحث الحالي المنهج الوصفي التحليلي في إطاره النظري بهدف معالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية في ظل التحول الرقمي، وعند الإجابة على أسئلة البحث
- يتبع المنهج شبه التجريبي لإجراء مشروع مجتمعي لمعالجة أزمة الحفاظ على الهوية التراثية وتشكيل وبناء أفكار مبدعة سهلة يمكن بها مخاطبة الجيل الجديد من الأطفال

مصطلحات البحث: الثقافة- التحول الرقمي- الذكاء الاصطناعي- الهوية التراثية- مشروع مجتمعي

- الثقافة:

"المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، والمعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل. هناك ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، للحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة، من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما يعزل حينا وينتشر حينا آخر(1)

- الهوية التراثية:

1 - إيمان علي كركي، أثر الرقمنة في الهوية الثقافية واللغوية، ضمن الثقافة والتحول الرقمي التحديات والفرص لجنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، جامعة دار الكلمة، بيت لحم فلسطين.

هي القاعدة الحضارية التي تقوم عليها المجتمعات وهو ما يربط الشعوب بماضيهم وإنجازاتهم من عادات وتقاليد وعلوم وآداب ومختلف أنواع الفنون ويشمل جميع الفنون الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات كما أنه أُرث من التحف المادية لمجموعة أو مجتمع موروثه من الأجيال السابقة والتي يتم الحفاظ عليها في الحاضر لبقائها للأجيال القادمة

- أزمة الهوية:

تمر الثقافة والهوية بتحديات كبرى ترتقي إلى وجود أزمة هوية ثقافية، ويمكن القول بأن التأثيرات الثقافية وارتفاع مستوى التعليم والتقدم التكنولوجي قوية جداً ومؤثرة، إن واحداً من محتويات مشكلة الهوية الثقافية هو التحضر (1)

- مفهوم التكنولوجيا:

التكنولوجيا تعني الاستخدام الأمثل للمعرفة العلمية وتطبيقها وتطويرها لخدمة الإنسان ورفاهيته، فهنا ينبغي التفرقة بين التكنولوجيا وما تخلفه من نتائج، وبهذه الطريقة يمكن التوظيف الجيد لطرق التفكير الحديثة بما يخدم الأمة العربية، وتفاذي سلبيات وسائل ونتائج التكنولوجيا (2)

- مفهوم الرقمنة "التحول الرقمي":

الرقمنة هي شكل من أشكال التوثيق الإلكتروني، حيث تتم عملية الرقمنة بنقل الوثيقة على وسيط إلكتروني، عرفها القاموس الموسوعي للمعلومات والتوثيق على أنها: "عملية إلكترونية لإنتاج رموز إلكترونية أو رقمية، سواء من خلال وثيقة أو أي شيء مادي، أو من خلال إشارات إلكترونية تناظرية، حيث يتم عن طريقها تحويل المعلومات من حالتها الحقيقية إلى شكل رقمي سواء كانت هذه المعلومات صور، بيانات نصية، ملف صوتي، أو أي شكل آخر (3)

- مفهوم الذكاء الاصطناعي:

هو مجال علوم الكمبيوتر المخصص لحل المشكلات المعرفية المرتبطة عادةً بالذكاء البشري، مثل التعلم والإبداع والتعرف على الصور (4)

- مفهوم مشروع مجتمعي:

الأعمال التي تعالج المشاكل الاجتماعية والبيئية فهي تخلق فرص عمل وتولد الدخل مثل غيرها من الشراكات (5)

الإطار النظري للبحث:

أولاً: الثقافة

الثقافة قدرة في إحداث التغيير والفعل المؤثر في حياة الفرد وهي تملك القدرة على قيادة التطوير في كل مجالات وهي قادرة أيضا على إنتاج الأفكار والرؤى والتصورات ونقد السلوك والأفكار التي لا تتلاءم مع حركة التقدم والمجتمع بما تقدمه له. إن الإنسان كفرض في

1 - سامح زينهم عبد الجواد، 2006، المكتبات والأرشيفات الرقمية، التخطيط والبناء والإدارة، شركة ناس للطباعة، مصر، ص. 46

2 - سامح زينهم، مرجع سابق

3 - ربيع محمد على، مرجع سابق

4 - <https://aws.amazon.com/ar/what-is/artificial-intelligence>

5 - <https://www.britishcouncil.org/programmes/society/SocialEnterprise>

المجتمع ينتج عالمه ويصنع تاريخه وينتج ذاته وإنتاج الذات هو الثقافة مع التأكيد أن الطابع الفردي للإبداع يتحول إلى ماهية اجتماعية ومجتمعية. إن الثقافة مهمة للفرد والمجتمع فهي للفرد تمكنه من اكتساب مقومات شخصيته واكتساب قيم واتجاهات وعادات وتقاليد ولغة أتماط وأساليب حياة مجتمعية وتحقيق هويته الوطنية والقومية وتحقيق أمانه وتطلعاته في الحياة وإشباع حاجاته الأساسية واكتساب قدرته على التفكير والإبداع والاختيار من بين البدائل المختلفة.

جوهر الثقافة الوطنية القومية هو الوعي التاريخي للعصر والواقع معا وإدراك حقيقي للأخطار والتحديات لأنهم من خلالها يتمكن من الإدراك الحقيقي للأخطار والتحديات ونستطيع أيضا قراءة الأفكار والآمال للمستقبل والإحساس بالمخاوف وقراءة التحديات. لتكون ثقافتنا ثقافة تقدمية تنهض بالمجتمع، وتأخذ بيده ليصل إلى أهدافه في الوحدة القومية والحرية والعدالة؛ لأن المضمون الثقافي لأمة تقدمية لا بد وأن يكون في استثمار كل من إمكانيات الأمة والنهوض بها يتطلب أن يشارك جميع أبنائها في هذا الفعل التقدمي وتحريك كل ما تختزنه الأمة من وعي وتاريخ وحضارة، من أجل أن تستعيد الأمة دورها الحضاري، الذي كان يشع على العالم برسالتها، إن أخطر ما يواجه الثقافة في إطار هذه التحولات يتمثل في تلك المحاولات التي تسعى لإزالة الحدود بين الشعوب وموروثاتها الثقافية تحت مسمى العولمة، واعتمادها على فلسفة التفكيك كمرحلة أولية، ثم على فلسفة المجتمع المفتوح في مرحلة تالية، والتي تفترض بدورها ذوبان الهوية الثقافية في إطار كل أكبر، والتقريب بين المتباعدات ومحو الفوارق، والانتصار لأفكار التعددية الواردة على حساب الهويات القومية التي تسعى لتوحيد الهوية أو على أقل تقدير اختيار الهوية المعيارية التي تلتف حولها الهويات الفرعية. العولمة ليست لسيطرة ثقافة على ثقافة بقدرها ما هي منشئة لنمط جديد من العلاقات يتميز بعناصر وآليات واستراتيجيات من نوع مختلف يمكنها أن تؤدي إلى الهيمنة وهنا تكمن المخاطر التي تهدد الهوية الثقافية لأي جماعة مستقلة فإذا فقدت هذه الجماعة تميزها الثقافي فقدت هويتها الخاصة التي تميزها واندمجت من غيرها⁽¹⁾

ولعل أشد تحديات العصر الرقمي، هي عولمة الثقافة، حيث “تفرض ثقافة أمة على سائر الأمم، أو ثقافة الأمة القوية الغالبة على الأمم الضعيفة المغلوبة، أي فرض الثقافة الأميركية على العالم كله، ووسيلته إلى هذا الغرض الأدوات والآليات الجبارة عابرة القارات والمحيطات من أجهزة الإعلام والتأثير بالكلمة المقروءة والمسموعة والصورة، والبث المباشر وشبكات المعلومات العالمية (الإنترنت) ويرى البعض أن العولمة الثقافية أخطر من العولمة الاقتصادية بل هي التي تمهد لها، “تحرث لها الأرض وتفتح لها الأبواب، وتسوق منتجاتها بين الشعوب حتى تسوغ عندها، بل تمواها وتركض وراءها.

التحديات التي أفرزها العصر الرقمي في الهوية الثقافية:

الغزو الثقافي والذي يظهر استمرار الآليات التي تحقق السيطرة وامتداد فعاليتها في شكل قوة تغلغل في مجتمعاتنا والتي تقف موقف الجمود أمام التغيرات التي تحدث التبادل اللامتكافئ بين العناصر الثقافية، إذ يكون التبادل أحادي الاتجاه مما يخلق مشكلة الخصوصية في ظل شمولية الاتصال. محور الشخصية الثقافية من طريق التشكيك بقيمة الثقافة، وإبراز وجهها السلبي، وإحياء الثقافات الغربية لكسر وجودنا الثقافي، وإبراز أزمة الهوية الثقافية، التبعية الثقافية من خلال اعتماد ثقافتنا على الثقافات الأخرى في إنتاج وتطوير ثقافتها،

1 - درة زرق العين، أهمية الرقمنة والتكنولوجيات الحديثة في إدارة التراث الثقافي والتعريف به، مجلة منير التراث ، العدد 11

وتمثل هذه التبعية في عدة مظاهر منها إحلال قيم وعادات وأماط سلوكية محل القيم السائدة في هذه المجتمعات، حيث تظهر التبعية في المجتمع التابع كمجتمع مهتم ومتناقض يسوده التفكك وعدم الأصالة⁽¹⁾

- إن الثقافة بهذه المواصفات دون شك ستجعل من إعدادنا للشباب في مستوى طموح احتياجاتهم في بناء أنفسهم وجعلهم أعضاء فاعلين ومؤثرين في مسيرة مجتمعهم وستكون مطمئنين على أن العرس التي تغرسه يؤتي أكله .

- اتجاه غرس الثقافة وباتجاه عمل تنسيقي بعضها من بعض حتى يكون هناك انسجام في العطاء والتأثير فاعلا ومؤثرا في قطاع الشباب من جهة أخرى.

الثقافة والتحديد

لم تعد الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الرائدة في تكوين الكيان الثقافي حيث يتجه الأفراد إلى إشباع رغباتهم الثقافية والاجتماعية من مصادر أخرى تتيحها التقنيات الحديثة مما قد يؤدي إلى اضطراب النسق القيمي للشباب حيث الصراع بين ما تربي ونشأ عليه وبين ما يراه ويسمعه، هذا الصراع يؤدي إلى اضطراب هويته ويفقده الإحساس بالهوية، فوجود الشباب مرهون بوجوده الثقافي .

تجديد الثقافة المصرية رهين بالرؤى الحرة، والفكر الخلاق المختلف، وتجاوز إشكاليات وأسئلة الماضي وإجاباته النقدية، وثنائياته الضدية، والتفكير المستقبلي الذي يستوعب التحولات الكبرى في عالمنا؛ وخاصة في مجال الذكاء الاصطناعي⁽²⁾

ولكي تكتمل الرؤية عن العلاقة بين الثقافة والتحديد لا بد من التطرق إلى دور العناصر الثقافية في عملية التحديد (المعرفة - الوعي - الموقف)⁽³⁾

الثقافة والشباب

إن الشباب طاقة خلاقة، وأي إهمال في ذلك، هو إهمال لمثل هذه الطاقة، وإضاعة فرص ثمينة لا يمكن تعويضها، والهدف من تثقيف الشباب هو العمل على مساعدتهم في حل مشكلاتهم ومواجهة المستقبل وتوسيع المدارك في التعامل مع التحديات التي ستكون في طريق مسيرتهم، وبالتالي ليكونوا أعضاء فاعلين ومؤثرين في خدمة المجتمع الذي ينتمون إليه .

إن علاقة ثقافة الجيل الصاعد بالتراث سوف تكون علاقة سريعة بعيدة عن العمق وبعيدة عن استيعاب الروح والمضامين الخفية للثقافة من حيث إن هناك احتمالات يمكن الإشارة إليها مثل تعميق موجات ثقافة العولمة والاقتراب منها أكثر لذا فالبحث يهدف إلى إمكانية توليد مفردات ثقافية وطنية قومية مبدعة لتطوير أنظمة معلومات وقواعد معلوماتية معاصرة تستند إلى رؤية ثقافية وبالتالي تحافظ على المرجعية الثقافية للأجيال في الإطار التاريخي للثقافة بما في ذلك المشاركة الفاعلة للتراث المسيحي في هذه الثقافة.

الثقافة العربية قد استطاعت أن تحفظ للأمة والمجتمع وحدته وتجانسه في السياق العام، مما يعني أن الثقافة العربية قادرة على أن تكون ثقافة العصر والنهضة والتقدم، وهو ما يتطلب أن نعبي شبابنا بمكونات الثقافة العربية ماضيها وحاضرها وطموحات المستقبل التي ننشدها ولكن من خلال عملية فرز وتنقية مما علق بها من سلبات الماضي وتقديم ما فيها من إيجابيات وما ينسجم مع الحاضر

1 - إيمان علي كركي، مرجع سابق

2 - ماجد الغرابي، الثقافة والتحديد ، 2017/4/10

3 - طرشاوي رقية ، 2023/12/30 ، ماهي أهمية التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الوطنية ، افاق فكرية (مجلة)

ومتطلبات المستقبل وسنكون مطمئنين على أن العرس الذي نغرسه يوتى أكله اتجاه غرس الثقافة وباتجاه عمل تنسيقي بعضها من بعض حتى يكون هناك انسجام في العطاء بين هذه المؤسسات وليكن التأثير فاعلا ومؤثرا في قطاع الشباب من جهة أخرى .

ثانيا: الهوية والتراث والهوية.

أ- مدخل إلى مفهوم الهوية:

الهوية جزء لا يتجزأ من نشأة وعقيدة الأفراد منذ ولادتهم حتى رحيلهم عن الحياة وساهمت وجود فكرة الهوية في التعبير عن مجموعة من السمات الخاصة للشخصيات والأفراد أن الهوية تصنف للفرد الخصوصية والذاتية كما أنها تعتبر الصورة التي تعكس ثقافته ولغته وحضارته وتاريخه وتساهم أيضا في بناء جسور من التواصل بين كافة الأفراد سواء داخل مجتمعاتهم أو مع المجتمعات المختلفة عنهم اختلافا جزئيا (1)

لأن الهويات أصبحت أداة للصراع ومتزلقاً نحو التطرف، وكثرت حالات اختزال الهوية في انتماء واحد يهدد العقد الاجتماعي ويدفع السلم المجتمعي إلى الهاوية.

وتعتمد الهوية على مصدرين أساسيين هما:

التراث: المصدر الثابت أو الجوهر الذي يشكل الأفكار الذهنية التي تقلب الشخصية النموذجية التي تنبثق منها الهوية.

المجتمع: الذي يشكل المصدر الثاني من الهوية الذي يؤثر تأثيرا كبيرا وفق صيرورة المجتمع وشروط تغيره الذاتية والموضوعية وأن الهوية تميز الفرد ذاته عن غيره أي تحديد حالته الشخصية (2)

العوامل المؤثرة على بناء الهوية:

توجد مجموعة من العوامل التي تؤثر على بناء الهوية عند الأفراد ومن أهمها:

المجتمع هو أول العوامل المؤثرة على بناء الهوية إذ يسهم المجتمع في بناء هوية الأفراد وتشكيلها بناء على طبيعة البيئة المحيطة بهم ويتأثر الأفراد بسلوكيات الأجيال السابقة لهم سواء في العائلة أو الحي أو المجتمع عموما وتسهم في بناء الهوية الفردية الخاصة بهم ومساعدتهم على فهمها بطريقة أوضح.

الانتماء هو الارتباط بالمكان الذي يعتمد على دور الهوية في تعزيز مفهومه إذ ينتمي الفرد للدولة التي يعيش فيها ويعتبر مواطنا من مواطنيها وله حقوق وعليه واجبات تنظمها أحكام الدستور (3)

كما تشكل الهوية الثقافية لأي مجتمع الإطار النفسي والفكري العام الذي يعبر عن وجوده الاجتماعي فلكل أمة من الأمم ثوابت تمثل القاعدة الأساسية لبنائها وفي طبيعة هذه الثوابت تأتي الهوية باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت وهي نتيجة للتفاعل بين مجموعة من العوامل الفكرية والمعرفية التي تحكم سلوك أعضائه وتوجه حركتهم وتحدد لهم مساراتهم المتعددة في الحياة ووعيهم

1 - د.ن الثقيات الحديثة وتأثيرها على الشباب، www.bskl.app

2 - المرجع السابق.

3 - المرجع السابق

وطبائعهم وأمزجتهم وتصوراتهم عن الكون والوجود ومعايير السلوك والنظام القيم واجب الاتباع من هنا تأتي أهمية التربية على الهوية أو التربية من أجل تعزيز الهوية الثقافية.

فالهوية الثقافية تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميول وقيم ونظرة إلى الكون والحياة أن هوية أي أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية ففضايا الهوية لم تعد تمررنا عقليا ولا ترفا فكريا بل تحولت إلى قضية محورية ملحة (1)

الهوية الثقافية وعلاقتها بالأصالة والمعاصرة:

أصبح الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية من أقوى التحديات المطروح علينا بشدة في عصر التحول الرقمي، وأصبح الخطر الأكبر على هويتنا الثقافية خصوصا نحن في زمن أصبح المشاهد يحق له الاختيار لما يشاهده أو يسمعه، فكلما كانت الثقافة أصلية صادقة في ارتباطها بجذورها وقيمها وتراثها الثقافي أصبح بإمكانها أن تضع ثقة في نفسها لمواجهة الاختراق الثقافي والوصول بثقافتها إلى النطاق العالمي الواسع، فالحديث عن أصلية الثقافة يجب الإشارة إلى أن هناك ثمة انفصام بين هويتنا وثقافتنا .

الهوية الثقافية في عصر العولمة:

لم تعد الهوية الثقافية في عصر العولمة مرتبطة بالقيم والمكونات الأخرى للثقافة في مفهومها التقليدي، فترسيخ العولمة في حياة الشعوب اليومية هو السبيل إلى تغيير الاتجاهات نحوها وبالتالي تبني قيمها والدفاع عن مواقفها وسياساتها وبالتالي فإن سيادة عصر العولمة سيادة ثقافة جديدة يراد لها أن تكون هجينا من التعدد والتنوع والتجانس في ظاهرها والهيمنة في حقيقتها مما يشكل تهديدا للثقافات المحلية ويفتح الطريق أمام هوية عالمية تتراجع أمام الهويات الوطنية وبالتالي فإن هويتنا أو ثقافتنا القادمة كما هو متوقع لها لن تكون بمثل ما كانت عليه بالأمس فلا بد في النهاية من الأخرط فيها .

تعد الهوية الوطنية البصمة التي تتميز بها سمات شعب عن شعب آخر، فلا يمكن فصل الهوية الوطنية عن عادات وتقاليد الشعوب وتحمل الهوية الوطنية العديد من القيم الأساسية التي تشكل المحركات الرئيسية لآراء وتوجهات الشعوب تجاه أوطانهم في ظل ما يسمى العولمة الاجتماعية تحت إطار الانفتاح والتبادل بين الثقافات (2)

فالقصور في الحفاظ على تراثنا وتنميته بالطرق الحديثة لدى الناشئين من الشباب المصري وغيرهم في المجتمع الخارجي يؤدي إلى وجود عديد من القضايا الاجتماعية والمشكلات الخلقية في المجتمع وأن الصورة الحالية لتلك المشكلات في المجتمع بصفة عامة وفي سلوك الطلاب بصفة خاصة يؤكد على أهمية الحاجة إلى وجود برامج للحفاظ على الهوية التراثية (1)

وفي هذا الصدد، من المفيد الإشارة إلى مواد الهوية الواردة في الدستور المصري، التي تنص على أن تلتزم الدولة بالحفاظ على الهوية الثقافية المصرية بروافدها الحضارية المتنوعة. وتضيف المادة الخمسون من الدستور ذاته أن تراث مصر الحضاري والثقافي المادي والمعنوي بجميع تنوعاته ومراحلها الكبرى، المصرية القديمة، والقبطية، والإسلامية، ثروة قومية وإنسانية، تلتزم الدولة بالحفاظ عليه وصيانته، وكذا

1 - المرجع السابق

2 - فهد خلف عبد العليم وآخرون، نوفمبر 2021، برنامج مقترح لتنمية منظومة القيم اللازمة للحفاظ على الهوية المصرية، المجلد 7، العدد 37 - الرقم المسلسل للعدد 37، الصفحة 781-817

الرصيد الثقافي المعاصر المعماري والأدبي والفني بمختلف تنوعاته، والاعتداء على أي من ذلك جريمة يعاقب عليها القانون، وتولى الدولة اهتماماً خاصاً بالحفاظ على مكونات التعددية الثقافية في مصر .

ب- التراث

إن الحفاظ على التراث وتوريته للأجيال القادمة يمثل هدفاً استراتيجياً يسعى البحث من ورائه إلى تقوية روابطه وصلاته مع تراث الآباء والأجداد مع الاهتمام بالهوية الوطنية وتعزيز عناصرها وتعميق مكوناتها وتكريس ممارستها وتحديث مبادئها (2) ولا شك في أن فكرة الحفاظ على تراث الوطني مردها عوامل أساسية عدة:

1. إن المعرفة بالتراث تشكل حافزاً للاهتمام بما يتضمنه من معطيات مادية ومعنوية وفي هذا الأمر تعزيز للهوية الوطنية وفي السياق نفسه فإن هذه المعرفة تركزى الشعور الخاص بهذه الهوية.
 2. الحفاظ على التراث حفاظاً على ثروة قومية غير خاصة بجيل بعينه بل هي حق لمختلف الأجيال ولذلك تصنف على إنها جزء من النفع العام.
 3. الإمكانيات الخاصة بالتوظيف الاقتصادي للتراث من خلال السياحة التراثية التي تمثل السياحة الأهم لدى العديد من الدول مقارنة بأنماط السياحة الأخرى وهو ما يصب في سبيل المزيد من تنوع مصادر الدخل القومي.
 4. يشكل التراث القناة الأساسية لنقل العادات والقيم والتقاليد من جيل إلى جيل ومن ثم فهو يضطلع بدور جوهري في الحفاظ على الخصوصية الثقافية وهو يمثل الذاكرة التاريخية للشعب
 5. تزداد أهمية الحفاظ على التراث خلال المرحلة الحالية مع تنامي ظاهرة العولمة وما تنطوي عليه من تحديات هائلة للثقافات المحلية تفرض ضروري التعزيز هذه الثقافات كضمانة لصون الشخصية القومية للدولة (3)
- إن مصر من البلدان القليلة في العالم التي تملك موروثاً ثقافياً وبصرياً فريداً بالشكل الذي يجعل من الصعب جداً أن تصبح هويتها شبيهة لغيرها لكن ما يتسم به العالم من ذوبان المجتمعات في بوتقة العولمة يعد مصدراً هاماً لاستيقاظ الوعي مستمداً من التراث الثري للحضارة المصرية بكل مكوناتها والاستفادة منها ومن دور الشباب في المجتمعات وقدرته على الوصول بسهولة وبساطة نقل الفكرة أو الرسالة وفي التعبير عن الأفراد والكيانات والمؤسسات بل ويصل بها إلى نطاقات عالمية لتأكيد نفسها وتأكيد هويتها بكل أنواعها وتحمل في طياتها رسائل تؤكد وتؤصل الهوية التراثية المصرية وفي ذات الوقت تحاول حمل رسالة الهوية التراثية المصرية وتأصيلها وخروج أفكار مبدعة للحفاظ على التراث (4)

أهمية الحفاظ على التراث الوطني:

1 - شريف كناعنة، 2011، التراث والثقافة والهوية، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، فلسطين

2 - وليد أحمد السيد، التراث والهوية والعولمة، مقاربات نظرية أساسية.

3 - المرجع السابق

4 - أحمد محمد عزمي، مايو 2023، دور الشعائر في الحفاظ على الهوية البصرية المصرية في عصر العولمة، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 8، العدد 39 - الرقم المسلسل للعدد 39، الصفحة 215-23

1. الحفاظ على التراث الثقافي يعتبر بمثابة النهوض والتطور المجتمعي ما ، حيث يتم الاحتفاظ بأصول وتقاليد الثقافة وتراث الأجداد وتطويرها بما يتلاءم مع تقنيات العصر الحديث.
2. يشكل التراث الثقافي هاتفاً للتعبير عن الشخصية الوطنية للبلاد وهو مصدر للإلهام للأجيال الحالية والمستقبلية.
3. يلعب التراث الثقافي دوراً في تعزيز التماسك الاجتماعي ونبتد التمييز والعنصرية ويساعد في بناء المجتمعات المتضامنة والمتكافئة.
4. يعتبر التراث الثقافي مصدر مهم للاقتصاد إذ يتم تطوير سياحة الحضارية من خلال رحلات السفر والزيارات السياحية التي يركز عليها السياح (1)

ليست القضية هي "تجديد التراث" أو "التراث والتجديد" لأن البداية هي «التراث» وليس «التجديد» من أجل المحافظة على الاستمرار في الثقافة الوطنية، وتأسيس الحاضر، ودفعه نحو التقدم، والمشاركة في قضايا التغيير الاجتماعي، التراث هو نقطة البداية كمسئولية ثقافية وقومية، والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر؛ فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة (2)

ومن أهم طرق حافظ الأفراد على التراث:

من أهم طرق حفاظ الأفراد على التراث تعريف النشء الجديد به في المدارس ومنذ الصغر؛ من خلال الطرق المناسبة التي تتناسب مع كافة المراحل العمرية، بالإضافة إلى دور الأهل في البيت، وحفظ التراث يستلزم من الأفراد النظر إليه باعتباره مكوناً مهماً وأساسياً من مكونات شخصياتهم، وأنه نيراس المستقبل .

واجب الدولة في حفظ التراث:

اتخاذ الدولة لبعض التدابير التي تضمن الحفاظ على التراث وتطويره، حيث أصبح ذلك حاجة ملحة في عصرنا الحالي، من خلال تطوير البحوث والدراسات العلمية والتقنية التي تجعل من الدولة قادرة على مواجهة الأخطار التي قد تهدد تراثها، بالإضافة إلى اتخاذ التدابير القانونية والمالية والإدارية بغية تحديد هذا التراث وصيانه ومتابعته مع تشجيع البحث العلمي في هذا المجال، كما يجب عليها أيضاً تخصيص المؤسسات وتزويدها بالكوادر اللازمة لأسباب عرض التراث وحفظه وحمايته (3)

ج- العولمة:

العولمة ظاهرة تقوم على إلغاء الحدود وتذويب الفروقات الثقافية بين الشعوب المختلفة ويصفها البعض بأنها طامة عامة تقوم بابتلاع الحجر والشجر والبشر (4)

1 - فهد خلف عبد العليم وآخرون، مرجع سابق

2 - حسن حنفي، 1980، التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، مؤسسة هندواي

3 - فهد خلف عبد العليم وآخرون، مرجع سابق

4 - وليد أحمد السيد، مرجع سابق

فالعولمة لم يكن بالإمكان تقديمها للعالم لولا عاملين معاصرين يشكلان أسس العالم التكنولوجي المتطور اليوم: الأول هو وسائل الاتصالات السريعة من مواصلات وانترنت وفضائيات وغيرها، والعامل الثاني وهو الأهم هو انبهار الأمم بتسارع التكنولوجيا وبالعالم الغربي ونظامه على وجه الخصوص حتى غدا العالم منقسما إلى معسكرين: شرقي متأخر وغربي متطور .

والعولمة بهذا الإطار إنما هي استعمار خفي مقنع يحقق ذات المكاسب الاستعمارية بطرق مختلفة. فإغراق الأسواق المحلية بسلع العولمة وأفكارها لا يختلف بتاتا عن نهب مقدرات الأمة الذي مارسه الاستعمار تقليديا. وتقدم الخبرات الأجنبية في مقابل الخبرة المحلية لا يختلف مطلقا عما قدمه الاستشراق سابقا من تزيم للمفاهيم المحلية في مقابل (وهم عظمة) المستورد والأجنبي. وبذا عاش التراث لمحلي يتيما بين أهله في مقابل الترف والدلال الذي حظي به الآخر الذي تم تقديمه كنموذج معاصر صالح متطور (1)

العلاقة بين العولمة والهوية الوطنية:

العلاقة بين العولمة والهوية الوطنية هي علاقة عكسية لأن لكل طرف من طرفي العلاقة أهدافا تتعارض مع أهداف الطرف الآخر في ظل سعي العولمة إلى عولمة حقوق الإنسان وعولمة الثقافة وعولمة المعرفة وعولمة الثورة العلمية التقنية في مقابل تحطيم كل قواعد الهوية الوطنية للمجتمعات وهو ما يستدعي مواجهة سلبيات العولمة أو وجهها السيء تجاه ما يدور حولها من مواءمات عالميا تعمل جاهدة لتدمير الهوية الوطنية.

مفهوم الاغتراب الاجتماعي يشير إلى فصل الشعب عن هويته الوطنية واستبدال الهوية العالمية بها وهو داخل حدود وطنه وذلك باستخدام الوسائل المتنوعة التقليدية والتكنولوجية لثبث الأفكار الهدامة مما يؤدي إلى ارتفاع معدل الجريمة التي تنعكس تلقائيا على القيم الوطنية حيث يدمر الشخص أبناء وطنه ويخون وطنه إما بحثا عن الثراء السريع أو غيره من إغراءات تنعكس سلبا على مقدرات ومكتسبات الوطن.

ثالثا: التكنولوجيا الحديثة (التحول الرقمي - الذكاء الاصطناعي)

يمكن للتكنولوجيا أن تساعد في جعل عالمنا أكثر إنصافا وأكثر سلما وأكثر عدالة. ويمكن للإنجازات الرقمية أن تدعم كل هدف من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر وأن تعجل بتحقيقه ولكن التكنولوجيا يمكن أيضا أن تهدد الخصوصية وأن تؤدي إلى تقلص الأمن وتفاقم عدم المساواة، وتنطوي على آثار بالنسبة لحقوق الإنسان وفعالية دوره. وعلينا أن نختار الكيفية التي نستفيد بها من التكنولوجيات الجديدة ونديرها.

هذا التطور السريع في العالم الرقمي يحمل الباحثين والمفكرين مسؤولية إعداد الناس من الناحية الفكرية والتصورية للتحول الرقمي بأمان وبأقل الخسائر. إذ إن دور المفكر اليوم تمليك الإنسان المؤهلات والوعي والحصانة التي تكفل له الفوز في تحدي التحول الرقمي. كما ينتظر من التحول الرقمي أن يزيد من قوة الابتكار، ويفتح الفرص لوظائف جديدة تتعلق بالمهارات التقنية في أفق تجويد خدمات الشركات والمؤسسات، وتحسين التواصل بين الدولة والمواطن، واستطاعت الثورة الرقمية أن تجعل التكنولوجيا فاعلة. (2)

1 - المرجع السابق

2 - حسن حنفي، مرجع سابق

موضوع التكنولوجيا اليوم لم يعد مرتبطاً بمدى تقبلها أو رفضها بقدر ما أصبح مرتبطاً بقياس مدى توظيفها في مختلف المجالات الحياة اليومية للمواطنين لما لها من دورها تسهم في بناء تقوية الهويات المختلفة وتنتج روابط معقدة بين القيم والمصالح .

يتأثر الشباب في عصرنا الحاضر بما تقدمه التكنولوجيا الحديثة من خلال القنوات الفضائية ومواقع الانترنت ومن خلال الهواتف المحمولة ومن مختلف البرامج كما أنه أصبح يقلد كل ما يشاهده عبر الوسائط من سلوكيات وعادات وتقاليده سواء كانت مفيدة أو مضرّة وذلك تحت شعار التفتح على الآخر ومواكبة التطورات التكنولوجية وما نشاهده اليوم في واقعنا دليل على مخاطر وسلبيات، فالتحدي المطروح بشدة حالياً يتمثل في كيفية التعامل مع التطور التكنولوجي توجهه آلاف القنوات التلفزيونية وملايين المواقع الالكترونية الغربية تبت سمومها بكل سهولة للشباب دون رقيب مشكلة تهدداً حقيقياً على الهوية الثقافية والتراثية للشباب فهو يعيش حالة من الإدمان من محتوى هذه القنوات والمواقع فهي تجعله يمرور الوقت مقتنعاً بالفكر الغربي وأسلوب الحياة الغربية (1)

التقدم التكنولوجي والابتكار:

التكنولوجيا ليست مجرد أداة للتواصل بل هي أيضاً وسيلة للتعبير الفني والإبداع يمكن للأشخاص إنشاء المحتوى ومشاركته عبر وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات الإنتاج الإبداعي.

على الجانب الاقتصادي توفر التقنية فرصاً لريادة الأعمال وإنشاء شركات ناشئة بسهولة أكبر يمكن للأفراد الآن تطوير تطبيقات ومنتجات جديدة وتسويقها عبر الإنترنت. والتقدم التكنولوجي والابتكار يمكن أن يكون لهما انعكاس كبير على النمو الاقتصادي والاجتماعي وهذه بعض الانعكاسات الرئيسية- :

- **زيادة الإنتاجية :** يساعد التقدم التكنولوجي على زيادة إنتاجية العمال والشركات فمثلاً في مجال الصناعة تمكن الأتمتة والتحسينات التكنولوجية من تصنيع المزيد من المنتجات بجودة أفضل وبتكلفة أقل.
- **تحسين جودة الحياة:** يمكن التقنيات الحديثة تحسين جودة حياة الأفراد على سبيل المثال تطبيقات الصحة واللياقة تساعد الأشخاص على العناية بصحتهم ومتابعة تقدمهم بسهولة.
- **توسيع الوصول:** يمكن للتكنولوجيا أن توفر الوصول إلى المعلومات والخدمات للأفراد في مناطق نائية أو منعزلة على سبيل المثال الإنترنت يمكنه أن يوصل المعرفة والتعليم إلى أماكن لم تكن متاحة من قبل.
- **تحفيز الاقتصاد :** يمكن للابتكار والتكنولوجيا أن يدعموا النمو الاقتصادي عبر خلق وظائف جديدة وفرص استثمارية للشركات التقنية تسهم بشكل كبير في تنشيط القطاع الاقتصادي.
- **الاستدامة:** يمكن للابتكار التكنولوجي أن يسهم في تحسين الاستدامة البيئية من خلال تطوير تكنولوجيات نظيفة والتحكم في استهلاك الموارد.
- **التميز العالمي:** يمكن للبلدان التي تستثمر في البحث والتطوير أن تحقق تفوقاً تنافسياً على الصعيدين الوطني والدولي من خلال التقدم التقني.

1 - سامح زيهيم عبد الجواد، 2006، المكتبات والأرشيفات الرقمية، التخطيط والبناء والإدارة، شركة ناس للطباعة، مصر، ص.46

- تحسين الخدمات الحكومية: يمكن للحكومات استخدام التكنولوجيا لتحسين تقديم الخدمات العامة مثل الصحة والتعليم والنقل.
- تمكين الابتكار: يمكن للتكنولوجيا أن تمكن الأفراد والشركات من تحقيق أفكار جديدة وابتكارات مما يساهم في تطوير السوق وتنويع العروض.

- توجيه التطور: يمكن الابتكار أن يوجه التقدم التكنولوجي نحو حلول المشكلات المجتمعية محددة مثل الحفاظ على التراث على الرغم من هذه الفوائد يجب أن يتم التعامل مع التقنية بحذر للتأكد من أنها لا تؤدي إلى تفاقم الفوارق الاقتصادية والاجتماعية ويجب أن تتوافق مع القوانين والأخلاقيات المجتمعية (1)

التحول الرقمي:

إن التأمّل انتشار ظاهرة التحول الرقمي في العالم يبدو له جلياً أن هذا التحول ماضٍ شئنا أم أبينا، كما تؤكد ذلك سرعة انخراط الناس في الشبكة العالمية الإنترنت رغم كل العوائق، ومن هنا يؤكد هذا البحث على ضرورة رقمنة التراث الثقافي والذي يقصد بها نقل المؤلفات التي انتقلت ملكيتها إلى المجال العمومي من رفوف المكتبات الواقعية إلى الرفوف الافتراضية لما تتيحه الأقراص المدججة وأقراص التخزين المحمولة وأجهزة الكمبيوتر وشبكة الانترنت من سعة تخزينية هائلة وسهولة في التداول وإمكانية لاستنساخ العمل إلى ما لا نهاية وتشمل رقمنة التراث لحفظ الموروث الإنساني من تراث مادي وتراث لا مادي عبر أحدث التقنيات التكنولوجية متعددة الوسائط ليصبح متاحاً إلى الجميع عبر الانترنت وذلك مواكبة لتطور تكنولوجيا المعلومات (2)

ثورة الذكاء الاصطناعي:

إن الجمع بين الذكاء الاصطناعي والحفاظ على الثقافة يمثل بارقة أمل في الحفاظ على تراثنا الإنساني المشترك، إن هذه التقنيات المتطورة مع قدرتها على استعادة وتوثيق وحماية القطعة الأثرية الثقافية لضمان قدرة الأجيال القادمة على الاستمرار في الإعجاب بعجائب ماضيها حيث أصبح الذكاء الاصطناعي بالفعل حليفاً قيماً في حماية النسيج الفريد للثقافة الإنسانية و اكتشاف الحضارات المفقودة وإعادة كتابة كتب التاريخ.

يلعب الذكاء الاصطناعي دوراً فعالاً في التنبؤ بآثار تغيير المناخ على المواقع الثقافية والتخفيف من آثارها فهو يساعد في مراقبة العوامل البيئية مما يتيح التدخل في الوقت المناسب لحماية الهياكل والتحف، مع تعزيز إمكانية الوصول لحلول تجعل التراث الثقافي في متناول الأشخاص ذوي الإعاقة على سبيل المثال يمكن للذكاء الاصطناعي تقديم أوصاف صوتية للأعمال الفنية أو ترجمة النصوص التاريخية إلى طريقة برام، وفي حين يقدم الذكاء الاصطناعي حلولاً واعداً فإنه يطرح أيضاً تحديات واعتبارات أخلاقية وتشمل هذه المخاوف المتعلقة

1 - منال ماجد، الحفاظ على التراث: كيف نحافظ على تراثك - <https://www.ts3a.com/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%81%D8%A7%D8%B8>

/%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB

2 - ماجد الغراوي: مرجع سابق

بخصوصية البيانات والتحيز في الخوارزميات وخطر تقليل المشاركة البشرية في جهود الحفاظ على الثقافة ويظل تحقيق التوازن بين الأمتة التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي والخبرة البشرية أمرا بالغ الأهمية (1)

من الممكن إدارة مخاطر الذكاء من خلال التعاون والحوار بين جميع أصحاب المصلحة المرتبطين أو المتخصصين بالذكاء الاصطناعي، بما في ذلك الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني والأكاديميين والخبراء والمستخدمين، فكل ذلك سيساعد في تبادل المعرفة والخبرات والأفكار، وفي تحديد الفرص والتحديات والحلول المشتركة، وفي تعزيز الثقة والشفافية والإبداع. كما سيسهل هذا التوافق على استراتيجيات وطنية أو إقليمية أو دولية لضبط استخدام الذكاء الاصطناعي من أجل مسارات آمنة للتنمية المستدامة. (مواجهة مخاطر الذكاء الاصطناعي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة)

رابعا: مشروع مجتمعي توافقي (من فات قديمه تاه)

(من إعداد الباحثة)

هذا المشروع يقدم طرق استخدام التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي في الهوية التراثية تأكيد وظهور المحتوى جديد لمفهوم التراث الرقمي من خلال مجموعة من الشباب كفاعلين في إنتاج التراث الرقمي بأفكار وإبداعات وخطط واجراءات يتم تنفيذها بطريقة سهلة وبمبسطة وفهمها من جانب كل أطراف المجتمع.

مع التركيز على ثلاثة عناصر:-

الفاعل / الشباب الفاعل في الثقافة والتراث وأشكال تقديم الأفكار المبدعة وعرض الذات.

الوضعية / التي تعكس مواقف الشباب.

الدور / يكشفها سلوك الفاعلين والذي يجب أن يتلاءم مع الوضعية.

مشروع / يهدف إلى بلورة رؤى جديدة تعالج معها أزمة الهوية التراثية والتحويلات في عالمنا وإعادة دمج التقافي في سياسات ومناهج

التعليم مشروع مجتمعي يمثل تحديا حقيقيا للأمن الاجتماعي والثقافي

مشروع ملهم لتعزيز الابتكار، يلهم المبدعين والمبتكرين من الشباب في مجالات متعددة لإعادة ابتكار الثقافة المعاصرة الرقمية وتطويرها

بطرق تتيح الماضي أن يتفاعل مع الحاضر بطرق مبدعة ومبتكرة

يحتاج المشروع إلى تكوين شراكات مع الجامعات المختلفة لتكوين فريق واحد من كليات الفنون التطبيقية وكلية الفنون الجميلة وكلية

الإعلام وكلية آداب قسم تاريخ ولغة عربية وكلية آثار وأكاديمية الفنون.

الفئة المستهدفة: الشباب، لأن هذه الفئة نشيطة جدا ويقضون جزء كبيرا من وقتهم في شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي مما

يصعب في الفصل بين حياتهم الافتراضية وحياتهم الواقعية.

1 - غالب الفريجات، العولة والهوية في الثقافة، وزارة الثقافة

يعد تحديد الفريق من المشاركين والمشاركات يتم المقابلة بهدف تبادل المعرفة وتعزيز الوعي من خلال تنظيم لقاءات حوارية تفاعلية يتم فيها التطرق إلى العديد من المواضيع ذات العلاقة بتأثير التكنولوجيا المتقدمة في تشكيل أفكار إبداعية في مجال أزمة الحفاظ على الهوية التراثية.

مضمون المقابلة: استعراض مختلف الجوانب المتعلقة بالمستقبل والمبادرات وطرح كل المعلومات حول تلك القضايا التي يجب حلها والتي يجب على كل مجموعة معرفتها قبل البدء في المشروع المجتمعي وهي كالآتي:

1. كيف يمكننا مساعدة المجتمع على التغلب على أزمة الحفاظ على الهوية إذا كنا لا نعرف ماضيها أو لم نذكره بأنه كان قادرا على المضي في الأوقات السابقة.
2. ما هو واقع الهوية التراثية في ظل العصر الرقمي.
3. ما هي الأسباب لتخطيط المشروع مجتمعي واضح وواعي للتنمية.
4. ما التحديات التي واجهت الهوية التراثية في ظل التحول الرقمي.
5. كيف يوفر جانب اقتصادي أيضا في حل أزمة من خلال الاستفادة من نقاط القوة.

مخرجات اللقاءات مع الشباب:

توضح ضرورة بناء العقد الاجتماعي وهو ما يجمع المواطنين تحت غطاء قانوني واحد وهذا الغطاء يستوعب الجميع. وبهذه الطريقة سيشاركون في تنمية وتطوير الوطن وليس في تخريبه مهما زادت مطالب التحريض له سواء من داخل أو الخارج مع تحقيق الاندماج الاجتماعي وتحسين الأمن الهوياتي.

مع توضيح الفرق بين الغزو الفكري والاحتكاك الثقافي، من خلال المحافظة على الخصوصية الثقافية وهذا لا يعني الانغلاق أمام فهم الثقافات الأخرى أو الانطواء على الذات .

وتوضيح أزمة الهوية التي ازدادت بوجود الثقافة الاستهلاكية التي أحدثت شرخا بين فئات المجتمع، فأزمة الهوية والتناقضات والتعدد الثقافي بحاجة لنقاش أكاديمي موضوعي ومساهمة مستمرة لجميع الفئات دون إقصاء لإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل المترتبة على تلك الأزمة.

سياسات المشروع:

- نقول للجميع نرغب في طرح جديد ونحن معكم،— نرغب في مخرجات داعمة لأداء تشاركي مجتمعي للجامعات لصالح التركيز على دور التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي لإنشاء متاحف ذكية ومكتبات رقمية للمحافظة على النسخ الأصلية بصوره رقمية من خلال استعمال تقنيات متعددة وكل ما لديها من موارد من أجل هذه الغاية.
- الترويج للثقافات والفنون وتسهيل وصولها لجميع أطياف المجتمع وفئاته وتعزيز وصوله إلى شرائح مجتمعية جديدة
- توفر التكنولوجيا فرصة جديدة في المعرفة والثقافة والإبداع وتفتح آفاقا أمام المبدعين والفنانين لزيادة إنتاجيتهم.
- خلق مشروعات تنموية تستطيع أن تحدث فارقا لصالح أصحاب المهارات من الحرفيين المصريين الشباب.

- إبراز الهوية الوطنية والحفاظ على خصوصية المجتمع مرتبطة بتراث الأمة ومدى الحفاظ عليها بالإضافة إلى دور التكنولوجيا.
- دمج حماية التراث في برامج شاملة وإعطاء التراث الطبيعي والثقافي أهميته على أكمل وجه وتوظيفه بشكل فعال في المجتمع.
- إعداد خدمات تهدف إلى حماية التراث وعمل أنشطة تهدف إلى عرض وتقديم التراث إلى الأفراد.
- إنشاء مراكز وطنية أو إقليمية تسعى لتدريب الأفراد على حماية تراثهم.
- وضع خطط علمية ومالية وإدارية تخدم حماية التراث والحفاظ عليه ونقله من جيل آخر.
- الحرص على وضع دستور بيئي الذي يساعد في الحفاظ على التراث المعماري.
- عقد مجموعة من ورش العمل تناقش المفاهيم الفكرية للتصدي للكسل الفكري وغياب الانتماء الثقافي ومخاطر الاندماج الاجتماعي ومدى تأثيرها على الهوية التراثية من خلال طرح الواقع الحقيقي لتلك المتغيرات المفاهيمية وتحديدها.
- دعم للإبداع وتشجيع التبادل والأعمال الإبداعية في تحسين السياسات الداعمة للثقافة والفنون وتفعيل دور الفن والثقافة في تغيير المجتمع.
- إنشاء مساحات ثقافية مشتركة يقودها الشباب والمتطوعين من خلال إعادة التأهيل والتدريب الأمر الذي يخلق مجال ونقل المجتمع الاستهلاكي الرقمي للثقافة إلى مجال تعزيز بناء الهوية الرقمية من خلال الشباب

مخرجات المشروع:

يجسد مخرجات المشروع المجتمعي في:

- أن يكون المنتدى المعرفي الأول لصناع الغد والساعي إلى تزويد قادة المستقبل بالمهارات اللازمة لمواكبة التطورات المتسارعة.
- أداء تشاركي مجتمعي لطلاب الجامعات لتفعيل دور الجامعة في الحفاظ على قيم المجتمع وإثراء وعي أفرادها والارتقاء بذوقه الفني.
- حماية الهوية التراثية من خلال إنتاج أعمال فنية تخلد ذكرى التاريخ الوطني للدولة المصرية وترسخ قيم الوطنية والأخلاق والأفكار البنائة لتكون سلاحاً مؤثراً في تشكيل فكر الشباب وقناعاتهم ويتمثل في محورين رئيسيين :
- يتمثل المحور الأول في دور الفن في مجابهة العادات الفاسدة الدخيلة على الشعب المصري أما المحور الثاني للفن فيتمثل في تخليد أدوار الرموز الوطنية وحماتها من التهميش أو النسيان لتعليم النشء وترسيخ الأعمال الوطنية في عقول الشباب ليكون واعين بتاريخ مصر على مر العصور.
- الاستفادة من التجارب الدولية في العديد من الخطوات مع الاستفادة من المدارس والنوادي والمساحد والكنايس في فترة العطلات الدراسية لجذب الأطفال لتنمية الهوايات وبناء شخصيتهم تحديداً في الأعمار من سن ثلاث سنوات إلى سن 15.
- المحور الثاني: تدشين يوم مصري (يوم الهوية التراثية) لتكريم العباقرة والمفكرين من الشباب المصري وذلك من خلال تفعيل دور مراكز الشباب وقصور الثقافة وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر والشباب المصري لتوجيه طاقة الشباب لتنمية هويتهم الوطنية وتكريمهم من خلال مسابقات في كل المجالات ليشعر الشباب بمدى اهتمام الدولة بنشاطهم ودورهم في الوطن.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد محمد عزمي، مايو 2023، دور الشعار في الحفاظ على الهوية البصرية المصرية في عصر العولمة، مجلة العمارة الفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 8، العدد 39 - الرقم المسلسل للعدد 39 ، الصفحة 215-23
2. أسماء الدسوقي أمين محمد، المتغيرات المفاهيمية للغزو الثقافي على الشرق الأوسط وأثرها على فن الرسم المصري المعاصر. بحوث في التربية الفنية والفنون، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، المجلد 21، العدد 3
3. إسلام الزبون، أثر التكنولوجيا على المجتمع، <https://mawdoo3.com/>
4. إيمان علي كركي، أثر الرقمنة في الهوية الثقافية واللغوية، ضمن الثقافة والتحول الرقمي التحديات والفرص لجنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، جامعة دار الكلمة، بيت لحم فلسطين.
5. حسن حنفي، 1980، التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، مؤسسة هندواي
6. خالد صلاح حنفي محمود ، انعكاسات التحول الرقمي على التقاليد والهوية، ضمن الثقافة والتحول الرقمي التحديات والفرص لجنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، جامعة دار الكلمة، بيت لحم فلسطين.
7. درة زرق العين، أهمية الرقمنة والتكنولوجيات الحديثة في إدارة التراث الثقافي والتعريف به، مجلة منبر التراث، العدد 11
8. دن العولمة الثقافية .. اختراق الهويات، 2020/9/24
9. دن التقنيات الحديثة وتأثيرها على الشباب، www.bskl.app
10. ربيع محمد على نوفل وآخرون، التراث كأحد أشكال تأصيل الهوية في الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة، دراسة تحليلية، المحلة العلمية للتربية النوعية والعلوم التطبيقية، كلية التربية النوعية- جامعة الفيوم- مصر
11. سامح زينهم عبد الجواد، 2006 ، المكتبات والأرشيفات الرقمية، التخطيط والبناء والإدارة، شركة ناس للطباعة، مصر، ص.46
12. سمير بن عياش، من 10-11 أكتوبر 2017م، التكنولوجيا وأثرها على الهوية الثقافية للشباب العربي، المؤتمر العلمي الثالث لعلوم المعلومات، اقتصاد المعرفة والتنمية الشاملة، للمجتمعات الفرص والتحديات
13. شريف كناعنة، 2011، التراث والثقافة والهوية، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، فلسطين
14. فهد خلف عبد العليم وآخرون، نوفمبر 2021، برنامج مقترح لتنمية منظومة القيم اللازمة للحفاظ على الهوية المصرية، المجلد 7، العدد 37 -الرقم المسلسل للعدد 37، الصفحة 781-817
15. طرشاوى رقية، 2023/12/30 ، ما هي أهمية الارث الثقافي في الحفاظ على الهوية الوطنية ، افاق فكرية (مجلة) Volume 11, Numéro 2, Pages 30
16. غالب الفريجات، العولمة والهوية في الثقافة، وزارة الثقافة
17. ماجد الغرابوى، الثقافة والتجديد، 2017/4/10
18. منال ماجد، الحفاظ على التراث: كيف تحافظ على تراثك <https://www.ts3a.com/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%81%D8%A7%D8%B>

- 8-%D8%B9%D9%84%D9%89-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB/
19. منصور الجنادي، الإثنين 03-07-2023 ، ارجوكم لاتحافظوا على الهوية
<https://www.alarabiya.net/politics/2023/07/19/%D8%A3%D8%B1%D8%AC%D9%88%D9%83%D9%85-%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D9%88%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF-%D9%85%D8%AB%D8%A7%D9%84%D9%8B%D8%A7>
20. نبيل عبد الفتاح يناير 2024، التجديد الثقافي والتنمية ملاحظات حول التاريخ الثقافي المصري في عالم متغير، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية
21. هدى كريملي، مارس 2022، الثقافة الرقمية ورهان الهوية الدينية عند الشباب عند الشباب المغربي، مجلة إنسانيات، عدد 95، من ص 77 - 100
22. هيام عبد الفتاح، سبتمبر 2017، التكنولوجيا الحديثة ودورها في حفظ وتحقيق تراث المخطوط، مكتبة السلیمانية باسطنبول نموذجاً، مجلة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التخصصية، مجلد 1، العدد 3
23. وليد أحمد السيد، التراث والهوية والعولمة، مقاربات نظرية أساسية.
24. يحيى خديجة، 03/06/2019 ، تأثير الإعلام الجديد على الانتماء الثقافي للشباب الجزائري دراسة ميدانية على عينة من شباب ولاية الشلف، جامعة الجزائر
25. ياسر هاشم الهياحي، التراث والهوية من ضيع تراثه ضاع
26. <https://rs.ksu.edu.sa/issue-1319/9145>
27. <https://aws.amazon.com/ar/what-is/artificial-intelligence/>
28. <https://www.britishcouncil.org/programmes/society/SocialEnterprise>

طبيعة ادارة الدبلوماسية الموازية في الانظمة الفيدرالية : اقليم كردستان العراق نموذجا

أ.م.د. بدرية صالح عبد الله/ جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية

المستخلص:

تم تطبيق الفيدرالية في العراق بعد العام ٢٠٠٣ لإقليم كردستان باعتباره نموذج لتطبيق الدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية) و دورها في تعزيز قوة وقدرة الاقليم ، خاصة وان القانون الدولي العام لا يعارض قيام الاقاليم والولايات بإبرام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بصورة عامة ، واعتراف الدستور الفيدرالي لهذه الوحدات بحق القيام بهذه الاختصاصات ضمن الصلاحيات المنصوص عليها في الدستور ، وطبقاً للدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ والمواد الدستورية فيه التي أكدت على اختصاصات الاقاليم والحق في إبرام المعاهدات والاتفاقيات الدولية مع الدول والمنظمات الأجنبية في مجالات عديدة منها الائتمانية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية على أن لا تمس سيادة الدولة العراقية ، وقد نجحت حكومة اقليم كردستان العراق في ممارسة البارادبلوماسية بشكل جيد بالرغم من انه هناك بعض الإخفاقات والتي ترجع الى المواد الدستورية التي تحصل حالة الخلط و الدمج بين السلطات ما بين الأقاليم والولايات لأن الأقاليم تدار بالمركزية بينما تدار المحافظات باللامركزية .

الكلمات المفتاحية : الدستور العراقية ، الدبلوماسية الموازية ، إقليم كردستان

Abstract:

Federalism was implemented in Iraq after 2003 for the Kurdistan region as a model for applying parallel diplomacy (paradiplomacy) and its role in enhancing the strength and capacity of the region, especially since public international law does not oppose the regions and states concluding international agreements and treaties in general, and the federal constitution recognizes these units' right to carry out these functions within powers stipulated in the Constitution .

In accordance with the Permanent Iraqi Constitution of 2005 and the constitutional articles that emphasized the powers of the regions and the right to conclude international treaties and agreements with foreign countries and organizations in many areas, including economic, social and cultural development, provided that they do not affect the sovereignty of the Iraqi state.

The Kurdistan Regional Government of Iraq has succeeded in practicing paradiplomacy well, although there are some failures are due to the constitutional articles that create a state of confusion and merging of authorities between the regions and states because the regions are managed by centralization while the provinces are managed decentralization .

Keywords: Iraqi constitution, parallel diplomacy, Kurdistan region.

المقدمة :

لقد طرحت فكرة الفيدرالية في مؤتمرات المعارضة العراقية في عهد النظام السياسي العراقي السابق ولاسيما مؤتمر لندن في العام ٢٠٠٢ ، إذ اعتمد هذا المؤتمر الفيدرالية أساسا لنظام الحكم في العراق ، وكان الكورد هم أول من تبني فكرة الفيدرالية كحل عملي لقضيتهم في العراق بعد تجربتهم واستقلالهم عن النظام السابق في حكم وإدارة أنفسهم منذ 1991-2003 ، ومن ثم اقرار الفيدرالية او النظام الاتحادي بصورة دستورية في العراق في قانون ادارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية في عام 2004 ، وطبقاً للمادة الرابعة من هذا القانون الذي قرنه (بالفيدرالي) أي المقصود بالنظام الاتحادي ، ويقوم النظام الاتحادي في العراق على أساس الحقائق الجغرافية والتاريخية والفصل بين السلطات وليس على أساس الأصل او العرق أو القومية أو المذهب ، وقد نظم الدستور العراقي الدائم لعام 2005 موضوع توزيع الصلاحيات بين السلطة المركزية الاتحادية والإقليم في الباب الرابع والخامس و أتبع المشرع الدستوري أسلوب ذكر صلاحيات الحكومة الاتحادية على سبيل الحصر وفيما عدا ذلك يعود الأمر إلى الأقاليم ، وكذلك جعل الدستور بعض الصلاحيات المشتركة بين السلطة الاتحادية وسلطات الأقاليم .

وفي هذا البحث سنتناول الدبلوماسية الموازية بين النظرية والتطبيق في الأنظمة الفيدرالية وستحدث عن إقليم كردستان العراق أمودحا وكيف يتم توزيع المهام وممارسة الصلاحيات للأقاليم ، إضافة إلى التمثيل الدبلوماسي وتوضيح ما هي طبيعة العلاقة بين الحكومة الاتحادية والولايات أو الأقاليم ، هل هي علاقة تعاونية تضامنية وعلاقات تمثيلية ، وكيف يتم التمثيل الدبلوماسي في البعثات والقنصليات وتوفير الخدمات وتنفيذ مشاريع الولايات والأقاليم عبر الدبلوماسية الموازية .

وظهرت الدبلوماسية الموازية في الدول الفيدرالية والحكومات اللامركزية لتنظيم العلاقة بين الوحدات المكونة للدولة والدولة ذاتها وهو مشتق من كلمتين انكليزية هما (Parallel) موازي و (Diplomacy) دبلوماسية ، لذا تم ترجمته الى العربية بالدبلوماسية الموازية .

اشكالية البحث :

يحاول البحث الاجابة على التساؤل : هل كان للدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية) تأثير ودور فعال في اقليم كردستان العراق بعد العام 2003 ، وكيف كانت طبيعة ادارة الدبلوماسية الموازية في اقليم كردستان بعد صدور الدستور العراقي لدائم لعام (2005) ، وكيف عززت من قدراتها وإمكاناتها على اداء المهام لأقليم يتمتع بالحكم الذاتي بعد ان شهدت موجات من المد والجزر نتيجة لحدوث تغييرات كثيرة في العراق والمنطقة ابرزها تنظيم داعش الارهابي .

اهمية البحث :

تظهر اهمية البحث في تسليط الضوء على السياسة الخارجية للوحدات دون الوطنية ويطلق عليها الدبلوماسية الموازية (para-diplomacy) ، وهي فرع جديد في فروع العلاقات الدولية وتظهر أهمية البحث من خلال متابعة أثر و دور الدبلوماسية الموازية لاقليم كردستان العراق ودورها في تقوية موقف الأقليم مع الحكومة الفيدرالية العراقية ومع الدول الإقليمية والدولية والعالمية .

فرضية البحث :

تنطلق فرضية البحث اساساً إن للدبلوماسية الموازية تأثير إيجابي وفعال في تعزيز قدرات وإمكانية إقليم كردستان العراق.

منهجية البحث :

حسب تقسيمات موضوع البحث تم الاعتماد على المنهج التاريخي في توضيح مفهوم الفيدرالية والدبلوماسية الموازية ونشأتها والتطور الحاصل في الأنظمة الفيدرالية مما دفع بعض الاقاليم والمقاطعات إلى مزاولة العمل الدولي وعقد بعض الاتفاقيات الخارجية مع الدول الاجنبية وهو ما يطلق عليه الدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية)، كما اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة حالة إقليم كردستان العراق وطبيعة ادارة الدبلوماسية الموازية فيها.

خطة البحث :

جاء تقسيم البحث الى مقدمة ومحورين ، المحور الاول جاء بعنوان (مفهوم الدبلوماسية الموازية ونشأتها في الانظمة الفيدرالية) ، اما المحور الثاني فبعنوان (الإطار الدستوري للدبلوماسية الموازية في اقليم كردستان العراق) ، ثم الخاتمة .

المحور الاول : مفهوم الدبلوماسية الموازية و نشأتها في الانظمة الفيدرالية:

يعد النظام الفيدرالي نظام سياسي و دستوري تأخذ به الدول المترامية الأطراف التي تتميز بمساحات شاسعة و يعد العراق واحد من هذه الدول التي تأخذ بالنظام الفيدرالي القائم على اساس التعددية في السلطة و قيام الولايات و الاقاليم بالأعمال الدولية من الناحية الدستورية وهذا يتطلب ضمان سيادة الدستور كونه مصدر السلطات الحكومية ، حيث انه يوزع و يقسم الحكم بين عدة مستويات فإن مجرد دخول هذه الولايات و انضمامها إلى الفيدرالية تتحول هذه الولايات إلى أقسام دستورية مكونة للدولة الاتحادية تخضع لسلطة واحدة و دستور اتحادي واحد يسمو على جميع دساتير الولايات وعلى جميع المواطنين¹ ، و تمارس اختصاصها و صلاحيتها وسلطاتها التشريعية و التنفيذية و القضائية و دستور خاص في كل ولاية من الولايات² .

بمعنى آخر ان الفدرالية تنظيم سياسي توزع فيه نشاطات الحكومة الفيدرالية بين حكومة مركزية وحكومات محلية على نحو يتيح لكل حكومة من هذه الحكومات القيام بنشاطات تتخذ على أساسها قرارات نهائية و تتخلى الفيدرالية عن بعض الأمور الخاصة حصراً إلى السلطات المحلية لإتخاذ القرار بشأنها و بمعزل عن الحكومة المركزية³ .

1 ليث عبد الحسن الزبيدي ، الفيدرالية والنظام الفيدرالي في العراق ، مكتب الغفران ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ١٢-١٣ .

2 معمر مهدي صالح ، توزيع الاختصاصات الدستورية في الدولة الفيدرالية ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٨ .

3 لاري دايموند ، الديمقراطية تطورها وسبل تعزيزها ، ترجمة فوزي ناجي حاكم ، دار المأمون ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٢ .

أما القاضي محمد عمر مولود فيعرف الفيدرالية بأنها : (تنظيم سياسي دستوري داخلي مركب تخضع بموجبه عدة دول اعضاء او ولايات الى حكومة اتحادية أعلى منها ، وينطوي هذا التنظيم على وجهين : أحدهم خارجي ، حيث يظهر الاتحاد بدولة واحدة في السياسة الخارجية ، والآخر وجه داخلي يتسم بتعدد الكيانات الدستورية التي تشارك حكومة الاتحاد في ممارسة السيادة الداخلية)¹ .

والدبلوماسية بشكل عام هي مفهوم متعدد الجوانب و الاستخدامات فهي مرتبطة بالأهداف ومحاولات العمل العديدة للدبلوماسية ، حيث لم تعد الدبلوماسية تقتصر على العلاقات الثنائية بين الدول ، بل امتدت لتشمل اتصالات الدول بالمنظمات الدولية والإقليمية وغيرها من المؤسسات و الوحدات السياسية في المجتمع الدولي ، إذن بذلك أصبحت الدبلوماسية عملية مستمرة توظفها الدولة بشكل رسمي في تنفيذ سياستها الخارجية و في إدارتها لعلاقتها مع غيرها من الدول و الاشخاص الدولية الأخرى² . وهناك تداخل بين مفهوم السياسة الخارجية والدبلوماسية لدرجة ان الدبلوماسية تستخدم أحياناً للدلالة على السياسة الخارجية لدولة ما دون التمييز بينهما وقد عرف هانز مورجنثاو الدبلوماسية والسياسة الخارجية شيء واحد من منطلق أن الدبلوماسية تقوم بصياغة السياسة الخارجية وتنفيذها بالاشتراك مع وزارة الخارجية³ .

اما عن الدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية) هو مصطلح ظهر بشكل واسع في أوروبا ، ظهرت الدبلوماسية الموازية في الدول الفيدرالية والحكومة اللامركزية لتنظم العلاقة بين الوحدات المكونة للدولة و الدولة ذاتها وهو مشتق من كلمتين هما (Parallel) موازي ودبلوماسية (Diplomacy) لذا تم ترجمته الى العربية الدبلوماسية الموازية . وأصبحت ظاهرة الدبلوماسية الموازية أو انخراط الكيانات ما دون الدولة والأقاليم في الشؤون الخارجية ظاهرة متنامية و شائعة في العلاقات الدولية وثمة اتجاه علمي متزايد للتكيف معها من جانب الدول والمنظمات الدولية و مؤسساتها بل و تطبيعها قانونياً ، وتغير الدبلوماسية الموازية قدرة الكيانات ما دون الدولة (sub-state Entities) على ممارسة السياسة الخارجية ومشاركتها في المجال الدولي لمتابعة مصالحها الدولية الخاصة أيضاً تعرف إدارة الشؤون الدولية من قبل الحكومة غير مركزية تهدف إلى إقامة دولة كاملة السيادة⁴ .

و يتفق جميع المؤلفين بشكل او بآخر ان التعريف الواسع للدبلوماسية الموازية بأنه هو النشاط الخارجي للكيانات دون الوطنية أو الإقليمية أو الحكومات غير المركزية⁵ .

و في ثمانينات القرن العشرين استخدم مصطلح البارادبلوماسية بطريقة تجريبية أساسية وبسيطة ضمن حقل التحليل السياسي المقارن للدول الفيدرالية والنظرية المتحددة للفيدرالية لاسيما في أدبيات امريكا الشمالية حول الأشكال المعاصرة للفيدرالية او الفيدرالية

1 محمد عمر مولود ، الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي العراق أمودجاً ، المؤسسة الجامعية مجد للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص٣١ .

2 ناجي محمد المناش ، محاضرات السياسة الخارجية /المرحلة الرابعة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة تكريت ، 2017 ، ص 9 .

3 Hans J. Morgenthau, Politics Among nations: the struggle for power and peace, 5th edition, revised, (New York: Alfred A. Knopf, 1978, pp.4-15.

4 ابن الدسوقي ، الدبلوماسية التأسيسية للأقاليم الساعية للانفصال دراسة نظرية و تطبيقية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (٢٢) ، ص٣٨-٣٩ ، ٢٠٢١ / يناير ، ص٩٢٨ .

5 سما طاهر مسلم و عمر عادل ابراهيم ، الدبلوماسية الموازية للأقاليم الساعية للانفصال إقليم هونغ كونغ أمودجاً ، المحلة العراقية للعلوم السياسية ، العدد (٧) كانون الاول ، ٢٠٢٢ ، بغداد ، ص٥٠١ .

الجديدة والأنشطة الإشكالية للدوائر الاتحادية لاسيما فيما يتعلق بالعلاقات بين الحكومات الفيدرالية و الدول الموحدة وعلى وجه التحديد بمسائل السياسة الخارجية و منذ ذلك الحين شهد مصطلح البارادبلوماسية في الأدبيات الاكاديمية المتعلقة بالمشاركة الدولية للحكومات اللامركزية .

و اول من استخدم مصطلح الدبلوماسية الموازية في عام ١٩٩٠ الباحث الامريكى (جون كيند) في محاولة لتحديد دور السياسة الخارجية للحكومات المحلية والولايات والأقاليم في اطار النظم السياسية للدول وتم صياغة التعريف الأول لمصطلح البارادبلوماسية من قبل (باناويتيس سولداتوس) استاذ مادة القانون والعلوم السياسية في جامعة مونتريال الكندية والذي يشير حسب رأيه الى النشاط الدولي المباشر للفواعل دون الوطنية (وحدات فيدرالية ، اقاليم جماعات حضرية ، مدن) ، والذي يدعم او يكمل او يكرر او يتحدى دبلوماسية الدول القومية¹.

بمعنى آخر البارادبلوماسية مصطلح يدل على (قدرة الكيانات الفرعية (sub - state) على ممارسة السياسة الخارجية ومشاركتها في المجال الدولي لمتابعة مصالحها الدولية الخارجية ، ولا تقتصر الدبلوماسية الموازية على الأقاليم والولايات بل تصل حتى الى المدن الكبيرة ، كما أصبحت الدبلوماسية الموازية حتمية على الرغم من أن الظاهرة ليست جديدة الا ان هذا الاتجاه اصبح اكثر صلابة من اي وقت مضى² .

ويعني ممارسة العمل الدبلوماسي للوحدات الادارية المحلية جنباً إلى جنب العمل الدبلوماسي الرسمي للدول الفيدرالية اي للمستوى الأعلى للدولة لكن يكون عمل الوحدات الإقليمية المحلية بترتبة أقل وفي نطاق محدود بما يحقق الفائدة لهذه الوحدات وبشكل خاص وفائدة للدولة الفيدرالية بشكل عام ، ولقد كان للعوامة دور الرئيسي في التطور المعرفي لها وانخراط الوحدات المكونة للدولة الفيدرالية ذات الانظمة اللامركزية في النشاطات الدولية لتصبح بشكل او بأخر من المساهمين في السياسة العالمية وأن أحد أسباب صعود الحكومات المحلية للمساحة الدولية هو الضغوطات التي تمارس على الدولة وصعود قوى من غير الدول او بزيادة عدد الدول الفاشلة او صاحبة التجربة الجديدة كلها شاركت في انحسار وتقلص دور ووظائف الدولة ، مما دفع الى ظهور شركاء جدد لها في ادارة الشأن الخارجي³.

و أصبحت البارادبلوماسية مفهوم هام خاصة بعد أن شهد الواقع الدولي ظهور فاعلين من غير الدول أثبتوا قدرتهم على الدخول في مفاوضات مع أطراف خارجية والوصول الى حلول للأزمات الدبلوماسية التي أخفق الفاعلون الرسميين في حلها وهي تعني انها تسير بشكل موازي و متوازي مع الدبلوماسية الرسمية التقليدية وتوفر فرصة للتقدم حيث تخفق الاطراف الدبلوماسية الرسمية ، لذا يجب ان

1 الدبلوماسية الموازية ودورها في الثورة السورية، مركز نما للابحاث المعاصر، 2021، الموقع: (<https://nmaresearch.com>) .

2 رودريغو نافاريس ، نفس الأمم المدن ستغير الطريقة التي تديرها الشؤون الخارجية ، مقال منشور على الانترنت : <https://cris-unu-edu.translate.google.com/forget-nation-state-cities-will-transform->

. [way-we-conduct-foreign-affairs?](https://www.way-we-conduct-foreign-affairs?)

3 إبناس عبد السادة علي، البارادبلوماسية لمحة تعريفية موجزة ، المحلة العربية للنشر العلمي (AJSP)، العدد 15 ، عمان ، ٢٠٢٠ ، ص ٤٤-٤١.

يتم العمل الاساسي لمثل هذه الحلول من وراء الكواليس ثم عرضها على الاطراف والوسطاء الرسميين مثل المنظمات الدولية ، وسائل الإعلام ، رجال الاعمال ، وحتى المواطنين الذي اصبحوا قادرين على تشكيل علاقات مع فاعلين خارجيين ترايدت قدرتهم على اتخاذ قرارات على مستوى السياسة الخارجية للدولة مهما كانت خطورتها من خلال ممارسة الدبلوماسية الموازية ¹ .

أما عن نشأة الدبلوماسية الموازية فترجع الى العشرينات من القرن الماضي عندما بدأت الاراضي الخاضعة للإمبراطورية البريطانية (كندا ، جنوب أفريقيا ، استراليا) في اقامة علاقاتها الدبلوماسية الموازية بعد توقيعها الاتفاقية الثنائية مع فرنسا حول الشؤون الثقافية ومؤخراً ظهرت ولاية ساو باولو البرازيلية بقوة على الساحة الدولية خاصة بعد توقيعها لاتفاقيات تعاون ثنائية في مجالات متعددة مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة في العام ٢٠١٣ ، وللدبلوماسية الموازية اشكال منها :

1. الدبلوماسية الثقافية وهي الطريقة التي تقدم بها الحكومة بلدها لشعب دولة أخرى بهدف تحقيق اهداف معينة للسياسة الخارجية وأما عن سبب انتشار هذه الدبلوماسية هو بسبب الهجرة الاقتصادية في مطلع القرن العشرين و الاستعمار ، العامل التكنولوجي مثل التصوير الفوتوغرافي والسينما و وسائل النقل و الاتصالات .
2. الدبلوماسية الاقتصادية : و يمكن ان تستخدم كعنصر جزائي للقضاء على الظلم و انعدام القانون وعندما تفشل الجهود الدبلوماسية لمنع الحرب تستخدم العقوبات الاقتصادية كأداة دبلوماسية قادرة على ردع الأطراف عن الحرب .
3. الدبلوماسية الشعبية : وهي تتكون من خمسة عناصر رئيسية (الاستماع ، البث الدولي ، التبادلات ، الدبلوماسية الثقافية ، المناصرة) وهي عملية توظيف استخدام تقنيات الاتصالات الحديثة في عمل الدبلوماسية الشعبية ².
4. الدبلوماسية البرلمانية : وهي أكثر مؤسساتية في التعاون البرلماني البسيط مثل الاتحاد البرلماني الدولي وتشمل الطرق المؤسسية وغير المؤسسية التي من خلالها تشارك البرلمانات الوطنية وأعضائها في الشؤون الدولية والسياسة الخارجية ، وتولي الدبلوماسية الموازية اهتمامها للمدنيين و أفراد المجتمع و تختلف عن الدبلوماسية الرسمية التي تخص أنشطتها على الساحة الدولية والسعي الى المصالح الوطنية ، وفيما يتعلق بقواعد الدبلوماسية الموازية (البرلمان، المجتمع المدني، صناعة الافكار الجديدة وتحديد الأهداف الفعالة في السياسة الخارجية) من خلال مراكز البحث وإمداد الحكومة بالخبراء والمتخصصين، وتوفير أطار نقاش للخبراء ، لعب دور المكمل للمساعي الحكومية من اجل التوسط و إدارة الأزمات ، ممارسة الدبلوماسية الأكاديمية بإرسال خبراء والأكاديميين العاملين في المراكز العسكرية .

ومن ايجابيات الدبلوماسية الموازية إمكانية المساهمة في نزع فتيل التوترات والتراعات بين المجموعات السكانية الحدودية عبر تنظيم شبكة الافراد و التجارة الحدودية و المساهمة في الحد من الطموحات الانفصالية لبعض الاقاليم الحدودية ذات الطبيعة الخاصة ، معظم الحكومات المركزية في العديد من الدول خاصةً دول العالم النامي لا تستطيع الإيفاء بجميع المتطلبات الاقتصادية والسياسية

1 مريامة بريهموش ، الدبلوماسية الموازية: دراسة مفاهيمية و أنطولوجية ، مجلة ابحاث قانونية وسياسية ، المجلد 8 ، العدد 2 ، جوان 2023 ، الجزائر ، ص312-324.

2 مريامة بريهموش ، المصادر السابق ، ص316 .

والثقافية لمجتمعاتها المحلية لأسباب مختلفة منها فقر الدولة او عدم توفر الخبرات أو لأسباب خاصة تختلف من دولة لأخرى وأصبحت المنظمات الدولية مثل اليونيسيف (UNICEF) تفضل التعامل اللامركزي مع الحكومات المحلية لضمان الوصول الى حل جذري لمسببات المشاكل الصحية والتعليمية بدلاً من الحكومات المركزية¹.

تعمل بعض الاقاليم داخل الدول على الترويج لنفسها دولياً باعتبارها كياناً مستقلاً ثقافياً أو دينياً عن المركز الذي تنتمي اليه ، اما عن سلبيات الدبلوماسية الموازية فهي تؤثر على وحدة و تماسك الدولة في المنابر الدولية باعتبارها نشاط خارجي للحكومات المحلية موازٍ لنشاط الحكومة المركزية واحتمالية تعارض توجه الحكومة المحلية مع توجه الحكومة المركزية وغالباً ما يحدث ذلك اذا لم تتوفر آلية التنسيق بين الحكومات المركزية و الحكومات المحلية , وعند الحديث عن طبقات الدبلوماسية الموازية ، فهناك ثلاث طبقات هي :

1. القضايا الاقتصادية : وتهدف الى تطوير وجود دولي يجذب الاستثمارات الأجنبية أو استدراج الشركات العالمية الى المنطقة أو استهداف أسواق جديدة للصادرات وليس لهذه الطبقة من الدبلوماسية الموازية بُعد سياسي واضح ولا تعبر للقضايا الثقافية اهتمام مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي ينصرف نشاطها الدولي في الأساس الى السعي لتحقيق المصالح الاقتصادية .
 2. تتضمن التعاون الثقافي والتعليمي والتقني والتكنولوجي وما شابه ذلك وهي عكس الطبقة الاولى متعددة الأبعاد و واسعة لا يقتصر تركيزها على الربح الاقتصادي فحسب بل تدرج الولايات الالمانية في إطار هذه الفئة .
 3. تنطوي على اعتبارات سياسية و تسعى هذه الطبقة الى التغيير على المستوى الدولي وعلى نحو صريح عن هوية متميزة عن تلك التي تطرحها حكومة المركز كما هي اقاليم كيبك والباسك اي الدبلوماسية الموازية أداة متعددة الوظائف .
- ومن المشاكل الرئيسية للدبلوماسية الموازية هي ان الجمع بين العناصر الداخلية والخارجية يجعل من الصعوبة جداً فهمها وتؤكد النظريات التقليدية للبارادبلماسية على وجود تفاعل دائم في الواقع بين العوامل الخارجية والداخلية التي تولد نشاطات دولية للوحدات دون الوطنية وتؤثر فيها³.

المحور الثاني : الإطار الدستوري للدبلوماسية الموازية لإقليم كردستان العراق .

يعود استخدام مصطلح كردستان لأول مرة في المصادر التاريخية الى النصف الثامن من القرن السابع عشر هجري والثالث عشر ميلادي و كان يقصد به إحدى المقاطعات الإدارية التي كانت تضم المدن في اقليم الجبال الغربية والمتمثلة ب (١٦) مدينة وبلدة

1 علاء هادي الخطاب ، اطروحة الدبلوماسية الموازية -البارادبلماسي ، الحوار المتمدن ، العدد 6078 ، محور السياسة والعلاقات الدولية ، 2018 .

2 اندريه لوكور ، ترجمة محمد كاظم الصالح و ايناس عبد السادة ، المناحي السياسية للدبلوماسية الموازية :دروس في العالم المتقدم ، مجلة سياسات عربية -المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، العدد 43 ، قطر ، 2020 ، ص100-101 .

3 ايناس عبد السادة علي ، مصدر سبق ذكره ، ص52 .

و قلعة بمار الواقعة شمالي مدينة حمدان وكان الأكراد يشكلون جماعات اثنية قومية متميزة وتمتلك هذه الجماعات المقومات الأساسية والمعايير التي تحدد على أساسها الحماية القومية الأثنية فلهم تاريخ وعادات وتقاليد ولغة وثقافة مشتركة¹.

وهذه الجماعات القومية وحدتها العوامل الجغرافية والدين والعرق و تعرضت بسبب المصالح الاستعمارية للتقسيم والتوزيع على دول متعددة (العراق , ايران , تركيا , سوريا) وقد اختلفت طريقة التعامل مع الكورد وتباينت حسب كل دولة ما بين إنكار تام لتمييزها القومي كما هو الحال مع ايران وتركيا ، والطريقة الثانية الاعتراف بالحكم الذاتي كما في العراق والانتقال إلى الفيدرالية² . ويتميز سكان كردستان بالتنوع القومي والديني والذي يشكل خليط متجانس ويتمثل في :

- التركمان : ويعد ثالث الجماعات العرقية الأساسية في العراق بعد العرب والأكراد والغالبية العظمى من التركمان مسلمين والقسم الاخر منهم مسيحي و كاثوليك³ .
- الشبك : وهم من الشعوب والقبائل الإسلامية ينقسم الشبك الى طائفتين هم الشيعة والسنة⁴ ، ولغة الشبك هي الكردية و البعض الآخر يرون لغتهم لها أصل واحد مع لغة التركمان⁵ .
- المسيحية : تقسم التجمعات المسيحية على ثلاث محافظات عراقية (نينوى, دهوك, اربيل)⁶ .
- اليزيدية : هم تجمع ديني متطور مرتبط ارتباط قومي بالشعب الكردي و مركزهم الديني منطقة جبال سنجار إذ تعتبر من المواقع الرئيسية المهمة التي يسكنها الكورد و اليزيديين⁷ .

وقبل الحديث عن إقليم كردستان والحكم الذاتي في كردستان نعرف أولاً الحكم الذاتي (هو نظام لامركزي مبني على أساس الاعتراف لإقليم مميز قومياً و عرقياً داخل الدولة في إدارة شؤونه تحت إشراف ورقابة السلطة المركزية) ، وهي صيغة متطورة في اللامركزية الإدارية تقوم بموجبها الدولة و ضمن وحدتها القانونية والسياسية بالإقرار لقومية أو جماعة دينية أو لغوية او ثقافية معينة ببعض السلطات التشريعية والإدارية ولكن تحت رقابة الدولة و إشرافها⁸ .

ان الهدف الأساسي من تطبيق الحكم الذاتي في القوانين الوضعية هو لتوفير الحماية للقوميات أو لجماعات عرقية معينة تقطن في إقليم من أقاليم الدولة وبالتالي فأن مفهوم الحكم الذاتي يرتبط ارتباط وثيق بمفهوم الأقليات والحكم الذاتي ليس صيغة واحدة مطبقة في

1 حسن كاكي ، كوردستان والأمة الكردية ، دار الثقافة و النشر الكردية ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص ٤٢٨ .

2 دهام محمد العزاوي ، الاحتلال الأمريكي للعراق وأبعاد الفيدرالية الكردية ، مركز الجزيرة للدراسات ، فطر ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣ .

3 سعد سلوم ، حماية الأقليات الدينية والأثنية واللغوية في العراق ، جمعية الأمل العراقية ، بغداد ، ٢٠١٧ ، ص ١٣٣ .

4 رشيد الحيون ، الأدبان والمذاهب في العراق ماضيها وحاضرها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١٦، ص ١٩٠ .

5 عباس فاضل السعدي ، جغرافية الأقليات السكانية العراق أنموذجاً ، دار الوفاء للنشر ، عمان ، ٢٠١٦ ، ص ٨٢ .

6 دهام محمد العزاوي ، مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق المستقبل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ١٩ .

7 عدنان ريان فرحان ، الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، السلبيمانية ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٠٤ .

8 محمد عمر مولود ، الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي العراق أنموذجاً ، ص ٤٥٤ .

كل الدول بل أن تطبيقه يختلف من دولة إلى أخرى كل حسب ظروفها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، بل وتلعب العوامل التاريخية والسياسية دور في تحديد تركيبة الحكم الذاتي¹ .

وكان في العراق صراع بين السلطة المركزية وجهاعات اثنية قومية ولم يكن امام الحكومة المركزية في بغداد إلا خيارين : الأول : صراع مستمر يستنزف قوى الدولة وتكون الدولة بؤرة لتدخل دول الجوار التي لها مصالح في المنطقة ، و الثاني : هو إيجاد صيغة لإدارة المنطقة اي انها تكون ذات طابع سياسي الهدف منها نزع فتيل الصراع والحيلولة دون الذهاب الى خيار الانفصال عن الدولة² .

وتعد الانتفاضة الشعبية في أواخر شهر آذار ١٩٩١ شكلت منعطف تاريخي لإقليم كردستان العراق كونها ساهمت في إصدار قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (٦٨٨) وما لحق به من اجراءات وقرارات دولية اتخذت من جانب دول التحالف لحماية الشعب الكردي ومن أهمها انشاء منطقة عازلة وآمنة شمال خط (٣٦) وفرض منطقة خطر جوي مما أدى بالحكومة العراقية الى سحب العاملين في المؤسسات الإدارية والسياسية والعسكرية في أربيل والسليمانية ودهوك ، ولذلك اتخذت القيادة السياسية في كردستان قرارها ببناء مؤسسات تشريعية و تنفيذية وقضائية لإدارة الأقليم³ .

هذا يشير إلى أن إقليم كردستان قد عرف وطبق النظام الفيدرالي ولو بشكل مبسط من عام ١٩٩٢ لغاية سقوط النظام العراقي عام ٢٠٠٣ ، أي أنه عمل بشكل حدي على تكوين مؤسسات تشريعية وتنفيذية وقضائية مستقلة عن الحكومة المركزية للملي الفراغ الذي تسببت به الحكومة المركزية بعد سحب الإدارات العامة في المناطق الكردية وان الوضع الدستوري لإقليم كردستان العراق ما قبل عام ٢٠٠٥ غير واضح المعالم وفي فترة النظام العراقي السابق لم يكن يعترف بالوضع الفيدرالي للإقليم مما سبب صعوبة في التعامل مع المحيط الإقليمي و الدولي كما أن المؤسسات السياسية الموجودة في الإقليم كانت تمارس صلاحيتها بدون وجود سند قانوني داخلي و دولي حيث لم يصدر اي قانون او اقرار دولي متعلق بشأن السلطات السياسية الموجودة في اقليم كردستان وطبيعتها من جانب اي هيئة دولية مثل الأمم المتحدة⁴ .

بعد التغيير السياسي في العراق عام (٢٠٠٣) دخلت القضية الكردية مرحلة جديدة ، تسعى لترسيخ الفيدرالية في الدستور العراقي ومشاركة الأكراد في الحكومة المركزية ، و بروز النظام الفيدرالي كإحدى متطلبات الديمقراطية لهذه المرحلة ، ثم جاء الدستور العراقي الدائم لعام (٢٠٠٥) وأشار في الباب الأول من المبادئ الأساسية بأن العراق دولة ، اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة وأن نظام الحكم فيها جمهوري نيابي ديمقراطي ويعد هذا الدستور الضامن لوحدة العراق الاتحادية و ان عمل الدولة

1 منذر الشاوي ، فلسفة الدولة ، دار الناكرة للنشر و التوزيع ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص ١٣٥ .

2 سامي حسن نجم ، الادارة المحلية و تطبيقها والرقابة عليها، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤ ، ص٩٧-١٣٩ .

3 امين فرج شريف ، الحكم الصالح في إقليم كردستان : دراسة في مفومات و المعوقات ١٩٩٢ - ٢٠١٣ ، مطبعة هبى ، أربيل ، ٢٠١٩ ، ص ٧٩ .

4 شىزاد احمد أمين النجار ، مركز افئىم كردستان العراق في السياسة العالمية : حالة عدم اليقين ، مجلة فضايا سياسية ، العلوم السياسية ، جامعة النهرين ، العدد (٣٥-٣٦) ، ٢٠١٤ ، ص٩٦-٩٧ .

الاتحادية قائم على أساس دستوري في توزيع الاختصاصات بين الأقاليم والولايات والحكومة المركزية مما يستدعي الدقة والوضوح¹

بالإضافة إلى ذلك ان وحدة الدولة الفيدرالية تكون من خلال انفراد الحكومة الفيدرالية بممارسة مختلف الشؤون الدولية في محيط القانون الدولي هذا على الصعيد الخارجي أما على الصعيد الداخلي تظهر من خلال تمتعها بالاختصاصات ذات المصالح القومية التي تمم كافة المواطنين وبذلك تشمل الولايات والأقاليم جميعاً ، وذلك طبقاً لما أشار إليه الدستور العراقي الدائم لعام (٢٠٠٥) بثوابت واضحة تعتمد الإستراتيجية للسياسة الخارجية إذ نصت المادة (٨) من الدستور على : (يرفع العراق مبدأ حسن الحوار ويلتزم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى و يسعى لحل النزاعات بالوسائل السلمية ويقيم علاقات على اساس المصالح المشتركة والتعامل بالمثل ويحترم التزاماته الدولية)² .

اما توزيع الاختصاصات بين السلطات الاتحادية وسلطات الاقاليم في العراق الاتحادي فقد أشار الدستور العراقي في فقراته كل ما يتعلق بهذا الجانب من خلال اتباع اسلوب تحديد الاختصاصات السلطة الاتحادية على سبيل الحصر وترك ما عداها من السلطات ، المتبقية للأقاليم هذا مع وجود اختصاصات مشتركة بين السلطة الاتحادية وسلطة الأقاليم³ .

وعند الحديث عن اهم الاختصاصات للسلطة الاتحادية و التي تمثلت بالحفاظ على وحدة العراق وسلامته وسيادته واستقلاله و نظامه الديمقراطي الاتحادي ، يؤكد بذلك بأن النظام الاتحادي المتبع في العراق يعنى الوحدة وليس التجزئة⁴ . كما حدد الدستور العراقي الاختصاصات الحصرية للسلطة الاتحادية والتي تتمثل⁵ بالتالي:

1. رسم السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والتفاوض بشأن المعاهدات و الاتفاقيات الدولية وسياسة الافتراض و التوقيع عليها و إبرامها و رسم السياسة الاقتصادية و الخارجية السيادية .
2. وضع سياسة الأمن الوطني وتنفيذها بما في ذلك إنشاء قوات مسلحة وإدارتها لتأمين حماية وضمان أمن حدود العراق و الدفاع عنه ، وفيما يتعلق باختصاصات سلطة الأقاليم فقد نصت المادة (١١٥) في الدستور العراقي الدائم لعام (٢٠٠٥) على ذلك : (كل ما ينص عليه من الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية يكون من صلاحية الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم والسلطات الأخرى المشتركة بين الحكومة الاتحادية والاقاليم تكون الأولوية فيها لقانون الأقاليم و المحافظات غير المنتظمة في إقليم في حالة الخلاف بينهما)⁶ .

1 علي عبود بحر العلوم ، الفيدرالية الجغرافية وأقاليمها المستقبلية في العراق ، العارف للطبوعات ، النجف الاشرف ، ٢٠١٤ ، ص٢٤٣ .

المادة (٨) من دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ .

3 أنظر المادة (١٠٠-١١٤-١١٥) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

4 أنظر المادة (١٠٩) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

5 انظر المادة (١١٠) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

6 للمزيد انظر المادة (١١٥) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

و يتضح من خلال النص الدستوري ان اختصاص الاقاليم هو اختصاص عام وغير مفيد واختصاص الحكومة الاتحادية محدود و مقيد وبذلك تكون المسائل المستحدثة و التي يمكن ان تظهر في المستقبل تكون من اختصاص الاقاليم¹ .

وفيما يتعلق باختصاصات حكومات الاقاليم منها ما جاء في المادة (١٢١) الفقرة أولاً وحقوقها في ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، حيث نصت² على : (لسلطات الأقاليم الحق في ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وفقاً لأحكام الدستور باستثناء ما ورد فيه من اختصاصات حصرية للسلطات الاتحادية) .

اما الفقرة الرابعة من المادة (١٢١) أعطت الحق للأقاليم في تأسيس مكاتب لها في السفارات والبعثات الدبلوماسية لمتابعة شؤونها الإنمائية والثقافية والاجتماعية حيث جاء نص المادة : (تؤسس مكاتب للأقاليم والمحافظات في السفارات والبعثات الدبلوماسية لمتابعة الشؤون الثقافية والاجتماعية والإنمائية)³ .

وعند النظر الى الفقرة الرابعة من المادة (١٢١) نجد انها تتعارض مع احكام المادة (١١٠ / الفقرة 1) والتي منحت فيها السلطة الاتحادية اختصاصات رسم السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي ، إذ ان وجود مثل هذا النص يحدث خلل وتداخل في الاختصاصات والسلطات بين الطرفين⁴ .

وطبقاً للمادة (١١٦) من الدستور العراقي لعام (٢٠٠٥) اعترفت بأن النظام الاتحادي في العراق يتكون من عاصمة و إقليم ومحافظات لامركزية وإدارات محلية⁵ .

كما جاءت المادة (١١٧) لتؤكد على شرعية الأعمال التي يقوم بها الاقليم حيث نصت المادة : (يقر هذا الدستور عند نفاذه إقليم كردستان و بسلطاته القائمة إقليمياً اتحادياً)⁶ .

وتبقى هذه التشريعات نافذة ومعمول بها ما لم تلغى او يتم تعديلها وفقاً لأحكام الدستور وهذا ما نصت عليه المادة (١٣٠) من الدستور العراقي و بذلك تعطي هذه المواد الحق لإقليم كردستان في ممارسة الشؤون الخارجية وليست حكراً على الحكومة الاتحادية لتمثيل الأقاليم والمحافظات في البعثات الدبلوماسية⁷ .

1 عباس لطيف كريم، الفيدرالية في العراق دراسة تجريبية لإقليم كردستان بعد عام ٢٠٠٣، مركز كردستان للدراسات، ٢٠١٦، ص١٣٥.

2 انظر المادة (١٢١ / أولاً) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

3 انظر للمادة (١٢١/ الفقرة الرابعة) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

4 محمد عزت فاضل الطائي ، فاعلية الحكومة الاتحادية في ضوء التوازن بين السلطات : دراسة مقارنة ، مكتبة السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٦ ، ص ٤٥٠ .

5 انظر المادة (١١٦) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

6 انظر المادة (١١٧) من الدستور العراقي الدائم ٢٠٠٥ .

7 سنار جبار علاوي، العراق والتغيير دراسة في طبيعة النظام السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١٨، ص١٠٨.

و تجدر الإشارة هنا إلى المادة (١١٠) أكدت على حق الاقليم في انشاء علاقات خارجية ما لم تكن متعلقة بقضية السيادة كانشاء ممثلات وقنصليات وفتح مكاتب تسهيل الأمور التي تتعلق بمواطني الإقليم ومتابعة مصالحهم مع الدول والمنظمات الدولية التي أقام معها الإقليم علاقات خارجية ، إذن هذا يشمل كل علاقة للأقاليم والمحافظات العراقية مع الدول والمنظمات الدولية والهيئات الأجنبية مسموح بها قانوناً ما لم تمس تلك العلاقات جانب السيادة الاتحادية أو تتجاوز على اختصاصها¹ .

وفيما يتعلق الأمر بدستور إقليم كردستان العراق خاصة المادة الثامنة التي تخصصت بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية فقد نصت² على :

أولاً : تكون المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تبرمها الحكومة الاتحادية مع اي دولة او طرف أجنبي تمس قضية او حقوق اقليم كردستان نافذة في الإقليم إذ اقترنت بموافقة برلمان كردستان العراق بالأغلبية المطلقة لعدد اعضائه .

ثانياً : لا تكون المعاهدات والاتفاقيات التي تبرمها الحكومة الاتحادية مع الدول الأجنبية نافذة بحق إقليم كردستان إذا تناولت أموراً خارجة عن الاختصاص الحصري إلا بموجب المادة (١١٠) من الدستور الاتحادي ما لم يوافق برلمان كردستان العراق على انفاذها في الاقليم بالأغلبية المطلقة لعدد اعضائه .

ثالثاً : لإقليم كردستان الحق في عقد اتفاقيات مع دول أجنبية او إقليم داخل دول أجنبية بشأن المسائل التي لا تدخل ضمن الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية المنصوص عليها في المادة (١١٠) من الدستور الاتحادي .

رابعاً : ترفع الاتفاقيات التي تبرم بين اقليم كردستان وحكومات الدول الأجنبية إلى الحكومة الاتحادية لأستحصال موافقتها ولا تكون الاتفاقية نافذة اذا رفضت الحكومة الاتحادية الموافقة عليها لأسباب دستورية و قانونية .

وكما ذكرنا سابقاً وطبقاً للمادة (١٢١ / الفقرة الرابعة) التي تمنح الحق لإقليم كردستان من انشاء مكاتب في السفارات العراقية والبعثات الدبلوماسية في الخارج³، وبناء على ذلك يمتلك إقليم كردستان صلاحيات كبيرة في العمل الدبلوماسي الخارجي باعتبارها حق دستوري الى جانب ذلك يسمح دستور إقليم كردستان من المشاركة في الشؤون الخارجية وإبرام الاتفاقيات بشأن مسائل لا تقع ضمن الاختصاص الحصري للسلطات الاتحادية بينما تلتزم الحكومة الفيدرالية بالحصول على موافقة إقليم كردستان قبل إبرام أي معاهدة دولية تمس مصالح المحافظات الكردية وفي تاريخ (2008/12/24) صدر قرار رئيس مجلس الوزراء في كردستان لتنظيم شؤون وعمل دائرة العلاقات الخارجية واهم مهامها⁴:

1. تنظيم عمل ممثلات الاقليم في الخارج .

2. تنظيم البروتوكولات .

1 كاروان اورحمان اسماعيل ، التنظيم الدستوري لصلاحيات الأقاليم في الدولة الفيدرالية دراسة مقارنة ، مجلة جامعة لشبونة لشبونة كوردستان العراق ، العدد (٢) حزيران ، ٢٠١٧ ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

المادة (٨) من دستور إقليم كردستان العراق لعام ٢٠٠٩ .

3 انظر للمادة (١٢١ / الفقرة الرابعة) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .

4 دائرة العلاقات الخارجية ، الخدمات ، بوابة الخدمات الحكومية ، حكومة اقليم كردستان (GOV-KRD) ، على الموقع الالكتروني : (<https://gov.krd/dfr-ar/services>)

3. استقبال الوفود .

4. تسيق وإقامة العلاقات مع الدول و المنظمات الدولية وتنظيم الشؤون المالية والإدارية .

5. عقد اجتماعات مع السفراء والأحزاب وممثلين المنظمات الدولية لتعزيز العلاقات الدولية .

و برز نشاط إقليم كردستان في هذا الجانب حيث تقلد القادة الأكراد مناصب هامة في الدولة العراقية وبدأ المجتمع الدولي والإقليمي باستقبال القادة الأكراد بمرتبة الشرف التي تمنح عادة لرؤساء الدول ، فضلاً عن ذلك أصبح القادة الكورد وجوها مألوفة و بارزة في اوربا وامريكا الشمالية وآسيا و المحافل الدولية ، كما فتحت حكومة إقليم كردستان مكاتب في الدول المجاورة مثل تركيا وإيران وفي أغلب الدول الأوروبية ، وتتجسد الدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية) في إقليم كردستان من خلال التزام حكومة الإقليم بسياستها المتمثلة بعدم اثاره الاكراد في تركيا وإيران هذا من جانب ومن جانب آخر وظفت حكومة إقليم كردستان العراق موقعها الجغرافي وسخرت مواردها الإقتصادية لبناء علاقات وثيقة مع المجتمع الدولي وتطوير الدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية) الخاصة بها ، إذ يمتلك الإقليم موارد طبيعية ومعادن ذات قيمة عالية وتبني استراتيجية صديقة للمستثمرين الأجانب لاحتذاب المهارات و الخبرات اللازمة مما أكسبها العديد من الحلفاء الدوليين إذ احتذبت المنطقة استثمارات بقيمة 16.2 مليار دولار امريكي¹ .

كما عززت المادة (18) من لائحة مجلس الوزراء لإقليم كردستان الأنشطة الخارجية للإقليم وخاصة في بعدها السياسي وتحظى دائرة الشؤون الخارجية لحكومة إقليم كردستان بأهمية كبيرة باعتبارها المؤسسة المسؤولة عن بناء السياسة الخارجية للإقليم ، التي اعتمدت على أسس اللامركزية للسلطة وزيادة استقلالية الولايات و الاقاليم في الشؤون الخارجية في إقامة علاقات إقليمية فاعلة معتمدة على الهوية والثقافة المشتركة في علاقتها خاصة مع سوريا وتركيا وإيران .

بالإضافة الى ذلك إقامة العلاقات مع الدول الاجنبية ، فقد شهدت الفترة منذ عام (٢٠٠٥ - ٢٠١٧) زيارة أكثر من (٢٥) دولة أجنبية واستقبال ما يقارب (٥٦٦) وفد أجنبي رفيع المستوى من ضمنهم رؤساء دول منهم : (رئيس فرنسا ، نائب الرئيس الأمريكي ، و رئيس وزراء تركيا) ، ايضاً المؤتمرات لدى الإقليم أبرزها مؤتمر ميونخ للأمن في دوراته منذ عام (٢٠١٥- ٢٠٢٠) تمت دعوة القيادات الكردية بشكل مستقل بسبب الدور الكبير للإقليم في محاربة تنظيم داعش الارهابي ، وتمت دعوة مسعود بارزاني للمشاركة في المنتدى الاقتصادي العالمي في 2014 (دافوس) ، وتعد المشاركة العالمية الأولى للإقليم على مستوى المنتديات الاقتصادية وقد أبرمت حكومة إقليم كردستان العديد من الاتفاقيات مع عدد من الدول مثل (فرنسا ، كوريا الجنوبية ، ألمانيا ، إيران ، تركيا ، الامارات ، الاردن ، لبنان ، مصر ، قطر) ، كذلك يوجد في إقليم كردستان ما يقارب (٣٥) ممثلة في اربيل لعدد من الدول الأجنبية ومكتب للاتحاد الأوربي ومكاتب لعدد من المنظمات الدولية وهذا يشير الى النجاح والتقدم الذي احرزته الدبلوماسية الموازية

1 مبلغ 16 مليار دولار استثمارات في كردستان العراق نصفها خليجي ، الجزيرة نت ، لقاء مع هيرش محرم محمد -رئيس هيئة الاستثمار في إقليم كردستان العراق ، على الموقع الالكتروني :

(<https://www.aljazeera.net/ebusiness/2009/1/4/16>)

في إقليم كردستان والتي عززت من مكانتها الدولية والأقليمية خاصة وان الاكراد بعد عام ٢٠٠٣ تولوا منصب وزارة الخارجية حتى الوقت الحاضر¹.

كما وقعت حكومة الإقليم عقود للتنقيب عن النفط مع شركات عالمية كبرى في عام ٢٠١٢ منها شركة (cherron , Exxonmobil , Gazprom , Total) وهذا ما يؤكد نجاح السياسة الخارجية الكردية².

و اصبحت هذه المكاتب التابعة لإقليم كردستان ذات تأثير كبير يفوق البعثة الدبلوماسية نفسها وخاصة تلك البعثات التي ترأسها سفراء اكراد و توسعت أكثر عندما قامت الحكومة في الإقليم على عقد اتفاقيات مع دول أجنبية لمتابعة شؤونها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية اي انها حصلت على الطابع الحكومي في تعاملاتها الدولية³.

إضافة إلى ذلك كان قوباد طالباني سفيراً لحكومة إقليم كردستان لدى الولايات المتحدة الأمريكية منذ ٢٠٠٦-٢٠١٤ و افتتحت حكومة الإقليم (١٤) مكتب تمثيلي في الخارج منها (لندن , باريس , واشنطن , موسكو , جنيف) وقد وقعت في حزيران ٢٠١٧ الحكومة الروسية ومن خلال شركة (روسفنت) اتفاقية لتقاسم إنتاج النفط بين خمس مناطق تابعة للإقليم حيث بلغت قيمة الاستثمارات (٤٠٠) مليون دولار اما بخصوص الاتفاقيات ذات الطابع العسكري فقد وقعت حكومة الاقليم اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية انشاء خمس قواعد عسكرية امريكية و تملون بتمدد عشرين سنة قابلة للتجديد⁴.

ولقد كان لحكومة الإقليم ومكتب العلاقات الخارجية في كردستان دوراً كبير في محاربة تنظيم داعش الارهابي في العراق عام ٢٠١٤ وبالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بإطلاق عملية عسكرية لمحاربة تنظيم داعش وقدمت المساعدات الدولية لإقليم كردستان منها (كندا , بلجيكا , استراليا , فرنسا , المانيا , الدانمرك , هولندا , ايران , نيوزلندا , ايطاليا , اسبانيا , النرويج , سلوفانيا , بريطانيا) المساعدات العسكرية ، كذلك قدمت روسيا الدعم اللوجستي الكبير لقوات البيشمركة ، إذ أن هذا الدعم الدولي لحكومة إقليم كردستان العراق في محاربتها لتنظيم داعش الارهابي يعكس تطور وتقدم في الدبلوماسية الموازية (البارادبلوماسية) لإقليم كردستان .

واستمرت الدبلوماسية الموازية في نشاطها لإقليم كردستان حيث وافق وفد حكومة إقليم كردستان رئيس الوزراء محمد شياع السوداني خلال زيارته لنيويورك و اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وعقد الوفد عدة لقاءات مع مسئولين وقال مسئول دائرة العلاقات الخارجية في حكومة إقليم كردستان (ستيفن دزيب) ان وفد إقليم كردستان المشارك ضمن الوفد العراقي عقد العديد من

1 في ظل كروب 28: الدبلوماسية الموازية الحضراء وتغير المناخ ، تريندر للبحوث والاستشارات ، على الموقع الإلكتروني: <https://trendsresearch.org/research.php?id=19>.

2 العراق بجذر فرنسا من صفقات مع كردستان ، الجزيرة نت ، الموقع: <https://www.aljazeera.net/ebusiness/2012/6/21>

3 سعد ناجي جواد ، العراق بعد الغزو لتبرؤم - ولادة جديدة - اندماج ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٢٢ ، ص ١٤١.

4 شيروان كامل سبي ، علاقات إقليم كردستان الدولية في رسم السياسة الخارجية للعراق ، مجلة فضايا سياسية ، جامعة النهدين / كلية العلوم السياسية ، العدد(٦١) ، ٢٠٢٠ ، ص ٣٨٦.

اللقاءات في المشاركة الثانية له منذ عام ٢٠١٩ ومنها الاجتماعات التي عقدها الوفد العراقي برئاسة السيد السوداني إلى جانب عقد اجتماعات منفصلة مع الوفود المشاركة¹.

و كذلك قيام الصين بتعليم اللغة الصينية في جامعة صلاح الدين في ابريل منذ عام ٢٠١٧ مشروع افتتاح قسم اللغة الصينية في عام ٢٠١٩ وتبلغ استثمارات الصين ما يقارب ٤٠٪ في صادرات العراق من النفط وفي مجال النقل والبناء والاتصالات ، وبلغت حجم التجارة بين البلدين نحو (٣٠) مليار دولار إلى جانب ذلك افتتحت القنصلية التابعة للصين الشعبية في محافظة اربيل عاصمة إقليم كردستان في (٢٤ / ١ / ٢٠٢٤) مركز لإصدار تأشيرات الدخول للمواطنين الراغبين في زيارة بلدها ، وأشار محافظ اربيل أوميد خوشناو : من المهم تعزيز العلاقات التجارية والصناعية بين اقليم كردستان والصين² ، حيث كان على المواطنين زيارة بغداد او اسطنبول للحصول على التأشيرات لكن الآن يمكنك الحصول على تأشيرات الصين عبر الانترنت في اربيل .

مما تقدم يتضح لنا الدور الإيجابي والفعال للدبلوماسية الموازية في تعزيز قوة ومكانة حكومة إقليم كردستان العراق وممارسة (البارادبلوماسية) بشكل جيد ضمن إطار دستوري رسخه الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ ، فضلاً عن ذلك ان الإنجازات الداخلية التي حققها إقليم كردستان بصورة خاصة والحكومة الاتحادية بصورة عامة كان لها أثر إيجابي أيضاً على نجاح الدبلوماسية الخارجية في العراق وهذا ما نراه واضح من خلال تزايد عدد البعثات العربية والدولية مما اعطى دفعة قوية لكي يقوم بتوظيف مكانته السياسية والاقتصادية وتغليب الثوابت والقيم الوطنية وتوسيع دائرة المشاركة السياسية وبناء المؤسسات السياسية³.

الخاتمة:

ان النظام الفيدرالي هو النظام المناسب للدول المتنوعة الأعراق و الديانات والثقافات كما ان تطبيق الفيدرالية في الدول مؤدي الى ضمان توزيع الثروات و الموارد بشكل عادل بين مكونات ابناء الشعب الواحد مما يعزز و يحافظ على وحدة الدولة أي أن الفيدرالية تحافظ وتحمي الدولة من الانقسام واحتواء الازمات والمشكلات و التوترات .

وفي هذا البحث تناولنا الدبلوماسية الموازية او البارادبلوماسية باعتبارها دبلوماسية قدرة الكيانات الفرعية (sub - state) على ممارسة السياسة الخارجية ومشاركتها في المجال الدولي لمتابعة مصالحها الدولية الخارجية وتعرفنا كيف ان الدبلوماسية الموازية لا تقتصر على الأقاليم والولايات بل تصل حتى الى المدن الكبيرة. بمعنى آخر هناك فاعلين دوليين في الساحة السياسية الدولية من غير الدول وبالأخص الاقاليم والولايات وهناك عوامل وأسباب عديدة تؤدي الى ممارسة العمل الدبلوماسي الخارجي منها عوامل وأسباب سياسية واقتصادية و جغرافية وثقافية كما أن البارادبلوماسية أداة فعالة لحل القضايا الخلافية والمشكلات الداخلية المثيرة للتراعات بين

1 . <https://abcnewsiq.com2p=87650> الرئيسية / سلايد / المعلوماتية الموازية كردستان تشارك بوفد في اجتماعات الجمعية العامة ٢٣-٩-٢٠٢٢ على الموقع :

2 . <https://www.kurdistan24.net/ar/story/45839-> الصين تفتتح مركز لإصدار تأشيرات الدخول في إقليم كردستان في ٢٤/١/٢٠٢٤ ، على الموقع :

3 <https://shafaq.com/ar/> (٢٨ / ٢٠٢٢/١) اللغة الصينية في اربيل القوة الناعمة لطريق الحرير الصيني

المستويات الفيدرالية الحكومة ، اضافة الى ذلك تعزيز مجالات التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي بما يخدم مصالح الدول الفيدرالية ومن خلال استغلال وتوظيف قدرات الأقاليم والولايات في المجالات المتعددة بشكل يدعم من قدرة الدولة الفيدرالية ، ويعد تطبيق الفيدرالية في العراق بعد العام ٢٠٠٣ لإقليم كردستان باعتباره نموذج لتطبيق الدبلوماسية الموازية و دورها في تعزيز قوة وقدرة الاقليم خاصة وان القانون الدولي العام لا يعارض قيام الاقاليم والولايات ببرام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بصورة عامة واعتراف الدستور الفيدرالي لهذه الوحدات بحق القيام بهذه الاختصاصات ضمن الصلاحيات المنصوص عليها في الدستور ، وطبقاً للدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ و المواد الدستورية التي اكدت على اختصاصات الاقاليم و الحق في ابرام المعاهدات و الاتفاقيات الدولية مع الدول والمنظمات الأجنبية في مجالات عديدة منها الامثالية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية على أن لا تمس سيادة الدولة العراقية وقد نجحت حكومة اقليم كردستان العراق في ممارسة البارادبلوماسية بشكل جيد رغم هناك بعض الإخفاقات والتي ترجع الى المواد الدستورية التي تحصل حالة الخلط و الدمج في السلطات ما بين الأقاليم والولايات كون الاقليم تدار بالمركزية السياسية بينما تدار المحافظات باللامركزية .

المصادر :

1. ليث عبد الحسن الزبيدي ، الفيدرالية والنظام الفيدرالي في العراق ، مكتب الغفران ، بغداد ، ٢٠١٥ .
2. معمر مهدي صالح ، توزيع الاختصاصات الدستورية في الدولة الفيدرالية ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠١٠ .
3. لاري دايموند ، الديمقراطية تطورها وسبل تعزيزها ، ترجمة فوزي ناجي حاكم ، دار المأمون ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
4. محمد عمر مولود ، الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي العراق أمودجاً ، المؤسسة الجامعية لمجد للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
5. أمين الدسوقي ، الدبلوماسية التأسيسية للأقاليم الساعية للانفصال دراسة نظرية و تطبيقية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (٢٣) ، ٢٠٢١/يناير .
6. سما طاهر مسلم و عمر عادل ابراهيم ، الدبلوماسية الموازية للأقاليم الساعية للانفصال إقليم هونغ كونغ أمودجاً ، المحلة العراقية للعلوم السياسية، العدد (٧)، كانون الاول، ٢٠٢٢، بغداد .
7. ناجي محمد الهنتاش ، محاضرات السياسة الخارجية /المرحلة الرابعة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة تكريت ، 2017 ، ص9 .
8. الدبلوماسية الموازية ودورها في الثورة السورية ، مركز نما للابحاث المعاصر ، 2021 ، على الموقع: <https://nmaresearch.com>
9. رودريجو تافاريس، المدن ستغير الطريقة التي ندير بها الشؤون الخارجية ، 4/اكتوبر/2016 ، المنتدى الاقتصادي العالمي ، ص6 ، منشور على الموقع الالكتروني:
- https://cris-unu-edu.translate.google.com/forget-nation-state-cities-will-transform-way-we-conduct-foreign-affairs?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc
10. إيناس عبد السادة ، البارادبلوماسية لمحة تعريفية موجزة ، المحلة العربية للنشر العلمي ، عمان ، ٢٠٢٠ .
11. Hans J. Morgenthau, Politics Among nations: the struggle for power and peace, 5th .(edition, revised, (New York: Alfred A. Knopf, 1978

12. مريامة بريهموش ، الدبلوماسية الموازية: دراسة مفاهيمية و أنطولوجية ، مجلة أبحاث قانونية وسياسية ، المجلد 8 ، العدد 2 ، جوان 2023 ، الجزائر .
13. علاء هادي الخطاب ، اطروحة الدبلوماسية الموازية -الباراديلوماسي ، الحوار المتمدن ، العدد 6078 ، محور السياسة والعلاقات الدولية ، 2018 .
14. اندريه لوكور ، ترجمة محمد كاظم الصالح و ايناس عبد السادة ، المناحي السياسية للدبلوماسية الموازية :دروس في العالم المتقدم ، مجلة سياسات عربية - المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، العدد 43 ، قطر ، 2020 .
15. حسن كاكي ، كردستان والأمة الكردية ، دار الثقافة و النشر الكردية ، بغداد ، ٢٠١١ .
16. دهام محمد العزاوي ، الاحتلال الأمريكي للعراق وأبعاد الفيدرالية الكردية ، مركز الجزيرة للدراسات ، قطر ، ٢٠٠٩ .
17. سعد سلوم ، حماية الأقليات الدينية و الأثنية واللغوية في العراق ، جمعية الأمل العراقية ، بغداد ، ٢٠١٧ .
18. رشيد الخيون ، الأديان والمذاهب في العراق ماضيها وحاضرها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١٦.
19. عباس فاضل السعدي ، جغرافية الأقليات السكانية العراق نموذجا ، دار الوفاء للنشر ، عمان ، ٢٠١٦ .
20. دهام محمد العزاوي ، مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق المستقبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.
21. عدنان ريان فرحان ، الكرد الايزيدون في إقليم كردستان ، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، السليمانية، ٢٠٠٤ .
22. منذر الشاوي ، فلسفة الدولة ، دار الذاكرة للنشر و التوزيع ، بغداد ، ٢٠١٣ .
23. سامي حسن نجم ، الادارة المحلية و تطبيقها والرقابة عليها ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ، ٢٠١٤ .
24. أمين فرج شريف ، الحكم الصالح في إقليم كردستان : دراسة في مقومات و المعوقات ١٩٩٢ - ٢٠١٣ ، مطبعة هيفى ، أربيل ، ٢٠١٩ .
25. شيزاد احمد أمين النجار ، مركز اقليم كردستان العراق في السياسة العالمية : حالة عدم اليقين ، مجلة قضايا سياسية ، العلوم السياسية ، جامعة النهدين ، العدد (٣٥-٣٦) ، ٢٠١٤ .
26. علي عبود بحر العلوم ، الفيدرالية الجغرافية وآفاقها المستقبلية في العراق ، العارف للمطبوعات ، النجف الاشرف ، ٢٠١٤ .
27. المادة (117،116،115،114،110،109،100،8) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .
28. عباس لطيف كريم، الفيدرالية في العراق دراسة تجربة إقليم كردستان بعد عام ٢٠٠٣ ، مركز كردستان للدراسات، ٢٠١٦ .
29. المادة (١٢١ / أولاً) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .
30. دائرة العلاقات الخارجية ، الخدمات ، بوابة الخدمات الحكومية ، حكومة اقليم كردستان (GOV-KRD) ، على الموقع الالكتروني : (<https://gov.krd/dfr-ar/services/>)
31. المادة (١٢١ / الفقرة الرابعة) من الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ .
32. محمد عزت فاضل الطائي ، فاعلية الحكومة الاتحادية في ضوء التوازن بين السلطات : دراسة مقارنة ، مكتبة السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٦ .
33. ستار جبار علاوي، العراق والتغيير دراسة في طبيعة النظام السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣ ، مكتبة السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٨ .
34. كاراوان اورحمان اسماعيل ، التنظيم الدستوري لصلاحيات الأقاليم في الدولة الفيدرالية دراسة مقارنة ، مجلة جامعة التنمية البشرية كردستان العراق ، العدد (٢) حزيران ، ٢٠١٧ .
35. المادة (٨) من دستور إقليم كردستان العراق لعام ٢٠٠٩ .

36. في ظلّ كوب 28: الدبلوماسية الموازية الخضراء وتغير المناخ ، تريندز للبحوث والاستشارات ، على الموقع الإلكتروني: <https://trendsresearch.org/research.php?id=19> .
37. مبلغ 16 مليار دولار استثمارات في كردستان العراق نصفها خليجي ، الجزيرة نت ، لقاء مع هيرش محرم محمد -رئيس هيئة الاستثمار في اقليم كردستان العراق ، على الموقع الإلكتروني : (<https://www.aljazeera.net/ebusiness/2009/1/4/16>)
38. العراق يجذر فرنسا من صفقات مع كردستان ، الجزيرة نت ، الموقع: (<https://www.aljazeera.net/ebusiness/2012/6/21>)
39. سعد ناجي جواد ، العراق بعد الغزو تشرذم - ولادة جديدة - اندماج ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٢٢ .
40. شيروان كامل سبيتي ، علاقات اقليم كردستان الدولية في رسم السياسة الخارجية للعراق ، مجلة قضايا سياسية ، جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية ، العدد (٦١) ، ٢٠٢٠ .
41. الرئيسية/المعلوماتية الموازية كردستان تشارك بوفد في اجتماعات الجمعية العامة ٢٣/٩/٢٠٢٢ ، الموقع: [https://gov.krd/dmi-](https://gov.krd/dmi-ar/activities/news-and-press-releases/2023/november) .
42. الصين تفتتح مركز لإصدار تأشيرات الدخول في إقليم كردستان في ٢٠٢٤ /١/ ٢٤ ، على الموقع : <https://www.kurdistan24.net/ar/story/45839> .
43. اللغة الصينية في اربيل القوة الناعمة لطريق الحرير الصيني [/https://shafaq.com/ar](https://shafaq.com/ar) (٢٠٢٢/١/٢٨) .

التشريعات المحلية والدولية حول الهجرة غير الشرعية ومدى تفعيلها على أرض الواقع "دولة ليبيا أمموذجاً"

أ. هناء عمر محمد كازوز/ عضو هيئة تدريس بجامعة الزيتونة/ ترهونة / ليبيا

المستخلص:

يهدف هذا البحث الى توضيح التشريعات المحلية والدولية ومدى تفعيلها على أرض الواقع حيال مشكلة الهجرة الغير شرعية، حيث استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي المتبع لوصف وتفسير هذه الظاهرة التي تعتبر حرق للحدود الليبية وانتهاكاً لسيادتها. الكلمات الافتتاحية: الهجرة غير شرعية، البروتوكول، حدود الدولة.

Abstract:

This research aims to clarify local and international legislation and the extent of its activation on the ground regarding the problem of illegal immigration. In this research, the descriptive approach was used to describe and explain this phenomenon, which is considered a breach of the Libyan borders and a violation of its sovereignty.

Keywords: illegal immigration, protocol, state borders.

مقدمة:-

إذا ما حاولنا الانتقال لتحديد مفهوم الهجرة غير الشرعية فيجب في البداية التأكيد على أنه وحتى هذه اللحظة الراهنة لا يوجد تعريف متفق عليه لمفهوم الهجرة غير الشرعية ولكن كلها اجتهادات يقوم بها بعض الباحثين والمهتمين بالظاهرة فالأمم المتحدة حتى الآن لم تتبين تعريفاً واضحاً للهجرة غير الشرعية، ففي بروتوكول 2000 ضد تهريب المهاجرين براً وبحراً وطبقاً للملحق الأمم المتحدة ضد الجريمة غير المنظمة عبر الدول يشير التعريف الى أن تهريب المهاجرين يعني الحصول بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على منفعة مالية أو مادية مقابل دخول شخص بطريقة غير شرعية الى حدود الدولة، وهذا الشخص ليس مقيماً إقامة دائمة وليس متجنساً بجنسية الدولة.

مشكلة البحث:-

- هل ساهمت التشريعات المحلية والدولية في حل مشكلة الهجرة الغير شرعية ؟

فرضيات البحث:

- التشريعات والقوانين سواء أكانت على المستوى المحلي أو الدولي مازالت حبراً على ورق ولم تطبق على أرض الواقع وذلك لعدة أسباب أمنية واقتصادية وإقليمية.

أهميته:-

تعتبر الدراسة في تخصص جغرافية السكان ويمكن أن تضيف شيئاً لعله يعتمد عليها كدراسات سابقة.

أهدافه:-

- توضيح مدى الالتزام وتطبيق التشريعات والقوانين المحلية والدولية على حركة الهجرة غير شرعية التي تفشت بشكل كبير داخل دولة ليبيا بشكل مرعب.

الدراسات السابقة:-

1) في دراسة (أبوزيد)، عن [الهجرة غير الشرعية وأثرها على الأمن القومي الليبي (2011-2017م)]، 2019م، هدفت هذه الدول إلى التعرف على الهجرة غير الشرعية، والتي سببتها تردي الأوضاع الأمنية و الاقتصادية السائدة في ليبيا، بسبب الحروب والصراعات، وأثرها على الأمن القومي الليبي وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وإثبات صحة فرضية الد التي مفادها "أن هناك علاقة ارتباطية بين الهجرة غير الشرعية والأثر السلبي على الأمن القومي في الدول المستقبلية للمهاجرين، وأثبتت الدراسة من خلال نتائجها أن تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين غير الشرعية، و التي بلغت في عام 2018 م (224 ألف)، مهاجراً غير شرعياً شكلت أثراً أمنياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسية على المجتمع الليبي، وأوصت بأن على الدولة بسط سيادتها على مؤسسات الدولة، وإعادة هيكلة الجيش، ومؤسسات الأمن الوطني، لتكون مؤسسات مركزية موحدة، والسعي بالتدرج لمنع وجود السلاح خارج الإطار القانوني.¹

2) أما دراسة (شوشو)، عن [الهجرة غير الشرعية من منظور القانون الدولي والوطني]، 2019م، فتكمن أهميتها في أنها ظاهرة تمدد أمن وسلامة واستقرار المجتمع مما تركه هذه الظاهرة من موانع في المجتمع من أضرار مادية وأخرى نفسية، خاصة أهل المهاجر وأصدقائه، وكذا كافة أفراد عائلته خاصة ما نشاهده اليوم بأنها أصبحت موضوع الساعة وأنها أصبحت تمس بالمجتمع ككل وليست بعائلة المهاجر فقط، أي أصبحت تولد الخوف في المجتمع ككل، ومن أهم توصيات التي جاءت بها الدراسة -إعادة صياغة النصوص التي تجرم الهجرة غير الشرعية وخاصة في قانون العقوبات وهو تغيير العقوبة إلى عقوبة العمل للنفع العام لعلها تكون رادعة وتحقق الهدف من العقوبة.⁽²⁾

3) كما أشارت (فضة) عن [أثر الهجرة غير الشرعية على السياسة الأمنية للاتحاد الأوروبي]، 2022م، في أهمية دراستها في أنها تساعد في فهم خلفيات السياسات العامة الأوروبية وما تتضمنه من محاور متعلقة بالهجرة غير الشرعية، وتحويلها من قضية ذات بعد انساني اجماعي الى قضية ذات بعد أمني لما تحمله من متغيرات تؤثر بصفة أو بأخرى على الجوانب الداخلية والخارجية للدول الأوروبية، وجاءت في نتائج هذه الدراسة أن ظاهرة الهجرة الغير شرعية انتشرت بشكل غير مسبوق وتفاقمت في دول جنوب المتوسط والتي تعاني العديد من الأزمات والتراعات وعدم الاستقرار وغياب الأمن التي عاشتها المنطقة العربية جراء ما عرف بالربيع العربي.³

المصطلحات والمفاهيم:-

1- الهجرة الغير شرعية: هي انتقال فرد أو جماعة من مكان الى آخر بطرق سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دولياً.⁽⁴⁾

1) محمد احمد محمد ابوزيد، (2019م)، الهجرة غير الشرعية وأثرها على الامن القومي الليبي(2017-2011)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط ، عمان.

2) إيمان شوشو، الهجرة غير الشرعية من منظور القانون الدولي والوطني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2019م.

3) عوبنة نسمة، أثر الهجرة غير الشرعية على السياسات الأمنية للاتحاد الأوروبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة زيان عاشور، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، 2017م.

4 - عبد الرحيم رحوني، الأمن الجزائر والفضاء الإفريقي، الطبعة الأولى، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، 2019م، ص48.

2- البروتوكول: هو القاعدة التي توجه الكيفية التي يجب أن يؤدي بها تصرف أو نشاط ما أي هو عبارة عن مجموعة من القواعد أو التوجيهات والتي تكون في أغلب الأحيان شفوية أو مكتوبة. (1)

3- حدود الدولة: الحدود هي شريط أراضي الدول الواقعة حول حدودها الدولية ، أي أن الحدود تشير إلى فصل الدول المجاورة التي ننتمي إليها. (2)

المبحث الأول : الهجرة غير القانونية في التشريعات الليبية:-

تنص المادة الأولى من القانون رقم (6) لسنة 1987 إفرنجي بشأن تنظيم دخول وإقامة الأجانب في ليبيا بما يلي: يكون الدخول إلى الأراضي الليبية أو الخروج منها من الأماكن المحددة للدخول أو الخروج وبإذن من الجهات المختصة ويكون ذلك بالتأشيرة على جواز السفر أو الوثيقة التي تقوم مقامه. وتنص المادة الثانية على أنه يجوز للأجنبي دخول الأراضي الليبية أو البقاء فيها أو الخروج منها إذا كان حاصلًا على تأشيرة صحيحة وفقًا لأحكام هذا القانون ممنوحة على جواز سفر نافذ المفعول صادر عن جهة مختصة معترف بها أو على وثيقة تقوم مقامه تخول حاملها حق العودة للدولة الصادرة منها. كما تنص المادة السادسة من القانون رقم (2) لسنة 1372 و.ر بتعديل بعض أحكام القانون رقم (6) لسنة 1987 ف. بشأن تنظيم دخول الأجانب وإقامة الأجانب في ليبيا بأنه يجوز منح الأجانب تأشيرات دخول صالحة لعدة رحلات متى كانت طبيعة أعمالهم تقتضي ذلك ، كما يجوز منحهم تأشيرة بالخروج والدخول صالحة لعدة رحلات إذا كانوا حاصلين على إقامة وذلك لمدة الإقامة الممنوحة. كما للجنة الشعبية العامة للأمن العام تسهيل إجراءات منح تأشيرات الدخول والخروج لغرض السياحة والاستثمار، وتحدد اللائحة التنفيذية الشروط اللازمة لمنح الإقامة والتأشيرات ومدة صلاحية كل منها.

كما تنص المادة التاسعة عشرة مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد ينص عليها أي قانون آخر يعاقب بالحبس وبغرامة لا تقل عن ألفي دينار أو إحدى هاتين العقوبتين. (1)

أ- كل من أدلى أمام الجهات المختصة بأقوال كاذبة أو قدم إليها بيانات أو أوراقاً غير صحيحة مع علمه بذلك أو قدم لنفسه أو لغيره دخول البلاد أو الإقامة فيها أو الخروج منها بالمخالفة لأحكام هذا القانون.

ب- كل من دخل البلاد أو بقي فيها أو خرج منها بدون تأشيرة صحيحة صادرة عن الجهات المختصة طبقاً لأحكام هذا القانون. ج- كل من خالف الشروط المفروضة لمنح التأشيرة أو مدتها أو تجديدها.

ج- كل من بقي في البلاد بعد إبلاغه بمغادرتها من قبل الجهات المختصة طبقاً لأحكام هذا القانون. هـ- كل من استخدم

أجنيباً دون مراعاة للأحكام الواردة بالمادة التاسعة من هذا القانون. مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يعاقب عليها أي قانون

آخر يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن ألف دينار كل من قام بقصد الحصول لنفسه أو لغيره على منفعة

مادية أو غير مادية بصورة مباشرة بأحد الأفعال الآتية:

1 - سعد سلمان المنهدان، الإنبيكيت والبروتوكول نظرة إسلامية معاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2022م، ص25.

2 - <https://facts-news.org> ، 2021م.

- 1- تهريب المهاجرين بأية وسيلة
- 2- 2. إعداد وثائق سفر لهم أو هوية مزورة أو توفيرها أو حيازتها
- 3- تنظيم أو توجيه أشخاص آخرين للقيام بأي فعل من الأفعال المنصوص عليها في هذه المادة وفي جميع الأحوال يحكم بمصادرة الأموال المحصلة من الجريمة والمبالغ والوسائل التي استخدمت فيها أو أعدت لارتكابها. (2)

المبحث الثاني : التقرير العالمي 2021 م (ليبيا):-

بحسب المنظمة الدولية للهجرة، وصل أكثر من 25,738 مهاجراً وطالبا لجوء إلى إيطاليا ومالطا بين يناير/كانون الثاني ومنتصف سبتمبر/أيلول، 11,295 منهم انطلقوا من ليبيا. سجلت المنظمة 471 حالة وفاة في المنطقة الوسطى لساحل البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة نفسها.

حتى أكتوبر/تشرين الأول، حددت المنظمة الدولية للهجرة 584,509 مهاجرين في ليبيا. بحسب "المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين" (مفوضية اللاجئين)، فإن 46,247 منهم مسجلون كطالبي لجوء ولاجئين. بسبب النزاع والاضطرابات نتيجة فيروس "كورونا"، نفذت المنظمة الدولية للهجرة عدداً أقل من عمليات الإعادة الطوعية للمهاجرين العالقين في ليبيا نحو بلدانهم - 1,466 عملية إعادة في الربع الأول من 2020، مقارنة بـ 9,800 في نفس الفترة من 2019، وحتى أكتوبر/تشرين الأول، تم إنزال 9,448 شخصا في ليبيا بعد أن اعترضهم حرس السواحل الليبي، وفقا للمنظمة الدولية للهجرة التي قالت إن الآلاف فقدوا بعد أن نُقلوا إلى مواقع لم يُكشف عنها أخرى من سوء المعاملة، والابتزاز، والاعتداءات الجنسية. بحسب مفوضية شؤون اللاجئين. (1)

المبحث الثالث: الهجرة غير القانونية في تشريعات دول المغرب العربي:-

إذا كانت البيانات عن الهجرة المنتظمة في المغرب العربي هي نفسها الأكثر استغلالاً، فإن البيانات الخاصة بالسكان الأجانب في شمال أفريقيا تأتي من وزارات الداخلية، وبالتالي من الأجهزة الأمنية في البلاد. فالمعلومات عن هؤلاء السكان تستخدم فقط لأغراض أمنية وال تنشر بشكل عام. وبالمثل، ففي حين تتعامل وزارات العمل أو القوى العاملة مع البيانات الخاصة بالعمال الأجانب، فإنها تخضع لمنطق مماثل - حيث ال تنشر أي معلومات عن ظروف العمل والرواتب. وأخيراً، لا توجد بيانات عن المهاجرين غير الشرعيين من الأساس، ومن ثم، يمكن الحصول على بعض عناصر المعلومات عن هذه الفئة من المهاجرين من خلال الأشخاص الذين يتم استجوابهم، أو الذين تعتقلهم قوات النظام أو الذين يلقون حتفهم وهي تفتقر إلى الدقة وتكون غير مكتملة. وهناك أيضا نقص حاد في البيانات عن ليبيا. فالإحصاءات التي تخرج عن هذا البلد لا يعول عليها بسبب تقلب سياسة الهجرة والتدفق المستمر للمهاجرين الذين يدخلون البلاد أو يغادرونها. ففي ما يلي بيانات عن البلدان التي شملتها الدراسة طبقاً لاتحاد الجمعيات للبحوث التطبيقية بشأن الهجرة الدولية (في العقد الأول من الألفية) والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين:-

خريطة (1) تظهر المسافة بين طريق (شرق ليبيا) الجزائر :

1 - <https://lawsociety.ly/legislation> ، 2021م.

2 - <https://lawsociety.ly/legislation> ، 2021م.



أكثر من 90.000 مهاجر من بينهم 10.000 غير شرعيين + 138 لاجئاً و 192 طالب لجوء (نهاية يناير/كانون الثاني 2010)؛

1- ليبيا : 2.1 مليون مهاجر، من بينهم مليون غير شرعيين+ 6.713 لاجئاً و 4.834 طالب لجوء؛

2- المغرب: ما يقرب من 75.000 مهاجر منهم 10.000 غير شرعيين + 766 لاجئاً و 469 طالب لجوء؛

3- تونس : 45.000 مهاجر، أقل من 10.000 من بينهم مهاجرين غير شرعيين + 94 لاجئاً و 51 طالب لجوء.

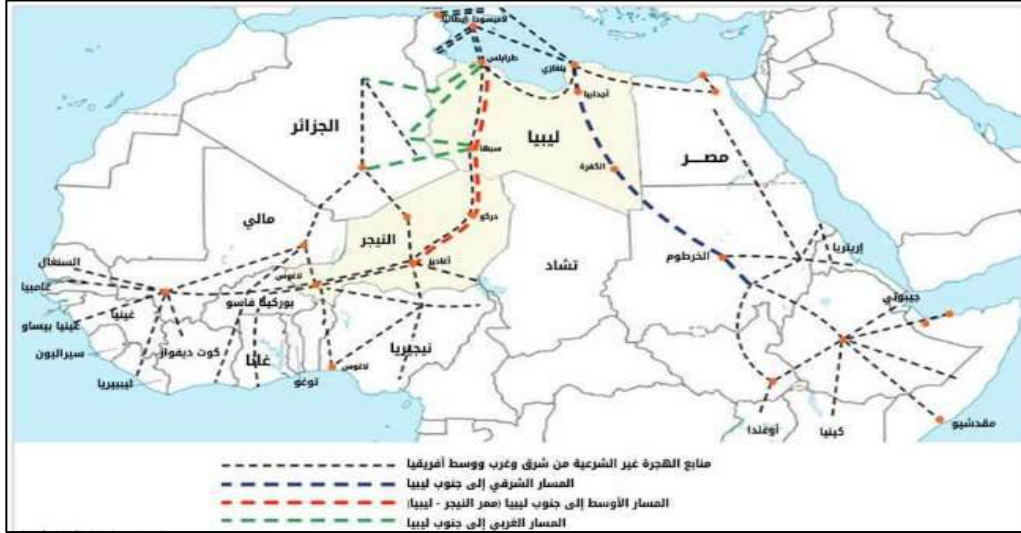
(1) أما من حيث المنشأ الجغرافي للأجانب، تشير التقديرات المتاحة إلى أن أفارقة جنوب الصحراء الذين يعيشون في شمال أفريقيا أكثر عدداً ممن يعيشون في أوروبا، وهم أقل عدداً بكثير في تونس عنها في المغرب والجزائر، مما يمكن تفسيره من واقع أن تونس لديها عمق جغرافي إفريقي أقل شأنًا) ليس لديها حدود مشتركة مع أي دولة جنوب الصحراء الكبرى) وأن حدودها تخضع لرقابة صارمة بشكل خاص. والأغلبية الساحقة من الأجانب الذين يعيشون في ليبيا من أفارقة جنوب الصحراء. وقد تتغير تدفقات المهاجرين وخطوط سيرهم بسرعة كبيرة تبعاً للوضع الجغرافي-السياسي في مناطق المنشأ والتغيرات التي تطرأ على القانون والممارسة في دول المغرب العربي والاتحاد الأوروبي. وهكذا ، يصبح طريق الهجرة الأقدم، وهو مضيق جبل طارق، أقل استخداماً بالتدرج ليحل محله العبور من موريتانيا أو السنغال إلى جزر الكناري (الذي بلغ ذروته في عام 2006)، ومن تركيا إلى جزر الدودي كانز اليونانية (الذي بلغ ذروته في عام 2007) ومؤخراً من ليبيا إلى إيطاليا (الذي بلغ ذروته في 2008). وبينما كانت ليبيا بلد عبور رئيسي حتى وقت قريب جداً فإنها أوقفت تماماً منذ ذلك الحين تدفقات المغادرين من شواطئها. (1)

المبحث الرابع: الهجرة غير القانونية في تشريعات الدول الأوروبية:-

لم تشمل معاهدة روما تناغم قوانين الدول الأعضاء في المفوضية الأوروبية فيما يتعلق بمواطني دول العالم الثالث، إلا أنه لم يكن هناك سياسة مشتركة حول دخول وإقامة مواطني دول العالم الثالث الى المجتمع حيث أن التحكم بالهجرة يندرج ضمن اختصاص كل دولة على حدة، إلا أن تشكيل مجال مجتمع بدون حدود قد أدى الى تعبير بعض الدول الأعضاء عن ضرورة سياسة أوروبية للهجرة بالإضافة الى إلغاء التحكم بالحدود بين دول المفوضية الأوروبية يشمل حرية الحركة لمواطني دول العالم الثالث، وتسوية شغل مشمول في نصين أساسيين (1) اتفاقية شنغن التي تم توقيعها في يونيو/ حزيران 1985 بين اتحاد Benelux الاقتصادي وجمهورية ألمانيا الاتحادية

والجمهورية الفرنسية فيما يتعلق بالإلغاء التدريجي للسيطرة على الحدود، (2) ميثاق تطبيق اتفاقية شنغن التي تم توقيعها في يونيو/حزيران 1990 والتي تكمل الاتفاقية وتحدد الشروط وتضمن تطبيق حرية الحركة والتي لم يتم تطبيقها حتى عام 1995م وقد تم ضم الاتفاقيات والقواعد التي تم تأسيسها ضمن هذه الاتفاقية إلى الاتحاد الأوروبي بموجب معاهدة أمستردام في مايو 8 أيار عام 1990م، وفي معاهدة لشبونة تم ضم تسوية شنغن وبعض التدابير الاحتياطية الإضافية في البروتوكول 19، وتم ضمان حرية الحركة في مناطق شنغن تدريجياً.

خريطة (2) توضح مسارات للهجرة إلى جنوب ليبيا



المصدر: معهد الدراسات الأمنية في أفريقيا.

وقد قامت الدول التي وقعت الاتفاق بإلغاء الحدود الداخلية وتشكيل حدود خارجية موحدة فقط حيث تتم إجراءات التحكم والدخول الرسمي، وقد تم تطبيق إجراءات وقواعد مشتركة تتعلق بالدخول والإقامة والفيزا وتطبيقات اللجوء والتحكم بالحدود ضمن مناطق شنغن، ولموازنة حرية الحركة وإلغاء التحكم بالحدود الداخلية قامت الدول الأعضاء بتقوية التعاون بين قوى الشرطة والسلطات القضائية للقضاء على الجريمة المنظمة، وقد تم إنشاء قاعدة بيانات للأشخاص والبضائع يمكن للسلطات الوطنية المختصة إياها، وبالإضافة إلى النظام الرئيسي يوجد نظام وطني في كل دولة من الدول الأعضاء يتصل بالنظام المركزي، وقد تم تأسيس مكاتب لطلب المعلومات الإضافية عن المدخل الوطني في جميع دول شنغن لتبادل المعلومات الإضافية. (2)

المبحث الخامس: الاتفاقية الدولية للأمم المتحدة حول حقوق العمال المهاجرين وأفراد أسرهم:-

1 - مانو وآخرون، الشبكة الأوروبية-المتوسطية لحقوق الإنسان" دراسة حول الهجرة واللجوء في بلدان المغرب العربي"، الطبعة الأولى، لشبكة الأورو-متوسطية لحقوق الإنسان، كوبنهاغن، كانون الأول / ديسمبر 2010، ص43.

2 - سعاد إبراهيم السلمي، السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، المنهل للنشر والتوزيع، عمان، 2020م، ص73.

اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (25) في الدورة (55) في 15 نوفمبر 2000، وقد وقعت عليها ليبيا في 13/11/2001، وصدقت عليها في 18/6/2004. بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البحر والبر والجو المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لقمع الجريمة المنظمة عبر الوطنية - نيويورك: 2000/11/15 اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة رقم (25)، الدورة (55)، وقد وقعت عليها ليبيا في 13/11/2001، وتم التصديق عليها في 24/9/2004.

الإتجار بالبشر: بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص وبخاصة النساء والأطفال المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمنع الجريمة المنظمة عبر الوطنية، نيويورك 2000/11/15 اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة رقم (25)، الدورة (55)، وقعت عليها ليبيا في 13/11/2001، وصادقت عليها في 24/9/2004. (1)

خريطة (3) أبرز الطرق التي يسلكها المهاجرون



المصدر: المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات

وتهدف الاتفاقية إلى وضع معايير دنيا تلزم الدول الأطراف بتطبيقها على العمال المهاجرين وأفراد أسرهم بغض النظر عن وضعهم من حيث الهجرة. وقد أعيد أيضاً، في الديباجة، تأكيد السبب الكامن وراء الاعتراف بحقوق العمال المهاجرين الذين لا يحملون مستندات تثبت هويتهم، إذ رأت الدول الأطراف أن العمال المهاجرين الذين هم في وضع غير نظامي يستغلون في أحيان كثيرة ويتعرضون لانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان وأنه ينبغي التشجيع على اتخاذ الإجراءات المناسبة لمنع ت نقلات العمال المهاجرين السرية وحظر الاتجار بهم ووضع حد لهاتين الممارستين مع ضمان حماية حقوقهم الإنسانية في نفس الوقت. (2)

1 - امهدي محمد امهدي، مقالة بعنوان "التشريع الليبي وحدود الأنظمة القضائية لمكانة الهجرة غير النظامية"، <https://daamdh.org/wp>، 2019م.

2 - امهدي محمد امهدي، مقالة بعنوان "التشريع الليبي وحدود الأنظمة القضائية لمكانة الهجرة غير النظامية"، <https://daamdh.org/wp>، 2019م.

النتائج :-

- 1- وصل أكثر من 25,738 مهاجرا وطالب لجوء إلى إيطاليا ومالطا بين يناير/كانون الثاني ومنتصف سبتمبر/أيلول، 11,295 منهم انطلقوا من ليبيا.
- 2- الأغلبية الساحقة من الأجانب الذين يعيشون في ليبيا من أفارقة جنوب الصحراء.
- 3- البيانات الخاصة بالسكان الأجانب في شمال أفريقيا تأتي من وزارات الداخلية.
- 4- رأت الدول الخارجية أن العمال المهاجرين الذين هم في وضع غير نظامي يستغلون في أحيان كثيرة ويتعرضون لانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

الخاتمة:-

كل ما تم ذكره من قوانين واتفاقيات أشرفت عليها منظمة الأمم المتحدة لم نر منها على أرض الواقع أي ملمس للحقيقة، فقضية التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبات القاسية اللاإنسانية نجدها عندهم في الولايات المتحدة وأوروبا، فلو كانت فعلا قانونا تشريعياً دولياً لتقيدت به تلك الدول الغربية منذ سنين واحترمت ذوي البشرة السمراء والمسلمين القاطنين في الولايات المتحدة ودول العالم الغربي، التي نسمع كل يوم وكل شهر عن أحداث يقتل فيها المواطنون من ذوي البشرة السمراء الحاملين للجنسية الأمريكية أو غيرهم دون مبرر إلا العنصرية المقيتة والتي لا يزالون يتعاملون بها، كذلك لو كانت هذه التشريعات الدولية احترمت مصالح العمال لما حدثت المظاهرات التي تعم شوارع الدول الغربية من إنهاء خدمة عديد العمال في عدة مصانع وموظفين في عديد الشركات بحجة تقليص عددهم دون وجود ضمان يعول أسرهم المسكينة.

فأين هي حقوق العمال وأين هي حقوق ذوي البشرة السمراء قبل أن تشرع لنا هذه القوانين الدولية وتريدنا نحن أن نتحمل وأن نستقبل هؤلاء المهجرين الغير شرعيين من دولهم والذين جاؤوا بحثاً عن العمل والغذاء والمال الوفير و أمام هذا الأمر الواقع حيال هذه الهجمة التي يشنها المهجرين غير شرعيين منذ أيام من خلال ما تم عرضه على شاشات القنوات المحلية والعربية والاجنبية أن ليبيا تقوم بتعريض المهجرين الى التعذيب والضرب وحرمانهم من المأوى والمأكل في حين أن ذلك كله إشاعات مغرصة وكان سبب اعتقال بعضهم لأنه مجموعات منهم دخلت تجارة المخدرات وبيع السلاح من أجل تحسين معيشتهم ومغادرة ليبيا حال تيسير أحوالهم فهذه الجرائم التي يرتكبها الأفارقة تسبب لنا ارباكاً في الوضع الداخلي في ليبيا وزعزعة برنامجها الانتخابي الذي هو على مشارف الأشهر القادمة وها هي المنظمات تدعوننا مراراً وتكراراً لحل هذه المشكلة داخليا وتوفير مقرات لهم فهل هذا يعقل يا منظمة الأمم المتحدة!؟

التوصيات:-

- 1) يجب على المجتمع الدولي والمنظمات المتعلقة بحقوق الإنسان أن تفعل ما تقول وتطبق ما تكتبه من قوانين وتشريعات في مكافحة الهجرة الغير شرعية ولا تقوم بالتعامل مع بعض الشخصيات الغير مسؤولة داخل الأراضي الليبية.

- 2) يجب على الدولة الليبية وضع حزمة من القوانين الحديثة و التي تمنع أي تدخل في شؤون الهجرة غير شرعية من قبل بعض المنظمات الغير رسمية بغية الحصول على معلومات حول المقرات المخصصة لهذه الجماعات إلا برسالة رسمية وتوقيت وزمن مناسب وليس الدخول في وقت الأزمات والحروب .
- 3) على أجهزة الدولة الليبية في وزارة الداخلية أن تتكفل بملف الهجرة غير شرعية وتقوم بتكليف شخصيات ليس لها قضايا أو تدور عليها الشبهات في تولي هذا الملف الحساس.
- 4) على الجهات المسؤولة داخل ليبيا مراجعة التقارير والنشرات والمعلومات التي تأخذ من عن طريق المنظمات الدولية والتي تتحصل عليها من خلال المقابلات الشخصية على مقرات الهجرة غير شرعية والتأكد من صحة الإجابات ومطابقتها بالواقع الموجود في مقرات الإيواء تحسباً لأي كذب أو تدليس أو تزوير في الحقائق المعطاة.
- 5) في حالة عدم استجابة المجتمع الدولي لمساعدة الدولة الليبية في موضوع الهجرة غير شرعية من ناحية الإعانة والإغاثة، فهنا يجب على الدولة الليبية أن تضرب بيد من حديد وتقوم بترحيلهم الى أوروبا في رحلات مجانية وسنرى بعدها ما سيحدث .

المصادر والمراجع :-

1. محمد محمد محمد ابوزيد، (2019 م)، الهجرة غير الشرعية و أثرها على الأمن القومي الليبي(2017-2011)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط ، عمان.
2. إيمان شوشو، الهجرة غير الشرعية من منظور القانون الدولي والوطني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2019م.
3. مخلوف فضة، أثر الهجرة غير الشرعية على السياسة الأمنية للاتحاد الأوروبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، 2022م.
4. عبد الرحيم رحومني، الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي، الطبعة الأولى، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، 2019م، ص48.
5. سعد سلمان المشهداني، الإتيكيت والبروتوكول نظرة إسلامية معاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2022م، ص25.
6. https://facts-news.org ، 2021م.
7. https://lawsociety.ly/legislation ، 2021م.
8. https://lawsociety.ly/legislation ، 2021م.
9. https://www.hrw.org/ar/world-report/2021/country-chapters/libya
10. ماثيو وآخرون، الشبكة الأوروبية-المتوسطة لحقوق الإنسان" دراسة حول الهجرة واللجوء في بلدان المغرب العربي"، الطبعة الأولى، لشبكة الأورو-متوسطة لحقوق الإنسان، كوبنهاغن، كانون الأول / ديسمبر 2010، ص43.
11. سعاد ابراهيم السلموني، السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، المنهل للنشر والتوزيع، عمان، 2020م، ص73.
12. امهيدي محمد امهيدي، مقالة بعنوان "التشريع الليبي وحدود الأنظمة القضائية لمكافحة الهجرة غير النظامية"،
https://daamdth.org/wp- 2019م

مؤامرة المس بأمن الدولة الداخلي - محاكمة مراكش 1971

أ. نعيم الحرازي/ أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية.

المستخلص:

يتناول هذا المقال محطة من محطات الصراع حول السلطة في المغرب بين النظام الملكي والاتحاد الوطني للقوات الشعبية بعد الاستقلال، والتي كانت موضوع محاكمة شهيرة ذات صبغة سياسية عرفت بمحاكمة مراكش سنة 1971 بتهمة مؤامرة المس بالأمن الداخلي للدولة. ويقدم نبذة عن التنظيم السري في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، كما يحدد السياق التاريخي لهذه المؤامرة، ويتتبع باختصار أبرز مراحل محاكمة المتهمين فيها، البالغ عددهم 193 متهما، ما بين 14 يونيو/حزيران و17 شتنبر/أيلول 1971 إلى غاية إصدار الأحكام النهائية. ثم يتطرق المقال إلى انعكاسات هذه المحاكمة على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وتنظيمه السري. **الكلمات المفتاحية:** الاتحاد الوطني للقوات الشعبية- التنظيم السري- مؤامرة المس بأمن الدولة الداخلي- محاكمة مراكش.

Abstract:

This article discusses the post- independence struggle over power between the monarchy and the National Union of Popular Forces. Actually, this struggle was known as the conspiracy of menacing the state's internal security followed by the famous Marrakesh's political trial in 1971. Equally, this piece of paper presents not only an overview of the secret unit in the National Union of Popular Forces, but also an idea about the historical premises of this conspiracy. Notably, it is also an attempt to follow the main steps of trial of the 193 suspects between June 14th and September 17th of 1971 to the last day of the final verdict. Finally, this paper outlines the outcomes of this trial on the National Union of Popular Forces and its secret unit.

Key words: National Union of Popular Forces-secret unit-the conspiracy of menacing the state's internal security-Marrakesh's political trial.

مقدمة: يعد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أقوى أحزاب المعارضة المغربية بعد الاستقلال. دخل الحزب منذ تأسيسه شتنبر/أيلول 1959 إلى غاية انعقاد المؤتمر الاستثنائي للحزب سنة 1975 في مواجهة حادة مع النظام الملكي حول السلطة، واعتمد في معارضته على العمل السياسي المشروع والعنف المسلح بواسطة جناحه الثوري الذي عرف بالتنظيم السري مما عرضه لقمع شديد، ومضايقات كثيرة من السلطة التي وظفت وسائل مختلفة، تراوحت بين المشروعة وغير المشروعة مثل المحاكمات السياسية والعسكرية، والاختطافات، والاعتقالات، ومنع صحف الحزب. وكانت مؤامرة المس بالأمن الداخلي للدولة، ومحاكمة مراكش سنة 1971 إحدى جولات الصراع بين الطرفين. فما هي ظروف تأسيس التنظيم السري في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية؟ وما السياق التاريخي لهذه المؤامرة؟ ما هي الأطراف المسؤولة عنها والفاعلة فيها؟ كيف كانت أطوار محاكمة المتهمين بمراكش؟ وما الأحكام التي صدرت في حق المتهمين؟ وما هي تداعياتها اللاحقة؟

1- نبذة عن التنظيم السري في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية

احتدم الصراع بين جناحي حزب الاستقلال التقليدي والتقدمي منذ أبريل/نيسان 1958 بعد استقالة حكومة البكاي الثانية حول مفاوضات الحزب مع محمد الخامس لتشكيل حكومة تقتصر على الاستقلاليين فقط. وتعمق الخلاف بعد إسناد الملك رئاسة الحكومة إلى أحمد بلافريج، وتأجج الخلاف حول كيفية الإعداد لمؤتمر الحزب الذي كان من المقرر انعقاده شتنبر/أيلول 1958 ثم أجل إلى يناير/كانون الثاني 1959 مما مهد إلى انقسام حزب الاستقلال¹ وتأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية شتنبر/أيلول 1959 ذي التوجهات الاشتراكية والتقدمية. تشكل هذا الحزب من ثلاثة تيارات أساسية هي: التيار السياسي بزعامة المهدي بن بركة، والتيار النقابي بقيادة المحجوب بن الصديق، وتيار المقاومة وحيش التحرير وعلى رأسه محمد الفقيه البصري إلى جانب أعضاء من حزب الشورى والاستقلال ومن الحركة الشعبية والأحرار المستقلين، واتخذ موقفا معارضا لتوجهات القصر في العديد من القضايا، وهاجم بعنف حاد النظام الملكي عبر جريدته التحرير².

اقنع ولي العهد مولاي الحسن بأن هذا الحزب يشكل تهديدا للملكية ومنافسا قويا على الحكم؛ لاسيما وأن المهدي بن بركة نجح في توطيد علاقات الاتحاد الوطني مع الأنظمة التقدمية العربية في سوريا ومصر والعراق، بالإضافة إلى تحكيم محمد البصري، أحد قادة الحزب، في جيش التحرير بالجنوب³، وإمكانية استعماله في الانقلاب على السلطة. وزادت الظروف الإقليمية والدولية آنذاك التي اتسمت بتصاعد الانقلابات العسكرية في العالم الثالث، وانتشار الأفكار الناصرية والبعثية في العالم العربي، وسقوط الأنظمة الملكية في مصر سنة 1954، وتونس سنة 1957، والعراق عام 1958 من توجهات النظام الملكي تجاه الاتحاد الوطني، فقرر مولاي الحسن حل جيش التحرير بالجنوب، وإسقاط حكومة عبد الله إبراهيم، وكسر شوكة هذا الحزب.

وبعد ثلاثة أشهر فقط على تأسيس الاتحاد الوطني، اعتقل محمد البصري، مدير جريدة التحرير لسان الحزب، وعبد الرحمان اليوسفي، رئيس التحرير، يوم 15 دجنبر/كانون الأول 1959، وتم إيداعهما سجن لعلو بالرباط على إثر افتتاحية نشرت في عدد يوم 13 دجنبر/كانون الأول 1959، اعتبرها بلاغ صادر عن مجلس الوزراء مسا بالمؤسسات الوطنية⁴. وتوبع المسؤولان بتهم التهجم على مقام صاحب الجلالة، والقيام بأفعال من شأنها أن تخل بالأمن العام، والتحريض على ارتكاب الجرائم ضد أمن الدولة، والمس بسلامة الدولة⁵.

وما بين 14 و26 فبراير/شباط 1960، اعتقل عشرات المقاومين، وعناصر جيش التحرير في مختلف مناطق المغرب بتهمة التآمر لاغتيال ولي العهد مولاي الحسن، وتعرضوا للتعذيب مما أثار عدة ردود فعل مسلحة عنيفة. وتبين لاحقا أن السلطات الأمنية

1 حفظة بلمقدم، حزب الاستقلال وتغيير الانتقال: بين الانسجام والنصدع، دجنبر 1955-يناير 1963، منشورات فكر، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 94-114.

2 نعيم الخرازي، جريدة التحرير لسان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية 1959-1963، دورية كان التاريخية، السنة الخامسة عشرة، العدد 58، دجنبر 2022، ص 129-133.

3 تأسست نواة هذا الجيش ماي 1956 إثر حل جيش التحرير بالشمال، وإدماج معظم عناصره في الجيش الملكي بينما لم يقبل مفارمون آخرون الانخراط في صفوف القوات الملكية المسلحة، وفضلوا الاستمرار في المقاومة لتحرير ما تبقى من التراب الوطني. وفي لقاء بين محمد الخامس وبعض المفارمين، تقرر السماح هؤلاء بالتوجه إلى الجنوب لتحريره من الاستعمارين الفرنسي والإسباني. وانقسمت الصحراء إلى قيادتين: واحدة في كلميم برأسها محمد بن حمو، وتقوم بتسيير العمليات الحربية في الصحراء وموريتانيا. والقيادة الثانية في آرفود، أشرف عليها محمد بوراس الفكيكي، وكانت مهمتها مقاومة القوات الفرنسية في المغرب الشرقي، وعلى طول الحدود المغربية الجزائرية. انظر محمد بن حمو الكامل، صفحات من تجرية حياة، منشورات الندوبية السامية لخدمة المفارمين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2010، ط 1، ص 53.

4 الموساوي العجلوي، من الاتحاد الوطني إلى الاتحاد الاشتراكي 1959-1983، الرباط، مطبعة البديني، 2002، ص 54.

5 "قضية جريدة التحرير ومتابعة مديرها ورئيس تحريرها"، الرأي العام، 1959/12/18.

افتعلت تلك المؤامرة لضرب جناح المقاومة في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وحل جيش التحرير بالجنوب مارس/آذار 1960، وإسقاط حكومة عبد الله إبراهيم يوم 20 ماي/أيار 1960. ويوم 3 يونيو/حزيران 1960 أصدر محمد الخامس بمناسبة عيد الأضحى عفوا على جل المقاومين الذين اقموا بتدبير «المؤامرة» دون محاكمة ومنهم محمد البصري الذي لم يصدر في حقه أي حكم في قضية التهم الأربعة المتعلقة بجريدة التحرير¹، بينما بقي آخرون لم يشملهم العفو؛ إذ صدر في حق أربعة منهم الحكم بالإعدام يوم 19 غشت/آب 1961. وتم تنفيذه يوم 24 يناير/كانون الثاني 1962 وهم: مولاي إدريس بن أحمد الدكالي، وأحمد بن محمد تاجا، وعبد الله الزناكي، ومحمد بنحمو الفواخري².

شكلت الفترة الممتدة ما بين 1959 و1960 منعطفا حاسما في قناعات عدد من المقاومين، وبعض قادة ومناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وعناصر جيش التحرير بالجنوب الذين تبنوا العمل المسلح لإسقاط نظام الحكم بالمغرب. فالتعذيب الذي تعرضوا له، وحل جيش التحرير بالجنوب دون استرجاع الأقاليم الصحراوية الجنوبية، وبقاء القوات الاستعمارية في المغرب، وإسقاط حكومة عبد الله إبراهيم ماي/أيار 1960 عمق شعورهم بالإقصاء والإحباط، وولد لديهم الرغبة في الانتقام والإطاحة بالملكية. وهكذا نشأ التنظيم السري أو التنظيم الموازي أو الجناح البلانكي³ داخل الاتحاد الوطني ما بين سنتي 1959 و1960 الذي قاده الفقيه البصري، ومولاي عبد السلام الجبلي، وسعيد بونعيلات، ومحمد بن سعيد آيت إيدر، ومحمد الفكيكي بوراس، ومقاومون آخرون لإسقاط النظام. كما انخرط أحمد أكوليز المعروف بشيخ العرب⁴ وعناصر تنظيمه في الإعداد للثورة المسلحة من داخل المغرب ومن الجزائر لاحقا. ونجح قادة التنظيم السري في تأسيس عدة خلايا مسلحة في مدن ومناطق مختلفة من البلاد ما بين سنتي 1961 و1962.

وصلت أولى عناصر المعارضة المغربية إلى الجزائر شتنبر/أيلول 1962⁵؛ إذ كانت الجزائر ملاذ عدد كبير من قادة وعناصر جيش التحرير، ومناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الفارين من متابعة السلطات المغربية. ونجح قادة التنظيم السري في الحصول على دعم النظام الجزائري؛ حيث وفر لعناصره عشرات الشقق والإقامات في الجزائر العاصمة وهران وتلمسان وسيدي بلعباس، وفتح معسكرات التدريب، وقدم الأسلحة والمؤطرين العسكريين بالإضافة إلى جوازات السفر والمساعدات المالية الشهرية التي كانت تخصص للمناضلين وأسرههم انطلاقا من الصندوق الخاص بدعم حركات التحرر الوطني في العالم الثالث⁶. وكان مولاي عبد السلام الجبلي في

1 "الوفود والبرقيات تنوارد على الكتابة العامة للاتحاد الوطني للثبته بإطلاق سراح المقاومين"، الرأي العام، 1960/6/4.

2 نعيم الخرازي، مؤامرة اغتيال ولي العهد مولاي الحسن فبراير/شباط 1960، دورية كانة التاريخية، السنة الخامسة عشرة، العدد 56 يونيو/حزيران 2022، ص 162-164.

3 الثيار البلانكي نسبة إلى لويس أوغست بلانكي Auguste Blanqui، أحد رموز ثورة 1848 بفرنسا. ويرمز في تعبير السياسيين إلى موقف لا يهتم إلا بالنتيجة؛ حيث النتيجة نبر الوسيلة.

4 اسمه أحمد أكوليز، مقاوم من مواليد أكوليز ضواحي طاطا سنة 1924. دخل العمل السري عام 1959، وأسس عدة خلايا مسلحة بالمغرب للإطاحة بالنظام الملكي. لجأ إلى الجزائر سنة 1963، وعاد إلى المغرب سرا في

أبريل/نيسان من السنة الموالية للقيام بعمليات مسلحة. قتل في اشتباك مع قوات الأمن بالدار البيضاء يوم 7 غشت/آب 1964.

Abdallah Saaf, *Histoire d'An-Mah*, Paris, l'Harmattan, 1996, p 158.5

6 محمد لومة، أسطورة شيخ العرب، تقديم عبد الرحمان بنعمرو، الفبيرة، المطبعة السريعة، 2003، ط 3، ص 132.

الفترة الممتدة ما بين 1963 و1967 المخاطب الوحيد للسلطات الجزائرية، والمسؤول عن توزيع الإعانات المالية التي تقدمها الجزائر إلى اللاجئين المغاربة وعناصر التنظيم السري المقيمين فوق أراضيها¹.

وتفيد الشهادات المتوفرة على قلتها إلى وجود صراعات حادة بين قادة التنظيم السري في الجزائر ما بين 1963 و1967 حول طريقة الإعداد للثورة المسلحة في المغرب، وتدابير معسكرات التدريب والأسلحة، ومسألة الإعانات المالية بالإضافة إلى خلافات وحرزات شخصية بين أولئك القادة. وانقسمت قيادة التنظيم السري ما بين سنتي 1963 و1964 إلى قسمين متنافسين: شيخ العرب، وسعيد بونعيلات، وحمدون شوراق من جهة ومحمد بارو، وإبراهيم التزنيقي، والحسين الخضار من جهة أخرى. ورغم محاولات الصلح بين الطرفين فإنها لم يفض إلى نتيجة².

بدأ قادة التنظيم السري وتنظيم شيخ العرب العمل لإشعال الثورة المسلحة وإسقاط نظام الحسن الثاني منذ عام 1961 بشكل منفصل إلى أن تم التنسيق بينهما منذ يونيو/حزيران 1962. لكن السلطات الأمنية نجحت في الاطلاع على استعدادات الطرفين. وقامت بحملة اعتقالات في صفوف تنظيم شيخ العرب ما بين 14 يونيو/حزيران 1963 و15 يوليو/تموز 1963³. ويوم 16 يوليو/تموز 1963 حاصرت قوات الشرطة مقر الكتابة العامة للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالدار البيضاء الذي كان يحتضن اجتماعا للجنة المركزية للحزب، واعتقلت 105 عضوا من الحزب⁴. يومان بعد ذلك اعتقل البصري في الرباط. وخلال الأيام الموالية، قامت السلطات بحملة اعتقالات في صفوف الحزب وصلت حسب إحصائيات حزبية إلى 5000 معتقل⁵.

وفي الثالث والعشرين من نونبر/تشرين الثاني 1963، انطلقت محاكمة المتهمين بتهمة المس بأمن الدولة الداخلي، والاعتداء على حياة جلالة الملك، وعدم الإخبار والمشاركة في هذه الجرائم، ومحاولة ارتكابها⁶. بمحكمة الجنايات الإقليمية بالرباط بحضور 83 معتقلا وتسجيل 17 في حالة فرار واثنين بالمستشفى⁷. وانقسم المتهمون إلى مجموعتين: «مجموعة شيخ العرب» و «مجموعة البصري». ويوم 14 مارس/آذار 1964 أصدرت المحكمة الحكم بالإعدام في حق 11 متهما، وثلاثة بالمؤبد، وأحكام أخرى تراوحت بين سنة واحدة وعشرين سنة، والحكم بما قضاها في حق اثنين، والبراءة لـ 36 متهما⁸.

وردا على تلك الأحكام، تسربت مجموعة مسلحة ضمت 80 عنصرا بقيادة عبد الله بن حمو يونيو/حزيران 1964، أخ محمد بن حمو المسفيوي، إلى بركان وسيدي بوبكر قرب جرادة على الحدود المغربية الجزائرية، واشتبكت مع القوات المسلحة الملكية مما

1 المصدر نفسه، ص 130-131.

2 المهدي بونة، أبطال بلا مجد، ترجمة آيت احمد، منشورات طارق، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2005، ص 51.

3 محمد لومة، أسطورة شيخ العرب، مصدر سابق، ص 111.

4 عبد اللطيف جبرو، 16 يوليو/تموز 63، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2000، ص 12.

5 الموساوي العجلاني، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 77.

6 "في المحكمة الختامية بالرباط، عقد الاتهام بنسب للمتهمين محاولة اغتيال الملك"، العلم (المغرب)، 29-12/1963.

7 محمد الصعبي، عقود الرصاص بالمغرب، ط 1، منشورات الأفق الديمقراطي، الرباط، مطبعة الرباط نت ماروك، 2007، ص 18.

8 "الحكم بإعدام 11 من المتهمين 3 منهم معتقلون، براءة 34 من المتهمين والإفراج عن 5 آخرين"، العلم، 16/3/1964.

أسفر عن سقوط قتلى من الجانبين، واعتقال آخرين¹، وفرار ثمانية مسلحين إلى الجزائر². تمت متابعة العناصر المعتقلة أمام المحكمة العسكرية الدائمة للقوات الملكية المسلحة المنعقدة في مكناس يوم 6 غشت/آب 1964 بتهم المس بالأمن الداخلي والخارجي للدولة، ومقاومة الجيش المغربي بالسلاح، والثورة داخل البلاد لإبدال نظامها الملكي بآخر جمهوري. يومان بعد ذلك أصدرت المحكمة حكما بالإعدام على 18 متهما: 14 حضوريا، وأربعة غيابيا³.

وفي إطار ردود الفعل، دخل شيخ العرب رفقة عمر الناصر المعروف بالفرشي⁴ إلى وجدة ليلة 7 أبريل/نيسان 1964، ومنها انتقلا إلى الدار البيضاء ومعهما شحنة من الأسلحة عبارة عن مسدسات ورشاشات وقنابل وذخيرة على أساس تشكيل خلايا للقيام بعمليات مسلحة⁵. لكن وشاية من أحد المخبرين عن وجود شيخ العرب في منطقة سيدي عثمان بالدار البيضاء مكنت قوات الأمن من محاصرته؛ حيث لقي مصرعه يوم 7 غشت/آب 1964 رفقة صديقه أحمد أزنك. وفي الأيام الموالية توالى الاعتقالات في صفوف تنظيم شيخ العرب لتشمل 40 عنصرا⁶.

توبع 39 عضوا من مجموعة شيخ العرب بتهمة الاعتداء على النظام لإحلال نظام محله ومحاولة القتل العمد، والمس بسلامة الدولة أمام محكمة الاستئناف بمراكش التي قضت سنة 1967 بإعدام إبراهيم الحلاوي، والمؤبد في حق 11 متهما، والسجن في حق الباقين بمدد تراوحت ما بين خمس سنوات وعشرين سنة⁷.

وفي الذكرى الحادية عشرة لثورة الملك والشعب 20 غشت/آب 1964، أصدر الحسن الثاني عفوه على محمد البصري، ومومن الديوري، وعمر بن جلون بتحويل حكم الإعدام إلى السجن المؤبد⁸. وعقب أحداث 23 مارس/آذار 1965 بالدار البيضاء، أصدر الملك يوم 13 أبريل/نيسان عفوا على المعتقلين بمناسبة عيد الأضحى في قضية مؤامرة 16 يوليوز 1963 وضمنهم الفقيه البصري⁹.

2- السياق التاريخي لمؤامرة المس بأمن الدولة الداخلي 1971

-
- 1 محمد الصعيب، عقود الرصاص بالمغرب، مرجع سابق، ص 17.
 - 2 عبد الله رشد، كفاح المغاربة في سبيل الاستقلال والديمقراطية 1953-1973، الدار البيضاء، الشركة الجديدة للمطابع المتحدة، 2004، ط 1، ص 429.
 - 3 لومة، مكافح مغاري... يتذكر، القنيطرة، المطبعة السريعة، 2013، ط 1، ص 155-156.
 - 4 اسمه الحقيقي هو عمر الناصري من مواليد مراكش، مقاوم ومناضل اتحادى وعضو التنظيم السري. فر من المغرب 1960 إلى الجزائر وتبع عدة تكوينات وتلقى عدة تدريبات وساهم في أخرى بالجزائر وسوريا. دخل المغرب مرتين سنة 1964 مع شيخ العرب ثم سنة 1969 و1973، شارك في أحداث مولاي بوعزة 3 مارس 1973 ونجح في مغادرة المغرب إلى الجزائر عقب هذه الأحداث. عاد إلى المغرب بعد 1994 وتوفي 2011.
 - 5 محمد لومة، أسطورة شيخ العرب، مصدر سابق، ص 134-135.
 - 6 المهدي بنونة، أبطال بلا مجد، مصدر سابق، ص 52-53.
 - 7 محمد الصعيب، عقود الرصاص بالمغرب، مرجع سابق، ص 25-26.
 - 8 عبد اللطيف جبرو، 16 يوليوز 1963، مصدر سابق، ص 153.
 - 9 "تحرير المناضلين محمد البصري ورفاقه"، المحرر (المغرب)، 1965/4/15.

جاءت مؤامرة المس بأمن الدولة الداخل في سياق دولي اتسم بتصاعد تأثير الثورة الكوبية وحرب الفيتنام والفكر اليساري في العالم، وهزيمة العرب أمام إسرائيل في حرب يونيو/حزيران 1967، وكذا أحداث ماي/أيار 1968 في فرنسا بالإضافة إلى تصاعد العمل الفدائي الفلسطيني ضد الإسرائيليين والمواجهة بين قوات منظمة التحرير الفلسطينية والجيش الأردني في الأردن. وعلى الصعيد الوطني، انطلقت اعتقالات المتهمين في هذه المؤامرة دجنبر/كانون الأول 1969 في سنوات الرصاص بعد تسع سنوات على مؤامرة اغتيال ولي العهد فبراير 1960، وسبع سنوات على إقرار أول دستور للبلاد، وست سنوات على مؤامرة 16 يوليو/تموز 1963، وأربع سنوات على أحداث مارس/آذار 1965 بالدار البيضاء وإعلان الحسن الثاني حالة الاستثناء يوليو/تموز من السنة نفسها، وكذا اختطاف المهدي بن بركة يوم 29 أكتوبر/تشرين الأول في باريس من العام نفسه. كما تنامي التيار الماركسي في صفوف الشباب المغربي، وعانى المغاربة من ارتفاع البطالة، وتأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانتشار الفساد والمحسوبية؛ حيث تم تقديم بعض الوزراء وكبار موظفي الدولة وبعض رجال الأعمال أمام محكمة العدل الخاصة بتهمة الفساد، والثراء غير المشروع، والزبونية، وإهدار المال العام. وشهدت البلاد انتفاضتين للفلاحين الأولى في نواحي دجنبر/كانون الأول 1969، والثانية في أولاد خليفة يوم 28 نونبر/تشرين الثاني 1970 مما أسفر عن مصرع شخصين وجرح العشرات واعتقال المئات¹. وعلى مستوى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، عانى الحزب من الضعف نتيجة مضايقات وقمع السلطات ومنع صحافته. واعتقل المحجوب بن الصديق الكاتب العام للاتحاد المغربي للشغل يوم 9 يونيو/حزيران 1967 على إثر إرساله برقية إلى الديوان الملكي أدان فيها مواصلة تقديم دعم الحكومة إلى للحركة الصهيونية في المغرب والتي كانت تنشط ضمن مكتب التسويق والتصدير في الوقت الذي تتعرض فيه دول عربية للعدوان الإسرائيلي. كما عارض بعض مناضلي الحزب قرار الوحدة بين جناحيه النقابي والسياسي غشت/آب 1967 الذي اتخذته عبد الرحيم بوعبيد وعبد الله إبراهيم؛ باعتبار أن الجناح النقابي كان يعرقل العمل السياسي في نفس الوقت الذي كان يسد فيه أبواب التنظيمات النقابية أمام المناضلين². بينما كان التنظيم السري يواصل استعداداته لإشعال الثورة المسلحة منذ سنة 1967.

3- الإعداد للثورة المسلحة بالمغرب ما بين 1967 و1969

أ- مرحلة الجزائر 1967-1968

شكل انقلاب الهواري بومدين، وزير الدفاع، يوم 16 يونيو 1965 على ابن بلة منعظفا هاما في علاقة النظام الجزائري بقيادة التنظيم السري. فقد أدان قادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية واللاجئون المغاربة هذا الانقلاب بحكم علاقتهم الوثيقة بابن بلة ودعمه وتعاطفه المطلق معهم باستثناء المهدي بن بركة الذي ألح في اتصالات هاتفية على عدم الانسياق وراء العواطف، واعتبر الأمر شأنا داخليا¹.

1 محمد لومة، ثورة شعبية؟ أم مناورة للتحريك؟ محاكمة مراكش الكبرى 1971، تقديم عبد الرحمان عمرو ومحمد الحبيب الفرقاني، الفينطرة، المطبعة السريعة، 2008، ط 3، ص 54-55.

2 الموساوي العجلاري، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 90.

اختار يومدين نجح سياسة حسن الجوار مع المغرب. ويوم 3 غشت/آب 1965 زار محمد أوفقي، وزير الداخلية، الجزائر والتقى بالرئيس الجزائري الذي تعهد بإغلاق معسكرات التدريب وعدم التسامح مع المعارضة المغربية على الأراضي الجزائرية فيما يخص السلاح.²

ولهذا قامت السلطات العسكرية الجزائرية بمضايقة عناصر المعارضة المغربية³، وحل التنظيمات المسلحة واسترجاع أسلحتها⁴. واعتقل محمد بن حمو المسفيوي وعناصره، ووضع في ثكنة باريكو بين الجزائر العاصمة وهران إلى غاية يناير/كانون الثاني 1967⁵. كما سجن مناضلون آخرون ضمنهم عمر الفرشي، وإبراهيم الترنيني⁶. وتفيد شهادات العديد من اللاحقين الاتحاديين في الجزائر أنهم عانوا أوضاعا صعبة بعد انقلاب يومدين نتيجة مضايقات السلطات الجزائرية من جهة، واستمرار الانقسامات والخلافات فيما بينهم من جهة أخرى. ولهذا طلبوا من الفقيه البصري بعد خروجه من المغرب يوم 21 غشت/آب 1966 الالتحاق بالجزائر لحل مشاكلهم⁷. وصل البصري إلى الجزائر نهاية شتنبر/أيلول 1966، والتقى بمجموعات اللاحقين المناقضة والمتباعدة لتجميع المعطيات عن الوضع العام⁸. بعد ذلك أجرى اتصالات مع شريف بلقاسم، عضو مجلس الثورة الجزائرية، أفضت إلى وضع فيلا فاحرة مفروشة رهن إشارته⁹، وإطلاق سراح المعتقلين، وتسوية مشاكل اللاحقين، والحصول على الدعم المالي¹⁰، وفتح معسكرات التدريب¹¹.

وبعد بضعة أسابيع، شكل البصري قيادة موالية له، ووزع المهام على ثلاث لجان هي: اللجنة المالية بإشراف الحسين الخضار¹² وسعيد بونعيلات، ولجنة الاستخبارات تكلف بها محمد بارو، ولجنة الاتصال مع الداخل يرأسها عمرو العطاوي¹³ للشرع

1 عبد الفتاح سيادة، كان الأمل حاضرا مقاومة ومنفى، تقديم محمد براءة، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، مطبعة الأمانة، 2008، ط 1، ص 171-172.

2 "Accord Boumediene-Oufkir et dissidence marocaine en Algérie", lettre De Robert Gillet, Ambassadeur de France au Maroc, à son Excellence Monsieur le Ministre des Affaires étrangères Direction des Affaires Politiques, Afrique du Nord, Paris, 21/9/1965. Ministère des Affaires Etrangères, CADN, Rabat Ambassade: Carton 558/PO1 N° 570, p. 2.

3 "Note: Maroc Algérie- Les activités du Colonel Ben Hammou", Activité en Algérie des éléments subversifs marocains, 9/12/1965, Ministère des Affaires Etrangères, CADN, Rabat Ambassade: Carton 558/PO1 N° 570. p. 1.

4 الشاذلي بن جديد، مذكرات الشاذلي بن جديد، الجزء الأول، ملاحح حياة 1929-1979، تحرير عبد العزيز بويواكير، الجزائر، دار الفصحى للنشر، 2011، ص 251-252.

5 حوار شخصي مع لحسن زغلول، م س.

6 محمد البصري، الفقيه: كتاب العبرة والوفاء، حوار سيرة ذاتية مع حسن مجي، منشورات مؤسسة محمد الزرقطوني للثقافة والأبحاث، الدار البيضاء، 2002، ص 134.

7 محمد لومة، مكافح مغاري... يتذكر، الفينطرة، المطبعة السريعة، 2013، ط 1، ص 168-170.

8 رشد، ص 432.

9 محمد لومة، مكافح مغاري، مصدر سابق، ص 168.

10 حوار شخصي مع لحسن زغلول، مصدر سابق.

11 عبد السلام الجبلي، أوراق من ساحة المقاومة المغربية، صياغة عبد العزيز آبت بنصالح، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2015، ط 1، ص 210.

12 ولد سنة 1926 بورزازات. انتقل إلى الرباط حيث عمل تاجرا. انخرط في المقاومة المسلحة، وساهم في تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. فر إلى الجزائر سنة 1963، واستقر في وهران. صدر في حقه حكم بالإعدام يوم 14 مارس 1964 في مؤامرة 16 بوليز 1963. شارك في قيادة التنظيم السري بالجزائر. عاد إلى المغرب بعد عفو ملكي، وتوفي بالرباط سنة 1986.

13 من مواليد سنة 1931 بقبيلة آيت عطا، استقر مع عائلته بالرباط. شارك في أول حملة فدائية للمقاومة المسلحة بالرباط سنة 1954، اعتقل وحكم عليه بالإعدام. خرج من السجن بعد عودة محمد الخامس، شارك في تأسيس حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في الرباط، وورزازات. غادر المغرب صيف 1960 نحو سوريا ومنها إلى الجزائر سنة 1963 حيث انخرط في التنظيم السري. حكم عليه بعشر سنوات في محاكمة مراكش الكبرى

سنة 1971، وعاد إلى الوطن في الثمانينات. توفي بالجزائر سنة 2001.

في الإعداد للثورة المسلحة¹. وفي المقابل، عارض مولاي عبد السلام الجبلي، ومحمد بن سعيد أيت إيدر، ولحسن زغلول، وحמיד برادة هذا التوجه، واعتبروا أن الاستمرار في تكوين الخلايا المسلحة على الوتيرة نفسها، أمر غير محمود للعواقب، بل هو مغامرة. وكان البديل في نظرهم تبني توجهات المهدي بن بركة وخطه الفكري والتركيز على التكوين الأيديولوجي والسياسي للمناضلين والأطر². وتعمق الخلاف بين الطرفين أكثر بعدما طالب بونعيلات، والحسين الخضار من الفقيه أن يقدم الجبلي الحساب عن الإعانات المالية التي كان يتسلمها من السلطات الجزائرية لتوزيعها على اللاجئيين المغاربة. وهو ما دفع ابن سعيد، والجبلي إلى مغادرة الجزائر نحو فرنسا سنة 1967 للاستقرار بها نهائياً³.

وبعد خروج مجموعة الجبلي من الجزائر، تولى الفقيه قيادة التنظيم السري. واستؤنفت التداريب في بعض المعسكرات بالجزائر يوليوز/تموز 1967، ومنها قاعدة البراقي شرق الجزائر العاصمة، وبرج بوغريج قرب سطيف، وعين الترك ضواحي وهران⁴. ومع بداية سنة 1968 بدأت بوادر الانفراج في العلاقات المغربية الجزائرية بوساطة تونسية، وقرر البلدان تجاوز الخلافات وتسوية مشكلة الحدود وتحقيق التعاون الاقتصادي⁵. ولهذا أغلقت السلطات العسكرية الجزائرية معسكرات التداريب وأوقفت دعمها للتنظيم السري⁶.

2-2 مرحلة سوريا 1968-1969

سافر محمد البصري إلى سوريا يناير/كانون الثاني 1968 لإجراء اتصالات مع قيادة حزب البعث السوري⁷، الذين أبدوا استعدادهم للحلول محل الجزائريين في تقديم الدعم المالي والسياسي والعسكري للتنظيم السري⁸. وبعد أربعة أشهر عاد البصري إلى الجزائر، وعقد اجتماعاً مع قيادة التنظيم يوم 6 أبريل/نيسان 1986، طلب من عمرو العطاوي، وإبراهيم الترنيتي⁹ إعداد لائحة العناصر التي سيتم إرسالها إلى سوريا، وكلفهما بالإشراف على تداريبها العسكرية هناك¹⁰. كما أوفد بونعيلات إلى مدريد، وطلب منه

1 محمد لومة، ثورة شعبية، مصدر سابق، ص 67.

2 أحمد الطائي المسعودي، الأسرار من مملها... الجزائر حكاية عشق، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2023، ص 134.

3 حوار شخصي مع لحسن زغلول، مصدر سابق.

4 أحمد بن جلون في أول خروجي إعلامي يعرض لسيرته الذاتية، الأخبار (المغرب)، 2013/7/31.

5 أمينة وعزيز، العلاقات المغربية الجزائرية بين سنتي 1962 و2013، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - أكادال، إشراف محمد كنيب، السنة الجامعية 2017-2018، ص 111-112.

6 محمد لومة، مكافح مغربي، مصدر سابق، ص 170.

7 ترأس النظام السوري في تلك الفترة الثلاثي نور الدين الأناسي ويوسف زعين وإبراهيم ماحوس، ومن وراءهم اللواء صلاح جديد. وكان لهم نعاطف كبير مع بلدان المغرب العربي وحركاته التحريرية والتقدمية.

8 محمد لومة، مكافح مغربي، مصدر سابق، ص 171.

9 اسمه الحركي، ولد بتزيت سنة 1929، أحد مسؤولي جيش التحرير بالجنوب. أصبح خلال سنوات المنفى عضوا مهما في التنظيم السري في سوريا والجزائر. عاد إلى المغرب سرا سنة 1971، وقتل في مواجهات مع القوات المسلحة الملكية يوم 8 ماي 1973.

10 محمد لومة، ثورة شعبية، مصدر سابق، ص 67.

التنسيق مع الدكتور حافظ إبراهيم لترتيب مسألة الحصول على الأسلحة من السوق السوداء على أن يتكفل الجانب السوري بتسديد قيمتها؛ وذلك تمهيدا لتسريبها إلى داخل المغرب¹.

تلقت مجموعات من مناضلي التنظيم السري تداريب عسكرية، ودروسا نظرية في حرب العصابات وفي الوضعية السياسية بالمغرب بقاعدة الزيداني²، ومعسكر عين البيضاء³ بسوريا ما بين نونبر/تشرين الثاني 1968 وأكتوبر/تشرين الأول 1969. وبعضهم شارك في صفوف الفدائيين الفلسطينيين بالأردن وسوريا.

ارتكزت التداريب في عين البيضاء على اللياقة البدنية في تضاريس وعرة، وعبور الحواجز، وشق الأسلاك الشائكة، واحتياز الخنادق والوديان، والقفز على مسافات عالية، والتسلق في الجبال والقتال القريب. وفيما يخص الأسلحة، فشمل التدريب فك وتركيب البنادق، واستعمال المدافع الرشاشة والهاون والأريجي، وكيفية تحديد إحداثيات الهدف على الخرائط العسكرية، وحساب المسافة، وكذا استخدام المتفجرات بمختلف أنواعها، ومعرفة كيفية إبطال الألغام المضادة للدبابات والأشخاص⁴. وشمل التدريب في سوريا كذلك الكتابة بالخير السري⁵ والاتصالات السلوكية واللاسلكية والتميز والخرائط⁶، وصنع المتفجرات والطرود المفخخة وكيفية تفكيكها. كما أشرف أحمد بن جلون على التكوين السياسي، والتدريب على حرب العصابات وتكتيكات الحرب الشعبية اعتمادا على الأدبيات العسكرية لماو تسي تونغ وغيره⁷.

زار محمد البصري مدريد في دجنبر/كانون الأول 1968 وماي/أيار 1969، ثم أواسط أكتوبر/تشرين الأول 1969 للباحث مع قادة التنظيم السري حول خطة العمل مستقبلا. وتم اتخاذ عدة قرارات منها: تبني حرب التحرير الشعبية، وحرب العصابات بالجبال، واستقرار عدد من المناضلين في مدريد ومالكا، ثم تسريب الأشخاص والأسلحة إلى المغرب عن طريق مليلية⁸. وبعد ذلك، أشرف الفقيه الفكيكي بوراس على عودة المتدربين نحو إسبانيا. وتكلف النمري وأحمد بن جلون وأحمد الميد بتسريب عناصر التنظيم بمساعدة شرطيين متواطئين مع التنظيم عبر مليلية، ومنها انتقلوا نحو الدار البيضاء، ومراكش، وأمزميز، ودمنات وأكادير على أساس تشكيل خلايا وتدريب المناضلين على استعمال السلاح⁹. بينما تكلف محمد بنونة¹ بمهمة اقتناء الأسلحة ونقلها نحو المغرب انطلاقا من برشلونة².

1 محمد لومة، مكافح مغربي، مصدر سابق، ص 171.

2 معسكر يوجد على بعد 60 كيلومترا في الشمال الغربي لدمشق على الطريق المؤدية إلى بيروت قرب الحدود اللبنانية في منطقة مقابلة جبل الشيخ ومرفعات الجولان.

3 معسكر يقع على بعد 25 كيلومترا شرق دمشق.

4 احمد التوزاني، ثورة لم تكتمل، من معسكر الزيداني بسوريا إلى معسكر السواني بليبيا إلى حمام بوحجار بالجزائر، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، 2018، ط 1، ص 86.

5 مادة عدمة اللون أو الرائحة إما طبيعية (عصير الليمون أو التفاح أو الخل...) أو كيميائية تستعمل للكتابة على الورق من أجل سرية الاتصالات، ولا تظهر لها الكتابة تحت الظروف العادية. ويمكن قراءة الكتابة وإظهارها بطرق معينة مثل التسخين دون الحرق أو استنخدام محلول كيميائي أو الاستعانة ببخار البود.

6 المهدي بنونة، أبطال بلا مجد، مصدر سابق، ص 77.

7 أحمد بن جلون، طائر الفينيق، ومضات من مسار القائد السياسي والمحامي والصحفي، تقديم علي بوطولة، منشورات حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي، مطبعة كونتر برنت، الرباط، 2015، ص 136-137.

8 الموساوي العجلاري، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 99.

9 ابن جلون: طلب منا أن نعوض في جيفة لاختبار قدرتنا على التحمل وسط العفن، الأخبار، العدد 222، 3-4 غشت 2013، ص 13.

4- اعتقالات عناصر التنظيم السري دجنبر/كانون الأول 1969-يناير/كانون الثاني 1970

انطلقت يوم 17 دجنبر/كانون الأول 1969 حملة اعتقالات واسعة شملت مناضلي التنظيم السري والاتحاد الوطني للقوات الشعبية؛ خاصة في نواحي مراكش، وأمزميز، ودمنات. ويوم 29 يناير/كانون الثاني 1970 اعتقل الأمن الإسباني ستة عناصر من التنظيم السري في مدريد. تدخلت السفارة السورية لإطلاق سراح أربعة منهم لأنهم يحملون جوازات سفر سورية بأسماء حركية. ويتعلق الأمر بعبد الله المالكي، وزين البشير بنقدور، وموفا أوحويا، وإبراهيم بلهاشمي، بينما احتفظت الشرطة الإسبانية بأحمد بن حلون الذي كان جوازه سليما إلا أن مدة صلاحيته قد انتهت، وبسعيد بونعيلات الذي حجزت بشقته مبلغ مالية هامة، ووثائق جوازات سفر مزورة كما كان يحمل جواز سفر مغربي مزور باسم محمد الرامي³. وبعد اعتقالهما لمدة أسبوعين، تم تسليمها إلى السلطات الأمنية المغربية التي نقلتهما على متن طائرة عسكرية إلى المغرب يوم 15 فبراير/شباط 1971⁴. وفي مارس 1970 سلمت السلطات الأمنية الجزائرية إلى المخابرات المغربية محمد رمسيس ومحمد التانوتي، ضابطي الشرطة المغربيين وعضوي التنظيم السري، اللذين فرا إلى الجزائر⁵.

استمرت حملة الاعتقالات إلى غاية شهر ماي/أيار 1970، ثم بدأت اعتقالات أخرى ما بين نونبر/تشرين الثاني 1970 ويناير/كانون الثاني 1971. وطيلة 13 شهرا اعتقل حوالي 400 شخص خضعوا للاستنطاق. ويوم 16 نونبر/تشرين الثاني 1970 اختطف محمد اليازغي، عضو اللجنة المركزية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ومسؤول الكتابة الإقليمية بالرباط⁶.

وفي يوليوز/تموز 1970، أمر البصري الحسين المانوزي⁷، الذي كان يشرف على خلية بالدار البيضاء بتنفيذ عمليات مسلحة كان من المقرر أن تستهدف مقر الأمن بالمحمدية، ومدرسة الشرطة في عين السبع، ومقر الدرك الملكي في عين حرودة. وطلب الفقيه من عمر دهكون⁸، واليزيد البركة⁹ استهداف عمارة مجموعة ماص الإعلامية¹⁰، والمركز الثقافي الأمريكي بالدار البيضاء¹. غير أن

1 اسمه الحركي محمود، من مواليد الرباط سنة 1938، عضو الاتحاد الوطني لطلبة المغرب والاتحاد الوطني للقوات الشعبية. تلقى تكوينه في الإلكترونيك في ألمانيا الشرقية، وتخرج من البوليتكنيك. انتخب رئيسا لاتحاد طلاب إفريقيا بألمانيا الديمقراطية إلى غاية 1963. أصبح انطلافا من سنة 1968 أحد أهم مسري التنظيم السري. دخل المغرب بتاير 1973، وقتل في مواجهة من القوات النظامية المغربية يوم 5 مارس من السنة نفسها.

2 الموساوي العجلاري، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 99.

3 المهدي بونة، أبطال بلا مجد، مصدر سابق، ص 90.

4 لومة، مكافح مغربي، مصدر سابق، ص 173-174.

5 أحمد الطائي المسعودي، الأسوار من محلها، مصدر سابق، ص 58.

6 الموساوي العجلاري، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 105-107.

7 ولد بتافروات سنة 1943. نقابي ومناضل اتحادى عرف بحسن الصغر أو أبو علي، تلقى تدريباً عسكرياً بمعسكر الزيداني بسوريا. عاد إلى المغرب، وكون خلية سرية بالبيضاء. نجح من الاعتقالات التي لحقت أفراد عائلته، التحق بليبيا؛ حيث ساهم في تزويد الخلايا السرية بالمغرب بالسلاح. اختطفته المخابرات المغربية في مطار تونس يوم 29 أكتوبر 1972، وأدخلته سرا إلى المغرب. لا يزال مصيره مجهولا إلى يومنا هذا.

8 اسمه الحركي عمر، ولد بأكادير سنة 1944، مناضل في التنظيم السري منذ الستينيات. تلقى تدريباً عسكرياً بالجزائر وسوريا. قائد الخلايا السرية بالرباط، والدار البيضاء. اعتقل سنة 1973، وحكم عليه بالإعدام في المحكمة العسكرية بالقيظرة على خلفية أحداث 3 مارس، ونفذ فيه فاتح نونبر 1973.

9 ولد بتارودانت 1945، كان عضوا في الاتحاد الوطني لطلبة المغرب والاتحاد الوطني للقوات الشعبية. خريج معهد الصحافة بالجزائر، تابع تكوينه عسكرياً في الجزائر وسوريا. اعتقل في شنتير 1970 وأدانته محكمة مراكش بعشر سنوات. التحق بحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي.

10 مجموعة إعلامية فرنسية تعود ملكيتها لإيف ماص، كانت تؤيد السلطات الاستعمارية الفرنسية زمن الحماية، واستمر نشاطها بالمغرب بعد الاستقلال حيث كانت تساند النظام الملكي وتبني بإجراءات الحكومات المغربية من

اعتقال الشرطة عنصرين من شبكة المانوزي في فاتح شتنبر/أيلول 1970 أدى إلى مداهمة شقتين بشارع الزيراوي بالدار البيضاء كانتا تحتويان على أسلحة وألبسة عسكرية، ووثائق شرطة مزورة ومواد كيميائية لصنع القنابل. وعلى إثر هذه الاعتقالات أمر الفقيه اليزيد البركة وعمر دهبكون بالتراجع نحو الجنوب، والعمل على تأسيس بؤرة ثورية في منطقة سوس إلا أنهما لم ينجحا في ذلك. ويوم 27 نونبر/تشرين الثاني 1970 اعتقل اليزيد في مقبرة ابن مسيك بالدار البيضاء². وهكذا لم تنجح أية خلية من خلايا التنظيم السري في مختلف مناطق المغرب في القيام بعمليات مسلحة، وكان ذلك فشلا كبيرا مئى به التنظيم.

أما عن سرعة اعتقال المناضلين والمتدربين بأزميز، ومراكش، ومدريد، وغيرها من المدن، فتعزى إلى كون المصالح الأمنية المغربية الخاصة حسب إفادة أحمد بخاري، عميل المخابرات المغربية، استطاعت اختراق التنظيم السري عن طريق أحد مخبريها أثناء فترة التداريب بسوريا³. كما اعترف محمد أوراخي، أحد عناصر التنظيم السري، منتصف نونبر/تشرين الثاني 1969 لدى مصالح الأمن الإقليمي بأكادير بنشاط خلايا التنظيم السري والتداريب في سوريا⁴. وكانت الأجهزة الأمنية أيضا على علم بكل تحركات خلايا أزميز ومراكش عن طريق وشاية إبراهيم المناضي⁵. وتؤكد شهادات بعض عناصر التنظيم مثل عبد الفتاح سباطة⁶، والحسين الكوار⁷، وعبد الرحمان شوجار⁸ وجود وشاة داخل التنظيم مرتبطين بالمخابرات المغربية.

5- محاكمة عناصر التنظيم بتهمة مؤامرة المس بالأمن الداخلي للدولة

تعرض المعتقلون لتعذيب قاس في دار المقرري حوالي ستة أشهر⁹. واستمرت عملية الاستطاق وتحرير المحاضر من دجنبر/كانون الأول 1969 إلى دجنبر/كانون الأول 1970. ونقلت مجموعة من المعتقلين إلى السجن العسكري بالقبيطرة ما بين

خلال جريدتي Le Petit Marocain و La Vigie. تم تأميم هذه المجموعة الإعلامية في الثاني من نونبر 1971. انظر جون واتر بوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم،

عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، المحمدية، مطبعة فضالة، 2004، ص 393-395.

1 المهدي بونة، أبطال بلا مجد، مصدر سابق، ص 100.

2 المصدر نفسه، ص 100-103.

Ahmed Boukhari, *Le secret Ben Barka et le Maroc. un ancien agent des services spéciaux parle*, Neuilly, Editions Michel Lafon, 2002, p 215.3

4 محمد أوراخي، الأغلبية المخدوعة من خلال مخنة مناضل، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1980، ط 1، ص 175-176.

5 أحد مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. انخرط في التنظيم السري بمنطقة مراكش، وقدم معطيات عن عناصر وتحركات التنظيم السري بتلك المنطقة. واعتمدت المحكمة شهادته لإدانة المتهمين في محاكمة مراكش الكبرى صيف 1971. أطلق عنصر من التنظيم السري يدعى أحمد حبار ثلاث رصاصات على المناضي في منزله بأزميز صبيحة 6 بولوز 1972، نقل على إثرها إلى مستشفى ابن زهر بمراكش؛ حيث توفي في اليوم الموالي.

6 عبد الفتاح سباطة، كان الأمل حاضرا، مصدر سابق، ص 189.

7 شهادة الحسين الكوار، الاتحاد الاشتراكي (المغرب)، 2011/1/8.

الحسين الكوار: من مواليد الدار البيضاء، أسناده ومناضل في صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. انضم إلى التنظيم السري، والتحق بسوريا للتدريب. اعتقل أواخر سنة 1969، وقدم لمحاكمة مراكش الكبرى؛ حيث صدر في حقه حكم بخمس سنوات.

8 "المبارك البوسهولي وعبد الصمد الكباص، عبد الرحمان شوجار... حياة على حد البنافية والفضيان (16)، الفدائيون يتحدثون فيما بينهم. أما أنا فأكتفي بالمشاهدة"، الاتحاد الاشتراكي، 2001/7/17.

عبد الرحمان شوجار: ولد بتنانة إقليم أزيلال عام 1942، من مؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بآسفي. كان عضوا في مجموعة شيخ العرب. التحق بالتنظيم السري، وفر إلى الجزائر سنة 1967، ونابغ تكوينا عسكريا في سوريا. اعتقل بمنطقة أزميز أواخر 1969، وأدين بالسجن 20 سنة في محاكمة مراكش الكبرى 1971 قضى منها 8 سنوات.

9 محمد لومة، ثورة شعبية، مصدر سابق، ص 86.

شهري ماي/أيار ويوليوز/تموز 1970، وتم تقديمهم إلى قاضي التحقيق العسكري، أحمد الأخضر، لاستنطاقهم بتهمة المس بالأمن الخارجي للدولة. ولم يسمح للمعتقلين بالسجن العسكري بالقيطرة بالاتصال بمحاميتهم إلا ابتداء من غشت/آب 1970. وفي 29 دجنبر/كانون الأول 1970، أصدرت المحكمة العسكرية قرارا بعدم الاختصاص. وتغير الاتهام يوم 30 دجنبر/كانون الأول ليصبح المس بالأمن الداخلي للدولة، وتم نقل المعتقلين نحو سجن بولمهارز بمراكش لتقديمهم أمام محكمة الجنايات؛ حيث قاد التحقيق قاض مدني¹.

انطلقت جلسات الاستنطاق لدى قاضي التحقيق المدني يوم 10 يناير/كانون الثاني 1971 واستمرت إلى غاية 8 مارس/آذار 1971، وتم تحديد تاريخ 17 ماي/أيار لبدء جلسات المحاكمة². تقدمت هيئة الدفاع أمام غرفة الاتهام بمذكرات تطالب ببطلان إجراءات البحث التمهيدي، وإجراء الفحوص والخبرة الطبية على المتابعين، نظر لما تعرضوا له من عنف وتعذيب أثناء وجودهم لدى الضابطة القضائية. كما تقدم الدفاع بإنذارات في شكل استيضاح إلى الوكيل العام للدولة لدى محكمة الاستئناف، تهدف إلى الطعن بالزور في محاضر الضابطة القضائية لأن المتهمين صرحوا بأن التوقيعات والبصمات المذيلة بها تلك المحاضر ليست صادرة عنهم. فأصدرت غرفة الاتهام بتاريخ 17 مارس/آذار 1971 قرارها تحت عدد 421 في الملف برفض طلبات الدفاع، الذي طعن بالنقض في قرار غرفة الاتهام، إلا أن الغرفة الجنائية بالمجلس الأعلى قضت برفض جميع الطلبات، وبذلك أصبح قرار غرفة الاتهام نافذا. بعد ذلك أصدرت غرفة الاتهام بمحكمة الاستئناف بمراكش قرارا يقضي بإحالة ملف القضية على غرفة الجنايات بالمحكمة الإقليمية بمراكش للبت فيه³.

وفي 14 يونيو/حزيران 1971، بدأت محاكمة مناضلي التنظيم السري والاتحاد الوطني للقوات الشعبية البالغ عددهم 193 (32 منهم في حالة فرار) في محكمة الاستئناف بمراكش رقم الملف 71/612 بتهمة الاعتداء على النظام لإقامة نظام آخر مكانه، والمس بالأمن الداخلي للدولة⁴. وكان على رأس المتهمين في حالة فرار، محمد البصري، وعبد الفتاح سباطة، وبنسعيد آيت إيدر، وعبد السلام الجبلي، وعبد الرحمان اليوسفي.

تشكلت هيئة المحكمة من محمد اللعي رئيسا وعضوية القضاة أحمد البلغيثي، ومحمد الخصواني، إدريس بن الزاوية، والحاج مصطفى الوطاسي بالإضافة إلى محمد بن العربي المجبود ممثلا للنيابة العامة، والغمام ومولاي إبراهيم التويتي في كتابة الضبط⁵. وضمت لائحة المستشارين محمد بن محمد البوصولي، وعبد الله ملاح، وعبد العزيز السليمان، ومحمد الحلبي، ومحمد آيت القايد⁶. وتكونت

1 الموساوي العجلوي، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 106-111.

2 المرجع نفسه، ص 114.

3 عبد الرحيم بن بركة، محاكمة مراكش الكبرى 1971، الرباط، دار الفلم، 2014، ط 1، ص 11-12-13.

4 محمد الصعيب، عقود الرصاص، مرجع سابق، ص 29.

5 الحسن السوسي، بدء محاكمة مراكش الكبرى، العلم (المغرب)، 1971/6/15.

6 عبد الرحيم بن بركة، محاكمة مراكش، مصادر سابق، ص 30.

هيئة الدفاع من حوالي 50 محامياً أبرزهم عبد الرحيم بوعبيد والمحمد بوسنة¹. ولعب عبد الرحيم بوعبيد دوراً كبيراً في فترة التحقيق أو أثناء جلسات المحاكمة في تنسيق وتوجيه هيئة الدفاع.

وعشية افتتاح محاكمة مراكش، عقد عبد الرحمن اليوسفي ومعه روبرير بيرون Robert Biron، وهو وزير فرنسي سابق، ندوة صحافية في باريس، أعلن فيها عن تشكيل لجنة دولية للدفاع عن المتهمين في قضية المؤامرة. وتشكلت اللجنة من محامين مرموقين ومستشرقين معروفين (شارل أندري جوليان Charles André Julien، وجاك بيرك Jacques Berque، وفانسون مونتي Vanson Montai، وجون لاكوتير Jean Lacouture، وماكسيم رودنسون Maxime Rodinson)، والكثير من رجال السياسة اليساريين (بيير كوت Pierre Cot، وروبير بيرو Robert Buron، وبيير جوكس Pierre Joxe وفرنسوا ميتران François Mitterrand، وآلان سفاري Alain Savary، وميشيل روكار Michel Rocard). كما وجه عبد الرحمن اليوسفي الدعوة كذلك إلى جمعيات دولية أخرى للمحامين (جمعية المحامين الإسبان، والجمعية الدولية لرجال القضاء الديمقراطيين، واتحاد المحامين العرب). وكل هذه المنظمات أرسلت ملاحظتين إلى المحاكمة².

وفي أول جلسة تقدم عبد الرحيم بوعبيد بدفع شكلي يرمي إلى إيقاف المناقشات ريثما ييث الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف في طلب الطعن والتجريح الذي تقدم به المقاوم محمد بلعربي آيت المودن في أهلية محمد اللعي لرئاسة المحكمة. واستند هذا الطلب على كون هذا القاضي عمل مستشاراً للسلطان محمد بن عرفة، وكان بجواره لما ألقى المقاوم آيت المودن رفقة أحمد أوقلا قبلة على السلطان في مسجد بريمة بمراكش أثناء أداء صلاة الجمعة يوم 5 مارس/آذار 1954 مخافة الانتقام منه للعداوة بينهما³. لكن المحكمة رفضت طلب الطعن والتجريح مبررة ذلك بكون اسم القاضي محمد اللعي لم يرد ضمن لائحة الخونة التي أصدرتها لجنة البحث في هذا الموضوع بتاريخ 22 غشت/آب 1958. كما احتج النقيب عبد الكريم بن جلون على منع عائلات المعتقلين من حضور جلسات المحاكمة، وعلى محاكمة المتهمين وهو مقيدون بالأصفاد. وتم فك قيودهم، والسماح لبعض أفراد أسر المتهمين بولوج قاعة الجلسات⁴. وتابع أشغال المحاكمة ملاحظون أجنب، من بينهم ممثل للجمعية الدولية للمحامين الشباب، ممثل رابطة الحقوق الديمقراطيين العالميين، ممثل الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين، بعض ممثلي نقباء المحامين في الجزائر وتونس، بعض الملحقين في السفارات الأجنبية في الرباط، مراسلو بعض الصحف⁵.

1 الموساوي العجلوي، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 131.

نذكر أسماء هؤلاء المحامين: محمد الصديقي، حواد العراقي، محمد بن سعيد، محمد بوزويغ، عمر بن جلون، رمال، محمد كرم، عبد الرحيم برادة، حميد الحياي، الصديق الزعري، محمد الناصري، علي بن جلون، الحاج حسن، بزاكور، عبد الرحيم بن بركة، محمد الفاروقي، بن عمار، عبد الرحمن بن عمرو، صادق العربي الشنوكي، محمد العروسي، الغالي العلمي، منبال، كلزيم، أحمد بلفاضي، عبد العزيز بناني، أحمد مجاد، خالد الناصري، الغالي العلمي، عبد اللطيف رياح، عبد الله الشباي، عبد القادر القيسي، محمد السملالي، علي بن جلون، فكري، النازي سعود، محمد الناصري، عبد الله درميش، عبد الله الإسماعيلي، محمد بن زاكور، عبد العزيز الخالدي، محمد الفاسي، حواد بن كيران، أحمد سباطة، الخرشافي، حميد الدزيري، بلحسن، الصديق الزعري.

2 المهدي بوننة، أبطال بلا مجد، مصدر سابق، ص 113.

3 "سجال بين الدفاع والنيابة حول تجريح أحد أعضاء المحكمة"، العلم، 1971/6/16.

4 أحمد بن جلون، طائر الفينيق، مصدر سابق، ص 213.

5 محمد لومة، ثورة شعبية، مصدر سابق، ص 101-102.

كان إبراهيم المناضي الشاهد الرئيس في هذه المحاكمة والذي صرح في محضر الشرطة، وأمام المحكمة في جلسة 17 يونيو/حزيران 1971 أنه تقدم بدافع المصلحة العامة إلى الشرطة القضائية بالرباط أواخر 1969 للتبليغ عن وجود تنظيم سري مسلح معاد للنظام يتوفر على خلايا منظمة في أمزميز ونواحي مراكش يستهدف إقامة نظام جمهوري في المغرب¹. وبلغ مجموع الأسلحة التي حجزت لدى المتهمين حسب الوثائق القضائية 13 قبلة، 31 مسدسا، رشاشتان، بندقية صيد واحدة².

طالب وكيل الدولة يوم 28 غشت/آب 1971 من المحكمة بإعدام 49 متهما وبالسجن المؤبد لـ 121 متهما، وخمس سنوات لـ 21 متهما، ومليون فرنك غرامة، وأسند النظر للمحكمة للنظر في قضية إبراهيم المناضي³. وفي جلسة 30 غشت/آب 1971، امتنع المتهمون عن الكلام والإجابة عن أسئلة رئيس الجلسة، والتزموا الصمت احتجاجا على مراعاة النيابة العامة التي اقتضت على سرد محاضر الشرطة والسب الجارح في حقهم من طرف وكيل الدولة الذين نعتهم بالمجرمين قبل أن تقول المحكمة كلمتها في حقهم وعلى مطالبه القاسية في ملتصاته. ولما نادى رئيس المحكمة على المتهمين أكد جميعهم أنهم هم من طلبوا من الدفاع أن يلزم الصمت احتجاجا على كل ما جاء في مرافعة ممثل النيابة العامة من سب وقذف في حقهم⁴.

استغرقت هيئة القضاء حوالي أسبوعين في المداولة. ويوم الجمعة 17 شتنبر/أيلول 1971، انتهت المحاكمة بإصدار حكم الإعدام لخمسة متهمين (حضوريا في حق سعيد بونعيلات، وغيايبا في حق الحسين المانوزي، ومحمد البصري، وعبد الفتاح سباطة، ومحمد بوراس)، وحكم بالمؤبد في حق ستة آخرين، 30 سنة لمتهمين، 20 سنة لخمسة متهمين، 10 سنوات لواحد وثلاثين متهما، 5 سنوات لسبعة متهمين، 4 سنوات مع إيقاف التنفيذ لمتهم واحد، 3 سنوات لمتهمين، 3 سنوات مع وقف التنفيذ لأحد عشر متهما، سنتان لواحد وأربعين متهما، سنتان مع إيقاف التنفيذ لمتهم واحد، 18 شهرا لتسعة متهمين، 18 شهرا و120 درهما غرامة لثلاثة متهمين، سنتان و500 درهم غرامة لمتهم واحد، 15 شهرا و120 درهما غرامة لمتهم واحد، سنة واحدة و120 درهما غرامة لأربعة متهمين، سنة واحدة لتسعة متهمين، 6 أشهر و120 درهما غرامة لمتهمين، والبراءة لخمسين متهما، والبراءة لفائدة الشك لمتهمين. كما قضت المحكمة بفصل ملفات سبعة متابعين من بينهم عبد الرحمان اليوسفي، والمهدي العلوي، ومولاي عبد السلام الجبلي وتأخيرها لزيادة البحث فيها وإدراجها في جلسة من جلسات الدورة المقبلة، وإعفاء إبراهيم المناضي، ومصادرة جميع المحجوزات، وعلى المحكوم عليهم بأداء صوائر الدعوى باستثناء المحكوم عليهم بالإعدام أو المؤبد⁵. ولم تفتح ملفات المتابعين السبعة لاحقا⁶.

ومن خلال تتبع سير المحاكمة، يمكن تسجيل العديد من الملاحظات:

1 الموساوي العجلوي، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، 104-105.

2 محمد لومة، ثورة شعبية، مصدر سابق، ص 205.

3 "النيابة العامة تطلب بإتزال عقوبات قاسية حذا في حق الوطنيين المتهمين في قضية المؤامرة"، العلم، 1971/8/29.

4 "المتهمون يعلنون تمسكهم بالصمت أمام المحكمة"، العلم، 1971/8/31.

5 "محكمة الجنائيات تراكش تصدر حكمها بالإعدام على 5 متهمين، منهم 4 غيايبا"، العلم، 1971/9/18.

6 محمد الصديقي، أوراق من دفاتر حقوقي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 2020، ط 1، ص 36.

- تركزت أسئلة التحقيق مع المتهمين أمام الشرطة وقاضي التحقيق في محكمة مراكش وأثناء المحاكمة على علاقتهم بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية وقادته وأنشطتهم الحزبية.
- قام 42 عميد شرطة من مختلف مناطق المغرب باستنطاق المتهمين.
- استمرار الحراسة من طرف رجال الشرطة وكذا التعذيب بالسجن المركزي بالقيظرة.
- استنطاق عدد كبير من المتهمين أمام قاضي التحقيق في غياب المحامين.
- أصدرت الكتلة الوطنية¹ يوم 18 يناير/كانون الثاني 1971 بلاغا حول الاعتقالات التي مست عددا من مناضلي الاتحاد الوطني.
- انتقد البلاغ الحملة الإعلامية ضد المتهمين، ومختلف أشكال التعذيب الجسدي والمعنوي الذي مورس على المعتقلين، وطريقة إنجاز محاضر الشرطة².
- تراجع كل المتهمين عن أقوالهم في محاضر الشرطة، وأنكروا تأمرهم على النظام، وأكدوا تعرضهم للتعذيب، وتزوير الشهادات الطبية التي سلمت إليهم.
- تراوحت أعمار المتهمين ما بين 30 و40 سنة. وانقسموا من حيث المهنة كما يلي: 80 عاملا ومستخدما، 42 فلاحا صغيرا، 13 معلما وأستاذا، 7 طلاب، 8 موظفين، 24 تاجرا وصانعا، 6 محامين. ومن حيث انتماءاتهم الجغرافية، 45 متهما من مراكش ونواحيها، 86 من الدار البيضاء، 7 من الجديدة، 18 من وجدة، والناظور، و25 من مناطق مختلفة من المغرب¹.
- معظم طلبات وملتمسات الدفاع قوبلت بالرفض من طرف رئيس المحكمة.
- كشف الدفاع وجود تناقضات في تواريخ المحاضر.
- هاجمت الإذاعة والتلفزة المغربية وجريدة الأنباء الرسمية المتهمين، وطالبت بأن تقول العدالة كلمتها بكل صرامة وبدون أدنى ضعف أو حلم.
- برر المتهمون تلقيهم تداريب عسكرية في سوريا باستعدادهم للالتحاق بخلايا المقاومة الفلسطينية.
- شهدت المحاكمة مشادات كثيرة وأحيانا عنيفة بين الدفاع والنيابة العامة.
- صراع بين الدفاع والنيابة العامة حول ملتمس يطالب بإحالة أحد المتهمين إلى المستشفى لإجراء الفحص الطبي لكشف الأمراض التي نجت عن تعذيبه.
- بلغ عدد جلسات هذه المحاكمة 64 جلسة.
- كانت الأحكام الصادرة في القضية معتدلة مقارنة مع مطالب وكيل الدولة، وغير متوقعة من لدن المتهمين والدفاع والملاحظين الأجانب. وساهمت أحداث المحاولة الانقلابية الأولى 10 يوليوز/تموز 1971 بالصخيرات في تخفيف قساوة الأحكام؛ إذ فتح الحسن الثاني اتصالات مع الكتلة الوطنية بعدما تعرضه لخيانة محمد المدبوح قائد الحرس الملكي بتنسيق مع الكولونيل محمد اعبابو؛ حيث كان

1 تحالف سياسي بين حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية تأسس يوم 22 يوليوز 1970. قاطعت الكتلة الاستفتاء على دستوري 1970 و1972، والانتخابات البرلمانية سنة 1970.

2 المرسوي العجلوي، من الاتحاد الوطني، مرجع سابق، ص 112-113.

الجيش منذ تأسيس نواته سنة 1956 وفيها للمؤسسة الملكية، وأداة فعالة لمواجهة معارضيتها، وتكريس هيمنتها على الحقل السياسي المغربي وحماية النظام.

خاتمة:

شكلت محاكمة مراكش 1971 ضربة قوية للتنظيم السري؛ إذ بلغ عدد المعتقلين 400 فردا دون أن ينفذ عملية واحدة. كما عاشت أسر المعتقلين أوضاعا اجتماعية قاسية رغم الإعانات المادية التي قدمتها قيادة التنظيم السري، وبعض عناصر الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وانتقد محمد بنونة، أحد الأطر العليا والفاعلة داخل التنظيم، في رسالة مؤرخة يوم 7 غشت/آب 1971 طريقة عمل الفقيه البصري، وقيادته للتنظيم، ومراقبته كل شيء كما عدد نقاط الضعف داخل التنظيم. وردا على الخسائر الكبيرة التي تعرض لها التنظيم، اغتالت عناصر التنظيم ثلاثة وشاة هم: ميلود الغربي في وجدة بتاريخ 27 أبريل/نيسان 1972، وإبراهيم المناضي يوم 26 يوليوز/تموز، ووليت بومديان (شباط) بوجدة يوم 23 غشت/آب، بينما جرح محمد أوراخي بالرصاص في سلا يوم 29 دجنبر/كانون الأول 1972.

استطاع التنظيم السري التقاط أنفاسه وترميم صفوفه سريعا، وواصل استقطاب المناضلين، وتأسيس الخلايا، والإعداد للثورة المسلحة داخل المغرب وخارجه بفضل الدعم اللبي القوي والسخي منذ صيف 1971؛ إذ وضع الليبيون رهن إشارة التنظيم إذاعة صوت التحرير، ومعسكر السواني لتدريب المناضلين وفيلات وشققا، بالإضافة إلى توفير الأسلحة والمال. وأعاد عمر دهبكون الذي حكم عليه غيابيا بـ 20 سنة في محاكمة مراكش، ومصطفى الجداني تنظيم الخلايا في الرباط والدار البيضاء ومدن أخرى كما ربط الفقيه البصري الاتصال بالنظام الجزائري مجددا أواخر سنة 1972 الذي سمح له بتسريب الأسلحة والمناضلين إلى المغرب انطلاقا من الأراضي الجزائرية مما مهد لإطلاق شرارة أحداث 3 مارس/آذار 1973 التي كان مصيرها الفشل، ومحاكمة المعتقلين فيها بالمحاكمة العسكرية في القنيطرة في السنة ذاتها.

المصادر والمراجع بالعربية:

- ابن جلون أحمد، طائر الفينيق، ومضات من مسار القائد السياسي والمحامي والصحفي. تقدم علي بوطوالة. منشورات حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي. الرباط، مطبعة كوثر برنت، 2015.
- أوراخي محمد، الأغلبية المخدوعة من خلال مناضل. ط 1. الدار البيضاء، دار الكتاب، 1980.
- آيت إيدر محمد بن سعيد، هكذا تكلم بنسعيد... الجزء 1، إعداد عبد الرحمان زكري، منشورات مركز محمد بن سعيد آيت إيدر، الدار البيضاء، أوميكا جرافيك، 2018.
- برادة عبد الرحيم، محاكمة مراكش الكبرى 1971، الرباط، دار القلم، ط 1، 2014.
- البصري محمد، الفقيه: كتاب العبرة والوفاء، حوار سيرة ذاتية مع حسن نجمي، منشورات مؤسسة محمد الزرقطوني للثقافة والأبحاث، الدار البيضاء، 2002.

1 "الحسن السوسي، بدء محاكمة مراكش الكبرى"، العلم، 1971/6/15.

- بلمقدم حفيفة، حزب الاستقلال وتديبر الانتقال: بين الانسجام والتصدع، دجنبر 1955-يناير 1963، منشورات فكر، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 2006.
- بنونة المهدي، أبطال بلا مجد، ترجمة آيت احمد، منشورات طارق، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2005.
- حبرو عبد اللطيف، 16 يوليوز 63، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2000.
- الجبلي عبد السلام، أوراق من ساحة المقاومة المغربية، صياغة عبد العزيز آيت بنصالح، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2015.
- الخرازي نعيم، جريدة التحرير لسان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية 1959-1963، دورية كان التاريخية، السنة الخامسة عشرة، العدد 58 دجنبر 2022.
- الخرازي نعيم، مؤامرة اغتيال ولي العهد مولاي الحسن فبراير/شباط 1960، دورية كان التاريخية، السنة الخامسة عشرة، العدد 56، يونيو/حزيران 2022.
- رشد عبد الله، كفاح المغاربة في سبيل الاستقلال والديمقراطية 1953-1973، الدار البيضاء، الشركة الجديدة للمطابع المتحدة، ط 1، 2004.
- سباطة عبد الفتاح، كان الأمل حاضرا مقاومة ومنفى. تقديم محمد براءة، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، مطبعة الأمنية، ط 1، 2008.
- الشاذلي بن جديد، مذكرات الشاذلي بن جديد. الجزء الأول، ملامح حياة 1929-1979، تحرير عبد العزيز بوباكير، الجزائر، دار القصة للنشر، 2011.
- الصديقي محمد، أوراق من دفاتر حقوقي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ط 1، 2020.
- الصعيب محمد، عقود الرصاص بالمغرب. منشورات الأفق الديمقراطي، الرباط، مطبعة الرباط نت ماروك، ط 1، 2007.
- الطالبي المسعودي أحمد، الأسرار من محلها... الجزائر حكاية عشق، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2023.
- العجلاوي الموسوي، من الاتحاد الوطني إلى الاتحاد الاشتراكي 1959-1983، الرباط، مطبعة البيدي، 2002.
- الكاملي محمد بن حمو، صفحات من تجربة حياة، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1، 2010.
- لومة محمد، أسطورة شيخ العرب، تقديم عبد الرحمان بنعمرو، القنيطرة، المطبعة السريعة، ط 3، 2003.
- لومة محمد، ثورة شعبية؟ أم مناورة للتحرير؟ محاكمة مراكش الكبرى 1971، تقديم عبد الرحمان عمرو ومحمد الحبيب الفرقاني، القنيطرة، المطبعة السريعة، ط 3، 2008.
- لومة محمد، مكافح مغربي... يتذكر، القنيطرة: المطبعة السريعة، 2013.
- واتر بوري جون، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، المحمدية، مطبعة فضالة، 2004.
- أمينة وعزيز، العلاقات المغربية الجزائرية بين سنتي 1962 و2013، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - أكادال، إشراف محمد كنيب، السنة الجامعية 2017-2018.

المصادر بالفرنسية

- Boukhari Ahmed. *Le secret Ben Barka et le Maroc, un ancien agent des services spéciaux parle*, Neuilly, Editions Michel Lafon, 2002.

- Ministère des Affaires Etrangères, CADN, Rabat Ambassade. Carton 558/PO1 N° 570. *Accord Boumediene-Oufkir et dissidence marocaine en Algérie*, lettre De Robert Gillet, Ambassadeur de France au Maroc, à son Excellence Monsieur le Ministre des Affaires étrangères Direction des Affaires Politiques, Afrique du Nord, Paris, 21/9/1965.
- Ministère des Affaires Etrangères, CADN, Rabat Ambassade: Carton 558/PO1 N° 570. Note: *Maroc Algérie- Les activités du Colonel Ben Hammou''*, *Activité en Algérie des éléments subversifs marocains*, 9/12/1965.
- Saaf Abdallah. *Histoire d'An-Mah*, Paris, l'Harmattan, 1996.

كيف تسهم المحلقيات الثقافية في تعزيز الدبلوماسية الثقافية؟

م.د. أيات محمد سعود/ جامعة النهرين/ كلية الحقوق/ العراق

المستخلص:

مما لا شك فيه ان الدبلوماسية الثقافية، ماهي الا عملية تبادل التقاليد والأفكار والفنون والخبرات بغية تعزيز سبل التعاون والتقارب بين الدول، وتصحيح الصورة النمطية للمجتمعات خارج الدولة، وتذليل المعوقات وإيجاد الحلول الملائمة للطلبة الدارسين في دول الابتعاث، بغض النظر عن نوع دراستهم زمالة ام بعثة او نفقة خاصة، وتطوير التبادل الثقافي بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والوزارات المناظرة، واقامة علاقات ثقافية (علمية) مع الجامعات والمؤسسات العلمية والتربوية في الدول الموفدة لديها البعثات الدبلوماسية، وتوفير أقصى قدر ممكن من الاهتمام بمختلف شؤون الطلبة ومساعدتهم وتيسير فترة ابتعاثهم من جميع النواحي الدراسية والمالية، ويهدف المقال وفقا للعرض السابق الى بيان دور المحلقيات الثقافية في تعزيز الدبلوماسية الثقافية عبر بيان ماهية المحلقيات الثقافية وكيفية تعيين موظفيها ثم بيان دورها في تعزيز الدبلوماسية الثقافية.

الكلمات المفتاحية: المحلقيات، الثقافية، القوة، الناعمة، الدبلوماسية.

Abstract:

There is no doubt that cultural diplomacy is nothing but the process of exchanging traditions, ideas, Arts and experiences in order to strengthen cooperation and rapprochement between countries, correct the stereotype of communities outside the country, overcome obstacles and find appropriate solutions for students studying in the countries of scholarship, regardless of the type of Study, Fellowship, mission or private expense, develop cultural exchange between the Ministry of higher education and scientific research and the corresponding ministries, establish cultural (scientific) relations with universities and scientific and educational institutions in the countries sending diplomatic missions, and provide the maximum possible attention to various student affairs help them and facilitate the period of their scholarship from all The article aims, according to the previous presentation, to explain the role of cultural annexes in promoting cultural diplomacy by explaining what cultural annexes are and how to appoint their employees, and then to explain their role in promoting cultural diplomacy.

Key words: Attachment-cultural-power-soft-diplomacy.

المقدمة:

والعلاقات الثقافية والتعليمية مسألة ضاربة القدم مارسها طلاب العلم منذ عقود في سفرهم من بلد لآخر بغية إرضاء شغفهم المعرفي، وبعد ان باتت الدبلوماسية متاحة بعدها اداة من ادوات الثقافة فان مهمة القيام بمتابعة الشؤون المعرفية والثقافية، عهدت الى المحلقيات الثقافية التي تعد همزة الوصل الناقلة للعلم. بما تقدمه من برامج التبادل الأكاديمي والثقافي وبرامج الابتعاث، والمؤتمرات والورش حول المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وارسال صورة إيجابية مشرفة عن الدولة وثقافتها وسياساتها مما يعني كسر الصورة النمطية لعمل المحلقيات الثقافية بتواجد بعثة دبلوماسية ملحقة بالسفارات تعكف على إنجاز أعمال وشؤون الطلبة الدارسين في الخارج، وغلبة الطابع المزدوج لعملها فهي تربط الثقافة والتعليم بالدبلوماسية وجعلها مُحِبَّة للشعوب المستهدفة، وتنبع أهمية الدراسة من عمق الدور الذي

تلعبه الملحقيات الثقافية في تعزيز الدبلوماسية الثقافية بخلق ثقافة وفلسفة موجهة إلى جمهور خارجي، بغية تعزيز قوة الدولة ومكانتها، وبناء صورة ثقافية مقنعة ومؤثرة عن الدولة. مما يحتم تعيين موظفين تتوفر فيهم صفات القيادة الحكيمة لإدارة القوة الناعمة فلا بد من تنمية وتطوير الكوادر العراقية وإعدادها لتحمل مسؤوليتها في مواكبة عجلة التطور والتقدم.

أولاً - المقصود بالمحقيات الثقافية: - تعد الملحقيات الثقافية العين الراصدة لحركة التطور العلمي والثقافي خارج الدولة، وهي إحدى التشكيلات التعليمية التكميلية التابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي وعلى وجه التحديد دائرة البعثات والعلاقات الثقافية، ويتأسس الملحقيات الثقافية ملحق ثقافي ومن الممكن تعيين مساعد له. وبحسب الهيكلية الإدارية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ترتبط هذه الملحقيات بدائرة البعثات والعلاقات الثقافية من الناحية الإدارية وعند اضطلاع الملحقين بعملهم يخضون للإشراف المباشر لرئيس البعثة الدبلوماسية (السفير) في دولة المقر باعتباره المسؤول الأول عن جميع أعضاء البعثة الدبلوماسية.

ثانياً - ماهي الدبلوماسية الثقافية و(القوة الناعمة): - مصطلح يستخدم في إطار العلاقات الدولية والسياسية الخارجية يراد به بشكل موجز "استخدام الثقافة في السياسة" فهو يدور حول قدرة الدولة على تحقيق المكاسب باستعمال أساليب الجذب والثقافة والقيم دون اللجوء إلى مكونات القوى الأخرى، وهي بمثابة القوة الناعمة التي يتم من خلالها التأثير في العقول، وفي توجهات المجتمعات، وهي الحقيقة التي أدركتها الدول الكبرى واستثمرت بها لتصبح من الأدوات السياسية التي تستعملها لمحاكمة كل ما يتعارض مع سياساتها.⁽¹⁾ ورغم أن المصطلح قديم من حيث انتشار فكرته بيد أن رواحه يرجع إلى العام 1990 إذ ورد في كتاب القوة الناعمة لمؤلفه جوزيف ناي⁽²⁾، والذي أشار به إلى أن ما تتمتع به الثقافة الأمريكية من سمات خلق لها المكنة الكبرى لإنجاز أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وتسعى الدول من خلال القوة الناعمة إلى الحصول على مكانة فاعلة ومؤثرة على الصعيد العالمي وخلق رواج شعبي لثقافة معينة يساعد على إنشاء استجابات إيجابية لسياسة الدولة خارج حدودها أي في الدول الأخرى بما يسمح بإقامة علاقات مستقرة ورابط ودية بين الشعوب.

وتمارس الدول استراتيجية القوة الناعمة كعامل متكامل مع الأنشطة التي تهم البرامج التي تنفذ خارج الحدود بغية، إحداث تغييرات معينة أو بناء أفكار وقناعات معينة تسهل فهم سياسات هذه الدولة وقراراتها.⁽³⁾

ثالثاً - كيف يعين موظفي الملحقيات الثقافية: - إن تعيين موظفي الملحقيات الثقافية يخضع للقوانين الداخلية للدولة الموفدة مما يتعين على الدولة المضيفة قبول مبدأ التعيين دون التدخل بهذا الحق، وهو حق يستند إلى موافقة الدولتين على إقامة العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بينهما فللدولة الموفدة إذن مطلق الحق بأن تعين وتندب بملاء حريتها المطلقة موظفي ملحقيتها الثقافية وأن تحدد راتبهم وعددهم، ضمن الحدود المعقولة، وتشكيلها يتم بعلاقة مشتركة بين وزارة الخارجية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ويصدر قرار ترشيحهم من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بعد تحقق الضوابط الواردة في قانون الخدمة الخارجية رقم 45 لسنة 2008 حيث تعلن دائرة البعثات والعلاقات الثقافية عند وجود شاغر لوظيفة ملحق ثقافي أو مساعد ملحق، بكتاب متضمن الضوابط القانونية للترشيح ويعمم على الجامعات كافة ووتتم المنافسة بين المرشحين.⁽⁴⁾

1 (محمد السعيد بن غنيمه، الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في الفارة الإفريقية، المحلة النقدية للقانون والعلوم السياسية كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة تيزي وزو، المجلد 18، العدد 01، 2024، ص 3.

2 (علي محمد . القوة الناعمة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمريكية كلية العلوم السياسية، قسم الدراسات الاستراتيجية، 2014

3 (منيرة بودرداين. الدبلوماسية الثقافية الأمريكية كقوة ناعمة وآلية إيديولوجية للهيمنة الثقافية في العالم العربي، المحلة الجزائرية للامن الانساني، السنة السادسة، العدد 2، 2021، ص 647.

4 (قانون الخدمة الخارجية رقم 45 لسنة 2008.

ورغم ان عملية تعيين موظفي الملحقية الثقافية يكون مشتركاً من قبل كلا وزارتي الخارجية والتعليم العالي والبحث العلمي الا ان تبعيتهم بعد الالتحاق بالملحقية الثقافية خارج العراق تكون لرئيس البعثة الدبلوماسية(السفارة) لاصطباغ عملهم بالطابع الثقافي الدبلوماسي وباعتباره المسؤول الأول عن جميع أعضاء البعثة الدبلوماسية من جهة، وعن تنفيذ سياسة بلاده في بلد المقر من جهة أخرى، ولهذا تكون تحركاتهم وعملهم بموافقة بغض النظر عن تعليمات وزارتهم، ولذلك يخطرونه أول بأول بكافة الأعمال الهامة التي يقومون به، ومتى ما ارتكب عملاً يخل بوظيفته كان لوزير الخارجية سحب تلك الصفة واعادته الى وزارته، وقد وردت شروط تعيين موظفي الملحقيات الثقافية في المادة 12 ثانياً من البند (أولاً) من قانون الخدمة الخارجية لسنة 2008:-

- 1- أن يكون عراقي الجنسية.
 - 2- أن لا تقل درجته الوظيفية عن الدرجة الثانية.
 - 3- حاصلاً على شهادة جامعية أولية في الاقل.
 - 4- يتقن إحدى اللغات الحية أو أن يكون لديه إلمام كاف بما على الأقل.
- ونرى بضرورة اشتراط دخول موظف الخدمة الجامعية في دورات تدريبية مكثفة ضمن وزارة الخارجية او المراكز التدريبية قبل التحاقه بمهامه بغية اكسابه مهارات التعامل الدبلوماسي نظراً لاصطباغ عمله الجديد بطابع الثقافة والدبلوماسية.
- رابعاً-التوجهات الجديدة لتعزيز مساهمة الملحقيات الثقافية في خلق الدبلوماسية الثقافية:- ان المهام الاصلية للملحقيات الثقافية هي متابعة شؤون الطلبة الدارسين خارج العراق وتذليل الصعاب التي تواجههم بيد ان القوة الناعمة فرضت ضرورة تغيير طبيعة عمل الملحقيات لاجل القيام بمكونات القوة الناعمة من خلال تطوير برامج عملها وتأهيل موظفيها كونها جهة فاعلة في امكانية توصيل الرسالة التي تسعى الدبلوماسية الثقافية الى تحقيقها عبر برامج التبادل الدراسي والورش المقامة والحلقات الحوارية بغية مناقشة القضايا الملحة، مما يسهم في ابراز الوجه الحضاري للدولة، ونقل وجهات نظر الشعوب، لتقدم نفسها الى العالم.

وعطفاً على ما سبق ذكره تنطوي الدبلوماسية في الغالب على اسلوب الحوار، بين الدول، والذي يعج عنصر أساس في حل النزاعات، سواء كان مزاعاً متجذراً في التاريخ أو نتيجة للظروف الحالية، فمن المهم التقريب بين الجانبين. وهنا يبرز دور المشاريع الثقافية العامة التي يستسيغها الجميع في ان تكون طرفاً فعالة للتعاون بين البلدان وحل النزاعات⁽¹⁾، وهناك عوامل اثرت في خلق القوة الناعمة كتنامي الرغبة لدى بعض العراقيين في اكمال دراساتهم خارج العراق نحو الجامعات غير الرصينة من الناحية البحثية وعدم اعتمادها لمعايير جودة التعليم كما هو الحال في بعض الجامعات في لبنان وايران ولا شك ان هذه التوجه مؤثر سلباً عن صورة التعليم بالعراق، ما يقع على عاتق الملحقيات التحقق من رصانة الجامعات واسلوب الدراسة فيها والشهادات التي تمنح منها ورفع تقارير بذلك واعلام دائرة البعثات والعلاقات الثقافية بذلك وايقاف معادلة وتقويم الشهادات الصادرة من هذه الجامعات، ونؤكد على ضرورة عدم انحسار مهام الملحقيات الثقافية في متابعة شؤون الطلبة بل العكس على بث الاشعاع النير عن الدولة عبر اقامة الورش والحلقات الحوارية واعداد المطالعات السنوية باهم الكتب والمصنفات سواء كانت طيبة ام انسانية والتي يرى الملحق الثقافي باهمية ترجمتها ونشرها لاجل رفد المكاتب العلمية بالتناجات الفكرية المهمة.

1 (نجم الدين كرم . دور الدبلوماسية الثقافية في تطوير العلاقات بين الشعوب مقال منشور على الموقع الاتي :- <https://www.aljazeera.net/blogs/2020/7/5/%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B7%D9%88%D9%8A%D8%B1>

ختاما نؤكد على دور الملحقيات الثقافية المرن في ان تكون جهازا خلاقا يضمن أشكال التعبير المختلفة كونه احد الأدوات الدبلوماسية، التي تمكنه من التأثير المتبادل عبر الثقافة والقيم والأفكار، بما يفقدمه من برامج أكاديمية وثقافية وورش ومحاضرات حول المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، لذا على الدول ان تولي هذا الجهاز الالهية القصوى عبر رفده بالكفاءات الحيرة والفذة لتكون والوجه المشرق الذي يمثل الدولة في الخارج.

المراجع:

اولا المجالات:-

- 1- علي محمد . القوة الناعمة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمريكية كلية العلوم السياسية، قسم الدراسات الاستراتيجية، 2014
- 2- محمد السعيد بن غنيمة .الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الافريقية، المحلة النقدية للقانون والعلوم السياسية كلية الحقوق والعلوم السياسية- جامعة تيزي وزو، المجلد 18، العدد 01 ، 2024 .
- 3- منيرة بودرداين. الدبلوماسية الثقافية الامريكية كقوة ناعمة وآلية إيديولوجية للهيمنة الثقافية في العالم العربي، المحلة الجزائرية للامن الانساني، السنة السادسة، العدد 2، 2021 .

ثانيا التشريعات:-

قانون الخدمة الخارجية رقم 45 لسنة 2008.

ثالثا- الانترنت:-

نجم الدين كرم . دور الدبلوماسية الثقافية في تطوير العلاقات بين الشعوب مقال منشور على الموقع الاتي:-

<https://www.aljazeera.net/blogs/2020/7/5/%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B7%D9%88%D9%8A%D8%B1>

الدبلوماسية المغربية ودورها في الانتقال الديمقراطي في ليبيا بين الإنجازات والتحديات

د. هاني محمد مفتاح أمبارك / كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة مصراته- ليبيا

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى تحليل طبيعة الأزمة الليبية وفرص وتحديات الانتقال الديمقراطي في ليبيا، والوقوف على دور الدبلوماسية المغربية في الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا، وكشف التحديات التي واجهت الدبلوماسية المغربية في الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وبينت نتائجها أن الأزمة الليبية السياسية شهدت تحديات وتدخلات وانتكاسات وبعض النجاحات في حلها، وتمخض عنها الانقسام السياسي والمؤسسي، وبينت النتائج أن دور المملكة المغربية عبر دبلوماسيتها الخارجية ساهم في العديد من محطات التوافق بين الليبيين، وأهم منجزاتها كان اتفاق الصخيرات عام 2015 الذي رعته المملكة المغربية، كما عملت بموضوعية على تقريب وجهات النظر وعقد اللقاءات التشاورية والمباشرة بين الأطراف الليبية في أكثر من مناسبة من أجل الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا، وتمثل ذلك في السعي لوضع القوانين الانتخابية وتوزيع المناصب السيادية الليبية، لكن المساعي الدبلوماسية المغربية واجهتها بعض التحديات من أبرزها ما يعرف بالحالة التنافسية أو العقد الجيوسراتيجية بين المغرب والجزائر، وكذلك التدخلات الأجنبية الدولية والإقليمية في الشأن الليبي، وتحديداً داخلي مغربي يتمثل في محدودية مواكبة الدبلوماسية المغربية لإنجازاتها في الانتقال الديمقراطي في ليبيا.

الكلمات المفتاحية: الأزمة الليبية، الانتقال الديمقراطي، الدبلوماسية المغربية، اتفاق الصخيرات.

Abstract:

The study aimed to analyze the nature of the Libyan crisis and the opportunities and challenges of the democratic transition in Libya, and to identify the role of Moroccan diplomacy in reaching the democratic transition in Libya, and to reveal the challenges that Moroccan diplomacy faced in reaching the democratic transition in Libya. The study used the descriptive analytical approach, and its results showed that the Libyan political crisis witnessed conflicts, interventions, setbacks and some successes in resolving it, and resulted in political and institutional division. The results showed that the role of the Kingdom of Morocco through its foreign diplomacy contributed to many points of consensus among Libyans, and this was represented in the Skhirat Agreement in 2015, which was sponsored by the Kingdom of Morocco. It also worked objectively to bring viewpoints closer and hold consultative and direct meetings between the Libyan parties on more than one occasion in order to reach the democratic transition in this country. This was represented in the effort to establish electoral laws and distribute Libyan sovereign positions, but Moroccan diplomatic efforts faced some challenges, most notably what is known as the competitive situation or geostrategic contract between Morocco and Algeria, as well as international and regional foreign interventions in Libyan affairs. An internal

Moroccan challenge is the limited ability of Moroccan diplomacy to keep up with its achievements and to work continuously to complete its efforts in the democratic transition in Libya.

Keywords: Libyan crisis, democratic transition, Moroccan diplomacy, Skhirat Agreement.

1. المقدمة:

على النقيض من الأوضاع الطبيعية للتحوّل الديمقراطي في أي دولة فإن الحالة الليبية تشكل استثناء واضحاً فيما يتعلق بخصوصية طبيعة التحوّل الديمقراطي من حيث كثرة المشاكل والأزمات، وقلت الأدوات التي تساعد على حلها، وعلى الرغم من ذلك فإن التحوّل الديمقراطي في بدايته شكل رؤية إيجابية فيما يتعلق بإمكانية نجاحه، حيث إن المرحلة الانتقالية كانت من أهم التحديات التي تطلب تنظيمها. بموجب نص اتفقت عليه القوى السياسية المتصدية لإسقاط النظام، والتي اكتسبت شرعيتها من المجالس البلدية التي تم تشكيلها في المناطق التي سيطرت عليها قوات المعارضة، فبموجب الإعلان الدستوري الذي أصدره المجلس الوطني الانتقالي في الثالث من أغسطس 2011 جرى تنظيم المرحلة الانتقالية إلى حين استكمال مؤسسات الدولة والدستور الدائم المنتظر بعد الإعلان الدستوري، وكان تعهد من المجلس الوطني الانتقالي قبل تسليم السلطة السيادية والقانونية، باتباع إجراءات قانونية ضمن جدول زمني محدد للمرحلة الانتقالية لإقامة نظام سياسي ديمقراطي مبني على التعددية السياسية والحزبية ابتداء من إعلان نهاية النظام السابق وحتى صدور الدستور الدائم¹.

وبالرغم من عدم تهيء الظروف الموضوعية لنجاح التحوّل إلا أن الالتزامات أو خارطة الطريق التي تم توضيحها في الإعلان الدستوري كانت تؤكد على نية إنشاء نظام ديمقراطي تسوده قيم المواطنة والعدالة والمساواة وتحريم الظلم والاستبداد والطغيان وانحياز دستور دائم للبلاد، يحترم ويعزز قيم الديمقراطية، ويصون حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، أن التحوّل الديمقراطي في الحالة الليبية لم يكن ممكناً إلا بعد انهيار النظام السابق والذي بدوره اعتمد على إدارة الدولة عن طريق ما يعرف بالطريقة السلطانية القائمة على حرية التصرف والحكم الذاتي حيث أوجد هيكلية أمنية وسلسلة من الأوامر يتماشى مع رغبته في إدارة الدولة².

تتسم الأزمة الليبية بالتداخل والتعقيد في الوقت نفسه، حيث ترقى إلى مستوى الأزمة الإقليمية بل والدولية في الوقت ذاته، وهي تدخلات نتج عنها نتائج معقدة، تتداخل فيها أطرافاً إقليمية ودولية جعلت من التراب الليبي ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية والدولية، وهو ما قلص من حجم الأطراف الليبية في الصراع وجعلها لا تشكل عوامل محددة في الأزمة الناشئة في البلاد، وهي أزمة تتشابه

1- أمنة محمد علي، تحديات التحوّل الديمقراطي وبناء الدولة في ليبيا، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية (العراق: المجلد 6، العدد 17، 2013م)، ص 244.

2- سامي جمعة الخالفي، وجمعة فترون دجيل، دور المصالحة الوطنية في عملية التحوّل الديمقراطي دراسة حالة ليبيا، مجلة الأستاذ (العدد 22، 2022م)، ص 289.

خيوطها وتتعقد أوراها ومن ثمة يظل مستقبل الدولة الليبية مرهوناً بتفاعلات وتدخلات الأطراف الخارجية في الأزمة وقدرتها على الوصول إلى محاصصة مُرضية في الموارد الليبية، ولا سيما قطاع الطاقة¹.

ومن هنا ساهمت عدة دول إقليمية بأدوار بعضها كان لمصلحة حل الأزمة وبعضها زاد من تعقدها وأمد من عمرها، ومن بين دول العربية والإقليمية التي كانت لها مساهمات إيجابية وموضوعية وحيادية المملكة المغربية من خلال الوساطات المختلفة ورعاية الحوارات والنقاشات والمفاوضات بين أطراف الأزمة الليبية أكثر من مرة، وعلى مختلف مراحل الأزمة ومستوياتها، بدأ من نقاشات الصخيرات والتي أسفرت عن توقيع أول اتفاق سياسي بين الليبيين بعد أحداث الثورة وصولاً إلى تفاهات بوزنيقة بين مجلس الدولة والبرلمان وغير ذلك من التحركات الدبلوماسية للخارجية المغربية.

وطيلة فترة احتضانها للمفاوضات الليبية، حافظت الرباط على ترجيح الحل السياسي واستكمال الدعم للمقاربة الأممية بدعم العملية السياسية والحوار بين الأطراف، ولهذا حظيت جهود الدبلوماسية المغربية بالتنويه في القرار الأممي 2259²، ورغم ما وجه من نقد لاتفاق الصخيرات، ونكوص بعض الأطراف عن الاعتراف به، لكنه يظل الاتفاق الأوحيد الذي صمد ولا يزال أكثر من غيره من الاتفاقات بين الأطراف الليبية، فقد شكل هذا الاتفاق الذي رعته المملكة المغربية في 17 ديسمبر عام 2015 مدخلاً لحل الصراع السياسي والعسكري في ليبيا، من أجل إنهاء الأزمة السياسية بين مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، بسبب الخلاف بين مجلس النواب المنتخب عام 2014 والمؤتمر الوطني العام وتشكيل حكومة وطنية ووضع دستور وإجراء انتخابات جديدة³.

كما رعت المغرب عدة اجتماعات لحلحلة الأزمة بين الأطراف الرئيسية في الأزمة الليبية مثلما حدث في تفاهات أبو زنيقة وغيرها من اللقاءات والمشاورات، وكانت الدبلوماسية المغربية، وعلى رأسها وزير الخارجية ناصر بوريطة الذي أكد في أحد تصريحاته أن موقف المملكة المغربية من القضية الليبية يظل ثابتاً وواضحاً، قوامه تقديم كل أوجه الدعم حتى تصبح ليبيا دولة قوية وديمقراطية، ولفت إلى أن المغرب وتعزيزاً للتجربة السابقة، التي تمخض عنها اتفاق الصخيرات السياسي للوجود منذ سنة 2015، واصل جهوده للمساهمة في حل النزاع الليبي اعتماداً على مقاربه المتمثلة في توفير الفضاء المناسب لليبيين من أجل الحوار والتشاور البناء. يأتي هذا المنجز الذي تعترضه التحديات في إطار الدبلوماسية المغربية النشطة في إطارها الإقليمي؛ العربي والإفريقي، فيما تعد الدبلوماسية بوجه عام الأداة التنفيذية للسياسة الخارجية للدولة، فهي تتعامل مع ثلاثة أبعاد: السياسي، الاقتصادي، الثقافي، فالسياسي يتناول كل ما يتعلق بإدامة ونمو الكيان السياسي للدولة في إطار علاقات الصراع والتعاون بين أطراف المجتمع الدولي أما البعد الاقتصادي والذي طور علاقات

1- محمد الفايد، الأزمة الليبية: الفواعل المحركة للصراع والمسارات المستقبلية (مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية)، 11، سبتمبر 2023م- <https://mediterraneancss.uk/2023/09/11/libyan-crisis>

/crisis

2- قرار مجلس الأمن رقم 2259، 23 ديسمبر 2015.

<https://cutt.us/78ieN>

3- أحمد قاسم حسين وآخرون، ليبيا تحديات الانتقال الديمقراطي وأزمة بناء الدولة (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022م)، ص22.

الأمم فيما بينها لتصبح الاعتمادية المتبادلة لتلبية الاحتياجات المعاشية شكلاً من أشكال النظام الدولي، والبعد الثقافي فهو يعبر عن احساس الشعوب والنخب الحاكمة بأن ثقافتها ومبتكراتها هي من المنجزات الانسانية الحضارية¹. وفق هذه الخطوات العملية تأتي هذه الدراسة لكشف حقيقة الدور المغربي ومساراته المختلفة ومدى تأثيره في حلحلة الأزمة الليبية وأيضاً الكشف عن الصعوبات والتحديات التي واجهته إقليمياً ودولياً.

2. مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في أن ليبيا ومنذ الإطاحة بالنظام السابق في عام 2011 وهي تسعى إلى الوصول إلى الانتقال الديمقراطي، وهو الحلم الذي ضحى من أجل تحقيقه الليبيون بالغالي والنفيس، ورغم أن النخب السياسية تؤمن بضرورة تحقيقه، من خلال الحوار بين مؤسساتها وكياناتها، غير أن التدخلات الخارجية لازالت أحد أسباب تأخر الوصول إلى هذا المبتغى، فقد استخدمت العديد من الدول نفوذها وموقعها وسعت لتحقيق مصالحها في ليبيا وكان من بينها المملكة المغربية، لكنها تميزت عن الدول الأخرى وكان تدخلها بشكل موضوعي بشهادة الجميع تقريباً واعتبرت أحد الأطراف الخارجية الإقليمية التي سعت عبر الدبلوماسية من أجل إيجاد تقارب وتوافق بين الأطراف السياسية الليبية المتنازعة لتحقيق الانتقال الديمقراطي في هذه البلد، وبالفعل حققت المملكة على أرض الواقع الكثير من المنجزات بيد أن هذه المساهمة اعترتها تحديات كان من الأهمية بيان حقيقتها وتحليل مسيبتها المختلفة.

3. أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ماهي طبيعة الأزمة الليبية وما فرص وتحديات الانتقال الديمقراطي في ليبيا؟
2. ما إنجازات الدبلوماسية المغربية في الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا؟
3. ماهي التحديات التي واجهت الدبلوماسية المغربية في الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا.

4. أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. معرفة طبيعة الأزمة الليبية وفرص وتحديات الانتقال الديمقراطي في ليبيا.
2. الوقوف على دور الدبلوماسية المغربية في الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا.
3. كشف التحديات التي واجهت الدبلوماسية المغربية في الوصول إلى الانتقال الديمقراطي في ليبيا.

5. أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة من حيث أن موضوعها يحظى باهتمام واسع في الوقت الحالي على صعيد الدراسات السياسية والاستراتيجية ألا وهو الانتقال الديمقراطي، ويشكل البحث فيه أهمية عملية بالغة في ما يخص تحديداً واقع ومستقبل الأزمة الليبية التي مرّ عليها أكثر من عقد من الزمن، دون أن تشهد انفراجات راسخة وثابتة يمكن البناء عليها في تحقيق انتقال ديمقراطي طالما انتظره الليبيون، فكان من

1- خلود محمد حميس، دور الدبلوماسية في تفعيل السياسة الخارجية العراقية تجاه أفريقيا بعد عام 2003م (بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بجامعة 2014م)، ص3.

الأهمية بيان دور أحد الأطراف الإقليمية التي ساهمت عبر دبلوماسيتها في هذا المسعى بحيث تقدم هذه الدراسة توضيحاً لمسارات هذا الدور وكشف تحدياته ومعوقاته.

6. مصطلحات البحث:

يرتكز هذا البحث على المصطلحات الرئيسية التالية:

1. الدبلوماسية:

الدبلوماسية مأخوذة من الكلمة اللاتينية (diploma) والتي تعني وثيقة رسمية، وأيضاً تعني ورقة أو وثيقة مطوية، وهي نظم ووسائل الاتصال بين الدول الأعضاء في الجماعة الدولية، وهي وسيلة إجراء المفاوضات بين الأمم، ويطلق اليوم بعض أهل الأدب هذا التعبير على الخطط والوسائل التي تستخدمها الأمم عندما تتفاوض، فالتفاوض في هذا المعنى يشتمل على صياغة السياسات التي تتبعها الأمم لكي تؤثر على الأمم الأخرى، وعندما يفشل التفاوض أثناء أزمة كبيرة، فإن الحرب تنشب في أغلب الأحيان¹.

ويرى "فوديرييه" أن الدبلوماسية هي فن تمثيل السلطات، ومصالح البلاد لدى الحكومات والقوى الأجنبية، والعمل على أن تحترم ولا تنتهك ويستهان بحقوق وهوية الوطن في الخارج، وإدارة الشؤون المالية، وتوحيد ومتابعة المفاوضات السياسية حسب تعليمات الحكومة² وعرفت بأنها الأداة الرئيسية في السياسة الخارجية للدول، خاصة في وقت السلم من خلال عملية التمثيل والتفاوض، التي تجرى بينها، والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها، فالدبلوماسية الفعالة هي التي تدعمها كل هذه الأدوات سياسية أو دعائية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية، ويعتبر كثير من المحللين أن هدف الدبلوماسية الأول هو التوفيق بين خلافات الدول، وفتح وسائل الاتصال بينهما من أجل تحقيق هذا الهدف³.

2. الانتقال الديمقراطي:

كلمة "ديمقراطية" من أصل إغريقي وهي مركبة من مصطلحين أولهما (Démós) ويعني الشعب وثانيهما (kratos ou) ويعني سلطة، أو قوة، أو قيادة، أو نفوذ، وحال ضمهما معاً يدلان على أن المقصود بتلك الكلمة سلطة الشعب، أو قوة الشعب، أو حكم الشعب⁴. وعُرف أول تطبيق لها في العالم في القرن الخامس قبل الميلاد في عصر الحضارة اليونانية القديمة التي تميزت بتنظيم يسمى بمدينة الدولة، والتي كان أشهرها أثينا، وعُرفت بالديمقراطية المباشرة؛ لأن المواطنين كانوا يجتمعون في مجلس واحد، وكانوا يتشاورون في أمورهم نظراً لقلّة عدد هؤلاء المواطنين⁵.

وعرفت الديمقراطية مخاضاً جديداً في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عقب اندلاع الثورات في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرها، وذلك في شكلها التمثيلي النيابي وفي إطار كيان سياسي جديد معروف بالدولة القومية المترتبة عن

1- علي عبد الفتاح، الإعلام الدبلوماسي والسياسي (عمان: دار الباروري العلمية للنشر والتوزيع، 2019)، ص8-9.

- علاء أبو عامر، العلاقات الدولية: الظاهرة والعلم- الدبلوماسية والإستراتيجية (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004م)، ص164.

- محمد نصر مهنا، تطور السياسات العالمية والإستراتيجية القومية (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2007م)، ص93-94.

- محمد أحمد إسماعيل، الديمقراطية ودور القوى النشطة في الساحات السياسية المختلفة (مصر: المكتب الجامعي الحديث، 2010م)، ص53.

- نبيلة داود، الموسوعة السياسية المعاصرة مدارس سياسية، مصطلحات، منظمات، هيئات (القاهرة: دار غرب، 1991م)، ص27.

سلام وستفاليا لعام 1648 وأصبحت الديمقراطية تعرف بحق الشعب المطلق في أن يشرع لجميع الأمور العامة بأغلبية أصوات نوابه، وبالتالي فإن إرادة الشعب تبقى حرة غير مقيدة بقيود خارجية مطلقة، وهي سيادة نفسها ولا تسأل أي سلطة غير سلطتها¹.

كما أن هناك عدة تعاريف قدمت للديمقراطية، ويختار الباحث تعريف المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" رحمه الله للديمقراطية، حيث عرفها بأنها: "ذلك النوع من العلاقة بين الحاكمين والمحكومين بين الدولة والشعب، في العلاقة المبنية على تداول السلطة السياسية على أساس الأغلبية الانتخابية التي يفرزها التعبير الديمقراطي الحر من خلال التنافس الحزبي في إطار احترام حقوق المواطن السياسية منها بالخصوص"². بينما يوصف الانتقال بالديمقراطي بأنه: تلك السيرورة التاريخية التي تتميز بتحول السلطة السياسية من نمط التدبير السلطوي بشكل سلمي وتدرجي نحو بناء تجربة جديدة، تعتمد منظومة حكم أكثر ديمقراطية، عبر إحداث تغييرات فعلية على مستوى المؤسسات والقوانين والعلاقات بين الحاكمين والمحكومين وتوسيع فضاءات المشاركة، وتجويد آليات إدارة الحكم وضمن الحقوق والحريات³ فالانتقال الديمقراطي مرحلة بين نظامين متباينين يبينان على منطقتين مختلفتين، ويتأسس الانتقال على تفكيك البنيات القائمة وإعادة تركيبها، فهو مرحلة غير نمطية شكلاً ومضموناً بحيث تتأثر بأوضاع و خصوصيات كل مجتمع مع تمسكها بمجموع مقومات النظام الديمقراطي التي تحقق حكم الشعب عبر ضمان أوسع مشاركة، والمساواة في حقوق المواطنة، وتنافس سياسي يحتكم إلى الاقتراع الحر والعاقل والمفزي إلى تداول السلطة في إطار شرعية دستور⁴.

7. منهج البحث:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع طبيعة أهدافها، وهو المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الأحداث من خلال وصفها بداية، ومن ثم الانتقال إلى مستوى التصنيف والربط والتفسير وصولاً إلى الاستنباط واستخلاص النتائج⁵. وقد وظف هذا المنهج في دراسة وتوصيف الأزمة الليبية ومآلات الانتقال الديمقراطي فيها وفي توصيف واستخلاص دور وتحديات الدبلوماسية المغربية في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا.

8. تقسيم البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة وأسئلة البحث وأهداف البحث ومصطلحاته ومنهجه، ثم على الفصل الأول بعنوان: الأزمة الليبية ومآلات الانتقال الديمقراطي فيها، ويحتوي على مبحثين هما: المبحث الأول: تاريخ الأزمة الليبية وطبيعتها، ثم المبحث الثاني: فرص وتحديات الانتقال الديمقراطي في ليبيا.

1 - مصطفى بلور، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية، دراسة حالة النظام السياسي الجزائري 1988-2008 (أطروحة دكتوراه: جامعة الجزائر، 2009م)، ص 19.

2 - علي خليفة الكواري، وآخرون، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م)، ص 91.

3 - حسين طارق، المجتمع المغربي وسؤال المواطنة والديمقراطية والسياسة (الرباط: منشورات فكر، 2010م)، ص 52.

4 - زكريا بوروي، النخبة السياسية وإشكالية الانتقال الديمقراطي دراسة حالة الجزائر (رسالة ماجستير: جامعة منورى بفسنطينة الجزائر، 2009م)، ص 36.

5 - إبراهيم أبراشي، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009م)، ص 151.

الفصل الثاني بعنوان الدبلوماسية المغربية ودورها في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا، ويحتوي على مبحثين هما: المبحث الأول: إنجازات الدبلوماسية المغربية في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا، المبحث الثاني: التحديات التي واجهت الدبلوماسية المغربية في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا، ثم خاتمة النتائج.

9. عرض وتحليل نتائج البحث

9.1 الأزمة الليبية ومآلات الانتقال الديمقراطي فيها

9.1.1 تاريخ الأزمة الليبية وطبيعتها

لم تتأخر ليبيا عن ركب الدول التي اشتعلت فيها جذوة وشرار التغيير السياسي في شمال أفريقيا ربيع 2011م فما كادت ثورة مصر أن تكتمل حقيقة ماثلة حتى هبت رياح التغيير نحو الغرب وبالتحديد إلى ليبيا، وسرعان ما تحولت الاحتجاجات التي انطلقت من بنغازي ومدن الشرق الأخرى - في فبراير من ذات السنة- إلى مواجهة عسكرية ولحقتها مدن جبال نفوسة، وهكذا تدرجت كرة الثلج في ذلك الربيع الفريد المتسارع الأحداث، وتحولت الثورة السلمية إلى ثورة مسلحة والسبب يرجع إلى تعامل القذافي مع المتظاهرين بشكل وحشي وسرعان ما أصدر مجلس الأمن قراره رقم (1973) بحماية المدنيين في ليبيا فيما نظمت قوات الثوار نفسها بعد حصولها على مختلف أنواع الدعم، وأهمه الدعم المعنوي في شكل اعترافات بمجلسها الانتقالي، وطبي صفحة القذافي الذي فقد شرعيته وتأييده الدولي والإقليمي، وأصبح خارج لعبة المصالح الغربية بعد قناعة تلك الدول بأنه لا جدوى من تأهيل نظامه الفوضوي المنهالك¹.

لقد جرى تشكيل المجلس الانتقالي الليبي بعد اندلاع الثورة بعشرة أيام وتم الاعتراف الدولي به، وتم إصدار الإعلان الدستوري في أغسطس من سنة 2011 وأهم بنوده إصدار قانون الانتخاب، وهو ما تم في صورة انتخاب المؤتمر الوطني في عام 2012 وتم تشكيل حكومة "عبد الرحيم الكيب" ثم تشكلت أول حكومة رسمياً برئاسة "علي زيدان" واستمرت حتى عام 2014، بعدها تشكلت حكومة "عبد الله الثاني" لكن سرعان ما تم إقالته من المؤتمر الوطني، وتم تعيين معيتيق بدلاً عنه، ثم أعلن البرلمان بعد الانتخابات مباشرة نقل مقره إلى طبرق شرق البلاد، وفي أثناء هذا الانقسام ظهر في المشهد "خليفة حفتر" الذي شكل جيشاً متحصناً بغطاء سياسي وهو برلمان طبرق².

وفي سبتمبر 2014 أقر المؤتمر الوطني العام تشكيل حكومة الإنقاذ الوطني بقيادة "عمر الحاسي" في طرابلس ثم انطلقت عملية فجر ليبيا رداً على عمليات عسكرية أطلقها حفتر باسم الكرامة، ولم يتم الصراع إلا بعد تدخلات ووساطات إقليمية ودولية تمخضت عن توقيع اتفاق في المملكة المغربية عرف باسم "اتفاق الصخيرات"³ وكان ذلك في السابع عشر من ديسمبر 2015، حيث تم فيه تشكيل ثلاث هيئات هي: المجلس الرئاسي والحكومة والمجلس الأعلى للدولة، وتشكلت على ضوء ذلك حكومة جديدة عرفت بحكومة

1- إيمان محمود أحمد برهم زيد، تأثير التدخل الخارجي في تفنيد الدولة وإفشال عملية التحول الديمقراطي في ليبيا بعد الثورة (رسالة ماجستير: جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2018م)، ص 1.69

2- محمد الشيخ، ليبيا الصراع السياسي والصراع المسلح والتحديات والآفاق، مجلة دراسات شرق أوسطية (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، العدد 71، 2015م)، ص 42.

3- سوف يتم الحديث عن هذا الاتفاق بالتفصيل في الفصل الثاني.

"الوفاق" برئاسة "فائز السراج" في طرابلس، ولأن الحكومة لم تنل دعم البرلمان فقد سمى الأخير حكومة أخرى في شرق البلاد هي الحكومة "المؤقتة" برئاسة "عبد الله الثني" واستمرت في عملها رغم إعلان الدائرة الدستورية في طرابلس عدم دستورتيتها¹.

ومنذ سقوط القذافي لا توجد سلطة مركزية تملك السيادة على الأراضي الليبية، وتعاني الدولة حالة انقسام رأسيه وأفقية، ويتمثل الانقسام الرأسي بوجود أكثر من كيان مؤسس، وخصوصاً البرلمان في الشرق والحكومة المعترف بها دولياً في غرب البلاد، حيث يتنازعان الشرعية وفي من يحق له تمثيل الشعب الليبي، ويتنافسان على استحلاب دعم الأطراف الخارجية، خصوصاً القوى الكبرى في العالم، ويتمثل الانقسام الأفقي بتلك الكيانات والقوى السياسية والاجتماعية على مساحة جغرافية، مع وجود مساحات خارجة عن السيطرة كلياً وخاضعة لسطو جماعات قبلية أو ميليشيات متفرقة².

لقد كان انتشار السلاح في ليبيا ناقوس خطر والذي لا يزال ينبه عن وجود وضع أمني وإنساني غير مستقر يسهل تطوره لوضع كارثي، وعلى الجانب الآخر نجد معضلة ثابتة تتمثل في غياب القوة الأمنية التي تعمل تحت القانون، وكان هذان العاملان بمثابة الأرضية التي قامت عليها الميليشيات، وهي الأزمة التي مازالت ليبيا تواجهها حتى الآن، فعدم قدرة الدولة على السيطرة على الميليشيات ينال الكثير من هبة الدولة ومن شرعية أجهزتها الأمنية³.

ويمكن القول إن طبيعة الثورة الليبية انعكس بشكل واضح على تكوين خرائط القوى المحلية وتحالفاتها وصراعاتها من أجل الحكم أو ممارسة النفوذ والتأثير، ولهذا نرى تنوع وبروز وأفول قوى محلية، غير أن الثابت فيها هو استمرارية الصراع والخضوع لأطراف أجنبية، ناهيك أن معظم القوى المحلية مرتبطة بشكل أو بآخر بالجماعات المسلحة، وهناك أيضاً بُعد قبلي في الارتباط حيث أن بعض الجماعات المسلحة تجسد إرادة القبيلة وسعيها للحصول على المحاصصة المرجوة، كما أن بعض القوى تحمل توجه ديني ارتبط بحالة المصلحة المحققة من التحالف⁴.

لقد شهدت ليبيا بمرحلة ما بعد القذافي اهتمام العديد من الأطراف الدولية، خاصةً لامتلاكها موارد اقتصادية هائلة، وموقع جغرافي مميز يربط القارتين الأفريقية والأوروبية، أيضاً مع تغيير القيادة السياسية في ليبيا، وظهور أطراف جديدة أبرزهم الإسلام السياسي والتيار العسكري، هذا الأمر خلق نوع من تضارب للمصالح بين القيادات السياسية سواء في شرق أو غرب ليبيا مع الأطراف الدولية، وكما أشارت نظرية زعزعة الاستقرار المحلي فإن تضارب المصالح الشديد وتحديد الأيديولوجي يلعب دور مهم كمحرك للسياسات الخارجية للدول في اتخاذ سياسات مهددة لاستقرار المناطق المحلية لتلك القيادات السياسية⁵.

1- جواد الحمد، الأزمة الليبية إلى أين؟، مجلة دراسات شرق أوسطية (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، العدد 79، 2017م)، ص 45.

- سامح راشد، مآلات الأزمة الليبية بين الحرب والسياسة، مجلة شؤون عربية (القاهرة: جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، العدد 178، 2019م)، ص 88-89.

- سارة بوحادة، وأمل بلجيتيب التنازعات الإقليمية للتدخل الدولي في ليبيا، مجلة السياسة العالمية (العدد 2، 2020م)، ص 187.

- زينب عبد العال رمضان، أزمة ليبيا دراسة في الجغرافيا السياسية، مجلة كلية آداب جامعة بورسعيد (مصر: العدد 25، يوليو 2023م)، ص 41.

تاريخ الوصول 10 أغسطس 2023 - <https://mediterraneancss.uk/2023/07/28> - عبد الرؤوف الجروشي، أثر التدخل الدولي على الصراع الليبي في مرحلة ما بعد القذافي مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية 5

عودة إلى ما حدث على الأرض لقد كان انهيار المؤتمر الوطني العام نقطة تحول في المرحلة الانتقالية في ليبيا، والتي كان أفضلها هو عودة الجنرال "خليفة حفتر" في عهد القذافي الذي فشل في تثبيت نفسه بعد الإطاحة بالقذافي في عام 2011، حيث تم تهميشه ونبذته بسرعة، ورفض العديد من الليبيين العمل معه، واعتبروه مسؤولاً عن الفضائح التي ارتكبت خلال الحرب التشادية في الثمانينات، وكان ظهور حفتر التالي عبر انقلاب تلفزيوني في عيد الحب 2014 موضع ضحك كثيرين في حينه، ومع ذلك، فقد كان يمثل بداية السياسة بوسائل أخرى في ليبيا الابتعاد عن السياسيين الذين يستخدمون الميليشيات نحو نموذج حيث تستخدم الميليشيات السياسيين لتوفير غطاءٍ من الشرعية، وعلى الرغم من أن حفتر غالباً ما استفاد من المظالم الليبية المحلية، مثل صعود الجهادية في شرق ليبيا أو الحصار النفطي طويل الأمد الذي تفرضه الميليشيات المارقة، إلا أن محاولته لتقوية موقعه وجذب المؤيدين لم يكن مشروعاً ليبيا كاملاً أو مستقلاً إطلاقاً، فقد مرت عملية إعادة تقديم حفتر إلى ليبيا عبر القاهرة، حيث وجدت رؤيته لمحاكاة دكتاتورية القذافي شبه العسكرية صدى لدى مؤسسة عسكرية مصرية ناشئة شجعها التثبيت الناجح للسياسي بعد التحول الديمقراطي المجهض في مصر¹.

في الرابع من أبريل 2019 أعلن حفتر عن انطلاق عملية عسكرية واسعة أسماها "طوفان الكرامة" وانطلق الهجوم على طرابلس بالتزامن مع وجود الأمين العام للأمم المتحدة واستطاعت حكومة الوفاق والقوى العسكرية المساندة لها امتصاص صدمة الهجوم، وتمكنت من صدّه، ودفعه إلى التراجع² وبعد أشهر من القتال استعانت حكومة الوفاق رسمياً بتركياً فطلب رئيس الحكومة "فائز السراج" مساعدة عسكرية كان لها أبلغ الأثر في مسار المعارك لصالحها حيث أرسلت تركيا قوات عسكرية إلى ليبيا بعد شهر من توقيع مذكرتي تفاهم بينهما في 27 نوفمبر 2019³.

في وقت اعتمد فيه حفتر على الدعم العسكري الإماراتي والمصري إلى جانب شركة "فاغنر" الروسية، استمرت العمليات العسكرية، وكان الهجوم المنظمة الذي شنته الطائرات التركية المسيرة ضد قاعدة الوطية حاسماً في سير المعارك بين حكومة طرابلس وقوات حفتر وسرعان ما اتهارت دفاعات حفتر في محيط العاصمة مما دفعه إلى الإعلان عن الانسحاب في 27 أبريل، وعن إيقافه العمل باتفاق الصخيرات والاستجابة للإرادة الشعبية بتولي المؤسسة العسكرية السلطة⁴.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها تشكلت لجنة برعاية أممية لمتابعة مسار برلين (2) تمخض عنها عقد اجتماع أو ما عرف باتفاق جنيف (ملتقى الحوار السياسي الليبي) الذي عقد في 26 فبراير 2020 وقد جمع الأطراف الليبية المختلفة على طاولة واحدة، وقد نُظر إلى تشكيل حكومة الوحدة الوطنية قفزة نحو المصالحة الوطنية وبارقة أمل في إنهاء حالة الانقسام، ففي مارس 2021 تم في جنيف الاتفاق على تشكيل حكومة ومجلس رئاسي للتغلب على حالة الانسداد الانقسام السياسي.

1- طارق مقرسي، الأبعاد الجيوستراتيجية للحرب الأهلية الليبية (مركز أفريقيا للدراسات الاستراتيجية، 29 يونيو 2020م).

2، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة الدراسات السياسية، 2019/5/22، شوهد في 2024/8/12، - أحمد قاسم حسين، "حرب العاصمة الليبية وتفاعلاتها الإقليمية والدولية"

في: <https://bit.ly/2TEX7dI>

3- محمود الرنتيسي، تصاعد الدور التركي في ليبيا: مغامرة في الصحراء أم متطلبات الأمن القومي؟ تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة الدراسات السياسية، 2020م.

4- حسين وأخرون، ليبيا تحديات الانتقال الديمقراطي وأزمة بناء الدولة، مرجع سابق، ص26.

بعد أن نالت الحكومة الثقة من البرلمان سرعان ما انفجر خلاف قانوني ودستوري حول موعد إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية وحول القاعدة الدستورية التي سوف تجرى بموجبها هذه الانتخابات، وحول طريق انتخاب رئيس الدولة، وحول أسبقية إجراء الاستفتاء بشأن الدستور على إجراء الانتخابات، وحول شروط ترشح الرئيس بأن لا يحمل جنسية أجنبية وألا يكون من العسكريين مما يعني تعارض هذين الشرطين مع طموحات حفتر للوصول إلى الرئاسة، وغير ذلك من القضايا الخلافية¹.

وهكذا فشلت مخرجات ملتقى جنيف في إيصال الليبيين إلى ما يأملونه من إجراء الانتخابات، وفي مارس 2022 منح مجلس النواب في مدينة طبرق الثقة لحكومة جديدة يرأسها "فتحي باشاغا" مما زاد من قتامة المشهد السياسي في البلاد التي دخلت في خضم تجاذبات محلية جديدة من الصراع الداخلي نتج عنه بعض الاشتباكات في العاصمة طرابلس² وسرعان ما سُمي مجلس النواب حكومة جديدة في شرق البلاد ومنذ مارس 2022 توجد حكومتان، إحداهما تحظى باعتراف دولي وأمني وهي حكومة الوحدة ومقرها العاصمة طرابلس وتدير منها غرب البلاد بالكامل، أما الحكومة الثانية فكلفها مجلس النواب، وهي حكومة "أسامة حماد"، ومقرها في مدينة بنغازي، وتدير شرق البلاد بالكامل ومدنا في الجنوب، وتسعى الأطراف حالياً على صيغة اتفاق سياسي أو نسخة محدثة من الاتفاق السياسي الليبي "الصخيرات"، خاصة في ظل ضغط بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا على الفرقاء الليبيين بهدف إجراء الانتخابات في موعدها.

9.1.2 فرص وتحديات الانتقال الديمقراطي في ليبيا

على الرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على سقوط نظام القذافي، إلا أن الدولة الليبية لا تزال في أزمة سياسية متداخلة الأطراف، أضعفت من بنيتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وجعلتها في مسار الدول "الفاشلة" failed أو "الهشة" fragile، حيث لا تزال الدولة الليبية تمر بمراحل مختلفة من الانتقال السياسي بتبعاته الأمنية والاقتصادية المختلفة، انتقال اعتراف الفشل في كل العمليات السياسية الانتقالية، مما أدى إلى تحبط البلاد في حالة من الفوضى، وصلت إلى الدخول في حرب أهلية فتحت المجال للتدخل الخارجي، الذي جعل من ليبيا ساحة لتحقيق المصالح للقوى الإقليمية والعالمية³.

لدى عمليات الانتقال الديمقراطي في ليبيا عوائق وصعوبات مجتمعة في ست تحديات رئيسية دون الجزم بحصرها وهي: الثقافة السياسية الهشة وضعف مؤسسات الدولة والأوضاع الاقتصادية المتردية وضعف العوامل الاجتماعية المفرقة وهشاشة المجتمع المدني والفشل في التوافق حول قواعد العمل السياسية والسياسات العامة والتدخل الأجنبي⁴.

ولعل التشخيص المناسب لتفسير الحالة التي تعيشها ليبيا بعد الثورة بكل ما حوته من تحديات عدم استقرار وتعثر لبناء النظام السياسي والدولة يكمن في معضلة تفتت القوة بالمعنى السلبي لا الإيجابي، وانتقالها من الدولة إلى فواعل متعددة سياسية ودينية ومناطقية وقبلية لم تجد في الأطر المؤسسية للسلطة الانتقالية ما يحقق مصالحها، وبالتالي عملت على حيازة القوة عبر امتلاك ظهور مسلح تحول إلى

1- أحمد قاسم حسين، المؤتمرات الدولية والأزمة الليبية السباقات والمآلات (قطر: المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، 2021م)، ص 6.

2- حسين وأحرون، ليبيا تحديات الانتقال الديمقراطي وأزمة بناء الدولة، مرجع سابق، ص 29.

3- رمضان، أزمة ليبيا دراسة في الجغرافيا السياسية، مرجع سابق، ص 341.

4- خالد حنفي، الحوار الفلج تأثيرات الثورة في علاقات ليبيا الإقليمية، مجلة السياسة الدولية (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 188، 2012م)، ص 4118.

فاعل رئيس في التفاعلات الجارية في البلاد، كل ذلك يحدث في وقت لا توجد فيه أعراف ديمقراطية أو أعراف برلمانية راسخة في البلاد تستطيع من خلالها التحاكم لعملية سياسية ناضجة بما يمكن أن تمضي البلاد إلى الأمام، الأمر الذي يمثل تحدياً خطيراً في ظل قلق حقيقي أن تؤدي كل تلك الحالة إلى إفساد العملية الديمقراطية برمتها، يصاحبه شك بأن الأطراف الخارجية تعمدت ذلك لكي يصبح لتدخلها قبولاً شعبياً في البلاد¹.

لقد شكلت ليبيا بعد 2011 استثناء في وضعها الداخلي، بفعل معطياتها المضطربة التي تتراوح ما بين انتشار الأسلحة، واشتباكات ذات طابع قبلي، ومليشيات ثورية ترفض الدخول تحت سلطة الدولة التي تعاني من هشاشة سياسية وأمنية، في ظل عجز المجلس الوطني الانتقالي عن تقديم نموذج نظام سياسي مستقر، يجمع تحت مظلته جميع الأطياف السياسية التي شاركت في إسقاط القذافي² فإسهامات القوى الحزبية والدينية في ليبيا شبه معدومة، إذ لم تعرف الحالة الليبية آية تنظيمات سياسية وأيدولوجية مستقرة، وكان المجتمع الليبي المعروف بانقساماته على أساس قبلي هو الذي يدير الثورة وينقلها من منظفة إلى أخرى³.

في ليبيا وأن كان هناك قناعة بالديمقراطية من القادة والسياسيين الذين يتبنونها خياراً استراتيجياً والتزاماً وتعهداً وطنياً، لكن ذلك لا يعني وجود توافقات أو إجماع حول الطريقة المناسبة لبناء وتأسيس هذه الديمقراطية، بدأ ذلك ظاهراً في الخلافات التي برزت أثناء المراحل الانتقالية حيث اشتدت المنافسة حول كل ما يتعلق بتشكيل الحكومة والدستور والأحزاب وحقوق الجماعات وغيرها، في ظل عملية شملت ليس فقط القوى الحزبية والمدنية المنافسة، بل أيضاً قوى تتمكن من أشكال مختلفة من القوة كالسلاح، وسط حالة من الانقسام السياسي والاستقطاب الأيدولوجي بين النخب السياسية والفكرية⁴.

من جهة أخرى تعد القبيلة لاعباً أساسياً في الصراع الليبي ومحددات الانتقال الديمقراطي في هذا البلد الذي يعد الصراع السياسي فيه صراعاً قديماً في حقيقته وجوهره، وإن الجبهتين المتصارعتين معسكر الكرامة والمعسكر المقابل له التيار المدني ما هما إلا واجهات سياسية وعسكرية للقبائل الليبية التي ينخرط أبنائها بالأساس في الصراعات المسلحة بين الحين والآخر في ليبيا، ومن ثمة فإن تسوية الأزمة السياسية فيها يتوقف في جزء كبير منها على تسوية الخلافات بين القبائل الليبية، وإيجاد صيغة مناسبة لتوزيع المناصب السياسية والأمنية فيما بينها، وهو ما سرغم القوى السياسية المختلفة في النهاية على القبول بهذه الصيغة خوفاً من فقدان الدعم القبلي لها⁵.

من المفاهيم المرتبطة بالتحول الديمقراطي الوعي السياسي، ولقد ركز الفكر السياسي الإنساني على أهمية وجود الوعي السياسي في بناء الأنظمة الديمقراطية، وهذا ما أشار إليه جميع الفلاسفة والمفكرين قديماً وحديثاً، ولقد ساهم النظام السابق مساهمة كبيرة في

1- علي سعد الشين، أثر التحديات السياسية والأمنية على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية (المجلد 7، العدد 1، 2016م)، ص 1471.

2- خلفي، الحوار الفلن تأثيرات الثورة في علاقات ليبيا الإقليمية، مرجع سابق، ص 116.

3- هادي مشعان ربيع، السيد عماد رزيك، ثورات التغيير العربي وصعود الأحزاب الإسلامية إلى المنطفة، مجلة دراسات سياسية واستراتيجية (بغداد: بيت الحكمة، العدد 33، 2016م)، ص 67.

4- الشين، أثر التحديات السياسية والأمنية على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، مرجع سابق، ص 471.

5 - Peter Colei and Fiona Mangan (August 2016): Tribe, Security, Justice, and Peace in Libya today, Peaceworks, the United States Institute of Peace, no. 118, p. 13.

اجتثاث كل نبتة بل حرق كل تربة تصلح لازدهار الوعي لدى شعبه فضلاً عن قبوله أو تسامحه لرؤية نمواً لهذا الوعي بين أبناء شعبه، يأتي هذا في وقت يوصف فيه المجتمع الليبي حتى وقت قريب ضمن المجتمعات القبلية الرعوية غير المستقرة، وحتى بعد اكتشاف النفط لم تتغير المفاهيم كثيراً، ولقد أثرت البيئة الجغرافية والتي أغلبها الصحراوية على المجتمع بتموين تجمعات في الإقامة والسفر والترحال فلا يمكن التنقل بصورة فردية إلا ما ندر، وتلك التجمعات تتم التحركات فيها بالسمع والطاعة الكاملة لشيخ القبائل وعدم معاضتهم، وهذا النمط كرس لظهور قيم واتجاهات الولاء والطاعة العمياء والخضوع لسلطة القبيلة وتنفيذ ما يصدر عنها دون إبداء الرأي أو المعارضة¹.

يكفي التذليل على فساد المنظومة القيمية الأساسية في الوعي السياسي المحلي والجمعي لدى الليبيين هو طاعتهم لبعض التوجهات السياسية كما رصدت في المسح الأشمل لآراء الليبيين في القيم حيث دلت النتائج لأحد الدراسات المختصة بأن الطاعة والانصياع تحظى باهتمام وأهمية كبيرة لدى الليبيين، وأنها قيمة لا يستهان بها في الشأن السياسي وغالبيتهم سعى إلى غرسها في أبنائهم، وهذا الأمر والانصياع لا وجود له في الأنظمة الديمقراطية مثل أمريكا المانيا والسويد، وقد اتضح من تفسير هذا التفاوت في المستويات أن البلدان راسخة الديمقراطية تمتلك ثقافة المشاركة التي تغرس في المواطن الإحساس بقدرته على التأثير في العملية السياسية بينما المواطن الليبي كغيره من دول الربيع العربي يشعر بعدم قدرته على ذلك، وأنه لا فائدة من مشاركته في الانتقال نحو نظام ديمقراطي².

من ناحية أخرى تعتبر أزمة عدم صياغة الدستور والاتفاق عليه من الأزمات المزمنة التي يعاني منها المجتمع والدولة في ليبيا، فغياب دستور ينظم الدولة فهو من الميراث الثقيل الذي ورثه الليبيون من سلطة حكمت البلاد لمدة 42 عام، ولهذا صاحب الجدل والتداعيات السلبية استحقاق دستور ينظم الحياة السياسية في ليبيا طيلة 12 سنة من عمر الثورة، فلم يستطيع الليبيون الانتقال من حالة الفوضى والثورة إلى حالة الدستور والدولة والانتها من المراحل الانتقالية التي سيطرت على المشهد الليبي إلى يومنا هذا، وإن الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور الليبي بدأت ولايتها القانونية منذ انتخابها في أبريل 2014، بتمثيل انتخابي متساوي بين أقاليم ليبيا الثلاث بواقع 20 على كل إقليم، وهو يخالف المتعارف عليه في صياغة الدساتير من حيث التمثيل في هيئة الدستور في العادة يتناسب مع عدد السكان من جهة، ومن جهة أخرى فإن عملية الانتخاب التي تمت لهيئة صياغة الدستور انعكس سلباً على هيئة الدستور، وذلك من خلال قلة الخبرة الدستورية مثل بعض أعضاء اللجنة³.

لقد أثبتت انتخابات الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور بوضوح أن هناك تصميم للمضي قدماً بالتحول الديمقراطي في البلاد بالرغم من الظروف السياسية الصعبة والمخاوف الأمنية المثيرة للقلق، وبينما تمثل انتخابات الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور خطوة مؤسسية مطلوبة لتتقدم بليبيا، إلا أن الصعوبات الإجرائية والمستويات المنخفضة من المشاركة تؤكد على الحاجة الملحة للمزيد من الحوار

ورمضان، أزمة ليبيا دراسة في الجغرافيا السياسية، مرجع سابق، ص 93.

- عماد علي نقرش، مرنكزات الانتقال الديمقراطي في ليبيا وعواقفه، المحلة العلمية (جامعة الأزهر، العدد 35، المجلد 3، يوليو 2023م)، ص 785-1.794

- رفعت سعيد، الثورات العربية محاولات الانتشار وعوامل الإحباط، مجلة شؤون عربية (العدد 156، 2013م)، ص 37.

- عبد الوهاب محمد الحار، المشهد السياسي الليبي: المسارات والسياسات (مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية، أغسطس 17، 2023م) 3

تاريخ الوصول 3 أغسطس 2024 https://mediterraneancss.uk/2023/08/17/libyan_political_scene.2024

السياسي لضمان استمرار تمثيل جميع الليبيين كجزء من العملية الانتقالية، وأن يتمكنوا من الإسهام في تشكيل مستقبل دولتهم، ولهذا الأمر أهمية بالأخص قبل إجراء أي عمليات انتخابية مقبلة، حتى يتسنى للهيئة المنتخبة أن تمثل إرادة الشعب الليبي بشكل فعال، وقد تكون انخفاض مستويات المشاركة والإجهاد العام من خارطة الطريق السياسية للبلاد، كذلك مؤشراً على أن المؤسسات السياسية في ليبيا لا تزال معرضة للخطر أن تصبح مفرغة، وأن تكون قيمتها بالنسبة للشعب بناء على ما يمكنها أن تحققه عن طريق الموازنة بدلاً من كونها مؤسسات حقيقية يمكن من خلالها رسم المستقبل السياسي للبلاد¹.

وقد بدأ المشهد السياسي والأمني يتعدى في ليبيا مرة أخرى عقب الفشل الذريع في إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقررة في 2021، وبخصوص ملفات بعينها، مثل قوانين الانتخابات، والحكومة التي يدعو مجلس النواب إلى تشكيلها بدلاً من حكومة الوحدة الوطنية في طرابلس وحكومة الاستقرار الوطني في بنغازي التي تشكلت في 10 فبراير 2022 عقب إجراء تصويت بالبرلمان الليبي حول تعديل الإعلان الدستوري؛ بسبب نشوب خلاف بين مجلس النواب الليبي وحكومة الوحدة الوطنية، هذا فضلاً عن وجود بعض القضايا العالقة بين الفرقاء السياسيين الليبيين، كتلك المتعلقة بقوانين الانتخابات، فمجلس النواب الليبي يعلن في كل المناسبات أن القوانين جاهزة ولا تختمل أي تعديل أو تغيير، بينما المجلس الأعلى للدولة (شريك مجلس النواب) يرفض مثل هذه القوانين، ويصر على إعادة النظر فيها، فهذا الخلاف لا يزال يسيطر على أي اجتماع يُعقد بين "عقيلة صالح" رئيس مجلس النواب، و"محمد تكالة" رئيس المجلس الأعلى للدولة، ومن ثم يؤدي إلى فشل أي مبادرات لتشكيل أي حكومة جديدة، حيث يصر تكالة على معالجة نقاط الخلاف في القوانين الانتخابية قبل أي مشاورات بشأن تشكيل الحكومة الجديدة².

إن هذا الوضع فرض قيوداً جديدة على عملية التحول الديمقراطي في ظل غياب أي إرادة سياسية حقيقية لنبد الخلافات وإعلاء المصلحة الوطنية في المقام الأول وعلى الرغم من الالتزام باتفاق وقف إطلاق النار في ليبيا، الذي عُقد في 23 أكتوبر 2023 برعاية بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا وعودة مئات المرتزقة التشاديين والمقاتلين الأجانب من ليبيا إلى موطنهم، فإن تقدم انسحاب الوحدات العسكرية والجماعات المسلحة من جميع خطوط الاتصال لا يزال يواجه صعوبات بسبب الجمود في المسار السياسي؛ فالمنافسات بين الجهات الأمنية لا تزال قائمة في طرابلس لتحقيق السيطرة على المناطق الاستراتيجية، كما أن الوضع الأمني في الجنوب الليبي أصبح مثيراً للقلق، ولاسيما مع تعقد الأوضاع في السودان ومنطقة الساحل³.

9.2 الدبلوماسية المغربية ودورها في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا

9.2.1 إنجازات الدبلوماسية المغربية في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا

1- تقرير انتخاب الهيئة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور في ليبيا 2014، مركز كارتر، ص 1.5

2- Abdullah Alkaber, Current developments of the Libyan crisis, Mar. 15, 2024. <https://libyaobserver.ly/opinions/current-developments-libyan-crisis>.

3- <https://trendsresearch.org/ar/insight> - مركز البحوث والدراسات، تطورات الأوضاع في ليبيا وفرص التسوية، قسم الدراسات الاستراتيجية، 3

منذ البداية أعلنت المملكة المغربية دعمها للتغيير في ليبيا ومساندتها له منذ اندلاع ثورة 17 فبراير 2011م ودعمت المجلس الوطني الانتقالي باعتبارها بشرعيتها، كما دعمت المملكة المغربية القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي بخصوص ليبيا وضد النظام السابق، ولم يكن دعم المغرب باعتباره الدولة العربية القريبة من ليبيا فقط بسبب الدافع الإنساني، بل أيضاً رأت أن في دعمها للثورة الليبية ضد نظام معمر القذافي الذي طالما كان حليفاً وداعماً للجزائر ضدها في قضية الصحراء الغربية فرصة قد أتاحتها تلك الظروف في ذلك الوقت، فسقوط نظام القذافي سوف يساهم في تساقط أفكاره الانفصالية بشأن الصحراء، ويسقط نظام شمولي دكتاتوري من وجهة نظر المغرب التي دامت القطيعة بينهما وبين ليبيا قرابة أربعة عقود تضررت فيها المغرب اقتصادياً وسياسياً بسبب النقل الليبي في الاتحاد الإفريقي¹.

لقد بنى المغرب سياسته الخارجية تجاه ليبيا منذ بداية المرحلة الانتقالية على ضرورة دعم الاستقرار الداخلي، وتشكيل حكومة جديدة في ليبيا، تتبنى توجهاً جديداً تجاه قضية الصحراء الغربية، كما أن استقرار ليبيا يعني بالضرورة تحولها إلى بيئة آمنة للاستثمارات وسوق للعمالة المغربية، ومصدر مهم للطاقة التي يفترق إليها المغرب، لذا احتضنت المغرب الحوار الليبي، وذلك بعد دعوة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا ودعت القوى السياسية إلى حوار في مدينة الصخيرات بإشراف مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا، الإسباني "برنارد ليون" وأفضى الأمر إلى توقيع الاتفاق السياسي الليبي "الصخيرات" في 17 ديسمبر 2015، ووقع الاتفاق عن الأمم المتحدة المبعوث الألماني "مارتن كوبلر" الذي شغل منصب مبعوث الأمم المتحدة في ليبيا خلفاً لبرنارد ليون.

شكل الاتفاق مدخلاً لحل الصراع السياسي والعسكري في ليبيا، وانبثقت منه مؤسسات: المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني وكذلك حكومة الوفاق الوطني، وهي مؤسسات شكلت ملامح النظام السياسي الليبي في مرحلته الانتقالية، وترأس حكومة الوفاق الوطني "فايز السراج" الذي واجهت حكومته سلسلة أزمات سياسية واقتصادية وأمنية لم تنجح الحكومة في حل أي منها؛ إذ دخلت البلاد في أتون حرب أهلية بين شرق ليبيا وغربها، على الرغم من وجود تأييد ودعم إقليمي ودولي لها، تمثل في قرار مجلس الأمن رقم (2259) الصادر في 23 ديسمبر 2015، الذي أقرّ شرعية حكومة الوفاق الوطني وضرورة تقديم الدعم اللازم لها².

حافظ اتفاق الصخيرات على المؤسسات السيادية؛ مثل المؤسسة الليبية للنفط، والمصرف المركزي الذي يقوم بإدارة احتياطات ليبيا من الذهب والعملات الأجنبية، باختيار الأدوات الاستثمارية المناسبة والقيمة التي يتم استثمارها من كل عملة، لكن سرعان ما أدى استمرار التراع إلى انقسام في المصرف المركزي بين شرق ليبيا وغربها واستثمر حفر هذا الانقسام في تمويل حروبه في شرق ليبيا من خلال الاقتراض من بنوك المنطقة الشرقية الذي بلغ (35) مليار دينار ليبي (25.18 مليار دولار) خلال الفترة 2014-2019³.

وُصف اتفاق الصخيرات على أهميته بالفاشل بعد وقت قصير من توقيعه حيث أنه فشل جزئياً في تلبية شروط تقاسم السلطة بين الأطراف المتنازعة الرئيسية، حيث أدت عملية تسيير الأمم المتحدة إلى الاعتراف بالجهات السياسية الفاعلة في غرب البلاد باعتبارها الحكومة الشرعية حينها، وكانت المشكلة أن الحكومة المفترضة المعترف بها دولياً لا يمكنها ممارسة الولاية العسكرية والسياسية إلا على

1- زيد، تأثير التدخل الخارجي في تثبيت الدولة وإفئال عملية التحول الديمقراطي في ليبيا بعد الثورة، مرجع سابق، ص 173.

2- حسين، المؤتمرات الدولية والأزمة الليبية السباقات والمآلات، مرجع سابق، ص22.

3- <https://bit.ly/2UDRNYM> -12 مورداً مشبوهاً لحفر تمويل حربه على طرابلس، وكالة الأناضول، 30/12/2019، في: 3

غرب ليبيا وطرابلس على وجه الخصوص¹. يرى الباحث أن وصف الاتفاق بالفاشل يعد تجنياً لا مبرر له، لأنه كان الاتفاق الأول الذي ولد على أرضية موضوعية، وأن كان في تطبيقه فشل فليس مصدره بنود الاتفاق بل في أدوات التطبيق، ويمكن أن يوصف بعدم اكتمال نجاحه لا بوسم الفاشل.

رغم ذلك وإثر تصاعد أحداث الأزمة الليبية خلال العامين 2019م و 2020م، وتزايد التدخلات الخارجية فيها ممثلة تحديداً بالتدخلين التركي والروسي، إذ تواترت الأدلة المثبتة للحضور الروسي عبر إرسال مقاتلات عسكرية، وكذلك إرسال مقاتلي من قوات شركة "فاغتر" لدعم حفتر، وكذلك شرعت تركيا بإرسال مقاتلين من سوريا موالين لها، إضافة إلى إمداد قوات حكومة الوفاق بالسلاح والمعدات والخبراء العسكريين الأتراك، وما ترتب على ذلك وتبعه من محاولات لاقتراح مبادرات وتسويات جديدة، كما في إعلان القاهرة لوقف إطلاق النار، الذي أطلقه الرئيس المصري "عبد الفتاح السيسي" بحضور "خليفة حفتر" ورئيس البرلمان "عقيلة صالح" في السادس من يونيو 2020م، فقد قوبل برفض من المملكة المغربية حيث بادرت المغرب لرفض أي اتفاق جديد، وهو ما أعلنه وزير الخارجية المغربي "ناصر بوريطة" خلال لقائه بنظيره في حكومة الوفاق في الثامن من يونيو 2020م حين أكد تمسك المغرب باتفاق الصخيرات باعتباره المرجع الأساسي لأي حل سياسي في ليبيا².

من جهة أخرى سعى المغرب إلى جمع أطراف النزاع من أجل الحوار، والعمل على تقريب المسافة بين أطراف الليبيين بقدر الإمكان، حيث استضافت المغرب ابتداء من السابع من سبتمبر 2020م جولة محادثات في منتجج "بوزنيقة" جمعت نواباً وممثلين لطرفي النزاع الليبي يمثلان مجلس النواب في طبرق ومجلس الدولة في طرابلس، وجاء فيه على التأكيد على وقف إطلاق النار، وإخراج القوات الأجنبية من ليبيا، ومناقشة إعادة هيكلة مؤسسات الدولة بغرض توحيدها بما في ذلك المؤسسة العسكرية، وذلك بناءً على مخرجات مؤتمر برلين الذي انعقد في يناير 2020³.

وتواصلت جهود الدبلوماسية المغربية في مسار التوافق بين أهم مؤسستين تشريعتين في ليبيا ففي يوم 21 أكتوبر 2022 رعت المملكة المغربية لقاءً بين "عقيلة صالح" رئيس مجلس النواب، و"خالد المشري" رئيس المجلس الأعلى للدولة، حول تنفيذ مخرجات مسار بوزنيقة وتوحيد السلطة التنفيذية، سيما على مستوى القاعدة الدستورية للانتخابات الرئاسية والبرلمانية المؤجلة، والمناصب السيادية السبعة، ووصف الاجتماع بأنه كان محط إشادة من طرف أعضاء مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، الذين اعتبروه خطوة مهمة تساهم في تقريب وجهات النظر بين الأطراف الليبية، وقالت مصادر مغربية إن "المباحثات تأتي في إطار الجهود التي يبذلها المغرب بتعليمات ملكية من أجل الاستمرار في مواكبة الحوار الليبي، والمساهمة في حل الأزمة الليبية، من خلال دعم كل فرص التواصل والحوار بين مختلف الفرقاء لإرساء الاستقرار والسلام في هذا البلد المغاربي الشقيق"⁴.

1 Samson Confidence Agbelengen , 2021 , the United nations deeper effectiveness in Libya, E.International relations,

[Http://www.eir.infos/2021/03/04_united_nations_deeper_mediation_effectiveness.in_Libya](http://www.eir.infos/2021/03/04_united_nations_deeper_mediation_effectiveness.in_Libya).

المصوري، تأثير الأزمة الليبية على الأمن القومي لدول شمال أفريقيا الجزائر أمودجاً، مرجع سابق، ص 68-2

- المرجع نفسه، ص 70-3

<https://www.alaraby.co.uk/politics/> - عادل نجدي، ليبيا: انقضى بين صالح والمشري في المغرب لحل الخلافات حول المناصب السيادية والانتخابات 21 أكتوبر 2022 العربي الجديد 4

وفي 23 مايو 2023، احتضنت مدينة بوزنيقة جنوبي الرباط في المغرب اجتماع اللجنة المشتركة المؤلفة من ممثلين عن مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة الليبيين (6+6) حيث كانت المهمة الموكلة لهم هي إعداد الدستور والقوانين الانتخابية، وانتهى الاجتماع في 7 يونيو، وتم الإعلان خلاله عن تحقيق "توافق" حول القوانين التنظيمية للانتخابات الرئاسية والبرلمانية القادمة¹.

من على قمة الهرم الدبلوماسي المغربي شدد وزير الخارجية المغربي "ناصر أبو ربيعة" في كلمته التي تلاها بالنيابة عنه مدير المشرق والخليج والمنظمات العربية والإسلامية بالوزارة "فؤاد أحرif" خلال الاجتماع الوزاري الـ1149 لمجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الإفريقي حول "المصالحة الوطنية في ليبيا" على أن موقف المملكة المغربية من القضية الليبية يظل ثابتاً وواضحاً، قوامه تقديم كل أوجه الدعم حتى تصبح ليبيا دولة قوية وديمقراطية، وقال الوزير: أنه طبقاً للتوجيهات السامية لصاحب الجلالة الملك "محمد السادس" كانت المملكة من السابقين لمواكبة الجهود التي يبذلها الفرقاء الليبيين لتجاوز المرحلة الانتقالية الدقيقة التي تمر بها ليبيا الشقيقة، ولتحقيق تطلعاتها في بناء دولة ديمقراطية متضامنة وموحدة في سيادتها وتراثها ولحمتها الوطنية، مبرزاً أنه، ومنذ بداية الأزمة انخرط المغرب بكل عزم ودينامية في الجهود الدولية والإقليمية الرامية إلى التوفيق بين الفرقاء الليبيين وتيسير مساعيهم لإيجاد حل متوافق بشأنه، داعياً على الدوام إلى تبني مقاربة شمولية أساسها الحوار والتوافق من أجل بناء دولة المؤسسات².

ومن أجل هذا المبتغى، أضاف الوزير "بوربيعة": عملت المملكة المغربية في إطار جهودها المتواصلة لحلحلة الأزمة الليبية، على تقريب وجهات النظر بين مختلف الفرقاء الليبيين من خلال فتح الحوار بينهم وتوفير الأجواء لذلك، والمراهنة على أن الحل لا يمكن أن يكون إلا ليبيا سياسياً، وأن الصعاب لن يتم تجاوزها إلا بالحوار الهادئ وتغليب المصالح الليبية، ولفت وزير الخارجية المغربي إلى أن المغرب وتعزيزاً للتحربة السابقة التي تمخض عنها اتفاق الصخيرات السياسي للوجود منذ سنة 2015 واصل جهوده للمساهمة في حل النزاع الليبي اعتماداً على مقاربه الممتثلة في توفير الفضاء المناسب لليبيين من أجل الحوار والتشاور البناء، حيث كان سباقاً لجمع ممثلي مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة في بوزنيقة وطنجة نهاية 2020، بهدف تحقيق التوافق حول ضوابط وآليات ومعايير تولى المناصب السيادية السبعة، والذي يعد أحد الأمور الأساسية لتوحيد المؤسسات³.

يرى الباحث أنه على عكس الموقف المصري المتدخل في ليبيا بكل أشكال التدخل، فإن الموقف المغربي لم يكن تدخله إلا من خلال بوابة الدبلوماسية والحوار السياسي بين أطراف الأزمة الليبية، إن ما يؤكد هذه الحقيقة ما ذكره الباحث "محمد بن مبارك" حيث قال: أن أيادي المغرب لم تتلطف بتقدم مال أو سلاح أو جند أو ميليشيات أو مرتزقة بل اكتفى بالنصيحة وفتح الباب للحوار، كما حافظ على نهج متوازن منضبط لم يتأثر بإملاءات القوى الدولية الكبرى، بل ركن إلى مبدئين رئيسيين، الأول: يتمثل في اعتماد

¹ / تاريخ الوصول 15 أغسطس 2024 <https://www.alaraby.co.uk/politics.2024> ديسمبر 2023، العربي الجديد 07- عادل بندي، رئيس مجلس الدولة الليبية يعلن استعدادها للحوار في المغرب، 1

تاريخ الوصول 15 أغسطس 2024 - <https://diplomatie.ma/ar> - السيد ناصر أبو ربيعة، المغرب يقدم كل أوجه الدعم لليبيا حتى تصبح دولة قوية وديمقراطية بمقدورها المساهمة في الدفع بالاندماج المغاربي الثلاثاء 18 أبريل 2023

أغسطس 2024.

دبلوماسية مبنية على احترام السيادة والوحدة الترابية والحوار لتسوية الخلافات، والثاني: يقوم على التمسك بقواعد الأمم المتحدة الداعية إلى حفظ الأمن والسلم الدوليين وحل النزاعات بالوسائل السلمية¹.

9.2.2 التحديات التي واجهت الدبلوماسية المغربية في تحقيق الانتقال الديمقراطي في ليبيا

رغم أن الدبلوماسية المغربية اعتمدت مبدأ الحياد الإيجابي وكسب ثقة الفرقاء الليبيين والمجتمع الدولي باعتبارها عناصر أساسية في دعم العملية السياسية في ليبيا تحت الرعاية الأمامية، إلا أن جهودها سقطت بين تحديين: إكراهات قوة التدخلات الدولية والإقليمية، والتي ارتفع منسوبها في ذلك الوقت بعد تحركات "خليفة حفتر" لإخضاع طرابلس لسيطرته، وبسبب محدودية مواكبة الدبلوماسية المغربية لمسار الوساطة ما بعد اتفاق الصخيرات، وذلك بمبرر الحياد ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، ولهذا السبب ورغم مواكبتها للملف فإنها لم تتبع اتفاق الصخيرات بدبلوماسية نشطة، حيث انحصرت تحركاتها في أنشطة حجولة ومحدودة الأثر، إذ لم تنجح في إقناع كل الأطراف المعنية بالالتزام باتفاق الصخيرات، وكانت قوة التدخلات الدولية عاملاً محورياً في محدوديتها².

في ذلك الوقت كان ينظر إلى اتفاق الصخيرات من زاويتين مختلفتين، كانت الجهات الفاعلة الخارجية التي دفعت باتجاه الدبلوماسية وجعلت من دعمها لاتفاق الصخيرات أمراً بالغ الأهمية ويحظى بالأولوية بالنسبة لها منقسمة تقريباً مثل الليبيين أنفسهم، فمجموعة من الدول الغربية في الغالب، بقيادة الولايات المتحدة، تدعو إلى دعم غير مشروط لمخرجات الاتفاق وللمجلس وتعترف بحكومة الوحدة التي رشحها، وتعطي هذه المجموعة الأولوية لمحاربة داعش والسيطرة على تدفقات المهاجرين واللاجئين، وتفضل المضي قدماً في خريطة طريق الصخيرات بدون مجلس النواب إذا لزم الأمر، وتراهن على أنه إذا أمكن تحسين الحكم في الغرب أولاً، فقد ينضم الشرق في نهاية المطاف، وتعطي مجموعة أخرى، بقيادة مصر والإمارات العربية المتحدة وروسيا، الأولوية لوحدة ما تبقى من الجيش وخاصة "الجيش الوطني الليبي" الذي يقوده حفتر باعتباره نواة للجيش المستقبلي، على حسب ما تراه، وتشعر بالقلق إزاء النفوذ الذي تتمتع به ما تسميه بالمليشيات التي تسيطر على طرابلس وقد قدمت لحفتر الدعم السياسي والعسكري العلني والسري، كما فعلت فرنسا على أسس مكافحة الإرهاب³.

رغم ما يقال عن مشاكسة الموقف الجزائري للموقف المغربي، ومنافسته له كما هو معتاد ومتوقع غير أن موقف الجزائر من اتفاق الصخيرات كان مغايراً للتوقعات حيث دعمت الجزائر اتفاق الصخيرات الذي تم في المغرب في ذلك الوقت، وبالتالي؛ يكون هذا التوافق الأول من نوعه بين الجزائر العاصمة والرباط، واللذان تحكمهما علاقات متوترة منذ عقود وأكثر من ذلك، راحت الجزائر تعقد اجتماعات حوارية تشاورية بين أطراف النزاع الليبي من أجل دعم اتفاق الصخيرات وجعله قابلاً للتطبيق الميداني⁴. لقد أعلنت الجزائر عن دعمها لتلك المبادرة، لأنها تتسق مع المسارات الكبرى للموقف الجزائري نحو دول الحوار واستراتيجية تسوية الأزمات وتثبيت الاستقرار الإقليمي، وقامت الجزائر بدعم الجهود الأمامية التي أدرجت ضمن الاتفاق السياسي الليبي، وهي اجتماعات مهدت فيما بعد،

1 تاريخ الوصول 15 أغسطس 2024 - <https://al3omk.com/594158.html> - محمد بن مبارك، المقاربة الدبلوماسية المغربية لحل الأزمة الليبية، موقع العمق المغربي 27 أكتوبر 2020

2 تاريخ الوصول 17 أغسطس 2024 - <https://mipa.institute/7081> - أحمد صلحي، إرث الحياد: حدود الوساطة المغربية في الأزمة الليبية، 25 - 11 - 2019م، 2

3 <https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/north-africa/libya/libyan-political-agreement-time-reset>.

4 - سمير قط، تورط الدبلوماسية الجزائرية في الوساطة لتسوية الأزمة الليبية، مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو 29، 2020.

وفي شكل تكاملي مع اجتماعات الصحيريات إلى توقيع مسودة الاتفاق الخامس إلى جانب دعم الجزائر لجهود الأمم المتحدة في هذا الشأن¹.

من زاوية أخرى يرى بعض المراقبين أن هناك صراعاً خفياً بين الجزائر والمغرب بشأن الاستحواذ بدور محوري فاعل في الملف الليبي، ومحاولة تهميش كل منهما الآخر والحد من دوره، غير أن المعطيات الجيوسياسية والدوافع في التعامل مع الملف الليبي مختلفة بين الدولتين، فالجزائر تربطها حدود مشتركة مباشرة مع ليبيا بطول 700 كم تقريباً، الأمر الذي يشكل تهديداً أمنياً مباشراً عليها، من خلال تهريب السلاح وحركة الجماعات الإرهابية، لا سيما بعد التأكد من تسرب أسلحة من ليبيا إلى جماعات قامت بعمليات إرهابية داخل الجزائر، كما تحرص الجزائر على المحافظة على توازن استراتيجي مهم داخل ليبيا، بحيث لا يسمح لدول، مثل مصر والإمارات وفرنسا، بالسيطرة الكاملة على المشهد الليبي، وعلى القرار السياسي والعسكري في ليبيا، وبالتالي إيجاد تهديد مباشر للجزائر على حدودها الشرقية، وفي المقابل تحرص الدبلوماسية المغربية على توظيف النظرة السائدة لدى كل أطراف الصراع في ليبيا تجاه المغرب بأنه طرف محايد، يمكن أن يلعب دوراً إيجابياً نموذجياً في حل الأزمة الليبية، كما تحرص الدبلوماسية المغربية دائماً على تأكيد محافظتها على الحياد الإيجابي في الأزمة الليبية، والوقوف على مسافة واحدة من جميع الأطراف، كما يرى محللون سياسيون أن المغرب يحظى بثقة فاعلين دوليين في الملف الليبي، كفرنسا ودول خليجية أصبح لها تدخل مباشر في ليبيا².

بينما يشير الكاتب "وليد عبد الحي" إلى ما أسماه العقد الجيوسراتيجية التي يرى أنها انعكست على العلاقات بين المغرب والجزائر وبرزت نتائجها في ملفات من بينها الملف الليبي³ فكانت نتائجها سلبية على الأزمة الليبية التي تحولت بمجرد انفجارها إلى مصدر خلاف إضافي بين البلدين ومسرحاً للتنافس بينهما، ويعد تعميق الهوة بينهما أحد أبرز التداعيات الاستراتيجية للأزمة الليبية⁴. فمثلاً يرى البعض يداً جزائرية وراء عدم دعوة المغرب إلى المشاركة في مؤتمر برلين حول الأزمة الليبية الذي جرى في بداية هذه العشرية، ويضلل التنافس هو السائد في العلاقة بين الجزائر والمغرب ورغم أنهما يسعيان إلى حيلة من الأهداف المشتركة وبرؤية واحدة تتمثل في التسوية السلمية وليس العسكرية، والحوار الشامل لكل الأطراف الليبية؛ وحل ليبي-ليبي وليس تسوية مفروضة من الخارج؛ ورفض التدخل الأجنبي إلا أنهما يتنافسان، وهو ما يقود في النهاية إلى تقييد متبادل لجهودهما رغم تكاملها⁵.

تذكر صحيفة "هسبريس" المغربية أن ثمار وساطة المغرب في ملف طرابلس تظل لا غبار عليها، فقد أشاد "محمد تكال" رئيس المجلس الأعلى للدولة في ليبيا، عقب محادثات جمعه بـ "ناصر بوريطة" وزير الخارجية والشؤون الإفريقية والمغاربة المقيمين بالخارج، في فبراير 2024، بالدور المغربي في التعاطي مع الملف الليبي معبراً عن ثقته في الرباط واقتناعه بجدية النتائج السياسية التي

1- هبة خالد جمال عبد الرزاق، السياسة الخارجية الجزائرية تجاه ليبيا منذ عام 2011، مجلة الدراسات الاستراتيجية (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2023)، ص 1.21

2- <https://www.alaraby.co.uk/> - جمعة القماطي، الدبلوماسية المغربية والأزمة الليبية، موقع العربي الجديد، 30 أبريل 2018 تاريخ الوصول 17 أغسطس 2024.

3- وليد عبد الحي، "العلاقات المغربية الجزائرية: العقدة الجيوسياسية، مجلة سياسات عربية (عدد 6، يناير 2013)، ص 31-34.

4- عبد النور بن عترة، "العلاقات المغربية الليبية: الثورات" تعمق الخلافات"، مركز الجزيرة للدراسات، 6 مايو 2011، (تاريخ الوصول 18 أغسطس 2024).

<https://studies.aljazeera.net/en/node/3293>

5- عبد النور بن عترة، الدول المغاربية والأزمة الليبية: توافق في التصورات ونضارب في الأداء (الدراسة: مركز الجزيرة للدراسات، 7 يوليو 2020م)، ص.3.

ستتمخض عن أي مفاوضات تتم على الأراضي المغربية، ويرى "أكاديمي مغربي" إن سلوك الجارة الشرقية وهي الجزائر وقيامها بخطوات مكثفة في الملف الليبي يبين أنها مازالت تقتفي أثر الدبلوماسية المغربية الفاعلة على مستوى العديد من القضايا الحساسة المطروحة قارياً، فعلى سبيل المثال سعت إلى التأثير على ألمانيا لعدم استدعاء المغرب؛ وهو ما تمّ في مؤتمر برلين الأول، لكن الحاجة إلى الصوت المغربي كانت واضحة، وهو ما حتمّ حضوره في المؤتمر الثاني وتبين حفوت دور الجزائر، مؤكداً قوة الدور المغربي المبني على الحياد الإيجابي، والبحث عن حل مقبول ومتوافق عليه بين جميع الأطراف، وأن الجزائر تحاول فرملة دور المغرب في الملف، لكن الفرقاء الليبيين لديهم إيمان شديد وراسخ بدور المملكة المغربية¹.

يمكن الاستنتاج أنه رغم جهود الدبلوماسية المغربية للوساطة في ليبيا لإيجاد حل سلمي، إلا أنها واجهت تحديات بسبب الصراعات الداخلية بين الفصائل الليبية ثم التدخلات الدولية والإقليمية، وأن الوساطة المغربية بليبيا كانت محصورة بسبب تحركات الدول الإقليمية الأخرى، لا سيما التونسية وحتى المصرية، مدعومة بدعم خليجي إماراتي بالأساس، تؤكد شكوى من حكومة الوفاق لمجلس الأمن، تستنكر "المواقف الإماراتية العدائية" و"دعم محاولات انقلاب حفتر على الحكومة الشرعية"، لتضاف لتسريبات سابقة عن استقطابها للمبعوث السابق للأمم المتحدة بليبيا "برنارد ليون" وتعيينه رئيساً للأكاديمية الدبلوماسية الإماراتية لتنفيذ أجندها، واتهامات بانحيازها لأحد أطراف الصراع خدمة للمصالح الإماراتية².

10 نتائج البحث

في ختام هذه الدراسة يمكن عرض نتائجها كما يلي:

1. شهدت ليبيا أزمة سياسية وأمنية منذ التغيير الذي حدث في 2011 ورغم ما تحقق من خطوات لبناء مؤسسات لإدارة الدولة من مجلس نواب ومجلس للدولة وحكومات متتالية غير أن هذه المؤسسات لم تنجح حتى الآن في قيادة البلد للوصول إلى الانتقال الديمقراطي المرجو والذي يأمله الليبيون.
2. خيم الانقسام السياسي المحمي بالقوة العسكرية من أطراف عدت حقيقة أمر واقع على أرض أكثر من كونها تستمد شرعيتها من أي توافق أو تشريع دستوري أو قانوني معين، وكان لانتشار السلاح لدى المجموعات خارج إطار الدولة من بين العضلات الكبرى وأحد أوجه هذه الأزمة.
3. كان لظهور خليفة حفتر واعتلاء المشهد العسكري والسياسي في الشرق بحجة مكافحة الإرهاب، الفصيل في تدهور الانتقال الديمقراطي لليبيا ومنذ ذلك الوقت دخلت البلاد في أزمات متواصلة انتهت بحرب طاحنة على أسوار العاصمة طرابلس، مما أربك المشهد السياسي وسرع من وتيرة تدفق النفوذ والتدخل الدولي إلى ليبيا.

تاريخ الوصول 18 أغسطس 2024 - <https://www.hespress.com> - النظام الجزائري يتناول جني ثمار نجاح الدبلوماسية المغربية في النزاع الليبي، صحيفة هسبريس الثلاثاء 6 فبراير 2024 1

2- أحمد صليحي، إرث الحياد: حدود الوساطة المغربية في الأزمة الليبية، 25 نوفمبر 2019، <https://mipa.institute/7081> تاريخ الوصول 20 أغسطس 2024.

4. رغم ما تمخض عليه اتفاق جنيف من تشكيل حكومة وحدة وطنية إلا أن الخلاف سرعان ما عاد إلى المشهد بين الفرقاء الليبيين، بحجج قانونية وأخرى مناطقية واصطفافات ومواقف أملتتها قوى إقليمية ودولية على بعض أهم الأطراف الفاعلة على الأرض الليبية.
5. لدى عمليات الانتقال الديمقراطي في ليبيا عوائق وصعوبات مجملتها في ست تحديات رئيسية دون الجزم بحصرها وهي: الثقافة السياسية المهشمة وضعف مؤسسات الدولة والأوضاع الاقتصادية المتردية وضعف العوامل الاجتماعية المفرقة وهشاشة المجتمع المدني والفتل في التوافق حول قواعد العمل السياسي والسياسات العامة والتدخل الأجنبي.
6. شكلت عدة عقبات عائقاً في وجه الانتقال الديمقراطي في ليبيا ومن أبرزها الحالة المليشاوية، والانتماء لقبيلة، وعدم وجود دستور متوافق عليه بالبلاد وعرقلة صدوره، وضعف الوعي السياسي في بناء نظامهم الديمقراطي، وتدني قناعة وثقة الليبيين بأهمية ونجاحه على أيديهم وانتظاره من الخارج.
7. دعمت المملكة المغربية منذ البداية التغيير السياسي في ليبيا في عام 2011 وساندت ثورة الليبيين ضد النظام السابق نتيجة تراكت تاريخية تمثلت في المقام الأول في موقف العقيد معمر القذافي ضد المغرب ممثلاً في دعمه لجهة الانفصال الصحراوية البوليساريو.
8. تركزت سياسية ودبلوماسية المغرب اتجاه ليبيا وأزمتهما في دعم الاستقرار الداخلي وتشكيل سلطة تشريعية وتنفيذية والاستفادة الاقتصادية من الشريك الليبي.
9. كان اتفاق الصخيرات عام 2015 مدخلاً لحل الصراع السياسي والعسكري في ليبيا، وانبثقت منه المؤسسات القائمة حالياً، وحظي بتأييد وإشادة ودعم دولي، وإن وصف بالفاشل غير أن الواقع ينسب بأن جوانب الإخفاق تمثلت في فشل أدوات تنفيذ الاتفاق التي تعاملت مع الانتقال الديمقراطي لا في الاتفاق نفسه.
10. واصل المغرب بذل جهوده الدبلوماسية من أجل التوافق بين أهم مؤسستين تشريعتين في ليبيا وهما مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة، في اجتماعات طنجة وبوزنيقة من أجل إعداد القوانين الانتخابية وتوزيع المناصب السيادية وغيرها من النقاط الخلافية.
11. إن الموقف والمسعى المغربي يختلف بكل موضوعية عن المواقف الأخرى وأقربها كمثل الموقف المصري الذي اصطف لتأييد طرف على حساب طرف آخر وعمل ضده، واعتمد موقف المملكة على تغليب لغة الحوار واحترام سيادة ليبيا ووحدتها الترابية وكان ضد التدخل والتواجد الأجنبي خاصة على الأرض.
12. رغم أن الدبلوماسية المغربية اعتمدت مبدأ الحياد الإيجابي وكسب ثقة الفرقاء الليبيين والمجتمع الدولي، إلا أن جهودها وقعت بين تحديين هما: التدخلات الأجنبية الدولية والإقليمية في الشأن الليبي، وتحدي سببه داخلي مغربي يتمثل في محدودية مواكبة الدبلوماسية المغربية لمسار الوساطة ما بعد اتفاق الصخيرات، أو على الأقل بنفس الزخم والمستوى المعهود، وذلك بمبرر الحياد وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.
13. بالنظر إلى المعوقات والتحديات التي اعترضت المسعى الدبلوماسي المغربي في حل النزاع الليبي أو المساهمة في بعض مراحل الحل، كانت العقد الجيوستراتيجية مع جارها الجزائر بمثابة أحد تلك العقبات فكانت نتائجها سلبية على الأزمة الليبية التي تحولت بمجرد

انفجارها إلى مصدر خلاف إضافي بين البلدين ومسرحاً للتنافس بينهما، ويعد تعميق الهوة بينهما أحد أبرز التنازعات الاستراتيجية للأزمة الليبية.

14. رغم الحالة التنافسية بين المغرب والجزائر، غير أن الجزائر وهي الدولة المتضررة أكثر من المغرب والمتأثرة بشكل مباشر بالأزمة الليبية باركت اتفاق الصخيرات وسعت إلى انجازه وجعله قابلاً للتطبيق الميداني وقامت الجزائر بدعم الجهود الأممية من أجل حل الأزمة السياسية الليبية.

قائمة المراجع:

الكتب والمقالات والبحوث:

- أحمد قاسم حسين وآخرون، ليبيا تحديات الانتقال الديمقراطي وأزمة بناء الدولة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022م.
- أحمد قاسم حسين، المؤتمرات الدولية والأزمة الليبية السياقات والمآلات. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021م.
- إبراهيم أبراشي، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009م.
- أمنة محمد علي، تحديات التحول الديمقراطي وبناء الدولة في ليبيا، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية. العراق: المجلد 6، العدد 17، 2013م.
- إيمان محمود أحمد برهم زيد، تأثير التدخل الخارجي في تفتيت الدولة وإفشال عملية التحول الديمقراطي في ليبيا بعد الثورة. رسالة ماجستير: جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2018م.
- جواد الحمد، الأزمة الليبية إلى أين؟، مجلة دراسات شرق أوسطية. عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، العدد 79، 2017م.
- حسين طارق، المجتمع المغربي وسؤال المواطنة والديمقراطية والسياسة. الرباط: منشورات فكر، 2010م.
- خالد حنفي، الحوار القلق تأثيرات الثورة في علاقات ليبيا الإقليمية، مجلة السياسة الدولية. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 188، 2012م.
- خلود محمد حميس، دور الدبلوماسية في تفعيل السياسة الخارجية العراقية تجاه أفريقيا بعد عام 2003م. بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بجامعة 2014م.
- رفعت سعيد، الثورات العربية ومحاولات الانتشار وعوامل الإحباط، مجلة شؤون عربية. العدد 156، 2013م.
- زكريا بوروي، النخبة السياسية وإشكالية الانتقال الديمقراطي دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجستير: جامعة منتوري بقسنطينة الجزائر، 2009م.
- زينب عبد العال رمضان، أزمة ليبيا دراسة في الجغرافيا السياسية، مجلة كلية آداب جامعة بورسعيد. مصر: العدد 25، يوليو 2023م.
- سارة بوحداد، وأمال بلحيتي— التنازعات الإقليمية للتدخل الدولي في ليبيا، مجلة السياسة العالمية. العدد 2، 2020م.
- سامح راشد، مآلات الأزمة الليبية بين الحرب والسياسة، مجلة شؤون عربية. القاهرة: جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، العدد 178، 2019م.

سامي جمعة الخالقي، وجمعة فكرون دخيل، دور المصالحة الوطنية في عملية التحول الديمقراطي دراسة حالة ليبيا، مجلة الأستاذ. العدد 22، 2022م.

سمير قط، تورط الدبلوماسية الجزائرية في الوساطة لتسوية الأزمة الليبية، مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو 29، 2020م.
علاء أبو عامر، العلاقات الدولية: الظاهرة والعلم - الدبلوماسية والإستراتيجية. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004م.
علي خليفة الكواري، وأحرون، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م.
علي سعد الشين، أثر التحديات السياسية والأمنية على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية. المجلد 7، العدد 1، 2016م.

علي عبد الفتاح، الإعلام الدبلوماسي والسياسي. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019.
عماد علي تقريش، مرتكزات الانتقال الديمقراطي في ليبيا وعواقبه، المجلة العلمية. جامعة الأزهر، العدد 35، المجلد 3، يوليو 2023م.

محمد أحمد إسماعيل، الديمقراطية ودور القوى النشطة في الساحات السياسية المختلفة. مصر: المكتب الجامعي الحديث، 2010م.
محمد الشيخ، ليبيا الصراع السياسي والصراع المسلح التحديات والآفاق، مجلة دراسات شرق أوسطية. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، العدد 71، 2015م.
محمود الرنتيسي، تصاعد الدور التركي في ليبيا: مغامرة في الصحراء أم متطلبات الأمن القومي؟ تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة الدراسات السياسية، 2020م.
مصطفى بلور، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية، دراسة حالة النظام السياسي الجزائري 1988-2008. أطروحة دكتوراة: جامعة الجزائر، 2009م.
نبيلة داود، الموسوعة السياسية المعاصرة مدارس سياسية، مصطلحات، منظمات، هيئات. القاهرة: دار غريب، 1991م.
هادي مشعان ربيع، والسيد عماد رزيك، ثورات التغيير العربي وصعود الأحزاب الإسلامية إلى المنطقة، مجلة دراسات سياسية واستراتيجية. بغداد: بيت الحكمة، العدد 33، 2016م.
هبة خالد جمال عبد الرازق، السياسة الخارجية الجزائرية تجاه ليبيا منذ عام 2011، مجلة الدراسات الاستراتيجية. برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2023م.
وليد عبد الحفي، "علاقات المغرب الجزائرية: العقدة الجيوسياسية، مجلة سياسات عربية. عدد 6، يناير 2013م.

المواقع الالكترونية:

أحمد قاسم حسين، "حرب العاصمة الليبية وتفاعلاتها الإقليمية والدولية"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة الدراسات السياسية، 2019/5/22، شوهد في 2024/8/12، في <https://bit.ly/2TEX7dI> :

أحمد صلحي، إرث الحياد: حدود الوساطة المغربية في الأزمة الليبية، 25 نوفمبر 2019، <https://mipa.institute/7081>
تاريخ الوصول 20 أغسطس 2024.

جمعة القماطي، الدبلوماسية المغربية والأزمة الليبية، موقع العربي الجديد، 30 أبريل 2018 تاريخ الوصول 17 أغسطس 2024 .
<https://www.alaraby.co.uk/>

ناصر بوريطة، المغرب يقدم كل أوجه الدعم لليبيا حتى تصبح دولة قوية وديمقراطية بمقدورها المساهمة في الدفع بالاندماج المغاربي
الثلاثاء 18 أبريل 2023 <https://diplomatie.ma/ar> تاريخ الوصول 15 أغسطس 2024.

طارق مقريسي، الأبعاد الجيوستراتيجية للحرب الأهلية الليبية. مركز أفريقيا للدراسات الاستراتيجية، 29 يونيو 2020م.

- عادل نجدي، رئيس مجلس الدولة الليبية يعلن استعداده للحوار في المغرب، 07 ديسمبر 2023، العربي الجديد
<https://www.alaraby.co.uk/politics/> تاريخ الوصول 15 أغسطس 2024.
- عادل نجدي، ليبيا: اتفاق بين صالح والمشرى في المغرب لحلّ الخلافات حول المناصب السيادية والانتخابات 21 أكتوبر 2022 العربي الجديد
<https://www.alaraby.co.uk/politics/>
- عبد الرؤوف الجروشي، أثر التدخل الدولي على الصراع الليبي في مرحلة ما بعد القذافي مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية
<https://mediterraneancss.uk/2023/07/28> تاريخ الوصول 10 أغسطس 2024.
- عبد النور بن عنتر، "العلاقات المغاربية البينية: الثورات" تعمق الخلافات"، مركز الجزيرة للدراسات، 6 مايو 2011، تاريخ الوصول 18 أغسطس 2024
<https://studies.aljazeera.net/en/node/3293>.
- عبد النور بن عنتر، الدول المغاربية والأزمة الليبية: توافق في التصورات وتضارب في الأداء. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 7 يوليو 2020م.
- عبد الوهاب محمد الحار، المشهد السياسي الليبي: المسارات والسياسات. مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية، أغسطس 17، 2023
https://mediterraneancss.uk/2023/08/17/libyan_political_scene تاريخ الوصول 3 أغسطس 2024.
- محمد القايدي، الأزمة الليبية: الفواعل المحركة للصراع والمسارات المستقبلية. مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية، 11 سبتمبر 2023م
<https://mediterraneancss.uk/2023/09/11/libyan-crisis>.
- محمد بنمبارك، المقاربة الدبلوماسية المغربية لحل الأزمة الليبية، موقع العمق المغربي 27 أكتوبر 2020
<https://al3omk.com/594158.html> تاريخ الوصول 15 أغسطس 2024.
- محمد نصر مهنا، تطور السياسات العالمية والإستراتيجية القومية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2007م.
مركز البحوث والدراسات، تطورات الأوضاع في ليبيا وفرص التسوية، قسم الدراسات الاستراتيجية،
<https://trendsresearch.org/ar/insight>
- النظام الجزائري يحاول حثي ثمار نجاح الدبلوماسية المغربية في النزاع الليبي، صحيفة هسبريس الثلاثاء 6 فبراير 2024
<https://www.hespress.com> تاريخ الوصول 18 أغسطس 2024
- 12 قرار مجلس الأمن رقم 2259، 23 ديسمبر 2015، <https://cutt.us/78ieN>.
- موردًا مشبوهًا لحفتر تمولّ حربه على طرابلس، وكالة الأناضول، 30/12/2019، في <https://bit.ly/2UDRNYm> :
<https://mipa.institute/7081> تاريخ الوصول 17 أغسطس 2024.
- <https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/northafrica/libya/libyan-political-agreement-time-reset>

Samson Confidence Agbelengen , 2021 , the United nations deeper effectiveness in Libya ,E.International relations, <Http://www.eir.infos/2021/03/04> united nations deeper mediation effectiveness.in. Libya.

Abdullah Alkibir, Current developments of the Libyan crisis, Mar. 15, 2024 .<https://libyaobserver.ly/opinions/current-developments-libyan-crisis>.

المراجع الأجنبية:

Peter Colei and Fiona Mangan. August 2016.: Tribe, Security, Justice, and Peace in Libya today, Peaceworks, the United States Institute of Peace, no. 118, p. 13.

تأثير ظاهرة التطرف وانعكاساتها على الكيانات السياسية والمجتمع

نورالدين سعدون/ أستاذ محاضر (ب)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مين دباغين، سطيف2، الجزائر

المستخلص:

نسعى من خلال هذا المدخل إلى تسليط الضوء على ظاهرة التطرف باعتبارها إحدى الظواهر الخطيرة التي تهدد المجتمع والكيانات السياسية على حد سواء، حيث أصبح تأثيرها على انسجام وتماسك العلاقة بين الأفراد والمجتمع من جهة والهياكل والمؤسسات الرسمية من جهة أخرى يفضي إلى نوع من الانقسام والانشطار، لذا نحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف على مسبباتها والأشكال المتعددة التي تتجلى من خلالها هذه الظاهرة ومخارجها، وأهم الحلول التي يمكن من خلالها التصدي والتخفيف من وطأها على المجتمع والكيانات السياسية.

الكلمات المفتاحية: التطرف؛ المجتمع؛ الكيانات السياسية؛ الانقسام؛ التعدد.

Abstract:

Through this article, we seek to shed light on the phenomenon of extremism as one of the dangerous phenomena that threaten society and political entities alike, as its impact on the harmony and cohesion of the relationship between individuals and society on the one hand, and official bodies and institutions on the other hand, leads to a kind of division and fission. Therefore, we seek in this study to identify its causes and the multiple forms through which this phenomenon is manifested and its outputs, and the most important solutions through which it is possible to address and mitigate its impact on society and political entities

.Keywords: extremism; the society; political entities; division; multiplicity.

1. مقدمة:

يطرح المفكر الأمريكي ذو الأصول اليابانية (فرنسيس فوكو ياما) في كتابه " نهاية التاريخ" تحليلاً مشوقاً للأسباب التي تؤدي بالأفراد والجماعات إلى التطرف، وقد أكد أن معنى الكرامة الشخصية عند الإنسان ومطالبته في أن يلتفت إليه، يجعله في بعض الأحيان ينجح نحو جانب مظلم في رغبته ليعترف به الغير، وقد سمي هذه الرغبة التي يقترب فيها الأفراد نحو تحقيق الذات باسم (التيموس) هذا الأخير حسب فوكو ياما صاحب البشر منذ فجر التاريخ، ويضيف فوكو بقوله لقد ولد (التيموس) في الأصل كتقدير للقيمة الشخصية لفرد معين، ويمكن اعتباره كشعور باحترام مفرط للذات، أو كما يقال تقدير للذات، وكل الكائنات الانسانية تملك هذا الشعور بنسب متفاوتة لأن هذا الامتلاك يبدو مهمماً بالنسبة لقدرة كل فرد على التفاعل مع العالم، وبالنسبة للفرد وما يشعر به في حياته الخاصة، وهذا ما يسمح له بأن يقول (لا) للناس الآخرين دون أن يلوم نفسه.

ويضيف فوكو بقوله: وأهم من ذلك ليس من سبب للاعتقاد أن كل فرد سوف يقدر نفسه على أنه مساوي للآخرين فحسب، بل هو بالأحرى يسعى لأن يُعترف به كمتفوق على الآخرين، ربما على قاعدة قيمة داخلية حقيقية، ولكن غالباً تحت تأثير إفراط عبثي في تقدير الذات، هذه الرغبة بأن يُعترفَ بنا كمتفوقين على الآخرين نعطيها كما يقول فوكو اسماً ذا جذر يوناني أو ما يعرف بـ (الميجالوثيميا *Mégalathymia*) الذي يقابله في العربية مصطلح (جنون العظمة) والذي كما يقول فوكو: يبرزُ عند الطاغية الذي يريد أن يُعترفَ بسلطته، ويبرزُ عند الفرد الذي يريد أن يعترف بتميزه، ويبرزُ عند الجماعات التي تريد أن تكرر نوعاً من الحمية تحت عبارة (نحن وهم) ومن هنا ظهر التطرف في المواقف والأفعال.

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن التطرف ظاهرة إنسانية وجدت وتطورت مع البشر كنوع من السلوك، يسعى من خلاله الفرد أو الجماعة للتعبير عن الذات بصورة عنيفة ومعاندة، هذا التعبير عن الذات، أفضى في كثير من الأحيان إلى إنتاج ردود أفعال غير سوية انعكست آثارها على البيئة التي تولدت منها هذه الظاهرة، وكما يبدو فقد اتخذت عدة أشكال وأنواع أفضت في معظمها إلى المساس بالسلم والأمن الاجتماعي، كما قوضت كذلك وفي بعض الأحيان أسس وثوابت الكيانات السياسية، الشيء الذي أدى إلى دق ناقوس الخطر حول هذا المرض المستشري، وأجبر الكيانات السياسية على ضرورة إمعان النظر في أسباب الظاهرة التي أخذت أبعاداً وتحولات، خلفتها تلك الممارسات غير المسؤولة التي انتجها السلوك المتطرف.

2. التعريف بالتطرف لغة واصطلاحاً

التطرف من المفاهيم التي يصعب تحديدها بدقة، لما يشمله التعريف من جدل حول مفهوم "الوسطية والاعتدال" وذلك لكون الاعتدال مفهوم نسبي يختلف باختلاف المجتمعات، حيث تعتبر بعض القضايا طرفاً في مجتمع ما ولا تعتبر طرفاً في مجتمع آخر ويرتبط الاعتدال والتطرف بالعديد من المتغيرات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والبيئية التي يمر بها المجتمع بالإضافة إلى تفاوت حد الاعتدال والتطرف من زمن إلى آخر.

1.2 مفهوم التطرف: Extermity تقتضي المعالجة المنهجية لمفهوم التطرف ضبط المصطلح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

أ. تعريف التطرف لغة: هو إتيان منتهى الشيء والوصول إلى طرفه، وهو كذلك بمعنى مجاوزة التوسط والاعتدال في الأمر، فالتطرف مأخوذ من طرف الشيء المادي المحسوس إذ إن لكل شيء طرفاً، والتطرف أخذ الأمر من طرفه دون وسطه، فنقول تطرف الرغبة أي أخذه من طرفه.¹

كذلك يمكن تعريف التطرف من خلال اشتقاق الكلمة من الطرف بمعنى الناحية من الشيء، وتطرف أي أتى الطرف أو حد الاعتدال.²

كذلك يعبر التطرف عن الابتعاد عما هو منطقي أو معقول أو مقبول كالتطرف في الرأي، وتشير كلمة (Extreme) إلى أي ناحيتين تكونان متناقضتين ومتباعدين في المسافة عن بعضهما مثل انفعال الألم والسرور.¹

1 يحيى أسامة، تعريف التطرف اللغوي واصطلاحاً. 17 نوفمبر 2022. <https://mawdoo3.com> تاريخ النسخ 2024/04/22.

2 اند محمد حمزة، مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية. 2012، جمهورية مصر العربية وزارة الداخلية، 05.

ب. تعريف التطرف اصطلاحا

التطرف اصطلاحا يعبر هو الآخر عن عدة مفاهيم تحمل بصمة البيئة التي أنتجتها حيث يمكن تعريف التطرف بأنه " تعبير عن الاتجاه الفكري داخل الأسرة حيث يؤدي إلى سلوك يكتسبه الأبناء جراء استخدام وسائل عنيفة مما يترتب عنها نتائج سلبية يرفض مخرجاتها المجتمع"²

وفي تعريف آخر " يعني التطرف الغلو ومجاوزة الحد المقبول والتعصب لعقيدة أو فكرة أو مذهب يختص به دين، أو جماعة، أو حزب، فيوصف بالتطرف الديني والحركي والسياسي، ويتنظم في سلك التطرف التشدد والإسراف والمبالغة والإهمال على حد سواء، فهو على هذا يصدق على التسبب كما يصدق على المغالاة لأن في ذلك كله جنوحا إلى الطرف، وبعدا عن الوسطية"³.
ويعرف التطرف كذلك على أنه " ظاهرة مرضية تؤثر على وجود خلل ما في النفس الإنسانية أو في الظروف المحيطة بها، فالنفس الإنسانية السوية بطبيعتها ترفض التطرف والتعصب والجمود، لأن الفطرة السليمة تأبي ذلك وتنفر منه"⁴

كما يعرف التطرف كذلك بكونه " ثورة على الواقع يقوم بها شخص يعاني نقصا في إشباع حاجاته النفسية مع عدم القدرة على تحقيق الذات في جماعته الأصلية، وعدم وجود قيمة ومغزى لحياته كما يتصورها في قرارات نفسه، مما يدفعه إلى الانتماء إلى جماعة متطرفة يحقق من خلالها ذاته."⁵

كما يعرف التطرف كذلك على أنه " يعني الخروج على مفاهيم والأعراف والتقاليد والسلوكيات العامة، وهو الغلو والإسراف بعيدا عن التوسط والاعتدال في التعامل مع القضايا الاجتماعية التي تواجه الفرد في حياته اليومية."⁶
وهناك من التعاريف التي تنظر إلى التطرف (Radicalization) والتطرف (Radical) بنظرة جدلية مثل مفهوم الإرهاب، ومنه يعني التطرف أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين. وبذلك يعرف التطرف على أنه قناعات عقلية لجماعة أو فرد بامتلاك الصواب دون غيرهم، باستخدام أساليب متنوعة كالتهديد والعنف، لفرض الإذعان وقبول الشروط والإملاءات لاتخاذ المواقف التي تتماشى مع عقيدتهم.

2.2. المصطلحات المتوالدة من التطرف

أ. **التشدد:** عملية دينامية يمكن للفرد أن يعتمد بها أفكارا وأهدافا أكثر تطرفا من أي وقت مضى، ويمكن أن تكون الأسباب الكامنة وراء هذه العملية أيديولوجية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو شخصية أو كل ذلك أو بعضه، وقد يسعى المتشدد إلى تحقيق الحل المتشدد الذي يحدث تحولا في النظام من خلال وسائل عنيفة أو غير عنيفة، (على سبيل المثال، الوسائل الديمقراطية باستخدام

1 نفس المرجع

2 يحيى أسامة، تعريف التطرف الديني لغة واصطلاحا. 17 نوفمبر 2022. <https://mawdoo3.com> تاريخ النسخ 2024/04/22.

3 والد محمد حمزة، مرجع سابق، ص 5.

4 نفس المرجع.

5 الجيلالي بن الطيب، مفهوم التطرف وعلاجه بالإرهاب. 01 أكتوبر 2016. <https://www.crsic.dz> تاريخ النسخ 2024/04/22.

6 أبو دواية، الإنهاء نحو التطرف وعلاجه بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر. رسالة ماجستير، كلية التربية (فلسطين، غزة) 2012، ص 29.

الإقناع والإصلاح)، وهناك عدة مراحل في عملية التشدد يجب أخذها في عين الاعتبار، مثل النشاط الحركي والتطرف العنيف والإرهاب، وكل منها يشكل مستويات مختلفة من التشدد المتنامي.¹

ب. **التعصب:** فإن التعصب هو تطرف في فكرة أو رأي والإصرار عليه حتى لو كان خاطئا، نتيجة عدم الفهم أو الوعي أو الإدراك الكامل والحقيقي للمضمون وثمة علاقة بين التطرف والتشدد والتعصب، وهي علاقة اقتضاء واستبعاد، والتطرف من حيث هو مصطلح حديث قد يكون في الدين والفكر والسياسة والأخلاق والسلوك.²

3.2. التعريف الاجرائي للتطرف: وفي المحصلة ينشأ التطرف عادة بسبب ما يخضع له الأفراد في مسيرة حياتهم من إكراهات، قاسية وعنيفة في بعض الأحيان، ومعقدة ومتشابكة في أحيان أخرى، فمنها ما يؤثر على تنشئته، ومنها ما يكون نتيجة لبيئة داخلية مضطربة كالحروب الأهلية أو التراعات البيئية، أو خارجية مهيمنة كالاستعمار ومآسيه، أو ثقافية منحازة للنوع أو العرق، أو عقدي دينية مبنية على الدغمائية ورفض الآخر... إلى غيرها من المؤثرات).

كما يختلف التطرف حسب موقع الفرد والجماعة وإمكانيات التأثير التي يتمتع بها المتطرف، فإذا كان التطرف نابعا من الأفراد أو جماعات لا تملك سلطة صناعة القرار يكون التطرف أقل تأثيرا وخطورة، في حين إذا كان التطرف نابعا من داخل نظام سياسي أو مؤسسة تملك وسائل الإكراه، ويملك فيه الأفراد القدرة على تبني مواقف أو فرض أحكام أو إملاء سياسات، يكون التطرف أكبر خطورة وأكثر تأثيرا، وتكون نتائجه كارثية على كافة المستويات خاصة ما تعلق بالحياة الطبيعية للمجتمعات، لأننا في هذه الحالة نكون بصدد تطرف منظم وأصحابه يملكون القدرة على تبريره، وقمع معارضتهم بمختلف الوسائل المتاحة.

أ. الأسباب المؤدية إلى استفحال ظاهرة التطرف

إن تبين أسباب الحقيقية للتطرف هو عملية معقدة تتطلب تقدير الفوارق الاجتماعية والثقافية والسياقية خاصة في عصرنا الحالي لارتباط هذه الظاهرة بمشهد العولمة السريع التطور، فالتطرف متعدد الأوجه، وتوجهه فضاءات افتراضية عديدة ومتراطة وهو يقترن بظروف تاريخية وسياسية وجيوسياسية واقتصادية واجتماعية محددة، يمكن أن يظهر فيها ما يعرف بالتلقين العقدي والأيديولوجيا المتطرفة، ويمكن أن يشمل الأسباب الجذرية للتطرف أيضا التفاوتات الاجتماعية وعدم التسامح ومشاكل الصحة النفسية والمجموعات غير المنسجمة، ومن المهم إدراك أن دوافع التطرف تتجاوز في بعض الأحيان المفاهيم السطحية المتمثلة في الأفراد المحرومين من حقوقهم والمنفصلين عن محيطهم ولا سيما في سياق فئة الشباب.³

وعليه فإن للتطرف الكثير من الأسباب التي تؤدي في المحصلة إلى العنف والاستعمال غير المشروع للقوة والإكراه والقهر وهي تعبر في الغالب عن خلل في التعامل مع الواقع المعاش وقد قسمنا هذه الأسباب إلى قسمين أسباب تتعلق بالبيئة المحيطة أو الحاضنة وأسباب نفسية وجدانية.

1 أبو دواية، مرجع سابق، ص 29.

2 الوقاية من التطرف العنيف من خلال الرياضة، دليل نفي، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) سلسلة كتيبات العدالة الجنائية 2020، ص 18.

3 أبو دواية، مرجع سابق، ص 29.

أ. الأسباب المتعلقة بالبيئة الحاضنة

وتندرج الأسباب المتعلقة بتأثير البيئة الحاضنة فيما يلي:

- أسباب دينية تتمثل في ضعف المؤسسات الدينية الرسمية وتماؤها في تأطير المجتمع وتوجيهه الوجهة الدينية الصحيحة المبينة على الولاء للوطن والحفاظ على وحدته، مما يخلق فراغا روحيا يؤدي حتما إلى الفهم الخاطئ للنصوص الدينية وفوضى الفتوى وتضارب الآراء ما ينجر عنه التعصب العقدي والمذهبي.
- غياب رؤية استراتيجية: لمهاجمة السيل الجارف من افرازات الشبكات الرقمية التي ظهرت مع التحول في تكنولوجيا الاعلام والاتصال وسرعة انتقال المعلومة، حيث وتحت تأثير الدعاية المغرضة استطاعت الكثير من المنظمات الاجرامية وبفضل هذه الوسائل الرقمية استمالة جمهورا عريضا يتفاعل ويؤمن بكل ما يلقي له دون تمحيص ولا روية، خاصة ما تعلق بمواقع التواصل الاجتماعي، في تماهون رسمي وغير رسمي، وعدم ايلاء الاهتمام لوضع خطة مضادة ونماذج رقمية تتصدى وتصحح المغالطات التي يتم الترويج لها وعدم استثمار طاقات الشباب وتوجيهها الوجهة الصحيحة.
- غياب العدالة الاجتماعية: وتوسع الهوة وتدني المستوى الاقتصادي للدولة والفرد، وفقدان الثقة بين الحكومات والنظم السياسية الحاكمة من جهة وشعورها من جهة أخرى، خاصة ما تعلق بحكومات مجتمعات العالم الثالث.
- غياب رؤية سياسية واضحة وغلبة الحلول ارتجالية التي تعتمد على معظم الحكومات والأنظمة السياسية، كاعتماد خطة ردة الفعل أو ما يعرف بدولة الاطفاء (état pombier) التي لا تملك رؤية استشرافية لمعالجة الاحتلالات والمشكلات قبل حدوثها، أو تقفي وتتبع مصادرها لتقدم حلول ناجعة، كاعتماد الحلول الأمنية البحتة دون الالتفات إلى المعالجات الإنسانية والحلول السلمية.
- غياب الحكم الراشد والديمقراطية بأنواعها سواء التمثيلية أو التشاركية، مما يتسبب في تعطيل عملية المساهمة الجماهيرية في عملية صناعة القرار والذي يؤدي بدوره إلى تعطيل عجلة التنمية من خلال استثثار الأقلية بالسلطة ومنع التداول وحرية التعبير والمضايقات والمتابعات الأمنية.
- تغييب دور الأسرة والتقليل من أهمية ما تلعبه باعتبارها حجر الزاوية في معالجة القضايا ذات الصبغة الاجتماعية، وباعتبار الأسرة أولى محاضن الفرد قبل احتكاكه بالعالم الخارجي.
- ضعف الإنفاق الحكومي على المدرسة والتنكر لرسالتها العلمية والتربوية والتقليل من أهمية التحصيل البيداغوجي وعدم الحرص على إدخال التعديلات والتحسينات التي تواكب وتتماشى وروح العصر وتبث قيم التعايش والتسامح المجتمعي.
- تعدد إضعاف وتهميش الدور المنوط بوسائل الاعلام، وتوجيه رسالتها نحو خدمة أجندات معينة، مما يخلق إعلام غير مسؤول وغير وطني، تنعكس مخرجاته السلبية على معنويات المواطنين، الذين يفقدون أهم وسائل الاتصال بين المجتمع ونظامه السياسي، مما يزعزع بدوه الثقة بين الحكومات ونخبها الحاكمة والجماهير باعتبارها القاعدة المساندة والداعمة.

ب. أسباب نفسية متعلقة بالأفراد والجماعات

تتراحم الأسباب النفسية وتتراكم عندما يشعر الفرد بنوع من الاغتراب الذي تلعب فيه البيئة الحاضنة دورا لا يستهان به في سقله، ويمكن ذكر بعض هذه الأسباب النفسية فيما يلي:¹

- فقدان كل من الهوية والشعور بالانتماء وظهور الشعور بالوحدة.
- ينشئ التعرض للفقر والتهميش والتمييز بني اجتماعية ضعيفة تيسر التطرف.
- انعدام الاحساس بالاستقلالية والهوية الذاتية يمكن أن يقود الأفراد إلى البحث عن اجابات داخل الجماعات التي تبدو أن لها شعورا بنفس الهدف.
- الاحباط الناجم عن تعسف أجهزة إنفاذ القانون والمؤسسات الحكومية وفسادها وانتهاكها لحقوق الإنسان.
- الخلفيات الفردية، من خلال البحث الوجودي والروحي عن الهوية والهدف.
- النظرة الطوباوية إلى العالم، الضجر، أزمة المراهقة، الإحساس بالرسالة والبطولة والقوة والميل إلى العنف.
- التعاطف مع الشكاوى الجماعية وروايات الإيذاء التي تحدث ردود فعل عاطفية قوية.
- تشويه المعتقدات والأيدولوجيات السياسية والفوارق العرقية والثقافية.

أسباب نفسية اجتماعية تتمثل في نمطين متعاكسين؛ الأول هو الانغلاق على الذات ومقاومة كل جديد أو كل وافد مهما كان ضروريا أو إيجابيا، أما الثاني فهو الانفتاح المفرط وغير المسؤول وغير الواع، وغياب ثقافة التحصين والتنشئة السياسية الملهمه المصاحبة لقيم المواطنة التي تقي النشء من الانحراف والانسلاخ عن ثقافته وهويته الأصلية.

وقد اقترنت موجة التطرف لأسباب نفسية في السنوات الخمسة عشر الأخيرة جزئيا بالاستياء السياسي والاجتماعي والاقتصادي وبشكل متزايد لدى الشباب، وكانت أولى تداعيات هذه الأسباب النفسية الانضمام بالنسبة الشباب العربي الإسلامي إلى جماعات إرهابية مثل بوكو حرام (نيجيريا) وحركة الشباب (الصومال) وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ويتوافق هذا الاتجاه من جهة أخرى مع حركات اليمين المتطرف في أوروبا والفاشية الجديدة وحركات الانفصاليين البيض التي أخذت مؤخرا تكسب زحما وتأثيرا كبيرا في كامل أوروبا.²

3. أنواع وتجليات ظاهرة التطرف

بالنظر إلى التفسيرات المختلفة التي تتناول المصطلح من عديد الزوايا، حيث يصعب حصر أنواع التطرف بدقة لارتباط هذه الظاهرة بعديد الأبنية والتصورات والمفاهيم الديناميكية، غير أننا نستطيع القول وحسب ما ورد في التعاريف التي قدمناها سابقا- أن التطرف هو نتيجة تصورات ذهنية خلقت لدى البعض فكرة المجاهدة والتغيير بالقوة بالخروج على النظام أو القانون، حيث في الغالب يتم اللجوء إلى استخدام العنف كوسيلة فعالة في هذه المواجهة، ويقسم التطرف نظريا إلى مجموعة من الأنواع هي:

1 الوقاية من التطرف من خلال الرياضة. دليل تفني، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) سلسلة كتيبات العدالة الجنائية 2020، ص 08.

2 (UNODC) مرجع سابق، ص 15.

1.3. تطرف النخب الحاكمة: يظهر هذا النوع من التطرف عندما تتحالف مجموعة من النخب (سياسية، عسكرية، مالية) وتسيطر على المشهد السياسي من خلال استئثارها بصناعة القرار السياسي دون الرجوع الفعلي للمؤسسات السياسية الرسمية التي يفترض أنها شرعية، سواء اكتسبت شرعيتها عن طريق صناديق الاقتراع والانتخاب أو عن طريق هيئات تأسيسية توافقية تشكلت من عديد المكونات المجتمعية، حيث أن هذه الأخيرة تفقد صلاحيتها وتأثيرها لصالح هذه الفواعل المهيمنة، أين يحدث نوع من الشخصنة للمواقف والقرارات، بناء على ولاءات وتحالفات، خفية في كثير من الأحيان، تفرض من خلالها هذه النخب (عسكرية، سياسية، مالية) وجهة نظر معينة لا تقبل التنازل، وعادة ما تملي مواقف لا تقبل أي فرصة للحوار.

ويطلق على هؤلاء الأشخاص في الأدبيات السياسية مصطلح "الصقور" لتشدهم في مواقفهم حيث لا يقبلون أي تلميح حول وجود خطأ في مواقفهم، ويذهبون في فرض تصوراتهم إلى أبعد مدى ممكن، إذ يميلون إلى المبالغة والإسراف في مواقفهم لدرجة الغلو والتشدد في التمسك، فكراً أو سلوكاً، بجملة من الأفكار السياسية أو الاقتصادية، ويشعرون بالهم يمتلكون نظرة صائبة وأن حزمهم أو الزعيم الذي يلتفتون حوله صاحب الرؤية الثابتة والفكر المخلص والصحيح. أو ما يعرف باسم الزعيم الملهم.

ويرى كل من محمد المصري وبندر عبد الله " إن القمع والقتل والاستبداد وغياب العدل من السلطة الحاكمة هي البيئة الخصبة لانتشار الأفكار المتطرفة وخلق منتقمين واستشهاديين وجماعات مسلحة... ومكافحة الإرهاب تبدأ بإعمال القانون وإصلاح منظومة العدالة ومقاومة الأفكار المتطرفة بأفكار معتدلة مع أجهزة أمنية بلا فساد تعمل طبقاً للقانون".¹

وبالعودة إلى هذه الأقلية المتطرفة نجد أنها تفرض لرؤيتها قسراً على تيارات سياسية متعددة في ذات المجتمع، وهو تعبير عن تصورات الطبقة السياسية الحاكمة للهوية المختارة، ومصادرها ومكوناتها الرمزية المختلفة المصادر، وتاريخها، وبناء سرديات رسمية حولها، وعادة ما تستغل مؤسسات الدولة لتمير أجندتها، باستخدام القوة الرمزية، والتعليمية، والإعلامية، والأيدولوجية.

لاشك أن هذا التحيز من جانب هذه النخب السياسية الحاكمة، يؤدي إلى إزاحات وقمع التيارات الأخرى في تشكيل تركيبة المجتمع والدولة. ومنه يؤدي ذلك إلى توليد صراعات معلنة أو مكبوتة، على نحو أدى ولا يزال إلى استبعاد إحدى الحقوق الطبيعية للإنسان ألا وهو الحق في التعبير عن الرأي والحق في الاختلاف، وأيضاً إلى عدم القبول بالآخر المختلف، أيا كان هذا الاختلاف - جماعي أو فردي- في الثقافة السياسية، أو في الثقافة الشعبية، بغض النظر عن الوثائق الدستورية والنصوص الخاصة بمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين المواطنين، والشعارات السياسية التي ينطق بها الخطاب السياسي السلطوي المسيطر، ويؤدي هذا السلوك الذي تنتهجه هذه النخب إلى ما يعرف بالديكتاتوريات. التي رغم أن معظمها قد اختفى مع نهاية الحرب العالمية الثانية، غير أن بقايا من هذه الأقلية البائدة لا تزال منتشرة ومؤثرة في دول العالم الثالث أو ما يعرف كذلك بدول ما بعد الاستعمار، حيث يحدث نوع من الهيمنة والاختطاف للثورات باسم أقلية التي تحتكر المشهد ولا تقبل بثقافة التداول.

وعادة ما تصطدم هذه النخب بنخب أخرى خارج السلطة الحاكمة أو داخلها تحمل نفس الخصائص إلا أن هذه الأخيرة لم تنل حظها كلاعب أساسي فاعل، حيث يحدث نوع من المقاومة والتحدي لإملاءات النخب الحاكمة، وهنا يرى مدير مركز الشرق

1 (UNODC)، مرجع سابق، ص 12.

الأوسط في جامعة لندن" فواز جرجس" في معرض حديثه عن تطرف النخب الحاكمة " أن أي معارضة سياسية هي نتيجة طبيعية للنظام السياسي القائم، وعليه فإن الاستبداد يولد في العادة معارضة استبدادية تسلطية".¹

حيث تكثر الانقلابات والانشقاقات المؤدية في النهاية إلى زعزعة الاستقرار الداخلي للوحدات السياسية، مما يضعف من قدرتها على مواجهة التحديات الخارجية والتهديدات الماثلة لكيان الوحدة السياسية الممثل في الدولة، ومن جهة أخرى يضعف التطرف الذي تمارسه هذه النخب من قدرتها على تحقيق تنمية شاملة، تنعكس على البنية التحتية والهياكل الاقتصادية للكيانات السياسية، كما يبطئ هذا الاستنثار الشامل بالقرارات والتعسف في استعمال السلطة وسوء استخدامها من تسريع عجلة الاقتصاد القومي للدولة.

2.3. تطرف العرقي الإثني: ينقسم إلى قسمين هما التطرف العرقي الإثني (النوعي) والتطرف العرقي الإثني (الأكثرية).

أ. التطرف العرقي الإثني النوعي: ويرز هذا التطرف ويتم تغذيته داخل الإطار العام للدولة القطرية عندما يتعدد ويتنوع النسيج الاجتماعي والعرقي، ومن سلبيات هذا التطرف العرقي والإثني أنه في كثير من الأحيان ما يؤدي إلى شرح في كيان الدولة القطرية لا يتم ردع صدعه إلا باللجوء إلى تأسيس ما يعرف بالدولة الفيديريالية لاستحالة الانسجام بين تشكيلة كيانه السياسي، هذا أن أمكن جمع هذه الكيانات المتميزة تحت سلطة دولة واحدة تعرف بالدولة المركبة.

أما إذا أمكن اجتماع هذه الأعراق في دولة واحدة أو كيان موحد، يعرف سياسيا بالدولة البسيطة، فإنه وفي العادة تتمظهر المجتمعات التعددية في مكوناتها الداخلية بعدة مظاهر أكثرها تأثيرا الأديان والمذاهب والأعراق، واللغات، وتتسع الهوى بين هذه المجتمعات التي يُطلق عليها كذلك في الأدبيات السياسية ما يعرف بالمجتمعات الانقسامية (divisive societies).

وقد بدأ تمايز هذه الأخيرة بقوة في العصر الحديث مع هبوب رياح العولمة، ويبدو ظهورها أكثر تطرفا في الضفة الجنوبية من العالم والمنطقة العربية. خاصة بعد ما فتحت العولمة المجال أمامها لتعبر عن وجودها كهويات لا يمكن تجاهلها، ولنا الكثير من الأمثلة لصعود هذه الهويات وتطرفها في المطالبة بحقوقها السياسية والاقتصادية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (الصراعات المذهبية في المشرق العربي بين الشيعة والسنة، الصراعات العرقية في تركيا بين الأكراد والتركماني، الصراعات العرقية اللغوية بين العرب والأمازيغ في شمال إفريقيا، الصراعات العرقية بين العرب والزنج في موريتانيا، الصراعات الإثنية في إثيوبيا.... وغيرها كثير).

وفي نتائج استطلاع تضمنته "ورقة السياسات" التي أعدها في يوليو/ تموز 2019 البروفيسور يونس أديتو، (Yonas Addey Adito) الأستاذ المساعد للأمن الدولي وبناء السلام بمعهد الدراسات الأمنية في جامعة أديس أبابا. خلص في نتائج بحثه إلى أن 82% من الإثيوبيين يرون أن خطر التطرف الإثني في بلادهم كبير، واعتبر 44% من المستطلعة آراؤهم أن خطر التطرف الإثني مرتفع، بينما قالت نسبة 38% إنه مرتفع جدا، وانتهت دراسة " أديتو" إلى أن التطرف العرقي يشكل التهديد الوجودي الأساسي للدولة الإثيوبية في الوقت الراهن.²

1 أحمد السباعي، ظلم "الأنظمة السياسية" خلق العنف والتطرف بالمنطقة. 2015/04/19. <https://www.aljazeera.net/> تاريخ النصف 2024/04/22.

2 عباس صالح عباس، التطرف الإثني في إثيوبيا...مخاطر البلقنة والصراع العرقي تحدى بالجمهورية. 2019/11/25. <https://www.alaraby.co.uk> تاريخ النصف 2024/04/23.

لذا ينظر الكثير من الدارسين لظاهرة العولمة أنها بالرغم من وإزاحتها للحدود السياسية بين الدول وجعل العالم قرية واحدة مترابطة المصالح ومتشابكة العلاقات خاصة ما تعلق بجافها الاقتصادي، حيث دلت الكثير من الفوارق بين شعوب العالم، إلا أنها في المقابل أحييت وشجعت على ظهور الإثنيات والقوميات حتى المجهرية منها، حيث في هذا النمط من المجتمعات تسيطر الصراعات والمنافسات الظاهرة والمقموعة بين غلب أو بعض هذه المكونات.

ويرى عالم الاجتماع البريطاني أنطوني جيدنز (Anthony Giddens) في كتابه "عالم جامع" " أن العولمة تشكل سبباً لإحياء الهوية المحلية في الكثير من أرجاء العالم، وإذا سألنا عن سبب مطالبة الأسكتلنديين بمزيد من الاستقلال عن المملكة المتحدة، أو عن سبب ظهور حركة انفصالية في مقاطعة كيبيك الكندية، فإننا لن نجد الجواب في تاريخها الحضاري فقط، حيث إن الحركات القومية المحلية تظهر استجابة للتروع نحو العولمة، إذ تتضاءل سيطرة الدولة".¹

وتظهر المنافسة الشديدة على المصالح والمكانة، والحضور داخل تركيبة الهياكل المجتمعية، ويبرز الصراع على الفرص، والضغط من أجل تحقيق التمثيل داخل السلطة، والنظام السياسي، والطبقة السياسية الحاكمة، لضمان الحفاظ على المصالح والمكتسبات.

وتظهر كذلك أنماط من الصراعات المعلنة والمضمرة والمقموعة والمكبوتة التي تؤدي إلى إعاقة عمليات بناء كيان سياسي موحد ومنسجم، هذا بالنسبة للوحدات السياسية بسيطة التركيب، أما بالنسبة للوحدات السياسية المركبة والتي تحدثنا عنها سابقاً والتي تعرف بالدول الفيديريالية، فهذا النوع من التطرف العرقي الإثني يهددها أكثر بالانقسام والانشطار وينذر بتفكك كيانها المضطرب.

حيث أنه مع التطرف الإثني النوعي تغيب أو تضمحل أو تضعف سيمات المواطنة الجامعة التي تحمل مبادئ - قيمة، وثقافية ورمزية وقومية- تعلق فوق الخصوصيات الثقافية التي من شأنها أن تقر وتعترف بالتعددية كقوة تخلق الديناميكية والابداع، دون نفي للأخر المختلف والتنكر له ولثقافته أو هويته الدينية، أو إقصائه من المؤسسات السياسية أو الاقتصادية، أو الحكم المحلي بالنسبة للفيديرياليات واللامركزية الإدارية بالنسبة للدولة البسيطة في بعض أنماطها وأشكالها.

وتساهم هذه الصراعات المركبة والمتفرعة في إضعاف عملية بناء الاندماج القومي والتكامل الداخلي، على نحو يؤثر تأثيراً بليغاً في تشكيل ثقافة جامعة تجنب الكيان السياسي التشتت والانشطار، وهناك عديد الأمثلة حول ما سببه التطرف الإثني النوعي من تفكيك لكيان الدولة. خاصة ما تعلق بدول العالم الثالث (السودان، الصومال، العراق، لبنان... وغيرها كثير).

ب. تطرف الأكثرية على حساب الأقلية.

يتمظهر هذا التطرف في بعض الأحيان وي طرح مشكلة قبول الآخر المختلف وبفانها في ظل المجتمعات التي تسودها ديانة ومذهب للأغلبية السكانية إزاء الأقليات المذهبية والأديان الأخرى ذات الأقلية، والأصل العرقي أو القومي أو اللغوي الذي تعتبره الأغلبية تهديداً لوجودها الجامعة.² حيث تتفاقم وتزداد حدة الاستقطاب والعنف ضد هذه الأقليات، وهو ما يدل بشكل تام على شعور ضمني بالتفوق

1 نيو جيدنز، عالم جامع، كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، (ترجمة: عباس كاظم، وحسن ناظم) بيروت: المركز الثقافي العربي الأول 2003، ص 63-132.

2 أنطونيو جيدنز، عالم جامع، كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، (ترجمة: عباس كاظم، وحسن ناظم) بيروت: المركز الثقافي العربي الأول 2003، ص 63-132.

والاستعلاء من قبل الأكثرية، وهنا يمكن إعطاء تعريف أكثر وضوحاً للأقلية بالنسبة للأكثرية (بأنها تجمعات بشرية ذات خصائص معينة تختلف عن مثيلاتها في مجتمعات الأكثرية، ولكل أقلية سماها القومية أو الإثنية أو الدينية المشتركة بين أفرادها.¹ وتأخذ هذه الأقليات تسميات مختلفة تدل على جذور الأقلية وأصولها وهويتها الاجتماعية. فهناك مثلاً الأقلية القومية والأقلية العرقية والأقلية الدينية والأقلية المذهبية وغيرها، وهذه الأقليات ذات هويات متعددة تجتمع فيها عناصر العرق والدين والأصل واللغة والعادات والتقاليد والتراث والتاريخ، تختلف في مجملها عن الأكثرية. وعادة ما تعيش الأقليات في ظل حكم الأكثرية التي تمارس ضدها التمييز العنصري.

وتعتبر الأقليات العرقية والإثنية والدينية والقومية أكثر الأقليات ظهوراً في العالم، وتجرب وراءها أغلب الصراعات التي تنشب من حين إلى آخر في الكثير من بلدان العالم في الوقت الحاضر كالصراع الهندوسي الإسلامي في الهند،² الذي لا تزال أصدائه إلى حين كتابة هذه الأسطر.

والمأساة اليوغوسلافيا في نهاية التسعينيات والتي واكبت تفكك الاتحاد الروسي، حيث دفع المسلمون الكروات ضريبة باهظة جراء التعصب والتطرف العرقي للصر بوصفهم يمثلون الأكثرية، وما يحدث في نينمار من اضطهاد وتطهير للمسلمين على مسمع ومرأ العالم، هو دليل آخر لنتائج هذا التطرف الوحشية، وكذلك ما يحدث من تطهير لمسلمي إفريقيا الوسطى وغيرها من دول العالم الثالث باسم مصلحة الأكثرية.

حيث يُعبر هذا النوع من التطرف على صعوبات بلغة وإحراج يواجه الكيانات السياسية إزاء تغول الأكثرية على حساب الأقلية، وكثيراً ما كان للتطرف العرقي والإثني انعكاسه الأكبر على توجيه مجرى الأحداث نحو انتهاج سياسة التطهير العرقي لتلك الأقليات، كحل استتصالي عنصري إلى أبعد الحدود، مما شكل تهديداً لكيان الدولة ووحدها وتماسك نسيجها الاجتماعي (يوغوسلافيا، اندونيسيا، الهند...).

ومن ناحية أخرى، يشكل تعاضلي وتساؤل الكيانات السياسية ممثلة في الحكومات التي تمثل الأكثرية، إلى تنامي التطرف القومي والإثني خاصة عندما تغيب الإصلاحات السياسية وما تعلق بعملية التداول على السلطة والتمثيل السياسي للأقليات، فعدم اعتماد نظام انتخابي يتيح الفرصة للقوميات لتمثيل مجموعاتها سياسياً، حيث تطفو نوع من الصراعات الضارية المعلنة تارة والمضمرة تارة أخرى، والتي تشب بين هذه المكونات المتعددة المصادر والتشكلات التاريخية، والجماعات المنطقية - لاسيما المهمشة - واللغوية والعرقية، حيث أن منعها من الحصول على فرصها في التمثيل السياسي، والتعبير عن ثقافتها وهوياتها إزاء سياسة فرض الأغلبية لأيديولوجياتها - في زمن صعود الإيديولوجيات ما بعد المرحلة الاستعمارية (colonialisme) - على كافة المكونات المجتمعية لصالح إيديولوجيا الأغلبية وأصولها الدينية والعرقية والقبلية... الخ، وإقصاء مكونات المجتمع الأخرى، على نحو ما ظهر في أفريقيا ما بعد الاستقلال والعالم العربي.

1 نيل عبد الفتاح، ثقافة قبول الآخر المختلف، والحق في الاختلاف: الثقافة المضادة والتحول والإعاقات البيئية في عالم متحول. مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. <https://acpss.ahram.org.eg>

تاريخ النصف 2024/04/23.

2 نفس المرجع.

حيث ساهم هذا النوع من التطرف (تطرف الأكثرية على حساب الأقلية) في اتساع الشرخ وقلل من انتشار ثقافة التعايش بين الأكثرية للمهيمنة والأقليات المطالبة بمزيد من الحقوق والحريات.¹

وكما أشرنا سابقا فإن أحد أبرز مشكلات ثقافة قبول الآخر المختلف على نحو "فردى" أو "جماعى"، يتمثل في صراع الهويات بين هذه المكونات لصالح هوية الدولة والنظام التي تفرضها الطبقة السياسية الحاكمة كهوية واحدة غير متجزأة للدولة والمجتمع على حد سواء، وفق استراتيجيات الدمج القصري بعنف أجهزة الدولة المختلفة على كل مكوناتها وهوياتها المتعددة.

3.3. التطرف الدينى: يمكن القول كذلك أن التطرف الدينى من بين أكثر أنواع التطرف خطورة وتأثيرا، وله نتائج حد وخيمة على كثير من الأصعدة وقد عانت منه الكثير من الدول والمجتمعات وكلفها الكثير من الخسائر في الأرواح والممتلكات، ولنا في الجزائر تجربة مرة لما خلفه هذا التطرف من تبعات ومآسى عرفت باسم العشرية السوداء خلقت نحو ما يربو عن ربع مليون قتيل وعشرون مليار دولار خسائر مادية.

لذا لا يمكن الاستهانة بهذا النوع من التطرف، فرغم أن أصحابه لا يملكون نفس الوسائل التي يملكها أصحاب التطرف السياسي والنخب السياسية الحاكمة كما أشرنا سابقا، إلا أن خطورة هذا التطرف تظهر في كون أن معتقيه يتجاوزون حد الاعتدال إلى المبالغة في أي شيء أو أي فكرة أو أي معتقد في الدين، وكل ما يتعلق به كذلك هو اتخاذ الفرد موقفا متشددا في أمور دينية دون أساس علمي أو ديني أو عقلي يدعم به تصوراتيه وهو تطرف يمس بوحدة النسيج الاجتماعي لكيانات السياسية ويهدد بتقسيم المجتمع إلى طوائف مذهبية ومرجعيات دينية مختلفة، تؤثر بشكل رئيسي في وحدة المرجعية الدينية المعتمدة المتفق عليها بين المجتمع والدولة الوطنية.²

ومن جهة أخرى تبرز ارهاصات التطرف الدينى بظهور الشعارات الساذجة والعبارات الجوفاء وغياب الرؤى الواضحة، لذا من الضروري تدارك الأمور قبل انفلاتها باتخاذ تدابير ومواقف استباقية صارمة للتعامل مع هذا الوضع، فأصحاب التطرف الدينى وفي مختلف الثقافات يسوقون للخلاص الذي لا يعرف طريقه سواهم، بينما ظل الآخرون طريقهم حسب تفسيرهم.¹ حيث يعلو خطاب الكراهية ضد الأقليات في المجتمع وما يلاحظ على معتقي هذا النوع من التطرف الإفراط في التدين والعبادات، لأنبات الذات والتميز عن الآخرين، والتعصب في الرأي والغلظة والخشونة في التعامل مع المخالف.

وتشير معظم الدراسات إلى أن التطرف الدينى يترع نحو العداة والانتقام، والقدرة على التضليل وخداع الأفراد، وبخاصة الشباب والوصول إلى الغايات بطرق تخالف حتى الشريعة التي تمثل في الظاهرة المرجعية الجامعة، ناهيك عن العادات والقوانين مع تعصب للرأي مبالغ فيه وعدم الاعتراف بالرأي الآخر مطلقا، والتوجس من الآخر المختلف وعدم التسامح معه بالإضافة إلى الاعتداء على حقوق الآخرين والعزلة الاجتماعية وهجرة الوظائف الحكومية، وإسقاط حقوق الآخر المختلف وتبرير الاعتداء عليه.

1 نيل عبد الفتاح، ثقافة قبول الآخر المختلف، والحق في الاختلاف: الثقافة المضادة والتحويلات والإعاقات النبوية في عالم منقول. مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

<https://acpss.ahram.org.eg> تاريخ الاطلاع 2024/04/24.

2 نيل عبد الفتاح، ثقافة قبول الآخر المختلف، والحق في الاختلاف: الثقافة المضادة والتحويلات والإعاقات النبوية في عالم منقول. مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. <https://acpss.ahram.org.eg>

تاريخ النصف 2024/04/24.

ويرى بعض المهتمين والدارسين للجماعات الدينية وعلى رأسهم محمد أبو رمان: أن التطرف الديني، بوصفه انحراف عن حد الاعتدال في كل شيء تعبير معاصر حديث، لم يكن شائعاً في تراثنا القديم، وهو كذلك من إفرات الحدائق وآثارها.² وتشير الدلالات إلى أن الانحراف عن حد الاعتدال والتوسط في فهم الدين أو الدعوة إليه أو التعبير عنه. من الأسباب التي تؤدي إلى التعصب الديني العقدي والذي يتمظهر في عدة أشكال متعددة، منها: الانحراف عن معايير العدالة والعقلانية،³ فالكثير من معتنقي الأديان يؤمنون بالدين بشكل بعيد عن تحكيم العقل، وهناك أمثلة في جميع الديانات والمذاهب وبخاصة الإسلامية منها. حيث أنه حتى ولو ظهر للشخص المتعصب الصواب في دين أو مذهب معين، تجده في الغالب يبقى مصراً على موقفه ولا يزن الآراء المخالفة بميزان العدالة والعقلانية. حيث يعتبر هذا النوع من الأحكام الصادرة من هؤلاء الأشخاص تطرفاً حسب ما أوردناه من تعاريف لمفهوم التطرف، وللتطرف الديني بوادر وإرهاصات تنطلق من التطرف الوجداني السلوكي ثم تنتقل إلى التطرف الاجتماعي:

أ. التطرف الوجداني السلوكي: وهو كذلك تطرف ديني خطير ومضمون هذا الأخير أنه شعور حماسي نحو شيء أو حالة معينة يجعل الشخص مندفع في اتجاه معين دون تبصر واتزان، وربما يدفعه هذا الانفعال إلى إصدار أحكام قيمة حول الآخر وتُصنّف شخصية المتطرف بشدة الانفعال والكرهية المطلقة للمخالف في الرأي.

يظهر هذا النوع من التطرف ويتمظهر في سلوك الفرد اتجاه مخالفه، وفي العادة تستغل الجماعات الدينية المتطرفة أو ما يعرف بالجهاديين هذا التطرف الوجداني كنقطة ضعف لاستمالة أصحابها واستدراجهم لتنفيذ اعتداءات مسلحة ضد الأنظمة السياسية التي تعتبرها هذه الأخيرة أنظمة غير شرعية وجب مقارعتها وقتالها باسم الدين لأنها عطلت العمل بالشرعية حسب تصور هؤلاء الجهاديين، والذين يستطيعون بكل سهولة إقناع أصحاب التطرف الوجداني للقيام بالعمليات المسلحة تصل حد الانتحار، مستغلين حماس هؤلاء لتنفيذ أجندهم السياسية.

ويرى بعض الباحثين أن الملامح الشخصية لأصحاب التطرف الوجداني تتسم بعدة سمات، تبدأ بالجانب العقلي المتمثل بالحمود المعرفي، كما يتجلى في التزمّت والتشدد وضعف تقبل الآخرين، يليه المستوى الانفعالي (الوجداني) حيث يتسم سلوكهم بشدة الانفعال كالكره الشديد والحب المبالغ فيه.

ويعتبر المتطرف نفسه صادقا دائما، ومصالحا في كل الأوقات، ولا يخفى لغيره مناقشته، وبهذا يبدو أن التطرف الوجداني ظاهرة مرضية تهدد الكيانات السياسية والمجتمع وحتى الفرد نفسه، وتظهر خطورتها بالإضافة إلى المستويين العقلي والانفعالي المشار إليهما، وفي المستوى السلوكي الذي سوف تناوله فيما بعد، حيث يظهر السلوك المائل للعنف وإيذاء الآخرين، ومقاطعتهم وعدم التعامل معهم أو سلبهم حقوقهم أو امتيازاتهم كمواطنين أو أفراد أحرار ومستقلين.

1 حسن رمضان، نشرح الفكر السلفي المتطرف، ط1، دمشق: دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 462

2 محمد أبو رمان، موسى شنبوي، سيوسولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن. عمان: دراسة ميدانية. مركز الدراسات الاستراتيجية. 2018. ص 54.

3 طه أحمد المستنكاري، العلاقة بين التطرف والاعتدال في الاتجاهات الدينية وبعض سمات الشخصية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، 1982، ص 44.

في حين تشير بعض الدراسات إلى أن صفات الشخص المتطرف تظهر من خلال سرعة الانفعال والتوتر، وفورة العاطفة وهو على الأغلب سريع التصديق خصوصا إذا سمع القول أو التوجيه ممن يطمئن إلى صدقه، أو يعجب بمسلكه، كما يفرط في موالاته وينحاز إليه ويرفض وضعه موضع الشك وهو يعتقد اعتقادا جازما أن فهمه وموقفه هو الصواب الذي لا يخطئ فيه.

وفي حالة إذا كان التطرف دينيا أو مذهبا أضفى عليه صاحبه هالة من القداسة الدغمائية رافضا كل نقد لهذا المذهب، وعادة ما يلجأ المتطرف إلى محاكمة ذهنية تنتهي غالبا برفض الاحتكام للعقل.

حيث المغالاة في سلوكيات ظاهرية معينة بما يخرج عن الحدود اللبقة وكأن هذه السلوكيات هدف في حد ذاتها، ولذلك يكررها الشخص بشكل نمطي وهي خالية من المعنى وفاقدة للهدف والرؤية.

وفي نفس الوقت لا يقتصر التطرف السلوكي على المغالاة في السلوك الظاهر بل يظهر التطرف السلوكي بوصفه تحولا للانفعالات

الداخلية التي تحولت من التطرف الوجداني إلى أفعال ملموسة، إما قولاً وإما فعلاً، بالاعتداء أو الانعزال عن المحيط والآخرين.¹

وكما سبق وأن أشرنا فالتطرف السلوكي هو محصلة للتطرف الوجداني، غير أنه يشمل جميع الحركات والجماعات المتطرفة سواء تلك التي سلكت طريق المواجهة والعنف المسلح مع الانظمة السياسية (سلفية جهادية) أو تلك التي اختارت أسلوب العنف الرمزي والمواجهة مع المجتمع وتجنب الدخول في مواجهة مع الأنظمة والحكام (السلفية العلمية). فالأولى تستعمل عنف سلوكي ظاهر من خلال إعلان الحرب على الأنظمة والحكومات، في حين اختارت الثانية العنف السلوكي مع المجتمع فتجدها في صراعات ومناكفات لا تنتهي خاصة داخل دور العبادة أو من خلال الصدام مع الخيارات التعبدية لعموم المجتمع. محاولة فرض منطقها ومنهجها ورؤيتها وتفسيرها الأوحده للنصوص الدينية.

ب. التطرف الاجتماعي: أن التطرف الاجتماعي هو الخروج على المفاهيم والأعراف والتقاليد القائمة والسلوك العام في المجتمع، وهو الغلو والتشدد بعيد عن الوسطية والاعتدال في التعامل مع القضايا الاجتماعية التي تواجه الفرد في حياته اليومية وهو نتاج ومحصلة للتطرف الوجداني والتطرف السلوكي، الذي ينصهر في بوتقة وجماعة أكبر تحتضن هذا التطرف وتعطيه نوع من الحماية بعدما كان سلوكا منعزلا وفرديا.

ولا يختلف التطرف الاجتماعي عن التطرف الفكري لأنه في المحصلة هو نتاج لتوافق جماعي حول رؤية وفكرة معينة تجاه جماعات أو أفكار مخالفة لتوجه الجماعة الجديدة، فكلاهما فيه مجاوزة لحد الاعتدال والتوسط في السلوك، سواء كان ذلك السلوك دينيا أم اجتماعيا، وهو المغالاة بالمبالغة أو التسبب في السلوك والأفكار الاجتماعية وأساسه التمييز والتعصب والانغلاق الاجتماعي الذي تنتقل من الفرد نحو الجماعة، حيث يحدث نوع من العدوى السريعة خاصة داخل المجتمعات المغلقة، فيصبح التطرف منهجا وفكرا وسلوكا اجتماعيا تتبناه جماعة لا تتوافق مع من حولها من الجماعات، تلغي على إثرها مبدأ التعايش السلمي وتقبل الآخر المختلف تحت تأثير (النظرية الصفرية) بعيدا كل البعد عن الوسطية تحت شعار (إما نحن أو هم).

1 نبراس النائي، أسباب التطرف الديني وبواعثه في المجتمع العراقي. 2017/04/24. <https://annabaa.org> تاريخ الصفح 2024/04/25

والتطرف بهذا المعنى يمثل انفعالا قد يمارس من قبل جماعة أو سلطة بعدة أشكال، كالعنف من أجل تغيير نظام قائم أو فرض فهم متمزمت لنصوص دينية وفق رؤية تفرضها الأقلية على الأكثرية لضمان هيمنة وسيطرة أحادية الجانب الرؤية أحادية والممارسة.

4.3. التطرف الفكري المعرفي: وكما أشرنا آنفا فالتطرف الفكري يتقاطع ويتشابه كثيرا مع التطرف الديني، إلا أن التطرف الكفري هو نمط من أنماط التطرف المعرفي (L'extrémisme cognitif) حيث يتمظهر على شكل انحراف فكري له نزعة فردية، ينعكس مباشرة على الذات أو على الآخر، يؤدي إلى التشكيك في الأهداف والمصالح والنظم والعقائد، وزعزعة الأمن الفكري والقومي والثقافي وإثارة العنف، وتتوسع دائرته لتشمل مجتمعات بأسرها.¹

كما يمكن الاستدلال على التطرف المعرفي من خلال تبني الفرد فكرة أو أفكار معينة، ولا يقبل المناقشة أو إعادة النظر فيها، ويعتبرها من الثوابت المطلقة، وهو في هذه الحالة لا يلغي وظيفة عقله فقط في تمحيص هذه الفكرة أو الأفكار بل إنه يلغي أي رأي آخر مخالف، ولا يسمح لهذا الرأي أن يدخل مجال وعيه فضلا عن أن يفهمه أو يناقشه أو يتقبله.²

وعادة ما يرتبط بالجمود العقلي (الدغمائية) والانغلاق الفكري، وهو في الواقع جوهر الاتجاه العام الذي تتمحور حوله كل الجماعات المسماة متطرفة.

والتطرف بهذا المعنى هو أسلوب منغلق التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات أو آراء تختلف عن معتقدات وآراء الشخص أو الجماعة في الطرف الآخر. وهناك عديد الحالات الماثلة غير تاريخ البشرية الحافل. يمثل هذه الصراعات، حيث ظهرت عدة نظريات فكرية بالغ فيها معتنقوها إلى حد اعتبارها الأصح على الإطلاق، مما أحدث نوع من الصراع الفكري الذي تحول إلى صراع إيديولوجي بين معتنقي تلك النظريات الفكرية، وقد انجرت عنه صدامات وصراعات عنيفة حول العالم كان أكبرها على الإطلاق الصراع الفكري المعرفي بين معتنقي الفكر الليبرالي والفكر الاشتراكي، حيث أدى هذا التطرف المعرفي الذي اعتنقته أمم بحالها إلى ما عرف بالحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي سابقا (رائد الفكر الاشتراكي) والولايات المتحدة الأمريكية عرابة (الليبرالية الحديثة) ومن خلفها أوروبا، حيث خلف هذا الطرف الفكري الأيديولوجي الكثير من الحروب، كان مسرحها وحقل تجارها دول العالم الثالث باعتبارها دولا غير محصنة من هذا التطرف العنيف، شهدت خلالها عديد الحروب الطاحنة عرفت باسم الحروب بالوكالة (the proxy wars) راح ضحيتها ملايين البشر. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (الحرب بين الكوريتين، حروب الهند الصينية، أزمة كوبا، أزمة برلين، الحرب الأهلية الإسبانية...)

ويرتبط ويتقاطع التطرف الفكري المعرفي في بعض حالاته مع التطرف الديني في عديد المستويات؛ كالتحجر الفكري والمذهبي الذي يقوم على مجموعة من المفاهيم التي لا تقبل التغيير والمترتبة أساسا بالدغمائية القطعية أو ما يعرف بالجمود الفكري، ويوصف بأنه نمط أحادي التفكير والرؤية من زاوية واحدة وإنكار رأى الآخرين.

¹ نبيل عبد الفتاح، ثقافة قبول الآخر المختلف، والحق في الاختلاف: النفاقة المضادة والتحول والإعاقات النبوية في عالم متحول. مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. <https://acpss.ahram.org.eg>

تاريخ النصف 2024/04/23.

² إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية المفروضة السامية لحقوق الإنسان والشعوب الأصلية. 2007/11/13. <https://www.ohchr.org>. تاريخ النصف 2024/04/25.

وترى بعض الدراسات الحديثة حول التطرف الفكري المعرفي أن هناك أهدافا يسعى المتطرفون إلى تحقيقها من وراء سلوكهم هذا، تتمثل أساسا في إعادة بناء المعرفة من خلال الإقصاء المعرفي للآخرين وترسيخ الفكر الجديد من أجل السيطرة وتوجيه العقول وإقصاء الأصوات المعارضة للرؤية المطروحة، ووضع حدود يشترط عدم تجاوزها عند التعبير عن الرأي، وفرض ثقافة معينة على الكيانات السياسية ومواطنيها لتشكيل وصقل أفراد المجتمع وتطوير الفكر مع أهداف وتوجيهات الفكر الجديد من خلال أليات ووسائل متعددة ومتنوعة منها ما هو عنيف وقهري ومنها ما هو استدراجي إغرائي ومنها ما هو استراتيجي طويل المدى وفق برامج تربوية متخصصة، وخطة مدروسة.¹

4. آليات مكافحة التطرف

باستقصاء أوضاع الكثير من الدول والكيانات السياسية التي كانت تعاني من انتشار ظاهرة التطرف واستشراءها وبالنظر إلى استلهاها للدروس والعبر خلال مسيرة الإصلاح التي خاضتها عبر تاريخها المليء بمحطات النضال والكفاح ضد هذه الظاهرة بأشكالها المختلفة، نستطيع القول أن هذه الأمم ذات التطور الحضاري الذي صاحبه التطور السياسي والعلمي والتقني، تمكنت من وضع حلول وبرامج لهذه المشكلة الخطيرة من خلال دساتيرها وأنظمتها القانونية والسياسية والتعليمية، وسياساتها الثقافية - خاصة مع موجة الدفاع عن حقوق الإنسان التي ظهرت في أوروبا.

ومن هنا تبرز إحدى الركائز الكبرى التي لا بد من لفت نظر الكيانات السياسية والحكومات وبخاصة في العالم الثالث والعالم العربي نحوها، أهمها على الإطلاق مبدأ وركيزة قبول الآخر المختلف، والاعتراف به كفاعل مؤثر أو كقوة اقتراح، حيث أن النجاح في تجسيد وغرس هذه الركيزة تعتبر واحدة من أهم الخطوات نحو تحقيق الانسجام والتوافق بين المجتمع والكيان السياسي المخول أو المشرف على عملية صنع القرار الذي لاشك أن مخرجاته سوف تظهر على واقع الأفراد وتطبيقاتهم، وبذلك نكون قد خطونا أولى الخطوات نحو بناء كيان سياسي متين ومزدهر.

وسنحاول فيما يلي الاستفاضة أكثر حول آليات مكافحة التطرف لما تحمله هذه الخطوات الإيجابية من أمل في خدمة المصالح المشتركة للأفراد والجماعات والكيانات السياسية على حد سواء.

أولاً: ثقافة التعايش وقبول الآخر المختلف: تبدو واحدة من القيم والمبادئ الإنسانية التي يتعين ترسيخها لمواجهة عصر الثورة الصناعية الرابعة، وطلائع الثورة الصناعية الخامسة، خاصة في ظل تحديات غير مألوفة ولم تكون مطروحة كما كانت في الماضي، سواء على نحو ديني، أو فلسفي. وهناك أيضا تحديات ردود الطبيعة الكونية على الفعل الإنساني المستقل عنها. وهي ردود أفعال صلبة من الطبيعة، ومدمرة، وتمثل في الفيروسات المتحورة وغير المكتشفة، وفي الاحتباس الحراري آثاره المدمرة على الطبيعة.

فثقافة قبول الآخر المختلف أصبحت ضرورة للتصدي والوقوف في وجه الاختلالات التي أفرزتها العلاقة الاستغلالية التي فاقمت منها الرأسمالية في صورتها الأكثر تطرفا (النيوليبرالية المتوحشة **Néolibéralisme**) ومخرجاتها التي تسعى دائما إلى تعظيم الربحية على نحو مفرط، والتراكم الضخم للفوائض الرأسمالية، واستغلال دول جنوب العالم. كل ذلك يدفع إلى أن قبول الآخر، والتضامن

1 بلغه عبد الحق، الدستور والسياسي.. أهما بتكم الآخر. 2021/10/07. www.aljazeera.net تاريخ النصف 2024/04/27.

الوجودي الإنساني، يبدو كأحد سياسات بناء المعنى الوجودي لحياة البشر على كوكب الأرض، وأيضاً مواجهة تحديات الطبيعة، وعالم الذكاء الصناعي، في ظل اضطرابات عالمنا وتحولاته القاسية وغير المألوفة.

وبناء عليه لا بد لتقافة قبول الآخر المختلف أن تراعي وتحترم مجموعة من الحقوق والواجبات حينما يتعلق الأمر بعلاقة الأفراد فيما بينهم، وهي كما يلي:

أ- الحق في الاختلاف الديني والمذهبي: يعتبر الحق في الاختلاف من ركائز الديمقراطية، إذ لا يمكن التأسيس لمجتمع ديمقراطي تسود فيه حقوق الإنسان بدون الاقتناع بالدور المحوري للحقوق الثقافية للشعوب، من ثم تكريس التعددية الثقافية التي ناضلت من أجلها مجموعة من الحركات الاجتماعية وكذا الشعوب الأصلية. ومن ثمار ذلك صدور إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي سنة 2001، و"إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية" الذي اعتمده الجمعية العامة في 13 سبتمبر من سنة 2007.¹

ب- التصدي للخطاب الإقصائي: سواء كان هذا الخطاب ذو سبغة دينية أو غير دينية (علماني) مثله في ذلك مثل الخطابات الدينية والمذهبية الدعوية، حيث تتسم بعضها بالعنف اللفظي، الإقصائي، والهجوم على الآخر المتدين - أفراداً وجماعات- ويشكل هو كذلك مصادرة للحق في الاختلاف، وقبول الآخر المختلف. وقد ازدادت هذه الظاهرة في العقدين الأخيرين من القرن الحادي والعشرين، خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي، وهي آخذة في التمدد والانتشار للأسف.

ثانياً: مراجعة تمييز وعدم فاعلية الدساتير والقوانين

حينما يتعلق الأمر بتنظيم العلاقة بين الأفراد والكيانات السياسية، لا بد من إعادة النظر ومراجعة القوانين والبرامج، وهنا يمكن تقسيم هذه المراجعة إلى قسمين؛ مراجعة تتعلق بأسمى القوانين واعلاها واهمها على الإطلاق وهي الدساتير، ومراجعة تشمل وتعالج القوانين المفسرة لتلك الدساتير كترجمة فعلية لتلك القوانين المجردة على أرض الواقع، وهي كما يلي:

أ. مراجعة أدوات الدساتير: حيث تظهر هذه الأدوات في التحيزات التي تظهر بعدة أشكال ومظاهر منها على سبيل المثال لا الحصر تمييز للاثنيات الدينية والمذهبية والعرقية واللغوية إزاء الآخر.

ومنه فإن إحدى أبرز المشكلات الدستورية في عديد من الكيانات السياسية خاصة العربية منها هو هيمنة النظرة الأدائية، والذرائعية للدساتير والقوانين بوصفها أداة في احتكار رمزي ووظيفي للنخب السياسية الحاكمة في مرحلة ما بعد الاستقلال. هذه النزعة الأدائية للدساتير والقوانين، وطابعها الوظيفي، أفقدت هذه المنظومات طابعها في التنظيم، والضبط والتوازن الاجتماعي بين مصالح الطبقات المتصارعة، وفي توزيع القوة بين سلطات الدولة، لصالح السلطة التنفيذية، والنخبة السياسية الحاكمة، وتطبيقها وفقاً لمصالحها السياسية والاجتماعية، وأيضاً طبقاً لسياساتها العامة المتغيرة، وذات الطابع القائم على التجربة والخطأ.²

من هنا كانت الدساتير ذات طابع شكلي، يتم تقييد نصوصها، لاسيما في مجال الحريات العامة من خلال القانون، أو اللوائح أو القرارات الإدارية، أو إيقاف العمل بها. الشيء الذي انعكس على فعالية الدساتير مما جعلها غير مؤثرة إطلاقاً على تنظيم الحريات

1 طه أحمد السنكاري، العلاقة بين التطرف والاعتدال في الاتجاهات الدينية وبعض سمات الشخصية، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب)، جامعة عين الشمس، 1982. ص 46.

2 كيما زولونفا، فرلشر وآسانغا وبلكاللا، الدساتير دون الوطنية في البلدان الهشة. المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات. 2021. ص 19.

العامة، ودعمها وتحفيزها في المجال العام، ولاسيما حرية التفكير والتعبير والبحث، وأيضاً حرية التدين والاعتقاد، وممارسة الشعائر الدينية.

كذلك طغيان السياسة الوظيفية الأداة للسلطة والقوانين مما جعلها مرتبطة أكثر بطبيعة النظم السياسية التوتاليتارية (Totalitarisme) حيث تبدو عمليات ممارسة السلطة وأدواتها مشخصة أي أنها مرتبطة بشخصية القائد أو الرئيس، بالنظر إلى مركزية عملية صناعة السياسات والقرارات عند قمة النظام.

لقد كرس النزعة الأداة للسلطة للقوانين الدور المركزي للسلطة التنفيذية - في معظم الأنظمة السياسية في دول العالم الثالث بصفة عامة والأنظمة العربية بصفة خاصة - حيث أن وضع مشروعات القوانين. تجنح في الغالب للاعتبارات والمصالح الآنية، ثم يتم إدخال تعديلات عليها فيما بعد، عندما تظهر ثغرات واختلالات واضحة في تطبيقها، أو يتبين عدم مواكبتها للمستجدات، وذلك لغلبة الآنية، والسرعة في إعداد بعض التشريعات الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو ذات الطبيعة السياسية والأمنية، خاصة مع الأزمات.

ب. معالجة مشاكل عدم فعالية القوانين

أحد أبرز معضلات عدم فعالية وكفاءة القوانين، أنها قد لا تُطبق بنفس الفعالية على جميع الفئات إذا ما برزت ثغرات تبرر للبعض اختراق القاعدة القانونية، أو عند ظهور الانتهاك والسلوك الإجرامي المتعمد، وتم اكتشافه، لأن انتهاك للقوانين يمثل ظاهرة عامة في تفاصيل الحياة اليومية، ولا تستطيع أجهزة الدولة والحكومات التي تصهر على مراقبة وتطبيق القانون تداركها، لاعتبارات عديدة على رأسها الانفجار الديموغرافي، وقدرة المجتمع على أن يجعل انتهاك القانون حالة عامة، حيث تتحول إلى قانون مضاد للقوانين.

هناك أيضاً فساد الأجهزة الإدارية العمومية كأحد الاختلالات الهيكلية لأجهزة الدولة في العالم الثالث بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة في دولة ما بعد الاستقلال، وهو ما يظهر في الاختراقات المتكررة والسافرة أحياناً للموظفين العموميين التي باتت تمثل تحدياً حقيقياً يهدد الكيانات السياسية، والتي عرفت حديثاً بمصطلح الدولة العميقة، من خلال جرائم الرشوة، واختلاس المال العام. الشيء الذي أدى إلى استفحال ظاهرة السلوك المضاد للقانون، الذي ساهم فيه كما أشرنا أنفاً الموظفون العموميين، تحت عديد المخالفات القانونية التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى ارتكاب أخطاء تمس بالسلامة الجسدية للأفراد والجماعات، كالاتهاكات اليومية لقوانين السلامة المرورية التي تكلف ميزانية الحكومات الكثير من الخسائر المادية ناهيك عن الخسائر في الأرواح، كذلك الانتهاكات اليومية للفضاءات العامة كالبناء بلا ترخيص، وانتشار العشوائيات وتشويه وتخريب فضاء المدينة وتزييفها.¹

استفحال كذلك ظاهرة بناء دور العبادة بصورة غير مدروسة تشوّهها الفوضى مع تغاضي وتساهل الموظفون الإداريون في ذلك، على اعتبار أن الطقوس الدينية من المقدسات التي لا ينبغي التصدي لها، في حين هناك تشدد وحساسية مفرطة إزاء حقوق الأقليات المختلفة أياً كانت انتماءاتها الدينية والمذهبية والعرقية... الخ.

من هنا، برزت إشكالية عدم فعالية القانون، وعليه يتعين مواجهة هذه الإشكالية من خلال التصدي لأنماط السلوك المخالف للقانون من بعض الموظفين العموميين، وكذلك الأفراد - أياً كانت مواقعهم الاجتماعية أو الإدارية أو رجال الأعمال - لأن فعالية القانون تتم

1 رحمان بوزيان جمال، توري منير، الفساد الإداري في القطاع العام، (مجلة الاقتصاد الجديدة، العدد 14، المجلد 1/2016) ص 205.

من خلال التفاصيل والوقائع اليومية وليس من خلال الخطاب العام حول دولة القانون، أو الانتقائية في تطبيقه على بعض الوقائع والجرائم دون غيرها، باعتبارها قضايا تشغل الرأي العام دون سواها كقضية الاعتداء على القصر وغيرها، وتحويلها من مجال التناقضات الاجتماعية إلى مجال الحالات الانفرادية والمعزولة.

رابعاً: تكييف وتأهيل الأجهزة الرقابة

إعادة تأهيل الأجهزة الرقابية ليس بالخطوة السهلة على الإطلاق، غير أن امتلاك الشجاعة السياسية نحو إصلاح هذه الأجهزة وفق رؤية متكاملة وواضحة يمكنه أن يعطي نتائج مبهرة، وأهم ما يمكن اقتراحه في هذا المجال يتمثل في الآتي:

- ضرورة الحفاظ على استقلال السلطات القضائية، وتوزيع القوة بين السلطات الثلاث في مرونة وتوازن، تجعل الرقابة متبادلة، في إطار ضمان وتمكين استقلال السلطة القضائية، وبما يعظم حيادتها في نظر القضايا وإصدار الأحكام.

- إخضاع الوظائف الأمنية الحساسة للعمل في كنف مؤسسات قوية تضمن متابعة تطبيق القانون، ومصادر انتهاكه، سواء من الأفراد والمنظمات في كافة المجالات، في ظل عدم تعرض الأجهزة الأمنية للضغط الخارجي عند تطبيقها للقانون، أو إجراء التحريات، والقبض على المهتمين، أو جمع الأدلة، والتحقيقات الأولية في الجرائم. فرغم أن هذه الاستقلالية لا تزال تحتاج إلى مزيد من التأكيد من وجهة نظر الكثير من المختصين إلا أن احتوائها في الإطار المؤسسي يخفف من وطئت التدخلات في مهامها.¹

- أنظمة الرقابة الحديثة وتكنولوجية الاتصال باتت تعطي الأجهزة الأمنية والاستخباراتية في العالم قدرات واسعة في تتبع الأفراد، فرغم أن هذه الأجهزة الرقابية الرقمية أداة هامة في الكشف عن الجرائم، وانتهاك القانون، في ظل التقيد بقيوده وضمائنه في التطبيق، إلا أنها تشكل في بعض الأحيان قيوداً على الحريات العامة والفردية، وهو ما يطرح أسئلة حول التجاوزات التي تمارسها الأجهزة الأمنية والاستخباراتية عالمياً، خاصة في ظل برامج التجسس الرقمية على الهواتف ومواقع التواصل الاجتماعي.

- إعادة النظر الإصلاحية القانونية إلى الأنساق القانونية القائمة، من منظور الحريات العامة والشخصية، وأيضاً من زاوية فعالية هذه القوانين في ضبط السلوك الاجتماعي للمواطنين.

- إعادة النظر في المنظومة القانونية التي تقيد على مبدأ المساواة الدستورية، سواء بين الرجل والمرأة من منظور حقوق النوع (الجنس) أو بين الأديان والمذاهب وبعضها بعضاً، حتى يمكن تجسيد الحق في الاختلاف، وقبول الآخر المختلف آياً كان مع غيره من الأفراد داخل الوطن.

من هنا تشكل مواجهة مشاكل عدم فعالية القانون، وتوازن المصالح في انساقه مدخلاً رئيساً لدعم مبدأ الاختلاف والتعدد، وعدم التمييز إزاء الآخر المختلف، أياً كان في الديانة أو المذهب، أو العرق، والرأي واللون واللغة، والقومية، والمكانة الاجتماعية، على أساس احترام الاختلاف، والمختلف في المجالين العام والخاص.

خامساً: اعتماد برامج تعليمية تبث ثقافة التعايش. وهنا يمكن تسليط الضوء على نوعين من برامج التعليم وهما التعليم الرسمي (الحكومي والتعليم الخاص تحت إشراف حكومي) والتعليم الديني.

1 رحمان بوزيان جمال، نوري منير، مرجع سابق، ص 205.

أ. التعليم الرسمي (حكومي، خاص)

السياسة التعليمية تشكل أحد مداخل مواجهة ثقافة الكراهية للآخر آيا كان، سواء على مستوى الدين نفسه، أو المذهب، أو العرق، أو المنطقة، أو القبيلة أو العشيرة، أو الحزب السياسي، أو الجمعية الطوعية، أو داخل الأسرة... إلخ. فالتعليم ومقراراته الرسمية - في التعليم العام والخاص والجامعي والفني- يمكن أن يمثل أحد محركات ثقافة نبذ الآخر ورفضه، أو قبوله، وهنا تلعب الإدارة المدرسية، والعملية التعليمية والمدرسين، وأساتذة الجامعات. دورا محوريا في بث وزرع ثقافة التسامح.

حيث أن التعليم المؤسس على العقل النقدي، هو المدخل الأساس للقبول بالآخر في اختلافه الاجتماعي، والديني، والثقافي، والمذهبي، والعرقي، والنوعي- كجزء من الحياة والوجود داخل المجتمع، وخارجه كجزء من طبائع الحياة الإنسانية ذاتها، التي تتسم بالعدد، والاختلافات.

باعتبار أن الاختلاف هو جزء أساسي من النسيج المجتمعي سواء داخل الكيانات السياسية أو خارجها، ومن ثم فإن قبول الآخر المختلف هو جزء من الوجود الفردي، ومكمل للذات. من هنا، يستوجب تطوير المناهج الدراسية تجاه دراسة التنوع داخل المجتمع مهما بدا هذا التنوع غير متجانس، والحق في الاختلاف في أساليب التفكير ومناهجه، وأيضا في الآراء المختلفة، لكن في إطار منهجي يعتمد على المعلومات، والتحليل، والنقد، والتركيب، وليس الانطباعات المرسله، أو الأحكام القيمية المسبقة عن الآخر المختلف.

من هنا يطرح الكثير من المهتمين والمختصين في الدراسات الإنسانية ضرورة التبكير في إدخال الدراسات الفلسفية على الأطوار التعليمية الدنيا ثم تعميمها على جميع المعاهد والكليات دون استثناء عند بلوغ الطالب المراحل المتقدمة من التعليم وبخاصة في المعاهد ذات التخصصات العلمية أو ما يعرف بالعلوم البحتة.¹

حيث تظهر بعض الدراسات التي أجريت مؤخرا حول الالتحاق بالجامعات المسلحة، أن أكثر الأفراد انضماما إليها من الذين يحملون أفكارا دينية متطرفة كانوا في معظمهم خريجي معاهد وكليات علمية وتكنولوجية،² وقد خلصت تلك الدراسات أن جنوح هؤلاء إلى التطرف كان سببه الرئيس هو نوعية التعليم الذي يلقوه هؤلاء في مسارهم الجامعي، حيث أبانت نتائج البحث أن العملية التعليمية كانت تتمحور في جوهرها حول تقديم تعليم أكاديمي يركز في جميع مراحلها حول تلقين اليقينيات ويتعد في معظمه عن وجود آراء مختلفة حول قضية معينة، بعكس ما يتم تقديمه في الكليات والمعاهد ذات التوجه الفكري الإنساني أو ما يعرف بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، أين يتلقى الطالب عدة آراء ونظريات مختلفة لقضية أو مشكلة واحدة، تجعله يستنتج عدة حلول لمشكلة واحدة مما يخلق لديه تفكيرا متعددًا وليس أحادي التوجه.³

لذا تلح الدراسة على أن إصلاح العملية التعليمية من خلال تدعيمها بمادة علمية غنية المحتوى تسهم في بناء شخصية متوازنة، لا بد أن تشمل أقسام التعليم العلمي والتكنولوجي، والأدبي معا، وأيضا التفكير العلمي في المراحل المبكرة من حياة الطلاب.

1 ياسين بلال، معظم قادة الجهاديين من أصحاب التخصصات العلمية. 2016/04/23. <https://arabi21.com> تاريخ الصفح 2024/05/01.

2 ياسين بلال، معظم قادة الجهاديين من أصحاب التخصصات العلمية. 2016/04/23. <https://arabi21.com> تاريخ الصفح 2024/05/01.

3 نفس المرجع.

أما على صعيد بناء الجسور بين الأنا والآخر المختلف، لا بد أن يكون هناك منهج للقيم المشتركة بين الأديان، والمذاهب، السماوية، وغيرها مع ترك الخصوصيات العقائدية والمذهبية، ومدارسها الفقهية واللاهوتية إلى منهج دراسة كل دين. حيث أن تدريس القيم المشتركة، والجغرافيا الدينية الكونية، من الأهمية بمكان ليدرك الطلاب أن أديانهم، ومذاهبهم، هي جزء من الخريطة الكونية المتعددة التي تضم أديان ومذاهب سماوية ووضعية متعددة. ومنه لا بد أن يكون التعدد والاختلاف جزء رئيس من مناهج التعليم المقررة في كافة مراحل التعليم.

من ناحية أخرى، يجب التأكيد من عقد المنتقيات والمؤتمرات حول التمييز على أساس الاختلاف، على مستوى البحوث والمناقشات وإدارة المؤتمرات - حول ثقافة التعايش، والقبول بالآخر.

ب. التعليم الديني

ينتشر هذا النوع من التعليم عند معتنقي الديانات التوحيدية الثلاث (اليهود، المسيحيون، المسلمون) غير أنه أكثر انتشاراً في العالم العربي والإسلامي.

والواقع أن وضعية التعليم الديني ومناهجه في النظام التعليمي ككل، تحتاج إلى دراسات معمقة ومتعددة الاختصاصات، سواء على مستوى الخطابات التعليمية والمقررات، وبالنظر إلى مناهج دراسة الأديان من منظورات نقدية، واعتمادها على السرديات التاريخية الوضعية حول تدريس التربية الدينية للتلاميذ وللطلاب، والاستناد إلى الحفظ والتكرار. لا شك أن ذلك يؤدي إلى تحويل السرديات حول المقدس ومصادره إلى شبه مقدس من خلال المنهج والدرس الديني السائد، على نحو شكل عائناً ولا يزال إزاء التجديد والاجتهاد، والانفتاح العقلي لدى غالبية المدرسين، والطلاب، وأساتذة الجامعات الدينية، والدعاة والوعاظ، خاصة ما تعلق بالعالم العربي، حيث ساهم ولو بصورة غير مباشرة في تمدد الجماعات الدينية المتطرفة.

ومنه تنعكس ظاهرة الجمود الفقهي بين بعض الطلاب والمدرسين والأساتذة على عمليات التجنيد السياسي لهم في هذه الجماعات والمنظمات الدينية السياسية. حيث تظهر مجموعات دينية تسوق لفقها يعمل بالموازاة مع مقررات وزارات الأوقاف باعتبارها المقررات الرسمية للحكومات خاصة في العالم العربي والإسلامي، مما أدى إلى وظهور ما عرف بإسلام المعارضة الدينية، وفي الواقع لا تعتبر هذه الظاهرة حكراً على العالم العربي والإسلامي فقط، وإنما تظهر كذلك في بعض الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية لكنها بصورة أقل تطرفاً وحدة مما هي عليه في العالم العربي والإسلامي.

من هنا، توظف هذه الجماعات التعليم الديني في حالة التوترات، والعنف اللفظي، وبناء السياجات المغلقة، من أجل الهيمنة الرمزية على نظام الاعتقاد والقيم وموروث كل جماعة دينية وفقهية من منظور الجماعات ذات الإيديولوجيا الدينية السياسية.

وعليه تبدو عملية التجنيد في السياسة الدينية والتعليمية ضرورة ملحة، بحيث يتم دمج بعض المواد الثقافية، ودراسة الأديان الأخرى من منظورها، وليس فقط من المنظور المغلق للدين، أو المذهب إزاء الأديان والمذاهب الأخرى، غير أن هذا التوجه لا بد أن يتم

على نحو متدرج لكي لا يصطدم برفض رجال الدين وعلماء الشريعة، والجموع الغفيرة من المواطنين، التي يسيطر عليها مبدأ ناظم في الشريعة، وهو ما يعرف بأولوية (النقل لا العقل)، والمرويات الدينية الشعبية، لاسيما في الأرياف، والمناطق غير الحضرية المحافظة.¹ كذلك تبرز نقطة غاية في الأهمية وهي تحرير الإيمان من نوازع السياسة وتناقضاتها، وعنفا إزاء المعايير والسلطة والنخب الحاكمة، أو الحزب السياسي، حيث يؤدي هذا التحرير إلى حالة من نقاء الإيمان وتبريجه، وليس التوظيف البراغماتي، والمصلحي أو في السياسات المتغيرة، وتناقضاتها، والمصالح الاجتماعية المترتبة عليها. ويحرر الإيمان الفردي من المزايدات بين الأفراد بعضهم بعضاً، والحث والتحفيز على العمل المهادف، والمنتج فردياً وجماعياً، على نحو يؤدي إلى تفعيل وتسريع التنمية، والتطور التقني، والحث على التعليم وإحداثه، وإثراء المواهب والكفاءات ودعمها، وعدم إعاقتها لأنها تمثل أحد محركات التطور التقني والعلمي، والإنتاجي، والثقافي. كما يعمل التجديد الديني كذلك على تحرير معتقدات الأفراد وانتماءاتهم الدينية من الكواجح السياسية، ومعتقلات الضمير، من خلال رفض التوظيف البراغماتي، والمصلحي للدين والمذهب الغالب في السياسات المتغيرة، وتناقضاتها، والمصالح المشتركة في المجالين العام والخاص. وفي المحصلة لا يعني التجديد الديني التنكر لمكانته في مواجهة التحديات الكبرى حيث لا بد من التذكير دوماً بالدور لا يستهان به والذي لعبه الدين في دحر المستعمر، وقد لجأت إليه الحركات التحررية وجعلت منه الدعامة والسند الذي مكنتها من التصدي للقوى الاستعمارية وجحافل جيوشها.

سادساً: التنشئة والثقافة السياسية

الحاجة إلى الثقافة السياسية ضرورة ملحة لاسيما في مجتمعات العالم الثالث، والتي لا يزال بعضها في طور النمو، حيث تلعب دوراً توجيهياً، خاصة ما تعلق بالسياسة التنموية، كما تبرز مساهمة الثقافة السياسية في تحفيز الفكر الخلاق وإعلاء شأن العقل، والحرية، وروح المواطنة لدى الفرد، والتحفيز على العمل، والمسؤولية، والإرادة الحرة، والانخراط في الحياة العامة، والارتقاء بالذوق الفردي وجعله يتماهى مع روح الجماعة.

من هنا ينبغي على صنّاع القرار المساهمة أكثر في تنشئة الأفراد على ثقافة سياسية سليمة مع التركيز على ربط الثقافة السياسية بالتنمية - أياً كان النموذج التنموي السائد في هذا البلد أو ذلك - خاصة في ظل التناقضات بين الممارسات النيوليبرالية، والقيود المفروضة على التعددية السياسية والثقافية السياسية من قبل وفي أعقاب الانتفاضات العربية.² ويمكن لسياسة التنشئة والثقافة السياسية وفي إطار تكاملها مع الجمعيات الثقافية الطوعية - أن تسعى إلى تقريب وجهات النظر وبث ثقافة التعايش والتوافق بين الاطراف المختلفة، وإثراء الثقافة السياسية للحريات العامة والشخصية، والتركيز على الأطوار العمرية المختلفة، واحياء الثقافة التطوعية، من خلال اكتشاف ودعم المجتمع المدني، ونشاطاته المختلفة، لاسيما في المناطق الريفية، والنائية، وصهرها ضمن المجتمع بمكوناته المختلفة، داخل كل كيان سياسي ومجتمع.

1 حروب خالد، إصلاح التعليم الديني.. واستمرار الخراب. 2015/12/28. <https://al-sharq.com> / تاريخ النصف 2024/05/02.

2 بقصران هناء، دور شبكات التواصل الاجتماعي في الحراك السياسي العربي وتأثيره على الثقافة السياسية، (مجلة الآداب العلوم الاجتماعية)، جامعة سطيف2، المجلد 16، العدد 04، 2019. ص 41.

لا بد أن تُحدث الثقافة السياسية تلاحما وانفتاحا وتضامنا داخليا، ضمن الكيانات السياسية وعلى اختلافات وتنوع مكوناتها الثقافية في إطار القواسم المشتركة في داخل كل بلد، بين المناطق الحضرية الريفية.

حيث أن إحدى المشكلات التي تعترض عملية بث الثقافة السياسية في العالم الثالث بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة، هو أنها رهينة بعض التصورات البيروقراطية، وغالبا لا تفتح على الآخر المغاير ثقافيا، ودينيا، ومذهبيا، وعرقيا، ولغويا، ومن ثم يؤدي ذلك إلى انغلاق الأغلبية حول ذاتها وتاريخها وهويتها، حيث والمحصلة غالبا ما يركز خطاها السياسي والهوياتي السائد حول نظرة الأغلبية، على الرغم من تعدد وتحول بعض مكونات الهوية من مرحلة تاريخية لأخرى، بناء على التطورات الثقافية، والتكنولوجية، والاقتصادية، والسياسية، وأتماطه السائدة من حيث النقل أو الجمود.

من هنا تبدو أهمية إيلاء عناية خاصة بعملية التنشئة والثقافة السياسية المنفتحة على مسألة تعدد الهويات، وتعايشها، وتطورها في إطار قبول الاختلاف الهوياتي، والانتقال من صراعات الهوية، ومسألة الأنا والآخر التي تشغل حيز كبير في الصراع المجتمعي والصراع السياسي إلى سياسة التعايش الهوياتي، من منطلق المواطنة، والحق في الاختلاف، والمساواة بين المواطنين في الحقوق الحريات، والالتزامات العامة والفردية.

في هذا إطار تلح الثقافة السياسية على الانفتاح الثقافي وعلى التعدد داخل الكيانات السياسية، من خلال التبادل الثقافي وإبداعها الفنية والأدبية والشعرية، وفونها الشعبية كمدخل للفهم المتبادل، وبناء جسور مؤسسية مع ثقافات الآخر المختلف، دونما تحيز أو تمييز، وبعيدا عن مشاكل الطبقات السياسية الحاكمة، والتي تتغير، والمصالح الوطنية المتنافسية أو المتنازعة.

إن تبني ثقافة سياسية تعترف بالتعدد والخلاف تشكل أحد مقاربات فهم وتحليل السياسة والمجتمع في الكيانات السياسية، ومصادر القوة والثراء داخلها، وهو أمر مهم للسياسي، والمتقف، والبيروقراطي عند قمة أجهزة الدولة الرسمية، ويستطيع التعامل مع تعقيدات المشاهد والهياكل السياسية، في بنات ثقافية داخلية انقسامية في عمومها.¹

لا بد كذلك من التركيز على الانفتاح الثقافي على ثقافات العالم المختلفة في ظل تعقد عمليات التحول إلى الثورة الرقمية، والذكاء الصناعي. تذليل الفوارق بين الفكر المحلي على تعدده ومستوياته، وبين الفكر العالمي، من خلال سياسات التبادل المعرفي.

كما تعمل كذلك التنشئة والثقافة السياسية على تكوين الأفراد على المنهج النقدي، والنسبية، ورفض الأحكام والحقائق المطلقة في الظواهر التاريخية، والاجتماعية والثقافية، حيث تساعد وتيسر هذه العملية مسألة قبول الحق في الاختلاف، وقبول الآخر المختلف في الحياة، والفكر، والدين والعقائد والفكر السياسي، حيث يتدرب الفرد في مراحل التعليم المختلفة على المحاججة، والخلاف، والموضوعية في حدها الأدنى، ويساهم في رفض التطرف والعصبية وثقافة الكراهية.

سابعاً: دعم النشاطات الرياضية لمكافحة التطرف

يقول فوكو ياما أنه لا يوجد في عصرنا الحالي ما هو أقوى من الرياضة لتهذيب (التي موس) عند البشر، فحب الأفراد وتطلعهم لإثبات ذواتهم والتنفيس عن المكبوتات التي يخفونها، والتي كان التعبير عنها قديما يجري من خلال المصارعة واستعراض القوة أو عروض

1 فيصران هناع، مرجع سابق، ص 43.

المبارزة في الحروب والتي تصل إلى حد سفك دماء الخصم دون مبالاة، إثباتا للذات وتميزها، تم استبداله في عصرنا الحالي بعد التطور الحضاري الذي شهدته البشرية بالمنافسات الرياضية التي أبقّت على روح (التيوموس) عالية، دون المساس بإحدى الحقوق الطبيعية للإنسان ألا وهي الحق في الحياة.¹

إن فهم كيفية مساهمة الرياضة في الوقاية من التطرف يتطلب إدراكا أفضل لتسخير الرياضة لأغراض التنمية والسلام، فالتركيز على التنمية الرياضية التي تبنى على المشاركة الرياضية والأداء الرياضي، هي في الظاهر تبدو تخدم الفرد أكثر، غير أن الناتج الذي يصدر عن الرياضة، يخدم كثيرا التغيير الاجتماعي والاقتصادي، وفيما يلي نحاول استعراض مساهمة الرياضة في الوقاية من التطرف في النقاط التالية:

- تستهدف الرياضة الوصول إلى أكبر عدد ممكن من السكان باعتبار الرياضة نشاطا اجتماعيا.
 - تستهدف الرياضة وتركز على الفئات المحرومة خاصة عند ممارسة الرياضات الشعبية
 - تستهدف الرياضة توسيع القاعدة الشعبية التي تنطلق من المجموعات المحلية لتصل إلى مجموعات خارجية حيث تخلق الرياضة روابط متينة بين الشعوب.
 - تستهدف الرياضة تمكين الفرد من اغتنام الفرص لتكوين أفكار ووجهات نظر إيجابية تحظى بتأييد الجماعة.
 - تستهدف الرياضة تعزيز التعاطف والتسامح بين المشاركين من خلال إتاحة الفرص للاستماع إلى وجهات النظر والأفكار المختلفة من أعضاء المجموعة.
 - تستهدف الرياضة وتساهم في إيجاد وخلق واقع إيجابي جديد يحمي الفرد من العزلة والتطرف.
 - تستهدف الرياضة وتزيد من الفرص المتاحة للشباب لتوسيع شبكاتهم الاجتماعية ضمن فضاء آمن ومزدهر.
- وقد أشادت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها (170/74) بشأن إدماج الرياضة في استراتيجيات منع الجريمة والعدالة الجنائية المتعلقة بالشباب بالطابع المتكامل بين جهود المبدولة من أجل منع الجريمة لدى الشباب.² وألحت على ضرورة تسخير الرياضة لأغراض التنمية والسلام، ودعت الجمعية العامة الدول الأعضاء وهيئات منظمة الأمم المتحدة وسائر الجمعيات إلى استخدام الرياضة كأداة لتعزيز السلام والحوار والعدالة، وهكذا تسعى هذه المنظمة إلى التركيز على الوقاية من التطرف والتطرف العنيف باستخدام الرياضة على مستوى القاعدة الشعبية والرياضة المجتمعية باعتبارها إحدى أهم الوسائل لاجتذاب الشباب وتوجيهه نحو الانخراط في نشاطات مفيدة وبعيدة عن المخاطر الكبرى التي تترصد لهم.

5. الخاتمة:

1 فوكو باما فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (ترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم رضا الشابي) بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993. ص 143.

2 الوقاية من التطرف العنيف من خلال الرياضة. دليل تقني، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) سلسلة كتيبات العدالة الجنائية 2020، ص 18.

من خلال ما تم تناوله في هذا المقال حول الأسباب والعوامل المساعدة على انتشار ظاهرة التطرف، ومن خلال كذلك استعراض الأنواع المختلفة والأشكال المتعددة لهذه الظاهرة، والآليات المساعدة على التخفيف من وطأة انعكاساتها على المجتمع والكيانات السياسية، توصلنا إلى عدة نتائج جاءت كالآتي:

- عند شرونا في التعريف بمصطلح التطرف، ظهرت لنا عدة تعريفات متنوعة ومختلفة ما يعني تعدد الحقول المعرفية والدراسات الأكاديمية التي حاولت كل منها إعطائنا تفسيراً يناسب ويوافق رؤية وتخصص الباحثين والمهتمين بمسألة التطرف، بناء على الخلفية المعرفية لكل واحد منهم.

- أبانت الدراسة كذلك على أن أسباب التطرف متعددة ومتنوعة ومتداخلة إلى أبعد الحدود، فمنها ما هو مرتبط بالبيئة الحاضنة ومنها ما هو مرتبط بالعوامل الوجدانية، مما يوحي بتعدد الظاهرة وتشعب مسارها، الشيء الذي يجعل من الصعوبة بمكان التنبؤ بجميع مخرجاتها والدواعي النفسية والاجتماعية المؤدية إلى تفشيها.

- عند استعراض أنواع وأشكال التطرف نجد أن الظاهرة تنتشر على مساحة واسعة وتشمل عديد المكونات والفئات المجتمعية وتتغلغل في كثير من المجالات، مما يشير إلى كونها آفة يصعب حصرها في مجال معين.

- آليات ووسائل مكافحة التطرف تبدو كذلك متعددة ومتنوعة تشمل عدة مستويات، لكن أنجعها على الإطلاق هي تلك الآليات والوسائل المرتبطة ببث الوعي العام في الأفراد والتي تتصل أساساً بالعملية التعليمية الواعية بضرورة زرع ثقافة التعايش واحترام الآخر المختلف.

قائمة المراجع:

الكتب:

- أبو رمان أحمد، موسى شتيوي، سيوسولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن. عمان: دراسة ميدانية. مركز الدراسات الاستراتيجية. 2018.
- الوقاية من التطرف من خلال الرياضة. دليل تقني، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) سلسلة كتيبات العدالة الجنائية 2020.
- المستكاوي طه أحمد، العلاقة بين التطرف والاعتدال في الاتجاهات الدينية وبعض سمات الشخصية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، 1982.
- جيدنيز أنطونيو، عالم جامح، كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، (ترجمة: عباس كاظم، وحسن ناظم) بيروت: المركز الثقافي العربي الأولي 2003.

- فوكو ياما فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (ترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم رضا الشابي) بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993.

- رمضان حسن محسن، تشريح الفكر السلفي المتطرف، ط1، دمشق: دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.
- رائد محمد حمزة، مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية. 2012، جمهورية مصر العربية وزارة الداخلية :
- زولويتا كيماانا، فولشر وآسانغا ويليكاالا، الدساتير دون الوطنية في البلدان المهشة. المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات. 2021.
المجلات:

- بوزيان جمال رحمان، نوري منير، الفساد الإداري في القطاع العام، (مجلة الاقتصاد الجديدة) العدد 14، المجلد 1/2016.
- قيصران هناء، دور شبكات التواصل الاجتماعي في الحراك السياسي العربي وتأثيره على الثقافة السياسية، (مجلة الآداب العلوم الاجتماعية)، جامعة سطيف2، المجلد 16، العدد 04، 2019. ص 43.
الدراسات غير المنشورة:

- أبو دواية، الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر. 2012، (رسالة ماجستير)، كلية التربية (فلسطين، غزة).

المواقع الإلكترونية:

- إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية المفوضية السامية لحقوق الإنسان والشعوب الأصلية. 2007/11/13.
[/https://www.ohchr.org](https://www.ohchr.org)
- الحيدر فايز، سايكولوجية الفكر القومي العربي اتجاه الأقليات. 2009/05/21. <https://www.ahewar.org>
- السباعي أحمد، ظلم "الأنظمة السياسية" خلق العنف والتطرف بالمنطقة. 2015/04/19. <https://www.aljazeera.net>
- النائلي نبراس، أسباب التطرف الديني وبواعثه في المجتمع العراقي. 2017 /04/24. <https://annabaa.org>
- بلفقيه عبد الحق، الدستور والسياسي.. أيهما يحكم الآخر. 2021/10/07. www.aljazeera.net
- بلال ياسين، معظم قادة الجهاديين من أصحاب التخصصات العلمية. 2016/04/23. <https://arabi21.com>
- بن الطيب الجيلالي، مفهوم التطرف وعلاقته بالإرهاب. 01 أكتوبر 2016. <https://www.crsic.dz>
- يحيى أسامة، تعريف التطرف الديني لغة واصطلاحاً. 17 نوفمبر 2022. <https://mawdoo3.com>
- عباس صالح عباس، التطرف الإثني في إثيوبيا...مخاطر البلقنة والصراع العرقي تحدى بالجمهورية. 2019/11/25.
<https://www.alaraby.co.uk>
- عبد الفتاح نبيل، ثقافة قبول الآخر المختلف، والحق في الاختلاف: الثقافة المضادة والتحويلات والإعاقات النبوية في عالم متحول.
مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. <https://acpss.ahram.org.eg>
- حروب خالد، إصلاح التعليم الديني.. واستمرار الخراب. 2015/12/28. <https://al-sharq.com>

الدبلوماسية الشعبية للصين: الأهداف والفواعل والأدوات

م.م. أحمد عقيل عبد - كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية - العراق

المستخلص:

تتناول الدراسة الدبلوماسية الشعبية للصين عبر استعراض الأهداف التي تسعى الصين إلى تحقيقها في الوقت الراهن من خلال أتباع الدبلوماسية الشعبية إلى جانب دبلوماسيتها التقليدية, وكذلك عبر استعراض بدايات نشوء ممارسة الدبلوماسية الشعبية الصينية ومن ثم تطورها عبر تاريخ الصين, علاوة على البحث في المؤسسات والجهات الفاعلة في الدبلوماسية الشعبية للصين, والوسائل التي يتم عبرها الإتصال بالشعوب الأجنبية وتنفيذ برامج الدبلوماسية الشعبية.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الشعبية, الصين, الجهات الفاعلة, الشعوب الأجنبية.

Abstract:

The study deals with the public diplomacy of China by reviewing the goals that China seeks to achieve at the present time through the followers of public diplomacy in addition to its traditional diplomacy, as well as by reviewing the beginnings of the emergence of the practice of Chinese public diplomacy and then its development throughout the history of China, in addition to researching the institutions and actors in public diplomacy of China, and the means by which foreign peoples are contacted and the programs of public diplomacy are implemented.

Keywords: public diplomacy, China, actors, foreign peoples.

المقدمة:

أدى صعود الصين الإقتصادي ومزاحمتها للولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأخيرة إلى إثارة مخاوف ومشاعر سلبية تجاه الصين في الخارج, مما تسبب بسوء فهم عالمي لسياسات الصين تجاه العديد من القضايا الدولية, وتمثلت تلك المخاوف في مناقشة التهديد الذي يشكله صعود الصين والذي إنطلق من الدوائر الأكاديمية فضلاً عن مراكز صنع السياسة الأمريكية لينتشر في جميع أنحاء العالم ولا يزال قائماً حتى اليوم, وعليه سعت الصين إلى تبني الدبلوماسية الشعبية إلى جانب دبلوماسيتها التقليدية بغرض معالجة تلك المخاوف التي أثارها صعودها المستمر.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الدبلوماسية الشعبية للصين وذلك من خلال استعراض أهدافها, والجهات الفاعلة التي تمارسها, والأدوات التي تنفذ بواسطتها.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة أهداف الدبلوماسية الشعبية للصين, وتحديد الجهات الفاعلة التي تقوم بتنفيذها, فضلاً عن الأدوات التي تعتمد عليها الدبلوماسية الشعبية للصين في إيصال رسائلها.

إشكالية البحث:

تبنت الصين في السنوات الأخيرة دبلوماسية شعبية نشطة مما يثير تساؤل مفاده: ما هي الأهداف التي تسعى الصين إلى تحقيقها عبر الدبلوماسية الشعبية وما هي الجهات الفاعلة والأدوات التي تعتمد عليها؟

فرضية البحث:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الصين تبنت دبلوماسية شعبية إلى جانب دبلوماسيتها التقليدية من أجل تهدئة المخاوف التي يثيرها صعودها المستمر، وأن للدبلوماسية الشعبية الصينية مجموعة واسعة ومتنوعة من الجهات الفاعلة والأدوات التي تنفذها.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على (المهج التحليلي) فضلاً عن (المنهج الوصفي) في دراسة موضوع البحث.

هيكلية البحث:

تم تقسيم البحث إلى ثلاث مطالب رئيسية: الأول هو (أهداف الدبلوماسية الشعبية للصين)، والثاني (فواعل الدبلوماسية الشعبية للصين)، أما الثالث فهو (ادوات الدبلوماسية الشعبية للصين).

– المطلب الأول: أهداف الدبلوماسية الشعبية للصين

أدى تفوق الصين على اليابان في العام (2010) كثنائي أكبر إقتصاد في العالم⁽¹⁾ بعد الولايات المتحدة إلى إثارة مخاوف ومشاعر سلبية تجاه الصين في الخارج، مما تسبب بسوء فهم علمي لسياسات الصين تجاه العديد من القضايا⁽¹⁾، وتمثلت تلك المخاوف في مناقشة التهديد الذي يشكله صعود الصين والذي إنطلق من الدوائر الأكاديمية فضلاً عن مراكز صنع السياسة الأمريكية لينتشر في جميع أنحاء العالم ولا يزال قائماً حتى اليوم⁽²⁾، ولم يغفل قادة الصين عن تزايد القلق العالمي حيال النمو الإقتصادي الهائل بلدهم، إذ أصبحت إدارة الصورة العالمية للصين ذات أهمية متزايدة لا سيما في عهد الرئيس (شي جين بينغ) (Xi Jinping)، وإحدى تجليات ذلك، تمثلت في عقد (منتدى 2011 للدبلوماسية الشعبية والاجتماع الرابع للدبلوماسيين) في السابع من أيلول عام (2011) بجامعة بكين للدراسات الخارجية، والذي حضره أكثر من (100) باحث من جميع مناحي المجتمع الصيني بما في ذلك المؤسسات الحكومية والكلليات والشركات و وسائل الإعلام، وركزت موضوعات المنتدى على فرص وتحديات الدبلوماسية الشعبية للصين، وقد أشار خلال انعقاد المنتدى نائب مدير مكتب الشؤون

(¹) تتوقع الدراسات أن الصين ستتفوق على الولايات المتحدة كأكبر إقتصاد في العالم بحلول عام (2030). ينظر:

According to Ingrid d'Hooghe, China's Public Diplomacy (Netherlands: Koninklijke Brill, 2015), p 67.

(¹) Mo Jinwei and Zhou Qingan, " How 21st-Century China Sees Public Diplomacy As a Path to Soft Power", Global Asia, Vol.7 No.3, (Seoul: 2012), date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.globalasia.org/v7no3/cover/how-21st-century-china-sees-public-diplomacy-as-a-path-to-soft-power-mo-jinweizhou-qingan>

(²) Xiaoling Zhang, "China's International Broadcasting: A Case Study of CCTV International", in: Jian Wang, Soft Power in China Public Diplomacy through Communication (United States: St. Martin's Press, 2011), p 68.

الخارجية باللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني (تشيو يوان بينغ) إلى الدبلوماسية الشعبية لبلاده بالقول: "وسط صعود لافت لقوتها الوطنية، قفزت الصين لتكون ثاني أكبر دولة من حيث الإنتاج الاقتصادي في العالم، ويراقب المجتمع الدولي الصين عن كثب ويناقش المسائل المتعلقة بها على نطاق واسع... وفي مثل هذه البيئة الدولية، يجب على الصين أن تشرح نمط نموها، واستراتيجيتها التنموية طويلة المدى، ومفاهيمها التنموية لتهدة المخاوف التي يديها المتشككون في العالم، علاوة على الاندماج بشكل أفضل مع العالم وتعزيز الصورة الجيدة"⁽¹⁾. وبناءً على ما تقدم، يمكن القول أن الدبلوماسية الشعبية للصين موجهة لتحقيق الأهداف والغايات الاقتصادية، كما أنها تهتم بأي مشاكل سياسية أو صورية تتعلق بسمعة الصين والتي قد تعيق نموها الاقتصادي⁽²⁾، ويمكن تحديد الأهداف التي تسعى الدبلوماسية الشعبية الصينية إلى تحقيقها فيما يلي⁽³⁾:

أولاً: إعلام الشعوب الأجنبية بأن الصين تسعى إلى أن تصبح قوة عالمية سلمية وذلك عن طريق التنمية الاقتصادية والتحديث وكسب القبول العالمي لقوة الصين.

ثانياً: التأثير على الشعوب الأجنبية بغرض تشجيعها على استهلاك البضائع الصينية، والسياحة والاستثمار في الصين فضلاً عن تعزيز التجارة لتنمية الاقتصاد الصيني.

ثالثاً: مواجهة التصورات السلبية العالمية حول نوايا الصين الدولية من خلال دحض تصورات "التهديد الصيني" وإظهار الصين كجهة فاعلة دولية حديرة بالثقة ومسؤولة.

رابعاً: تثقيف الجماهير الأجنبية حول الصين عبر الدبلوماسية الثقافية التي تعرض تاريخ الصين وشعبها وفنونها.

خامساً: إظهار صورة إيجابية لبيئة الصين الداخلية عبر تسليط الضوء على مجتمع الصين المتنامي وذلك بغرض تحسين الإدراك والشرعية الدولية للحزب الشيوعي الصيني الحاكم.

ومما لا شك فيه، إن الصين تواجه عدة عقبات في طريقها إلى تحقيق تلك الأهداف، مما يشكل تحدياً للدبلوماسية الشعبية الصينية، وتمثل تلك التحديات في افتقار الصين إلى بعض مصادر القوة الناعمة مثل الحقوق السياسية والقيم الديمقراطية والنموذج السياسي الجذاب، ومن ثم يشكل ذلك عقبة في طريق ممارستها لدبلوماسية شعبية فعالة في العالم الغربي والدول الديمقراطية في المناطق الأخرى، كما أن افتقار الصين إلى الشفافية وحرية المعلومات، يثير شكوك الجماهير حول طبيعة رسائلها والمعلومات التي تتضمنها، ومن ثم قد ينظر الجمهور إلى رسائل الدبلوماسية الشعبية على أنها دعاية، ومن جانب آخر، يؤدي الافتقار إلى حرية الصحافة وانعدام حرية التعبير إلى خنق النقاشات العامة

(¹) According to: Public diplomacy to improve China's image in the world, People's Daily Online, 19 September 2011, date of visit 16 June 2021, on the Website: <http://en.people.cn/90882/7599052.html>

(²) Greg Simons, "Taking the new public diplomacy online Russia and China", Place Branding and Public Diplomacy (London: Macmillan Publishers, 2015), p 8.

(³) Michael A. Barry, "Understanding the drivers of Chinese public diplomacy in the information environment", Master's Thesis, Unpublished, Naval Postgraduate School, The United States of America, 2016, p 19.

وتقويض مصداقية وسائل الإعلام، كما يسهم توحيد الرسائل الإعلامية الرسمية والحظر المفروض على مواقع التواصل الاجتماعي العالمية في زيادة شك الجمهور تجاه الدبلوماسية الشعبية للصين⁽¹⁾.

- المطلب الثاني: فواعل الدبلوماسية الشعبية الصينية

منذ أوائل التسعينيات فصاعداً، شاركت مجموعة متزايدة ومتنوعة من الجهات الفاعلة في الدبلوماسية الشعبية للصين، وتذهب (Ingrid d'Hooghe) الباحثة في الدبلوماسية الصينية بجامعة (Leiden) إلى تقسيم الجهات الفاعلة في الدبلوماسية الشعبية الصينية إلى قسمين رئيسيين، يمكن تحديدها فيما يلي⁽²⁾:

أولاً: الجهات الفاعلة الحكومية

1- المكتب الإعلامي لمجلس الدولة

أدى المكتب الإعلامي لمجلس الدولة منذ إنشائه في عام (1991) دوراً أساسياً في الدبلوماسية الشعبية الصينية، إذ تولى مسؤولية تطوير المبادئ التوجيهية وأدوات الدبلوماسية الشعبية، ومراقبة وسائل الإعلام الأجنبية، وتوجيه ومراقبة وسائل الإعلام المحلية بما في ذلك الإنترنت، ومن الجدير بالذكر أن المكتب الإعلامي لمجلس الدولة يتداخل في عمله مع (مكتب الدعاية الخارجية للحزب الشيوعي الصيني) إذ أن التقسيم الدقيق للعمل والتفويض بين المكتبين غير معروف، كما أن لكليهما دوراً رئيسياً في تطوير أنشطة الدبلوماسية الشعبية الصينية وأخذ القرارات بشأنها.

2- وزارة الخارجية الصينية

تعد وزارة الخارجية في معظم دول العالم أهم فاعل في الدبلوماسية الشعبية، أما في الصين فتم تخصيص الأدوار الرئيسة في تطوير أنشطة الدبلوماسية الشعبية وأخذ القرار بشأنها للمكتب الإعلامي لمجلس الدولة ومكتب الدعاية الخارجية، ومع ذلك تعد وزارة الخارجية الصينية فاعلاً مهماً في الدبلوماسية الشعبية للصين، إذ تتولى مسؤولية التخطيط العام والتنسيق مع الوزارات والهيئات الحكومية والمجموعات الإعلامية، وتقديم التوجيهات للسفارات والقنصليات الصينية، وتنظيم برامج الزوار الدوليين للدبلوماسيين الأجانب والعاملين في مجال الإعلام وقادة الرأي، بغرض تعريف وشرح سياسات الصين لهم، ومن الجدير بالذكر، أن نشاطات وزارة الخارجية الصينية في مجال الدبلوماسية الشعبية قد توسعت ابتداءً من عام (1998)، فجندها خلال هذا العام قد قامت بإنشاء موقعاً إلكترونياً خاصاً بها، وتم تضمين ميزات تفاعلية فيه مثل خاصية (قابل الدبلوماسيين على الإنترنت)، كما قامت في عام (2002) بإنشاء أو مركز إعلامي لها (المركز الصحفي الدولي) لتسهيل العلاقات مع الصحافة الدولية والتعامل مع الأمور الإدارية المتعلقة بالمراسلين الأجانب في الصين، علاوة على تنظيم المؤتمرات الصحفية، وفي عام (2003) قامت بإنشاء (قسم الدبلوماسية الشعبية) داخل إدارة المعلومات في وزارة الخارجية⁽³⁾، ومع نمو القسم وتزايد

(1) Ingrid d'Hooghe, Op. Cit., p 41.

(2) Ingrid d'Hooghe, China's Public Diplomacy (Netherlands: Koninklijke Brill, 2015), p-p 132- 162.

(3) Kejin Zhao, " China's Rise and its Discursive Power Strategy", Op. Cit.

أهميته، تمت ترقيته في عام (2009) إلى (مكتب الدبلوماسية الشعبية) الذي تولى مسؤولية التخطيط الشامل والتنسيق والتوجيه لجميع أنشطة الدبلوماسية الشعبية لوزارة الخارجية الصينية.

3- السفارات والبعثات الصينية في الخارج

تؤدي السفارات والبعثات دوراً مهماً في الدبلوماسية الشعبية للصين، وذلك من خلال تدريب الدبلوماسيين على ممارسة الدبلوماسية الشعبية، وتشجيعهم على إبراز صورتهم في البلد الذي يخدمون فيه عبر مخاطبة المجتمع المحلي والتفاعل معه، ومن الأمثلة المبكرة على ذلك، السفارة الصينية السابقة السيدة (شوا هانكين) التي قامت بعد وقت قصير من وصولها إلى (لاهاي) في عام (2003) بإجراء العديد من المقابلات مع الصحافة الهولندية، علاوة على ذلك، قامت بكتابة يوميات لمدة أسبوع في إحدى الصحف الهولندية الكبرى، ونتيجة لذلك ولأول مرة أصبح السفير الصيني لدى هولندا معروفاً لدى جمهور أوسع من المجتمع الدبلوماسي، ومما تجدر الإشارة إليه، أن السفارات الصينية قد قامت بتطوير استراتيجيات دبلوماسية شعبية تناسب المجتمع المحلي في البلدان المضيفة، كما أن مهامها باتت تتضمن خلق مشاعر ودية مع عامة الناس، وذلك عبر القاء الخطب والمحاضرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات، وتنظيم أو دعم الأحداث الثقافية الصينية.

4- وزارة الدفاع الوطني وجيش التحرير الشعبي

تسعى وزارة الدفاع الوطني الصينية ضمن دورها في الدبلوماسية الشعبية للصين إلى ترسيخ صورة لجيش التحرير الشعبي كقوة عسكرية قادرة ومسؤولة في ذات الوقت، ولمواجهة المخاوف والانتقادات بانعدام الشفافية، إنشأت وزارة الدفاع الوطني في عام (2008) مكتباً إعلامياً، وبدأت في تنظيم مؤتمرات صحفية عرضية حول موضوعات إيجابية، مثل عمليات المرافقة البحرية والإنقاذ الإنسانية الدولية التي يقوم بها جيش التحرير الشعبي الصيني، كما سمحت لوسائل الإعلام المحلية والأجنبية بزيارة الوحدات القتالية وإجراء المقابلات وتوفير المعلومات عبر موقعها الإلكتروني ومركز الأبحاث التابع لها، وهو (المعهد الصيني للدراسات الاستراتيجية الدولية)، وتشمل الأنشطة الأخرى ذات البعد الدبلوماسي الشعبي، الخدمة الطبية والإنسانية التي تقدمها (سفينة السلام) التابعة لجيش التحرير الشعبي، وهي مستشفى عسكرية صينية عائمة، تم تكليفها في عام (2008) بالقيام بالمهام الإنسانية الدولية، إذ قامت بمعالجة أكثر من (180) ألف مريض حول العالم، وذلك عبر تقديم الرعاية الطبية التي تشتد إليها الحاجة للناس في جميع أنحاء العالم مجاناً، ويمكن القول أن هذه السفينة تعمل كسفير لتعزيز الصداقة مع البلدان، وتهدف إلى أظهار صورة جيش التحرير الشعبية المسؤول والودي مع جميع الشعوب⁽¹⁾.

5- الوزارات الصينية الأخرى

تسهم العديد من الوزارات في الدبلوماسية الشعبية للصين، وذلك من خلال العمل على تنسيق المبادرات مع وزارة الخارجية، وكذلك من خلال العدد المتزايد من الملحقين في السفارات الصينية، إذ نجد أن وزارة التجارة الصينية تشارك بشكل وثيق مع وزارة الخارجية

(¹) Zeng Ziyi and Lan Haowei, A look at China's 'floating hospital' Peace Ark, CGTN, 19 April 2019, date of visit 16 June 2021, on the Website: <https://news.cgtn.com/news/3d3d414d7941544d34457a6333566d54/index.html>

في شرح سياسات الصين الاقتصادية واستثماراتها في العالم، سيما وأن هناك مخاوف وقلق في الدول الغربية تجاه الاستثمارات الصينية، كما تشرف وزارة التجارة أيضاً على أداة مهمة من أدوات الدبلوماسية الشعبية للصين، وهي المساعدات الخارجية، وتسهم كذلك وزارة الثقافة في الدبلوماسية الشعبية، إذ لديها أسهامات تتعلق في تعزيز وتنظيم مشاريع التعاون الثقافي الدولي المتبادل بين الصين ودول ومناطق ومنظمات دولية عدة، كما أنها تشرف على (11) مركزاً ثقافياً حول العالم، ولديها مستشارين ثقافيين في عدد كبير من السفارات الصينية، والوزارة الأخرى هي وزارة التعليم التي يتمثل دورها في السعي إلى تدويل النظام التعليمي في الصين عبر تبادل الطلاب واتفاقيات التعاون ومعاهد كونفوشيوس التابعة لها.

6- قادة الصين

يسعى قادة الصين إلى الترويج لصورة جيدة وفهم صحيح لبلدهم خلال زيارتهم الخارجية وفي الاجتماعات الدولية، وقد أدى الرئيس السابق (هو جينتاو) ورئيس مجلس الدولة السابق (وين جيا باو) خلال مدة توليهم مناصبهم أدواراً مهمة في الدبلوماسية الشعبية للصين عبر مخاطبة الشعوب في البلدان التي يزورونها، كما يبرز دور الرئيس الحالي (شي جين بينغ) في الدبلوماسية الشعبية لبلده، إذ يكرس الكثير من الاهتمام بالشعوب الأجنبية، فعلى سبيل المثال، قام الرئيس (شي جين بينغ) في عام (2012) بتضمين اجتماع مع المواطنين الأمريكيين خلال زيارته لولاية (أيووا) الأمريكية حيث كان يقيم عندما كان يدرس في عام (1985)، كما زار (لوس أنجلوس) وألتقا بطلبة المدارس الثانوية، ومما تجدر الإشارة إليه، أن قادة الصين كثيراً ما يؤكدون في خطاباتهم السياسية على العلاقة الوثيقة بين الصين والدول النامية، وذلك عبر الإشارة إلى أن الصين ليس لها ماضي استعماري مع تلك الدول، فعلى العكس من الدول الغربية التي "استعمرت" خلال تاريخها الدول الأخرى وسلبت ثرواتها، فإن الصين لم تقم باستعمار أي دولة نامية، بل أنها أخذت على عاتقها قيادة العالم النامي على مدى عقود وعرفت نفسها كدولة نامية⁽¹⁾، ومن الأمثلة على ذلك، إجابة وزير الخارجية الصيني (Wang Yi) عن أسئلة حول العلاقة بين الصين والدول النامية عندما التقى بالصحافة مع وزير الخارجية الجزائري (رمطان العمامرة) بتاريخ 19 تموز (2021)، حيث قال: "عندما كانت الصين فقيرة ومتخلفة، شددت الصين حزامها لدعم الدول النامية الأخرى، واليوم ستقدم الصين التي تعمل على تسريع تنميتها، مساهمة أكبر في رفاهية البلدان النامية، ستظل الصين دائماً عضواً في معسكر الدول النامية، وتنفس الهواء نفسه وتتقاسم المصير المشترك مع الدول النامية"⁽²⁾، ومما لا شك فيه أن هذا الخطاب وغيره، يجسد الدبلوماسية الشعبية للصين.

7- الحزب الشيوعي الصيني

انضم الحزب الشيوعي الصيني في الأعوام الأخيرة إلى جهود تحسين صورة الصين، وذلك من خلال توسيع إتصالاته وعلاقاته الدولية مع الأحزاب السياسية التي وصل عددها إلى أكثر من (400) حزب سياسي في جميع أنحاء العالم، وإنشاء منتدى الأحزاب السياسية

⁽¹⁾ أندرو سكوبيل وعليرظا نادر، الصين في الشرق الأوسط التين الحذر (كاليفورنيا: مؤسسة راند البحثية، 2016)، ص 16.

⁽²⁾ Wang Yi: China Always Breathes the Same Air, and Shares Common Destiny with Developing Countries, Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, 20 July 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website:

https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1893948.shtml

رفيع المستوى مع الأحزاب السياسية الأمريكية، والقيادة الصينية البريطانية لمنتدى المستقبل، وتعد هذه المنتديات بشكل سنوي، وعلاوة على ذلك، قام الحزب الشيوعي الصيني بإنشاء مواقع إلكترونية تضم وثائق سياسية الخطب والأخبار بعدة لغات، كقنوات إتصالية وإعلامية مع الجماهير الأجنبية.

8- المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني

يعد المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني أعلى هيئة استشارية في الصين، إذ يبلغ عدد أعضائه أكثر من (2200) عضواً يتون جميعهم من مختلف مناحي المجتمع الصيني بما في ذلك مشاهير السينما والرياضة، ويؤدي المؤتمر دوراً متزايداً في الدبلوماسية الشعبية للصين، ويمكن تحديد دوره من خلال تقرير حول عمل المؤتمر المتعلق بالدبلوماسية الشعبية للمدة (2008-2013) والذي جاء فيه ما يلي: "لقد اتخذنا من الدبلوماسية النشطة هدفاً مهماً... أجرينا حوارات رفيعة المستوى مع دول أخرى عبر تبادل الزيارات، وأجرينا إتصالات معمقة مع المشاركين الأجانب في المؤتمرات الدولية التي عقدناها أو حضرناها، لقد استفدنا بالكامل من دورة الألعاب الأولمبية التاسعة والعشرين في بكين ومعرض شنغهاي والمؤتمرات الدولية حول الدبلوماسية الشعبية لتحقيق التبادلات الودية مع المنظمات ومراكز الفكر و وسائل الإعلام والشخصيات المؤثرة والناس العاديين في الدول الأجنبية، كما أطلقنا مجلة الدبلوماسية الشعبية الفصلية، وعملنا على إنشاء جمعيات للدبلوماسية الشعبية، وتكثيف البحث النظري حول الدبلوماسية الشعبية، وجعلها موضع التنفيذ فضلاً عن زيادة الوعي العام بها"، وتمثل مهام المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني في تقديم المشورة والاقتراحات بشأن القضايا التي تمم الجمهور للقائمين على برامج الدبلوماسية الشعبية، وأشراك أكبر عدد من أفراد المجتمع الصيني في هذه البرامج⁽¹⁾.

9- الحكومات المحلية

قامت الحكومة الصينية منذ عام (2010) في تشجيع الحكومات المحلية على المشاركة في الدبلوماسية الشعبية عبر فتح وتدويل المدن والمناطق الصينية لكي تصبح معروفة في الخارج بشكل أفضل، فضلاً عن تعزيز السياحة وتوسيع التعاون الدولي وجذب الاستثمارات والتكنولوجيا الأجنبية، وتتجسد ممارسات الدبلوماسية الشعبية للمدن الصينية في تنظيم واستضافة الأحداث الدولية، فعلى سبيل المثال، استضافت مدينة نانجينغ دورة ألعاب الشباب الآسيوية لعام (2013) ودورة الألعاب الأولمبية الصيفية للشباب في نانجينغ لعام (2014)، وكذلك تتجسد في مشاركة المدن الصينية بشكل متزايد في شبكات المدن الدولية كشبكة (المدن الإبداعية) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO)، ويتم تنفيذ أنشطة الدبلوماسية الشعبية كالتبادلات ودعم تصدير الثقافة في إطار علاقات مع أكثر من (1700) مدينة توأم أو شقيقة حول العالم، كما يتم تنفيذها من خلال جمعيات الدبلوماسية الشعبية التي يتم تأسيسها من قبل الحكومات المحلية، فعلى سبيل المثال، وقعت جمعية شنغهاي للدبلوماسية الشعبية في العام (2012) على اتفاقية تبادل وبث مقاطع فيديو لصور المدينة

(1) Charter of the Chinese People's Political Consultative Conference, the Chinese People's Political Consultative Conference, 3 July 2012, date of visit 16 June 2021, on the Website: <http://www.cppcc.gov.cn/zxww/2012/07/03/ART11341300912828101.shtml#>

مع ولاية هيوستن وشيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾, وبرز دور الحكومات المحلية في ظل جائحة كورونا, إذ قامت المدن الصينية بالتبرع بمواد طبية للمدن الشقيقة في أكثر من (50) دولة⁽²⁾.

ثانياً: الجهات الفاعلة غير الحكومية

بالإضافة إلى أجهزة الدولة, يساعد عدد متزايد من المجموعات في المجتمع الصيني في الدبلوماسية الشعبية, وبالرغم من أن هذه الجهات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحكومة الصينية أو تشرف عليها, إلا أن لديها مساحة أكبر للحركة من الجهات الرسمية التي سبق ذكرها, ويمكن تحديد الجهات الفاعلة غير الحكومية في الدبلوماسية الشعبية للصين فيما يلي:

1- منظمات دبلوماسية المواطن

يقصد بدبلوماسية المواطن انخراط المواطنين في الدبلوماسية كممثلين لبلدهم, ومن الأمثلة البارزة على دبلوماسية المواطن, هو (معهد الشعب الصيني للشؤون الخارجية) الذي يهدف إلى تعزيز الصداقة بين الشعوب, والسعي إلى السلام العالمي, والتنمية والتعاون, وذلك من خلال المبادرة بإقامة علاقات وإتصالات مع المشاهير, والدبلوماسيين, والناشطين الاجتماعيين, والبرلمانات, ورواد الأعمال, ووسائل الإعلام في أكثر من (120) دولة, علاوة على إنشاء أكثر من (20) آلية للحوار والتبادل الثنائي, ونشر مجلة باللغة الإنكليزية فصلية, وهي مجلة (الشؤون الخارجية)⁽³⁾, وكذلك نجد (جمعية الشعب الصيني للصداقة مع الدول الأجنبية) التي تعد فاعلاً في الدبلوماسية الشعبية للصين, ويتمثل دورها في تكوين الصداقات وتعزيز التفاهم المتبادل وبناء الثقة مع البلدان الأخرى نيابة عن الشعب الصيني, وذلك عبر إنشاء (46) منظمة صداقة, وإقامة علاقات تعاون مع ما يقرب من (413) منظمة غير حكومية في (157) دولة⁽⁴⁾, ومن الأمثلة الأخرى (الرابطة الصينية للتفاهم الدولي) التي تسعى إلى تعزيز التفاهم بين الأحزاب السياسية والمجتمع المدني من خلال الحوار والتبادل الدولي مع المنظمات الدولية غير الحكومية ومعاهد البحوث⁽⁵⁾, وفي ضوء ما تقدم, يمكن القول أن هذه المنظمات تعد جهات فاعلة في الدبلوماسية الشعبية الصينية, وتكمن أهمية دورها في تنفيذ مجموعة من التبادلات والحوارات الدولية التي تساعد على تحسين فهم العالم للصين.

2- الأكاديميون

(¹) Zhao Qizheng, How China communicates: public diplomacy in a global age (Beijing: Foreign Language Press, 2012) p-p 63–64.

(²) Foreign Ministry Spokesperson Hua Chunying's Regular Press Conference on March 31, 2020, date of visit 16 June 2021, on the Website:

https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/xwfw_665399/s2510_665401/t1764277.shtml

(³) About CPIFA, Chinese People's Institute of Foreign Affairs, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://www.cpifa.org/en/class/view?id=7>

(⁴) About us, Chinese People's Association for Friendship with Foreign Countries, date of visit 16 June 2021, on the Website:

https://cpaffc.org.cn/index/xiehui/xiehui_list/cate/12/lang/2.html

(⁵) Friendly Exchanges, Chinese Association for International Understanding, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://www.cafiu.org.cn/english/Column.asp?ColumnId=16>

يؤدي الأكاديميون في الجامعات الصينية دوراً مهماً في الدبلوماسية الشعبية، وذلك من خلال حضورهم المؤتمرات الدولية، والحديث أمام الجماهير الأجنبية، والكتابة في المجلات العالمية، علاوة على الاستشهاد بأرائهم وتحليلاتهم في الصحف الغربية الكبرى وأجراء المقابلات معهم، أما على الصعيد الداخلي، تسهم النخب الأكاديمية في صياغة وتطوير استراتيجيات الدبلوماسية الشعبية عبر تكليفهم من قبل الحكومة، بإجراء أبحاث حول قضايا محددة في الدبلوماسية الشعبية، كما يتم أحياناً تعيين أفضل الأكاديميين في الجامعات الصينية أو مراكز الفكر المرتبطة بالحكومة الصينية، مثل (معهد الصين للدراسات الدولية) و(المعهد الصيني للعلاقات الدولية المعاصرة) في السفارات الصينية لتقديم المشورة للسفراء واكتساب الخبرة الدبلوماسية.

3- المتطوعون والمشاهير

يقوم قسم العمل التطوعي للشباب في (رابطة الشبيبة الشيوعية) بإرسال المتطوعين الصينيين إلى الخارج، ومؤخراً بدأوا المتطوعين أيضاً بالمشاركة في برامج المنظمات الدولية، مثل برنامج الأمم المتحدة الأثمائي، والمؤسسة الخيرية التنموية الدولية للخدمات التطوعية في الخارج، ولدى الصين أيضاً برنامج طبي واسع وطويل الأمد في قارة أفريقيا، وهو (برنامج الفريق الطبي الصيني) الذي يقدم خدمات طبية متخصصة للسكان المحليين، ويتكون البرنامج من المتطوعين الذين تقوم بإرسالهم المقاطعات الصينية، إذ تتولى كل مقاطعة مسؤولية إرسال فريق طبي إلى دولة أفريقية واحدة أو أكثر⁽¹⁾، ويؤدي كذلك المشاهير من الأوساط الثقافية والرياضية دوراً في الدبلوماسية الشعبية للصين، فعلى سبيل المثال نذكر لاعب كرة السلة المحترف (Yao Ming) الذي كان بمثابة "سفير" صيني غير رسمي ولكنه مهم خلال مسيرته في الدوري الأمريكي في الولايات المتحدة، والذي أصبح في عام (2006) سفيراً للنوايا الحسنة لدى منظم حماية البيئة (وايلد آيد) (WildAid)⁽²⁾، وسفير الصين العالمي للأولمبياد الخاصة⁽³⁾، وسفير فخري لجمعية شنغهاي للدبلوماسية الشعبية، وكذلك تم اختيار عازف البيانو الشهير (لانغ لانغ) سفيراً رسمياً عالمياً في معرض شنغهاي الدولي في عام (2010)، وسفير النوايا الحسنة لمنظمة اليونيسيف، ويسهم هؤلاء المشاهير في تحسين صورة الصين.

4- الشركات

تحت الحكومة الصينية الشركات على نقل أعمالها الدعائية إلى ما هو أبعد من تحسين سمعة المؤسسة، أي المساهمة أيضاً في تحسين الصورة الدولية للصين وتعزيز قوتها الناعمة، وذلك من خلال الإلتزام بالقوانين المحلية في البلدان التي تعمل فيها، والمشاركة في مشاريع الرفاهية العامة، وتحسين تعاونها مع وسائل الإعلام الأجنبية، كما تقوم الحكومة الصينية بتنظيم ندوات ومنتديات للشركات حيث تتم مناقشة

(¹) Shu Chen and Others, Chinese medical teams in Africa: a flagship program facing formidable challenges, National Center for Biotechnology Information, 28 February 2019, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC6394880/>

(²) Ambassadors, WildAid, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://wildaid.org/about/ambassadors/>

(³) Yao Ming Global Ambassador, Special Olympics, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.specialolympics.org/about/ambassadors/yao-ming?locale=en>

الدبلوماسية الشعبية للصين، وتشجع رجال الأعمال على دعم الأحداث الثقافية والفعاليات التي تسهم في تعزيز ممارسة الدبلوماسية الشعبية، وبرز دور الشركات الصينية في ممارسة الدبلوماسية الشعبية خلال جائحة فيروس كورونا (Covid-19)، إذ انخرطت أهم الشركات الصينية كشركة (علي بابا) (Alibaba) وشركة (جاك ما) (Jack Ma) في تقديم المساعدات الطبية إلى فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وبلجيكا وأوكرانيا وإيران والعراق وكوريا الجنوبية واليابان ودول أخرى، وقدمت إلى الدول الإفريقية (1000) قناع واقى للوجه وبدلات طبية، و(100,000) كممامة و(20,000) جهاز اختبار، وترعت شركة (Jack Ma) بمليون كممامة و (500,000) جهاز فحص للولايات المتحدة⁽¹⁾ وكذلك شركات الهواتف الصينية كشركة (Huawei) التي قدمت أجهزة اختبار واقعة طبية إلى إيطاليا وإسبانيا وبولندا وجمهورية التشيك وهولندا، كما قامت كل من شركة (Oppo) وشركة (Xiaomi) للهواتف الذكية، بتقديم الاقنعة الطبية إلى العديد من الدول الأوروبية⁽²⁾.

5- الشتات

يوجد أكثر من (50) مليون صيني مغترب في أكثر من (130) دولة (2012)⁽³⁾، وهم يتألفون من مواطنين صينيين يعيشون في الخارج ومواطنين أجانب من أصل صيني، ويعد هؤلاء المغتربون أهداف وفاعلون في الدبلوماسية الشعبية للصين، إذ تسعى الصين إلى إبقاء شتاتها إلى جانبها دائماً وتشجعهم على الاستثمار فيها، كما أنهم يؤدون دوراً في الترويج للثقافة الصينية والضغط من أجل المصالح السياسية للصين، ومنذ خمسينيات القرن الماضي، تواصل الصين بانتظام مع شتاتها في الخارج، ولم تبدأ بأشراكهم في جهود دبلوماسيتها إلا في أوائل التسعينيات، عندما دعاهم (دنج شياو بينغ) إلى السعي إلى إعادة توحيد الوطن الأم، ومن ثم كرر القادة اللاحقون هذه الدعوة⁽⁴⁾، ويرى (James Jiann Hua To) الأكاديمي في كلية المحيط الهادئ الدولية بنيوزيلندا، إن تصاعد المشاعر المناهضة للحزب الشيوعي الصيني بين الصينيين المغتربين في الخارج ومن ثم مطالبتهم بالإصلاحات الديمقراطية على أثر القمع العنيف الذي تعاملت به الحكومة الصينية مع المتظاهرين في ساحة (تيانانمين)، هو ما دفع الصين إلى تكثيف جهودها لإدارة مجتمعات شتاتها في الخارج والسعي إلى أبقائهم إلى جانبها دائماً⁽⁵⁾، إذ قامت بإنشاء جمعيات مؤيدة للصين بين مجتمعات المغتربين حول العالم، ودعمت عقد مؤتمرات إقليمية بغرض تشكيل شبكة عالمية موحدة لهذه المنظمات، كما شاركت في إنشاء أكثر من (2000) رابطة للطلاب الصينيين المغتربين، وأكثر من (300) منظمة مهنية⁽⁶⁾، وتم حث (مكتب شؤون الصينيين المغتربين) التابع لمجلس الدولة على تطوير مشاركة أوسع للمغتربين الصينيين في الدبلوماسية

(1) Raj Verma, "China's diplomacy and changing the COVID-19 narrative", International Journal, Vol. 75 (Canada: SAGE Journals, 2020), p 254.

(2) Raj Verma, "China's 'mask diplomacy' to change the COVID-19 narrative in Europe", Asia Europe Journal, Volume 18, issue 2 (Springer, 2020), p 206.

(3) Huiyao Wang, "China's Competition for Global Talents: Strategy, Policy and Recommendations", The Asia Pacific Foundation of Canada, Canada, 24 May 2012, p 2.

(4) Elena Brabantseva, Overseas Chinese, Ethnic Minorities and Nationalism: De-centring China (London: Routledge, 2010), p 105.

(5) James Jiann Hua To, Extra-Territorial Policies for the Overseas Chinese (Netherlands: Koninklijke Brill, 2014) p 1.

(6) Elena Brabantseva, Op. Cit. ,p 125.

الشعبية, ويعد هذا المكتب الجهة المسؤولة عن دراسة وصياغة المبادئ التوجيهية والسياسات المتعلقة بشؤون الصينيين المغتربين, وكذلك الإشراف والتحقق من تنفيذها⁽¹⁾.

المطلب الثالث

أدوات الدبلوماسية الشعبية للصين

تمتلك الصين مجموعة متنوعة من أدوات الدبلوماسية الشعبية والتي يمكن تحديدها فيما يلي⁽²⁾:

أولاً: وسائل الإعلام

تعد وسائل الإعلام الأداة الرئيسة للدبلوماسية الشعبية للصين, إذ تنظر الحكومة الصينية إلى وسائل الإعلام على أنها القوة التي يجب الاعتماد عليها لخلق رأي عام مؤيد للصين في الخارج علاوة على التغلب على الخطاب الغربي الذي يهيمن على الشؤون العالمية, وزيادة صوت الصين في العالم عبر تزويد الشعوب الأجنبية بوجهات نظرها الخاصة حول القضايا الدولية, وبناءً على ذلك, أتبعَت الصين في عام (2001) سياسة "الخروج" أو "الإنطلاق للعالمية" وبدأت بالاستثمار منذ ذلك الحين فصاعداً في توسيع وسائل الإعلام الموجهة نحو الخارج, بغرض تعزيز نفوذها العالمي وأظهار صعودها كقوة عظمى بطريقة غير تهديدية وغير تصادمية⁽³⁾, ويمكن تحديد وسائل الإعلام التي تعتمد عليها الصين في دبلوماسيتها الشعبية فيما يلي:

1- المحطات الإذاعية

يعد راديو الصين الدولي (China Radio International) أبرز أدوات الدبلوماسية الشعبية للصين, إذ أتمدت عليه الصين منذ تأسيسه في عام (1941) في مخاطبة الجماهير الأجنبية, وعملت على توسيع تواجدته الدولي تدريجياً حتى أصبح يعد مؤسسة إعلامية كبرى تمتلك اليوم (2021) ما يقرب من (70) محطة إذاعية في الخارج, و(18) خدمة إذاعية عالمية عبر الإنترنت تبث بحوالي (44) لغة وبمعدل (2700) ساعة يومياً, كما أنها تمتلك (6) مكاتب إقليمية رئيسة في الخارج, و(32) مكتباً للمراسلين حول العالم⁽⁴⁾.

2- القنوات التلفزيونية

يبرز في هذا المجال, تلفزيون الصين المركزي (China Central Television) والمعروف اختصاراً (CCTV) الذي يعد أكبر مجموعة تلفزيونية في الصين⁽⁵⁾, تغطي الصحف والتلفزيون والسينما والإنترنت, وتدير (6) قنوات دولية تبث بعدة لغات عالمية, تصل

(1) Overseas Chinese Affairs Office of the State Council, State Council, 12 September 2014, date of visit 16 June 2021, on the Website:

http://english.www.gov.cn/state_council/2014/10/01/content_281474991090995.htm

(2) Ingrid d'Hooghe, China's Public Diplomacy, Op. Cit., p-p 163-180.

(3) Xiaoling Zhang, Op. Cit., p 57.

(4) Who We Are, official English website of China Radio International, 16 February 2017, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://chinaplus.cri.cn/aboutus/aboutcri/62/20170216/393.html>

(5) جينغ وانغ, المشهد الإعلامي والإعلامي في الصين, ترجمة رفيف غدار (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون, 2008), ص 266.

برامجها إلى (140) دولة، ولديها مكاتب في جميع القارات، وتسمى شبكة قنوات (CCTV) في عملها إلى أن تصبح مثل القناة الأمريكية (CNN)، وذلك من خلال توظيف مذيعين ومحررين أجنبية علاوة على تقديم برامج على النمط الغربي، ومن الجدير بالذكر، أنه في عام (2016) انبثقت من تلفزيون الصين المركزي (CCTV) شبكة التلفزيون الصينية العالمية (China Global Television Network) المعروفة اختصاراً (CGTN) التي تمتلك عدة قنوات تلفزيونية تغطي أكثر من (160) دولة، كما أنها تبث بعدة لغات عالمية ضمنها اللغة العربية⁽¹⁾، وتبرز كذلك شبكة (CNC) وهي شبكة إخبارية تلفزيونية تابعة لوكالة أنباء الصين الرسمية (شينخوا)، وتمتلك القناة التلفزيونية (CNC World) التي تبث على مدار الساعة باللغة الإنكليزية، ولغات أخرى في كل قارة⁽²⁾.

3- الصحف والمجلات

تمتلك الصين العديد من الصحف والمجلات الموجهة إلى الشعوب الأجنبية، مثل صحيفة (China Daily) التي تأسست في عام (1981) لخدمة الأجانب في الصين، ومن ثم توسع نطاق انتشارها الدولي من خلال إطلاق إصدارات بعدة لغات عالمية حتى باتت تقدم اليوم أكثر من (330) مليون قارئ في جميع أنحاء العالم⁽³⁾، والصحيفة الأخرى التي تمتلكها الصين، هي صحيفة (Global Times) التي تم إطلاقها في عام (2009) بغرض مساعدة القراء على فهم الصين وسياساتها وإتجاه التنمية فيها بشكل أفضل، وتصدر هذه الصحيفة باللغة الإنكليزية⁽⁴⁾، وكذلك لدى الصين (صحيفة الشعب اليومية) التي تصدر باللغات الصينية والفرنسية والروسية والإسبانية والإنكليزية والعربية واليابانية والكورية⁽⁵⁾، كما أن لديها مجلة (China today) التي تصدر بعدة لغات وتستهدف الشعوب الأجنبية حول العالم⁽⁶⁾.

4- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

منذ إطلاق الإنترنت في الصين في أواخر عام (1994)، وسرعان ما بدأت الحكومة الصينية في توظيف المميزات التي يوفرها الإنترنت ضمن دبلوماسيتها الشعبية، إذ بدأت وسائل الإعلام الصينية في إنشاء وتطوير مواقع إلكترونية خاصة بها، ومن ثم تبعتها المؤسسات الحكومية، ومن أبرز المواقع الإلكترونية التي انشأتها الصين في تلك المدة، هو موقع (شبكة الصين) الذي تم إطلاقه في عام (1997) والذي يقدم أخبار ومعلومات أرشيفية عن تاريخ الصين والسياسة والاقتصاد والثقافة الصينية بعدة لغات أجنبية⁽⁷⁾، ولدى الصين اليوم تواجد واسع

(1) ABOUT US - China Global Television Network, CGTN, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.cgtn.com/about-us>

(2) About CNC, CNC, date of visit 16 June 2021, on the Website:

http://en.cncnews.cn/e_about_cnc/about.html

(3) About China Daily Group, China Daily, date of visit 16 June 2021, on the Website:

http://www.chinadaily.com.cn/e/static_e/about

(4) About Us, Global Times, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.globaltimes.cn/about-us/>

(5) Greg Simons, Op. Cit., p 9.

(6) China today About us, China today, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://www.chinatoday.com.cn/ctenglish/2018/cau/>

(7) Work for Us, China.org.cn, 27 July 2015, date of visit 16 June 2021, on the Website:

النطاق على الإنترنت, إذ لديها مواقع إلكترونية لأكثر من (200) بعثة دبلوماسية في الخارج باكثر من (20) لغة تقدم الصين وسياساتها الخارجية إلى الشعوب في البلدان الأخرى⁽¹⁾, كما لديها مواقع تناقش قضايا مختلفة هم الصين, ومنها نذكر, موقع (شينجيانغ) وهو نافذة معلوماتية رسمية لتعريف منطقة شينجيانغ التي يسكنها قومية الريفورور بالصين للعالم, ومحتوى الموقع يتوفر بعدة لغات بما فيها العربية⁽²⁾, وكذلك لدى الصين موقع (التبت) الذي يقدم محتواه الأخباري والثقافي باللغة الألمانية والفرنسية والإنكليزية⁽³⁾, وموقع (جمعية الصين لدراسات حقوق الإنسان) الذي يناقش المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان في الصين والعالم⁽⁴⁾, كما أن لدى الصين موقع (تايوان) الذي يضم معلومات وأخبار حول تايوان⁽⁵⁾, ومن أحدث المواقع الإلكترونية التي قامت بإنشائها الصين, هو موقع (دبلوماسية الصين في العصر الجديد) الذي تم إطلاقه باللغتين الصينية والإنكليزية بتاريخ 28 تموز (2021), ويعرض الموقع أنشطة الرئيس الصيني الحالي (شي جين بينغ) الخارجية, كما يضم تصريحاته وبياناته ومقالاته والأدبيات والدراسات حول أفكاره المتعلقة بالدبلوماسية, علاوة على توفير آخر الأخبار والمعلومات عن الدبلوماسية الصينية⁽⁶⁾.

5- مواقع التواصل الاجتماعي

تعد مواقع التواصل الاجتماعي أهم بكثير من المواقع الإلكترونية كأدوات رقمية للدبلوماسية الشعبية, وفيما يتعلق بالصين, فقد تبنت في عهد الرئيس الحالي (شي جين بينغ) دبلوماسية إلكترونية أكثر نشاطاً⁽⁷⁾, وتمثل ذلك في إنشاء حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي لمعظم السفارات الصينية حول العالم, وعلى الرغم من حظر مواقع التواصل الاجتماعي العالمية داخل الصين, نجد أن جميع وسائل الإعلام الصينية الرئيسة لديها حسابات متعددة على مواقع التواصل الاجتماعي, كما أن لدى المكتب الإعلامي لمجلس الدولة, والحزب الشيوعي الصيني, وبعثة الصين لدى الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي, علاوة على الرئيس (شي جين بينغ) حسابات بعدة لغات على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر)⁽⁸⁾, ومن الجدير بالذكر, أن الحكومة الصينية سعت في الأعوام الأخيرة إلى جذب إنتباه الجماهير في مواقع

http://www.china.org.cn/2015-07/27/content_18620241.htm

(1) Zhao Kejin, Op. Cit., p 186.

(2) About us, Chinaxinjiang, date of visit 16 June 2021, on the Website:

http://en.chinaxinjiang.cn/12/200911/t20091125_11801.htm

(3) Tibet News, Tibet, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://eng.tibet.cn/>

(4) China Society for Human Rights Studies, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://www.chinahumanrights.org/>

(5) Taiwan.cn, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<http://eng.taiwan.cn/>

(6) China's Diplomacy in the New Era Website Launched in both Chinese and English, Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, 28 June 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website:

https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1887466.shtml

(7) Adam Segal, " Chinese Cyber Diplomacy in a New Era of Uncertainty", Aegis Paper Series, No. 1703 (California: Hoover Institution Stanford University, 2017) p1.

(8) Michael A. Barry, Op. Cit., p 20.

التواصل الاجتماعي، وتحفيز تفاعلهم مع رسائلها من خلال توظيف حيوان (الباندا)، إذ قامت بنشر الصور ومقاطع الفيديو الطويلة لحيوان (الباندا) عبر حسابات سفرائها ودبلوماسيها والوكالات التابعة لها في مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك بهدف تعزيز جاذبيتها وتنعيم صورتها ومحاولة ربط صورة الصين في أذهان الشعوب بالباندا اللطيفة والمسالمة⁽¹⁾، وبناءً على ذلك، يمكن القول أن الصين تحاول إجراء تغيير في صورتها التقليدية المرتبطة بالكائن الأسطوري (التنين)، والتي أصبحت لا تبعث برسائل إيجابية لشعوب العالم في ظل صعودها المستمر.

وبالإضافة إلى وسائل الإعلام التي تمتلكها الصين، تستخدم الدبلوماسية الشعبية للصين وسائل الإعلام الأجنبية، وهذه الاستراتيجية تحاول عن طريقها الصين استعادة المصداقية والتأثير الذي تحظى به وسائل الإعلام المحلية في الدول المستهدفة لنقل رسائلها، وذلك من خلال شراكات مشاركة المحتوى، وتبادل الصحفيين ومقالات الرأي والمقابلات⁽²⁾.

ثانياً: المراكز والأنشطة الثقافية

أقامت الصين عبر وزارة ثقافتها علاقات تبادل ثقافي من أكثر من (160) دولة، كما أنها تدير مراكز ثقافية في عدة عواصم حول العالم، وتقيم أيضاً الأحداث الكيرة طويلة الأجل، مثل عام الثقافة الصينية في استراليا (2011-2012)، وعام الثقافة الصينية في تركيا (2012)، وعام الحوار بين الثقافات مع الاتحاد الأوروبي (2012)، وعام اللغة الصينية في فرنسا (2011-2012)، علاوة على الكثير من الأحداث التي الأخرى التي تنظمها في دول الشعوب المستهدفة للترويج للثقافة الصينية وتعزيز نفوذها، مثل (أسابيع الثقافة الصينية) والأحتفالات بالعام الصيني الجديد الذي بدأت الصين تنظمه سنوياً منذ عام (2010) في مختلف الدول، وتتضمن معظم هذا الأحداث سلسلة من المعارض الثقافية والفنية، والفعاليات الرياضية، وعروض الرقص أو الموسيقى، وغيرها من الأحداث المصممة لتسليط الضوء على ثقافة الصين⁽³⁾.

ثالثاً: المعاهد والأنشطة التعليمية

سعت الصين في الأعوام الأخيرة لتصبح وجهة رئيسة للطلاب الأجانب، وذلك من خلال استخدام العديد من الأساليب لجذب الطلاب، مثل تقديم المنح الدراسية، وتحسين مرافق الدراسة، وتخفيف متطلبات التأشيرة، وتمكنت الصين من تحقيق زيادة هائلة في عدد الطلاب الأجانب القادمين للدراسة فيها من (85000) في عام (2002) إلى (442000) طالباً في عام (2016)⁽⁴⁾، ولا تستقبل الصين العديد من الطلاب الأجانب فحسب، بل تعد أيضاً أكبر مصدر للطلاب الدوليين، فوفقاً لتقرير (الأكاديمية الصينية للعلوم

(1) Zhao Alexandre Huang and Rui Wang, " Panda seems like a new "cat" : China's digital panda public diplomacy on Twitter: affective sign, image promotion, and the permanent Chinese diplomat", EUPRERA 2018 Congress: Big Ideas - Challenging Public Relations Research and Practice - Social media, Denmark, 2018, p 2.

(2) Samantha Custer and Others, " Influencing the Narrative: How the Chinese government mobilizes students and media to burnish its image", (The United States of America, AidData at William & Mary, 2019) p 13.

(3) Michael A. Barry, Op. Cit., p 22.

(4) Which instruments of public diplomacy does China wield in East Asia & the Pacific?, Aiddata at William & Mary, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.aiddata.org/china-public-diplomacy/east-asia-pacific>

الاجتماعية)، تمثل الصين حوالي (14%) من الإجمالي العالمي للطلاب الدوليين، وتعد الحكومة الصينية هؤلاء الطلاب أداة مهمة للدبلوماسية الشعبية، لأنهم يعملون على تعزيز الروابط والصداقات مع الشعوب الأجنبية، وكذلك تقوم الحكومة الصينية بعقد اتفاقيات التعاون والتبادل مع المؤسسات التعليمية الأجنبية، فمعظم الجامعات والمعاهد البحثية في الصين لديها مشاريع تعاون مع جامعات ومعاهد أجنبية، ومما تجدر الإشارة إليه، أن الصين قامت بإنشاء جامعات أجنبية داخل الصين، ففي عام (2011) وقعت اتفاقية لإنشاء جامعة (نيويورك) في شنغهاي، وجامعة (ديوك) في كونشان جيانغشو⁽¹⁾، ومؤخراً وقعت الصين اتفاقية مع المجر لفتح حرم جامعي صيني، وهو حرم جامعة (فودان) في بودابست بحلول عام (2024)، ومن الجدير بالذكر، أن هذا الاتفاق سينشأ أول حرم جامعي صيني في الاتحاد الأوروبي⁽²⁾.

وتبرز ضمن إطار التعليم، معاهد (كونفوشيوس)⁽³⁾ التي تعد من أهم أدوات الدبلوماسية الشعبية للصين، والتي وصل عددها إلى (525) معهد كونفوشيوس و(1073) فصل دراسي كونفوشيوسي في أكثر من (135) دولة⁽³⁾، ويتم تمويل وإدارة هذه المعاهد من قبل مؤسسة (هان بان) (Hanban) التي تعد المقر الرئيسي لمعاهد كونفوشيوس حول العالم، والتي تتبع في عملها وزارة التعليم الصينية⁽⁴⁾، وتهدف معاهد كونفوشيوس إلى تعزيز تعلم اللغة الصينية (المندرين) وتحويل نظام التعليم الصيني، وذلك من خلال تنظيم دورات تعلم اللغة الصينية، وتوفير فصول دراسية داخل الجامعات الأجنبية لتعلم اللغة الصينية وتشجيع الطلاب على تطوير معرفتهم حول الصين⁽⁵⁾، ورغم أن معظم معاهد كونفوشيوس تركز على نشر اللغة والثقافة الصينية، إلا أننا نجد بعض الاستثناءات، مثل معهد كونفوشيوس للأعمال بجامعة (ليدن) في بريطانيا، ومعهد كونفوشيوس للابتكار والتعلم في الدنمارك، وغالباً ما يشارك في تمويل هذه المعاهد الجامعات والشركات الأجنبية، وهذا النهج يشجع على شكل شبكي من الدبلوماسية الشعبية، إذ ينخرط الشركاء الأجانب في تطوير طرق لنشر لغة وثقافة الصين على الجماهير⁽⁶⁾.

رابعاً: المساعدات

(1) Ingrid d'Hooghe, China's Public Diplomacy, Op. Cit., p 174.

(2) Hungary agrees to open Chinese university campus in Budapest by 2024, Euronews, 2 May 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.euronews.com/2021/05/02/hungary-agrees-to-open-chinese-university-campus-in-budapest-by-2024>

(3) كونفوشيوس (Confucius) هو فيلسوف صيني كانت لتعاليمه وفلسفته تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية، ويرى البروفيسور (Qiu Huafei) من جامعة (Tongji) في الصين أن صورة الفيلسوف كونفوشيوس والمثل العليا المتضمنة في فلسفته كالانسجام مع الدول الأخرى والحكومة الفاضلة والاحترام المتبادل والولاء والإنسانية وضبط النفس، ترتبط بالصورة التي تريد الصين إبرازها في الخارج، وعليه حملت المعاهد الصينية المنتشرة حول العالم اسم كونفوشيوس كسفير للصين في الخارج. ينظر:

Qiu Huafei, "Public Diplomacy: China's Grand Foreign Strategy", Public Diplomacy, No. 1, 2009, p 73.

(3) Samantha Custer and Others, "Ties That Bind: Quantifying China's public diplomacy and its "good neighbor" effect", (The United States of America, AidData at William & Mary, 2018) p 12.

(4) Michael A. Barry, Op. Cit., p 21.

(5) Gary D. Rawnsley, Op. Cit., p 285.

(6) Ingrid d'Hooghe, China's Public Diplomacy, Op. Cit., p 176.

بدأت المساعدات الخارجية الصينية بالتدفق في عام (1950)، عندما قدمت الصين مساعدات مادية إلى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وفيتنام، وفي عام (1964) وضعت الصين مبادئ مساعداتها الخارجية والتي تضمنت المساواة والمنفعة المتبادلة وعدم إرفاق أي شروط، ووفقاً لوثيقة الورقة البيضاء التي نشرتها الحكومة الصينية في عام (2011)، بلغ إجمالي مساعدات الصين الخارجية (256.29) مليار يوان (41.32 مليار دولار أمريكي)^(١) منذ عام (1950) وحتى عام (2009)^(٢)، وتتمثل المساعدات التي تقدمها الصين في ثمانية أشكال، وهي: إنشاء المشاريع الكاملة، السلع والمواد، التعاون التقني، التعاون في تنمية الموارد البشرية، الفرق الطبية المرسلة إلى الخارج، المساعدات الإنسانية الطارئة، البرامج التطوعية في البلدان الأجنبية، تخفيف الديون، وتعد هذه المساعدات أداة قيمة للدبلوماسية الشعبية، إذ كرس لها الصين في الأعوام الأخيرة موارد وطاقت هائلة، كما أنها وسعت نطاق الدول التي تشملها مساعداتها، وتشير وثيقة الورقة البيضاء لعام (2014) إلى أن الصين قدمت مساعدات خلال المدة (2010-2012) إلى (121) دولة، وقد بلغت قيمة تلك المساعدات (14.41) مليار دولار، وتمثلت في ثلاثة أشكال: منح مجانية، وقروض دون فوائد، وقروض ميسرة^(٣)، ومما تجدر الإشارة إليه، إن الحكومة الصينية تنشر القليل من المعلومات حول تدفق مساعداتها الخارجية، والأرقام التي يتم ذكرها في الأوراق البيضاء أو في التصريحات الرسمية، يتم حسابها بشكل تراكمي على مدى أعوام عديدة، ولذلك يصعب تقييم أرقام المساعدات الصينية لكل عام^(٤)، ومع ذلك، تقدر إحدى الدراسات قيمة المساعدات الخارجية التي قدمتها الصين في عام (2019) بنحو (5,9) مليار دولار أمريكي^(٤)، والجدير بالذكر أن الصين في إطار مساعداتها تولي اهتماماً خاصاً بالدول النامية، فقد قدمت أنواعاً مختلفة من المساعدات إلى أكثر من (160) دولة نامية، ونفذت أكثر من (10,000) برنامجاً للتعاون الفني وتنمية الموارد البشرية، ودربت أكثر من (400.000) شخص على مهن مختلفة في دول نامية، كما

(١) للمقارنة، قدمت الولايات المتحدة الأمريكية (47.2) مليار دولار كمساعدات خارجية في عام (2019) وحده، وعليه فإنه من حيث الحجم، تعد مساعدات الصين الخارجية متواضعة. ينظر:

Katharina Buchholz, Where U.S. Foreign Aid is Going, Statista, 23 December 2020, date of visit 16 June 2021, on the Website:

<https://www.statista.com/chart/17610/countries-receiving-us-foreign-aid/>

(٢) White paper on China's foreign aid, Gov.cn, April 2011, date of visit 16 June 2021, on the Website:

http://english1.english.gov.cn/official/2011-04/21/content_1849913.htm

(٣) China's Foreign Aid (2014), Gov.cn, 10 July 2014, date of visit 16 June 2021, on the Website:

http://english.www.gov.cn/archive/white_paper/2014/08/23/content_281474982986592.htm

(٤) Sven Grimm, Transparency of Chinese Aid: An Analysis of the Published Information on Chinese External Financial Flows (South Africa: Center for Chinese Studies, 2011), p-p 6-7.

(٤) Naohiro Kitano and Yumiko Miyabayashi, " Estimating China's Foreign Aid: 2019-2020 Preliminary Figures", JICA Ogata Sadako Research Institute for Peace and Development, Tokyo, 2020, p 1.

قامت بإنشاء صندوق التعاون بين بلدان الجنوب ومساعدة البلدان النامية، ومعهد التعاون والتنمية فيما بين بلدان الجنوب لمساعدة البلدان النامية على تعزيز القدرة على التنمية الذاتية⁽¹⁾.

وبرزت المساعدات الخارجية بشكل واضح كأداة للدبلوماسية الشعبية الصينية خلال جائحة فيروس كورونا (Covid-19)، فقامت الصين فور سيطرتها على الفيروس في آذار (2020)، بتقديم الإمدادات الطبية الطارئة إلى أكثر من (160) دولة ومنظمة دولية، فضلاً عن تقديم اللقاحات إلى أكثر من (80) دولة، و وفقاً لوزارة الخارجية الصينية فإن هذه المساعدات تعد أكبر حملة إنسانية منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية في العام (1949)⁽²⁾، وتبرعت الصين كذلك إلى منظمة الصحة العالمية بمبلغ (50) مليون دولار⁽³⁾، وجاءت هذه المساعدات في ظل مواجهة جميع دول العالم مشاكل في الحصول على الإمدادات الطبية اللازمة لمواجهة الفيروس بغض النظر عن قدراتها المالية، وتضرر سمعة الصين ومكانتها كدولة مسؤولة نتيجة تكتتها على الفيروس في مرحلة ظهوره، وعليه سعت الصين إلى تغيير السرد والتصورات بشأن تعاملها مع الجائحة، وإرساء "البعد التعاوني" في سياستها الخارجية⁽⁴⁾ عبر موافقتها على مبادرة الوصول العادل للقاحات (Covax)⁽⁵⁾، ومثل انكفاء الدول على نفسها فضلاً عن تراجع القيادة الأمريكية للعالم، فرصة قيمة لبروز الصين بمشهد بطولي على الساحة الدولية، فعملت الصين على استغلالها من خلال تسويق طريقتها الناجحة في احتواء الفيروس، وتقديم المساعدات الطبية المختلفة مع تسليط الضوء على مساعداتها عبر تصوير ونشر مقاطع الفيديو التي تظهر حجم المساعدات والأشخاص الذين يشعرون بالامتنان للمساعدة التي قدمتها الصين، وفي سياق ذلك يذهب (جمال عبد الجواد) مستشار مركز (الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية) إلى القول: "لقد استخدمت الصين المساعدات التي قدمتها لبعض الدول لتحقيق مكاسب إعلامية فجة. فيما وظفت الترهيب العلني، والخطاب الحماسي المليء بالمبالغات، والإكراه الصريح، لانتزاع الثناء على طريقة إدارتها للأزمة"⁽⁵⁾، وفيما يتعلق برود الفعل الدولية، فيمكن القول، إن الصين قد

(1) Wang Yi Attends Opening Ceremony of Exhibition of Achievements on China International Development Cooperation, Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, 26 April 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website:

https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1871902.shtml

(2) Wang Yi Attends Opening Ceremony of Exhibition of Achievements on China International Development Cooperation, Op. Cit.

(3) أبو بكر الدسوقي، "العالم في ظل وباء كورونا الفرص والتحديات"، مجلة السياسة الدولية، العدد 221 (القاهرة: مركز الأهرام، 2020)، ص 60.

(4) نبيل كمال الأمير، "جائحة كورونا حدود الفرص السياسية لبعض القوى الإقليمية والدولية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 221 (القاهرة: مركز الأهرام، 2020)، ص 102.

(5) Covax، هي آلية دولية أنشأتها منظمة الصحة العالمية بهدف تسريع الوصول العادل للقاح كورونا خاصة للدول الفقيرة، بعد أن حجرت معظم الدول الغنية إمدادات اللقاح المحتملة، و وافقت الصين على المبادرة رغم رفض الولايات المتحدة الانضمام لها، والجدير بالذكر أن انضمام الصين يعزز دورها كدولة مسؤولة وكذلك يدعم قوتها الناعمة في الدول الفقيرة. ينظر: أبو الفضل السنوي، قومية اللقاحات في العلاقات الدولية وفرص المساواة بالصحة العالمية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 223 (القاهرة: مركز الأهرام، 2021)، ص ص 10-11.

(5) جمال عبد الجواد، "مستقبل العولمة تجزئة وتعدد"، مصر العولمة، ملحق تحولات استراتيجية، مجلة السياسة الدولية، العدد 221 (القاهرة، مركز الأهرام، 2020)، ص ص 26-27.

نجحت في تغيير التصورات السلبية المتعلقة بتعاملها مع الوباء في بداياته، ويتمثل نجاحها في أشادة بعض قادة الدول بالمساعدات الطبية التي قدمتها الصين لهم، ومنهم رئيس صربيا (ألكسندر فوتشيتش) (Aleksandar Vučić) الذي انتقد الاتحاد الأوروبي وأشاد بالصين لمساعدتها في سياق الجائحة، وأشادة وزير الخارجية الإيطالي (لويجي دي مايو) (Luigi Di Maio) بوصول الإمدادات والمسعفين الصينيين والذي تزامن مع استياء عام بين النخب الإيطالية بشأن المساعدات غير الوافية من دول الاتحاد الأوروبي عندما طلبت إيطاليا من شركائها الأوروبيين المساعدة في بداية شهر آذار (2020)، ولم يكن هناك إستجابة من قبلهم، بينما كانت الصين أثناء ذلك تنقل جواً (30) طن من الإمدادات الطبية إلى إيطاليا⁽¹⁾، ومما سبق، يمكن القول، إن نهج الصين المتعلق بالمساعدات الخارجية حقق نجاحاً ملموساً خلال جاحة كورونا، ومن ثم، يعد ذلك نجاحاً لتكتيك الدبلوماسية الشعبية الصينية.

الخاتمة:

بينت الدراسة أن لدى الصين مجموعة واسعة من المؤسسات التي تضطلع بممارسة الدبلوماسية الشعبية، كما ان لديها مجموعة متنوعة من الأدوات التي تنفذ من خلالها أهداف دبلوماسيتها الشعبية. ويمكن القول أن الدبلوماسية الشعبية للصين قد بنيت على تجاربها الطويلة مع الدعاية، وأنها قد تطورت نتيجة الأحداث والتغيرات التي شهدتها الصين خلال تاريخها الممتد، وفي الوقت الراهن تتبع الصين الدبلوماسية الشعبية لتهدئة المخاوف التي يثيرها صعودها المستمر، وذلك عبر إدارة سمعتها وصورتها الخارجية.

قائمة المصادر

أولاً- المصادر باللغة العربية

1. أندرو سكوبيل وعليرظا نادر، الصين في الشرق الأوسط التنين الحذر (كاليفورنيا: مؤسسة راند البحثية، 2016).
2. جينغ وانغ، المشهد الإعلامي والإعلاني في الصين، ترجمة رفيف غدار (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008).
3. أبو بكر الدسوقي، "العالم في ظل وباء كورونا الفرص والتحديات"، مجلة السياسة الدولية، العدد 221 (القاهرة: مركز الأهرام، 2020).
4. نيللي كمال الأمير، "جائحة كورونا حدود الفرص السياسية لبعض القوى الإقليمية والدولية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 221 (القاهرة: مركز الأهرام، 2020).
5. أبو الفضل الاسناوي، قومية اللقاحات في العلاقات الدولية وفرص المساواة بالصحة العالمية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 223 (القاهرة: مركز الأهرام، 2021).
6. جمال عبد الجواد، "مستقبل العولمة تجزئة وتعدد"، مصير العولمة، ملحق تحولات استراتيجية، مجلة السياسة الدولية، العدد 221 (القاهرة: مركز الأهرام، 2020).

(1) Anna Kobierecka and Michał Marcin Kobierecki, "Coronavirus diplomacy: Chinese medical assistance and its diplomatic implications", International Politics, Springer, 2021, p-p 3-10.

1. Ingrid d'Hooghe, China's Public Diplomacy (Netherlands: Koninklijke Brill, 2015)
2. Mo Jinwei and Zhou Qingan, "How 21st-Century China Sees Public Diplomacy As a Path to Soft Power", Global Asia, Vol.7 No.3, (Seoul: 2012), date of visit 16 June 2021, on the Website https://www.globalasia.org/v7no3/cover/how-21st-century-china-sees-public-diplomacy-as-a-path-to-soft-power_mo-jinweizhou-qingan
3. Xiaoling Zhang, "China's International Broadcasting: A Case Study of CCTV International", in: Jian Wang, Soft Power in China Public Diplomacy through Communication (United States: St. Martin's Press, 2011)
4. Public diplomacy to improve China's image in the world, People's Daily Online, 19 September 2011, date of visit 16 June 2021, on the Website <http://en.people.cn/90882/7599052.html>
5. Greg Simons, "Taking the new public diplomacy online Russia and China", Place Branding and Public Diplomacy (London: Macmillan Publishers, 2015)
6. Michael A. Barry, "Understanding the drivers of Chinese public diplomacy in the information environment", Master's Thesis, Unpublished, Naval Postgraduate School, The United States of America, 2016
7. Zeng Ziyi and Lan Haowei, A look at China's 'floating hospital' Peace Ark, CGTN, 19 April 2019, date of visit 16 June 2021, on the Website <https://news.cgtn.com/news/3d3d414d7941544d34457a6333566d54/index.html>
8. Wang Yi: China Always Breathes the Same Air, and Shares Common Destiny with Developing Countries, Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, 20 July 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1893948.shtml
9. Charter of the Chinese People's Political Consultative Conference, the Chinese People's Political Consultative Conference, 3 July 2012, date of visit 16 June 2021, on the Website <http://www.cppcc.gov.cn/zxww/2012/07/03/ARTI1341300912828101.shtml>
10. Zhao Qizheng, How China communicates: public diplomacy in a global age (Beijing: Foreign Language Press, 2012) p-p 63-64
11. Foreign Ministry Spokesperson Hua Chunying's Regular Press Conference on March 31, 2020, date of visit 16 June 2021, on the Website https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/xwfw_665399/s2510_665401/t1764277.shtml
12. About CPIFA, Chinese People's Institute of Foreign Affairs, date of visit 16 June 2021, on the Website <http://www.cpifa.org/en/class/view?id=7>

- About us, Chinese People's Association for Friendship with Foreign Countries, date of .13
:visit 16 June 2021, on the Website
https://cpaffc.org.cn/index/xiehui/xiehui_list/cate/12/lang/2.html
- Friendly Exchanges, Chinese Association for International Understanding, date of visit .14
:16 June 2021, on the Website
<http://www.cafiu.org.cn/english/Column.asp?ColumnId=16>
- Shu Chen and Others, Chinese medical teams in Africa: a flagship program facing .15
formidable challenges, National Center for Biotechnology Information, 28 February
:2019, date of visit 16 June 2021, on the Website
[/https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC6394880](https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC6394880)
- :Ambassadors, WildAid, date of visit 16 June 2021, on the Website .16
[/https://wildaid.org/about/ambassadors](https://wildaid.org/about/ambassadors)
- Yao Ming Global Ambassador, Special Olympics, date of visit 16 June 2021, on the .17
:Website
<https://www.specialolympics.org/about/ambassadors/yao-ming?locale=en>
- Raj Verma, "China's diplomacy and changing the COVID-19 narrative", International .18
.Journal, Vol. 75 (Canada: SAGE Journals, 2020)
- Raj Verma, "China's 'mask diplomacy' to change the COVID-19 narrative in .19
.Europe", Asia Europe Journal, Volume 18, issue 2 (Springer, 2020)
- Huiyao Wang, "China's Competition for Global Talents: Strategy, Policy and .20
.Recommendations", The Asia Pacific Foundation of Canada, Canada, 24 May 2012
- Elena Brabantseva, Overseas Chinese, Ethnic Minorities and Nationalism: De-centring .21
.China (London: Routledge, 2010)
- James Jiann Hua To, Extra-Territorial Policies for the Overseas Chinese (Netherlands: .22
.Koninklijke Brill, 2014)
- Overseas Chinese Affairs Office of the State Council, State Council, 12 September .23
:2014, date of visit 16 June 2021, on the Website
http://english.www.gov.cn/state_council/2014/10/01/content_281474991090995.htm
- Who We Are, official English website of China Radio International, 16 February .24
:2017, date of visit 16 June 2021, on the Website
<http://chinaplus.cri.cn/aboutus/aboutcri/62/20170216/393.html>
- ABOUT US - China Global Television Network, CGTN, date of visit 16 June 2021, .25
:on the Website
<https://www.cgtn.com/about-us>
- :About CNC, CNC, date of visit 16 June 2021, on the Website .26
http://en.cncnews.cn/e_about_cnc/about.html

- .27 :About China Daily Group, China Daily, date of visit 16 June 2021, on the Website
- .28 China's Diplomacy in the New Era Website Launched in both Chinese and English, Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, 28 June 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website
https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1887466.shtml
- .29 Adam Segal, " Chinese Cyber Diplomacy in a New Era of Uncertainty", Aegis Paper Series, No. 1703 (California: Hoover Institution Stanford University, 2017) p1
- .30 Zhao Alexandre Huang and Rui Wang, " Panda seems like a new “cat” : China’s digital panda public diplomacy on Twitter: affective sign, image promotion, and the permanent Chinese diplomat", EUPRERA 2018 Congress: Big Ideas - Challenging Public Relations Research and Practice - Social media, Denmark, 2018
- .31 Samantha Custer and Others, " Influencing the Narrative: How the Chinese government mobilizes students and media to burnish its image", (The United States of America, AidData at William & Mary, 2019)
- .32 Wang Yi Attends Opening Ceremony of Exhibition of Achievements on China International Development Cooperation, Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, 26 April 2021, date of visit 16 June 2021, on the Website
https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1871902.shtml
- .33 Anna Kobierecka and Michał Marcin Kobiereck, "Coronavirus diplomacy: Chinese medical assistance and its diplomatic implications", International Politics, Springer, 2021

أستراليا و حلف الناتو - نظرة مستقبلية وسيناريوهات محتملة

د. مصطفى عيد إبراهيم/ محاضر في العلوم السياسية

المستخلص:

-إن اهتمام الناتو المتزايد بالدول المتشابهة في القارة الاستراتيجية في إقليم الاندو-باسفيك، يركز على التعاون في المجالات الأمنية والتهديدات الهجينة والتكنولوجيا الجديدة المتقدمة والدفاع السيبراني. ولقد أشارت وثيقة " المفهوم الاستراتيجي للناتو ٢٠٢٢ " الصادرة عن قمة مدريد، بشكل واضح وصريح على أهمية إقليم الاندو-باسفيك من منطلق الارتباط المباشر بين أمن الإقليم والأمن بإقليم الأطلسي الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: الناتو، إقليم الاندو-باسفيك، الدفاع السيبراني، الدفاع السيبراني، إقليم الأطلسي الأوروبي

Abstract:

NATO's growing interest in countries with similar strategic values in the Indo-Pacific region focuses on cooperation in the areas of security, hybrid threats, advanced new technologies and cyber defense. The document "NATO Strategic Concept 2022" issued by the Madrid Summit clearly and explicitly indicated the importance of the Indo-Pacific region from the standpoint of the direct link between the security of the region and the security of the Euro-Atlantic region.

Keywords: NATO, Indo-Pacific region, cyber defense, cyber defense, Euro-Atlantic region.

مقدمة:

للمرة الثانية على التوالي، يتم دعوة رئيس وزراء استراليا " انطوني البانيز " لحضور قمة قادة الدول الأعضاء في حلف الأطلسي " الناتو " التي عقدت في العاصمة الليتوانية " فيلنيوس " وذلك يومي ١١ و ١٢ يوليو ٢٠٢٣. وهي القمة رقم ٣٣ منذ انشاء الحلف في عام ١٩٤٩. وقد سبق أن حضر " البانيز " قمة مدريد التي عقدت في يونيو ٢٠٢٢، ويشار الى ان القمة القادمة ستعقد في الولايات المتحدة الامريكية في يوليو ٢٠٢٤ والتي يتوقع فيها أيضا دعوة رئيس الوزراء الأسترالي لحضورها، وبما يعكس تعاضم أهمية الدور الأسترالي بالنسبة لحلف الناتو.

وجاءت القمة الأخيرة للحلف التي عقدت ب" فيلنيوس " في خضم تطورات دولية وأمنية هامة مثل تطورات الحرب في أوكرانيا وموقف الحلف من انضمام أوكرانيا التي سبق ان تعهد بضمها في قمة ٢٠٠٨ وبحث إمكانية انضمام السويد كعضو كامل بحلف الناتو وذلك بعد قبول فنلندا في ابريل ٢٠٢٣ والتي أصبحت العضو رقم ٣١ بالحلف، فضلا عن بحث مسألة الصعود الصيني وزيادة الانفاق الدفاعي الى الناتج المحلي الإجمالي للدول الأعضاء بالحلف ليصل الى ٢٪ بحلول موعد القمة القادمة للحلف بالولايات المتحدة الامريكية. وكذلك تعزيز القدرات الدفاعية للدول المتاخمة لروسيا من أعضاء الحلف (دول البلطيق الثلاث).

النقاط الرئيسية:

- هناك اهتمام متزايد من قبل حلف الناتو بتعزيز التعاون الدفاعي مع دول إقليم الاندو باسفيك وخاصة استراليا ثم نيوزلندا واليابان وكوريا الجنوبية. AP4
- ان هذا الاهتمام ينعكس في تطوير وتعزيز المشاركة بين حلف الناتو والدول ذات التفكير المتشابه وذات القيم الاستراتيجية المشتركة، خاصة في المجالات الأمنية والدفاعية.
- ان اهتمام الناتو بتعزيز التعاون مع استراليا يهدف الى توسيع تواجد الناتو في اسيا للتعامل مع تنامي الصين وأزمة تايوان وأزمة شبه الجزيرة الكورية ومواجهة الطموح روسيا تحت قيادة بوتين، فضلا عن مواجهة الإرهاب وتعزيز قيم الحضارة الغربية.
- ان استراليا تعتمد على الناتو في تعزيز التعاون الأمني والاقتصادي والتجاري وفي التغير المناخي وتمكين المرأة والامن البحري والجوي والتكنولوجيا المتقدمة وتبادل المعلومات ومواجهة الإرهاب .
- ان النموذج الأسترالي للتعاون مع حلف الناتو يعد نموذج مثالي، لبعض دول الخليج التي ترغب في تعزيز علاقتها مع حلف الناتو من خلال برامج شراكة استراتيجية.
- ان النظرة المستقبلية للتعاون بين استراليا وحلف الناتو تعد دالة للنظرة التحليلية لهذا التعاون ومستقبله. وان السيناريوهات المحتملة تعتمد على فرضيات ترتبط بتوجهات السياسات الداخلية لأستراليا وأعضاء حلف الناتو خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا في اطار متغيرات البيئة الاستراتيجية الأمنية الإقليمية والعالمية

استراليا وحلف الناتو

تمتع استراليا وحلف الناتو بعلاقات قوية وعميقة تنبثق من التوجهات المشتركة لمواجهة التحديات الأمنية والتي تؤثر على امن الإقليم الأطلسي الأوروبي والإقليم الإندو-باسفيك¹. فقد انخرطت استراليا في حوار رسمي مع حلف الناتو في عام ٢٠٠٥ الا ان التعاون العملي بين استراليا والحلف يرجع لعام ١٩٥٣ حيث كانت استراليا اول شريك للناتو في وقت التوسع السوفيتي في أوروبا. كما شاركت استراليا بشكل فعال مع الحلف في أفغانستان خلال الفترة من ٢٠٠٣-٢٠١٤ فيما يعرف بقوة المساعدة الأمنية للتحالف الدولي. ثم بعثة الدعم التابعة للناتو في أفغانستان وذلك خلال الفترة من ٢٠١٥-٢٠٢١، فضلا عن المشاركة مع الحلف في العراق منذ عام ٢٠١٨ والمشاركة في عمليات حارس البحر التابعة للناتو منذ عام ٢٠٢٢.

ولقد منح الناتو في ٢٠١٤ كنوع من التقدير لأستراليا لمشاركتها ومساهماتها في عمليات الناتو " درجة الشريك الموثوق به والذي يمكن الاعتماد عليه وذلك على غرار تعاون الناتو مع دول أخرى مثل الأردن وجورجيا والسويد وفنلندا " قبل ان تنال عضوية الحلف" وأوكرانيا (قبل اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية). وهو الامر الذي أتاح لأستراليا المزيد من اجراء المشاورات السياسية المنتظمة مع الناتو وتنفيذ التدريبات المشتركة وتبادل المعلومات.

¹ <https://belgium.embassy.gov.au/bsls/relnato.html> (Accessed on 16 July 2023) - Australian Embassy Belgium, n.d.

كما تم صياغة والتوصل الى ما يسمى ب (ITPP) وهو برنامج الشراكة المنفردة مع الناتو ٢٠٢٣-٢٠٢٦ والذي تم صياغته اعتماد على مخرجات العلاقات الثنائية بين الجانبان على مدار عقدين من الزمان. ومقتضى هذا البرنامج، تستطيع استراليا ان تستفيد من قدرات الحلف لتعزيز قدراتها في تنمية البحث العلمي وتشجيع الحوار المشترك حول قضايا المرأة والامن والسلام ونزع السلاح والامن السيرياني والتكنولوجيا المربكة والامن البحري وامن الطاقة.

على صعيد اخر، يرى حلف الناتو¹ ان التعاون مع استراليا يتضمن مجالات عديدة من أهمها بناء القدرات والعمليات المشتركة وهناك تعاون بين استراليا والناتو تحت اسم مبادرة الشراكة للعمليات المتبادلة منذ عام ٢٠١٤. كما ان استراليا ضمن خمس دول التي تشارك في الحوار والتعاون مع الحلفاء. وتشارك استراليا في لجان عمل تهتم بالأمور اللوجيستية وتبادل المعلومات والملاحة والتكويد والتسليح وفي المجالات الجوية والبحرية. كما شاركت استراليا مع الناتو في قوة المساعدة الأمنية الدولية "الايساف". كما ان استراليا عضو مع الناتو في التحالف الدولي لهزيمة داعش .

كما شاركت استراليا لأول مرة في اجتماعات وزراء الخارجية للدول الأعضاء في حلف الناتو في ديسمبر ٢٠٢٠ بجانب اليابان وكوريا الجنوبية والسويد لمناقشة توازن القوى العالمية في ظل التصاعد الصيني.

أسباب اهتمام الناتو باستراليا

- يولي حلف الناتو اهتمام بالشراكة بالدول المتشابهة في القيم الاستراتيجية في إقليم الاندو باسفيك مثل استراليا ونيوزلندا وكوريا الجنوبية (AP4) للتعامل مع المشكلات الأمنية المعقدة في عالم اليوم. ويرى الناتو ان الاهتمام بهذا الإقليم ينبع من عدة دواع منها ان التطورات الأمنية والاقتصادية في هذه الدول تؤثر على الامن الأطلسي الأوروبي. ولقد انعكس الاهتمام بإقليم الاندو- باسفيك في قمة الناتو التي عقدت في مدريد ٢٠٢٢ حيث تم دعوة قادة الدول الشركاء في إقليم الاندو باسفيك للحضور والمشاركة مع قادة حلف الناتو وهو الامر الذي تكرر أيضا في قمة فيلينوس ٢٠٢٣.

- إن اهتمام الناتو المتزايد بالدول المتشابهة في القيم الاستراتيجية في إقليم الاندو- باسفيك، يركز على التعاون في المجالات الأمنية والتهديدات المحيطة والتكنولوجيا الجديدة المتقدمة والدفاع السيرياني. ولقد أشارت وثيقة " المفهوم الاستراتيجي للناتو ٢٠٢٢" الصادرة عن قمة مدريد، بشكل واضح وصريح على أهمية إقليم الاندو- باسفيك من منطلق الارتباط المباشر بين أمن الإقليم والأمن بإقليم الأطلسي الأوروبي.

- لا يخفي الناتو اهتمامه بالتوسع والتواجد في اسيا لمواجهة التنامي الصيني ومواجهة الازمة في شبه الجزيرة الكورية والتهديد الروسي وأزمة تايوان. ومن ثم فانه يعزز من تعاونه مع الدول التي تتشابه وتشارك معه في القيم الاستراتيجية من اجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية للناتو .

¹ - NATO OTAN, Published May 8 2023, https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_48899.htm (Accessed on 16 July 2023)

- ان اهتمام الناتو بالتعاون مع استراليا يقلل أيضا من أعباء الحلف المالية ويزيد من قدراته الأمنية والدفاعية. فلقد أعلنت استراليا عن حزمة من المساعدات المالية والعسكرية لاوكرانيا. وعليه فان استراليا تعد ظهور اميني موثوق به للناتو في اسيا. دون ان يتحمل الناتو أعباء مالية جديدة.

أسباب اهتمام استراليا بالتعاون مع حلف الناتو

- أشار المتحدث عن مكتب رئيس الوزراء الأسترالي انطوني البانيز، والذي يترأس أيضا حزب العمل الأسترالي، ان استراليا تلتزم بتحقيق السلم والامن بالمشاركة مع أعضاء وحلفاء الناتو وان هذا من شأنه ان يساعد استراليا على تحقيق الامن وتعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري. وفي هذا السياق أكد رئيس الوزراء الأسترالي على استمرارية بلاده في دعم أوكرانيا واستنكاره للغزو الروسي والذي وصفه بأنه غير أخلاقي وغير قانوني¹.

- يشار الى ان بعض وسائل الاعلام الأسترالية قد اشارت في شهر ابريل الماضي (وذلك عند تسلم مكتب رئيس الوزراء دعوة حضور قمة قادة الناتو في ليتوانيا)، ان رئيس الوزراء قد لا يستطيع حضور هذه القمة وارجعت ذلك عندئذ لأسباب لوجستية. وذلك على الرغم من تأكيد المتحدث باسم رئاسة الوزراء بأنه سيحضر القمة وهو الامر الذي حدث بالفعل. ولم ترجع بعض وسائل الاعلام احتمالية عدم حضور رئيس الوزراء للقمة لأي أسباب أمنية او سياسية، وعلى العكس من ذلك فان معظم وسائل الاعلام الأسترالية ترى ان مشاركة رئيس الوزراء يساهم في تعزيز دور استراليا في توطيد الأعراف الدولية والتضامن لمواجهة الغزو الروسي وأيضا للدفاع عن المصالح الحيوية الأسترالية في المجالات الاقتصادية والتجارية والمناخ.

- كما رحبت المعارضة الأسترالية على لسان وزير الخارجية بقرار انطوني البانيز لحضور قمة الناتو والشركاء في إقليم الإندو-باسفيك وأكد وزير خارجية المعارضة الأسترالية، على ان رئيس الوزراء ينبغي عليه ان يقوم بعمل كل ما من شأنه تعزيز مشاركة استراليا في الحوار والنقاش مع الناتو وبما يحقق الامن في إقليم الإندو-باسفيك. وطالبت المعارضة الأسترالية رئيس الوزراء بضرورة ان يكون لديه حزمة شاملة جديدة لدعم الدفاع في أوكرانيا وهو الامر الذي أعلن عنه رئيس الوزراء الأسترالي بالفعل حيث تم الإعلان عن تقديم مساعدات لاوكرانيا، فضلا عن الإعلان عن تعزيز العلاقات الدفاعية مع المانيا لتزويد المساعدات الإنسانية والحربية لأوكرانيا.

- على صعيد اخر، وصف رئيس الوزراء الأسترالي امين عام حلف الناتو بالصديق لأستراليا وذلك في محاولة لإبعاد نفسه عن ما قام به رئيس الوزراء الأسترالي الاسبق بول كيتينج الذي وصف الأمين العام لحلف الناتو بالغباء. كما استنكر بول كيتينج محاولات الناتو التوسع في اسيا محذرا من ان هذا السلوك سوف يؤدي الى عسكرة أوروبا واتجاهها نحو إقليم الإندو باسفيك. ويذكر ان تصريحات رئيس الوزراء الأسترالي الاسبق لم تجد لها صدى سواء لدى الحزب الحاكم الحالي او المعارضة الأسترالية. كما تجدر الإشارة الى ان كيتينج من الجناح المناهض بضرورة تعزيز العلاقات الأسترالية الصينية ويرى أيضا ان الصين لا تمثل تهديد استراتيجي لأمن استراليا².

مستقبل العلاقات بين استراليا وحلف الناتو

¹ Mike head, 21 April 2023, <https://www.wsws.org/en/articles/2023/04/22/hfbj-a22.html> (Accessed on 16 July 2023)
² Daniel Hurst, 10 July 2023, <https://amp.theguardian.com/world/2023/jul/10/australia-to-send-surveillance-aircraft-to-germany-to-help-protect-supplies-to-ukraine> (Accessed on 16 July 2023)

ان النظرة المستقبلية للعلاقات بين استراليا وحلف الناتو تعتمد على المنهج التحليلي لتلك العلاقة. فمن خلال التحليل الخطي والمنهج التاريخي. فان العلاقات بين استراليا والناتو تتخذ منهج متعاطف من منطلق ان استراليا شريك ذو أولوية من خارج الدول الأعضاء وشريك موثوق به كما يتوقع تجديد الشراكة البينية (ITPP) بين استراليا والناتو فيما بعد عام ٢٠٢٦. وان هذا التطور في العلاقات المستقبلية ينطلق من العوامل التالية:

- ان محددات السياسة الأمنية الخارجية الاسترالية تعتمد على ان استراليا، دولة متوسطة القوة في بيئة استراتيجية دولية تعتمد على القوى العالمية العظمى. وعليه فان سياسة التحالفات الأمنية تنصدر أولوية قصوى في توجهات السياسة الخارجية لأستراليا.

- ارتبطت استراليا في البداية امنيا ودفاعيا بالمملكة المتحدة، ثم تحولت بوصلتها في عام ١٩٥١ لترتبط عضويا على الصعيد الأمني والدفاعي بالولايات المتحدة الامريكية من خلال اتفاقية ANZUS ومؤخرا انخرطت في تحالف يجمع بينها وبين الولايات المتحدة وبريطانيا والهند وكوريا الجنوبية واليابان فضلا عن عضويتها في تجمع العيون الخمس أيضا بقيادة الولايات المتحدة الامريكية.

- ان توجهات السياسة الخارجية لأستراليا لا تحمل أي تناقضات او مزايدات فيما يتعلق بسياسة التحالفات الأمنية والدفاعية. حيث يتفق كل من الأحزاب السياسية الكبرى (العمل والاحرار) وكذلك الأحزاب السياسية الصغرى على هذه السياسة وعلى الارتباط الأمني بالولايات المتحدة وحلف الناتو رغم تعاطف علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الصين وذلك يرجع بالأساس لاسباب حضارية وثقافية.

اما على صعيد الناتو، فان الناتو مقيد باتفاقية ١٩٤٩ والتي تقصر عضويته على نطاق جغرافي معين. وان الناتو به بذور تناقضات كثيرة مثل مواقف الولايات المتحدة المتغيرة تجاه الناتو، والتراعات والصراعات الداخلية بين أعضائه مثل ازمة قبرص التركيبية والتراع التركي اليوناني والاعباء الأمنية والمالية الناجمة من توسع الناتو. الا ان بذور الصراعات لا تحوي حتى الان بذور الفناء. وان انتهاء الناتو يرتبط بعوامل اخري تتعلق عضويا بدور الولايات المتحدة الامريكية على الصعيد العالمي ونظرتها للناتو في إدارة التفاعلات العالمية وصراعها مع الصين وروسيا في المستقبل. ومن ثم فان علاقة الناتو باستراليا في المستقبل تعتمد على ما يلي:

- درجات المرونة في الاتفاقية المنشأة لحلف الناتو ومدى الجراءة على تغييرها وموقف الدول الأعضاء من اجراء هذا التغيير. ودوافع التفكير في التوجه نحو تغيير الاتفاقية المنشأة لحلف الناتو والتداعيات الدولية المترتبة على هذا التوجه والتي قد تؤدي الى زيادة التوتر بين الصين وروسيا الاتحادية من جهة، والولايات المتحدة وحلفائها من جهة أخرى.

-الثبات على الوضع الحالي للناتو من خلال توسيع عضويته في المحيط الحيوي لاوروبا فقط ، مع توسيع برامج الشراكات الاستراتيجية مع دول اسيا والشرق الأوسط وهنا تحتل استراليا دور حيوي لتمكين الناتو من تنفيذ أهدافه الاستراتيجية والتكثيكية.

- الموقف داخل حلف الناتو ذاته. فلقد اثبتت تجربة " الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية ترامب" ، ان له نظرة مخالفة لقواعد النظام العالمي غير التي يعتمد عليها الان ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. فلم يكن ترامب مولعا بنظام الأمم المتحدة او أي من الوكالات الدولية المتخصصة. كما سعى للربط ما بين التجارة والامن وكان له نظرة مخالفة لمفهوم العلاقات الاستراتيجية ودور حلف الناتو في تعزيز هذه العلاقات وان الولايات المتحدة تتحمل أعباء أكبر من المنافع التي تعود عليها من جراء قيادتها لحلف الناتو. وان عودة ترامب او عودة سياسته من خلال رئيس اخر، قد تهدد الدور المستقبلي للناتو في حد ذاته.

وفي ضوء المحددات السابقة في الداخل الأسترالي وفي حلف الناتو، ومن منطلق التحليل الخطي والمنهج التاريخي فإن العلاقات المستقبلية بين الجانبين تتجه نحو التعزيز وان المنحني في تصاعد ولم يصل بعد الى النقطة الحدية التي ينخفض بعدها. وان استراليا تشارك في اعمال الناتو من منطلق الدفاع عن امنها الوطني المباشر وان الناتو يجد في استراليا الشريك المثالي في اسيا والتي تحقق له أهدافه دون الحاجة ان يتحمل أعباء عضويتها المباشرة والكاملة في الحلف.

السيناريوهات المستقبلية المحتملة

- السيناريو الأول: استمرارية الوضع القائم

هناك تعاون بين استراليا والناتو من خلال برامج شراكة منفردة حتى ٢٠٢٦، ونيل درجة الشريك الموثوق به من خارج الدول الأعضاء بالحلف. وهو ما يتم توقع استمراره في العقد القادم. بحيث يتم تعزيز التعاون الاستراتيجي بين استراليا والناتو. وان هذا السيناريو لديه من الدوافع لتحقيقه اكثر مما لديه من الكوابح التي تحد من حدوثه. حيث تتلاقى طموحات واهداف الجانبين لتحقيقه على النحو السالف الإشارة اليه في السطور السابقة.

- السيناريو الثاني: طموح بلا قيود

وهنا تطمح استراليا بان يعيد الناتو التفكير بجدية في اتفاقية انشائه التي تقصر عضويته على "مبدأ إستراتيجية الجغرافيا" وليس على "مبدأ ديناميكية التهديد"، وان تكون استراليا عضو كامل وعامل في الناتو على ان يتم تثبيت المادة الخامسة بميثاق الحلف دول تغيير. وهذا السيناريو تتغلب فيه الكوابح عن الدوافع، وعلى نحو يحد كثيرا من إمكانية حدوثه. فحلف الناتو بالفعل يستفيد من دور استراليا مقابل تبادل معلومات وتناقل خبرات وحدث تدريبات مشتركة دون تحمل أعباء المادة الخامسة من ميثاق الحلف. كما ان الإعلان عن تغيير الاتفاقية وتوسيع العضوية ليشمل دول اسبوية قد يعني اعلان حرب على الصين وروسيا. ومع ذلك فان هذا السيناريو يعتمد كثيرا على متغيرات المنهج التحليلي للتوجهات العالمية المستقبلية وتطورات البيئة الاستراتيجية الإقليمية في منطقة بحر الصين بجنوبه وشرقه والسلوك الصيني تجاه جزيرة تايوان ومخرجات الحرب الروسية الأوكرانية. وعليه فانه سيناريو مستبعد الحدوث ولكنه ليس مستحيلا.

السيناريو الثالث: فناء الناتو

استطاع الناتو ان يظل حيا لعقود طويلة واستطاع ان يقفز فوق تحديات كبيرة كما كان لديه القدرة من المرونة للتكيف مع متغيرات البيئة الاستراتيجية الأمنية الدولية حتى وصل الى مرحلة الموت الاكلينيكي كما وصفه بها الرئيس الفرنسي ماكرون وذلك في ظل سياسات الرئيس الأمريكي السابق ترامب. وعليه فان فناء الناتو لا يعد سيناريو بعيد عن التحقيق على غرار حلف بغداد او حلف وارسو. وان هذا يمكن حدوثه في ظل عوامل منها ما يلي:

- ان تسيطر على الولايات المتحدة سياسات اليمين الشعبوي وتغير النظرة الأمنية تجاه أوروبا والربط ما بين التجارة والامن في السياسة الخارجية الامريكية والرغبة في تغيير أسس وقواعد النظام العالمي ما بعد الحرب العالمية الثانية.
- التوصل الى تسويات استراتيجية مع الصين وتغير النظرة تجاه سياسة الاحلاف والتحالفات العسكرية.
- تغييرات استراتيجية في سياسات بعض الدول المحورية في القارة العجوز مثل المانيا وفرنسا.

- السيناريو الرابع: إعادة توجيه البوصلة الاستراتيجية

وهذا السيناريو يعني إعادة تقييم العلاقات الاستراتيجية على أسس اقتصادية وليس على أسس أمنية. او تقييمها على أسس أمنية مغايرة. وعليه يتم وضع وتقييم الصين على انها دولة لا تمثل تهديد للامن الأسترالي الوطني. وعلى أسس اقتصادية تعطي للصين أولوية في العلاقات الاستراتيجية. وعليه تتنصل استراليا رويدا رويدا من تحالفها الأمنية مع الولايات المتحدة والدول الغربية وتتجه نحو تعظيم العلاقات الاستراتيجية الأمنية والاقتصادية مع الصين. وهذا السيناريو مستبعد الحدوث لدرجة استحالة التنفيذ لامور ترجع لعوامل ثقافية وحضارية (هامة في التأثير على توجهات السياسة الخارجية لأستراليا) . ولان الولايات المتحدة تأخذ في اعتبارها ان لاشئ مستحيل في السياسة ، لذلك هناك حرص على تعزيز العلاقات الأمنية مع استراليا سواء عبر قنوات الناتو او قنوات أمنية أخرى.

الاستنتاجات

- يقوم حلف الناتو بالتوسع في أوروبا من خلال قبول عضوية دول جديدة، والتوسع في إقليم الاندو باسفيك من خلال توسيع دائرة الشركاء والحلفاء الاستراتيجيين. وان توسع الحلف سواء من خلال اتفاقية انشائه التي تحصر عضويته في دول شمال الاطلسي و أوروبا ، او من خلال توقيع شراكات وبرامج مع دول اخري في الشرق الأوسط او في اسيا ، سعيًا من الحلف لسيط نفوذه في مناطق حيوية عديدة من العالم بهدف مواجهة التنامي الصيني والطموح الروسي . وبعد التطورات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط، باتت بوصلة حلف الناتو تتجه وتركز بشكل اكبر على إقليم الاندو باسفيك ، لذلك قام الناتو بفتح مكتب اتصال في طوكيو لتنسيق الأنشطة مع الشركاء في الباسفيك خاصة مع استراليا ونيوزلندا وكوريا الجنوبية. ووصف امين عام حلف الناتو العلاقات الأوروبية الاسيوية بانها مرتبطة مع بعضها ومتشابهة في القيم الاستراتيجية. الا ان هناك تباين نسبي في التوجه الاستراتيجي داخل الناتو حيث تقف فرنسا موقف المعارض من خطة الناتو للتوسع والتواجد في اسيا، حيث يري الرئيس الفرنسي ماكرون بان الناتو لابد وان يركز على شمال الأطلسي وذلك وفقا لما أورده موقع ABC الأسترالي.

- ان استراليا تولي اهتمام بالغ بتوطيد العلاقات مع الولايات المتحدة والتي ترتبط معها باتفاقية دفاعية تعود لعام ١٩٥١، وتستقبل على أراضيها ست قواعد عسكرية أمريكية. وأيضا تولي اهتمام بالغ بالتعاون مع حلف الناتو، على الرغم من تعاضم العلاقات التجارية والاقتصادية مع الصين والتي تتجاوز حجم تعاونها مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. الا ان استراليا تعطي أولوية للتعاون الأمني مع الولايات المتحدة وأوروبا فضلا عن التشابه في القيم الاستراتيجية بين النموذج الأسترالي والنماذج الغربية.

- ليس من المستبعد في العقد القادم ان يشهد حلف الناتو تحديات كبيرة بين متناقضين يتمثلان في السعي نحو توسيع العضوية، وبين تبعات واعباء هذا التوسع فضلا عن التناقضات بين مصالح الدول الأعضاء فيما دون القيم الاستراتيجية. لذلك ليس من المستبعد عمل مراجعة شاملة لاتفاقية حلف شمال الأطلسي بحيث يمكن لها ان تشمل دول اخري خارج نطاق شمال الأطلسي وأوروبا بغية محاصرة التنامي الصيني المضطرد وأيضا محاصرة الطموح الروسي بل والعمل على تفكيك روسيا الاتحادية. الا ان هذا التنبؤ يظل مرهون بدور الولايات المتحدة الامريكية في النظام الدولي والقدرة على تضييق الفجوات بين المتناقضات والمصالح الوطنية للدول الأعضاء بالحلف والدور الفرنسي والألماني والتركي داخل الحلف.

- ان وثيقة المفهوم الاستراتيجي الجديد والتي تعد اهم مخرجات حلف الناتو في قمة مدريد ٢٠٢٢ ، بدأت بالفعل تشهد تطبيقا عمليا على الأرض سواء من خلال تنفيذ اليات تعزيز التعاون المشترك والاهتمام بدول الاندو باسفيك وبما يعكس الاهتمام بالتواجد في اسيا وأيضا ضمان ان تكون مظلة الحلف واسعة بحيث تعطي ارجاء المعمورة في ظل رغبة الحلف في تنفيذ وتفعيل البند الخامس من الميثاق، وتمكينه أيضا من التغلب على ضعف الانفاق العسكري لبعض الدول الأعضاء بالحلف وذلك عن طريق توسيع دوائر الشراكات الاستراتيجية كما يحدث مع استراليا. والتي تعد نموذج يحتذى في الشراكة الاستراتيجية مع حلف الناتو.

- وأخيرا فان العلاقات بين استراليا والناتو هي علاقات قائمة على عوامل حضارية وثقافية مشتركة وهي التي تدعم العوامل الأمنية والاقتصادية وتدفعها نحو التعزيز والتعاضد وان منحى العلاقات ما زال امامه مساحات للنمو ولم يصل لدرجة الحدية وبعد. وان سيناريوهات العلاقات المحتملة خلال العقد القادم على الأقل تشير الى استمرارية نمو الوضع الحالي للعلاقات بين الجانبين.

المراجع:

- Australian Embassy Belgium, n.d, - <https://belgium.embassy.gov.au/bsls/relnato.html> (Accessed on 16 July 2023)
- NATO OTAN, Published May 8 2023, https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_48899.htm (Accessed on 16 July 2023)
- Mike head, 21 April 2023, <https://www.wsws.org/en/articles/2023/04/22/hfbj-a22.html> (Accessed on 16 July 2023)
- Daniel Hurst, 10 July 2023, <https://amp.theguardian.com/world/2023/jul/10/australia-to-send-surveillance-aircraft-to-germany-to-help-protect-supplies-to-ukraine> (Accessed on 16 July 2023)

إشكالية الخطاب السياسي الاستشراقي عند بلفور وكرومر: قراءة في المفاهيم

أ. لغزال محمد / كلية اللغات والآداب والفنون - جامعة ابن طفيل/ المغرب

أ.د عبد النور الحضري / كلية اللغات والآداب والفنون - جامعة ابن طفيل/ المغرب

المستخلص:

نحاول من خلال هذا العمل البحثي قراءة وتحليل الخطاب السياسي الاستشراقي، تنظيرا وتطبيقا، كونه خطابا مليئا بالمفاهيم التحليلية، والآليات النقدية، فمن خلال هذه الدراسة سيظهر جليا أن الخطاب الاستشراقي تحكمه روح الهيمنة والتملك، فهما فعلا ميران بأن موازين القوى ترجع إلى المجتمعات الغربية، لكونها متشكلة من أفراد متفوقين وقادرين على تمثيل أنفسهم ومعرفة الأشياء من حولهم، وهناك مجتمعات أخرى أقل تنظيما وتحضرا يسودها الانحطاط والجهل بالتاريخ والثقافة والحضارة...؛ حيث سنتطرق إلى مجموعة من المفاهيم التي تحكم خطاب الاستشراق، بداية بالدور الريادي الذي لعبه الناقد إدوارد سعيد في تفكيك وبناء خطاب الاستشراق، محاولين بسط ما استند عليه الناقد من مرجعيات وتمثيلات في فهم ودراسة ونقد الخطاب الاستشراقي، إضافة إلى تطرقنا للبعد التطبيقي للاستشراق من خلال رصد خطابين مهمين لكل من بلفور وكرومر، الشخصيتين البارزتين في السياسة البريطانية، حيث سنستعرض أهم الأسس التي قاما عليها هذان الخطابان، بالإضافة إلى توضيح نظرتهم للمشرقي. إن خطاب الاستشراق يلخص الصورة التي كونها الغربي عن الآخر المشرقي، فهي تجسيد لموقف غربي خالص يرى في المشرقي نظرة مختلفة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الاستشراق، النقد، الخطاب الاستشراقي، إدوارد سعيد، بلفور وكرومر.

Abstract :

In this study, we aim to examine and analyze the discourse of Orientalism, both theoretically and practically, as it is a discourse filled with analytical concepts and critical mechanisms. Through this study, it will become clear that Orientalist discourse is governed by a spirit of dominance and possession, justified by the notion that power dynamics favor Western societies, as they are composed of superior individuals capable of representing themselves and understanding the world around them. In contrast, there are other societies that are less organized and civilized and characterized by degeneration and ignorance of history, culture, and civilization. We will address a number of concepts that govern Orientalist discourse, starting with the pioneering role played by scholar Edward Said in deconstructing and constructing the discourse of Orientalism. We will explore the references and representations that he relied upon in understanding, studying, and critiquing Orientalist discourse. Additionally, we will examine the practical dimension of Orientalism by analyzing two important discourses from Balfour and Cromer, prominent figures in British politics, where we will highlight the main foundations upon which these discourses were based, as well as clarify their perspectives on the East.

Keywords: Discourse, Orientalism, Criticism, Orientalist discourse, Edward Said, Balfour and Cromer.

تمهيد:

لقد اشتغل المثقفون الغربيون لفترات متعاقبة ممتدة في تاريخ طويل على دراسة ثقافات الشعوب الأخرى غير الغربية (الإفريقية والآسيوية واللاتينية)، فنوعت أشكال هذه الدراسة بين ترجمة الكتب والبحث في سير الأشخاص والقيام ببحوث ميدانية تشمل عادات الأطعمة وأساليب العيش والعمل وأنواع المناسبات والتقاليد والعلاقات بين أفراد الأسر والقبائل... ولو أن الاهتمام الغربي بثقافات الآخرين متجذر في التاريخ إلا أن ازدهاره وانتشاره جاء مع مطلع القرن السابع عشر، الفترة التي بدأ فيها الاستشراق يأخذ طابعا أكاديميا. وذلك بإدراجه ضمن المواد التي تدرس في العديد من الجامعات الأوروبية، لنتجه الاستشراق في هذا المنحى حتى أصبح على ما هو عليه في عصرنا الراهن. وتجدر الإشارة إلى أن الممارسة الاستشراقية تحمل في طياتها خطابا ممنهجا له آلياته وقواعده التي تجعل منه خطابا بالمعنى المتداول لهذه الكلمة. ونختار أن نصلح عليه بـ"خطاب الاستشراق"، كما أن فهم هذا الخطاب يستدعي منا معرفة أسسه ومواصفاته ومن يقف وراءه أو بتعبير آخر من ينتجه ومن المستهدف منه. فلكل خطاب مصدر يأتي منه أو مختبر يخضع فيه إلى التجربة والفحص والتنقيح قبل أن يتم إنتاجه. لذا فإن اختيارنا لهذا الموضوع يراد منه تحقيق هذا المتغى وهو فهم الخطاب الاستشراقي والحيثيات المتعلقة به، وذلك من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي نجملها في ما يلي:

- ما المقصود بالخطاب والاستشراق؟
- ماهي مواصفاته؟
- ماهي أسسه وقواعده؟
- من الذي ينتجه؟ ومن المستهدف منه؟
- هل للمثقف الغربي غاية من دراسة ثقافة الآخر؟ أين تتمثل هذه الغاية؟
- ما الصورة التي يصوغها المستشرق عن الآخر الذي يشكل موضوعه؟ وكيف يقوم بذلك؟
- ماهي أساليبه؟ وهل تمثل هذه الصورة الحقيقة أم إنما تخضع لتوجهات إيديولوجيات محددة؟
- كيف يبرر الغربيون تفوقهم عن الآخرين؟ وما أشكال هذا التفوق المزعوم؟

1 - في مفهومي الخطاب والاستشراق :

1-1 مفهوم الخطاب :

لقد ورد مصطلح "الخطاب" في القرآن الكريم في عدة مواضع، ولأن الهدف الأسمى من وضع المعاجم العربية القديمة كان الحفاظ على لغة القرآن والعناية بها، فإن المعجميين العرب القدامى حاولوا وضع تعريف للخطاب. ومن بين هؤلاء ابن منظور في كتابه لسان العرب، حيث نجد فيه "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن. قال الليث: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، هو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب،

فيوضع موضع المصدر "1 (ابن منظور: 1995، ج 1)، ومن تعاريف الخطاب عند الأصوليين " : أحد مصدرى فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث و الرد عن الزمن إلى الدلالة على الإسمية فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام .² (حمادي: 1994، ص 21) .

ونجد في القرآن الكريم آيات كثيرة ورد فيها مصطلح "الخطاب" كقوله تعالى في سورة النبأ: " ورب السماوات والأرض وعا بينهما عما الرحمان لا يملكون منه خطابا"³ ، كما ورد في سورة الفرقان بصيغة أخرى في قوله عز وجل " :وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالو سلاما"⁴ ، وفي سورة هود " : واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون"⁵ .

يتبين من خلال ما أورده سابقا أن تحقق الخطاب يقتضي توفر عنصرين أو طرفين، هم المخاطب والمخاطب . وقد أشار الباحث عبد السلام حيمر إلى هذه المسألة في قوله " :رأينا كيف أن الخطاب في أسسط معنى اشتقاقي له إنما يشير إلى تبادل الكلام بين طرفين :مخاطب متكلم، ومتلق - - مخاطب؛ بالإضافة إلى أن هذا الكلام يتكون من الجملة الواحدة فما فوق .وإذا كان الخطاب يفترض بالضرورة حضور متكلم واع بكونه الذات المنتجة للخطاب، فإنه يفترض أيضا وجودا قريبا للمخاطب من حيث إن المتكلم وهو ينتج كلامه إنما ينتجه وفق تصور استراتيجي يكون له عن مخاطبه"⁶ .

أما في نظر النقاد الغربيين فإن تودوروف يصنف الخطاب إلى نقدي وأدبي بحيث الخطاب النقدي هو " الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمنجز لا يستطيع أن يتحدث إلا خطابا مثنويا ، أما الخطاب الأدبي فيهدف إلا التعبير ويغلب عليه الطابع الفني، ويخضع لانتظام داخلي، أما من الناحية الخارجية فالخطاب الأدبي يتحرك بحرية وبطريقة مستقلة وفي داخله يكون منظما وخاضعا للانتظام"⁷ ، عموما فإن تودوروف انتهى إلى أن الخطاب يختلف عن النص؛ إذ يمثل جسما له ذاته وحركته وزمنه ويتحرك بحرية مستقلة.

نستنتج من خلال التعاريف السابقة أن مفهوم الخطاب يختلف من دارس لآخر أو من اتجاه لآخر، ومرد التباين هذا إلى اختلاف المذاهب والتوجهات والحقول المعرفية .فكل ي عرف الخطاب حسب ما يملكه عليه مجال اشتغاله، بحيث يركز اللساني على الجانب اللغوي كما نجد عند سوسير وباقي اللسانيين الذين جاؤوا بعده، ويؤكد عالم التداوليات على عنصر السياق وماله من أهمية في تحقيق التبالغ أو التخاطب، أما عالم الاجتماع فيحاول ربط مفهوم الخطاب بالمحددات السوسولوجية ويحاول دائما استثماره في تحليل ودراسة القضايا والظواهر الاجتماعية،

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1955 - - ، الجزء الأول / مادة خ ط ب.

² إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرائق استثماره، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى- 1994 ص 21 .

³ القرآن الكريم برواية ورش لقراءة الإمام نافع وبهامشه، دار الفجر الإسلامي دمشق سوريا ، الطبعة الخامسة 2014 - - ، الربع الرابع، سورة النبأ، الآية 37 ، ص. 497

⁴ الربع الثالث، سورة الفرقان، الآية 63 - ، ص. 296

⁵ الربع الثاني، سورة هود، الآية 37 - ، ص. 176

⁶ عبد السلام حيمر، في سوسولوجيا الخطاب من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، ص. 20 - -

⁷ رابع بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، ص. 89 - -

كما يصوغه علماء النفس وفقاً لمجال عملهم المتمثل في سير أغوار النفوس البشرية وتصنيفها وتم سير ردود أفعال الأشخاص ثم سيراً سيكولوجياً.

1-2 مفهوم الاستشراق:

ورد في المعجم الوسيط ("الاستشراق) مشتقة من مادة (شرق) يقال: شرقت الشمس شرقاً وشرقاً إذا طلعت¹، وقد تحدث الدكتور أحمد سمائلوفتش في كتابه "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"² عن ما سماه بالمفهوم اللغوي والعلمي للاستشراق مضيفاً أن كلمة "الاستشراق" لم ترد في المعاجم العربية القديمة. ولعل ما يهمنا أكثر هو الدلالة الاصطلاحية للاستشراق، لذا سنحاول أن نقف على المفاهيم التي أوردها بعض الباحثين. هذا بارت يقول: "الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولا بد لنا إذن أن نفكر في المعنى الذي أطلقت عليه كلمة استشرق (المشتقة من كلمة (شرق) وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"³. ويذهب يوسف أسعد داغر إلى أن الاستشراق هو "حركة علمية عنيت ولا تزال تعنى بالمدنيات الشرقية، ما غير منها وما حضر، وما طمس ذكره منها وما استقر، وما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية، وما يتصل بهذه الحضارات، وما فيها من شعوب وأجناس ومذاهب ومدارس، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضارية وهو خليق بأن نحييه نشرًا وطباعة"⁴.

وعند البحث عن دلالة هذا المصطلح لدى إيدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" وجدنا تعريفاً

مختصراً أورده الكاتب في عبارة "إنه مبحث أكاديمي"، حينها حاول إدوارد سعيد أن يربط بين مفهوم "الاستشراق" والخصائص التي يتميز بها المستشرق، أي التي تجعله يحمل ذلك الاسم وتمثل في أنه "يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء بحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في الأثرولوجيا أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة"⁵، فحينئذٍ ما تلتف ب"الاستشراق" فإننا نصف بشكل مختصر العملية التي يقوم بها المستشرق وهي التي وصفها الكاتب بكونها مبحث أكاديمي. ويورد إيدوارد سعيد للإقرار بأن استعمال مصطلح "الاستشراق" تراجع عند الباحثين المعاصرين، فيحل مكانه إما "الدراسات الشرقية" أو "دراسات المناطق" ومرد ذلك حسب إيدوارد إلى سببين هما:-

1 - أنه (أي مصطلح الاستشراق) يتسم بقدر أكبر من الغموض والتعميم.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، طبعة 1960 -، الجزء الأول، ص. 482

² الدكتور أحمد سمائلوفتش: أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية في سرايفو يوغوسلافيا ورئيس المشيخة الإسلامية لجمهورية البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا ويوغوسلافيا.

³ بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، طبعة - 1967، ص. 11

⁴ يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، المطبعة المحلصية بيروت، الطبعة الثانية - 1961، الجزء الثاني، ص. 771.

⁵ إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2006، ص. 44.

2 - أن من ظلال معانيه الإيحاء بالاستعلاء الذي كان المديرين الأجانب يتسمون به في عهد الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين¹.

ويذهب إيدوارد سعيد إلى أن الاستشراق كتب له الاستمرار وربما بل الاحتمال كبير جدا في أن هذا الاستمرار سيبقى؛ لأن العملية الاستشراقية تحولت من اقتصارها على المجهودات الفردية التي يقوم بها بعض المستشرقين قديما إلى معرفة أكاديمية تأخذ المؤسسات الجامعية الغربية على عاتقها العناية بها وتطويرها والمساعدة على تلقين أسسها وأدواتها ونشرها وجعلها بذلك حقلا معرفيا قارا له قواعده وضوابطه. ويعبر صاحبنا عن ذلك بقوله: "ومعنى هذا أن الاستشراق حتى ولو لم يكتب له البقاء بالصورة القديمة، لا يزال حيا في الحياة الأكاديمية من خلال ما أرساه من مذاهب وقضايا فكرية بشأن "الشرق" و"الشرقي"².

لقد اختار إيدوارد سعيد أن يقدم هذه الشذرات التي تعطينا تصورا مبسطا عن الاستشراق، قبل أن يصوغ في الأخير مفهوما متكاملا خاصا به يحدد فيه بعمق دلالة هذا المصطلح ويربطها بالعديد من الكتابات التي يمكن تصنيفها ضمن الكتابات الحاملة للفكر الاستشراقي. فالاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق"، وبين ما يسمى في معظم الأحيان - "الغرب"، وهكذا فإن عددا بالغ الكثرة من الكتاب من بينهم شعراء وروائيون وفلاسفة وأصحاب نظريات سياسية واقتصاديون ومديرون وإمبريالليون قد قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب - بعده نقطة انطلاق لوضع نظريات مفصلة، وإنشاء ملاحم، وكتابة روايات، وأوصاف اجتماعية، ودراسات سياسية عن الشرق، وعن أهله وعاداته، وعن "عقله" ومصيره، وهلم جرا، وهذا اللون من الاستشراق قد يضم أيسخولوس، مثلا، وفيكتور هيغو، ودانتى، وكارل ماركس³.

لم يتردد إيدوارد سعيد في عد الاستشراق مؤسسة جماعية تتعامل مع الشرق كموضوع وكمعطى للدراسة، وما جعله يؤكد على ذلك ما يظهر الآن من حركة نشيطة للمؤسسات الجامعية والمعاهد العليا وسعيها لتأطير بحوث الأكاديميين الذين يشكلون في أحيان كثيرة مجموعات عمل. يتقاسمون الأدوار فيما بينهم ويكتفون جهودهم وخبراتهم المعرفية وقدراتهم التحليلية لاستكشاف كل ما يتعلق بالآخر؛ بما في ذلك ثقافته وتقاليد وأفكاره... فالمؤسسات الأكاديمية توفر ظروفا مادية ملائمة للبحث، والباحثون يقومون بمهمة البحث والعودة بنتائج تصاغ على شكل كتب ومقالات تقدم للطلبة في قاعات المحاضرات. وكل هذا حسب رأي إيدوارد سعيد بدافع الهيمنة والتسلط على الآخر والسيطرة - عليه. وهذا ما عبر عنه بقوله: "الاستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه والتسلط عليه"⁴.

نعتقد أن ما أوردناه لإيدوارد سعيد حول مفهوم الاستشراق كقيل بأن يعطينا تصورا شاملا وواضحا إلى حد كبير عن دلالة هذا المصطلح؛ وذلك لكون صاحبه يتوخى فيه المنهج العلمي الصريح وعدم الانحياز أو الخضوع للانطباع. كما أن الكاتب مشهود له بالبدقة

¹ المرجع نفسه، ص 44 .

² المرجع نفسه، ص 44 .

³ إدوارد سعيد، "الاستشراق"، ص 45، بتصرف .

⁴ إدوارد سعيد، "الاستشراق"، ص 46 .

والتعمق في تناول مثل هذه القضايا كما أنه يتميز بذكاء علمي نادر وفطنة معرفية شديدة لا يتوفران إلا عند قلة قليلة من الباحثين، وإيدوارد سعيد إذ يبحث في الاستشراق فإن له من التكوين الأكاديمي ما يمنحه القدرة ويؤهله للخوض في قضايا هذا الموضوع الشاسع .

2- تمثل الخطاب الاستشراقي عند إدوارد سعيد ومرجعياته :

لقد مارس الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد على الخطاب الاستشراقي دراسة نقدية متميزة في جميع أعماله ومشروعه النقدي حول " الاستشراق "، وقد اعتمد في هذه الدراسة على مجموعة من النظريات النقدية والمناهج الفكرية الحديثة وظيفها توظيفاً وظيفياً وتفاعلياً مع خطاب الاستشراق، خاصة فيما يتعلق بالخطاب الاستشراقي البريطاني الذي سنعرض بعضاً منه فيما يلي من هذه الدراسة، وقد ركز إدوارد سعيد في ممارسته النقدية على العديد من المفاهيم التي يروجها الغرب في خطابهم كثنائية الغرب والشرق التمييزية، والهيمنة والدونية والديونية والتقليد وعدم التمثيل...، هذه المفاهيم التي تشكل اللبنة الأساس للعديد من خطابات المستشرقين .

إن مساهمة إدوارد سعيد في نقد الخطاب الاستشراقي والكشف عن خباياه وتمحيصه من خلال مقارنته بالمجال السياسي والثقافي والحضاري...، مبنية على ما راكمه من خلال ازدواجية الحياة والتكوين والثقافة لديه، حيث أنه تلقى أسس الثقافة المشرقية بكل مكوناتها في فلسطين، ثم عاصر أيضاً المكون الغربي خاصة الأمريكي فتشرب بعضاً مما وظفه في ممارسته النقدية، وذلك ما سنحاول كشفه من خلال الخوض في المرجعيات والمبادئ التي تؤطر ممارسة إدوارد سعيد للخطاب الاستشراقي .

يتمتع إدوارد سعيد في ممارسته لنقد خطاب الاستشراقي من العديد من المرجعيات النقدية والفلسفية والفكرية، ومن خلال تتبعنا لمدونات النقدية خاصة " الثقافة والإمبريالية (1993) "، ثم " صورة المثقف (1994) "،...، بالإضافة إلى كتب أخرى، يظهر جلياً تأثره بفكر ما بعد الحداثة، وتمثل فلسفة ميشيل فوكو واحدة من مرجعيات إدوارد سعيد، حيث عمل بتمثيلات فوكو مفهوم الخطاب وأخذ منه ماهيته وأساسه، فالخطاب عند فوكو كما عند إدوارد " مجموعة من المفوضات التي تمتلك ترابطاً وتماسكاً يحقق التنظيم لإنتاج النصوص وتحقيق المعرفة"¹، كما نهل إدوارد تصور فوكو حول السلطة والمعرفة باعتبارهما أساس التنظيم والاستقرار، و سائرته في أن السلطة والمعرفة هي أساس مؤسسات الحكم التي اعتبرها المستشرقون مكوناً من مكونات الأنظمة في الشرق...

إضافة إلى فلسفة فوكو، نجد أيضاً العديد من المفاهيم النقدية الاستشراقية التي وظفها إدوارد المأخوذة من التنظير الذي قدمه (أنطونيو غرامشي) في نقد الواقع، خاصة مفهوم الهيمنة، وهو المفهوم الذي ارتبط بالنقد التاريخي والاجتماعي، فالهيمنة عند غرامشي تنبني على تفعيل السلطة وجعلها الآلية الاجتماعية الضبطية، سواء بالإقناع أو التعاون أو تبجيل مؤسسات الحكم، وهي مفاهيم توظف في الدولة الضعيفة، التي تنقص فيها الحرية والديمقراطية...، لقد حاول إدوارد سعيد توظيف مفهوم الهيمنة في كتابه " الاستشراق " وذلك لتمييز الحياة المدنية مع الحياة السياسية للجماعات، وهذا الأمر هو ما أكسب المستشرقين قوة أسموها بـ " المثقف العضوي "، أي المثقف الذي يملك سلطة للتدخل والتصحيح والتعديل .

إن هذه المرجعيات السابقة التي استند إليها إدوارد سعيد في تمثل خطاب الاستشراق وبناءه ونقده وتفكيكه، ليس سوى جزء بسيط مما استلهمه إدوارد في ممارسته الفكرية الاستشراقية، بل توجد العديد من الأسس الأخرى والتي يمكن أن نستشفها من خلال الآليات

¹ واليا شيلي ، 2007، ص 33

والمفاهيم التي يستعملها الناقد بشكل عام، إلى جانب ذلك فالناقد الاستشراقي إدوارد سعيد بنى رؤية منهجية مضبوطة حدد من خلالها مفاهيم الشرق والآخر، وجعل ممارسته النقدية متكئة على تلك الأسس المفاهيمية بشكل خاص، ففكك الخطاب الاستشراقي وأبرز في العديد من أعماله الخاصة الموظفة في كل نموذج استشراقي تمت دراسته .

3- قراءة في خطاب المستشرقين " بلفور و كرومر " :

" إنهم عاجزون عن تمثيل أنفسهم؛ يجب أن يمثلوا " كارل ماركس.

إن مثل هذه المقولات أصبحت تتردد مع بداية العصر الحديث في أرجاء كثيرة من بلاد الغرب على أفواه العديد من المثقفين والسياسيين بل والعامّة أيضاً، وليس هذا غريباً فقد انتشرت ثقافة الاستشراق داخل المجتمعات الغربية وانتشرت إلى حد يمكن معه أن تلقى جواباً "استشراقياً" عند كل أوروبي تسأله عن الشرق أو الشرقيين، فقد نجحت الدراسات الاستشراقية التي تعاقب عليها أكاديميون متخصصون لعقود طويلة إلى حد كبير في تكريس نظرة أو تصور محدد حول الشرق وأهله، إنه خطاب - آمن به - أصحابه أشد الإيمان وأرادوا له أن يستقر في أذهان العموم بما في ذلك الإنسان الغربي وغير الغربي، إنه الخطاب الذي تبرر به البلدان المستعمرة استعمارها للبلدان الأخرى (المشرقية؛ الإفريقية أو الآسيوية أو اللاتينية)، ويرتكز بالذات على مبدئي التفوق والدونية؛ ويقصد بهما أن الذات الأوروبية متفوقة في كل الجوانب على نظيرتها المشرقية، ويستوجب ذلك أن تخضع الأخيرة للأولى ومعنى الخضوع : أن تقبل المجتمعات المشرقية (والتي لا تستطيع تقرير مصيرها وفهم كينونتها أو تاريخها وحضارتها) بكل ما يصدر عن المجتمعات الغربية أو بالأحرى عن الذين يقودونها .

إنه خطاب إيديولوجي يحمل شهوة إمبريالية للسيطرة على الآخر والتحكم فيه والتسلط والهيمنة عليه، وهو ما يمثل الشيء الإيجابي للشعوب المشرقية أو هكذا يتصورها الغربي الذي أصبح مقتنعاً بأن الآخر غير قادر على تمثيل نفسه والتعرف على كيانه، وهو ضعف يجب تعويضه بتفويض أمر تحقيق المصير إلى "النحن" أي الذات الغربية التي تمتلك حكمة التعامل مع الأشياء وفهمها، واستطاعت أن تفهم تاريخ الآخر وحضارته أكثر من فهمه هو لهما . إن هذه الأفكار والنظرة للمشرقي هي التي يحملها الآخر الغربي، بل ويزكيها ذلك العديد من النصوص والأحداث التي تتجاذب فيها النظرتان المشرقية والغربية، إضافة إلى ذلك هي نظرة لا تجمع على كون الكل ينظرها، بل تبقى حكراً على اللذين لديه قراءة خاصة وفق نصوص فهموها بناء على مرجعياتهم أو ما يوافق رغبتهم .

3-1 خطاب بلفور :

لقد أسقط إدوارد سعيد آليات التحليل الاستشراقي مباشرة على خطاب بلفور الوزير البريطاني الذي ذاع سيطه وشهرته في بلدان كثيرة من العالم، بسبب مكانته السياسية ومناصبه الحكومية والمهام الخارجية التي كلف بتنفيذها، فهو آرثر جيمس بلفور (Arthur James Balfour) سياسي بريطاني (25 يوليو 1848-19 مارس 1930)، تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا من 11 يوليو 1902 إلى 05 ديسمبر 1905م، عرف برؤيته الاستعمارية تجاه دول المشرق (نقصد بالشرق، أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية)، وكان أيضاً من الذين دافعوا بشدة عن احتلال بريطانيا لمصر منتقداً كل من أبدى اعتراضه لفكرة الاحتلال، اشتهر بإعطاء وعد بلفور الذي نص على دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وهذه التركة التي اتصف بها بلفور جعلت من إدوارد سعيد يوضح التركة الإمبريالية لدى بلفور والتي تبدو واضحة في خطابه التي يمكن أن نقول عنها إنها تمثل جوهر الاستشراق بامتياز كبير، فقد جاء في خطاب بلفور عام

مجلس الوزراء: "إننا نعرف حضارة مصر خيرا مما نعرف حضارة أي بلد آخر، ونعرف تاريخها السحيق، بل نخطط لها إحاطة أوثق وأشمل، إنها تتجاوز النطاق المحدود لتاريخ الجنس الذي ننتمي إليه، فهو يضيع في فترة ما قبل التاريخ في الوقت الذي كانت الحضارة المصرية قد تخطت عهد الشباب، أنظروا إلى جميع البلدان الشرقية، لا تتحدثوا عن تفوق أو عن دونية..."¹.

إن بلفور هنا يذهب بالخطاب الاستشراقي إلى أبعد مدى، وذلك حينما صرح بأن الحديث عن التفوق والدونية يجب تجاوزه لأن مسألة تفوق الجنس البريطاني على الشعب والمجتمع المصري يعد من المسلمات، ومن التفاهة الرجوع إليها، ولا غرابة في أن يكون خطاب بلفور حادا إلى هذا المستوى؛ لأنه جاء ردا على طعن بعض أعضاء البرلمان البريطاني في ضرورة الوجود البريطاني في مصر، وكان لا بد لإقناعهم بنقيض ما كانوا يقرون به أن يلجأ إلى مثل هذا النوع من الأساليب في خطابه.

وقد تنبه إيدوارد سعيد في هذا الخطاب إلى مسألة أخرى تتعلق بتصوير بلفور للمعرفة والسلطة، حيث إنه يربط الغزو البريطاني لمصر وممارسة السلطة على الشعب المصري بمعرفة بريطانيا للتاريخ الحضاري لمصر، وبمعنى آخر أن هذه المعرفة والتي لم يستطع المصريون الوصول إليها هي التي تحتم على بريطانيا احتلال مصر، وقد سبق أن أشرنا في ما سبق أن النظرة الاستشراقية لكل من المعرفة والسلطة تتحدد ضمن هذه العلاقة التي أشار إليها بلفور في خطابه، وفي هذا الصدد يأتي قول إيدوارد²: "المعرفة تعني لبلفور استقصاء مسار حضارة ما من شأنها إلى ازدهارها إلى ذبولها، وتعني أيضا بطبيعة الحال قدرتنا على ذلك. والمعرفة تعني الارتفاع على اللحظة الحاضرة، وتجاوز الذات إلى الأجنبي والبعيد، وموضوع هذه المعرفة، أي الشرق، معرض للفحص الدقيق لضعف في طبيعته، وهذا الموضوع يعد حقيقة ثابتة، وحتى لو تطور أو تغير أو حول نفسه بنفسه على نحو ما تفعل الحضارات في أحيان كثيرة، فلا بد أن يظل على ثباته الجوهرية بل والوجودية، وامتلاك مثل هذه المعرفة يمثل هذا الشيء معناه السيطرة عليه وتملكه..."².

لا نشك إذن في إصرار بلفور في خطابه الذي نعهده دائما نموذجا للخطاب الاستشراقي على الهيمنة البريطانية على مصر فيها خير للمصريين، متمثل في إنقاذهم من استبداد الحكم المطلق الذي فرض عليهم من قبل حكومتهم وبالتالي فالحكم البريطاني يمكنهم من استرجاع حقوقهم والخروج من براثن التخلف.

وقد انتقد إيدوارد سعيد هذه الفكرة؛ لأنها في رأيه لا تمثل الحقيقة ولا تستند لما هو موجود في الواقع -، فلفور لا يقدم أي أدلة على أن المصريين (والأجناس التي تتعامل معها) تقدر أو حتى تفهم الخير الذي يعود عليها من الاحتلال الاستعماري، لكنه لا يخطر على بال بلفور أن يطلب من المصري أن يتحدث بنفسه، ربما لأن المصري الذي سيتكلم سيكون على الأرجح ذلك المشاغب الذي يثير الصعوبات -، لا المواطن الصالح الذي يتجاهل صعوبات السيطرة الأجنبية³.

¹ إيدوارد سعيد، "الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق"، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2006، ص 85، بتصرف.

² المرجع السابق نفسه، ص 86، بتصرف.

³ المرجع السابق نفسه، ص 87، بتصرف.

لا ينكر بلفور أن مصر عرفت في القدام حضارة مزدهرة، لكن حاضرها يعرف انحطاطا لن تخرج منه إلا حين تكون مستعمرة بريطانية وتسلم الحكومة البريطانية تسيير شؤون المصريين، وما يوحي عليه خطاب بلفور من تبرير الهيمنة والتسلط يمثل الخاصية الجوهرية المميزة للخطاب الاستشراقي ككل، حيث لا خلاص لآخر إلا في وقوعه تحت سلطة "الأنا" الأوربي المخلص والمنجي...، ويتم تمرير هذا الخطاب بالاستعانة بمجموعة من المفاهيم، وفي الغالب يقوم المستشرق بإعادة إنتاجها وفقا للإيديولوجية الاستشراقية، وهي من قبيل: التحضر، المعرفة، الذات الغربية، الآخر المشرقي، التاريخ، الماضي، الحاضر، الثقافة، الهوية، الحضارة، الشرق، الغرب، الهيمنة، السلطة...، فما ضي المشرق عظيم حقا، لكن المشرقي لا يدرك ذلك ولا يملك معرفة عنه على عكس الغربي الذي يدرك كل حيثياته، ما يضمن له التفوق...، أما الحاضر فهو حاضر غربي مزدهر وحاضر مشرقي - منحط - لأن المجتمعات المشرقية غير قادرة على تمثل ذواتها وتحضر الشعوب الشرقية في نظر بلفور يتحقق من خلال الهيمنة الغربية عليها والخضوع لسلطتها .

2-2 خطاب كرومر :

لنتقل إلى الخطاب الاستشراقي عند شخصية أخرى لا تقل شأنًا عن شخصية بلفور، وتتمثل في **إيفلين بارينج كرومر Evelyn Baring Cromer** ، وهو الذي شغل منصب القنصل العام البريطاني في الهند وبعدها في مصر لخمس وعشرين سنة، فخطاب كرومر لا يختلف كثيرا عن خطاب بلفور؛ أي أن التزعة الغربية وتأييد الهيمنة على الشرق قاسم مشترك بين الخطابين، مع بعض الاختلاف الشكلية فقط، ومن بين مظاهره استعمال كرومر لبعض المفاهيم أو التسميات التي لا تختلف مضامينها أو معانيها عن مضامين مقابلاتها لدى بلفور، وذلك من قبيل " الجنس المحكوم " الذي يقابله " الشرقيون " عند بلفور، ذلك أن المصطلح الأول يقصد به كرومر الشعوب التي وقعت تحت حكمه أو التي كلف بإدارة شؤونها، ولا يخفي في خطابه أن معرفته الجيدة بثقافتها وتاريخها ونظام عيشها...، وهي التي مكنته من السيطرة عليها وفرض حكمه عن أفرادها، وهذا نابع من إيمان كرومر بأن المعرفة تأتي بالسلطة وأن الزيادة في المعرفة تعني التمكين من زيادة التحكم والسلط، إذن فتصور **كرومر** للعلاقة بين معرفة الأجناس المحكومة والهيمنة عليهم هو نفسه تصور بلفور لها؛ أي أن الهيمنة على تلك المجتمعات تتطلب معرفة جيدا.

ويرى كرومر أن الذكاء الفطري الذي يمتلكه الإنسان الغربي هو الذي يمكنه من معرفة تاريخ الشرقيين وثقافتهم، ومفهوم " الذكاء الفطري أو المنطقي " هذا يقابل مفهوم التفوق عند بلفور، ويبقى دائما المعنى واحدا لا يتغير رغم تغير التسمية، وهو أن الغربيين يمتلكون القدرة على قراءة التاريخ وإيجاد الأوجه التي تمكنهم من تمثل ذواتهم والآخرين، أما التمثل فهو ما يعتقدان (بلفور و كرومر) أنه غائب عند الأجناس المحكومة أو الشرقيين التي يجب عليها إدراك هذا القصور وأن ترضى بأن تقع تحت سلطة الغربيين؛ لأن ذلك بمثابة خلاص لها من انحطاطها، بل أن تعبر عن امتنانها للغرب " المنقذ " لأن لو لا هو لبقت هذه الشعوب منغمسة في انحطاطها " . فرما استطعنا، ولو عجزنا عن تحقيق روح وطنية شبيهة بالروح القائمة على علاقة أبناء الجنس الواحد واللغة المشتركة، أن نرى لونا من السلواء للمواطنة العالمية يقوم على الاحترام الذي نضفيه عادة على المواهب المتفوقة، وعلى سلوك من يؤثر غيره على نفسه، وعلى الامتنان الذي نلقاه مقابل ما أسدينا وما سنسدي من معروف، وسنرى عندها، على أية حال، بعض بوارج الأمل في أن ييدي المصري ترددا قبل أن يراهن بمستقبله

مع أي أحمد عرابي آخر في المستقبل...، بل إن (الشخص) من سكان أواسط إفريقيا قد ينتهي به الأمر إلى أن يتعلم إنشاد ترنيمة تكريماً لربة العدالة التي عادت، ممثلة في المسؤول البريطاني الذي قد ينكر عليه شرب الخمر ولكنه يقدم له العدل¹.

ويرى إيدوارد سعيد أن كرومر يؤكد في خطابه مراراً فكرة الذكاء الغربي في التعامل مع الأشياء وتدقيقها، وأن ذلك هو ما يمكنه من فرض سيطرته أو هيمنته على الأجناس المحكومة، وما فتى يؤكد أيضاً على غباء الشعوب الشرقية الذي أدى بهم إلى الانحطاط، وذلك ما يبينه هذا النص المأخوذ من كتاب "مصر الحديثة" لكرومر: "فالأوروبي يحكم الاستدلال الدقيق، وذكره للحقائق لا يشوبه أي غموض، فهو منطقي بالفطرة، حتى ولو لم يكن درس المنطق، وهو بطبيعته شكاك ويطلب البرهان قبل أن يقبل صدق أي قول، وذكاءه المدرب يعمل عمل الآلة المنضبطة، أما عقل الشرقي فهو يشبه شوارعه الخلابة المظهر، أي يفتقر إلى أي تناسق، والاستدلال لديه أبعد ما يكون عن الإتقان".

3- الخلاصة والنتائج :

أولاً : يظهر جلياً أن الخطاب الاستشراقي تحكمه روح الهيمنة والتسلط، فهما فعلاً مبرران بأن موازين القوى ترجع إلى المجتمعات الغربية، لكونها متشكلة من أفراد متفوقين وقادرين على تمثيل أنفسهم ومعرفة الأشياء من حولهم، وهناك مجتمعات أخرى أقل تنظيماً وتحضراً يسودها الانحطاط والجهل بالتاريخ والثقافة والحضارة؛ لذلك وجبت السيطرة عليها واستعمارها لأن في ذلك خلاصاً لها .

ثانياً : إن خطاب الاستشراق يلخص الصورة التي كونها الغربي عن الآخر الشرقي، فهي تحسيد لموقف غربي خالص يرى في الشرقي ذلك الإنسان المتخلف، المنحط والجاهل والمتوحش، وما يجسد ذلك المقولة التالية: ("موروس بيروس" ، مقولة إسبانية تعني المغاربة عدائون) ، وأن أي رد فعل مضاد للاستعمار والهيمنة كما - يزعم هذا الخطاب - ناتج عن عدم وعي هذه الشعوب بمصلحتها العليا.

ثالثاً : نستنتج كذلك أن خطاب الاستشراق تم إنتاجه باعتماد مجموعة من المفاهيم التي أعيد إنتاجها، بحيث أصبحت تخدم المصلحة العنصرية والإمبريالية المتوحشة من هذا الخطاب، وهي من قبيل: " الهيمنة، التحضر، الشرق، الغرب، المصلحة، السلطة، المعرفة، الجهل، الانحطاط، التقدم، التاريخ، الثقافة، الهوية ...

المصادر والمراجع:

- 1- إيدوارد سعيد، إيدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر - والتوزيع، الطبعة الأولى 2006 .
- 2- إدريس حمادي، إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرائق استثماره، المركز الثقافي العربي بيروت، - الطبعة الأولى. 1994
- 3- يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، المطبعة المحلصية بيروت، الطبعة - الثانية 1961 ، الجزء الثاني.
- 4- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، طبعة. 1960
- 5- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى. 1955 -

¹ مقتطف من مقال لكرومر نشره في مجلة إدنبره ريفيو في يناير - 1908 ، نقلاً عن " الاستشراق " لإيدوارد سعيد ، ص 92 /

- 6- عبد السلام حيمر، في سوسولوجيا الخطاب من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل، الشبكة- العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى. 2008 .
- 7- رايح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر- . 2004 .
- 8- رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، طبعة 1967

جدلية العلاقة بين الدولة المدنية والدولة الدينية وأثرها في الاستقرار السياسي

أ.م.د ديمة عبدالله أحمد/ الجامعة العراقية /كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

المستخلص:

إن الدولة المدنية مصطلح سياسي له جذور تاريخية، اعتنت به الحضارة الغربية، ومن ثم انتقل إلى الدول العربية في حقبة مختلفة خاصة بعد انتهاء الاحتلال الأجنبي للعالم العربي. وبدخول أفكار الدولة المدنية ومبادئ الديمقراطية والتعددية السياسية إلى البلدان العربية والإسلامية نشأ نزاع داخلي بين المفكرين والمؤرخين حول علاقة هذه الدولة المدنية بالدين الإسلامي، وطبيعة الدين داخل هذه الدولة، وهل الدولة المدنية تعني تحية الدين والشريعة عن الحياة، بما يتماشى مع نظرية العلمانية في بعض معانيها. هذا الجدل والصراع الفكري دام لعقود وما زال، وكان له أثر بالغ في الاستقرار السياسي في عدد من البلدان، التي شهدت صراعات ونزاعات فكرية وجدلية ارتقت إلى نزاعات عسكرية وحروب أهلية في أحيان كثيرة. وهذا ما حدا بالباحث للبدء في استقراء أدبيات هذا الجدل التاريخي وتحليله بمنهج وصفي وقراءة تاريخية لكي يصل إلى بعض الاستنتاجات والتوصيات التي تسهم ولو باليسير - في الحد من هذا الجدل، واستجلاء الصواب في الصراع الدائر بين أنصار كل من الدولة المدنية والدولة الدينية.

الكلمات المفتاحية: الدولة المدنية ، الدولة الدينية، الديمقراطية ، العلمانية ، الاسلام

Abstract:

The concept of a civil state is a political term with historical roots, primarily developed in Western civilization before being introduced to Arab countries at different periods, especially after the end of foreign occupation in the Arab world. With the introduction of civil state ideas and the principles of democracy and political pluralism in Arab and Islamic countries, an internal debate arose among intellectuals and historians regarding the relationship between this civil state and Islam and the role of religion within such a state. Questions emerged about whether the civil state entails the exclusion of religion and Sharia from public life, aligning with some interpretations of secularism. The intellectual debate and conflict have persisted for decades and continue to this day, significantly affecting political stability in several countries, where intellectual and ideological disputes have escalated into military conflicts and civil wars on many occasions. It prompted the researcher to explore the literature surrounding this historical debate and analyze it using a descriptive approach and historical analysis to arrive at some conclusions and recommendations that could—at least in part—help mitigate this debate and clarify the truth in the ongoing conflict between proponents of both the civil state and the religious state.

Keywords: civil state, religious state, democracy secularism, Islam.

المقدمة

ازداد في السنوات الأخيرة الجدل حول مصطلح سياسي له مدلولات متباينة في الفكر الاجتماعي والسياسي والديني، وهو مصطلح (الدولة المدنية). كما تباينت الآراء والرؤى حول علاقة الدولة بالدين، ومدى تأثير كل منهما في الآخر. وفي علمنا العربي كثر هذا الجدل واتسعت الهوة فيه خاصة بعد فترة الربيع العربي والانتفاضات العربية الكبرى التي شهدتها أغلب الدول العربية، واختلف المفكرون والسياسيون وعلماء الشريعة وعلماء الاجتماع بين مؤيد ومعارض لكل من الدولة المدنية والدولة الدينية.

ولعل المتابع لكل هذه التباينات الفكرية والمذهبية يجد بونا شاسعا بينها، وصعوبة في التقريب بينها، بحيث تصل المجتمعات إلى حل وسط، فلأسف صارت الأمور في كثير من الحالات. إما إلى دولة دينية ثيوقراطية كما حدث في أفغانستان في عهد (طالبان) في (1996)، ومؤخرا بعد مغادرة الاحتلال الأمريكي، ودولة أرض الصومال، أو إلى دولة علمانية بحتة كما كان الحال سابقا في (تركيا أتاتورك) و(تونس بورقيبة) حين نحوا الدين جانبا ونفوه تماما من الحياة السياسية والاجتماعية وحاربوا وجوده في أي مظهر من مظاهر الحياة في المجتمع.

وإن الأساس الذي يقوم عليه الاستقرار السياسي هو فكرة إعمال القانون والعدالة في توزيع الموارد، وإطلاق الحريات العامة والمساواة بين جميع المواطنين على أساس المواطنة لا الانتماء العربي أو العرقي أو الديني أو غيره.

وهذا البحث يهتم بشكل أساسي بهذا الجدل الدائر بين هذين المفهومين: الدين والدولة، أو الدولة المدنية والدولة الدينية وأثر هذه العلاقة في الاستقرار السياسي في المجتمع، خاصة في العالم العربي، ويحاول البحث الوقوف على آراء كل من الطرفين بحيادية وتجرد، إذ يتبغي البحث تحري الدقة والموضوعية في تعريف المصطلحات ذات الصلة.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في الوقوف على المنطقة الرمادية التي تتمايز فيها الآراء بين فريقَي الدولة المدنية والدولة الدينية، ومدى موازنة هذه الآراء لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، خاصة في ظل التحولات الجذرية التي طرأت على العالم بأسره في الآونة الأخيرة، وعلى الدول العربية، وانتشار أفكار شتى متعارضة تبدأ من التشدد والتعصب لمذهب ديني وفقهي معين يتحكم في كل مناحي الحياة، وتنتهي إلى موجات الأحاد والعلمانية المفرطة التي ترفض كل ما له صلة بالدين، وتحصره في زاوية ضيقة من المساجد والمناسبات الدينية، وهذه الدراسة تتبنى نظرة حيادية وتنطلق أهميتها من أهمية الموضوع قيد الدراسة، فالدولة بصفقتها دولة حاكمة بين الجميع وعلى الجميع يجب أن تكون فوق الانتماءات والارتباطات المذهبية والفكرية الضيقة وما أكثرها في كل مجتمع، وأن تكون مرجعا لكل الولاءات اللغوية والعرقية والدينية، ومن هنا كانت أهمية الدراسة التي تنطلق من جدلية العلاقة بين الدولة المدنية والدولة الدينية واعتبارها تحديا مجابه لبناء الدولة وضمان استقرارها السياسي وواحدا من الإشكاليات الفكرية التي تعترى العلاقة بين المفهومين الديني والمدني، ومن تحرير المفاهيم والمصطلحات حتى تتضح الرؤية لكل ذي بصر وبصيرة في هذا المعترك الثائر الذي طال الجدل فيه.

إشكالية الدراسة

ترتكز مشكلة الدراسة الحالية في محاولة الإجابة على السؤال الرئيس :

● ما طبيعة العلاقة بين الدولة والدين من وجهة نظر كل من أنصار الدولة المدنية وأنصار الدولة الدينية؟ وتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية:

- هل الدولة المدنية تقتضي علمنة الدولة وإقصاء الدين بالكامل؟
- هل الدولة الدينية من المنظور الإسلامي هي نفسها الدولة الدينية من المنظور الغربي والعلماني؟
- كيف تعاملت التيارات الإسلامية في العالم العربي مع فكرة الدولة المدنية؟ وكيف تعامل أنصار الدولة المدنية مع فكرة أسلمة الدولة وتيارات الإسلام السياسي؟
- هل يمكن الجمع بين الدين والدولة في إطار واحد لصالح المجتمع؟

فرضية الدراسة

من خلال إشكالية الدراسة التي أثارها الأسئلة السابقة، لا بد من وضع فرضية بحثية حول متغيرات الدراسة، وهي المتغير المستقل: العلاقة الجدلية بين الدولة الدينية والمدنية، والمتغير التابع: أثر هذه الجدلية في الاستقرار السياسي، وما إذا كان هذا الأثر إيجابياً أم سلبياً. وتفترض الدراسة إيجابية هذا الأثر.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على:

- طبيعة العلاقة بين الدين والدولة، خاصة في الدول العربية.
- طبيعة الجدل المثار بين أنصار كل من الدولة الدينية والدولة المدنية.
- أثر هذه العلاقة الجدلية في الاستقرار السياسي في المجتمع.

منهجية الدراسة

للإجابة على كل التساؤلات السابقة لا بد من وضع منهجية تتوافق وموضوع الدراسة، إذ أن المنهج المعول عليه في مثل هذه الدراسات غالباً ما يتبنى الأسلوب الوصفي، والأسلوب التحليلي، وبهذا سوف تجمع الدراسة بين عدة مناهج بحثية منها الوصفي والتاريخي والاستقرائي، فضلاً عن الدراسة التحليلية للنصوص ذات العلاقة للوصول لتصور عام مفيد وواضح يجيب عن أسئلة الدراسة، والحصول على نتائج تتوافق والفرضية المطروحة.

واقترنت منهجية الدراسة الحالية تقسيم البحث إلى عدد من المباحث تسبقها المقدمة:

المبحث الأول: مدخل إلى مفهوم الدولة الدينية، والدولة المدنية.

المبحث الثاني: الجدل التاريخي بين أنصار الدولة الدينية والدولة المدنية.

المبحث الثالث: الدولة المدنية من المنظور الإسلامي.

المبحث الرابع: متطلبات الدولة المدنية وأثرها في الاستقرار السياسي.

وأخيراً تضمنت الخاتمة خلاصة لما جاء في ثنايا البحث من طروحات متزامنة مع أهم الاستنتاجات والتوصيات

المبحث الأول - المدخل المفاهيمي

مفهوم الدولة المدنية والدينية

ان مفهومي الدولة المدنية والدولة الدينية لهما جذور تاريخية وفكرية بعيدة، اهتم بها المؤرخون والمفكرون في الغرب قبل الشرق، وقد بنى المفكرون العرب كثيرا من آرائهم حول المفهوم الحديث للدولة المدنية استقاء من الفكر الغربي.

• مفهوم الدولة المدنية

لغة: الدولة الاستيلاء والغلبة، ودالت دولتهم: انتقلت أمورهم من حال إلى حال. (1)
 ودال الحكم: انتقل ودار من حاكم لآخر، وتختص الدولة - بضم الدال - بالانتقال والتعاقب في أمور الدنيا، كالمال والجاه، والدولة - بالفتح - بالانتقال في الحرب، كان ينتقل النصر من فئة إلى فئة، وقيل: هما سواء. (2)
 أما المدنية: فمشتقة من المدينة، ومدن بالمكان: أي أقام به وسكن. (3)
 والمدنية في اللغة تعبر عن الحضارة وال عمران. (4)

وفي الاصطلاح السياسي: الدولة هي: تجمع كبير من الأفراد، يقطن بصفة دائمة إقليما معينا، ويتمتع بالشخصية المعنوية وبنظام حكومي وبالاستقلال السياسي، و"مجموعة دائمة من الأفراد يملكون إقليما معينا وترتبطهم روابط سياسية واجتماعية ويخضعون لسلطة واحدة، ويحق لهذه السلطة استخدام القوة لتحقيق أهدافها". (5)
 وهي سلطة يخضع لها الشعب في الإقليم يطلق عليها الحكومة، تدير علاقات الشعب الداخلية فيما بينهم، وتدير علاقاتهم الخارجية مع الأقاليم الأخرى، وتحمي حدوده ضد الأعداء المحتملين. (6)

والمدنية في الاصطلاح: مفهوم تاريخي نشأ كرد فعل على التدخل السافر للكنايس الأوروبية في شؤون الدولة والسياسة، ومن ثم اتجهت الشعوب الغربية إلى إقصاء الكنيسة بقوة من الحياة العامة والسياسية، وهو ما عرف تاريخيا بفصل الدين عن الدولة، وجعل الدولة ذات طابع مدني علمي حضاري بعيد عن قيود الدين والمعتقدات، وهناك تشابك بين مصطلحي الدولة العلمانية والدولة المدنية، حيث يكادان يشيران إلى نفس المعنى، غير أن مصطلح (العلمانية) (7) بشكل عام من المنظور الإسلامي والعربي له طابع معين جعلت المفكرين

(1) ابن منظور، لسان العرب ٢٥٣/١١.

(2) انظر: معجم المقاييس، لابن فارس، باب الدال، والواو، وما يتلثها، ولسان العرب لابن منظور، حرف الدال فصل اللام، والكلبات للكفوي، م: ٤٥٠.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ٤٠٢/٠١٣.

(4) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية، ٧٣٦/١.

(5) هذال رشيد وآخرون، دراسات موجزة عن الدولة وأنواعها وأنواع السلطات العامة، منظمة هاريكار غير الحكومية، دهبوك، مطبعة زانا، ٢٠٠٦، ص 80

(6) محمد شاكر الشريف، الدولة الإسلامية بين الدينية والمدنية، مجلة البيان، السنة ٢٦، العدد ٢٨٦، (١٤٣٢هـ)، ص: ٢٠

(7) انظر: أنور مغيث، الدولة المدنية والدولة العلمانية، هل هناك فرق؟ مقال بصحيفة اليوم السابع ٢٢ ابريل (٢٠١١).

<http://www.youm7.com/>

ينأون عنه إلى مصطلح (الدولة المدنية). والمدنية في كثير من الأحيان تستخدم كمصطلح مقابل للعسكرية، فيقال: لباس مدني ولباس عسكري. كما تستخدم كمقابل للدينية فيقال: العلوم المدنية والعلوم الدينية.⁽¹⁾ كما عرفت "الدولة المدنية" كمصطلح سياسي يشير إلى الدولة غير العسكرية، أي: التي يحكمها مدنيون بنظم حكم مدنية معاصرة، وليس عن طريق انقلاب عسكري أو السيطرة على الحكم بأي شكل من أشكال القوة. وقد قامت الدولة المدنية على أسس وخصائص مبدئية هي:⁽²⁾

- سيادة القانون.
- الفصل بين السلطات
- التداول السلمي للسلطة.
- المواطنة.
- الديمقراطية.

وهذه المبادئ الأساسية هي نفسها مبادئ الديمقراطية الحديثة، فالديمقراطية كأها نظام الدولة المدنية التي تستمد حكمها وتشريعها من الشعب.

وقد تطور مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي، بعد أن كانت الدولة تعطي السلطة المطلقة للكنيسة وللحاكم المتحدث باسم الله، مروراً بنظرية العقد الاجتماعي لـ (هوبز) التي تقول بسلطة الحاكم المطلقة،⁽³⁾ ثم نظرية (لوك) القائلة بفكرة الدولة ذات السلطات التشريعية والتنفيذية المقيدة بعقد اجتماعي، وانتهاءً بدولة الديمقراطية الحديثة التي تعطي الشعب سلطة الحكم والتشريع وتمتعه بالإرادة والحرية العامة الكاملة.⁽⁴⁾ وهذا ما عبر عن انتهاء السلطة الدينية. فـ (جون لوك) الذي يدافع بقوة عن الدولة المدنية ويرى أن الحكم المدني علاج لكل آفات المجتمع.⁽⁵⁾ كما يرى أن السلطة المدنية لا ينبغي لها أن تفرض العقيدة أو شكل عبادة الله بقوة القانون.⁽⁶⁾

أهداف الدولة المدنية

(1) انظر: نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح والمفهوم، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مصر، ص 33-55

(2) انظر: الدولة المدنية بين الإسلام والعلمانية، هشام مصطفى عبدالعزيز، منتديات الإسلام اليوم، الدولة الدينية والدولة المدنية، وإبراهيم خليل عليان، مؤتمر بيت المقدس الثالث، ٢٠١٢، ص ١٧

(3) محمد غالب البكري، وآخرون، دليل المواطن إلى الدولة المدنية، ط1، مؤسسة تمكين للتنمية، (٢٠١١)، ص ١١.

(4) أحمد بو عشرين الأنصاري، المفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والإسلامي، الدوحة، (٢٠١٤)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص ١٩

(5) جون لوك، مقالاتان في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٤٤-١٤٥، والأنصاري، مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والإسلامي، ٢٠١٤، ص 15

(6) الأسس النظرية للدولة المدنية بين توماس هوبز وجون لوك، ط الديار اللندنية، ٢٠١٢، وانظر: كتاب "التسامح لـ جون لوك

تسعى الدولة المدنية إلى تحقيق مبادئ عامة يمكن تحديدها في التالي:

- أ. تقوم الدولة على السلم والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، بشكل سلمي لا نزاع فيه.
- ب. حق المواطنة، تقتضي في مفهومها عزو الحقوق والواجبات على المواطنين كافة بحسب كونهم مواطنين لهم كامل الحرية، وليس بحسب الدين أو العرق أو اللغة أو غيرها من المقومات الاجتماعية. (1)
- ج. لا تخلط الدولة المدنية الدين بالسياسة -حسب المفهوم الغربي والليبرالي - ولكنها في الوقت نفسها لا تعادي الدين ولا منظومة القيم المجتمعية والعقدية، بل تريد تقنين استخدام الدين في الأغراض السياسية المحضة، حتى لا تصير التفاعلات والخلافات الدينية والمذهبية أساسا يفرق بين المواطنين وأن لا يصير استقطابي ديني بأهداف سياسية. (2)
- د. ترسيخ مبدأ التداول السلمي للسلطة، والذي يمنع احتكارها من قبل فصيل واحد أو تيار سياسي بعينه، أو شخصية مهما كان نفوذها أو تاريخها ونجاحها، وإلا صارت الدولة ملكية في شكل ديمقراطية. (3)

مفهوم الدولة الدينية

للدولة الدينية تاريخ من الصراع مع البشرية، وتبنتها نظريات عدة أصلت لها ولمبادئها، فالدولة الدينية في شكلها الثيوقراطي الأصولي اعتمدت على التالي :

• الطبيعة الإلهية للحاكم

وهي تقول بأن الإله موجود بين البشر يحكم بينهم، وهو متمثل في شخص الحاكم الذي أقيم عليهم، سادت هذه النظرة الإلهية للحكام أيام الفراعنة والإمبراطوريات الرومانية القديمة. (4)

• الحق الإلهي المباشر

حيث يتم اختيار الحاكم من قبل الله، ولا دخل للشعوب في ذلك، فالذي يضع الحاكم ويعزله هو الإله الحاكم العظيم لهذا الكون، لذا فلا يجرؤ أحد على مناقشة الإله في حكمه واختياراته، وسادت هذه النظرية على يد الكنيسة الأوروبية في القرون الوسطى، واعتنقها بشدة ملوك أوروبا خاصة فرنسا لتدعيم سيطرتهم وحكمهم.

يقول الملك (لويس الخامس عشر): "إننا لم نوهب التاج إلا من الله، فسلطة القوانين هي لنا وحدنا، ولا يشاركنا في الحكم احد" (5) كتب الأسقف القرطبي (هوسوس) إلى الإمبراطور الروماني (قسطنطوس): "الله وضع في يدك هذه المملكة، وإلينا سلم أمور الكنيسة،

(1) عبدالودود مكرم، القيم ومسئوليات المواطنة، رؤية تربوية، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، (٢٠٠٤)، ص ٣١٨، علي ليلة، قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (٢٠٠٧)، ص76.

(2) أحمد زايد، ماذا تعني الدولة المدنية، (٢٠١١). <http://www.dawlamadaneya.com/ar/in>

<http://www.dawlamadaneya.com/ar/in dex.php/2011>

(3) المصدر السابق

(4) جحى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، بيروت، دار النهضة العربية، 1969، ص58

(5) ثروت بدوي، النظم السياسية، مصر، دار النهضة العربية، 1975، ص16، ومحمد السناري، النظرية العامة للقانون الدستوري والنظم السياسية المعاصرة، مصر، مطبعة الاسراء، 2001، ص ٣٧٤.

مكتوب: أن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، إذن ليس من حقنا أن نمارس أمور الدنيا، وليس من حقك أيها الأمير أن تحرق البحور" (1)

• الحق الإلهي غير المباشر

وقد أسست لاختيار الحاكم عن طريق مجموعة من الشعب، وهي موجهة من الله في اختيار الحاكم. وقد سادت أيضا على يد الكنيسة الأوروبية كشكل من أشكال الحكم التيقراطي المستمد من الإله. (2)

المبحث الثاني - الجدل التاريخي بين أنصار الدولة الدينية والدولة المدنية

لطبيعة البحث الموجزة لا يمكن لنا سرد الجدل التاريخي بين أنصار كل من الفريقين، غير أننا يمكن أن نعرض على هذا الجدل في الحقبة التي تلت سقوط الخلافة العثمانية، حيث ثارت خلافات فكرية واسعة بين المفكرين والفقهاء في أرجاء العالم الإسلامي حول الدفاع عن فكرة الخلافة من فريق، وفريق آخر يرى حتمية الدولة المدنية وانقضاء أهمية دولة الخلافة، وأبرز ما كتب في هذا الباب كتاب (علي عبد الرازق) "الإسلام وأصول الحكم"، الذي أحدث ضجة في أروقة الأزهر حينها، وخلص فيه إلى أن "الدين بريء من تلك الخلافة التي عرفها المسلمون، وبريء من كل ما حام حولها من رغبة ورهبة وعز وقوة" (3)

الجدل حول فكرة الخلافة

يمكن بإيجاز تقسيم ما كتب وألف في نظريات الدولة الإسلامية ومفهوم الدولة والحكومة من المنظور الإسلامي إلى أربع فئات أساسية: الأولى: كتابات صدرت عن كتاب (إسلاميين) أو ينتمون إلى الفكر الإسلامي، ولكنهم نهجوا منهجا مخالفا لجمهور الكتاب الإسلاميين، فدافعوا عن الدولة المدنية، ورأوا ألا وجه لإقامة دولة إسلامية في العصر الحديث، أو ما يعرف تاريخيا بدولة الخلافة، ومن أوائل هؤلاء الشيخ الأزهر (علي عبدالرازق) وكتابه الذي أحدث ضجة وجدلاً واسعاً في هذا الباب، (الإسلام وأصول الحكم). (4) الثانية: كتابات دافعت دفاعاً مستميتاً عن نظام الدولة الإسلامي وتشددت في الدود عن مبدأ الحاكمية الذي ينفي أي حكم مدني إلا الله، وميثاقهم الشهير قوله تعالى: ((إن الحكم إلا لله)) (سورة يوسف: 40)، وهذا ما جعلهم يرفضون فكرة الديمقراطية حملة وتفصيلاً، إلا ما ينفخ المسلمين في أمورهم الحياتية والمادية، أما أحكام السياسة والدولة والحكم فهي موجودة بالفعل في الشرع ولا حاجة لاستيرادها من الخارج، كما ربطوا التشريع والقانون بالشرعية، ومن ثم ارتبطت عندهم الدولة المدنية بالعلمانية التي تنافي الدين في نظرهم. ومن أبرز هؤلاء المؤدودي، صاحب الظلال (سيد قطب) (5)، و(محمد عبدالسلام فرج) (6) و(محمود الخالدي). (7)

(1) ج.م.هس العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق: د. رأفت عبدالحميد، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1977، ص230

(2) محمود عاطف البناء، النظم السياسية، مصر، دار الفكر العربي، 2008، ص53

(3) علي عبدالرازق، الإسلام وأصول الحكم، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، ط3، القاهرة، مطبعة مصر، 1925، ص103

(4) ينظر: علي عبدالرازق، الإسلام وأصول الحكم، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، ط3، القاهرة، مطبعة مصر، 1925.

(5) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصر، دار الشروق، 2008

(6) ينظر: محمد عبدالسلام فرج، الجهاد الفريضة الغائبة، د.م، د.ن 1981

(7) ينظر: محمود الخالدي، نقض الديمقراطية، بيروت، دار الجيل، 1984

الثالثة: كتابات توسطت بين هذا وذاك، فدافعت عن كيان الدولة الإسلامية التي تركز على مبادئ الشريعة، ولكن في نفس الوقت أكدوا على المدنية هذه الدولة بكونها دولة غير ثيوقراطية يتحكم فيها رجال الدين، ولا عسكرية يحكمها الجيش بالقوة، وفي نفس الوقت لا مانع من الاستئناس بأية أفكار خارجية تفيد المجتمع والدولة ما لم تتعارض مع الشريعة. ومن أبرز هؤلاء (محمد عبده)⁽¹⁾، (رشيد رضا)⁽²⁾، (حسن البنا)⁽³⁾، (يوسف القرضاوي)⁽⁴⁾.

الرابعة: الكتابات المقارنة التي عملت على مقارنة نموذج النظام السياسي في الإسلام من حيث الأصول والمرتكزات، بنموذج الدولة المدنية الحديثة، وهذه الكتابات تحررت من الخوف من النموذج الأوروبي الذي ينحي الدين جانبا، وتعاملت معه بندية وتحد، وحاولت إيجاد طريق وسط يلتقي فيه الإسلام والدولة المدنية بل علبه لأحدهما على الآخر، ومن هؤلاء (محمد عمارة)⁽⁵⁾، وأحمد فؤاد عبد الجواد عبدالمجيد⁽⁶⁾، وراشد الغنوشي⁽⁷⁾، وفهمي هويدي⁽⁸⁾ (9).

المدافعون عن الدولة الإسلامية

وعلى التفصيل، وردا على المعارضين لفكرة الخلافة أو الإمامة العظمى في دولة الإسلام، كان الطرف الآخر يضع أطروحته ويجادل دفاعا عن دولة الخلافة (أو ما قد يسميه المعارضون الدولة الدينية). كان كتاب (رشيد رضا، الخلافة أو الإمامة العظمى) ردا علميا على هذا، حيث أورد الأحكام الشرعية والفقهية ذات الصلة بدولة الخلافة، وأفاد بأنه: "أقد أجمع سلف الأمة وأهل السنة، وجمهور الطوائف الأخرى على أن نصب الإمام واجب على المسلمين شرعا لا عقلا." (10) كما كان من أبرز ما كتب -حديثا - دفاعا عن فكرة الخلافة والدولة الإسلامية كتاب: (فقه الدولة في الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي)، الذي حاول فيه نفع الشبهة الراضجة حول ثيوقراطية الدولة الإسلامية.

يقول القرضاوي: "وبين هؤلاء العلمانيين والجامدين الغائبين عن العصر يقف تيار الوسطية الإسلامية .. " يعني التيار الذي يرى حتمية الدولة في الإسلام وأنها تختلف عن فكر العلمانيين الذين يتزعون الإسلام عن السياسة وتيار الأصوليين الذين لا يرون في الدولة المدنية

(1) ينظر: محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، ط (1998) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب

(2) ينظر: محمد رشيد رضا، الخلافة أو الإمامة العظمى، القاهرة، بدون تاريخ، مطبعة المنار

(3) ينظر: حسن البنا الرسائل، نسخة إلكترونية موقع www.ikwny.carm

(4) ينظر: يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2001

(5) ينظر: محمد عمارة، التعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1974

(6) ينظر: أحمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد، البيعة عن مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث، دراسة مقارنة في الفلسفة السياسية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998

(7) ينظر: راشد الغنوشي، الحريات في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993

(8) ينظر: فهمي هويدي، الإسلام والديمقراطية، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993

(9) ينظر: عطية عدلان، النظرية العامة للنظام الحكم في الإسلام، القاهرة، دار النشر، 2011

(10) وجيه كوثراني، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا، دراسة ونصوص، بيروت، دار الطليعة، 1996، ص 54.

أي صلة بالإسلام ويرفضونها، ويخلص القرضاوي قائلاً: إنما الدولة الإسلامية دولة مدنية تقوم على أساس الاختيار والبيعة والشورى، ومسئولية الحاكم أمام الأمة، وحق كل فرد في الرعية أن ينصح لهذا الحاكم".⁽¹⁾

ونحنا نفس النحو كتاب آخرون مثل (محمد عمارة) في كتابه: (الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية)،⁽²⁾ حيث أصل لمفهوم الدولة الإسلامية التي تتوازن مع الدولة المدنية، فلم يرفض المدنية بالجملة ولم يقبلها على عواهنها. (فهمي هويدي)، في كتابه: (الإسلام والديمقراطية)، حيث يرى ضرورة التوسط في هذا الأمر، وأن الإسلام قادر بنفسه أن تكون له دولة قوية رشيدة، ولا يجمع ذلك من أن ينهل المسلمون من الخيرات الإنسانية في كل المجالات ومنها الفكر السياسي الغربي الذي تولد عنه الديمقراطية.⁽³⁾

وعلى نفس المنوال ولكن بأفكار أشد ميلاً للخلافة في مقابل الدولة المدنية، كانت كتابات (أبي الأعلى المودودي) في كتابه (الخلافة والملك)، بصورة محددة، وحسن البناء (مؤسس جماعة الإخوان المسلمين) ترى حتمية الحل الإسلامي وتربط أزمات الأمة ومشاكلها القائمة بتخليها عن دولة الإسلام وميلها للغزو الفكر الغربي بكل مشتملاته السياسية والاجتماعية والدينية، كان كتاب "الخلافة والملك" للمودودي يؤكد على فكرة (الحاكمية) التي شند عليها (سيد قطب) في أغلب كتاباته.

يقول المودودي: "يقرر القرآن الكريم أن الطاعة لا بد أن تكون خالصة لله، وأنه لا بد من اتباع قانونه وحده، وحرام على المرء أن يترك هذا القانون ويتبع قوانين الآخرين أو شرعة ذاته ونزوات نفسه"، ويتابع: "إن الشكل الصحيح لحكومة البشر في نظر القرآن هو أن تؤمن الدولة بسيادة الله وحده ورسوله، وتتنازل لهما عن الحاكمية والسيادة القانونية، وتؤمن كذلك بأن تكون خلافة نائبة عن الحاكم الحقيقي وهو الله الخالق، ولا بد لسلطات الدولة في هذه المترلة أن تكون محدودة بتلك الحدود، وهي: حاكمية الله القانونية، مترلة الرسول، القانون الأعلى الذي هو حكم الله ورسوله، سواء كانت هذه السلطات تشريعية أم قضائية أم تنفيذية."⁽⁴⁾

وهذا التيار الذي مثله (المودودي وقطب) اسس لتيار فكري واسع يرفض الدولة المدنية والإرادة الشعبية جملة وتفصيلاً في مقابل حاكمية الله ورسوله، ومن هؤلاء (سعيد عبدالعظيم) في كتابه: "الديمقراطية في الميزان"، حيث يقول: الديمقراطية وفق تعريفها تعني حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه، وأن الشعب هو مصدر السلطات، سواء كانت تشريعية أو قانونية أو تنفيذية، وهذا مصادمة واضحة بين الشرع والعقل والواقع، حيث إن التشريع حق الله وحده، والسلطة التشريعية لا بد فيها من الرجوع إلى الكتاب والسنة، ولا بأس أن نسن النظم الإدارية والتي تقوم على الإنجاز والسرعة وتحقق مصالح العباد والبلاد، ولكن بما لا يخالف الكتاب أو السنة.⁽⁵⁾

المبحث الثالث - الدولة المدنية من المنظور الإسلامي

(1) يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2001، ص9

(2) محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، القاهرة، دار الشروق، 1988

(3) فهمي هويدي، الإسلام والديمقراطية، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993، ص 99-98

(4) أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب: أحمد إدريس، الكويت، دار القلم، 1978، ص 16-19، بتصرف.

(5) سعيد عبدالعظيم، الديمقراطية في الميزان، دن، 1990، ص: 41

بداية لابد من الإشارة إلى المفهوم العام للدولة في الإسلام، فهو يثير عدة تساؤلات التي تراكمت فيها أفكار عبر العقود الأخيرة حول طبيعة الدولة في الإسلام، ومدى التشويه الذي حدث من أطراف عدة لهذه الفكرة العظيمة: دولة الخلافة، سواء من الطرف المتشدد الذي أعلن دولة هشة متشددة في أفكارها وتطبيقها للشريعة كـ (داعش) وغيرها، أو من أولئك المعادين لنظرية الإسلام السياسي على إطلاقها والمؤيدين للدولة العلمانية التي تبعد الدين عن الحياة.

ظهر الإسلام وانتشر في بيئة عربية جاهلية قبلية، غارقة في التقاليد والأعراف القبلية، وأسهم في تكوين جماعات سياسية موازية لجماعة القبيلة، وفكرة الدولة في هذا السياق التأسيسي لا تعدو أن تكون إطاراً سياسياً جديداً لإدارة شأن الجماعات الإنسانية في الجزيرة العربية وما حولها بعد الفتح الإسلامي، وكان ذلك يعلو فوق طبيعة القبيلة الضيقة، وأرسى لقواعد سياسية واجتماعية جديدة وحفظ بها الاستقرار الأمني والحياقي للجماعة، ويوفر ظروف العيش بين أفرادها، ويؤمن وجودها ضد الأعداء المترصين بالداخل والخارج. (1)

وإجمالاً فإن الدولة الإسلامية التي بناها الرسول (ﷺ) كانت تجاوزاً أصولياً لفكرة القبيلة، وبناء لمفهوم المواطنة على أساس تعاقدية يستند إلى جملة من المصالح، وليس على رابطة الدم وحدها، وإن كانت إحدى مقومات الرابطة الاجتماعية، ومع حدوث بعض الأحداث التاريخية والسياسية عقب وفاة الرسول، وانتهاء الخلافة الراشدة، أفقدت فكرة المواطنة المطلقة أولويتها، وأعدت رابطة الدم والإرث إلى الواجهة السياسية الأولى، من خلال نظام الحكم الملكي الوراثي في دولة بني أمية وبني العباس وبني عثمان، كما أدى تبني الخلفاء في كثير من الأحيان مذهباً عقدياً معيناً واضطهاد غيره إلى ظهور دولة الإسلام كدولة دينية في ظاهرها لا تعترف بالمواطنة الكاملة سوى لأهلها أو للموالين للنظام الحاكم بنفس المذهب والعقيدة. (2)

غير أن عين الإنصاف ترى أن دولة الإسلام الأولى التي نشأت في رحاب تعاليم الرسول (ﷺ) وأصحابه كانت دولة مثالية، بالمقارنة إلى مثيلاتها في هذه الحقبة التاريخية كما في بيزنطة مثلاً (3) التي كانت لا تزال تترجح في ألوهية الحاكم أو تراه يستمد حكمه من الله، في هذا الزمان وفي هذه الظروف السياسية المحيطة، كان الحكام المسلمون يسيرون بين الرعية بالعدل والمساواة والحكم الرشيد، ويستطيع الشعب مساءلتهم عن كل صغيرة وكبيرة، كما كان الحال مع الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم).

نقاط الاتفاق بين الدولة الإسلامية والدولة المدنية

وبهذا يمكن إيجاد عدد من نقاط الاتفاق بين الدولة الإسلامية والدولة المدنية على النحو التالي:

أ. تقييد سلطة الحاكم: ففي كلا الدولتين الحاكم شخصية من بين الناس، اختارها الشعب بمحض إرادته، وليس لها سلطة إلهية

مطلقة كما في الدولة الثيوقراطية، ويخضع الحاكم كغيره من عموم الناس لسلطة القانون والتشريع. (4)

(1) محمد جبرون، مفهوم الدولة الإسلامية، قراءة جديدة لعلاقة الإسلام بالدولة، ملف بحثي بعنوان: مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر، 1،

مفهوم الدولة، الدولة الإسلامية، دولة الخلافة، مجلة مؤمنون بلا حدود، تصدر عن مؤسسة دراسات وأبحاث - موقع الكتروني - بتاريخ:

٢٩/١/٢٠١٥ ص 8-9

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق، ص ١٢

(4) حسين عبدالعزيز آل الشيخ، المبادئ القضائية في الشريعة الإسلامية، ١٤٧٦ هـ، نت، موقع جامع الكتب الإسلامية

ب. حق الشعب في اختيار الحاكم: وهو ما يعرف في المدنية الحديث بحق الانتخاب، ويمثله الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، والعقاد أمر الحاكم بخوزه للأغلبية في هذه الانتخابات، وفي الإسلام يعرف هذا بحق الشورى والبيعة. (1) حيث نص فقهاء الشريعة على انعقاد الأمر للحاكم ببيعة أهل الحل والعقد، (2) كما قال تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم))، ومبايعة خلفاء الرسول (ﷺ) (3). والبيعة في الإسلام دليل على حرية الأفراد والمجتمع في اختيار الحاكم بشكل مطلق، وهذا اعتراف صريح بحق المواطنين في المشاركة السياسية وحریتهم المطلقة في ذلك. (4)

ت. عدم التوريث في الحكم: لا يعرف النظام الإسلامي نظام التوريث في الحكم، وكذلك الدولة المدنية. (5)

قال ابن حزم: "ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في الله لا يجوز التوارث في الخلافة. (6) وكذلك الدولة المدنية لا تعرف توريث الحاكم لأحد من أبنائه أو أقربائه الحكم، ولكن في بعض الديمقراطيات الملكية (كالمملكة المتحدة وهولندا والسويد وغيرها) التي تعترف بمدنية الدولة لا يزال الملك يورث، ولكن ذلك في إطار من أن الملك يملك ولا يحكم، فحتى الآن لم نر ديمقراطية حديثة يورث فيها الحكم من رئيس الدولة أو رئيس الحكومة، اللهم إلا إذا أتى الابن أو القريب بانتخابات شعبية صحيحة ونزيهة كما حدث مع (جورج بوش الأب والابن).

ث. إمكانية عزل الحاكم بطريقة سلمية: حيث إنه لا تأييد مطلق له، ويمكن للشعب عزله متى ما تراءى له ذلك، إذا خرج الحاكم عن مقتضى الشريعة والقانون، وهذا من أوجه التطابق في الدولتين، فالديمقراطية الحديثة قد أصلت أصولاً ومبادئ واضحة لإمكانية محاسبة الرئيس أو الحاكم وآلية عزله من قبل البرلمان الذي هو ممثل للشعب، وهذا ما كان يؤمن به الصحابة والخلفاء في صدر الإسلام. (7) وفي القرآن الكريم: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (النساء: ٥٩)

ج. الحرية: من أكبر مميزات النظام الإسلامي وأيضاً الدولة المدنية إرساء مبادئ الحرية والتعددية السياسية والتعبير عن الرأي، يؤكد المستشرق الغربي (جب) "أن الإسلام يتسم بالتسامح وقبول وجهات النظر المختلفة، وأكبر شاهد على ذلك وجود المذاهب الفقهية الأربعة". (8) ومن علامات حرية الرأي في الإسلام نظام الشورى الذي شرعه الله كدعامة مجتمعية للحاكم،

(1) قحطان الدوري، الشورى بين النظرية والتطبيق، ط1، بغداد، مطبعة الامة، 1974، ص317

(2) عبد السلام الترماني، حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، بيروت.

(3) صالح جرادات، دراسات في الفكر السياسي والاجتماعي، ط1، عمان، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2002.

(4) أبو البقاء أيوب الحسيني الكفوي، الكتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998.

(5) د. عبدالحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، ط2، مصر، دار الاسكندرية، 1974،

ص207-211

(6) علي بن نايف الشحود، المفصل في الرد على الحضارة الغربية، موقع مكتبة النور

(7) ينظر: د. منير البياتي، النظام السياسي الاسلامي مقارنا بالدولة القانونية، ط4، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، 2013

(8) هاملتون جب، دعوة إلى تجديد الإسلام، دمشق، دار الوثيقة، ص23-24.

وحق النصيحة كما في الحديث الشريف: "الدين النصيحة"، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم".⁽¹⁾

ح. المواطنة: يحصل المواطنون في دولة الإسلام على الحقوق كافة سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، كما أنهم يؤدون الواجبات التي عليهم، وهذا التفصيل يعرف في الشريعة بالمسلمين وأهل الذمة، وإن كان المصطلح لا يتلاءم مع كثير من أنصار الدولة المدنية وأصحاب الفكر الليبرالي، حيث يرونه مصطلحاً يقلل من أهمية غير المسلمين في المجتمع المسلم.⁽²⁾ وقد انعقد مؤتمر للعلماء المسلمين بباكستان في عام (١٣٧٠هـ) وقرر الحقوق والمبادئ الأساسية للدولة في الإسلام، ويمكن إيجازها على النحو التالي:⁽³⁾

- حرية المواطنين والمساواة فيما بينهم، وتمتعهم بجميع الحقوق والواجبات على السواء.
- حرية غير المسلمين في ممارسة عقائدهم وتعليمهم وقضائهم الخاص.
- تمتع غير المسلمين بالحقوق المدنية كافة التي تكفلها الدولة للمسلمين.
- احترام القانون واستقلال القضاء.
- التمثيل النيابي للشعب من خلال الانتخابات الحرة الترتيب.
- سيادة مبدأ الفصل السلطات.

أوجه الاختلاف بين النظام الإسلامي والدولة المدنية

لا يمنع التقارب المشهود بين نظام الدولة في الإسلام والدولة المدنية من وجود بعض الاختلافات الجوهرية أو الشكلية من قبيل:

أ. الاختلاف في طبيعة السيادة، حيث تنبع السيادة في الإسلام من الشرع، أما في الدولة المدنية الدستورية فالسيادة فيها مرجعها للشعب،⁽⁴⁾ فهو الذي له السيادة المطلقة. أما في دولة الإسلام فالسيادة من الله.⁽⁵⁾

ب. ترتبط الدولة المدنية في الفكر الغربي بالعلمانية والتي تهتم بفصل الدين عن الدولة، أما الدولة في الإسلام حتى إن كانت مدنية (بالمفهوم الحديث) فلا يمكن لها بأي حال من الأحوال فصل الدين عن الدولة.⁽⁶⁾

ت. حق التشريع وسن القوانين في الدولة المدنية مطلق للبرلمان، وترفض أي قوانين أو تشريعات من خارج البرلمان الذي هو ممثل الشعب، حتى إن كانت تشريعات دينية إلا أن يقرها البرلمان.

(1) رواه مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، صحيح مسلم، ج ١، ص ٧٤، حديث رقم: ٢٠٥١.

(2) ينظر: د. أ. س. دلتون، أهل الذمة، ترجمة: د. حسن حبيشي، ط 3، مصر، الهيئة العامة للكتاب، 1994.

(3) أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في القانون والدستور، مؤسسة الرسالة، ١٩٦٩، ص 80.

(4) عبدالودود مكرم، القيم ومسئوليات المواطنة، رؤية تربوية، ط 1، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٤، ص 212.

(5) بدر الدين محمد بين يبيادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط 1، ج 21، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ص ١١٠.

(6) أحمد بو عشرين الأنصاري، مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والإسلامي، دراسة مقارنة لبعض النصوص التأسيسية، الدوحة، المركز

العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، ص ٣٠.

ث. يحدد الإسلام منظومة القيم والأخلاق التي تستمد أصولها ومبادئها من الشرع متمثلاً في الكتاب والسنة وإجماع الأمة المسلمة، أما في الدولة المدنية فتستمد الدولة منظومتها الأخلاقية والقيمية من الشعب ونوابه، فما يقره شعب من الشعوب من أخلاق وقيم يكون هو السائد في هذه الدولة، وفي أحيان كثيرة كفر بعض الدول مبادئ متغايرة مع فطرة البشر عموماً مثل الاعتراف بحق الزواج بين (المتليين) فهو معترف به ومرحب في بعض الدول الأوروبية مؤخرًا.

ج. إن المعارضة السياسية يمكن التنازل عنها في الدولة المدنية، بمعنى تنازل المعارضة عن حقها في المشاركة في الانتخابات أو الإدلاء برأيها في قضية ما، ويمكن أن يكون ذلك الابتعاد اعتراضاً صامتاً في حد ذاته، أما في النظام الإسلامي، فالمعارضة تعني النصيحة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وهذا ما لا يمكن الاستغناء عنه أو النأي بالنفس عنه، فالنصيحة واجبة في الإسلام لا تطوع، وهي على الطرفين: الحاكم الذي يستنصح رعيته: "إذا أسأت فقوموني"، وعلى الرعية التي من واجباتها تقويم الحاكم ونصحه وتوجيهه للحق إن أخطأ من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (1)

ح. التداول السلمي في الدولة المدنية بالمفهوم الغربي واجب ومن لوازم الديمقراطية، بينما هو ليس كذلك في النظام الإسلامي، بمعنى أن الخليفة أو الحاكم يمكن له أن يبقى في الحكم مدة طويلة أو حتى وفاته طالما أن الرعية تقبل ذلك وأنه لم يأت بناقض من نواقض الإمامة. (2) وإن كان هذا يمكن تقييده وفقاً للدستور والقانون في الدولة الحديثة.

المبحث الرابع - متطلبات الدولة المدنية وأثرها في الاستقرار السياسي

أولاً: المواطنة

إن مبدأ المواطنة من أهم مبادئ الدولة المدنية، التي تعني: "مجموعة من الالتزامات المتبادلة بين الأفراد والدولة، فالمواطنون يحصلون على حقوقهم السياسية والمدنية والاجتماعية مقابل الانتماء والولاء للمجتمع الذي يمنحهم الواجبات المنوطة بالدولة". (3) ولا تعني المواطنة مجرد معرفة الفرد بشئون الحياة السياسية والانتخابات ومشاركته في التصويت وغير ذلك، بل تتجلى المواطنة كفكرة اجتماعية تنبع من وعي الأفراد واهتمامهم بشئون دولتهم وقدرتهم على العمل لصالحها بكفاءة وفاعلية". (4)

(1) المصدر السابق، ص ٢١.

(2) محمد اسد، منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة: منصور ماضي، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1978، ص131، وينظر: د. محمد ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ط7، مصر، دار التراث، 1977، الفصل الثامن، ص239

(3) د. عماد صيام، المواطنة، ط1، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص9

(4) صفد علاوي، المواطنة ودورها في بناء الدولة المدنية الحديثة، دار الكتب والدراسات العربية، 2020، ص21-22

كما عرفتها دائرة المعارف البريطانية بأها: "علاقة بين فرد ودولة، يحددها قانون تلك الدولة، وتتضمن قدرا من الحرية والمسئولية، والحقوق السياسية"، وقرت بين المواطنة والجنسية التي غالبا ما تستخدم في نفس الإطار، غير أن الجنسية تشمل حقوقا أخرى أكثر من المواطنة، مثل الحماية في الخارج. (1)

ترتكز المواطنة في أي دولة على مبدأ المساواة بين المواطنين، مهما كانت انتماءاتهم السياسية أو الدينية أو المذهبية أو العرقية أو اللغوية أو غيرها، وهذا المبدأ العظيم ينظم العلاقة داخل المجتمع، فيرفع الخلاف والصراع حول السلطة والثروة. وتعرف موسوعة العلوم الاجتماعية المواطنة على أنها: "المشاركة العضوية الكاملة في دولة لها حدود إقليمية". (2)

وفي الإسلام يمكن لأي من عموم الرعية أن يعترض على أمر الحاكم إذا رأى أنه أخطأ والدليل على ذلك وجوب الشوري على الحاكم في رأي من يرى وجوبها. (3)

وفي الديمقراطيات الحديثة تركز المواطنة على مبدئي الانتماء والولاء للوطن، والحصول في المقابل على الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تكفلها الدولة لمواطنيها، ويؤدي المواطن ما عليها من واجبات مثل الخضوع للقانون والأنظمة المعمول بها في هذه الدولة واحترام دستورها ودفع ما عليه من ضرائب ومشاركته في الحياة السياسية مثل الانتخابات. (4)

ثانيا: نظام المراقبة والمحاسبة

تقوم الدولة المدنية المعاصرة على ضرورة وجود نظام اجتماعي وسياسي للمراقبة والمحاسبة، وبطبيعة الحال لا يكفي أن تكون الدولة مدنية الحكم وتلتزم بالدستور والقانون لكي تكون دولة ناجحة ومستقرة، فلهذا النجاح والاستمرار في الاستقرار متطلبات ومقومات كبرى، يأتي في مقدمتها أن تتمتع بنظام قوي للمراقبة والمحاسبة.

هذه المراقبة والمحاسبة إما أن تكون برلمانية أو شعبية مباشرة أو إدارية في صورة أجهزة رقابية ومحاسبية تتابع وتشرف على كل المشروعات والأعمال التي تقوم بها مؤسسات الدولة وكذلك القطاع الخاص، حتى لا يستشري الفساد، فإن العويل على الضوابط الأخلاقية وحدها لا يحول دون الانحراف السلوكي والسياسي والمالي.

وهذا ما تبني عليه الديمقراطيات الحديثة، فنظام المراقبة والمحاسبة هو بوابة للتصحيح والتطوير والتحديث الدائم (5)، وجميع هذه الدول المدنية قد أقرت نظاما للمحاسبة والرقابة. وقد أدركت ذلك مبكرا، فتطوير مؤسسات الدولة كافة، وتوجيه التزعة السلطوية فيها، لا

(1) مفهوم المواطنة وعلاقته بالانتماء، مقال إلكتروني بمركز أفاق للدراسات والبحوث، بتاريخ: 2011/6/30، اطلع عليه بتاريخ: 2021/9/29

<https://aafaqcenter.com>

(2) العبدوي صونية، المجتمع المدني، المواطنة والديمقراطية، جدلية المفهوم والممارسة، جامعة محمد خيضر، الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني والثالث، ص 7

(3) سامر عبد اللطيف، المواطنة وإشكالياتها في ظل الدولة الإسلامية، مجلة الفرات (العراق)، العدد 7، قانون الاول، 2011، ص 78،

(4) ينظر: علاوي، مصدر سابق، ص 20

(5) د. علي الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، akak.nsms.ox.uk، 2000/8/17، ص 8

يتأتى من فراغ، بل من تطوير العمل الرقابي والمحاسبي في مؤسسات الدولة. وبدون الرقابة والمحاسبة، ستتمو الانحرافات السلوكية والمالية بشتى أنواعها. (1)

ثالثا: سيادة القانون

من أهم ما تتميز به الدولة المدنية سيادة القانون، من أجل استقرار سياسي واجتماعي، فالقانون فيها فوق الجميع، ولا استثناء لأحد حتى لو كان رأس الدولة، وهذا ما يتأتى من خلال نظام قضائي مستقل ومستقر لا هيمنة عليه من السلطة التنفيذية أو سيطرة، ومما ورد عن (هيروودوت): "إن الدولة تقوم على شرطين: شعور جماعي بالحاجة إليها، وثقة الجميع في عدالة القضاء وأحكامه". (2)

إن مسؤولية تطبيق وإنفاذ سيادة القانون بمساواة وعدالة ونزاهة تقع على عاتق الدولة، ولكن في الوقت نفسه، يتحمل كل مواطن مسؤولية ممارسة وترسيخ سيادة القانون في حياته اليومية، ويتبنى مبدأ سيادة القانون فعليا بهدف الحصول على ثمار التنمية والاستمرار ضمن نسق تنموي يتوازن وطموحات المجتمع (3)، بغض النظر عن المكانة أو الرتبة أو العائلة، فإن مبدأ سيادة القانون لا يمكن أن يمارس بانتقائية. (4)

رابعا: الحقوق والحريات العامة

لا تقوم الدولة المدنية إلا على مبادئ الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، وإلا كانت ديكتاتورية أو دولة استبدادية، حتى لو كان نظامها جمهوريا ديمقراطيا ومدنيا في الظاهر، فالمدنية -كما ذكرنا- في مفهومها اللغوي والاصطلاحي، مغايرة للعسكرية والنيوقراطية، والدولة العسكرية لا تعني فقط حكم حاكم عسكري بل اعتمادها في أمنها واستقرارها على قوة السلاح الغاشمة والسيطرة على مفاصل الدولة من قبل أهل الثقة لا الكفاءة، وكل هذا بناي مبادئ الدولة المدنية.

ومن أساسيات الحريات العامة: (5)

- حرية التفكير .
- حرية المشاركة السياسية.
- حرية الاعتقاد.
- حرية الحركة والتنقل.

(1) محمد محفوظ، مكونات الدولة المدنية، مقال إلكتروني بشبكة النبا الإلكتروني، بتاريخ: ٢٥ يناير ٢٠٢٠.

(2) عزو محمد عبدالقادر ناجي، أثر التميز الاجتماعي في عدم الاستقرار السياسي في الدولة، الحوار المتمدن، عدد ٢١٩٠، بتاريخ: ٢٠٠٨/٢/١٣

(3) عبدالله الثاني ابن الحسين، سيادة القانون أساس الدولة المدنية، مقال منشور، أوراق للنقاش، الرؤية الملكية، موقع الملك عبدالله عاهل المملكة الأردنية الهاشمية، بتاريخ: 16 أكتوبر (٢٠١٦)، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢١/١٠/٠١ <https://kingabdullah.jo/ar/discussion/papers/>

(4) عبد الصمد سعدون، جدلية العلاقة بين الدولة والمواطنة في تفعيل التنمية المستدامة، جامعة الموصل، مركز الدراسات الإقليمية، العدد 13، ص5

(5) ينظر: محمد زراقات، الحرية بين منظومتي القيم الدينية والمادية، ط1، بحث من كتاب: الحرية، قراءة في مرتكزاتها الإسلامية، منتدى الفكر اللبناني، ٢٠١٠.

- حرية العمل.

خامساً: التعددية والتداول السلمي للسلطة

التعددية مصطلح سياسي يعني الاعتراف بوجود تنوع في المجتمع ضمن الهوية الواحدة، كما يعني احترام ما يترتب على هذا التنوع في العقائد واللغات والمصالح، ومن ثم إيجاد صيغة تعايش ملائمة للتعبير والحرية. (1) كما عرفها آخرون بأنها: "كرتيب مؤسسي يتيح ضمان مشاركة المواطنين في اختيار قادتهم عن طريق الانتخابات". (2)

إذن فمبدأ تداول السلطة من أهم مقومات الدولة المدنية، فهو يعبر عن حقيقة الديمقراطية السائدة في المجتمع، وهل تطبق على أرض الواقع، أم مجرد شعارات رنانة. فالتداول في الحكم والسلطة يتطلب الاحتكام الدائم لرأي الأغلبية واحترام الأقلية عن طريق انتخابات حرة ونزيهة. (3)

والتداول في السلطة لا يعني الانتخابات وتداول الحكم فقط، بل يسري في كل مؤسسات الدولة والمجتمع، فهو مبدأ حين يسود يطبق على الجميع ويكون آلية يحتكم إليها في أي مؤسسة أو هيئة، وهذا المبدأ يكتسب أهميته من ناحيتين، الأولى: تعبيره - كما ذكرنا عن الديمقراطية الفاعلة وتطبيقها على أرض الواقع.

والثانية: سيادة حكم الأغلبية باعتبار الشعب مصدر السلطات. (4)

إن الأنظمة السياسية التي تتمتع بكفاية عادلة من الاستقرار السياسي، هي تلك الأنظمة التي تمكنت من بناء آليات الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة، والديمقراطية التي نعنيها هنا ليست بعدد الأحزاب السياسية ولا إجراء أكبر عدد من الانتخابات والاستفتاءات الشعبية، ولكن من خلال تداول سلمي وحقيقي للسلطة وإشراك المجتمع بكل طبقاته في القرارات المصيرية للدولة، وهذا ما يزيد بدوره من نسبة المشاركة الشعبية في الانتخابات، ويرسخ مبدأ تكافؤ الفرص دون إقصاء أو تمييز. (5)

مفهوم الاستقرار السياسي

انشغل الفكر السياسي المعاصر كثيراً بمفهوم (عدم الاستقرار السياسي) أكثر من الاستقرار نفسه، حيث عدم الاستقرار هو دائماً ما يكون محل الجدل والصراع الفكري والسياسي. لذا جاءت التعريفات مركزة على الجانب السلبي للاستقرار، وفي نفس السياق ترتبط التعريفات بالمنظور الذي يدخل منه الباحث لمفهوم الاستقرار السياسي، وهو يختلف من اقتصادي إلى اجتماعي أو أممي أو غير ذلك. (6)

(1) رياض عزيز هادي، من الحزب الواحد إلى التعددية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥، ص 64.

(2) غسان سلامة، أين هم الديمقراطيون..، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥، ص 11

(3) د. علي خليفة الكواري، مفهوم الديمقراطية المعاصرة، مجموعة باحثين في المسألة، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 56

(4) المصدر السابق، ص 53

(5) برهان غليون، فكرة الوحدة في المغرب العربي، تكوين الجماعات الوطنية، المستقبل العربي، بيروت، المجلد 9، العدد 88، 1986، ص 65

(6) علي سليمان الدرهمي، التنمية السياسية ودورها في الاستقرار السياسي في سلطنة عمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، الأردن،

جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2012، ص 132

ويعد مبدأ التداول السلمي للسلطة والتعددية السياسية من أهم مقومات الدولة المدنية - كما ذكرنا-، والتي بدورها تؤثر في الاستقرار السياسي بشكل كبير، بالإضافة إلى مقومات أخرى رئيسة يوشر وجودها على زيادة الاستقرار السياسي في الدولة، مثل سيادة القانون والعدالة الاجتماعية، وغياب العنف السياسي، وتجاوب الحكومة مع متطلبات الجماهير، والشعور بالرضا بين جموع الشعب عن النظام الحاكم.⁽¹⁾

وي إنجاز يمكن إجمال عدد من المؤشرات التي تشير إلى الاستقرار السياسي على النحو التالي:

أ. شرعية النظام الحاكم: وتظهر هذه الشرعية من خلال تقبل أفراد الشعب للنظام وخضوعهم له طواعية دون ضغوط عسكرية أو أمنية،⁽²⁾

ب. سلاسة الانتقال في السلطة: بحيث ينتقل الحكم من حاكم إلى آخر بشكل سلمي وهادئ، دون نزاعات أو انقلابات عسكرية أو ثورات شعبية، وقد عانت الدول النامية وكثير من الدول العربية من هذا المعترك الذي أدى إلى فترات من عدم الاستقرار السياسي.⁽³⁾

ت. غياب العنف: فهو مؤشر مهم على عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، وفي الدولة المدنية لا يحتاج المجتمع إلى العلف لظرح أرائه على النظام الحاكم، بل تكفي القنوات الشرعية لإيصال رأي الجماهير.⁽⁴⁾

ث. الاستقرار في المناصب السياسية الكبرى: حيث إن كثرة التغيير في المناصب القيادية تعد مؤشرا لعدم الاستقرار.⁽⁵⁾

ج. قوة النظام الحاكم: والقوة هنا لا نعني بها القوة العسكرية، بل توافق النظام مع الشعب وقدرته على تطبيق الدستور والقانون في حالة حدوث أية أزمات سياسية أو اجتماعية، فهو ليس نظاما هشاً ضعيفا تزعزعه مظاهرات هنا وهناك.⁽⁶⁾

ح. ترسيخ المشاركة السياسية: بحيث إن الجماهير لا تحجم عن المشاركة في الانتخابات أو الاستطلاعات السياسية، بما يوشر إلى عزوف الجماهير عن الحياة السياسية،⁽⁷⁾

خ. غياب الطائفية: وهي تشمل أي جماعات حزبية أو قومية أو عرقية أو دينية، ويكون الولاء للدولة المركزية الموحدة، ولا يعني ذلك إخفاء رأي الأقليات أو إهماله بل يكون في إطار من التعددية واحترام السلطة والحرية والمساواة.

د. التنمية السياسية والاقتصادية: بمعنى شعور المواطنين بالنجاحات السياسية والاقتصادية التي يتصدى لها النظام، والإحساس بعوائد التنمية الاقتصادية وارتفاع مستوى المعيشة، مما يخلق شعورا عاما بالرضا المجتمعي والطمأنينة الشعبية.⁽⁸⁾

(1) السيد عليوة، الطريق إلى الدولة المدنية مداخل إبداعية للإصلاح السياسي، موقع المنظومة، يوليو، 2007، المبد العربي، العدد 179، 2007، ص48

(2) رائد نايف سليمان، الاستقرار السياسي ومؤشراته، منتدى الحوار المثمن، الموقع الإلكتروني، 2009

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=166391>

(3) المصدر السابق

(4) عبد الحميد موافي، مجلس عمان بين الصورة النمطية وتأكيد الذات، مسقط، مجلة الشورى، العدد السادس، إبريل، 2002، ص 181

(5) المصدر السابق

(6) هادي حسن حمودي، الفكر السياسي العماني من الثوابت إلى المتغيرات، مسقط، د. ن، 1992، ص:82

(7) المصدر السابق

(8) مسعود الظاهر، سلطنة عمان أربعون عاما من التنمية المستدامة، 1970-2010، بيروت، دار الفارابي، 2010، ص 70

الخاتمة والنتائج

إن الهوية الدينية لكثير من المجتمعات هي جزء لا يتجزأ من هويتهم المجتمعية والثقافية مهنية والتاريخية، وهذا ما يقتضي الاعتراف بما قانوننا ودستورنا، ومن الأهمية بمكان الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية والعرقية واللغوية داخل المجتمع، إذ لا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذه الجماعات الإنسانية على اختلافها وتنوعها.

وهذا الاعتراف هو ما يمكن صياغته سياسياً في مصطلح (الدولة المدنية)، التي تعني من ضمن ما تعني - التعددية السياسية والمجتمعية بكل مشتملاتها.

إذن فالدولة المدنية أصبحت ضرورة وحتمية للبقاء لأي مجتمع إنساني يريد العيش في هدوء وسلام، وينأى بنفسه عن صراعات الطائفية والدكتاتورية والسلطوية. وما الدولة المدنية إلا مجرد الموازنة بين العوامل المؤثرة والفعالة في المجتمع كالأحزاب السياسية والجماعات الدينية والعرقية واللغوية وغيرها.

وبعد استقراء مادة هذا البحث والوقوف على أدبياته النظرية والتطبيقية، يمكن استخلاص عدد من النتائج على النحو التالي:

- الدولة في مفهومها التاريخي والمعاصر تركز على الإقليم والشعب والسلطة.
- مفهوم الدولة المدنية له جذور ممتدة، وتطور عبر التاريخ بداية من نشأته في الفكر الغربي كرد فعل مباشر المهيمنة الدولة الدينية الثيوقراطية على الحياة السياسية في أوروبا في القرون الوسطى.
- الدولة الدينية الثيوقراطية في مفهومها التاريخي تختلف كل الاختلاف عن الدولة الإسلامية التي تقترب في كثير من مفاهيمها ومبادئها من الدولة المدنية.
- الجدل التاريخي القائم في الفكر الأوروبي بين أنصار الدولة المدنية والدولة الدينية لا يمكن إنزاله على الجدل في العالم العربي والإسلامي، حيث تختلط المفاهيم كثيراً بين المدنية والعلمانية والليبرالية، والدينية والثيوقراطية والإسلامية، والإسلام السياسي وغير ذلك من المفاهيم التي تحتاج إلى تحرير وتدقيق.
- إن استقرار أي مجتمع لا يتأتى إلا بالاستقرار السياسي واستتباب نظام الحكم في الدولة، وهذا بدوره هو من اليمن أهداف إقامة الدولة المدنية الدستورية المستقرة.
- من مقاصد الإسلام الكلية: سيادة العدل، واحترام سيادة الأمة، والحرية والمساواة، وعدم اغتصاب السلطة لأي أحد، وكل ذلك من مقومات الدولة المدنية.

التوصيات

- على الإسلاميين والفقهاء عدم التشدد في النظر إلى الدولة المدنية بعين الريبة والتوجس وكذلك الأمر لدعاة الدولة الدينية والمؤيدين للنظام العلماني أو الليبراليين ألا يعتبروا كل دولة نشأت في رحاب الإسلام هي دولة دينية ثيوقراطية، بل مرد الأمر كله للنظر لمقومات الدولة المدنية هل هي متوفرة أم لا. ؟

- يجب تحرير الفقه السياسي الإسلامي، أو ما يعرف بالسياسة الشرعية من قيود تكبله عن مواكبة العصر بما لا يخالف مقاصد الشريعة.
- إدراج المقاصد الشرعية ضمن الدراسات السياسية الحديثة، حيث إن دراسة المقاصد الكلية في الإسلام لا تقل أهمية عن دراسة العلوم السياسية والاقتصادية.
- عفا الزمن على جدلية الصراع بين الدولة المدنية والدولة الإسلامية، فينبغي التوقف عن ثقافة الجدل والصراع الفكري التي سادت لعقود طويلة في العالم العربي الإسلامي، ورفض الطرف الآخر.

المصادر

- القرآن الكريم
- اولا: الكتب باللغة العربية
- 1. ابن منظور، لسان العرب، ط3، ج11، بيروت، دار صادر، 2019.
- 2. أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب: أحمد إدريس، الكويت، دار القلم، 1978.
- 3. أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في القانون والدستور، مؤسسة الرسالة، 1969.
- 4. أبو البقاء أيوب الحسيني الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.
- 5. أحمد بوعشرين الأنصاري، "مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والإسلامي، دراسة مقارنة لبعض النصوص التأسيسية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، إبريل 2014.
- 6. أحمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد، "البيعة عن مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث، دراسة مقارنة في الفلسفة السياسية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- 7. بدر الدين محمد الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000.
- 8. ثروت بدوي، النظرية العامة للقانون الدستوري، مصر، دار الرسالة العربية، 1975/6.
- 9. حسين عبدالعزيز آل الشيخ، المبادئ القضائية في الشريعة الإسلامية، المكتبة الشاملة، 2019.
- 10. خالد محمد خالد، الديمقراطية أبدا، ط1، مصر، مكتبة وهبة.
- 11. راشد الغنوشي، الحريات في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.
- 12. رياض عزيز هادي، من الحزب الواحد إلى التعددية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1995.
- 13. سعيد عبدالعظيم، الديمقراطية في الميزان، د. ن، 1990.
- 14. سيد قطب، في ظلال القرآن، مصر، دار الشروق، 2008.
- 15. الصافي سعيد، بورقية، سيرة شبه محرمة، ط1، مكتبة نور، 2000م.
- 16. صالح جرادات، دراسات في الفكر السياسي والاجتماعي، ط1، عمان، دار الكندي، 2002.

17. صفد علاوي (الدكتور)، المواطنة ودورها في بناء الدولة المدنية، مصر، دار الكتب والدراسات العربية، 2020،
18. عبدالسلام الترماني، حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1976
19. عبدالودود مكرم، القيم ومسئوليات المواطنة، رؤية تربوية، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٤
20. عاطف البنا، النظم السياسية، مصر، دار الفكر العربي، 2008
21. عبدالحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الاسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، ط2، مصر، دار الاسكندرية، 1974.
22. عطية عدلان، النظرية العامة لنظام الحكم في الإسلام، القاهرة، دار اليسر، ٢٠١١
23. على ليلة، قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، ط1، القاهرة، مكتبة الأجلو المصرية، ٢٠٠٧
24. علي خليفة الكواري، مفهوم الديمقراطية المعاصرة، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠
25. علي عبدالرازق، الإسلام وأصول الحكم، ط٣، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢5
26. عماد صيام (الدكتور)، المواطنة، ط1، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2007
27. غسان سلامة، أين هم الديمقراطيون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995
28. فهمي هويدي، الإسلام والديمقراطية، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣
29. قحطان الدوري، الشورى بين النظرية والتطبيق، ط1، بغداد، مطبعة الامة، 1974
30. محمد اسد، منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة منصور ماضي، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٨
31. محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1979
32. محمد رشيد رضا، الخلافة أو الإمامة العظمى، القاهرة، مطبعة المنار، د-ت
33. محمد زراقت، الحرية بين منظومتَي القيم الدينية والمادية، ط1، بيروت، منتدى الفكر اللبناني، ٢٠١٠
34. محمد السناري، النظرية العامة للقانون الدستوري والنظم السياسية المعاصرة، مصر، مطبعة الاسراء، 2001،
35. محمد ضياء الدين الريس (الدكتور)، النظريات السياسية الإسلامية، ط٧، مصر، دار التراث، ١٩٧٧
36. محمد عبدالسلام فرج، الجهاد الفريضة الغائبة، د.ن، ١٩٨١
37. محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨
38. محمد عمارة، التعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧
39. محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٨
40. محمد غالب البكاري وآخرون، دليل المواطن إلى الدولة المدنية، اونلاين، مؤسسة تمكين للتنمية، ٢٠١١
41. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، بيروت، المكتب الإسلامي، د.ت

42. محمود الخالدي، نقض الديمقراطية، بيروت، دار الخليل، ١٩٨٤
43. محمود عاطف البناء، النظم السياسية، مصر، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨
44. مسعود الظاهر، سلطنة عمان أربعون عاما من التنمية المستدامة، بيروت، دار الفارابي، 2000
45. مسلم، الصحيح، تحقيق: محمد عبد الباقي، ج1، مصر، مطبعة عيسى، الباي الحلبي 1955، باب الدين النصيحة، رقم 23
46. منير البياتي (الدكتور)، النظام السياسي الاسلامي مقارنا بالدولة القانونية، ط4، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، 2013
47. نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح والمفهوم، مصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994
48. هادي حسن حمودي، الفكر السياسي العماني من الثوابت إلى المتغيرات، مسقط، د.ن ١٩٩٢
49. هاملتون جب، دعوة الى تجديد الاسلام، دمشق، دار الوثيقة، د-ت.
50. وجيه كوثراني، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا، دراسة ونصوص"، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦
51. يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، بيروت، دار النهضة العربية، 1969
52. يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، ط3، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠١

ثانيا: البحوث والمقالات

1. أحمد الدلبياني - الدين والحداثة في ظاهرة الأصولية وعودة المقدس الديني، الديار اللندنية، 14/اب/2012
2. برهان غليون، فكرة الوحدة في المغرب العربي، تكوين الجماعات الوطنية، مجلة دراسات عربية، السنة ٢٢، العدد ١، حزيران، 1986
3. سامر مؤيد عبداللطيف، المواطنة وإشكالياتها في ظل الدولة الإسلامية، مجلة الفرات (العراق)، العدد 7، كانون الاول، 2011
4. عبدالحميد المواني، مجلس عمان بين الصورة النمطية وتأكيد الذات، مجلة الشورى (مسقط)، العدد 6، إبريل ٢٠٠٢
5. عبدالصمد سعدون، جدلية العلاقة بين الدولة والمواطنة في تفعيل التنمية المستدامة، جامعة الموصل، كلية العلوم السياسية، مركز الدراسات الإقليمية، المجلد 5، العدد 13، اذار، 2009
6. العبدوي صونية، المجتمع المدني، المواطنة والديمقراطية، جدلية المفهوم والممارسة (الجزائر)، جامعة محمد خيضر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان الثاني والثالث، حزيران، 2008
7. محمد شاكر الشريف، الدولة الإسلامية بين الدينية والمدنية، مجلة البيان (الكويت)، السنة ٢٦، العدد ٢٨٦، ايار، 2011

ثالثا: الرسائل والاطاريح

1. علي سليمان الدرمني، التنمية السياسية ودورها في الاستقرار السياسي في سلطنة عمان، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، 2012

رابعا: المصادر باللغة الانكليزية

1. Ahmed, Dawood I. and Ginsburg, Tom, 'Constitutional Islamization and Human Rights: The Surprising Origin and Spread of Islamic Supremacy in Constitutions', Virginia Journal of International Law, 54/3 (July 2014)
2. Andrew Mango, Atatürk: The Biography of the Founder of Modern Turkey. Overlook TP, 2002, p. 27.
3. Balmer, Randall, Thy Kingdom Come: How the Religious Right Distorts the Faith and Threatens America (New York: Basic Books, 2006)
4. Durham, W. Cole, 'Perspectives on Religious Liberty: A Comparative Framework.
5. in John Witte Jr. and Johan D. van der Vyver (eds.) Religious Human Rights in Global
6. Perspective (Grand Rapids, MI: William B. Eerdmans Publishing Masood Ashraf Raja (6 May 2016). The Religious Right and the Talibanization of 19 ISBN 978-1-137-58490-8, 17America, Springer.

خامسا: شبكة المعلومات

1. د. علي الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية ، akak.nsms.ox.uk ، 2000/8/17
2. مفهوم المواطنة وعلاقته بالانتماء، مقال إلكتروني، مركز آفاق للدراسات والبحوث، اطلع عليه بتاريخ: 29/9/2021،
<https://aafaqcenter.com>
3. أحمد بو عشرين الأنصاري، مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والإسلامي، مقال إلكتروني، الدوحة، (2014)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 27 /ابريل / 2014
4. أحمد زايد، ماذا تعني الدولة المدنية، <http://www.dawlamadaneya.com/ar/in>
5. أنور مغيث، "الدولة المدنية والدولة العلمانية، هل هناك فرق؟" مقال بصحيفة اليوم السابع 22 إبريل (2011)،
<http://www.youm7.com/>
6. حسن البنا الرسائل، نسخة إلكترونية موقع www.ikwny.com

دعوى الدفع بعدم المشروعية - الإطار القانوني والتطبيقات القضائية

مروان الفاهم / باحث دكتوراه/ جامعة محمد الخامس الرباط/ كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية

المستخلص:

تشكل دعوى الدفع بعدم المشروعية في القانون الإداري المغربي، إلى جانب دعوى الإلغاء ودعوى التعويض، إحدى الآليات القضائية الرئيسية، التي تتيح للأفراد الدفاع عن حقوقهم في مواجهة القرارات الإدارية غير المشروعة، وتمكن القاضي من الحرص على تطبيق القانون في ظل الضوابط الخاصة التي تحكمه.

حيث يتيح هذا الطعن للمتقاضين، خلال سريان الدعوى القضائية، الدفع بعدم قانونية قرار إداري مرتبط بالتزاع الأصلي، مما يمنح الأفراد فرصة لحماية حقوقهم من القرارات التي قد تنتهك حقوقهم، وذلك بعد انقضاء الآجال العادية للطعن بالإلغاء. مع ذلك، وفي إطار القانون الإداري المغربي، تواجه دعوى الدفع بعدم المشروعية عدة تحديات، ترتبط أساساً بكيفية تحقيق التوازن بين حماية الحقوق الفردية وتعزيز مبدأ القانونية من جهة، وضمان استقرار القرارات الإدارية من جهة أخرى. فبينما تعتبر دعوى الدفع بعدم المشروعية وسيلة لتعزيز الرقابة القضائية على الإدارة، وترسيخ سيادة القانون في الدولة، إلا أن كثرة استخدامها قد يؤدي إلى التأثير على استقرار القرارات الإدارية، الثقة المشروعة، وعلى مبدأ الزمن القضائي إذا لم يتم ضبط آجال البت في الدعوى.

حاولت هذه الورقة، دراسة الأبعاد النظرية والتطبيقية لدعوى الدفع بعدم المشروعية، فمن الناحية النظرية، ترتبط هذه الدعوى بمبدأ المشروعية، والرقابة القضائية، مما تطلب دراسة الإطار القانوني الذي ينظم هذه الآلية في المغرب، والمتمثل أساساً في القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية، وتحليل مدى تأثير النظام القانوني المغربي، بالنظريات القانونية المعاصرة، كنظرية القانون الحاجب، والممارسة القضائية المقارنة، وما إذا كان القانون الإداري المغربي بحاجة إلى إصلاحات تشريعية لتطوير هذه الآلية. أما من الناحية العملية، فإن التطبيق القضائي لدعوى الدفع بعدم المشروعية، تطلب دراسة الأحكام والقرارات القضائية الصادرة عن المحاكم الإدارية، محاكم الاستئناف الإدارية، ومحكمة النقض، وتحليلها، لفهم كيف تعامل القاضي الإداري مع هذه الآلية. الكلمات المفتاحية: القضاء الإداري، مبدأ المشروعية، الأمن القانوني، الأمن القضائي.

Abstract:

The plea of illegality in Moroccan administrative law, alongside the annulment lawsuit and compensation claim, constitutes one of the primary judicial mechanisms allowing individuals to defend their rights against unlawful administrative decisions. This plea enables litigants, during the course of judicial proceedings, to challenge the legality of an administrative decision linked to the original dispute, providing individuals with an opportunity to protect their rights from decisions that may infringe upon them, even after the regular time limits for annulment appeals have expired.

However, within the framework of Moroccan administrative law, the plea of illegality faces several challenges, primarily related to balancing the protection of individual rights and promoting the principle of legality on one hand, and ensuring the stability of administrative decisions on the other. While the plea of illegality is considered a means to enhance judicial oversight over the administration and reinforce the rule of law in the state, excessive use of this mechanism could potentially impact the stability of administrative decisions and the principle of legitimate trust.

This paper seeks to examine the theoretical and practical dimensions of the plea of illegality. Theoretically, this plea is tied to the principle of legality and judicial oversight, which necessitated an exploration of the legal framework governing this mechanism in Morocco, particularly Law No. 41.90, which established administrative courts. It also analyzes the extent to which the Moroccan legal system has been influenced by contemporary legal theories, such as the theory of the protective law, and comparative judicial practice, and whether the Moroccan administrative law requires legislative reforms to further develop this mechanism.

Practically, the judicial application of the plea of illegality required an examination of judicial precedents issued by administrative courts, administrative appellate courts, and the administrative chamber of the Court of Cassation, with a focus on analyzing how the administrative judiciary has dealt with this mechanism.

Keywords: Administrative judiciary, Principle of legality, Legal security, Judicial security.

مقدمة:

إن الامتيازات التي تتمتع بها الإدارة لممارسة مهامها،¹ جعلت القاضي أولاً،¹ ثم المشرع ثانياً، يضعان مجموعة من الضوابط والآليات الهادفة إلى حماية مبدأ المشروعية، وذلك من خلال جعل الإدارة تتصرف في إطار القانون، وتمكين المواطنين من وسائل لحماية حقوقهم وحررياتهم.²

¹ من بين امتيازات السلطة العامة يمكن ذكر الآليات التالية:

- سلطة اتخاذ القرارات من جانب واحد **Le pouvoir de décision unilatérale**: حيث يجوز للإدارة أن تصدر قرارات إدارية من جانب واحد تعتبر ملزمة للمواطنين دون موافقتهم المسبقة. بحيث تكون هذه القرارات الإدارية (قرارات فردية، مراسيم تنظيمية) ملزمة للمواطنين.
- امتياز الإشعار المسبق **Le privilège du préalable**: حيث لا تحتاج الإدارة اللجوء إلى القاضي بغية تنفيذ قراراتها، وإنما تتمتع قرارات الإدارة "بافتراض الشرعية"، أي أنها تعتبر قانونية إلى أن ينقضها القاضي.
- الحق في تعديل العقود الإدارية من جانب واحد **Le droit de modification unilatérale des contrats**: حيث تتمتع الإدارة بسلطة تعديل شروط العقد من جانب واحد لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة.
- الحق في إنهاء العقود الإدارية من جانب واحد **Le droit de résiliation unilatérale des contrats**: يجوز للإدارة أن تنهي العقود الإدارية من جانب واحد، حتى دون ارتكاب المتعاقد خطأ، شريطة أن يكون ذلك مبرراً بالمصلحة العامة.

فإذا كان القاضي الإداري، في إطار مراقبته لمشروعية العمل الإداري، قد أبدع مجموعة من التقنيات القضائية (الخطأ البين في التقدير، التناسب، الموازنة) الساعية إلى مراقبة السلطة التقديرية للإدارة، وإلغاء القرارات التي تتسم بعيب المشروعية، فإن المشرع قام بتضمين الدعاوى الإدارية (دعوى الإلغاء، دعوى التعويض، دعوى الدفع بعدم المشروعية...) في النصوص القانونية.

إن التنصيص على هذه الدعاوى القضائية في القوانين الوطنية، يوطد الأمن القانوني للمواطن من جهة، ويعزز شرعية القاضي الإداري من جهة أخرى، لأن عمله القضائي، يصبح مؤطرا بنص القانون، استنادا إلى أطروحة "القاضي لا ينطق إلا بما يقوله القانون"³. من بين الدعاوى القضائية التي أسس لها المشرع في القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية،⁴ توجد دعوى الدفع بعدم المشروعية، حيث نصت المادة 44 على أنه: "إذا كان الحكم في قضية معروضة على محكمة عادية غير زجرية يتوقف على تقدير شرعية قرار إداري وكان النزاع في شرعية القرار جديا، يجب على المحكمة المثار ذلك أمامها أن توكل القضية وتحيل تقدير شرعية القرار الإداري محل النزاع إلى المحكمة الإدارية أو إلى محكمة النقض بحسب اختصاص كل من هاتين الجهتين القضائيتين...".

إن هذه الدعاوى القضائية، التي تهدف إلى عدم تطبيق قرار إداري غير مشروع في نزاع معروض على إحدى المحاكم، تعد من بين الآليات المهمة التي جاء بها القانون المذكور، لما تتيحه للمتقاضين من إمكانية عدم اعتداد القاضي بقرار غير قانوني في القضية المعروضة أمامه، حتى وإن كان أجل دعوى الإلغاء بسبب تجاوز السلطة قد انقضى.⁵

إن دعوى الدفع بعدم المشروعية يمكن أن تشكل وسيلة لتوطيد مبدأ الأمن القانوني، فإذا كان هذا المبدأ يهدف إلى أن يشعر الأفراد بالثقة والطمأنينة في القواعد القانونية، ويتمتعون بالحماية من طرف القانون، وهو ما يستدعي أن تكون القوانين واضحة،

- اللجوء إلى نوع الملكية لأسباب تتعلق بالمنفعة العامة **Le recours à l'expropriation pour cause d'utilité publique**: يمكن للإدارة أن تلجأ إلى نزع الملكية لدواعي المنفعة العامة، مما يمكنها من تحويل ملكية العقارات الأراضي الخاصة إلى ملكيتها، وذلك مقابل تعويض معين.
- امتيازات الشرطة الإدارية **Les pouvoirs de police administrative**: تتمتع الإدارة بصلاحيات الشرطة الإدارية للحفاظ على النظام العام، بما في ذلك تحقيق السلامة العامة، الصحة العامة، والطمأنينة، وتمكن هذه الصلاحيات السلطات الإدارية من اتخاذ تدابير تقييدية أو حتى قسرية ضد المواطنين من أجل الحفاظ على النظام العام.

¹ استنادا إلى أطروحة الأسس القضائية للقانون الإداري، عكس باقي فروع القانون (مثل القانون المدني، المدون في نصوص قانونية محددة)، فإن القانون الإداري هو نتاج السوابق القضائية، حيث طورت المحاكم القضائية، خلال بنها في المنازعات بين الإدارة والأفراد، مجموعة من المبادئ التي أصبح يتأسس عليها القانون الإداري. في فرنسا، قام مجلس الدولة بدور أساسي في تشكيل قواعد القانون الإداري، حيث ساهمت قراراته (حكم بلانكو 1873 مثلا)، في تحديد عدد من المفاهيم والمبادئ الأساسية، من قبيل التمييز بين الأعمال الإدارية والأعمال الخاصة، مفهوم المرفق العام، والمسؤولية الإدارية...

Voir : Georges Vedel, *Droit administratif*, Presses Universitaires de France (PUF), 1958.²

Léon Duguit, *Traité de droit constitutionnel*, Tome 2, 1921.

Montesquieu, *De l'esprit des lois*, Livre XI, chapitre 6.³

⁴ الجريدة الرسمية، عدد 4227، بتاريخ 18 جمادى الأولى 1414 (03 نونبر 1993)، ص. 2168

⁵ حددت المادة 23 من القانون رقم 41.90 أجل 60 يوما يتبدئ من نشر أو تبليغ القرار الإداري:

"يجب أن تقدم طلبات إلغاء القرارات الصادرة عن السلطات الإدارية بسبب تجاوز السلطة داخل أجل ستين يوما يتبدئ من نشر أو تبليغ القرار المطلوب إلغاؤه إلى المعني بالأمر".

مستقرة، متناسقة، يمكن التنبؤ بها، وتمتع بقبالية الوصول...¹ فإن دعوى الدفع بعدم المشروعية، وإن كانت يمكن أن تخل باستقرار القرارات الإدارية، إلا أنها تحول دون تطبيق قواعد قانونية (المراسيم التنظيمية مثلا) غير مشروعة في المنازعات القضائية. وبالتالي، فدعوى الدفع بعدم المشروعية باعتبارها أداة مهمة لفحص شرعية الأعمال الإدارية، تبقى من بين أهدافها الرئيسية الحفاظ على سيادة القانون، هذه السيادة، لن تتحقق بشكل كامل إلا إذا أصبح النظام القانوني حاليا من القواعد غير المشروعة، أي تلك القواعد المخالفة للدستور، وللقوانين الوطنية.

إن القرارات الإدارية لا تخضع لرقابة المشروعية عندما تصدرها السلطات المختصة،² وهو ما يمكن أن ينتج قرارات فردية أو تنظيمية غير مشروعة، أي تخرق الدستور، ولا تحترم تراتبية القواعد القانونية.

كما أن التصدي لهذه القرارات غير المشروعة عن طريق دعوى الإلغاء، لا يمكن أن يتم بعد مرور أزيد من ستون يوما على تاريخ التوصل بالقرار،³ الأمر الذي يجعل هذه القرارات سارية النفاذ، دائمة التطبيق، بالرغم من عدم مشروعيتها.

إن هذه الأسباب، تجعل من الضروري -بالنسبة لكل نظام قانوني- اعتماد آلية الدفع بعدم مشروعية الأعمال الإدارية، كما هو الشأن بالنسبة لآلية الدفع بعدم الدستورية، التي تمكن من نسخ المقتضيات المخالفة للدستور.

في قرار مؤسس لمجلس الدولة الفرنسي، سيعتبر في إحدى حيثياته، أن مشروعية القرارات التنظيمية يجب أن تكون قابلة للطعن في أي وقت، دون الاعتداد بشرطية الأجل: «... وحيث أن القاضي الإداري يمارس هذا النوع من الرقابة -أي رقابة الإلغاء- عندما يتم اللجوء إليه ضمن المهلة القانونية للطعن (60 يوم من تاريخ التوصل)، غير أنه بالإضافة إلى ذلك، وبالنظر لاستمرارية القرار التنظيمي، يجب أن تكون مشروعية القواعد التي يضعها، مثل الاختصاص، وتجاوز استعمال السلطة، قابلة للطعن في أي وقت، أي حتى بعد انقضاء أجل الطعن القانوني، بحيث يمكن دائما معاقبة أي انتهاك غير قانوني قد يلحقه هذا القرار التنظيمي بالنظام القانوني...»⁴.

¹ JULIEN DELLAUX, Le principe de sécurité juridique en droit constitutionnel : signes et espoirs d'une consolidation de l'ordre juridique interne et de l'État de droit, Revue française de Droit constitutionnel, 119119, 2019, p. 665- 696.

² إن دستور 2011 لم يمكن القضاء من رقابة مشروعية القرارات الإدارية قبل إصدار الأمر بتنفيذها، وتم حصر مجالات الرقابة القضائية في القوانين التنظيمية، الأنظمة الداخلية لمجلسي البرلمان، والقوانين مع شروط خاصة لكل حالة على حدة، دون الإشارة إلى المراسيم. إذ تنص الفقرة الثانية والثالثة من الفصل 132 من الدستور على ما يلي: "...تحال إلى المحكمة الدستورية القوانين التنظيمية قبل إصدار الأمر بتنفيذها، والأنظمة الداخلية لكل من مجلس النواب، ومجلس المستشارين قبل الشروع في تطبيقها لتبت في مطابقتها للدستور. يمكن للملك، وكذا لكل من رئيس الحكومة، أو رئيس مجلس النواب، أو رئيس مجلس المستشارين، أو خمس أعضاء مجلس النواب، أو أربعين عضوا من أعضاء مجلس المستشارين، أن يجيلوا القوانين، قبل إصدار الأمر بتنفيذها، إلى المحكمة الدستورية، لتبت في مطابقتها للدستور...".

³ "حيث التمس الطاعن إلغاء القرار الصادر عن عامل إقليم شفشاون بتاريخ 1998/07/14 بعزله من منصب مقدم حضري ابتداء من 1998/07/19، وحيث حددت المادة 23 من القانون رقم 41.90 المحدثة بموجبه محاكم إدارية آجال تقدم دعوى الإلغاء في 60 يوما ابتداء من التوصل بالقرار، مع تمديد ذلك الأجل في حالة التظلم من القرار. وحيث في نازلة الحال، أقر الطاعن أنه توصل بالقرار بتاريخ 1998/07/14، ولم يتقدم بالطعن فيه إلا بتاريخ 2006/05/11 كما أن التظلم قدم خارج الأجل، مما يتعين معه عدم قبول

الطلب". حكم المحكمة الإدارية بالرباط رقم 1048 بتاريخ 2006/07/13 ملف رقم 06-440 ش، وحكم مشار إليه سابقا

⁴ : In Conseil d'État, Assemblée, 18/05/2018, 414583, <https://www.legifrance.gouv.fr/ceta/id/CETATEXT000036927163/>

إذا كانت دعوى الإلغاء تمكن المواطنين من الطعن في قرار إداري غير مشروع، إما لغيب في الاختصاص، الشكل، انحراف السلطة، انعدام التعليل، أو لمخالفة القانون،¹ داخل أجل زمني محدد في ستون يوماً من تاريخ نشر أو تبليغ القرار المفترض عدم مشروعيته، فإن دعوى الدفع بعدم المشروعية، تقدم خلال سريان المنازعة القضائية، لفحص شرعية قرار إداري تتوقف عليه المنازعة، دون الاعتداد بالأجل الزمني المحدد بالنسبة لدعوى الإلغاء.

إن دعوى الدفع بعدم المشروعية تشبه في بعض خصائصها دعوى الدفع بعدم الدستورية،² التي تمكن الأطراف، خلال سريان المنازعة القضائية بإحدى المحاكم، من الطعن في دستورية قانون يمس بالحقوق والحريات التي يضمنها الدستور،³ بحيث يقوم القاضي الذي أثير أمامه الدفع بإحالة المسألة الدستورية ذات الأولوية على المحكمة الدستورية، التي تصدر قراراً بعدم دستورية المقتضى التشريعي، وهو ما يترتب نسخه ابتداءً من تاريخ تحده المحكمة في قرارها.⁴

¹ تنص المادة 20 من القانون رقم 41.90 على ما يلي: "كل قرار إداري صدر من جهة غير مختصة أو لغيب في شكله أو لانحراف في السلطة أو لانعدام التعليل أو لمخالفة القانون، يشكل تجاوزاً في استعمال السلطة، يحق للمتضرر الطعن فيه أمام الجهة القضائية الإدارية المختصة".

² PAULINE ESTANGUET, La convergence des jurisprudences du Conseil constitutionnel et du Conseil d'État dans le traitement des moyens soulevés par voie d'exception, Revue française de Droit constitutionnel, 119119, 2019, p. 697-720.

³ Maugüé, Christine, Stahl Jacques Henri, La question prioritaire de constitutionnalité, Dalloz, Paris, troisième édition, p 7.

⁴ في التجربة الفرنسية يوجد نظام للتصفية، بحيث أن القاضي الذي أثير أمامه الدفع يجب عليه إحالة المسألة الدستورية على مجلس الدولة أو محكمة النقض، لكي تبث هذه المحاكم العليا في حدية الدفع قبل إحالته على المجلس الدستوري.

Louis Favoreu, Patrick Gaïa, Richard Ghevoantian, Jean-Louis Mestre, Otto Pfersmann, Guy Scoffoni, André Roux, Droit constitutionnel, Dalloz, 21e édition, 2019, p. 373.

إن القاضي الدستوري المغربي سيدفع بعدم دستورية نظام التصفية، لأن الدستور نص صراحة على أن المحكمة الدستورية لها اختصاص حصري للنظر في كل دفع بعدم الدستورية، وهو اختصاص عام، يشمل النظر في الدفع المحالة عليها شكلاً وموضوعاً، وليس في الدستور ما يشرع لتجزئ هذا الاختصاص المندرج في ولايتها الشاملة، ولا أيضاً ما يبرر نقله لغير الجهة المحددة له دستورياً.

«...حيث إن المادة السادسة تنص في فقرتها الأولى والثالثة، على أنه "يجب على المحكمة أن تتأكد من استيفاء الدفع بعدم دستورية قانون، المنار أمامها، للشروط المشار إليها في المادة 5... داخل أجل أقصاه ثمانية أيام من تاريخ إثارته أمامها. يكون مقررها بعدم القبول معللاً وغير قابل للطعن، ويجوز إثارة نفس الدفع من جديد أمام المحكمة الأعلى درجة"، وتنص المادة 10 على أنه "يحال الدفع بعدم دستورية قانون، المنار أمام محكمة أول درجة أو محكمة ثاني درجة، حسب الحالة، إلى الرئيس الأول لمحكمة النقض... غير أنه إذا أثير الدفع بعدم دستورية قانون أمام محكمة النقض لأول مرة بمناسبة قضية معروضة أمامها، فإن المحكمة تبث في الدفع مباشرة...»؛

وحيث إن القانون التنظيمي المعروض على المحكمة الدستورية، يكون بهذا قد أرسى نظاماً للتصفية، على مرحلتين اثنتين، إذا أثير الدفع أمام محكمتي أول وثاني درجة، وعلى مرحلة واحدة إذا أثير الدفع لأول مرة أمام محكمة النقض، ويرمي هذا النظام إلى التحقق من توافر شروط معينة (المادة 5 والفقرة الثانية من المادة 10)، ويتم في أعقاب ذلك التصريح بقبول أو عدم قبول الدفع، وفي حال قبوله، يحال على هيئة محدثة بمحكمة النقض للبت في حديته (المادة 11) لتصدر مقررًا معللاً، إما برد الدفع أو بإحالته إلى المحكمة الدستورية؛ وحيث إن القانون التنظيمي، أسند النظر في مقبولية الدفع من عدمها، بما يعنيه ذلك من البت فيه شكلاً، لمحاكم التنظيم القضائي للمملكة، دون المحكمة الدستورية، مدعماً ذلك الخيار بتحصين قرارات عدم القبول (محكمتي أول وثاني درجة أو محكمة النقض) أو رد الدفع (محكمة النقض) من أي طعن؛

وحيث إن الفصل 132 من الدستور ينص على أنه "تمارس المحكمة الدستورية الاختصاصات المسندة إليها بفصول الدستور، وبأحكام القوانين التنظيمية..."، وأن الفصل 133 منه، ينص على أنه "تختص المحكمة الدستورية بالنظر في كل دفع متعلق بعدم دستورية قانون، أثير أثناء النظر في قضية، وذلك إذا دفع أحد الأطراف بأن القانون الذي سيطبق في النزاع، يمس بالحقوق والحريات التي يضمنها الدستور. يحدد قانون تنظيمي شروط وإجراءات تطبيق هذا الفصل؛"

وحيث إنه، بمقتضى أحكام الفصلين 132 و133 المشار إليهما، فإن الدفع بعدم الدستورية اختصاص موكول للمحكمة الدستورية أصلاً بمقتضى الدستور، وليس وفق القانون التنظيمي المتعلق به؛

وبالتالي، يلاحظ أن هاتين الدعويتين القضائيتين تلتقيان في النقاط التالية:

1. يثار الدفع بعدم المشروعية والدفع بعدم الدستورية خلال سريان المنازعة؛
2. يجب أن يكون القرار الإداري محل الدفع بعدم المشروعية، والمقتضى موضوع الدفع بعدم الدستورية، مرتبطا بالمنازعة القضائية الجارية؛

وحيث إن الفصل 133 المذكور، يميز بين مجال استأثر الدستور بتنظيمه ويمثل في أن المحكمة الدستورية هي المختصة بالنظر في كل دفع يتعلق بعدم دستورية قانون، وأنه حق للأطراف يثار أثناء النظر في قضية، ويجب أن يطبق موضوعه على النزاع، وأن يمس بالحقوق والحريات التي يضمنها الدستور، وبين مجال للقانون التنظيمي محددة مشمولاته في الشروط والإجراءات الكفيلة بتطبيق الفصل المعني؛

وحيث إن اختصاص النظر في كل دفع بعدم الدستورية الموكل للمحكمة الدستورية، هو اختصاص عام، يشمل النظر في الدفوع المحالة عليها شكلا وموضوعا، وليس في الدستور ما يشرع لتجزئ هذا الاختصاص المدرج في ولايتها الشاملة، ولا أيضا ما يبرر نقله لغير الجهة المحددة له دستوريا؛

وحيث إن الدستور حدد حصرا مجال القانون التنظيمي المعني، في موضوع الشروط والإجراءات، بما تتضمنه من تشكيلات، تتعلق بإقامة الدعوى وأحالتها وإجراءات الدفاع والتواجبية وطبيعة الجلسات والعلاقة بين الدعوى الأصلية والدفع الفرعي، ولم يدرج ما يتعلق بالاختصاص ضمن المواضيع الموكل للشرع بمقتضاه؛

وحيث إن التشريع وفق القانون التنظيمي، يتم في نطاق الموضوعات المحددة له، احتراماً لسمو الدستور، ولا يجوز، بالتالي، للمشروع أن يتجاوز مشمولاته أو بالأحرى أن ينظم من خلاله قاعدة دستورية بشكل يمس بجوهرها؛

وحيث إنه، باستثناء القانونين التنظيميين المتعلقين بالمجلس الوطني للغات والثقافة المغربية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي المخول لهما، طبقا للفصلين الخامس و153 من الدستور، تحديد صلاحيات المجلسين المذكورين، فإن باقي القوانين التنظيمية، المنصوص عليها دستوريا، ينحصر مجال التشريع بمقتضاها على بيان كيفية تطبيق أو تفعيل الصلاحيات أو الاختصاصات المخولة دستوريا للمؤسسات المعنية؛

وحيث إنه، فضلا على ما تقدم:

- من جهة، فإن البت في الطبيعة التشريعية للمقتضيات القانونية موضوع الدفع وتحديد ما هو مندرج في الحقوق والحريات المضمونة دستوريا من عدمه (المادة الخامسة والفقرة الثانية من المادة 10 التي تحيل عليها)، يعد توسعا في الشروط الواجب التحقق منها من قبل القاضي المثار أمامه الدفع بمناسبة قضية معروضة عليه، ومن شأنه أن يحول مرحلة التحقق من استيفاء الدفع لبعض الشروط المتمثلة، في اتصال الدفع بالدعوى الأصلية ومدى تضمينه للبيانات المطلوبة في أي دعوى وأدائه للرسم القضائي، إلى مراقب أولي للدستورية، إذ أن الجسم في الطبيعة التشريعية للمقتضى القانوني المعني، وتحديد قائمة الحقوق والحريات المضمونة دستوريا، يعد من الاختصاصات التي تنفرد المحكمة الدستورية بممارستها، -ومن جهة أخرى، فإن تقدير الجدية الموكل للهيئة المحدثة بمحكمة النقض، يحول الهيئة المذكورة إلى مراقب سلمي للدستورية، بالنظر لصعوبة تحديد العناصر المشكلة للجدية، وارتباط تقديرها بالموضوع، وليس بالشكل؛

وحيث إن نظام التصفية، كما تم بيانه، يؤدي إلى عدم مركزية المراقبة الدستورية، وانتقاص استتار المحكمة الدستورية بصلاحيه المراقبة البعدية للدستور، وحرمانها من ممارسة اختصاصها كاملا، عبر دفعها مباشرة للنظر في موضوع الدفوع المقبولة، دون رقابة شكلية عليها؛

وحيث إنه، يبين من الاطلاع على الأعمال التحضيرية للقانون التنظيمي، أن غاية المشرع من خلال اختياره هذا النظام للتصفية، تتمثل، على الخصوص، في تجنب المحكمة الدستورية حالة تضخم عدد القضايا المحتملة إحالتها عليها؛

وحيث إن الغايات الدستورية، لكي تكون مبررا مقبولا للتشريع، يجب أن تتم في تلاؤم وانسجام مع قواعد الدستور احتراماً لمبدأ وحدته؛

وحيث إن الغاية التي يستهدفها المشرع، لئن كانت تستجيب للعديد من المبادئ المقررة في الدستور، من قبيل، إصدار الأحكام داخل آجال معقولة وضمان النجاعة القضائية، فإنها تخالف قاعدة جوهرية صريحة تتعلق بالاختصاص المعد من النظام العام؛

وحيث إنه، لئن كان يعود للمشرع تكييف اختياراته وتفضيلاته مع متطلبات الدستورية، فإنه يسوغ للمحكمة الدستورية، بالنظر لاختصاصها في تفسير الدستور بمناسبة إحالة معروضة عليها، وفي حدود ما تقتضيه مراقبة الدستورية، تبيان كيفية تطبيق القواعد والإجراءات الواردة في الدستور بما يتلاءم مع سموه ووحدة أحكامه؛

وحيث إن التوفيق بين الحق في إثارة الدفع بمناسبة قضية معروضة على محكمة ما، واختصاص المحكمة الدستورية بالبت شكلا وموضوعا في الدفوع الدستورية المحالة عليها، وبين متطلبات النجاعة القضائية وحسن سير العدالة وسرعة البت في الدفوع وإصدار قرارات بشأنها داخل أجل معقول، يقتضي من المشرع حصر نطاق الشروط التي يتحقق القاضي من استيفائها بمناسبة إثارة الدفع في تلك التي لا تشكل عناصر تقدير أولي للدستورية، وفي إحداث آلية كفيلة بإرساء نظام للتصفية بالمحكمة الدستورية، يحدد قانون تنظيمي تركيبها وضوابط عملها، وذلك تحقيقا للمرونة المطلوبة الكفيلة بالوصول إلى الغايات التي سبق عرضها؛

وحيث إنه، تأسيسا على ما سبق، فإن أحكام المواد السادسة والعاشرة و11، والمواد الخامسة (فيما نصت عليه من شروط متصلة بمراقبة الدستورية كما تم بيانه) والسابعة (الفقرة الثانية) و12، المرتبطة بها، غير مطابقة للدستور...» .

المحكمة الدستورية، ملف عدد: 18/024 ، قرار رقم : 18/70 م.د، بتاريخ 06/03/2018.

<https://www.cour-constitutionnelle.ma/Decision?id=1113&Page=Decision>

3. لا يمكن للقاضي (باستثناء القاضي الزجري) أن يفحص شرعية القرار الإداري، وإنما يجب عليه إحالة السؤال على القاضي الإداري، وفي المسألة الدستورية ذات الأولوية يبقى القاضي مطالب بإحالة المسألة على القاضي الدستوري لفحص الدستورية؛

4. قاضي الإحالة غير مقيد بأجل زمني للبت في سؤال المشروعية، والمسألة الدستورية ذات الأولوية؛

5. ينتج عن تبوث عدم مشروعية القرار الإداري عدم تطبيقه في المنازعة القضائية دون إلغاؤه، فيما يترتب عن عدم دستورية المقتضى التشريعي نسخه ابتداء من تاريخ يحده القاضي الدستوري.

إشكالية الدراسة:

في القانون الإداري المغربي، تعتبر دعوى الدفع بعدم المشروعية وسيلة، تمكن المتقاضين خلال سريان المنازعة بالطعن في مشروعية القرارات الإدارية، ومع ذلك، لا يزال نطاق وحدود وفعالية دعوى الدفع بعدم المشروعية غامضة في مواجهة التحديات المعاصرة للشرعية الإدارية والمراقبة القضائية.

فإلى أي مدى تضمن دعوى الدفع بعدم المشروعية، في إطار القانون والقضاء الإداريين، رقابة فعالة ومتوازنة على العمل الإداري، مع احترام مبدأ الأمن القانوني والأمن القضائي؟

تثير هذه الإشكالية تساؤلات، حول ما إذا كان الإطار القانوني الحالي المنظم لدعوى الدفع بعدم المشروعية، يفي بمتطلبات سيادة القانون، وحول إمكانية إصلاح أو تكييف هذه الدعوى مع الواقع القانوني، القضائي، والاجتماعي المغربي. تتطلب الإجابة عن هذه الإشكالية، تقسيم الدراسة إلى محورين، سيخصص المحور الأول لدراسة التأطير القانوني لدعوى الدفع بعدم المشروعية، على أن يخصص المحور للتطبيقات القضائية لدعوى الدفع بعدم المشروعية على مستوى القضاء الإداري المغربي.

المحور الأول: دعوى الدفع بعدم المشروعية في القانون الإداري المغربي

المحور الثاني: دعوى الدفع بعدم المشروعية في القضاء الإداري المغربي

المحور الأول: دعوى الدفع بعدم المشروعية في القانون الإداري المغربي

أولاً: مفهوم دعوى الدفع بعدم المشروعية

تفيد دعوى الدفع بعدم المشروعية، طعن أحد أطراف المنازعة القضائية في شرعية قرار إداري مرتبط بشكل رئيسي بالمنازعة الجارية أمام القضاء، أي أن دعوى فحص شرعية القرارات الإدارية تثار كمسألة عارضة، حينما يكون البت في القضية المعروضة على المحكمة العادية غير الزجرية متوقفاً على تقدير شرعية قرار إداري.¹

¹ محكمة النقض، الغرفة الإدارية، القرار عدد 950 الصادر بتاريخ 21 ماي 2015 في الملف الإداري عدد 951/4/1/2014، منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:

<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>

وخلافا لدعوى الإلغاء التي تُرفع بغرض إلغاء قرار إداري بشكل نهائي، فإن الغاية من الدفع بعدم المشروعية هو فحص مشروعية القرار الإداري من أجل إلغاء تطبيقه على القضية المعروضة على المحكمة فقط، وبالتالي فالفرق بين الإجراءين، هو أن القاضي لا يقوم بإلغاء العمل بل يكفي بالتصريح بعدم مشروعيته، وبالتالي، عدم الاعتداد به في الحكم.¹

فالدفع هنا لا بد له من نزاع أصلي، وفي ذلك النزاع يدفع أحد الأطراف بأن القرار الذي يتأسس عليه النزاع غير مشروع، مما يجعل المحكمة الزجرية تترك النزاع الأصلي وتفحص شرعية القرار محل الدفع، أو تحيل القضية إلى المحكمة المختصة لفحص شرعيته، قبل مواصلة البت في النزاع الأصلي.²

إن دعوى الدفع بعدم المشروعية ليست دعوى مستقلة، ولكنها دفع يتبع دعوى أصلية، بمعنى، أنه لا يمكن للمرء أن يطرق باب المحكمة لثبت في مشروعيتها قرار إداري بشكل مستقل، وإنما الدفع يقتضي وجود نزاع معروض على القضاء، وخلال سريان هذا النزاع، يدفع الأطراف بأنه تمت قرار إداري يتوقف عليه النزاع غير مشروع.³

في هذه الحالة، أي حالة الطعن بعدم المشروعية، يقوم القاضي المدني بتأجيل القضية، وإحالة المسألة على القاضي الإداري ليفحص شرعيته،⁴ في حين أن للقاضي الزجري الاحتصاص الكامل لتقدير مشروعية القرار الإداري، استنادا إلى مبدأ قاضي الدعوى هو قاضي الاستثناء *Juge de l'action, Juge de l'exception*، وذلك لتسريع البت في القضية حماية لحقوق وحرريات المتهمين، لأنه لا يتصور تحقق مخالفة معاقب عليها إذا كان القرار الإداري الذي تمت مخالفته غير مشروع.⁵

إن القاضي الإداري عندما يحال عليه سؤال المشروعية *Question d'illégalité*، يجب أن يفحص شرعية القرار الإداري، ويحيل النتيجة التي توصل إليها على المحكمة الأصلية، لكي تكمل البت في المنازعة.⁶

ينتج عن تصريح القاضي الإداري بعدم مشروعية القرار الإداري، عدم اعتداد قاضي الدعوى الأصلية بالقرار غير المشروع في تحرير منطوقه القضائي،⁷ ولكن هذا التصريح بعدم المشروعية، لا يؤدي إلى إلغاء القرار بشكل نهائي، وإنما يقتصر عدم تطبيقه على المنازعة الجارية فقط.⁸

¹ Michel Rousset, Mohammed Amine BENABDALLAH, contentieux administratif marocain, REMALD, Collection 1 manuels et travaux universitaires, numéro 144, 2022, p. 159.

² Vedel Georges, droit administratif, tome second, presses universitaire de France, Paris, première édition, 1959, p : 293

³ Gohin Olivier et Poulet Florian, Contentieux Administratif, LexisNexis, Paris, 10 édition, p. 293.

⁴ Chiriac Lucian, l'exception d'illégalité dans le droit comparée, In : http://revcurentjur.ro/old/arhiva/attachments_200901/recjurid091_5A.pdf

⁵ روسي ميشيل، المنازعات الإدارية بالمغرب، مرجع سابق، ص 106

⁶ Vedel Georges, Pierre Délové, Droit administratif, op.cit., p 607.

⁷ Benabdallah Mohammed Amine, Des effets juridique de l'acte administratif et sa contestation par la voie de l'exception d'égalité, Le cas du décret du 08/04/2011, Note sous C.C.A, Rabat 01/08/2014, Agent judiciaire du royaume c/ Nawal Tahiri, In : contribution à la doctrine du droit administratif marocain, publication de la 9.REMALD, Collection Manuels et Travaux universitaire, Numéro 134, 2020, p 33

⁸ Rousset Michel et Benabdallah Mohammed Amine, Contentieux administratif marocain, op.cit., p 159.

إن دعوى الدفع بعدم المشروعية وإن كانت لا تلغي القرار بشكل نهائي، إلا أنها تمكن المتقاضين من عدم تطبيق قرار إداري غير مشروع في القضية المثار حولها النزاع، وتحويل دون بناء القاضي لمنطوقه على أساس غير مشروع، وفي هذا الإجراء تعزيز لدولة القانون.¹

لذا يلاحظ تبني العديد من الدول لدعوى الدفع بعدم المشروعية في قوانينها، كإيطاليا، فرنسا، إسبانيا، ألمانيا، بلجيكا، اليونان، جمهورية المالديف...² وفي المغرب نص القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية على دعوى الدفع بعدم المشروعية، باعتبارها وسيلة لحماية أمن المتقاضين القانوني والقضائي.³

حيث نصت المادة 44 من القانون على ما يلي: "إذا كان الحكم في قضية معروضة على محكمة عادية غير زجرية يتوقف على تقدير شرعية قرار إداري وكان النزاع في شرعية القرار جديا، يجب على المحكمة المثار ذلك أمامها أن توجّل في القضية وتحيل تقدير شرعية القرار الإداري محل النزاع إلى المحكمة الإدارية أو إلى محكمة النقض بحسب اختصاص كل من هاتين الجهتين القضائيتين كما هو محدد في المادتين 8 و9 أعلاه، ويترتب على الإحالة رفع المسألة العارضة بقوة القانون إلى الجهة القضائية المحال إليها البت فيها.

للجهات القضائية الزجرية كامل الولاية لتقدير شرعية أي قرار إداري وقع التمسك به أمامها سواء باعتباره أساسا للمتابعة أو باعتباره وسيلة من وسائل الدفاع".⁴

إن المستخلص من هذه المادة، هو أن الدفع يكون تابعا للنزاع الأصلي، وأنه إذا أثير سؤال المشروعية أمام القاضي العادي، يتعين عليه، بعد تقدير جدية الدفع، أن يحيل السؤال على المحكمة الإدارية أو محكمة النقض بحسب اختصاص كل من هاتين الجهتين القضائيتين.⁵

أما إذا تم الدفع بعدم مشروعية قرار إداري أمام القاضي الجنائي، وكان هذا القرار هو أساس المتابعة الجنائية، فإنه يتولى بنفسه، عكس نظيره المدني، فحص شرعية القرار الإداري،⁶ وهو ما يجعل القاضي الجنائي يتمتع بالولاية العامة لفحص شرعية القرارات الإدارية، سواء كان التمسك بها كأساس للمتابعات، أو كوسيلة من وسائل الدفاع.⁷

¹ De Laubadère André, Le contrôle de la légalité des actes administratifs par les tribunaux judiciaires du Maroc, G.T.M, 1943, p 124.

² Fromont Michel, droit administratif des états européens, Presses universitaire de France, 2006, p 283.
³ Charafi Bouchra eddaouibi, la justice administrative et les recours contentieux au Maroc, thèse pour le doctorat national en droit, université HASSAN II Casablanca, faculté des sciences juridiques économiques et sociales Ain chock, année universitaire 2005/2006, p : 225

⁴ المادة 44 من القانون رقم 41.90 المتعلق بالمحاكم الإدارية، مرجع سابق
⁵ Benabdallah Mohammed Amine, Sur l'appréciation de la légalité des actes administratifs par les juridictions ordinaires, REMALD, Numéro 7-8, 1995, p 14.

⁶ بوعزاوي بوجعة، القضاء الإداري المغربي، مرجع سابق، ص 121

⁷ روسي ميشيل، المنازعات الإدارية بالمغرب، مرجع سابق، ص 109

إن تمكين القاضي الجنائي من سلطة فحص شرعية القرارات الإدارية المثارة أمامه عن طريق الدفع، يجد أساسه في حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، لأن القاضي الجنائي يبت في قضايا تنتج عنها عقوبات سالبة للحرية، وإحالة المسألة الأولية *la question prioritaire*¹ المطروحة عليه على محكمة أخرى، سيأخر البت في الدعوى الأصلية.

فبغرض تسريع البت في القضايا الجزرية، وتمكين المتهمين من محاكمة داخل أجل معقول، وحماية أمنهم القضائي، لأنه لا يتصور تحقق مخالفة معاقب عليها إذا كان القرار الإداري الذي تمت مخالفته غير مشروع كان من الطبيعي وضع استثناء على قواعد الاختصاص القضائي.²

لذا مكن المشرع المغربي القاضي الجنائي من اختصاص تقدير شرعية القرارات الإدارية التي تنبئ عليها الدعاوى المطروحة أمامه، تفاديا للبطء الذي ينتج عن إحالة المسألة الأولية على محكمة أخرى، وما لهذا البطء من انعكاسات على الحقوق والحرريات.

ثانيا: شروط دعوى الدفع بعدم المشروعية

تتأسس دعوى الدفع بعدم المشروعية، على مجموعة من الشروط الدقيقة والمحددة بنص المادة 44 من القانون رقمك 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية، وذلك بهدف تحقيق التوازن بين ضمان الأمن القانوني، وتوفير وسيلة للطعن ضد التجاوزات الإدارية.

إن دراسة المادة 44 من القانون المذكور، تبين أن دعوى الدفع بعدم المشروعية تتأسس على الشروط الأساسية التالية:

1. يجب ان يكون سؤال المشروعية يطبق على التراجع أو على المسطرة أو يشكل أساس المتابعات؛
2. ضرورة توافر عنصر الجدية في سؤال المشروعية؛
3. دعوى الدفع بعدم المشروعية هي دعوى عارضة؛
4. القاضي غير الجزري، ملزم بإحالة سؤال المشروعية على المحكمة الإدارية أو محكمة النقض، بحسب اختصاص كل منهما؛

5. القاضي الجزري، له سلطة تقدير شرعية القرارات الإدارية التي يقع التمسك بها أمامه سواء باعتباره أساسا للمتابعة أو باعتباره وسيلة من وسائل الدفاع.

أ. ضرورة ارتباط سؤال المشروعية بالتراجع:

إن الشرط الأساسي للدفع بعدم المشروعية، هو أن سؤال المشروعية المثار، يجب أن يطبق على التراجع، أو على المسطرة، أو أن يشكل أساس المتابعات، وهو ما يعني أن القرار الإداري المطعون فيه، يجب أن يكون له تأثير على حل التراجع القضائي.

¹ عرفت محكمة التنازع الفرنسية المسألة الأولية *la question prioritaire*، بأنها "تلك المسألة التي تثار بموجب وجه من أوجه الدفاع والتي يعود الاختصاص بها إلى جهة قضائية أخرى، والتي يعتبر حلها ضروريا لحل النزاع الأصلي". لذا تتم إحالة المسألة على القاضي المختص لبيت فيها أولا قبل البت في الدعوى الأصلية، نظرا لكون هذه الأخيرة يتوقف الحكم فيها على تلك المسألة.

² روسي ميشيل، المنازعات الإدارية بالمغرب، مرجع سابق، ص 106

يضمن هذا المعيار، ألا تتعامل المحكمة مع قضايا مجردة أو نظرية، بل مع مسألة قانونية حقيقية، لها تأثير مباشر على حقوق والتزامات أطراف المنازعة القضائية، على سبيل المثال، كأن يدفع أحد الأطراف خلال سريان الدعوى الأصلية، بأن قرار عمدة المدينة القاضي بإغلاق المحلات التجارية بعد الساعة الثامنة مساء غير مشروع، وفي هذه الحالة يقوم القاضي غير الزجري، بإحالة الدفع على القاضي الإداري لفحص مشروعته، قبل متابعة البت في الدعوى الأصلية.

ب. جدية مسألة المشروعية المثارة:

الشرط الثاني الذي وضعه القانون لقبول الدفع بعدم المشروعية، هو أن تتوفر في مسألة المشروعية عنصر الجدية، ويمكن أن يتخذ معيار الجدية أشكالاً مختلفة، كأن تظهر مخالفة القرار للقانون، أو لقواعد الاختصاص، أو غيرها من قواعد المشروعية. إن القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية، لم يحدد بدقة ما المقصود بالجدية، وبالتالي، فالعموض الذي يلف شرط الجدية، قد يؤدي إلى تأويلات مختلفة للمفهوم من طرف المحاكم، فما ستعتبره المحكمة (أ) دفعا جديا، قد ترى فيه المحكمة (ب) سؤالا غير مؤسس، الأمر الذي يقوض مبدأ الثقة المشروعة، واستقرار الأحكام والقرارات القضائية، وما في هذا من انعكاس سلبي على مبدأ الأمن القانوني والقضائي.¹

إن المادة 44، تركت للقاضي سلطة تقديرية واسعة في تقييم جدية الدفع، وذلك بتحديد العناصر المشكلة للجدية، بمعنى، أن القاضي العادي - وبالرغم من الخصوصية التي تتمتع بها المنازعات الإدارية- هو الذي يعود له القرار بإحالة سؤال المشروعية على القاضي المختص، أم اعتباره غير مؤثر على القضية، وبالتالي عدم الاعتداد بالدفع. إن القانون رقم 41.90 يكون بهذا قد أرسى نظاما للتصفية، يرمي إلى التحقق من توافر شرط الجدية، ويتم في أعقاب ذلك التصريح بقبول أو عدم قبول الدفع، وفي حال قبوله، يحال على المحكمة الإدارية أو محكمة النقض بحسب اختصاص كل منهما. وبالتالي، فإن تقدير الجدية الموكول للمحاكم القضائية، يحول المحاكم الزجرية وغير الزجرية، إلى مراقب للمشروعية، وهو ما يجعل فحص شرعية القرارات الإدارية غير متركزا في القضاء الإداري فقط، بالرغم من أن المادة 8 نصت بصراحة على أن فحص شرعية القرارات الإدارية من اختصاص المحاكم الإدارية.

ت. الدفع بعدم المشروعية هو دفع عارض

يتميز الدفع بعدم المشروعية بطبيعته العارضة، مما يعني أنه يمكن إثارته في أي وقت من الدعوى القضائية، طالما أن النزاع الأصلي لم يصدر بشأنه حكم حائز لقوة الشيء المقضي به. فالدفع بعدم المشروعية هو وسيلة يطرحها أطراف النزاع بعد انطلاق الدعوى القضائية للدفاع عن حقوقهم، وليست دعوى مستقلة، بمعنى أن صحتها تتطلب بالضرورة وجود نزاع قائم، وارتباط سؤال المشروعية بهذا النزاع.²

ث. القاضي غير الزجري ملزم بإحالة سؤال المشروعية على القاضي المختص:

¹ Yves Gaudemet, Traité de droit administratif, 23e éd., Paris, LGDJ, 2022.

² عبد المنعم عبد العظيم حيزرة، آثار حكم الإلغاء: دراسة مقارنة في القانون المصري والفرنسي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القانون المقارن، جامعة القاهرة، كلية الحقوق،

السنة الجامعية 1970/1971، ص 150

حدد القانون رقم 41.90، الاختصاص النوعي للمحاكم الإدارية،¹ والذي يشمل فحص المشروعية، حيث جاء في متن المادة 8 ما يلي: «...تختص المحاكم الإدارية أيضا بفحص شرعية القرارات الإدارية وفق الشروط المنصوص عليها في المادة 44 من هذا القانون».²

إن هذا التحديد للاختصاص الذي وضعه المشرع، يجعل القاضي غير الجزري غير مختص للبت في القضايا التي تدخل ضمن المجال الإداري، ويبقى ملزما بإحالة سؤال المشروعية على القاضي المختص، احتراماً لقواعد الاختصاص من وجه، ولطبيعة وخصوصية الدعوى الإدارية من وجه آخر.

إن هذا الاختيار الذي اعتمده المشرع، أي منع القاضي غير الجزري من تقدير مشروعية المسألة الأولية، تعرض لانتقادات من طرف جانب من الفقه الإداري،³ نظراً لما سيشكله هذا الاجراء من تأثير على الزمن القضائي.

لأن إيقاف البت في الدعوى، وإحالة سؤال المشروعية على المحكمة الإدارية أو محكمة النقض، فحص مشروعية السؤال من طرف القاضي الإداري، إحالة الجواب على المحكمة الأصلية، قبل استئناف البت في الدعوى، سيكون له تأثير مباشر على إطالة مدة المحاكمة.

لذا، ومن أجل حماية الزمن القضائي، أصدر المجلس الأعلى للسلطة القضائية⁴ قراراً، يتعلق بتحديد الآجال الاسترشادية للبت في القضايا،⁵ حيث حدد الأجل الاسترشادي بالنسبة لفحص مشروعية القرارات الإدارية على مستوى محاكم الاستئناف الإدارية في 10 أيام، وعلى مستوى المحاكم الإدارية في 30 يوماً.⁶

ج. تمكين القاضي الجزري من اختصاص فحص سؤال المشروعية:

¹ تختص المحاكم الإدارية، مع مراعاة أحكام المادتين 9 و 11 من هذا القانون، بالبت ابتدائياً في طلبات إلغاء قرارات السلطات الإدارية بسبب تجاوز السلطة وفي النزاعات المتعلقة بالعقود الإدارية ودعوى التعويض عن الأضرار التي تسببها أعمال ونشاطات أشخاص القانون العام، ماعدا الأضرار التي تسببها في الطريق العام مركبات أيا كان نوعها بملكها شخص من أشخاص القانون العام.

وتختص المحاكم الإدارية كذلك بالنظر في النزاعات الناشئة عن تطبيق النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالمعاشات ومنح الوفاة المستحقة للعاملين في مرافق الدولة والجماعات المحلية والمؤسسات العامة وموظفي إدارة مجلس النواب وموظفي إدارة مجلس المستشارين، وفي تطبيق النصوص المتعلقة بالانتخابات والضرائب ونزع الملكية لأجل المنفعة العامة والدعوى المتعلقة بتحصيل الديون المستحقة للخرينة العامة والنزاعات المتعلقة بالوضعية الفردية للموظفين والعاملين في مرافق الدولة والجماعات المحلية والمؤسسات العامة وموظفي إدارة مجلس النواب وموظفي مجلس المستشارين، وذلك كله وفق الشروط المنصوص عليها في هذا القانون.

وتختص المحاكم الإدارية أيضا بفحص شرعية القرارات الإدارية وفق الشروط المنصوص عليها في المادة 44 من هذا القانون.

² القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية، مرجع سابق.

³ Benabdallah Mohammed Amine, Sur l'appréciation de la légalité des actes administratifs par les juridictions ordinaires, op.cit., p 16.

⁴ ينص الفصل 113 من الدستور على أنه: يضع المجلس الأعلى للسلطة القضائية، بمبادرة منه، تقارير حول وضعية القضاء ومنظومة العدالة، ويصدر التوصيات الملائمة بشأنها. أنظر: ظهير شريف رقم 1-16-40 صادر في 14 من جمادى الآخرة 1437 (24 مارس 2016) بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 13-100 المتعلق بالمجلس الأعلى للسلطة القضائية، الجريدة الرسمية عدد 6456 بتاريخ 6 رجب 1437 (14 أبريل 2016)، ص.3143.

⁵ يمكن تعريف الآجال الاسترشادية بأنها المدة الزمنية التي يُنصح أن تلتزم بها المحاكم للبت في القضايا المعروضة أمامها، بهدف تسريع المحاكمة وتحقيق العدالة في وقت معقول، هذه الآجال لا يمكن أن تمس بالآجال المحددة بمقتضى القانون، كما أنها غالباً ما تكون غير ملزمة قانونياً، بل تُعتبر توجيهات لتشجيع المحاكم على تسريع وتيرة العمل وضمان عدم تأخير الفصل في القضايا لفترات طويلة، ووسيلة لتقييم نجاعة المؤسسات القضائية.

⁶ المجلس الأعلى للسلطة القضائية، قرار عدد 7/1244، بتاريخ 21 دجنبر 2023، بتحديد الآجال الاسترشادية للبت في القضايا.

<https://www.cspj.ma/uploads/files/mqimke33.pdf>

يتمتع القاضي الجزري، بسلطة تقدير شرعية القرارات الإدارية التي يقع التمسك بها أمامه سواء باعتبارها أساسا للمتابعة أو باعتبارها وسيلة من وسائل الدفاع، حيث أنه خلافا للقاضي المدني، يتوفر القاضي الجزري على صلاحية مباشرة لتقييم قانونية القرارات الإدارية المعروضة أمامه.

إن المشرع بتقديمه حماية الحقوق والحريات على تطبيق قواعد الاختصاص القضائي، يكون قد توجه نحو إقرار نوع من الحماية للمتقاضين، هذه الحماية التي ستتحقق بتمكينهم من محاكمة داخل أجل زمني معقول، وتفادي التأخر المفترض وقوعه بعد إحالة السؤال على محكمة أخرى، وانتظار الجواب، قبل متابعة البت في القضية الأصلية، لذا نظر جانب مهم من الفقه لمبدأ إجرائي يهدف إلى تسريع سير العدالة، حيث أن قاضي الدعوى هو أيضا قاضي الاستثناء¹.

المحور الثاني: دعوى الدفع بعدم المشروعية في القضاء الإداري المغربي

أولاً: تأويل القاضي الإداري لدعوى الدفع بعدم المشروعية

يوظف القاضي في عمله القضائي مجموعة من المناهج والتقنيات التأويلية لقراءة النصوص القانونية، كالمناهج النصي *textualisme*، الحرفي *littérale*، الغائي *téléologique*، البنوي *structuralisme*...² التي تساعد القاضي، على التعامل مع مقتضيات الغامضة، غير المكتملة، أو المتناقضة.

تنص المادة 44 من القانون رقم 41.90 على ما يلي: "إذا كان الحكم في قضية معروضة على محكمة عادية غير زجرية يتوقف على تقدير شرعية قرار إداري وكان النزاع في شرعية القرار جدياً، يجب على المحكمة المثار ذلك أمامها أن تؤجل في القضية وتحيل تقدير شرعية القرار الإداري محل النزاع إلى المحكمة الإدارية أو إلى محكمة النقض بحسب اختصاص كل من هاتين الجهتين القضائيتين كما هو محدد في المادتين 8 و9 أعلاه، ويترتب على الإحالة رفع المسألة العارضة بقوة القانون إلى الجهة القضائية المحال إليها البت فيها..."³.

إن توظيف المنهج الحرفي *La méthode littérale*، لقراءة هذه المادة، قد تدفع إلى الفهم التالي: "إذا كان فحص مشروعية قرار إداري شرطاً للحكم في قضية معروضة على محكمة إدارية، فإن هذه الأخيرة، لا يمكنها فحص مشروعية هذا القرار أو إحالته على محكمة النقض في حالة كان الأمر يتعلق بالقرارات التنظيمية والفردية الصادرة عن الوزير الأول، أو قرارات السلطات الإدارية التي يتعدى نطاق تنفيذها دائرة الاختصاص المحلي لمحكمة إدارية".

إن هذا هو الفهم الذي سينتج عن قراءة حرفية خالصة للمادة 44، لأن مقتضاها لم تنص صراحة على أنه، إذا كان الحكم في قضية معروضة على محكمة إدارية يتوقف على تقدير شرعية قرار إداري وكان النزاع في شرعية القرار جدياً، يجب على المحكمة تقدير شرعية القرار الإداري محل النزاع أو إحالته إلى محكمة النقض بحسب اختصاص كل من هاتين الجهتين القضائيتين.

¹ Bertrand Seiller, L'exception d'illégalité des actes administratifs, Droit, Université Panthéon-Assas Paris 2, 1995. Français. In : <https://univ-pantheon-assas.hal.science/tel-04044382/document>

² Yves Gaudemet, Les méthodes du juge administratif, LGDJ, 2013.

³ المادة 44 من القانون رقم 41.90 المتعلق بالمحاكم الإدارية، مرجع سابق

إن هذا هو الفهم الذي ستأخذ به محكمة الاستئناف الإدارية بمراكش، في حكمها الصادر بتاريخ 8 أكتوبر 2008، الوكالة المستقلة للنقل الحضري بأكادير ضد بكوري، حين قضت بعدم اختصاص المحكمة الإدارية بفحص مشروعيات القرارات الإدارية، كما تنص على ذلك في المادة 44 من القانون رقم 1.41.90¹.

وفي النقض، خالفت الغرفة الإدارية هذا المنطوق، حيث اعتبرت المحكمة العليا في حكمها الصادر بتاريخ 17 يونيو 2010، الوكالة المستقلة للنقل الحضري بأكادير ضد بكوري، أن المحاكم الإدارية لها اختصاص كامل لفحص مشروعيات القرارات الإدارية.²

إن محكمة الاستئناف الإدارية بمراكش، عرضت قرارها للنقض، باعتمادها المنهج الحرفي لقراءة المادة 44، دون الاستعانة بمنهج أخرى ستكون كفيلاً بتغيير منطوق القرار، كالمناهج النسقي، أي التعامل مع النص القانوني كوحدة متكاملة ترتبط فصولها مع بعض، وتكمل مقتضياتها بعضها البعض، وهو ما سيجعل القاضي يربط بين مقتضيات المادة 44 والفقرة الأخيرة من المادة 8 التي تنص على أنه "تختص المحاكم الإدارية أيضا بفحص شرعية القرارات الإدارية وفق الشروط المنصوص عليها في المادة 44 من هذا القانون"، ليستنتج أن المحاكم الإدارية مختصة بفحص مسألة المشروعية بمنطوق المادتين 8 و44 من القانون المحدث بموجبه محاكم إدارية.

إن هذا التوجه الذي اتخذته محكمة الاستئناف الإدارية بمراكش، كان قد خالف قرار سابق لمحكمة النقض صدر سنة 2003 بغرفتين، قضت من خلاله المحكمة العليا بشكل صريح، أن فحص شرعية القرارات الإدارية من الاختصاصات النوعية للقاضي الإداري: «... وحيث أنه من بين اختصاصات القاضي الإداري للبت في طلبات إلغاء قرارات السلطة الإدارية بسبب تجاوز السلطة، وكذا فحص شرعية القرارات الإدارية...»³.

وهو نفس التوجه الذي تواتر عليه الاجتهاد القضائي لمحكمة النقض بجميع غرفها، «... وحيث أنه ليس من صلاحيات محكمة التحفظ بمناسبة تبثها في التعرض، أن تعتمد إلى فحص شرعية القرار الإداري القاضي باسترجاع أملاك الأجانب، والمتخذ طبقاً لمقتضيات ظهير 2 مارس 1973، أو التعليق بمقتضياته، إذ أن ذلك يخرج عن ولايتها القضائية، ويدخل ضمن اختصاص القضاء الإداري...»⁴.

ثانياً: التطبيقات القضائية لدعوى الدفع بعدم المشروعية

¹ Michel Rousset, Mohammed Amine BENABDALLAH, contentieux administratif marocain, REMALD, Collection 1 manuels et travaux universitaires, numéro 144, 2022, p.166

Ibid.²

³ محكمة النقض، قرار بغرفتين، عدد 302، بتاريخ 2003/03/25، الملف الاجتماعي عدد 194/5/1/2002.

منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:

<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>

⁴ محكمة النقض، الغرفة المدنية، القرار عدد 2808، الصادر بتاريخ 14 يونيو 2011، في الملف المدني عدد 2010/1/1/3509.

منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:

<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>

كيف تعامل القاضي الإداري مع دعوى الدفع بعدم المشروعية؟ ماهي الشروط التي وضعها لفحص سؤال المشروعية؟ هل هي نفس الشروط المنصوص عليها في المادة 44 من القانون رقم 41.90، أم أنه اعتمد قراءة كلية للقانون المذكور، باحثاً عن غايته، الهادفة إلى حماية مبدأ المشروعية؟

إن فحص عمل القاضي الإداري في مجال الدفع بعدم المشروعية، يبين أنه يعتمد قراءة نصية لمنطوق المادة 44 من القانون رقم 41.90، بحيث أنه قبل البت في الموضوع، يراقب مدى احترام مقدم الطلب للقواعد التي وضعها المشرع، ومن ثم، يصرح بعدم قبول كل طعن غير مطابق لمقتضيات النص.

في حكم صادر عن المحكمة الإدارية بالرباط، يلاحظ أن القاضي لم ينتقل إلى مراقبة مشروعية قرار وزاري، عندما تبين له أن دعوى الدفع بعدم المشروعية مرفوعة أمامه بشكل مستقل، وهو ما يخالف المادة 44 من القانون 41.90 المحدث للمحاكم الإدارية. «... حيث يهدف الطلب إلى الحكم بفحص شرعية القرار الإداري المشترك رقم 82-578 الصادر بتاريخ 1982/4/16 القاضي باسترجاع العقار وإخضاعه لمقتضيات ظهير 2 مارس 1973 والتصريح بعدم شرعيته لاتسامه بالتجاوز في استعمال السلطة للمساس بالحقوق المكتسبة الناتجة عن القرار التصحيحي بإرجاع العقار لصاحبه مع ما يترتب عن ذلك من آثار قانونية، وحفظ حقوقهم الثابتة من أجل طلب التعويض عن الأضرار اللاحقة بهم من جرائه؛

لكن حيث أن البين من مقتضيات المادة 44 من القانون 41.90 المحدث للمحاكم الإدارية، والتي تحيل إليها المادة 8 منه المحددة لاختصاص المحاكم، أن طلب فحص الشرعية هو مجرد مسألة عارضة، تثار حينما يكون البت في القضية المعروضة على المحكمة العادية غير الزجرية متوقفاً على تقدير شرعية قرار إداري، وبالتالي لا تقبل الدعوى المستقلة بفحص شرعية القرار الإداري المرفوعة مباشرة أمام المحكمة الإدارية (يراجع في نفس الاتجاه، قرار محكمة النقض عدد 366 وتاريخ 2011/05/05 في الملف الإداري عدد 4/1/502، مجلة محكمة النقض عدد 75 ص 285) الغير المؤيدة بطلب التعويض، طالما أن طلب حفظ الحق فيه لا يقوم على أساس لأن المحكمة جهة فصل، وليست جهة حفظ، لأن الحقوق محفوظة بالقانون؛

وحيث الطعن يبقى نظراً لما سبق بيانه غير مؤسس ومآله عدم القبول».¹

وفي حكم آخر صادر عن نفس المحكمة الإدارية، أسس القاضي منطوقه على نفس البناءات التي جاءت في الحكم الأول، ليصرح بعدم قبول سؤال المشروعية لكونه رفع بشكل مستقل، وهو ما يجعل الطعن غير مؤسس.

«... حيث يهدف الطلب إلى الحكم بفحص شرعية القرار الإداري بالعزل الصادر عن المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر؛

وحيث دفعت المدعى عليها بعدم قبول الطلب أساساً لكون طلب فحص الشرعية لا يعتبر طلباً أصلياً، لكن حيث إن البين من مقتضيات المادة 44 من القانون 41.90 المحدث للمحاكم الإدارية، والتي تحيل إليها المادة 8 منه المحددة لاختصاص المحاكم أن طلب فحص الشرعية هو مجرد مسألة عارضة تثار حينما يكون البت في القضية المعروضة على المحكمة العادية غير الزجرية متوقفاً على

¹ حكم المحكمة الإدارية بالرباط رقم 3927، بتاريخ 25 أكتوبر 2012، في الملف عدد 2012/6/3، أورده: الهبي محمد، المرتكزات الدستورية الناطمة للعمل القضائي للمحكمة الإدارية بالرباط وفقاً لاجتهادات محكمة النقض، مكتبة الرشاد، سطات، الطبعة الأولى، 2014، ص 258-259.

تقدير شرعية قرار إداري، وبالتالي لا تقبل الدعوى المستقلة بفحص شرعية القرار الإداري المرفوعة مباشرة أمام المحكمة الإدارية، الغير المؤيدة بطلب التعويض؛

وحيث الطعن يبقى نظرا لما سبق بيانه غير مؤسس ومآله عدم القبول»¹.

إن هذا التوجه الذي اعتمده المحاكم الإدارية، هو نفسه المطبق على مستوى قضاء محكمة النقض، إذ تبين العديد من القرارات الصادرة عن الغرفة الإدارية بالمحكمة، أن القاضي لا يفحص مشروعية القرارات الإدارية المقدمة من طرف الطاعنين بشكل مستقل، وإنما يشترط أن يكون الدفع في شكل مسألة عارضة، يثار حينما يكون البت في المنازعة الأصلية لازال جاريا.

في قرار للغرفة الإدارية بمحكمة النقض صادر بتاريخ 05 ماي 2011، حرر القاضي البناءات التالية، مؤسسا لمنطوق مفاده عدم قبول الطعن لمخالفته المادة 44 من القانون رقم 41.90:

«...بالرجوع إلى مقتضيات المادة 44 من القانون 90/41 المحدث للمحاكم الإدارية والتي تحيل إليها المادة 8 منه المحددة لاختصاص هذه المحاكم، يستفاد أن فحص الشرعية هو مجرد مسألة عارضة تثار حينما يكون البت في القضية المعروضة على المحكمة العادية غير الزجرية متوقفا على تقدير شرعية قرار إداري، وبالتالي لا تقبل الدعوى المستقلة بفحص شرعية القرار الإداري المرفوعة مباشرة أمام المحكمة الإدارية المغربية؛

وحيث إنه يؤخذ من وثائق الملف أن الطالبين السيدة نصيرة المنوزي والسيد كريم المنوزي وبواسطة مقال قدم بتاريخ 27/4/2010، التمس فيه وفي إطار المادتين 9 و44 من القانون رقم 41.90 المحدث للمحاكم الإدارية، فحص شرعية المرسوم رقم 2-08-438 الصادر عن الوزير الأول بتاريخ 7/10/2008 والمنشور بالجريدة الرسمية عدد 5676 بتاريخ 23/10/2008 والقاضي بتحديد الملك العام البحري للشريط الساحلي التابع لإقليم العرائش؛

وحيث يؤخذ من فحوى النصوص المشار إليها أعلاه، أن فحص شرعية القرارات الإدارية هي مسألة عارضة يتوقف البت فيها على تقدير شرعية القرار الإداري، وبذلك فإنها ليست دعوى مستقلة بذاتها يمكن التوجه إلى القضاء مباشرة بشأنها، حسب مضمون المادتين 8 و44 من القانون المحدث للمحاكم الإدارية، مما يكون معه الطلب الرامي إلى فحص الشرعية والمقدم أمام المجلس الأعلى في إطار المادة 44 المذكورة، غير مقبول لمخالفته المقتضيات الآمرة المشار إليها أعلاه»².

وفي قرار صادر عن نفس الغرفة بمحكمة النقض، بتاريخ 21 ماي 2015، سارت المحكمة العليا على نفس منوال اجتهادها السابقة، وحررت منطوقا يمكن تلخيص مضمونه في الحثية التالية: «... لكن، حيث لما كانت دعوى فحص شرعية القرارات الإدارية حسب مقتضيات المادة 44 من القانون 90-41 المحدث للمحاكم الإدارية والتي تحيل عليها المادة 8 منه المحددة لاختصاص هذه المحاكم، مسألة عارضة تثار حينما يكون البت في القضية المعروضة على المحكمة العادية غير الزجرية متوقفا على تقدير شرعية قرار إداري، فإن محكمة الاستئناف لما اعتبرت بناء على هذا المبدأ، بأنه لا يجوز تقديم دعوى مستقلة بفحص شرعية قرار

¹ حكم المحكمة الإدارية بالرباط رقم 287، بتاريخ 31 يناير 2013، في الملف عدد 2012/6/4، أورده: الهبي محمد، المراكز الدستورية الناعمة للعمل القضائي للمحكمة الإدارية بالرباط وفقا لاجتهادات محكمة النقض، مرجع سابق، ص 256-257.

² محكمة النقض، الغرفة الإدارية، القرار عدد 366 الصادر بتاريخ 5 ماي 2011 في الملف الإداري عدد 502/4/1/2010، منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:

إداري مباشرة أمام المحكمة الإدارية مؤيدة بذلك الحكم المستأنف القاضي بعدم قبول الطلب، تكون قد بنت قرارها على أساس قانوني سليم وعللته تعليلا سائغا وما بالوسيلتين غير حدير بالاعتبار...¹.

إن الملاحظ من خلال دراسة تطبيقية لعمل القضاء الإداري المغربي في مجال الدفع بعدم المشروعية، هو قلة لجوء الأطراف إلى هذه الآلية القضائية، وهذا ما يعكسه العديد من الهزبل للأحكام والقرارات القضائية الصادرة في هذا المجال، كما أن الطعن بعدم المشروعية غالبا ما يقدم بشكل مستقل، وليس على شكل مسألة عارضة، وهو ما يعرضه لعدم القبول.

يرتبط ضعف اللجوء إلى الدفع بعدم المشروعية بقلة وعي الدفاع، والمتقاضين بمدى فعالية هذه الآلية القضائية، وأهميتها في حماية حقوق الأفراد وترسيخ سيادة القانون، فالكثير من الأطراف قد لا يكون لديهم العلم الكافي بوجود هذه الآلية، أو كيفية استخدامها بالشكل الصحيح في منازعاتهم القضائية، ويعود ذلك جزئيا، إلى ضعف التكوين في مجال المنازعات الإدارية.

إن عدم الإلمام بمسطرة تقديم دعوى الدفع بعدم المشروعية، يجعل الدفاع يقدم الطعن بشكل مستقل وليس كمسألة عارضة، وهو ما يجعل الطعن مخالف للقانون وغير مبني على أساس، لأن الدفع بعدم المشروعية يُفترض أن يُثار أثناء النظر في دعوى قضائية رئيسية، وليس كطعن مستقل بذاته.

وبالتالي، من شأن تعزيز التوعية القانونية بشأن الدفع بعدم المشروعية في أوساط المحامين والمواطنين، وتبسيط المساطر والقواعد القانونية المرتبطة بفحص شرعية القرارات الإدارية، من شأنه أن يعالج هذه الإشكالية، التي تنعكس سلبا على تطوير الاجتهاد القضائي في هذا المجال، حيث يظل نطاق تطبيق الدفع بعدم المشروعية محدودا وغير مدروس بشكل كاف.

خاتمة:

إن دعوى الدفع بعدم المشروعية باعتبارها مسألة عارضة، تثار في سياق قضية جارية عند القضاء، تشكل وسيلة فعالة لاستبعاد القرارات غير المشروعة من تطبيقها في المحاكمة، وهو ما يشكل ترسيخا لدولة القانون، وتوطيدا لمبدأ القانونية.

فوجود دعوى الدفع بعدم المشروعية، إلى جانب دعوى الإلغاء، ودعوى التعويض، يعزز من الاختصاص المخول للقاضي الإداري في حماية حقوق وحرريات الأفراد في مواجهة الإدارة، وفي توطيد مبدأ سيادة القانون، عبر إلغاء القرارات غير المشروعة، التعويض عن المسؤولية الإدارية، وعدم تطبيق القرارات المتسمة بعيب المشروعية في المنازعات الإدارية.

إن دراسة عمل القضاء الإداري المغربي في مجال الدفع بعدم المشروعية، تبين أن القاضي يعتمد نفس الشروط التي وضعتها المادة 44 من القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية، أي أن يكون طلب فحص المشروعية غير مستقل، وإنما أن يثار حينما يكون البت جاريا في قضية معروضة على المحاكم العادية غير الزجرية، حيث يقوم القاضي الإداري بفحص شرعية المسألة، قبل إحالتها من جديد على المحكمة الأصل.

<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>

¹ محكمة النقض، الغرفة الإدارية، القرار عدد 950 الصادر بتاريخ 21 ماي 2015 في الملف الإداري عدد 951/4/1/2014، منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:

<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>

إن القاضي الإداري، ومن خلال فحصه لمشروعية القرارات الإدارية، ليست له سلطة مطلقة في إلغاء جميع القرارات غير المشروعة، أي تلك المخالفة للدستور، لأن المادة 50 من القانون رقم 41.90 لم تخصص المحاكم القضائية بمراقبة دستورية القوانين، حيث نصت على ما يلي: "لا يجوز للجهات القضائية أن تبت في دستورية القوانين".

يجد هذا الاستثناء، الذي وضعه المشرع على مراقبة القاضي الإداري لمشروعية القرارات الإدارية، سنده في الفصل 133 من دستور 2011، الذي جعل المحكمة الدستورية هي المختصة بفحص الدفع بعدم الدستورية، حيث ينص الفصل المذكور على أنه "تختص المحكمة الدستورية بالنظر في كل دفع متعلق بعدم دستورية قانون، أثير أثناء النظر في قضية، وذلك إذا دفع أحد الأطراف بأن القانون، الذي سيطبق في النزاع، يمس بالحقوق وبالحرريات التي يضمنها الدستور".

وبالتالي، فعندما يدافع أحد الأطراف بعدم مشروعية قرار إداري لأنه يخالف الدستور، ولكنه في المقابل اتخذ على أساس قانون معين، لا يمكن للقاضي الإداري التصريح بعدم مشروعية القرار الإداري بالرغم من أنه مخالف لأسمى قانون في الدولة، لأن القانون يوجد بمثابة حاجب بين القاضي والدستور، وهو ما يعرف بنظرية القانون الحاجب *la loi-écran*¹.

يعد قرار مجلس الدولة الصادر في 6 نونبر 1936، قضية أريغي *Arrighi*، تكريسا قضائيا لنظرية القانون الحاجب *la loi-écran*، أو الحجاب التشريعي *l'écran législatif*، التي تتمثل في أن القاضي الإداري بما أن اختصاصه لا يشمل مراقبة دستورية القوانين، فإنه بالتالي، لا يمكنه مراقبة قرار فردي أو قرار تنظيمي مخالف للدستور، لكن إصداره تم بناء على قانون.

«...وحيث أن الأطراف يدفعون بأن المادة 36 من قانون 28 فبراير 1934، الذي صدر بناء عليه مرسوم 4 أبريل

ومرسوم 10 ماي 1934، قد يكون مخالفا للدستور؛

لكن، حيث أن القانون العام الفرنسي الحالي لا يسمح بمناقشة هذا الدفع أمام مجلس الدولة الذي يبت في المنازعات...².
إن تأخر إصدار القانون التنظيمي المتعلق بالدفع بعدم الدستورية للقوانين، بالرغم من مرور أزيد من 13 سنة على نفاذ دستور 2011، يشكل تهديدا لسمو الدستور، وإضعافا لدولة القانون، لأن القاضي الدستوري لا يمكنه مباشرة اختصاصه المتمثل في فحص المسألة الدستورية ذات الأولية، إلى حين صدور القانون التنظيمي المتعلق بتحديد شروط وإجراءات الدفع بعدم دستورية قانون،³ كما أن الجهات القضائية، بمقتضى المادة 50 من القانون رقم 41.90، غير مخول لها البت في دستورية القوانين.

¹ Thierry-Xavier Girardot, *Le retour de la loi écran devant le juge des référés*, Actualité juridique. Edition droit administratif, ISSN 0001-7728, N° 34, 2006, p. 1875-1880.

CE 6 nov. 1936, Arrighi, In: https://fiches.dalloz-2.etudiant.fr/fileadmin/contentu_fiches/Introduction/La_hierarchie_des_normes/arrighi.pdf

³ «...حيث إن الفصل 133 من الدستور، ينص على أنه "تختص المحكمة الدستورية بالنظر في كل دفع متعلق بعدم دستورية قانون، أثير أثناء النظر في قضية، وذلك إذا دفع أحد الأطراف بأن القانون، الذي سيطبق في النزاع، يمس بالحقوق وبالحرريات التي يضمنها الدستور.

يجد قانون تنظيمي شروط وإجراءات تطبيق هذا الفصل»؛

وحيث إنه، إذا كانت الفقرة الأولى من الفصل المشار إليه حولت للمحكمة الدستورية اختصاص البت في كل دفع متعلق بعدم دستورية قانون، فإن الفقرة الثانية منه تجعل ممارسة هذا الاختصاص متوقفا على صدور قانون تنظيمي يحدد شروط وإجراءات الدفع؛

وحيث إن ارتباط الفقرتين الواردتين في الفصل 133 المذكور، وعلى عكس ما يدعيه الطاعن، أكدته المادة 28 من القانون التنظيمي المتعلق بالمحكمة الدستورية، التي جعلت مجال نظر المحكمة المذكورة في كل دفع بعدم دستورية قانون، مرتبطا بصدور قانون تنظيمي يحدد شروطه وإجراءاته؛

وحيث إن القانون التنظيمي المتعلق بالدفع بعدم دستورية قانون لم يصدر بعد؛

الأمر الذي يجعل النظام القانوني المغربي، يتضمن العديد من القوانين المخالفة للدستور، والتي يمكن بناء عليها، إصدار قرارات إدارية لا يمكن للقاضي الإداري، إذا التزم بمنطوق المادة 50، أن يصرح بعدم مشروعيتها، لأنها وإن كانت لا تحترم الدستور، فإنها في المقابل صدرت على أساس نص قانوني.

المراجع:

1. كتب ومؤلفات:

- Vedel Georges, Droit administratif, Presses Universitaires de France (PUF), 1958 ;
- Montesquieu, De l'esprit des lois, Livre XI, chapitre 6 ;
- Julien Dellaux, Le principe de sécurité juridique en droit constitutionnel : signes et espoirs d'une consolidation de l'ordre juridique interne et de l'État de droit, Revue française de Droit constitutionnel, 119119, 2019 ;
- Pauline Estanguet, La convergence des jurisprudences du Conseil constitutionnel et du Conseil d'État dans le traitement des moyens soulevés par voie d'exception, Revue française de Droit constitutionnel, 119119, 2019 ;
- Louis Favoreu et al., Droit constitutionnel, Dalloz, 21e édition, 2019 ;
- Benabdallah Mohammed Amine, Des effets juridique de l'acte administratif et sa contestation par la voie de l'exception d'égalité : Le cas du décret du 08/04/2011, REMALD, Numéro 134, 2020 ;
- Charafi Bouchra eddaouibi, La justice administrative et les recours contentieux au Maroc, Thèse pour le doctorat national en droit, Université Hassan II Casablanca, Faculté des sciences juridiques, économiques et sociales Ain Chock, Année universitaire 2005/2006 ;
- Chiriac Lucian, L'exception d'illégalité dans le droit comparé, in: http://revcurentjur.ro/old/arhiva/attachments_200901/recjurid091_5A.pdf.
- De Laubadère André, Le contrôle de la légalité des actes administratifs par les tribunaux judiciaires du Maroc, G.T.M, 1943 ;
- Fromont Michel, Droit administratif des états européens, Presses Universitaires de France, 2006 ;

وحيث إنه، تبعا لذلك، يتعدى على الحال، الاستجابة للطلب الرامي إلى فحص دستورية المادة 265 من قانون المسطرة الجنائية... » . المحكمة الدستورية، ملف عدد: 18/029، قرار رقم: 18/ 80، بتاريخ 12 يونيو 2018.

<https://www.cour-constitutionnelle.ma/Decision?id=1944&Page=Decision#:~:text=%D8%AD%D9%8A%D8%AB%20%D8%A5%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D9%84%20133%20%D9%85%D9%86.%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%82%D9%88%D9%82%20%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%20%D9%8A%D8%B6%D9%85%D9%86%D9%87%D8%A7%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1>

- Gohin Olivier et Poulet Florian, Contentieux Administratif, LexisNexis, Paris, 10e édition ;
- Léon Duguit, Traité de droit constitutionnel, Tome 2, 1921 ;
- Rousset Michel, Mohammed Amine Benabdallah, Contentieux administratif marocain, REMALD, Collection manuels et travaux universitaires, numéro 144, 2022 ;
- Vedel Georges, Droit administratif, Tome second, Presses Universitaires de France, Paris, première édition, 1959 ;

2. نصوص قانونية:

- ظهير شريف رقم 91-11-1 صادر في 27 من شعبان 1432 (29 يوليو 2011) بتنفيذ نص الدستور، الجريدة الرسمية، عدد 5964 مكرر، بتاريخ 30 يوليوز 2011؛
- القانون رقم 41.90 المحدث بموجبه محاكم إدارية، الجريدة الرسمية، عدد 4227، بتاريخ 18 جمادى الأولى 1414 (03 نونبر 1993)، ص. 2168.

3. أحكام وقرارات قضائية:

- المحكمة الدستورية، ملف عدد: 18/029، قرار رقم: 80/ 18، بتاريخ 12 يونيو 2018.
<https://www.cour-constitutionnelle.ma/Decision?id=1944&Page=Decision#:~:text>
- المحكمة الدستورية، ملف عدد: 18/024 ، قرار رقم : 18/70 م.د، بتاريخ 06/03/2018.
<https://www.cour-constitutionnelle.ma/Decision?id=1113&Page=Decision>
- محكمة النقض، الغرفة الإدارية، القرار عدد 366 الصادر بتاريخ 5 ماي 2011 في الملف الإداري عدد 502/4/1/2010، منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:
<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>
- محكمة النقض، الغرفة الإدارية، القرار عدد 950 الصادر بتاريخ 21 ماي 2015 في الملف الإداري عدد 951/4/1/2014، منشور على المنصة الرقمية لقرارات محكمة النقض:
<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>
- محكمة النقض، قرار بغرفتين، عدد 302، بتاريخ 25/03/2003، الملف الاجتماعي عدد 194/5/1/2002.
<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>
- محكمة النقض، الغرفة المدنية، القرار عدد 2808 ، الصادر بتاريخ 14 يونيو 2011 ، في الملف المدني عدد 2010/1/1/3509.
<https://juriscassation.cspj.ma/Decisions/RechercheDecisions>

- حكم المحكمة الإدارية بالرباط رقم 3927، بتاريخ 25 أكتوبر 2012، في الملف عدد 2012/6/3، أورده: الهيني محمد، المرتكزات الدستورية الناظمة للعمل القضائي للمحكمة الإدارية بالرباط وفقا لاجتهادات محكمة النقض، مكتبة الرشاد، سطات، الطبعة الأولى، 2014، ص 258-259.
- حكم المحكمة الإدارية بالرباط رقم 287، بتاريخ 31 يناير 2013، في الملف عدد 2012/6/4، أورده: الهيني محمد، المرتكزات الدستورية الناظمة للعمل القضائي للمحكمة الإدارية بالرباط وفقا لاجتهادات محكمة النقض، مرجع سابق، ص 256-257.

-Conseil d'État, Assemblée, 18/05/2018, 414583, In :
<https://www.legifrance.gouv.fr/ceta/id/CETATEXT000036927163>

دلالات الحروب الأهلية في البلدان الإفريقية في ضوء الآليات القانونية الدولية (دراسة تحليلية)

د. علي أحمد شنيب / كلية الاقتصاد والتجارة، قسم العلوم السياسية، الجامعة الأسمرية، ليبيا

المستخلص:

تعتبر الحروب الأهلية إحدى الظواهر التي تحولت إلى واقع في كثير من دول القارة الأفريقية خلال فترة الاستعمار أو حتى بعد استقلالها. وبالتالي فإن قضية الحروب الأهلية تعتبر ظاهرة ثم تحولت إلى حقيقة ، بل هي شكل من أشكال الصراع المجتمعي في كثير من المجتمعات الأفريقية بين مجموعات متصارعة و متنافسة على أسس قبلية أو عرقية أو أيديولوجية من أجل الحصول على بعض المكاسب الخاصة. وعليه فإن موضوع الحروب الأهلية في حد ذاتها هي من حيث المبدأ ظاهرة ومن ثم تحولت إلى واقع حال ، بل شكل من أشكال الصراع المجتمعي الداخلي والخارجي في كثيرا من المجتمعات الإفريقية بين الجماعات المتصارعة و المتنافسة على أسس قبلية أو جماعات اثنية وابدلوجية من أجل الحصول على بعض المكاسب . فالحرب من خلال ذلك هي ظاهرة العنف الجماعي المنظم التي تؤثر إما على العلاقات بين مجتمعين أو أكثر أو تؤثر على علاقات القوة داخل المجتمع وتخضع هذه الحرب لقانون التراع المسلح، الذي يُدعى أيضاً بـ"القانون الدولي الإنساني" .

الكلمات المفتاحية : دلالات ، الحرب، الأهلية ، أفريقيا، الآليات ، القانون الدولي.

Abstract:

The phenomenon of civil wars is one of the phenomena that became a reality in many countries of the African continent during the colonial period or even after their independence. Therefore, the issue of civil wars is considered a phenomenon and then turned into a reality. Rather, it is a form of societal conflict in many African societies between conflicting and competing groups on tribal, ethnic, or ideological grounds in order to obtain some private gains. Accordingly, the issue of civil wars in themselves is, in principle, a phenomenon and then turned into a current reality, but rather a form of internal and external societal conflict in many African societies between conflicting and competing groups on tribal or ethnic and ideological grounds in order to obtain some Gains. Through this, war is a phenomenon of organized collective violence that either affects relations between two or more societies or affects power relations within society. This war is subject to the law of armed conflict, which is also called "international humanitarian law."

Keywords: phenomenon, war, civil, Africa, international law.

أولاً : المقدمة

من الواضح أن الصفة الغالبة على القارة الأفريقية خلال العقود الأخيرة هي ابتلاؤها بالحروب والصراعات الأهلية مع ما يرافق هذه الصراعات من مجازر ومآسٍ وتهجير؛ وأن نتحدث عن الحروب الأهلية في أفريقيا فهذا يعني أننا نتحدث عن كبة متشابكة الخيوط شديدة التعقيد في خلفياتها واسبابها ونتائجها؛ فهل هو قدر أفريقيا؛ أم إن المتغيرات التي حدثت في هذه القارة كانت هي السبب؟

الإجابة هنا بالضرورة تعيدنا إلى استعراض تاريخ هذه الحروب الأهلية في أفريقيا وسنجد أن بداياتها كانت بعد الحرب العالمية الثانية عندما قامت الحركات التحررية بحروبها ضد القوى الاستعمارية؛ ولم تكن تلك الحروب الموجهة ضد الاستعمار مكلفة، واتصفت بضيق نطاقها ومحدوديته؛ ولكنها سرعان ما تحولت إلى حروب أفريقية- أفريقية؛ أي بين الدول الأفريقية ، مثل الحرب بين الصومال وأثيوبيا التي امتدت من بداية عام 1977 وحتى نهاية عام 1978؛ والحرب التانزانية الأوغندية من عام 1978 حتى عام 1979؛ وتخلل فهذه الحروب بين البلدان الأفريقية حروب وصراعات أهلية ترسخت وتكرست بعد انتهاء الحرب الباردة؛ لتصبح الحروب الأهلية صفة مميزة للقارة السوداء، وخاصة منذ بداية تسعينات القرن الماضي إذ انفجرت سلسلة من الحروب الأهلية الطاحنة، فضلاً عن حالات التطهير العرقي والمذابح الجماعية، وتنوعت هذه الصراعات ما بين صراعات شكلت استمراراً لحالات سابقة (السودان- موزمبيق)، أو استثنافاً لها في شكل جولات جديدة أكثر حدة (بوروندي- أنجولا)، فيما ظهرت حالات جديدة لم يكن لها وجود سابق مثل (ليبيريا والصومال). وبشكل عام ، ووفقاً لتقارير الأمم المتحدة فإن 14 دولة من أصل 53 دولة أفريقية عانت من الحروب الأهلية خلال عام 1996.

إضافة إلى أن هناك اهتمام القانون الدولي بهذه الحروب ، ومن ثم لم يتلور في شكل نظام قانوني دولي متكامل من اللحظة الأولى لظهوره ، بل شهد ولا يزال يشهد عدة مراحل مر بها ظهور وتطور هذا النظام ومما يذكر جملة وتفصيلاً أن العالم اليوم يتميز بضخامة عدد الإثنيات فيه لكن ذلك لا يسبب التوترات المتكررة والمستمرة إلا في البلدان الأفريقية التي أصبحت ترادف في أحيان كثيرة مصطلح العنف والحرب الأهلية. ولذا فإن هذه الدراسة تأتي هنا كمحاولة لإيجاد الخطوات الكفيلة للوصول إلى قارة آمنة ومستقرة من خلال إدماج البلدان الأفريقية في المنظومة العالمية.

ثانياً: مشكلة الدراسة

تكمن الإشكالية العامة لموضوع الدراسة على هذه التساؤلات وهي كالاتي ماهي الدلالات الرئيسية التي حالت دون تحقيق الاستقرار في البلدان الإفريقية والتقليل من تزايد حدة الحروب الأهلية في معظم دولها؟ وإلى أي مدى تدخل آليات القانون الدولي في ضبط وتنظيم أوضاع الحروب والتزاعات المسلحة الأهلية في هذه البلدان ؟ كيف يجد المتنازعون في الحروب الأهلية" الحركات المتمردة، والجماعات العرقية، وزعماء الدول" الأمن في ظل الأوضاع الفوضوية في بلدانهم الأفريقية؟ لماذا تسعى بعض الحركات المتمردة إلى تحقيق أجنحة انفصالية بينما تسعى أخرى إلى الإطاحة بالحكومة القائمة؟

ثالثاً : فرضية الدراسة

تسعى الدراسة هنا لاختبار الفرضيات التالية

- الأول هو الكراهية العرقية والدينية الفطرية، حيث يتم استغلال هذه الكراهية القادة الطموحون؛
- والثاني هو المظالم التوزيعية، حيث يُنظر إلى أداء الحكومة على أنه يميز بشكل خاص ضد مجموعة معينة من المجموعات الأخرى في المجتمع

ومن هنا تشكل العوامل والأسباب المؤثرة في الحروب الأهلية على البلدان الأفريقية منذ حصولها على استقلالها وحتى الآن حيث تتوزع هذه الأسباب بين عدة مستويات محلية، وإقليمية ودولية ووجود علاقة بين السبب و العامل الخارجي وطبيعة الحروب الأهلية في البلدان الأفريقية .

رابعاً : أهداف الدراسة

يكمن هدف الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف وهي كالتالي :

- 1- كشف وتوضيح مفهوم ودلالات الحروب الأهلية المعاصرة ، وكيف تم ظهورها ونشأتها.
- 2_ الوقوف على سلسلة التفاعلات والحروب المسلحة في بعض البلدان الأفريقية.
- 3 - معرفة الحالة الأفريقية، وذلك بالنظر في فهم الأسباب التي تواجه الحروب الأهلية في البلدان الأفريقية وفق القانون الدولي من خلال مبادئ القانون الدولي العام و"الإنساني" التي تحكم الحروب والتفاعلات المسلحة غير الدولية.

خامساً: أهمية الدراسة

المساهمة في إيضاح الغموض، والذي يكتنف المنظومة القانونية المعنية بالحروب الأهلية، والتي دائما ما يثار الشكوك حول محتوياتها؛ لأن هذه المحتويات قد تكونت عبر عدة مصادر متنوعة ، ولم تكن هنا حكراً على المصدر التعاهدي فقط، حيث لعب العرف وأحكام المحاكم الدولية دوراً بارزاً في تكوين العديد من الأحكام التي تحتويها تلك المنظومة القانونية.

سادساً: منهجية الدراسة

- من خلال طبيعة موضوع الدراسة و التي تفرض إتباع المناهج التي ينبغي اعتمادها ومن هذه المناهج تمثلت في الآتي:
- 1- المنهج القانوني :يركز بالأساس على العوامل والاعتبارات القانونية التي تحيط بعلاقات الدول ببعضها، فالالتزامات التي تنشأ عن تعاقد الدول مع بعضها بموجب معاهدات أو اتفاقيات أو موانيق دولية محددة تؤمن بها مصالحها المشتركة، أو تحديد عنصر المسؤولية عن التصرفات التي تلجأ إليها الدول وتمثل حرقاً بالتزاماتها.
 - 2- منهج دراسة الحالة :وذلك من خلال توضيح على بعض النماذج من البلدان التي تشهد حروب أهلية باستمرار ودراسة الأسباب والعوامل المؤدية إلى هذه الدمومة.
 - 3- المنهج الوصفي التحليلي :تقتضي الدراسة من وصف لأسباب الحروب الأهلية وآليات انتشارها وغيرها من هذه الظواهر تستدعي هنا الوصف والتحليل في ذلك.

سابعاً: هيكلية الدراسة

تم تقسيم هيكلية الدراسة إلى ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول : ماهية الحروب الأهلية وأشكالها

المحور الثاني : الأسباب الأساسية في الحروب الأهلية في البلدان الأفريقية

المحور الثالث : الآليات القانونية الدولية الملزمة للدول التي تشهد على إقليمها نزاع مسلح غير دولي

المحور الأول : ماهية الحروب الأهلية وأشكالها

تعد ظاهرة الحروب الأهلية من أبرز الظواهر في البلدان الأفريقية إذ أن أغلب أقاليم القارة الإفريقية قد عانت من هذه الظاهرة وكان لها الأثر العميق على الحياة السياسية بل إنما على كافة مناحي الحياة في القارة الأفريقية، وسوف يتم تناول في هذا المحور على النحو التالي :

أولاً: مفهوم الحروب الأهلية : تعتبر الحروب والنزاعات الأهلية من نتائج محاولات الاستيلاء أو الحفاظ على السلطة ورموز الشرعية من خلال أدوات غير قانونية وهي أهلية لأن المدنيين يشاركون فيها، بالرغم من أن الحرب الأهلية تقع بين جماعات المجتمع فأما تحدث داخل جماعة واحدة يرغب البعض منها في بلورة هوية إثنية أو سياسية. لذا يعرف البعض الحروب الأهلية تعريفاً إجرائياً بأنها تعتبر شكلاً من أشكال الصراع الداخلي في المجتمع تقوم به جماعه أو جماعات على أسس إثنية أو أيديولوجية من أجل تغير بعض السياسات الحكومية أو الاطاحة بنظام الحكم أو الحصول على الحكم الذاتي لمنطقة معينة أو الانفصال عن الدولة، ويشمل أعمال العنف المسلح والمنظم الواسع النطاق من جانب الأطراف المشاركة ويتم تنفيذ العنف إنطلاقاً من مناطق معينة تمثل قاعدة عسكرية محددة لها¹. ومن خلال هذا التعريف يمكن إبراز تصنيفات الحروب الأهلية في القارة الإفريقية في إطار أربعة أنواع من الحروب الأهلية، وهي:

1_ حرب إثنية انفصالية:

وهي الحروب الأهلية التي تتميز بالاستقطاب الإثني الحاد في المجتمع، وتنقسم خلالها الجماعات السكانية على أسس إثنية، بحيث يكون الهدف الرئيسي لجماعات المعارضة هو الانفصال عن الدولة الأم، وتكوين دولة جديدة، ومن الممكن إدراج ثلاثة حروب أهلية أفريقية في هذا النوع، وهي الحرب الأهلية النيجيرية محاولة انفصال إقليم "بيافرا"، ومحاولة انفصال شمال الصومال في إطار ما يعرف بجمهورية أرض الصومال، والحرب الأهلية في السودان ما بين الشمال والجنوب.

2- حرب إثنية غير انفصالية:

وهي الحروب الأهلية التي تنشأ على أسس إثنية، ولكنها لا تنطوي على مطالب أو نزاعات انفصالية من جانب أي من الأطراف ويكون الهدف الرئيسي من هذه الحروب هو الصراع على السلطة وتدرج أغلب الحروب الأهلية الإفريقية في إطار هذا النوع، حيث تدخل الحروب الأهلية في كل من (أنجولا- اوغندا-الصومال- ليبيريا - أثيوبيا - رواندا - بورندي - تشاد).

3_ حرب انفصالية غير إثنية:

إن هذه الحروب الأهلية يكون الهدف منها متمثلاً في الانفصال عن الدولة، ولكن من دون أن تكون مرتكزة بالضرورة على أسس إثنية، وربما يقف وراء هذه الحروب فصيل منشق عن القوات المسلحة للدولة المعنية وقليلة جداً هذه النوعية من الحروب الأهلية، وربما كان من الممكن إدراج الحرب الأهلية في (زائير) محاولة انفصال إقليم (كاتنجا شابا).

4_ حرب غير إثنية وغير انفصالية :

¹ أحمد إبراهيم محمود، الحروب الأهلية في إفريقيا، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2001، ص25.

وهي الحروب الأهلية التي لا تكون فيها خريطة التحالفات الأثنية واضحة، ويكون أساس عمليات التعبئة والحشد وبناء التحالفات في هذه الحروب هو الاعتبارات السياسية، وتقع هذه النوعية من الحروب الأهلية في الدول التي تتسم بتعددية ملحوظة في الجماعات القومية، أو القبلية، أو الدينية فيها، بحيث لا تستطيع كل جماعة إثنية أن تمثل فصيلاً مستقلاً في الحرب الأهلية، وربما كان من الممكن إدراج الحرب الأهلية في كل من (موزمبيق - الكونغو - زائير - سيراليون) في هذا النوع .

ثانياً : أشكال الحروب الأهلية

بالرغم من تعقد وتشابك واقع النزاعات الإفريقية فإنها يمكن القول إجمالاً أنه يوجد ثلاثة أشكال من هذه النزاعات وذلك على النحو التالي: ¹

1 - النزاعات الإثنية العنيفة:

ولعل (منطقة البحيرات العظمى) تطرح نموذجاً واضحاً لهذا الشكل من الصراعات فإن إحدى إشكاليات الصراع وعدم الاستقرار في هذه المنطقة ترتبط في المقام الأول بحقيقه الروابط والتفاعلات العرقية بين (التوتسي - الهوتو) وعدم تطابقها مع الحدود الموروثة عن العهد الاستعماري.

2- الدولة المنهارة:

هذا الشكل الجديد من اشكال الدولة الإفريقية وقد ظهر خلال الحقبة الجديدة للعوامة حيث أطلق عليه إسم (دولة أمراء الحرب المحليين) مثل ما هو الحال عليه في (جمهورية الكونغو الديمقراطية وليبيريا وسيراليون والصومال)، ونتيجة الصراعات التي يشهدها النسيج الاجتماعي لهذه المجتمعات فإن النخب المحلية والإقليمية تحصل على أرباح خيالية من خلال عمليات النهب، والسلب المنتظمة للموارد الطبيعية التي تتمتع بها هذه الدول.

3_ العنف السياسي المرتبط بالتحول الديمقراطي:

إن ظروف التحول والانتقال الديمقراطي التي شهدتها كثير من البلدان الإفريقية حدوث اضطرابات عنيفة حيث فسّر البعض بأن حالات الانفتاح والتعددية والحريات السياسية قد تؤدي ربما إلى ظهور التناقضات والانقسامات المجتمعية التي ظلت مكبوتة فترة طويلة من الزمن في ظل نظم الحكم التسلطية وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى العديد من الحالات التي أخفقت فيها عملية التحول الديمقراطي في البلدان الإفريقية في تحقيق الاستقرار والتي تسببت في إزدياد حدة النزاعات الداخلية مثل (أنجولا، وبورندي).

وتتعلق ثلاث ملاحظات أخيرة بأنواع الصراعات الأهلية بشكل عام. فقد ظلت نسبة الحروب الأهلية التي سعى فيها المتمرّدون إلى الاستيلاء على الحكومة المركزية، بدلاً من الفوز بقدر أعظم من الحكم الذاتي أو الانفصال الإقليمي، مستقرة إلى حد ما منذ ستينيات القرن العشرين، حيث تراوحت دون اتجاه واضح بين 50 و60%. كما زادت نسبة المقاتلين الذين تم تنظيمهم في المقام الأول على أسس عرقية وليس أيديولوجية إلى حد ما على مدى الفترة بأكملها منذ الحرب العالمية الثانية، من حوالي 60% في السنوات الأولى إلى

¹ حمدي عبدالرحمن، إفريقيا وتحديات عصر الهيمنة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2007م، ص 195-196.

حوالي 70 أو 75% منذ نهاية الحرب الباردة وكان لتغيير الأكثر إثارة للدهشة هو الزيادة الملحوظة في حصة الصراعات التي تنطوي على جماعات متمردة جهادية معلنة، من حوالي 5% في عام 1990 إلى أكثر من 40% في عام 2014¹ . ورغم أن بعض الباحثين في مجال الصراعات في الدول الأفريقية (أوباسانجو ، وأنيانج نيونجو ، ومساباهما) يتفقون على أن الصراع في أفريقيا ينبع في المقام الأول من أزمات الحكم الوطني ومن فشل المؤسسات الحكومية في البلدان الأفريقية في التوسط في الصراعات، فإن هذه المقالة تتعامل مع العامل الاستعماري باعتباره جذر العديد من الصراعات في أفريقيا.² وترغم أن هذا العامل يجب أن يؤخذ في الاعتبار في محاولات معالجة الصراعات الأفريقية لأن جذور العديد من الصراعات ما بعد الاستعمار في أفريقيا، مثل الحالة الأخيرة في جنوب السودان، لا تزال مدفونة في ماضي أفريقيا، وعلى وجه التحديد، في عمليات الاستعمار وإنهاء الاستعمار. وترغم المقالة أيضاً أن الصراعات على المستويين دون الوطني والوطني في أفريقيا من عدة أنواع، وأن فرض قوات حفظ السلام كما كانت الحال في كثير من الأحيان، أو مجرد فرض مؤسسات سياسية واقتصادية جديدة على الصراعات الأفريقية المختلفة، قد لا يوفر النتائج المستدامة المرجوة. وعلاوة على ذلك، واستناداً إلى نفس الفرضية، يتساءل المقال إلى أي مدى يمكن بناء مستقبل عادل ومنصف على أساس ماضٍ غير عادل.

المحور الثاني : الأسباب الرئيسية للحروب الأهلية في أفريقيا

إن الحروب الأهلية تتأثر بعدة أسباب أو عوامل على المستويين الداخلي والخارجي ويقصد بهذه الأسباب مجمل الشروط التي تتحكم في كافة أشكال التبادل بين الفاعلين أو هي تلك العناصر المشكلة لبيئة النظام ، وهي مصدر التدفقات التي تؤثر على مجمل الفاعلين والذين يدخلون في إطار هذا النظام فظاهرة الصراعات الأهلية كغيرها من الظواهر السياسية.

أولاً : الأسباب الداخلية

في حقيقة الامر يوجد العديد من الأسباب الداخلية التي تؤثر في احتمال نشوب الحروب الاهلية من بينها الأسباب الاثنية، والأسباب الاقتصادية، والأسباب السياسية، أو الأسباب الفردية وغيرها من الأسباب الأخرى، مع الإشارة إلى عدم وجود ترتيب معين لهذه الأسباب أو العوامل وإنما تتفاوت في تأثيرها من دولة إلى أخرى، ومن مرحلة إلى أخرى وثمة ملاحظة ينبغي الإشارة إليها في هذا الإطار وهي أن

العوامل المؤدية لبروز الحروب الأهلية في البلدان الإفريقية هي في واقع الأمر أسباب وعوامل متداخلة يصعب الفصل بينها واقعياً عند تحليل الحالات المختلفة للحروب الأهلية في البلدان الإفريقية³.

إذ أن تحليل ظاهرة الحروب الأهلية في القارة الإفريقية تكشف عن تداخل بين هذه الأسباب ومنها :

أ_ الأسباب الأثنية:

¹ James D. Fearon, Civil War & the Current International System, Source: American Academy of Arts and Sciences, 2017, https://www.amacad.org/sites/default/files/publication/downloads/Fa17_Daedalus_03_Fearon.pdf

² Dr Fonkem Achankeng , Conflict and conflict resolution in Africa Assistant Professor, the Department of Human Services and Educational Leadership at the College of Education and Human Services, University of -2. Wisconsin Oshkosh, JULY 12, 2013 <https://www.accord.org.za/ajcr-issues/conflict-and-conflict-resolution-in-africa/>

³ أحمد إبراهيم محمود، الحروب الأهلية في أفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص 25.

تتميز هذه المجتمعات بتعدد أشكال وأنماط التعددية سواءً تعددية إثنية وربما دينية وتوجد العديد من اللغات واللهجات فلهذا تحتل التزايدات الإثنية مكانة مهمة على الساحة الدولية الأمر الذي يميز الصراعات والتزايدات الإثنية عن أنواع الصراعات الأخرى والتي يفترض فهمها. فجلُّ الإثنيات الإفريقية تمتد عبر الحدود إلى الدول المجاورة، نتيجة الاحتفاظ بالحدود الاستعمارية التي أُقيمت على أساس جغرافي لا إثني.¹

فالصراعات الإثنية في حقيقة الأمر هي "تناحر بين مجموعتين أو أكثر في القضايا المهمة المرتبطة بمشاكل متنوعة من اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو إقليمية".² لذا فالجماعة الإثنية لها خاصيتان رئيسيتان تميزان بها من الناحية الاجتماعية³:

1_ أن عضوية الجماعات الإثنية هي عضوية غير تطوعية فأفراد الجماعة يولدون فيها ويثرون خصائصها الإثنية المختلفة مثل الدين، واللغة، ولون البشرة.

2_ أن الجماعة الإثنية تتسم بخاصية التزاوج الداخلي فالأغلبية العظمى من أفراد أي جماعة إثنية ينهي بها الحال إلى الزواج من نفس الجماعة الإثنية.

لذا هنا فالحروب الأهلية التي ربما يمكن وصفها بحروب إثنية إلى أبعد الحدود تلك التي عرفتها الشعوب الإفريقية في تاريخها الحديث حرب (كاتانغا) في كونغو الديمقراطية (1960م - 1977م)، و(حرب بيفرا) الانفصالية في نيجيريا (1967م - 1970م) التي حصدت ما يقارب عن مليون شخص، و(حرب الإبادة) برواند (1994م) وغير ذلك من الحروب المتكررة بمنطقة البحيرات العظمى، وأنغولا، وتشاد، والسودان وفي غرب أفريقيا في ليبيريا، وسيراليون وكوت ديفوار، ومالي، وفي جمهورية أفريقيا الوسطى،... ويندر وجود دولة إفريقية لم تشهد نوعاً من الصراعات المتلبسة بصيغة الهوية، دينية كانت أو عرقية، هذا ومما لا شك فيه أن تلك الصراعات تعد من أهم معوقات التنمية والاندماج الوطني بإفريقيا الحديثة، وتكلف الشعوب قبل الحكومات خسائر مادية ومعنوية باهظة، ففي نيجيريا، على سبيل المثال، تجاوز عدد ضحايا الصدامات العرقية والدينية (30000) فيما بين (1980م - 2002م) بمعدل (1363) ضحية كل عام، وهذا يفوق عدد الألف الذي اشترط الباحثون أن يبلغه عدد ضحايا العنف الأهلي كل عام حتى يوصف بأنها حرب أهلية.⁴ وعلية يمكن القول أن الحروب الجديدة تستند، بشكل أساسي، على دوافع تتعلق بالهوية (الإثنية، الدينية، القبلية)، وذلك خلافاً للحروب القديمة التي قامت من أجل مصالح جيوسياسية أو أيديولوجية أو الديمقراطية أو الاشتراكية، ولسياسات الهوية منطلقاً عن الأهداف الجيوسياسية أو الأيديولوجية؛ لأنها تسعى إلى تحقيق المصالح الضيقة لجماعات معينة، بدلاً من تبني سياسات أو برامج تركز على متابعة المصلحة العامة في معناها الأوسع.⁵

¹، سعيد ندا، ظاهرة الانقلابات العسكرية في أفريقيا: أسأها ومآلاتها وكيفية التحكم فيها، مجلة قراءات أفريقية، القاهرة 2023.
² سميرة بلعيد، التزايدات الإثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها: جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجاً، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2010م، ص 24.

³ رضاء جمعة عيسى قاسم، الحروب الأهلية وأثرها على التنمية، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2008م، ص 16.

⁴ آدم مبابا، صراع الهوية في أفريقيا: التأرجح بين القبيلة، والدولة، مجلة قراءات أفريقية، العدد (27)، مارس، 2016م، ص 43.

⁵ سعاد أبوسنية، الحروب الإفريقية في عصر العولمة: دراسة في الطبيعة والميكانيزمات، مجلة قراءات أفريقية، العدد، 31، مارس 2017م، ص 28.

ومع ذلك، لا يمكن للمرء أن ينكر حقيقة مفادها أن الصراعات العرقية السياسية كانت في ازدياد في أفريقيا طوال القرن العشرين. وربما لا يكون هذا غير مرتبط بعامل التنوع العرقي في معظم الدول الأفريقية والمشكلة العرقية الناتجة عن ذلك. ويرى بعض المفكرين ومنهم إيميني وأوساجاي أن التعدد العرقي هو العامل الأكثر ارتباطاً بالصراعات من بين جميع العوامل. والحقيقة أن الانقسامات العرقية عميقة بالفعل وأن التمييز السياسي ضد الأقليات يُمارس على نطاق واسع في أفريقيا، وبالتالي فإن التعدد العرقي لا يمكن إلا أن يشكل إمكانية كبيرة للأنشطة الانفصالية. فقد ولد التعدد العرقي مشاعر الشك والكراهية وعدم الثقة بين أفراد المجموعات العرقية المختلفة في أفريقيا، ولا شك أنه أعاد تبادل التكامل السياسي في أفريقيا. ولذلك فليس من المستغرب أن نلاحظ أن التنافس العرقي كان السبب الرئيسي للصراعات الداخلية في نيجيريا مرتين على الأقل كما ذكرنا سابقاً (الحرب الأهلية في الفترة 1967-1970 والاحتكاك في الفترة 1993-1999). ويمكننا أن نروي قصصاً ماثلة عن ليبيريا وأوغندا ورواندا وبوروندي والصومال والسودان والكونغو ومجموعة من الدول الأفريقية الأخرى.¹ ولهذا فإن الصراعات في أفريقيا، كما هو الحال في كل مكان، ناجمة عن أفعال بشرية، ويمكن أن تكون انتهت هذه الصراعات بفعل الإنسان. وقد اتسمت أغلب هذه الصراعات بالآني: وحشية شديدة. ففي رواندا وحدها، قُتل نحو مليون شخص خلال مائة يوم. مذبح، على نطاق غير مسبوق في تاريخ العالم. أكثر لقد خاضت أفريقيا أكثر من 30 حرباً منذ عام 1970، ومعظمها انتهت بالفشل. كانت الحروب الداخلية وليست الحروب بين الدول ومن خلال ما سبق، يمكننا أن نستنتج أن أغلب الصراعات في أفريقيا تركز على أسباب داخلية. ويمكن رؤية مثال على ذلك من أرض أوغوني في نيجيريا. في عام 1996 وحده، تظهر السجلات أن 14 دولة من أصل 53 دولة في أفريقيا كانت متورطة في صراعات مسلحة وأسفرت عن أكثر من 8 ملايين لاجئ والنازحون. زيمبابوي هي قبلة أخرى تنتظر الانفجار حيث أن العديد من الناس فر الملايين من الزيمبابويين من البلاد إلى الدول المجاورة بسبب نتيجة للأزمة السياسية في ذلك². والتي شلت البلاد بأكملها نتيجة للتراع الذي نشب في البلد انتخاباتهم العامة الأخيرة ويولي دارسوا الحروب الأهلية في أفريقيا أهمية خاصة للبعد الإثني باعتباره المحرك الرئيسي لتلك الحروب.³

ب. الأسباب الاقتصادية:

إن من أسباب الحروب الأهلية هو التخلف الاقتصادي والذي يعتبر سبباً حقيقياً ومباشراً لنشوب الحروب إذ أن محدودية القدرات الاقتصادية للبلدان الإفريقية تؤدي بالضرورة إلى عدم العدالة في التوزيع واستجابة الانظمة لمطالب جماعات بعينها على حسابات جماعات أخرى الأمر الذي سوف يسبب الصراعات والحروب الأهلية إما من قبل الجماعات التي تسعى إلى الحصول على نصيب من الامتيازات الاقتصادية أو من قبل الجماعات التي ترغب في الاستمرار في الحصول على الامتيازات الاقتصادية بمفردها دون مشاركة الجماعات الأخرى هذا من جهة. أما من جهة أخرى فبالرغم من أن الاختلالات الهيكلية التي تعاني منها القارة الإفريقية اليوم هي نتيجة مباشرة للاستعمار الذي سعى لأن تكون اقتصاديات الدول الإفريقية مجرد اقتصاديات متخلفة تابعة للمراكز الرأسمالية العالمية بما

¹ Aremu, Johnson Olaosebikan , Conflicts in Africa: Meaning, Causes, Impact and Solution , Department of History and International ,Studies, University of Ado- Ekiti, Ado- Ekiti, Nigeria, 17, October, 2010

² <https://academic.oup.com/book/57998/chapter/477149273>

<https://www.alrakoba.net/421192/>

2013 بكرى سوركتاب , ظاهرة الحروب الأهلية في أفريقيا أسبابها وعواملها , صحيفة أخبار السودان , 20 نوفمبر³

يضمن تقدم هذه الأخيرة¹. إلا أن السياسات الاقتصادية للبلدان الإفريقية المستقلة ساهمت هي الأخرى بقدر كبير في تعميق مشكلات الصراعات الأهلية إذ اتبعت الدول الإفريقية المستقلة حديثاً سياسات اقتصادية تمييزية، استهدفت في الغالب إرضاء الجماعات الإثنية التي ينتمي إليه الرئيس أو النظام الحاكم بما يعنيه ذلك من غياب للعدالة التوزيعية للسلع والخدمات فضلاً عن المكانة والمناصب السياسية والمراكز الإدارية، وهو الأمر الذي عمق مشكلة الاندماج الوطني في المجتمعات الإفريقية، ففي أنجولا هدفت حركة (يونيتا) إلى السيطرة على مناطق شرق البلاد الغنية بمناجم الماس والثروات الطبيعية الأمر الذي نجحت فيه واستغلت عائدات الثروات في إدارة الصراع².

ثانياً : الأسباب الخارجية

إن الحروب والتراعات الأهلية تشكلت بفعل العديد من المتغيرات والعوامل المرتبطة بالبيئة الخارجية للقارة الإفريقية ، فقد ساهم الاستعمار الأوروبي بشكل كبير في وضع بذور هذه الحروب الأهلية في القارة من خلال النشأة المصطنعة للبلدان الإفريقية، ومن خلال أيضاً السياسة الاستعمارية المتبعة في المستعمرات الإفريقية السابقة جاء هنا التقسيم الاستعماري الذي جرى في مؤتمر برلين عام 1885م متسقاً فقط مع مصالح الدول الاستعمارية واتجاهاتهم للتوسع، بينما كان هذا التقسيم متناقضاً مع الواقع الاجتماعي والاثني للمجتمعات للقارة الإفريقية، حيث أفرز هذا التقسيم خريطة استعمارية، جمعت بين مجموعات إثنية و أيضاً عرقية لم يسبق لها العيش معاً، ولم يسبق لها التفاعل بعضها مع بعض الآخر، كما هو الحال في (السودان، وتشاد، وأنجولا، ونيجيريا)، وغيرها من الدول. وأيضاً ساهمت السياسات الاستعمارية في زيادة حدة الصراعات في البلدان الإفريقية عقب نيل هذه الدول استقلالها وإلى يومنا هذا فيما يُعرف بسياسة: (فرق تسد)، حيث تمتلك بعض الجماعات مزايا اقتصادية، وتعليمية، وثقافية على حساب المجموعات الأخرى، كما هو الحال في (رواندا) عندما سيطرت (جماعة التوتوسي) على الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية³.

وفي دولة السودان لعب الاستعمار دوراً مختلفاً، وأن كان قد أسفر عن نفس النتيجة فقد قسمت الإدارة الاستعمارية دولة السودان خلال فترة احتلالها لها إلى جزئين، وكان في كل منها سياسة استعمارية مختلفة، ففي المنطقة الشمالية كانت السياسة البريطانية تسمح بتطوير هوية قومية وفي المنطقة الجنوبية أتبع بريطانيا سياسة يحظر اللغة العربية في الجنوب وحالت دون نفاذ التأثيرات العربية الإسلامية، بل وسمحت للبعثات التبشيرية التي يتم طردها من شمال السودان بالعمل في مناطق الجنوب وقد أصدرت السلطات الاستعمارية البريطانية قوانين مثل " قانون المناطق المقفولة وقانون المرور" وتجدر الإشارة إلى أن هذه الازدواجية قد أثرت على الصراع مع شمال السودان وجنوبه الأمر الذي أضفي عليه أبعاداً جديدة⁴.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القارة الإفريقية ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية شهدت ثلاث مراحل من الحروب والتراعات الأهلية، يمكن الإشارة إليها على النحو التالي: ⁵.

¹ رضاء جمعة عيسى قاسم، الحروب الأهلية وأثرها على التنمية، مرجع سبق ذكره، ص17.

² حمد إبراهيم محمود، الحروب الأهلية في أفريقيا ، مرجع سبق ذكره، ص 176.

³ نجم الدين محمد عبدالله السنوسي، دور الشعوب الإفريقية في تعزيز السلم والأمن، مجلة قراءات افريقية، العدد 27، يناير، 2016م، ص73.

⁴ هادي عبد الرحمن، مشكلة جنوب السودان ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1999م، ص 199.

⁵ محمود أبو العينين، الجذور التاريخية للمشكلات الإفريقية المعاصرة، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1996م، ص 302.

- المرحلة الأولى : هذه المرحلة انفجرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتمثلت في حروب حركات التحرير ضد الدول الاستعمارية، وقد امتدت هذه المرحلة حتى منتصف السبعينيات، واتسمت هذه الموجة من الحروب والموجهة بالأساس ضد القوى الاستعمارية بانخفاض تكاليفها، وضيق أو محدودية نطاقها.

-المرحلة الثانية : وشملت ظهور عدد قليل من النزاعات بين البلدان الإفريقية فضلاً عن نزاعات وحروب أهلية على نطاق واسع، وكان من أبرز أنواعه (النزاعات بين البلدان الإفريقية) حرب الأوجادين (بين دولة الصومال، وإثيوبيا 1977 - 1978م) ، (والحرب التنزانية الأوغندية 1978 - 1979م).

-المرحلة الثالثة : وقد بدأت هذه المرحلة مع انتهاء الحرب الباردة في التسعينات، واتسمت النزاعات في هذه المرحلة بأنها في معظمها نزاعات أهلية إذ أصبحت الحروب الأهلية النمط الأكثر شيوعاً في قارة أفريقيا بين أنماط الصراعات الأخرى .

وعليه هنا يمكن القول أنه يمكن للمساعدات الخارجية إحداث تغيير جذري في علاقات القوة بين الجماعات المتحاربة. حيث ورد في تقرير لمؤسسة (راند) حول كيفية إنهاء التمردات المسلحة. حسب طبيعة الدعم الخارجي وانتظامه والذي يعد في كثير من الأحيان متغيراً حاسماً في تحديد مخرجات الحروب الأهلية. فالوقائع الميدانية تؤكد أنه: عندما لا تؤدي التدخلات الخارجية في الصراعات أو النزاعات الداخلية إلى تحقيق نصر عسكري سريع، فإنه ومن الحقيقة تصعيد حدة العنف المسلح، وإطالة أمد هذا الصراع بمرور الزمن، وما يرافقه من احتمالات اتساع نطاق العنف الداخلي، وتحوّله إلى حرب إقليمية ممتدة، وهو ما يدفع إلى القول بقيام علاقة سببية موجبة بين التدخل الخارجي وتفاقم العنف الداخلي؛ لأن إرساء السلام يتوقف في النهاية على دوافع الأطراف المتدخلة التي لا تخلو من "الترعة البراغماتية"، ومدى فعالية المبادرات الاقتصادية، أو الدبلوماسية، أو العسكرية التي تطرحها.

ولهذا فإن الاستشهاد بالصراع في جمهورية الكونغو الديمقراطية الذي لم يؤدي إلى تشييط مسار تطورها السياسي والاقتصادي فحسب، وإنما استقطب أغلب الدول المجاورة لما اعتبر أكبر حرب في القارة الإفريقية، من خلال انخراط سبعة دول إقليمية على الأقل، سواءً لدعم حكومة كاييلا أو الحركات التمردية، منها: أنغولا، ناميبيا، زيمبابوي، أوغندا، ورواندا وتنبع دوافع هذه الدول للتدخل في الصراع الكونغولي من منطلقين¹:

أولهما المنطلق الاقتصادي : وهو يهدف بوضع اليد على الثروات المعدنية في شرق الكونغو، ولا سيما النحاس، والكوبالت، والكولتان، والذهب، والألماس، والقصدير.

أما المنطلق الثاني: من خلال الانشغالات الأمنية المتمثلة أساساً في تفكيك معسكرات تدريب المتمردين الروانديين والأوغنديين في شرق الكونغو وتجميد نشاطهم، الذي ضاعف من التوترات السياسية على المحور: كينشاسا- كيغالي - كمبالا.

المحور الثالث : الآليات القانونية الدولية الملزمة للدول التي تشهد على إقليمها نزاع مسلح غير دولي

¹ اسعاد أبوسنية، الحروب الإفريقية في عصر العولمة، مرجع سبق ذكره ، ص31.

إن الآليات العامة للقانون الدولي لضمان احترام القانون الدولي الإنساني ومعاينة مرتكبي الانتهاكات أقل إرضاءً وفعالية فيما يتصل بالقانون الدولي الإنساني مقارنة بتنفيذ فروع أخرى من القانون الدولي. وفي النزاعات المسلحة، تكون هذه الآليات غير كافية بطبيعتها، بل إنها في بعض الحالات تكون عكسية في نتائجها.

وفي المجتمع الذي يتألف من دول ذات سيادة، يكون التنفيذ تقليدياً لامركزياً، مما يعطي دوراً أساسياً للدولة التي كانت أو قد تكون ضحية لانتهاك. وقد تختار دول أخرى دعم الدولة المتضررة، وفقاً لمصالحها - والتي ينبغي أن تشمل المصلحة العامة لكل عضو في هذا المجتمع في احترام نظامه القانوني¹.

ومن هذا المنطلق فإن الهيكل اللامركزي للتنفيذ غير مناسب بشكل خاص للقانون الدولي الإنساني المنطبق على النزاعات المسلحة، وذلك للأسباب التالية. أولاً، سيكون من المدهش حقاً أن تتم تسوية النزاعات الناشئة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني سلمياً، على الأقل في النزاعات المسلحة الدولية. والواقع أن القانون الدولي الإنساني ينطبق بين دولتين لأكثر من مئتين في نزاع مسلح، وهو ما يثبت أنهما غير قادرتين على تسوية نزاعهما سلمياً.

إن القانون الدولي العام يفرض عدة التزامات يجب احترامها خلال الحروب الأهلية المسلحة، وإن كان منها ما يفرض تلك الالتزامات في مواجهة الدولة، التي يثور على أرضها النزاع المسلح، ومنها ما يفرض تلك الالتزامات في مواجهة الغير لذا سوف يتم تقسيم هذا المحور كما يلي :

إن الدولة لم تعد مطلقة السيادة بموجب التزامها بالمبادئ والآليات القانونية الدولية، بل تم تقييد هذه السيادة بالعديد من الالتزامات القانونية، التي تفرض عليها أن تحترمها، وهذه الالتزامات هي عبارة عن قواعد قانونية تحتويها مبادئ عامة تدرج تحتها. وما يهمنا هنا هو المبادئ القانونية التي يجب على الدولة أن تحترمها، في حال تار نزاع مسلح غير دولي على إقليمها، وسنحاول فيما يلي دراسة أهم هذه الآليات والمبادئ وفق التقسيم التالي :

1- آليات حق الشعوب في تقرير المصير :

في الحقيقة يرسخ مبدأ حق تقرير المصير للشعوب، من جانبه السياسي نتاجاً تاريخياً لأفكار فلاسفة التنوير، فهو ذو علاقة مباشرة بمبدأ (سيادة الشعب)، بل هو أحد ثمار هذا المبدأ².

وعلى هذا الأساس فقد اختلف مدلوله تبعاً للمرحلة التاريخية التي استعمل فيها، متأثراً في ذلك بظروف تلك المرحلة، فقد استخدم في بعض المراحل كشعار لتصفية الاستعمار ومثالها الثورة الأمريكية ضد الاستعمار الإنجليزي، وأحياناً أخرى استخدم كشعار ضد الأنظمة الاستبدادية، ومثالها الثورة الفرنسية، وقد عبر توماس جيفرسون عام 1802م عن هذا الحق بقوله (لكل فرد ولكل مجموعة على وجه الأرض الحق في حكم أنفسهم، وهذا حق حصل عليه الناس في وجودهم من أيدي الطبيعة).

¹- <http://casebook.icrc.org/law/implementation-mechanisms>

<http://casebook.icrc.org/law/implementation-mechanisms>

²- سلمان قادم آدم فضل، حق تقرير المصير طرح جديد لمبدأ قدم، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى 2002م، ص 13.

ومن هذا المنطلق فإن مبدأ حق تقرير المصير لم يأخذ طريقه نحو تطبيقه الواسع، إلا مع بداية القرن العشرين، وترافق ذلك مع إعلان مبادئ ويلسون الأربعة عشر، حيث أُتخذ من تلبية التطلعات القومية للمجموعات المضطهدة وسيلة مناسبة لتجزئة الدول المعادية وتفتيتها، مما نتج عنه تفكك معظم الإمبراطوريات القديمة والتي من أهمها الدولة العثمانية وروسيا القيصرية والإمبراطورية النمساوية - المجرية ، وهذا يدل على مرونة هذا المبدأ وتطوره، وقابليته للتجديد ومواكبة متطلبات كل عصر.

لذلك فقد عرفه البعض بأنه "حق الشعب أو الأمة لتقرر بحرية وبنفسها دون أي ضغوط خارجية، وضعها السياسي والقانوني بوصفها كياناً منفصلاً، ويفضل أن يكون ذلك في شكل دولة مستقلة، ويشمل حق تقرير المصير الحق في اختيار شكل الحكومة والنظام الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

ولهذا فإن هذا الحق لم يتجاوز كونه مبدأ ومفهوماً سياسياً، فكان يطبق أحياناً ويتعثر أحياناً أخرى، إلى أن صدر ميثاق الأمم المتحدة في سنة 1945م، فوجد هذا المبدأ أساسه القانوني في ذلك الميثاق.¹

2- آليات حق تقرير المصير في الجانب القانوني للأمم المتحدة :

يعد ميثاق الأمم المتحدة، الوثيقة التأسيسية للمفهوم الحديث لمبدأ حق تقرير المصير، أو بالأصح للجانب القانوني له وقد سبق ذلك الميثاق إصدار الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني إعلاناً للمبادئ وقد عرف ب (ميثاق الأطلسي) وقد تضمن الإعلان عن احترام حق جميع الشعوب في اختيار حكوماتها وأشكالها والإفصاح عن الرغبة في استرداد جميع الشعوب سيادتها وحكمها الذاتي، ولقد تأكدت مبادئ الأطلسي في إعلان يالطا عام 1945م إضافةً إلى تعهد الموقعين على هذا الإعلان بمساعدة الشعوب على اختيار حكوماتها عبر انتخابات حرة .

إلا أنه في الحقيقة لم يتطرق ميثاق الأمم المتحدة في مسألة حق الشعوب في اختيار حكوماتها عبر انتخابات حرة، واكتفى بالإشارة إلى سلطة الشعوب باعتبارها مصدراً لشرعية الحكومات.

و أيضاً جاءت هنا نص الفقرة الثانية من المادة الأولى من الميثاق، عند تعدادها لمقاصد الأمم المتحدة:- (إتمام العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق وحققها في تقرير المصير واتخاذ تدابير ملائمة أخرى لتعزيز السلم العالمي) .

أما المادة (55) من الميثاق فقد جاءت فقرتها الافتتاحية بالنص التالي :-

(رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاه الضروريين لقيام علاقات سلمية وودية بين الأمم على أساس احترام مبدأ تساوي الشعوب وحققها في تقرير المصير، تعمل الأمم المتحدة على).

وقد جعلت أهمية الميثاق بالنسبة لمبدأ تقرير المصير أنه قد أعطى أبعاداً أخرى تتعلق باحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية والتنمية والتعاون الدولي، هذا فضلاً عن أن ربط تقرير المصير بفضول الميثاق المتعلقة بنظام الوصاية الدولية والمتعلقة بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي (الفصل الحادي عشر من الميثاق)، وقد مكّنت هذه الشعوب من ممارسة حق تقرير المصير ونيل استقلالها عن الاستعمار الأوروبي وتأسيس دولها المستقلة، هذا وقد توالى الأعمال الأخرى الصادرة عن المنظمة العالمية للتأكيد على حق تقرير

¹ - عصام الدين حواس ، الحكم الذاتي وحقوق السيادة وتقرير المصير ، المحلة المصرية للقانون الدولي ، المجلد السادس والثلاثون ، 1980م ، ص15

المصير، حيث صدر قرار الجمعية العامة رقم 5/421 المؤرخ في 1950/12/4م، والذي نص على الاعتراف بكون حق الشعوب والأمم في تقرير المصير هو حق أساسي من حقوق الإنسان .

كما أكدت في قرارها رقم 6/545 على أن هذا الحق هو حق أساسي من حقوق الإنسان، وأن انتهاكه في الماضي قد أسفر عن إراقة الدماء وعن إثارة الحروب، وأن احترامه يعزز السلم والأمن الدوليين ويساهم في إنشاء علاقات ودية بين الأمم.

ومن هذا المنطلق فإن الدورة الخامسة عشرة قد اعتمدت الجمعية العامة في يوم 1960/12/14م القرار 15/1514 بعنوان (إعلان حول منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة) ويمثل هذا الإعلان الذي هو وثيقة ذات أهمية تاريخية، أحد إسهامات الأمم المتحدة الأبلغ أثراً في تطوير مفهوم حق تقرير المصير وفي إدانة الاستعمار، وفي دورتها العشرين أصدرت الجمعية العامة في 1965/12/20م قرارها رقم 20/2105 المعنون (تنفيذ إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة) وفيه اعترفت بشرعية كفاح الشعوب الواقعة تحت الحكم الاستعماري من أجل ممارسة حقها في تقرير المصير والاستقلال، ودعت جميع الدول إلى تقديم المساعدة المادية والمعنوية إلى حركات التحرر الوطني في الأقاليم المستعمرة وفي عام 1966م صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، ونصت المادة الأولى من هذين العهدين على حق جميع الشعوب في تقرير المصير، حيث وبموجب هذا الحق لها أن تحدد وضعها السياسي، وأن تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما دعيا جميع الدول إلى تعزيز حق تقرير المصير واحترامه بما يتماشى وميثاق الأمم المتحدة .

وفضلاً عن ذلك أكدوا على أن حرية الأفراد في ممارسة حقوقهم الإنسانية، بما في ذلك حق المشاركة الإيجابية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، مرهونٌ بكفالة احترام حرية الشعوب في تقرير مصيرها وتجدد الملاحظة هنا أن كلا العهدين، لم يوردا أي تعريف أو تحديد لمصطلح الشعوب، أو الشعب في معرض تأكيدهما على حق الشعوب في تقرير مصيرها، وإنما تم التمييز بشكل مستتر بين نوعين من الجماعات، النوع الأول وهو الشعب الذي كفلا له حق تقرير المصير، أما النوع الثاني فهو الأقلية وهي التي لم يمنحها العهذان وصف الشعب بشكل ضمني، عندما تحدثت المادة (27) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، عن حقوق الأقليات بنصها (... في الأقطار التي بها أقليات إثنية، أو دينية، أو لغوية، ينبغي عدم إنكار حق الأفراد المنتمين إلى هذه الأقليات في التمتع بثقافتهم الخاصة وممارسة دياناتهم أو استخدام لغاتهم، وذلك في إطار المجتمع الذي يضمهم مع أفراد المجموعة التي ينتمون إليها).

لذا فإن حقوق الأقلية قد تم النص عليها بشكل منفصل عن حقوق الشعوب والتي من أبرزها حق تقرير المصير، والذي يشمل حق الاستقلال، أما حق الأقلية فلا يتجاوز حقها في إدارة شؤونها وتحقيق استقلالها الإداري، ومعنى آخر فإن الأقلية شيء غير الشعب، وبالتالي لا تتمتع بحق تقرير المصير .

ومع ذلك يبقى التطرق لموضوع تقرير المصير داخل الدولة المستقلة في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في مادته (27) ولو بشكل ضمني له أهميته، ذلك أن موضوع انفصال جزء من شعب الدولة المستقلة لم يتم التطرق له إلا بالمنع، ولم يسبق لأي من أعمال الأمم المتحدة أن حلت التركيبة الداخلية لشعب الدولة الواحدة فيما مضى من الأعمال القانونية .

إلا أن عملاً قانونياً لاحقاً على العهدين الدوليين، كان أكثر وضوحاً في التطرق لهذا الجانب، ونقصد بذلك إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، والذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1970م في قرارها رقم 2625، حيث جاء في فقرته الأخيرة (ولا يجوز أن يؤول شيء مما ورد في الفقرات السابقة على أنه يرخص بأي عمل أو يشجع على أي عمل، من شأنه أن يمزق أو يخل جزئياً أو كلياً بالسلامة الإقليمية، أو الوحدة السياسية للدول المستقلة ذات السيادة، التي تلتزم في تصرفاتها بمبدأ تساوي الشعوب في حقوقها، وحقها في تقرير مصيرها، بنفسها الموضح أعلاه، والتي لها بالتالي حكومة تمثل شعب الإقليم كله، دون تمييز بسبب العنصر أو العقيدة أو اللون.....) .

يفهم من هذه الفقرة أنها لا ترخص لأي فئة من فئات شعب الدولة الواحدة بحقوقها في تقرير مصيرها بغرض الانفصال عن الدولة الأم، إذا كانت هذه الدولة تحكمها حكومة ديمقراطية تمثل كل فئات الشعب المتنوعة، دون أي تمييز مبني على أساس الجنس أو المعتقد أو اللون:

ثانياً : علاقة مبدأ التكامل في المحكمة الجنائية الدولية بالتراعات المسلحة غير الدولية وتأثيره عليها

في المادة الخامسة من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية نصت على اختصاص المحكمة بنظر الجرائم التي تعد الأشد خطراً على المجتمع الدولي ، وهذه الجرائم جريمة الإبادة الجماعية ، والجرائم ضد الإنسانية ، وجرائم الحرب ، وجريمة العدوان ، وهذه الأخيرة لم يتم التوصل إلى وضع تعريف لها، وبالتالي فهي من الناحية الواقعية تعد خارج اختصاص المحكمة إلى حين التوصل إلى اتفاق بخصوص تعريفها .

وإن أنواع الجرائم الثلاث، من المتوقع ارتكابها في حال نشوب نزاع مسلح غير دولي داخل أي دولة من الدول، وفي هذه الحالة فإن تلك الدولة مطالبة بتعقب ومحاكمة المتهمين بارتكاب تلك الجرائم باعتبار أن قضائها الجنائي هو صاحب الولاية بنظرها، وهذا بدوره يتطلب أن تكون التشريعات الوطنية غير متعارضة مع النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، لكي يحافظ القضاء الجنائي الوطني على ولايته الأصلية في نظر تلك الجرائم، ذلك أن عدم تجريم هذه الأفعال المكونة لأركان تلك الجرائم من شأنه عدم المساءلة عنها في التشريع الوطني، وهذا ما يفتح الباب أمام ممارسة المحكمة الجنائية الدولية لاختصاصها التكميلي ، ذلك أن مبدأ عدم تمكين مرتكبي الجرائم الأشد خطراً من الإفلات من العقاب ، يمنع عدم تعقبهم ومحاكمتهم ، وفي الحالة المذكورة ، تكون هذه الأفعال غير مجرمة أصلاً في التشريع الوطني ، لذا فالحقيقة يستوجب تدخل القضاء الجنائي الدولي لمنعهم من الإفلات من العقاب إعمالاً لمبدأ التكامل¹.

وعلى هذا الأساس فإنه في حالة وقع نزاع مسلح غير دولي في إقليم دولة ما، وكان تشريعها الداخلي لا يجرم هذه الأنواع من الجرائم، والتي ربما تكون وقعت بالفعل أثناء ذلك النزاع، أو تكون مجرمة إلا أن مرتكبيها هنا كانوا يتمتعون بالحصانة من المقاضاة عنها وفق التشريع الوطني، أو أن هذا التشريع يسمح بسقوط تلك الجرائم بالتقادم أو بالعفو عنها، يكون من شأن هذا التعارض مع أحكام

¹ محمد سمير ناجي ، المحكمة الجنائية الدولية : المبادئ التي يقوم عليها نظامها الأساسي ، المحلة الجنائية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ، المجلد التاسع والأربعون ، العدد الأول ، مارس 2006م ، بالقاهرة ، ص8 وما بعدها .

² حول حالات التعارض بين أحكام التشريعات الوطنية ، وأحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية أنظر /عادل الطبطبائي ، مرجع سبق ذكره ، ص 27.

النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية أن يُعمل بمبدأ التكامل في القضاء الجنائي ، ويتدخل القضاء الجنائي الدولي المتمثل في المحكمة الجنائية الدولية ليمد ولايته إلى محاكمة ومقاضاة المتهمين بارتكاب تلك الجرائم .¹

ومن خلال ذلك الاستدلال فإن جميع هذه الحالات يتدخل القضاء الجنائي الدولي لمحاكمة مرتكبي الجرائم الأشد خطراً ، سواء كانت الدولة محل النزاع المسلح غير الدولي دولة طرفاً في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية أم لم تكن طرفاً فيه ، ذلك أن النظام الأساسي قد منح مجلس الأمن سلطة إحالة أي قضية للمحكمة الجنائية الدولية بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الخاص بالمحافظة على السلم والأمن الدوليين، إذا ارتكب أحد رعايا دولة ما جريمة أو أكثر من الجرائم المنصوص عليها في النظام الأساسي للمحكمة ، وذلك وفق المادة (13) من النظام الأساسي والمتعلقة بالاختصاص. حيث نصت على :

((للمحكمة أن تمارس اختصاصها فيما يتعلق بجريمة مشار إليها في المادة الخامسة وفقاً لأحكام هذا النظام الأساسي في الأحوال التالية :

(أ) : إذا أحالت دولة طرف إلى المدعي العام وفقاً للمادة (14) حالة يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من هذه الجرائم قد ارتكبت .
(ب) : إذا أحال مجلس الأمن متصرفاً بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ، حالة إلى المدعي العام يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من هذه الجرائم قد ارتكبت .

(ج) : إذا كان المدعي العام قد بدأ بمباشرة تحقيق فيما يتعلق بجريمة من هذه الجرائم وفقاً للمادة (15) .

لذا فإن الدولة التي يقع على إقليمها ارتكاب إحدى الجرائم المعدة الأشد خطراً، سواء أكانت طرفاً في النظام الأساسي أو لم تكن ، فإن عليها أن تلاحق مرتكبي تلك الجرائم ، و إلا تدخل القضاء الجنائي الدولي لملاحقتهم ومقاضاتهم إعمالاً لمبدأ التكامل .²
وفي جميع الحالات التي يتعارض فيها التشريع الوطني مع النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، والتي تُمكن مرتكبي هذه الجرائم من الإفلات من العقاب، تندرج تحت حالة تقاعس الدولة عن محاكمة مرتكبي هذه الجرائم ، وهي إحدى الحالات التي بتوافرها يتدخل القضاء الجنائي الدولي إعمالاً لمبدأ التكامل ليمد ولايته في نظر تلك الجرائم .

وإضافة إلى حالة التقاعس هذه يتدخل أيضاً القضاء الجنائي الدولي عند ثبوت عجز القضاء الوطني عن محاكمة هؤلاء المتهمين ، وهو ما يحدث عند انهيار النظام القضائي الوطني بسبب حجم النزاع الداخلي .

ونلاحظ مما تقدم نخلص إلى تحديد ركيزتين، بتوافر أحدهما يعمل بمبدأ التكامل الذي يتيح للقضاء الجنائي الدولي أن يمد ولايته لنظر هذه الجرائم، عوضاً عن صاحب الاختصاص الأصيل وهو القضاء الجنائي الوطني وهي :-

1. الأولى عند حدوث انهيار في مؤسسات السلطة القضائية .

2. الثاني عند رفض النظام القضائي الوطني أو إخفاقه في القيام بالتزاماته القانونية بالتحقيق ومحاكمة الأشخاص المشتبه في ارتكابهم الجرائم المنصوص عليها في المادة الخامسة من النظام الأساسي للمحكمة .

¹ مدوس فلاح الرشدي ، آلية تحديد الاختصاص وانعقاده في نظر الجرائم الدولية وفقاً لاتفاق روما لعام 1998: مجلس الأمن الدولي ، المحكمة الجنائية الدولية والمحاكم الوطنية، مجلة الحقوق، جامعة الكويت ، العدد الثاني - السنة السابعة والعشرون - يونيو 2003م ، ص 71.

ويلاحظ هنا أن الجهة التي ستحدد مدى قدرة أو عدم رغبة الدولة المعنية في إجراء التحقيقات أو مقاضاة المتهمين في ارتكاب الجرائم الدولية، هي المحكمة الجنائية الدولية.¹

مما تقدم تظهر هنا أهمية مبدأ التكامل في القضاء الجنائي الدولي، (بالرغم من أن دوره يعد احتياطياً للقضاء الجنائي الوطني، في حال نشوب نزاع مسلح غير دولي، ويرتكب خلاله جرائم خطيرة)، في كونه قد أوجد حداً لإفلات مرتكبي هذه الجرائم من العقاب، وتبرز هذه الأهمية بشكل خاص في حالة النزاع المسلح غير الدولي عنها في حالة النزاع المسلح الدولي، حيث أن هذا الأخير يوجد دائماً من يطالب بتعقب الجناة مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية، لأن الجناة في هذه الحالة هم أحانب عن المحني عليهم ويتبعون دولة أجنبية، أما في حالة النزاع المسلح غير الدولي، فإن الجناة ليسوا بأحانب عن المحني عليهم، وهم أبناء نفس البلد ويخضعون لحكومة واحدة ولنظام قضائي واحد، لذا فإن الحكومة غالباً ما تلجأ إلى تبرئة رجالها وجنودها، ولا تقوم بمقاضاتهم عند ارتكابهم الجرائم ضد الإنسانية أثناء مجاهتهم للطرف المنشق، هذا في حال افترض أن الحكومة هي طرف في النزاع المسلح غير الدولي الدائر داخل إقليمها، أما في حال قيام هذا النزاع بين جماعات أو ميليشيات دون أن تكون القوات الحكومية طرفاً فيه، فالغالب في هذه الحالة أن تكون الحكومة منهاراً وغير موجودة فعلياً، لذا فإن مقاضاة مرتكبي هذه الجرائم لن يوجد من يتولاها لاهتمام النظام القضائي والشرطي في أغلب الأحوال.

لذا فإن الحكومة في الحالة الأولى لن تتمكن من التغاضي عن محاكمة جنودها، بوجود قضاء جنائي دولي يعتنق العمل بمبدأ التكامل، ذلك أنها ستحرص على أن لا تفرط بجزء من سيادتها وهو ممارسة قضائها على إقليمها.

أما في الحالة الثانية فإن القضاء الوطني هو أساساً غير موجود فعلياً في غالب الأحوال، لذا فلولا وجود قضاء جنائي دولي يكمل عمل القضاء الجنائي الوطني لأفلت الجناة من دون عقاب، وهذا بدوره يهدد السلم والأمن الدوليين، ومما يشجع أيضاً على المزيد من ارتكاب الانتهاكات لحقوق الإنسان.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة واحدة من المشكلات الحقيقية المعقدة التي تواجه البلدان الإفريقية، وهي الحروب الأهلية في هذه القارة وفق الآليات القانونية الدولية في محاولة لفهم واقع هذه النزاعات والحروب

وعلى النقيض من الاعتقاد السائد، فإن الحروب الأهلية في البلدان الأفريقية لا ترجع إلى تنوعها العرقي والديني. وباستخدام نماذج تم تطويرها مؤخراً لانتشار الحروب الأهلية في 161 دولة في الفترة من 1960 إلى 1999، فإننا نستخلص الدروس فيما يتصل بأفريقيا على وجه الخصوص، فنبين أن الانتشار الأعلى نسبياً للحروب في أفريقيا لا يرجع إلى التفتت العرقي اللغوي في بلدانها، بل يرجع إلى مستويات الفقر المرتفعة، والمؤسسات السياسية الفاشلة، والاعتماد الاقتصادي على الموارد الطبيعية.

وعلى هذا الأساس فمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، و علاقة مبدأ التكامل في القضاء الجنائي الدولي بالنزاعات المسلحة غير الدولية وتأثيرها لرسم خارطة مستقبلية تتعلق بمستقبلها وآلية التعامل معها. وقد لاحظت الدراسة منذ البداية أن هذه النزاعات والحروب لها كلفة واقعية وكبيرة على واقع التنمية في هذه الدول بشكل خاص، وعلى مستقبل البلدان الإفريقية كوحدة كبرى تواجه

(1) عبد السلام الطيف، المحكمة الجنائية الدولية بين الإرادة والجبرية مصادرة للسيادة أم حماية للسيادة، مجلة دراسات قانونية، جامعة التحدي بسرت، العدد الثالث، 2008

العالم على الأقل أو يضعها العالم في موقع المواجهة. وقد حرصت الدراسة هنا على مراجعة بعض حالات النزاع في الدول الإفريقية حيث بيّنت أن وجود عدد كبير من الصراعات الداخلية يشمل ما يزيد عن نصف البلدان الإفريقية عدداً وعن ثلثي هذه الدول مساحة وسكاناً، تضمنت الدول الفقيرة اقتصادياً وذات المواقع الإستراتيجية، ولقد أظهرت أن هناك تبايناً في أسباب الصراعات والحروب الأهلية من دول إلى أخرى، وحاولت هنا ربط هذه الأسباب بما وضع من أفكار وآراء نظرية وعملية حولها. لذا تعاني البلدان الإفريقية بشكل كبير من الصراعات وأعمال العنف المسلح اللذين تسببهما العديد من الأسباب الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية. وترتبط معظم الصراعات، بالحدود والنزاعات الإقليمية والحروب الأهلية والصراعات الداخلية التي لها تداعيات دولية إلى جانب الصراعات السياسية، والأيدولوجية، والمطامع والنزاعات الانفصالية. وقد أدت هذه الصراعات إلى سقوط الكثير من الإصابات والوفيات البشرية، إلى جانب إرتفاع مستوى الأمية بين صفوف الكبار، كما سببت في حدوث موجات من اللجوء والتزوح الداخلي، والحسائر الزراعية واستنزاف للموارد الطبيعية.

من خلال هذه الدراسة نستخلص جملة من النتائج والتوصيات ولعل أبرزها فيما يلي:

النتائج :

- 1) تعدد الاجناس والاعراف واللغات والعقائد يؤدي لوجود تنافس فبغياب الوعي يتحول هذا التنافس إلى حروب أهلية.
- 2) عمق الانتماء القبلي والعرفي لدى سكان القارة أكثر من الانتماء الوطني.
- 3) فرض الدولة الحديثة بالقوة في إفريقيا التي نتجت عن عملية التحديث التي جرت في العصر الاستعماري لذلك نجد تعايش نظامان سياسيان في وقت واحد داخل الدولة.
- 4) عدم الاستقرار السياسي أو الانقلابات المتكررة التي تحدث أغلبها بسبب النعرات القبلية أو العرقية أو الأثنية التي ساعدت على الحروب الأهلية في القارة الإفريقية تعرض الأطفال والنساء لا بشع أنواع الاستغلال خلال الحروب الأهلية.
- 5) أن تكون الجماعات المتمردة على درجة كافية من التنظيم داخل صفوفها , فالأفراد الذين يعملون بشكل غير منظم أو منفرد من اجل القيام بأعمال عنف لا يعد نزاعاً مسلحاً غير دولي.
- 6) التنظيم الدولي للنزاعات المسلحة غير الدولية جاء محدوداً وقاصراً مقارنةً بالنزاعات المسلحة الدولية , وقد انعكس هذا القصور بشكل سلبي على الأحكام التي تنظم وسائل القتال وأساليبه , الأمر الذي قد يغيب بعض المبادئ الإنسانية خلال هذه النزاعات.
- 7) القواعد التي تحكم وسائل القتال وأساليبه أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية ومن ضمنها القواعد الخاصة بحظر بعض الأسلحة , هي قواعد قائمة من الناحية النظرية ولكنها بعيدة عن التطبيق الفعلي , بسبب افتقار هذه القواعد إلى الوسيلة الفعالة التي تلزم أطراف النزاع المسلح باحترامها وتطبيقها.

التوصيات :

- 1) العمل على إجراء تغييرات دستورية تسمح بالتنوع الإثني وتغير في النظم الانتخابية تسمح بتمثيل كل المجتمع بحيث تقضي على عدم الاستقرار السياسي.

- 2) القيام بإتباع سياسية اقتصادية رشيدة تحقق النمو والتقدم الاقتصادي لكي تحقيق الاستقرار والرفاهية الاجتماعية
- 3) السعي الى فرض الحظر على امداد السلاح والتسلح أو التعبئة العسكرية.
- 4) تدخل المجتمع الدولي وحل المشاكل عن طريق السبل الدبلوماسية أو الامم المتحدة.
- 5) التشديد على أطراف النزاعات المسلحة الداخلية , بضرورة مراعاة المبادئ الإنسانية باعتبارها قواعد قانونية ملزمة , والسعي قدر الإمكان على خلق التوازن بينها وبين الضرورة العسكرية بشكل يمكن من خلاله تحقيق أكبر قدر ممكن من الحماية الإنسانية لضحايا هذه النزاعات.
- 6) ضرورة إلزام أطراف النزاع المسلح باحترام المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني , لأنها تهدف إلى حماية حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة بصورة عامة , عن طريق بيانها لوسائل وأساليب القتال بما لا يتجاوز الضرورة العسكرية , وإقرارها أن للإنسان حرمة مصونة لا يجوز خرقها.

المراجع

أولاً : الكتب

1. أحمد إبراهيم محمود، الحروب الأهلية في افريقيا، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2001.
2. إسماعيل عبد الرحمن محمد ، الحماية الجنائية للمدنيين في زمن النزاعات المسلحة ، طبعة 2000م ، بدون دار النشر.
3. حسين حنفي عمر ، حق الشعوب في تقرير المصير وقيام الدولة الفلسطينية ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، 2005م.
4. حمدي عبدالرحمن، افريقيا وتحديات عصر الهيمنة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2007م.
5. حمدي عبد الرحمن، مشكلة جنوب السودان ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1999م.
6. سلمان قادم آدم فضل ، حق تقرير المصير طرح جديد لمبدأ قديم ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث لاستراتيجية، الطبعة الأولى 2002م.
7. عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، الفصل السابع والثلاثون ، بدون تاريخ ودار النشر .
8. محمود أبو العينين، الجدور التاريخية للمشكلات الإفريقية المعاصرة، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1996م.

ثانياً : الدوريات

1. أحمد الجبير، العلاقات العربية الافريقية، طرابلس، منشورات الجامعة المفتوحة، 1992م، ص206.
2. آدم بمبا، صراع الهوية في أفريقيا: التآرجح بين القبيلة، والدولة، مجلة قراءات افريقية، العدد (27)، مارس، 2016م.
3. خليل العناني، العوامل الداخلية لتآكل مؤسسة الدولة في إفريقيا، مجلة آفاق إفريقية، المجلد الثاني، العدد السادس ، يوليو، 2001م.
4. سعاد أبوسنية، الحروب الإفريقية في عصر العولمة: دراسة في الطبيعة والميكانيزمات، مجلة قراءات افريقية، العدد، 31 ، مارس 2017م.

5. سعيد ندا، ظاهرة الانقلابات العسكرية في إفريقيا: أسبابها، ومآلاتها، وكيفية التَّحكُّم فيها، مجلة قراءات أفريقية، القاهرة 2023.
6. عبد السلام الطيف، المحكمة الجنائية الدولية بين الإرادة والخيرية مصادرة للسيادة أم حماية للسيادة، مجلة دراسات قانونية، جامعة التحدي بسرت، العدد الثالث، 2008م.
7. عصام الدين حواس، الحكم الذاتي وحقوق السيادة وتقرير المصير، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد السادس والثلاثون، 1980م.
8. ليلي زروقي، التقرير السنوي للممثلة الخاصة للأمين العام المعنية بالأطفال والتراخ المسلح، 2014م.
9. محمد سمير ناجي، المحكمة الجنائية الدولية: المبادئ التي يقوم عليها نظامها الأساسي، المجلة الجنائية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، المجلد التاسع والأربعون، العدد الأول، مارس 2006م، بالقاهرة.
10. مدوس فلاح الرشيد، آلية تحديد الاختصاص وانعقاده في نظر الجرائم الدولية وفقاً لاتفاق روما لعام 1998: مجلس الأمن الدولي، المحكمة الجنائية الدولية والمحاكم الوطنية، مجلة الحقوق، جامعة الكويت، العدد الثاني - السنة السابعة والعشرون - يونيو 2003م.
11. نجم الدين محمد عبدالله السنوسي، دور الشعوب الإفريقية في تعزيز السلم والأمن، مجلة قراءات أفريقية، العدد 27، يناير، 2016م.

ثالثا: الأطروحات

1. رضاء جمعة عيسي قاسم، الحروب الأهلية وأثرها على التنمية، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2008م.
2. سمية بلعيد، التراخات الاثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها: جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجاً، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2010م.

رابعا: شبكة الإنترنت

1. راوية توفيق، مشكلة اللاجئين في إفريقيا، شبكة المعلومات الدولية، www.alukah.net.
2. محمد النادي، الأطفال الجنود في ظل القانون الدولي الإنساني، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، www.caus.org.lb/PDF.
3. بكري سور كتاب، ظاهرة الحروب الأهلية في إفريقيا أسبابها وعواملها، صحيفة أخبار السودان، 20 نوفمبر 2013 متاح على الرابط التالي: <https://www.alrakoba.net/421192>
4. موقع برج المراقبة الإلكتروني على شبكة المعلومات www.watchtower.org.

4. Dr Fonkem Achankeng , Conflict and conflict resolution in Africa Assistant Professor, the Department of Human Services and Educational Leadership at the

College of Education and Human Services, University of Wisconsin Oshkosh,
JULY 12, 2013 <https://www.accord.org.za/ajcr-issues/conflict-and-conflict-resolution-in-africa/>

5. Aremu, Johnson Olaosebikan , Conflicts in Africa: Meaning, Causes, Impact and Solution , Department of History and International ,Studies, University of Ado- Ekiti, Ado- Ekiti, Nigeria, 17, October, 2010

6. James D. Fearon, Civil War & the Current International System, Source: American Academy of Arts and Sciences,2017, https://www.amacad.org/sites/default/files/publication/downloads/Fa17_Daedalus_03_Fearon.pdf

7. <http://casebook.icrc.org/law/implementation-mechanisms>

8. <https://academic.oup.com/book/57998/chapter/477149273>

التأثير الأمريكي الفاعل في الحراك النقابي بالبلاد التونسية والمسيرة نحو الإستقلال

د. فتحية الرحالي/ أستاذ العلوم السياسية/ كلية الحقوق و العلوم السياسية بتونس

المستخلص:

مثل موضوع إستقلال المستعمرات الإفريقية وحتى الآسيوية مركز إهتمام القوى المتنافسة وخاصةً منها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي، حيث كانت هناك إختلافات في الرؤى وتحركات على كل المستويات. إذ عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إتخاذ موقف تجاه المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا مختلفةً بذلك مع فرنسا ومُستندةً خاصةً إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها.

وهو ما أعطى لهذه المسألة بُعداً هاماً في مجال العلاقات الدولية وشكّل هاجساً للبحث والتفكير وإعادة قراءة تطورات هذه المرحلة وتفحص أبعادها الدولية والسياسية ومتابعة مُستجداتها، وذلك من خلال محاولة الكشف خاصةً عن الدور "الحاسم" الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في مُساندة حركات التحرر منذُ تراجع دور القوى السياسية الإستعمارية التقليدية في مُختلف مُستعمراتها وخاصةً في منطقة شمال إفريقيا التي عرفت تراجعاً كبيراً في المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المستعمرات الإفريقية، حركات التحرر، القوى السياسية الاستعمارية.

Abstract:

The issue of the independence of African and even Asian colonies was the focus of the competing powers, especially France, Britain, the United States of America and the Soviet Union, where there were differences in visions and movements at all levels. The United States of America took a position towards the French colonies in North Africa, differing in this with France and relying in particular on the right of peoples to self-determination.

This gave this issue an important dimension in the field of international relations and formed an obsession for research, thinking, and re-reading the developments of this stage, examining its international and political dimensions, and following up on its developments, through an attempt to reveal, in particular, the "decisive" role played by the United States of America in supporting liberation movements since the decline of the role of traditional colonial political powers in its various colonies, especially in the North African region, which witnessed a significant decline in the political, economic, and social fields.

Keywords: African colonies, liberation movements, colonial political forces.

المقدمة:

تشكّل دراسة مسألة "التأثير الأمريكي الفاعل في الحراك النقابي بالبلاد التونسية والمسيرة نحو الإستقلال". بمختلف أبعاده موضوعاً حيويّاً من مواضيع العلاقات الدولية المعاصرة، وحلقةً هامّةً في دراسة مسألة العلاقات الأمريكية - التونسية بصفة خاصةً وي طرح

موضوع دراستنا هذه أساساً خصوصية المسار التحرري الذي توخّته الحركة الوطنية التونسية في إستراتيجية مقاومتها للإستعمار الفرنسي، وكيفية إدراجها مطلب الإستقلال وما إقتضاه ذلك من تعديلٍ بفعل تحولات الطّرف الدّاخلي والخارجي وتأثيراته على ميزان القوى المتنازعة من جهة، وتمثّلات هذا المطلب لدى الفئات الإجماعية الأهلية زمن الحماية الفرنسية من جهة أخرى.

حيث شكّلت عملية التحرر من الإستعمار والنّضال من أجل الحُصُول على الإستقلال أكبر هاجسٍ للدّول التي خضعت للهيمنة الإستعمارية في ظلّ تطوّر النظام الدّولي الجديد مع نهاية الحرب العالمية الثّانية، والذي رححت فيه الكفّة خاصةً للولايات المتّحدة الأمريكية وحلفائها ممّا حوّل لها التدخّل في شؤون المُستعمرات ومعالجة قضايا تقرير المصير بالنّسبة للبلدان التي خضعت رداً من الزّمن تحت نير الإستعمار.

فجُلّ هذه التحوّلات التي عرفتها المنطقة منذ حُضوعها لحركة الإستعمار وتآزم أوضاعها إلى غاية تحقيقها للإستقلال التّام مع مطلع النّصف الثّاني من القرن العشرين جعلت منها موضوعاً ملفّتا للإنتباه منذُ إندلاع الصّراع العالمي من جديد في النّصف الأوّل من القرن العشرين. حيث أصبحت القواعد الإقتصادية والإجتماعية والسياسية متفاعلة مع ما كان يجري من أحداثٍ عبر العالم لكونها طرفاً هاماً فيها، الأمر الذي جعل النّصوص والكتابات التاريخية لهذه الحقبة تصبُّ كلّها في خانة إبراز الكفاح بمختلف أشكاله لمناهضة الإستعمار.

وقد ركّزنا الإهتمام على دراسة هذا الموضوع، من خلال سعينا إلى محاولة إدراك وفهم وتفهم مواقف جميع الأطراف المحليّة والدّولية من مسألة إستقلال المُستعمرات، وذلك من خلال تحليل وتفسير وتوضيح طبيعة العلاقات الأوروپية - الأمريكية في إطار محيطها الإقليمي "الأطلسي" الدّولي وتأثيرها في القضايا الدّولية، ومن خلال إعتداد التحليل المقارن بين سياستين في إطار علاقات متميزة ومتنافرة.

أولاً: ضبط المفاهيم الأساسية وتحديد إطار البحث:

1) تحديد المفاهيم:

تعدّدت الأدبيات القانونية والسياسية التي تناولت تعاريف جملة من المصطلحات والتي يُعتبر توضيحها ضرورياً لإستيفاء متطلّبات هذه الدراسة، إذ تُعتبر المفاهيم والمصطلحات التي إعتدناها في بحثنا مفاتيح لعملنا، نذكر منها:

مفهوم التحرر

نعني بالتحرر لغةً: "تحرر الشعب من الإستعمار أي تخلّص منه"¹. أمّا اصطلاحاً: "فهو ردّ الفعل النّضالي الوطني للشّعوب المُستعمرة ضدّ قوى الإستعمار، كما نعني به مختلف الجهود الرّامية إلى الحُصُول على الحُقوق السياسيّة أو المساواة"². ويمكن أن نفرّق بين مفهوم التحرر السياسي والذي نعني به: "تمكّن شعوب المُستعمرات من طرد الإستعمار الأوروپي العسكري المباشر من أراضيها وتحقيق الحرية السياسيّة لشعوبها"³، وهو أهمّ هدف ضحّت من أجله حركات التحرر من أجل إسترجاع الحرية والإستقلال وإخراج قُوات المُستعمر وبناء دولةٍ وطنيّة تحظى بالإعتراف الدّولي.

¹ JeanMichèle, Paul Cointe, Dictionnaire Historique de la France sous l'Occupation, Paris : Taillandier, 2000, p.486.

² Michel Mourre, Dictionnaire de l'histoire, Paris : éditions Gilbert la brune, 1981, p. 668.

³ أحمد رهدان، الإستعمار المنتشر "نحو نظرية معرفة لفهم زمن مابعد الإستعمار في الإستغراب"، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، 2018، ص.28.

أما التحرر الشامل فهو "دعم الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي بحيث تُشرف الدولة وتحكم في جميع ثرواتها الاقتصادية مما يعطيها الحرية والسيادة التامة في مواقفها واختياراتها الداخلية والخارجية"¹. وهكذا نتبين أن مفهوم التحرر هو مفهوم شاملٌ يعنى به التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي والديني، وهو يُعتبر من أهم المكاسب التي سعت إلى تحقيقها حركات التحرر طيلة فترة كفاحها ضد المستعمر.

حركات التحرر: "رد الفعل الوطني من شعوب المستعمرات ضد السيطرة الأجنبية المفروضة بطريقة مباشرة أو بواسطة عملية مرتبطة بالاستعمار"². فهي عبارة عن رفض شعبي للإستعمار بمختلف أشكاله وضد الأنظمة الرجعية المحلية، وتتمثل حركات التحرر في المقاومة الشعبية أو السياسية أو الحرب المسلحة. وقد تطور مفهوم حركات التحرر الوطني بتطور الكفاح الذي تقوده الشعوب عبر مختلف المراحل من أجل الاستقلال. وانسجم هذا المفهوم مع الظروف التي تطرأ على المجتمع وتطور الأهداف التي تعمل على تحقيقها.

ووصفت حركات التحرر بأنها حركات تستند إلى حق الشعب في إستعادة إقليمه وتسمد كيانه من تأييد الجماهير الغاضبة على الإحتلال الأجنبي. كما يمكن أن نذكر تعريفات أخرى لحركات التحرر الوطني "فهي تنظيمات جماهيرية تضم تيارات فكرية سياسية وعسكرية واجتماعية تمارس الكفاح السياسي العسكري بهدف تحرير الأراضي المحتلة وإعادة السيادة والاستقلال..."³.

وتتميز حركات التحرر بالوعي القومي الوطني والسياسي، والديني وتستند في قواعدها الأساسية على الجماهير الشعبية وتسعى إلى تحقيق الاستقلال وإستعادة السيادة، وهي تسعى كذلك إلى تحقيق أهداف ذات أبعاد قومية ووطنية. وتتميز أيضاً باعتمادها على الكفاح المسلح أو السياسي أو كليهما والعزم والإصرار على مواصلة الكفاح.

وهكذا، تمثل حركات التحرر من الإستعمار ظاهرة جديرة بالدراسة نظراً لدورها البارز في طرد القوات الإستعمارية وتحرير تراب الوطن بفضل التضحيات الجمة في الأرواح والأموال، "وتمثل حركات التحرر الوطني الأداة أو الوسيلة التي تُعبّر عن إرادة الشعوب ورغبتها في تقرير مصيرها ضد الوجود الإستعماري الذي يعمل دائماً على فرض المزيد من الهيمنة"⁴.

فمنذ ظهور حركة الإستعمار في العالم برزت حركة المقاومة ضده مستخدمة وسائل الدفاع من أجل إهاء نفوذه المباشر وغير المباشر على مختلف جوانب الحياة، كالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهدف هذه الحركات هو تحقيق آمالها في الإنعتاق من الهيمنة الإستعمارية. وقد إنطلقت هذه الموجات من التحرر خلال الفترة المتراوحة من 1945 إلى 1965 في قارتي إفريقيا وآسيا. وقد مكنتها الظروف المُنبتقة عن الحرب العالمية الثانية من إنطلاقة جديدة، ساعدت الأغلبية الساحقة من الشعوب المستعمرة على الفوز بالاستقلال.

¹ عمر يحيى أحمد، استراتيجيات الصراع الدولي في منطقة القرن الإفريقي، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2015، ص5.

² تحليل أحمد خليل، معجم المصطلحات السياسية و الدبلوماسية، بيروت: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1999، ص19.

³ حسام الدين جاد الرب، معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص180.

⁴ محمد إسماعيل الطوير، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث، طرابلس: دار النشر، 1997، ص7.

"وقد اعتمدت هذه الحركات طُرُقًا نضاليّةً مُتنوّعة منها ما كان يُقوم على تعبئة الجماهير عن طريق الصحافة والدعاية الحزبيّة للضغط على المُستعمر ومنها من اتخذ النضال المسلّح كوسيلةٍ للتحرير الوطني"¹. ويُمكن أن نذكر "الحركة التحرّريّة بالجزائر: كنموذج للمقاومة المسلّحة"².

ففي بداية شهر نوفمبر 1954 إنطلق العمل المسلّح في الجزائر بتنفيذ عدّة عمليّات مسلّحة في منطقة القبائل ثم أخذ يتوسّع تدريجيّاً حتى شمل كامل التراب الجزائري سنة 1955، وبالرغم من الإجراءات التي إتخذتها سلطات الاحتلال من أجل الحفاظ على وجودها بالجزائر فإنّ الكفاح المسلّح لم يزد إلاّ شدّة، وتمكّنت "جبهة التحرير" من تحقيق إنتصارات كبيرة تمثّلت في إلحاق "أضرارٍ جسيمةٍ بقوات المُستعمر ومُنشآته الإقتصاديّة والإداريّة، وهكذا دخل الشعب الجزائري في حرب تحرّريّة ضدّ فرنسا إنتهت بإعتراف هذه الأخيرة بإستقلال البلاد سنة 1962 بعد أن كلفت الجزائريين مليون نسمة من الشهداء"³.

كذلك يُمكن أن نذكر نماذج أخرى من الحركات التحرّريّة التي تبنت الأسلوب المسلّح، فمنها بآسيا الحركة الفيتناميّة، والحركة الأنغوليّة بإفريقيا. ففي الفيتنام، تزعم "هوشي منه" الحركة الوطنيّة التي ألحقت خسائر بالقوات الفرنسيّة أثناء معركة ديان بيان فو سنة 1954، ممّا جعل القوّات الأمريكيّة تتدخل للحدّ من إنتشار المدّ الشيوعي. وبالرغم من الخسائر البشريّة التي لحقت بالفيتناميين، فإنهم أرغموا الولايات المتّحدة الأمريكيّة على الإنسحاب والإعتراف بوحدة الفيتنام وإستقلاله سنة 1975. أمّا في أنغولا، فتكوّنت فيها أحزابٌ سياسيّة بعد إعلان الإستعمار البرتغالي سنة 1951 بأنّ أنغولا مقاطعة برتغاليّة، وتركز كلّ حزب في مجال جغرافي، وركز هُجوماته على القوّات البرتغاليّة خاصّة سنة 1966، وإستغلّت الحركة الأنغوليّة ثورة القرنفل التي عرفتها البرتغال سنة 1974، فوقّعت مع الحكومة الجديدة إتفاق "الفور" الذي إعترف بإستقلال أنغولا.

مفهوم الإستعمار :

لغةً: لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ مفهوم الإستعمار في دلالاته اللغويّة الحقيقيّة يختلف عن مفهومه السياسيّ الفعليّ : "فتأني الأولى بمعنى التعمير والإعمار ثمّ الثّانية بمعنى التخريب والإستنزاف"⁴. ويُشير مفهوم الإستعمار في المنظور الأوروبي إلى عمليّة البناء والتعمير. وأنّ هدف هذه الحركة الإستعماريّة هو نشر قيم الحضارة والإنسانيّة، ولكن في الحقيقة "هي حركة إستعماريّة توسّعيّة تسعى إلى عمليّة الهدم لا البناء والإصلاح وإستغلال الشعوب الضّعيفة ومُحاولة إستغلالها والسيطرة عليها"⁵.

¹ نفس المرجع، ص 13.

² علي محمد محمد الصلابي، موسوعة كفاح الشعوب، "كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالميّة الأولى وسيرة الأمير عبد القادر" بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، 2015، ص 272-317.

³ قلمزيد من التفاصيل حول المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، أنظر، عمار حمدان، حقيقة غز الجزائر، الجزء الثالث، احتلال مدينة الجزائر، ترجمة لحسن زغدار، الجزائر : منشورات نالة، 2007، ص 191-277.

⁴ حسام الدين جاد الرب، معجم المصطلحات السياسيّة...، سبق ذكره، ص 72.

⁵ نفس المرجع .

إصطلاحاً: أما مفهوم الإستعمار إصطلاحاً فعني به سيطرة دولة ما على دولة ضعيفة عن طريق القوّة والعنف "فالإستعمار هو العمليّة التي تكتسب بها دولة السّيّطرة على دولة أخرى من خلال وسائل مباشرة، أو غير مباشرة، سياسيّة أو عسكريّة أو إقتصاديّة...¹. وهو ما يُمكن أن نفسّره "بالتوسّع المجالي بواسطة الإحتلال التّرابي، والسّيّطرة السّيّاسيّة والإداريّة عن طريق الإحتلال التّرابي، وتوطيق المُعمّرين بهدف الإستغلال الإقتصادي في مُجتمع التّمييز والهيمنة"².

أما أنواع الإستعمار فنجد الإستعمار التّقليدي: وهو مُصطلح سياسي "يتمثّل في نمط الإستعمار المُباشر الذي يعتمد الحملات العسكريّة المُباشرة والحكم المُباشر. وهذا النمط من الإستعمار قائم بالأساس على أساليب الإخضاع الشّامل باستخدام القوّة والحملات العسكريّة لتحقيق الهيمنة النّامة ونهب ثروات وموارد المُستعمرات واستغلال شعوبها إستغلالاً مُباشراً"³. وقد نشطت الحركة الإستعماريّة في الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر مع نُضج الثّورة الصّناعيّة، وتزايدت الحاجة إلى الأسواق لتصرف فوائض الإنتاج الصّناعي واستثمار رؤوس الأموال المُتراكمّة.

"وقد اعتبرت القوّة العظمى الأوروبيّة في عصر إقتسام العالم أنّ الإستعمار هو أُنجع وسيلة لحجز المجالات والإستفادة منها"⁴. وقد عرفت أوروبا بين 1873 و1895 مرحلة "الكساد الكبير" فاحتدّ التنافس بين القوّة الأوروبيّة من أجل الإستحواذ على المُستعمرات، ومناطق النّفوذ. "وإزداد هذا الصّراع حدّة مع بروز قوّة جديدة في أواخر القرن التاسع عشر، طالبت بنصيبها من المُستعمرات، وإعادة تقسيم العالم، وهي أساساً ألمانيا وإيطاليا"⁵.

ويُمكن أن نُميّز هنا بين عدّة حركات إستعماريّة، حيث نجد إستعمارا بدون إمبرياليّة. مثال إحتلال فرنسا للجزائر. وإمبرياليّة بدون إستعمار، مثال الهيمنة الأوروبيّة على الإمبراطوريّة العُثمانيّة. كما يُمكن أن تظهر الإمبرياليّة إثر الإستعمار مثال الإستعمار الفرنسي للمغرب الأقصى. ونعني بالإمبرياليّة "الهيمنة الإقتصاديّة والثّقافيّة التي تعبّر عن بلوغ الإقتصاد الرّأسمالي مرحلة الإستقطاب المالي الإحتكاري..."⁶.

يُفسّر هذا السّلوك الإمبريالي في إطار تطوّر آليات النّظام الرّأسمالي. إذ تُلخّصُ عبارة لِنين الشّهيرة: "بأنّ الإمبرياليّة أعلى مراحل الرّأسماليّة، أو التّطوّر المنطقي لِنمو الرّأسماليّة"⁷.

ويُمكن أن يُفسّر أيضاً بطبيعة القوّة الأوروبيّة الإستعماريّة وتكالبها على فتح أسواق جديدة لترويج منتوجاتها، أمام تراجع وضعف بلدان منطقة المغرب العربي، بما في ذلك البلاد التّونسيّة. حيث أصبحت هذه القوّة تتدخّل بقوّة في الشّؤون الدّوليّة، وتقرّر مصير الدّول المُستعمرة حسب مصالحها وأهوائها.

¹ Robert -D- Cantor, Contemporary international Politics, Jordan Book center, 1989, p. 518.

² يحيى الغول، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنيّة ودولة الاستقلال "جلدو والحماية الفرنسيّة"، الجزء الثالث، تونس: مركز الدّراسات والبحوث الإقتصاديّة والاجتماعيّة، 2007، ص7.

³ نفس المرجع، ص10.

⁴ فرانسوا جورجلديفوسور ولائماركسوريمونوادوفان، موسوعة تاريخ أوروبا والعالم : أوروبا من عام 1789 حتى أيامنا، ترجمة حسين حيدر، مراجعة أنطوان الهاشم، بيروت، باريس : منشورات عويدات، الطبعّة الأولى، 1995، ص111..

⁵ نفس المرجع، ص159.

⁶ éditions du Progrès, 1988. p4. : Vladimir Lénine, L'impérialisme stade suprême du capitalisme, Moscou

Idem, p 5. ⁷

وهكذا فالإستعمار كما ذكر: "كوامي أنكروما": "هو السياسة التي بها تضمُّ الدولة الاستعمارية مُستعمراتٍ إلى نفسها، وتُقيدها بقيودٍ سياسيّةٍ من أجل غرضٍ أساسي هو تحقيق مصالح ومآرب اقتصادية. فالاستعمار لا يُعرفُ قانوناً فوقَ مصالحه وأطماعه الذاتيّة..."¹. ولهذا "فالاستعمار هو السياسة التي بها تُوثقُ وتُقيدُ الدولة "الأم" ذات القوّة الإستعماريّة مُستعمراتها، وتربطها إلى نفسها بروابطٍ سياسيّةٍ من أجل تحقيق غرضٍ جوهري هو ترقية مصالحها الاقتصاديّة الخاصّة. فنظامٌ كهذا يعتمدُ على الفرص التي تُقدّمها مصادر الثروة الطبيعيّة للمُستعمرات، وطُرق إستغلالها التي تُملئها الأغراض الاقتصاديّة الغالبة للدولة الإستعماريّة..."².

– مفهوم الإستعمار الجديد : (المقنع) :

تُشيرُ العديد من التعريفات إلى أنّ "مفهوم الإستعمار الجديد لا يخرجُ عن كونه التّحكّم الذي تُمارسه بعضُ الدُول الكبرى بوسائلها الخاصّة وغير المباشرة، سياسياً وإقتصاديّاً وعسكريّاً ومذهبيّاً، على تلك المجموعة من الدُول التي يُساعد تخلفها الإقتصادي وعدم إستقرارها السياسي وضعفها العسكري على تحقيق النّتائج المرجوّة من وراء هذا التّحكّم الإستعماري"³.

وهو مُصطلح سياسي "يتمثّل في نمطٍ إستعماريّ حديثٍ ظهر بعد الحرب العالميّة الثانيّة ويتمثّل في هيمنة الدُول الكبرى على الدُول الضعيفة إقتصاديّاً وثقافياً من خلال هيمنتها على المواد الأولية والمواد المُصنّعة بواسطة الشركات عبر القُطريّة وهيمنتها على التّكنولوجيا والنّظام الإقتصادي العالمي ووسائل الإعلام. ويُعرفُ هذا الإستعمار "بالإستعمار المقنع أو المُنتشر"⁴.

ظهر هذا النمط الجديد نتيجة تزايد وعي شعوب المُستعمرات وموجة حركات التحرّر في النّصف الثاني من القرن العشرين "إذ عمدت الدُول الاستعمارية إلى إخفاء تغلغلها بأقنعة جديدة منها الاتفاقيات السياسيّة والاقتصاديّة أو الثقافيّة والتغلغل باستخدام المُساعدات الإنسانيّة وعن طريق وسائل الإعلام"⁵. فمن الأدوات الرئيسيّة التي ركز عليها الاستعمار الجديد وصولاً إلى أهدافه اعتماد سياسة:

– "التوسّع في إقامة الأحلاف العسكريّة : وكان ذلك واضحاً بقوّة في فترة الخمسينات التي شهدت صراعاً عنيفاً في آسيا وإفريقيا لإنهاء السّيطة الإستعماريّة.

– إذكاء حدّة الخلافات التي يُمكنُ أن تنشُب بين الدُول حديثة العهد بالإستقلال بمُختلف تناقضات المصالح فيما بينها، وتحريك أسباب الصّراع الطّائفي والعنصري على المُستويين المحليّ والخارجي.

¹كوامي انكروما عبدالعزيز عتيق نحو تحرير المُستعمرات إفريقيا في كنفها ضدّ الاستعمار، ترجمة عبدالعزيز عتيق، بيروت: دار المعارف، 1958، ص31.

²نفسا المرجع، ص49.

³إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسيّة الدوليّة، دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة: المكتبة الأكاديميّة، 1991، ص581.

⁴أحمد هدار، الإستعمار مُنتشر...، سبق ذكره، ص38.

⁵أحمد سويلم العمري، معجم العلوم السياسيّة المسير، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1985، ص19.

– اعتماد المساعدات الاقتصادية الضخمة ومن بينها القروض والمساعدات المالية سواء قُدمت بموجب إتفاقيات جماعية أو ترتيبات ثنائية¹. ويمكن هنا الحديث عن الغزو الأمريكي للعالم وذلك باعتماد طُرُق وأساليب جديدة تختلف عن مفهوم الإستعمار التقليدي الأوروبي. ونذكرُ أمثلةً عن ذلك كالتدخل الأمريكي في الصومال وغزو العراق وغيرها من البلدان الأخرى.

ثانياً: آليات الضبط المنهجي:

وتشملُ هذه الآليات المنهجية المعتمدة (1)، إشكالية الدراسة (2)، والخطة المعتمدة (3).

1 (المنهجية المعتمدة:

إن مقتضيات الإحاطة بالجوانب المختلفة للموضوع محلّ الدراسة تتطلبُ منا بالأساس الإعتماد ليس فقط على منهج واحد، ولكن على عدة مناهج في إطار ما يُعرف "بالتكامل أو التركيب المنهجي". "إذ يُعدُّ المنهج خطوة أساسية في جميع العلوم المعروفة من قبل الإنسان، فهو السبيل الذي يوصل الباحث أو المفكر إلى الحقيقة... والمنهج هو العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها أي علم من العلوم بلوغ الحقائق مع إمكانية تباينها والتأكد من صحتها"².

ومن هذا المنطلق سيتمُّ الإستعانة بعدة مناهج أكاديمية. وهي مناهج تُستخدمُ عادة في العلوم السياسية، وعلى رأسها المنهج التاريخي التحليلي: "إذ يُعدُّ المنهج التاريخي **Approach Historical** من أوائل المناهج التي إتّبع في دراسة العلاقات الدولية..."³.

– المنهج التاريخي التحليلي:

– المنهج التحليل القانوني :

– المنهج المُقارن:

2 (إشكالية الدراسة:

يعنى هذا البحث بدراسة تاريخ العلاقات الدولية المرتبطة أساساً بمسألة إستقلال البلاد التونسية، ويهتمُّ بدور الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الحركة الوطنية التونسية في كفاحها خلال الفترة الإستعمارية من أجل تحقيق الحكم الوطني وإستمرار الدعم بعد نيل الإستقلال وقيام الجمهورية.

ففي هذه الفترة برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية، وأصبحت تُولي إهتماماً كبيراً بشؤون المستعمرات وذلك في ظلّ تغيير الظرفية العالمية. إذ هيمنت الولايات المتحدة الأمريكية على مجال السياسة العالمية، بعد أن ظهر تفوقها الإقتصادي والسياسي والعسكري والديبلوماسي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد عزز ذلك مكانتها بين الدول، وزاد من نفوذها العالمي. وأصبحت بذلك قوة فاعلة ومؤثرة في مسار العلاقات الدولية المعاصرة. وفي ظلّ هذا الظرف الذي تميّز بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية لحركات التحرر في العالم، سعى قادة الحركة الوطنية التونسية

¹اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية...، سبق ذكره، ص58..

²تودريك معنوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت: اكاديبيا، 2001، ص230-231.

³محمد علي العويبي، العلوم السياسية دراسة في الأصول والنظريات والتطبيق، القاهرة : عالم الكتب، الطبعة الاولى، 1988، ص235.

للمراهنة والتأكيد على الدور الذي يُمكن أن تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في مُساندة مسار الحركة الوطنية التُّونسيّة نحو التحرر، ونيل الإستقلال.

حيث تولّت الولايات المتحدة الأمريكية قيادة النّظام الليبرالي العالمي وتزعّمت كتلة العالم الرأسمالي والحلف الأطلسي ممّا أعطاهما دوراً ريادياً. وأثرت بصورة فاعلة وبكيفية كبيرة في تاريخ ومجرى العلاقات الدّوليّة. وقد جاء إهتمامها بشؤون المُستعمرات بشمال إفريقيا بغاية تحقيق التّوازن على المُستوى الدّولي ضدّ الكتلة الشّرقيّة برعاية الإتحاد السّوفياتي والإهتمام بمصالحها الإقتصاديّة والسّياسيّة ضمن صراع القطبين الرأسمالي من جهة والإشتراكي من جهة ثانية.

فقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً فاعلاً في مُساندة ودعم مسار تحرر العديد من الشّعوب الإفريقيّة التي كانت تحت وطأة الإستعمار الأوروبي، مُعتمدةً بذلك على إعلان مبادئ الرئيس ولسن التي أيدت حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها، هذه المبادئ التي ساعدت حركات التحرر على المطالبة بالإستقلال وتحقيق الحُكم الدّاني.

وستنطرق في دراستنا هذه لهذا الدور "الهام" الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في مُساندة مسار تحرر المُستعمرات الأوروپيّة بشمال إفريقيا، خاصّة البلاد التُّونسيّة حيث كان هناك الكثير من التّساؤلات التي ظلّت مطروحة بشأن دور الولايات المتحدة الأمريكية في دعم حركات التحرر الوطني. وفي هذا السياق، سنُحاول رصد الحُطوط النّاطمة لعلاقة الولايات المتحدة الأمريكية بمسار حركة التحرر بالبلاد التُّونسيّة حيث شكّل العمل النّقابي إحدى أشكال النّضال الوطني التُّونسي في مواجهة الإستعمار الفرنسي بالبلاد التُّونسيّة، حيث شهدت الحركة النّقابية تطورات هامة وتنوع في مطالبها، وخاصةً مطلب الإستقلال الذي مثّل أهم أهداف هذه الحركة . وهو ما سنتطرق إليه أولاً: تطورات الحركة العماليّة النّقابية خطوة نحو التّقدم. ثم نتيجة للتطورات العالميّة، شهدت الحركة النّقابية بعض التّغيرات حيث تمّ الإنسلاخ عن النّقابات الفرنسيّة نتيجة لتواصل سياسة فرنسا التعسّفية والإنضمام إلى النّقابات الأمريكيّة، ولا سيما منها منظمة السيزل الأمريكيّة . وهو ما مثل محور إهتمامنا. ثانياً: مساندة السيزل للاتحاد العام التونسي للشغل والمطالبة بالإستقلال - تطورات الحركة العماليّة النّقابية خطوة نحو التّقدم:

1) لمحة عن جذور نشأة الحركة النّقابية التُّونسيّة:

مثّلت الحركة النّقابية التُّونسيّة منذُ نشأتها في العشرينات من القرن العشرين رافداً أساسياً من روافد الحركة الشّعبيّة والاجتماعية. فمُنذُ أن أسس "مُحمّد علي الحامي" وثُلّة من رفاقه جامعة عموم العملة التُّونسيّة سنة 1924 اعتبرت هذه الحركة النّقابية الوطنية التجربة الأولى على صعيد المُستعمرات في شمال إفريقيا. إذ نجحت في إيجاد تنظيم عمالي مستقل عن التّنظيمات النّقابية الأجنبيّة وخاصةً منها الفرنسيّة.

وهو ما اعتبر في حد ذاته حدثاً مبكراً في تاريخ العمل النّقابي الحر، وتجددت الفكرة بإنشاء أول تنظيم عمالي حمل اسم "جامعة عموم العملة التُّونسيّة" سنة 1924 في فترة عرفت فيها البلاد التُّونسيّة ظروف صعبة في جل المجالات غداة الحرب العالميّة الأولى، فعلى المُستوى الإقتصادي تعطل الإنتاج الزراعي وتدهورت مستويات محاصيله إلى أسوأ درجة لم تعرفها تونس منذ أكثر من خمسين سنة.

وقد وصفت المركزية النقابية الوضع في البلاد في نداء للضمير العالمي في سنة 1951 بهذه العبارات: "أن تونس تمر اليوم بمنعرج حاسم في نضالها... فهي تسير في طريق النجاة بعد أن صنعت أدوات تحررها السياسي والاجتماعي. قد كانت المنظمة النقابية الوطنية المستقلة والاصيلة في طليعة هذا العمل التحرري الذي حاضه الشعب التونسي بأكمله وفي مقدمته ترفع الطبقة العمالية المنظمة والواعية راية النضال من أجل الرقي الاجتماعي والحرية في ظل العيش الكريم..."¹.

فقد حرصت هذه المنظمة على الربط في نضالها النقابي بين البُعدين الاجتماعي والوطني المناهض للاستعمار. وكذلك الشأن بالنسبة لجامعة عموم العملة التونسية في نسختها الثانية التي أعاد تأسيسها "بلفاسم القناوي" وثلة من رفاقه في ثلاثينات القرن العشرين. وقد أكد ذلك "فرحات حشاد" مجدداً عندما أقدم سنة 1946 على تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل.

وقد كانت لهذه المنظمة الشغيلة مكائنها البارزة سواء كان ذلك على المستوى المحلي أو العالمي. إذ لعب "فرحات حشاد" دوراً هاماً إلى جانب الحبيب بورقيبة في دفع حركة النضال الوطني، والتأكيد بالسياسة الفرنسية في الدّاخل والخارج.

"وقد جمع حشاد بين النضال النقابي الاجتماعي، وبين النضال السياسي الوطني. وكان حشاد واعياً شديد الوعي بأن تحرر الطبقة العاملة، لا يمكن أن يحدث في ظلّ نظام استعماري رأسمالي. لذلك حرص على توجيه النضالات العمالية وجهتها الوطنية التحررية. وهو ما جلب له المضايقات، وتحجير السفر والمراقبة ثمّ الاغتيال يوم 5 ديسمبر 1952"².

ففي هذا الظرف تظاهر العمل السياسي مع العمل النقابي في مواجهة الحركة الاستعمارية الفرنسية. إذ حظي موقف الحزب الدستوري الجديد المؤيد للسياسة الأمريكية بالقبول من طرف المنظمات القومية التونسية، وخاصة من طرف الاتحاد العام التونسي للشغل.

هذه المنظمة ذات الإشعاع البارز على مستوى الحركة الوطنية، إذ قال الزعيم الحبيب بورقيبة في خطابه أمام إطلاقات الاتحاد العام التونسي للشغل بتاريخ 12 جوان 1955: "إنني أشعر بالسرور والبهجة كلما عقدت اجتماعاً في مقرّ الاتحاد العام التونسي للشغل. وفي كلّ اجتماع عقدته كنتُ حريصاً على إقناعكم بأهمية التضامن القومي، وتحذيركم من انفصال الحركة النقابية عن الحركة الوطنية، والأمثلة الواضحة وعبر التاريخ تؤكد لنا أنّ تباعدهما يؤدي إلى فشلها معاً. وتضامنهم يحقق لهما النصر في الكفاح الذي يضطلعان به، وهو رهن ثباتهما لضربات الاستعمار والاحتفاظ بكليهما... فالحركة النقابية التونسية كافحت عشرات السنين في نطاق الاتحاد أو الجامعة العامة للشغالين، أو حركة محمد علي كّي تبقى حيةً مثلما كافح حزب الأمة، وحاض معارك عديدة كان انتصاره فيها متمثلاً في بقائه حياً رغم الأعاصير والزواجع..."³. فقد أكد الزعيم الحبيب بورقيبة على ضرورة التلاحم والترابط بين الحركة النقابية والأحزاب في مواجهة العدو المشترك وهي فرنسا.

وهكذا، تبوّأت الحركة العمالية التونسية مكانة متميزة في ظل تطور نسق الحركة النضالية المعاصرة منذ سنة 1924 عندما أوجدت لنفسها مجالات هامة للمساهمة فيها وتوطيد النضال للنهوض بمختلف المجالات. فبدأت تهتم بالمجال الاجتماعي ثم انتقلت إلى المجال

¹ عبد السلام بن حميدة، الحركة الوطنية النقابية الشغيلة بتونس، 1924-1956، ترجمة جمعية الجزء الثاني، تونس: نشر دار محمد علي الحامي، الطبعة الأولى، 1984، ص.65.

² عبد الواحد المكّي، فرحات حشاد المؤسس الشاهد - القائد الشهيد، تقدم حسين العباسي، تونس: دار صامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012، ص.7.

³ تاريخ الحركة الوطنية التونسية، وثائق 15، الحزب الدستوري الجديد يواجه المحنة الثالثة من 1952 إلى 1956، تاريخ الاستقلال، خطاب المجاهد الأكبر أمام إطلاقات الاتحاد العام التونسي للشغل 12 جوان 1955، تونس: نشر وزارة الإعلام، المطبعة الرسمية، 1985، ص.50.

الاقتصادي وأخيرا وطدت وجودها في الحقل السياسي التونسي خدمة لمصالح العمال التونسيين مما جعلها الأداة والوسيلة التي ارتكزت عليها الحركة السياسية التونسية التجديدية في إثراء الحركة السياسية التونسية.

(2) إنسلاخ الإتحاد العام التونسي للشغل عن النقابات الفرنسية والإنضمام للسيريل "CISL":

تم الإعلان عن تأسيس منظمة السيريل "CISL" بلندن في 28 نوفمبر - 7 ديسمبر 1949 وقد أعلن في فاتحة قانونه الأساسي... حق جميع الشعوب في الاستقلال التام ومساندة الجهود الرامية إلى إيجاد الظروف الملائمة لتحقيق هذا الاختيار في أسرع وقت...¹. وقد اهتمت "الجمعية العالمية للنقابات الحرة" CISL بما يجري بتونس على المستوى النقابي منذ انبعاثها بلندن سنة 1949. "فكان أن أرسلت وفداً إلى تونس في نوفمبر من السنة الموالية، وأعلنت عن مساندة النضال التحرري بالبلاد التونسية"²، حتى حصلت على خروج الإتحاد العام التونسي للشغل من "الإتحاد النقابي العالمي" FSM. ففي 3 جوان 1950 قطعت الهيئة الإدارية للإتحاد العام علاقتها بالجامعة النقابية العمالية"³.

حيث "أن القطيعة مع الجامعة النقابية والانخراط ضمن السيريل يمثلان منعرجاً حاسماً في تاريخ الحركة النقابية الوطنية"⁴ مما أدى إلى انضمامه إليها في مارس 1951"⁵. وقد قرر النواب في المؤتمر الرابع للإتحاد العام الانخراط المبدئي ضمن السيريل و"ذلك بأغلبية 287 صوتاً مقابل 96 مع احتفاظ واحد برأيه. حيث يمثل هذا الانخراط بالنسبة للسيريل توجيهاً لناشطها الذي وجهته لمساعدة المستعمرة منذ نشأتها"⁶.

وفعلاً فإننا نجد الالتزام التالي في مقدمة قانونها الأساسي الصادر عن مؤتمرها التأسيسي المنعقد بلندن في 7 ديسمبر 1949 "أن الكنفيدرالية تعلن حق كل الشعوب في الاستقلال الوطني التام و الحق في تسيير شؤونهم بصورة مستقلة. كما أنها تساند كل الجهود المبذولة قصد توفير الظروف الضرورية للوصول إلى هذه الغاية في أقرب الآجال"⁷.

وفي نفس الوثيقة نجد أن السيريل "تعلن تضامنها مع كل العمال الذين حرمتهم أنظمة القهر من حقوقهم سواء بصفتهم عمال أو بصفتهم بشراً وتلتزم بدعمهم"⁸. "كما أننا نجد في قرارات هذه المنظمة "بأنه وقع الاتفاق على إعطاء أوسع تمثيلية للبلدان الصغيرة وللبلدان المتخلفة وللبلدان غير المستقلة . والاتفاق على أن تترك نقابات أوروبا وأمريكا الشمالية المجال لنقابات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية"⁹.

¹ أحمد خالد، الزعيم فرحات حشاد، الجزء الثاني، تونس: منشورات زخارف، 2007، ص114.

² فرحات عثمان، حفريات حول دور الحركة النقابية، بسبب سبق ذكره، ص10

³ عبدالسلام بن حميدة، الحركة الوطنية النقابية الشغيلة بتونس...، سبق ذكره، ص119.

⁴ نفس المرجع، ص127.

⁵ فرحات عثمان، حفريات...، سبق ذكره، ص10

⁶ عبدالسلام بن حميدة، الحركة...، سبق ذكره، ص65.

⁷ نفس المرجع.

⁸ نفس المرجع.

⁹ نفس المرجع، ص128.

"وقد اتصلت السيزل بقيادة الاتحاد العام منذ الأشهر الأولى بعد نشأتها. ووقع الاتصال الأول بمناسبة الندوة التي نظمها ممثلوها بباريس مع ممثلي البلدان المستعمرة من طرف فرنسا كجزائر المغرب ومدغشقر وتونس. وكان ذلك في 28 سبتمبر 1950. وفي هذه الندوة طلب النوري البودالي ممثل الاتحاد العام توضيحات تخص موقف السيزل من البلاد المستعمرة وخاصة الموقف من نقابته وتحدث عما كان بين الجامعة النقابية العمالية والحركة النقابية التونسية من خلافات..."¹، وفي منتصف نوفمبر 1950 قدمت إلى تونس لجنة من السيزل يقودها الأمريكي إيفين بروان ممثل الجامعة الأمريكية للشغل في أوروبا وكان هدف هذه اللجنة التحقيق حول الوضع الاجتماعي والنقابي بتونس ثم بالجزائر ثم بالمغرب. وتواصلت المحادثات بين المنظمين إلى 15 فيفري 1951 عندما توجه فرحات حشاد إلى بروكسيل مستجيباً لدعوة الكاتب العام للسيزل بمناسبة اجتماع اللجنة المتفرعة عن الهيئة التنفيذية. وقد تم الشعور والارتياح جراء هذه المحادثات والمناقشات وقد ذكر "بأن الجامعة النقابية الحرة تحترم وتؤيد الحركة الوطنية مثل احترامها وتأييدها للكفاح في سبيل الرقي الاجتماعي، كما أنها تهتم اهتماماً متزايداً بمصير الشعوب الموالي عليها"².

و بناءً على هذه التصريحات أكد فرحات حشاد على ضرورة الاتصال بالقوات الغربية ولاسيما منها الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة الوحيدة القادرة على الضغط على حليفها فرنسا حيث صرح قائلاً: "إننا نحن التونسيين نرى أن الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها زعيمة هذه الكتلة و بحكم ضغطها على فرنسا يمكنها أن تساعدنا أكثر من غيرها في نضالنا من أجل استقلال بلدنا الصغير..."³. وقد بين فرحات حشاد آنذاك أن انضمامه إلى مثل هذه المنظمة هو من باب السياسة والديبلوماسية، لا من الباب الإيديولوجي، أي أن ذلك لا يعني الانتصار للنظام الرأسمالي على حساب الاشتراكية. وأكد حشاد أن السبب في ذلك يكمن في أن الموقع الجغرافي لتونس لا يسمح لها إلا أن تكون إلى جانب الغرب، أحببت ذلك أو كرهته. ومعناها أن أمل العمال التونسيين يكمن في الدور الفعال الذي يمكن أن يلعبه زعيم المعسكر الغربي لصالح القضية التونسية. وما من شك، أن هذا مما يحسب لصالح الزعيم النقابي التونسي الذي عرف كيف يقرأ اتجاه الحركة النقابية الأمريكية التي كانت منذ الأربعينات تمثل المصالح الأمريكية بالمنطقة، وتسهر على رعايتها، وذلك بمساندة الوطنيين التونسيين. كما كان الحال مع "الاتحاد الأمريكي للشغل" AFL، ومؤتمر "المنظمات الصناعية" CIO.

وقد توضح موقف الاتحاد المؤيد لتدخل الولايات المتحدة الأمريكية لحسم الخلاف القائم بين تونس وفرنسا منذ بداية الخمسينات و بالتحديد في 23 حويلية 1950 حيث قرر المجلس الوطني "للاتحاد العام التونسي للشغل" إيقاف التعامل مع "الجامعة النقابية العالمية (F.S.M) التابعة للكتلة الشرقية منتقدا مواقف قياداتها المنحازة للشيوعيين و عدم اعتبارها لنضالات حركات التحرر الوطني. و في مارس 1951 و خلال المؤتمر الرابع للاتحاد العام التونسي للشغل تم الإعلان نهائيًا عن انسلاخ الاتحاد عن الجامعة العالمية و الانخراط بالكتفيدرالية العالمية للنقابات الحرة (C.I.S.L) الموالية للكتلة الغربية"⁴.

1 نفس المرجع

1 نفس المرجع، ص 130.

2 نفس المرجع، ص 138.

3 نفس المرجع، ص 142.

4 عميرة علي الصغير، كرونولوجيا لأهم الأحداث النضال العمالي في تونس وواقعهم بين 1881-1956، أعمال المؤتمر الأول حول فرحات حشاد والحركة الوطنية والنضال الوطني، تونس: مؤسسة التميمي، 2002، ص 104.

وقد اضطلع الاتحاد العام التونسي للشغل بدور هام داخل هذه المنظمة و تمكن من تحسيس أعضائها بالقضايا الاستعمارية و دفعهم إلى موازرة الحركات التحررية في آسيا و إفريقيا. "وبذل قادة الاتحاد العام التونسي للشغل كل جهودهم قصد التعريف بالقضية التونسية في عدة مؤتمرات دولية و اجتماعات عالمية كالمؤتمر الثاني للكفدرالية العالمية للنقابات الحرة المنعقد بميلانو في 5 جويلية 1951 . و الذي حضره الزعيم النقابي فرحات حشاد و ممثل الحزب الدستوري الجديد الزعيم الحبيب بورقيبة و ذلك قصد اطلاق الرأي العام العالمي على مختلف أبعاد القضية التونسية . و قد دعا الزعيم النقابي خلال هذا المؤتمر إلى العمل على إنهاء النظام الاستعماري في تونس...¹".

"وفي نفس السنة و تحديدا يوم 24 سبتمبر حضر الزعيمان التونسيان الحبيب بورقيبة و فرحات حشاد المؤتمر السبعون للجامعة الأمريكية للشغل (A.F.L) الذي انتظم في مدينة سان فرانسيسكو. و خلال هذا المؤتمر عرض حشاد القضايا الاستعمارية بالبلاد المغاربية مناشدا للنقابات الأمريكية بالضغط على حكوماتهم للتدخل من أجل القضاء على الاستعمار"².

وألقي خطابا مطولا خلال هذا المؤتمر و ذلك يوم 23 أكتوبر 1951 أكد فيه على رغبة الحركة النقابية التونسية في التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية "لإقامة الدليل على الاهتمام الذي تعلقه على بعث علاقات متينة و دائمة مع الحركة النقابية العمالية الحرة بالولايات المتحدة الأمريكية و التعاون الصادق معها..."³. "كما قدم إلى المؤتمر لائحة أكد فيها على خطورة الأزمة التي وصلت إليها العلاقات التونسية الفرنسية و قد ناشد من خلالها الحكومة الأمريكية للتدخل و ذلك بدعوة فرنسا إلى التفاوض مع الوطنيين. ودعا إلى ضرورة تطبيق الفصل الثالث و السبعين من الميثاق الأممي و الذي ينص على حرية الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها في مختلف البلدان الخاضعة للاستعمار حتى تتمكن هاته البلدان تدريجيا من تحقيق استقلالها الاقتصادي و السياسي"⁴.

بناء على ما سبق ذكره، يمكن القول أنّ الخراط الاتحاد العام في منظمة السيزل الذي تعرضنا سابقا إلى دوافعه بالنسبة للتونسيين يناسب لدى أمة الكتلة الغربية رغبة ملحة في عزل الشيوعية و في التصدي لموجة التحالفات بين القوى الوطنية المعادية للإمبريالية و الشيوعية التي شهدها العالم آنذاك . وقد أكد على ذلك ايفين بروان ممثل الجامعة الأمريكية بوضوح في مقال كتبه في 1953 "عندما استطعنا أن نجعل الاتحاد العام التونسي للشغل ينهي الخراطه في الجامعة النقابية العالمية و ينظم إلى صفوف السيزل فإننا سدنا ضربة قوية إلى المحجودات التي تبذلها الجامعة النقابية العالمية (الواقعة تحت السيطرة الشيوعية) من أجل كسب الجماهير العربية إلى مساندة الموقف السوفيياتي"⁵.

ومن هنا يجب علينا أن ننظر إلى مشاكل تونس و شمال إفريقيا من زاوية الصراع القائم بين العالم الواقع تحت السيطرة الشيوعية من جهة و العالم الحر من جهة ثانية. فهذا الدعم الأمريكي لحركة النضال الوطني التونسي يأتي ضمن سياق صراع القوى الإمبريالية و الاشتراكية في المنطقة. وسعي الولايات المتحدة الأمريكية لضم النضال الوطني التونسي لصفها محاولة منها القضاء على الأنظمة الشيوعية. و بالتالي لم تكن هذه المساندة الأمريكية إلا دعم لمصالحها و حفاظا على مكانتها.

¹عبدالواحد المكني، فرحات حشاد المؤسس الشاهد...، سبق ذكره، ص 108.

²عميرة علي الصغير، كرونولوجيا لأهم الأحداث النضال العمالي في تونس واقعه 1881-1956، سبق ذكره، ص 106.

³الحركة الوطنية التونسية (وثائق 11): الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثالثة: 1950-1951، تونس: وزارة الأعلام، 1984، ص 46.

⁴عبدالواحد المكني، فرحات حشاد المؤسس الشاهد...، سبق ذكره، ص 156.

⁵عبد السلام بن حميدة، الحركة الوطنية النقابية الشغيلة بتونس...، سبق ذكره، ص 139.

1. مساندة السيزل للاتحاد العام التونسي للشغل والمطالبة بالاستقلال:

(1) التنديد بسياسة القمع الفرنسية:

إضطلع الاتحاد العام التونسي للشغل بدور بارز سواء بتقدم الدعم المادي للمقاومين أو مساندة مطالب الحركة الوطنية التونسية وذلك بدعم الاحتجاجات والإضرابات. فقد تمكن الاتحاد العام التونسي للشغل خلال هذه الفترة من التأثير الفعلي في العمل الوطني وقد توسعت مساهمة الاتحاد العام التونسي للشغل لدعم حركة المقاومة الوطنية في بداية الخمسينات لعدة اعتبارات متأنية من طابعه العمالي. وزعامته حشداً ووجود نخبة مثقفة من ضمن منخرطيه كان لها دورا بارزا في نشر الوعي الوطني داخل المجتمع التونسي. كما إستمد الاتحاد العام التونسي للشغل إشعاعه على مستوى الحركة الوطنية التونسية من علاقته المتميزة مع الكنفدرالية العالمية للنقابات الحرة سيزل ذات النفوذ الكبير. لذلك تمكنت المركزية النقابية في بداية الخمسينات من قيادة الحركة الوطنية التونسية، خاصة بعد القمع الذي سلط على الحزب الدستوري الجديد وإيقاف جل قياداته، من تسليط الضوء على سياسة فرنسا التعسفية تجاه نشاط الحركة الوطنية التونسية.

ولقد إتخذ فرحات حشاد موقفا حاسما من السياسة الفرنسية حيث قال أثناء الاحتفال بمناسبة عيد الشغل يوم 01 ماي 1952 "يجب خوض معركة حقيقة ضد الاستعمار حتى نتمكن من تحقيق استقلالنا الذي سيمكننا من تكريس كامل سيادتنا ومن التأسيس لنظام ديمقراطي سواء في المجال الاجتماعي أو السياسي... سنقاوم سياسة القمع حتى نقضي على الاستعمار فيتخلص المجتمع من الآفات التي تنخره وخاصة الفقر والجهل..."¹.

ولم تتردد هذه المنظمة العمالية في التنديد بالاضطهاد الذي تعرض له النقايبون التونسيون وتقوم بتكرار النداءات من أجل استقلال البلاد. فلقد أرسل الكاتب العام للسيزل منذ أول فيفري 1952 رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسية السيد روبرت شومان يقول "إننا سنكون دوما إلى جانب الاتحاد العام التونسي للشغل لوضع مخطط مدقق للاستقلال الداخلي..."².

وفي 20 مارس 1952 أعلنت اللجنة الفرعية التابعة للمنظمة العمالية "إن السيزل أرسلت مذكرة جديدة إلى الحكومة تطالب فيها بشدة بالعودة إلى المفاوضات مع ممثلي الشعب التونسي قبل ان تتخذ أي إجراء آخر..."³.

كما تكررت مساندة السيزل للمطالب التونسية في عدة مناسبات منذ تلك الفترة، إذ نجدها في قرارات اللجنة التنفيذية في بروكسل يوم 4 ديسمبر 1953. ونجدها في رسالة بعث بها الكاتب العام للنقابة الدولية إلى رئيس الحكومة الفرنسية السيد جوزيف لانيال في 21 جانفي 1954. كما نجدها في رسالة موجهة إلى مؤتمر الاتحاد العام في جويلية 1954.

ويذكر الكاتب العام للسيزل في الرسالة التي وجهها إلى منداس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية بتاريخ 8 جويلية 1954 "بأن حل القضية التونسية الفرنسية يكمن في إجراء مفاوضات حول طبيعة العلاقات التي يمكن أن تقيمها الامتان على أساس حرمة تونس الترابية

¹ Mohamed Lotfi Chaïbi, Les Socialistes Français et la Politique de décolonisation de la Tunisie (1945-1956), Tunis : Faculté des sciences humaines et sociales, 1989, p 163.

² عبد السلام بن حميدة، الحركة الوطنية النقابية الشغيلة بتونس،... سبق ذكره، ص142.

³ نفس المرجع، ص144.

وسيادهما...¹. كما قال الكاتب العام للسيريل أيضا في جويلية 1954. "إننا مقتنعون بأن الاعلان عن استقلال تونس السياسي على قاعدة ديمقراطية يسهل إتخاذ إصلاحات إجتماعية وإقتصادية معتبرة ترمي إلى رفع مستوى عيش العمال. فمن الضروري أن يؤدي هذا التطور السياسي إلى إصلاحات اقتصادية واجتماعية عميقة في حين أن غيابها يحافظ على امتيازات أقلية ويدعمها دون أن يفيد الشعب في شيء". "أنا نطالب بفتح مفاوضات تونسية فرنسية على جناح السرعة وإننا مقتنعون أشد الاقتناع بأن مسألة إيجاد حل يناسب طموحات الشعب التونسي الديمقراطية أصبحت ملحة لا تحتمل التأخير إذ سيكون لهذا الحل تأثيرات سارة على وضع العمال وعلى وضع بقية الشعب في تونس. إننا ندعم بكل قوانا السياسة التي تؤدي إلى هذا الحل باعتبار ذلك يخدم الديمقراطية و العالم الحر خدمة جلية"².

وهكذا "إن السيريل لم تنفك تساند إستقلال تونس الداخلي حتى قبيل موافقة مندا فرانس على ذلك بقرطاج في 31 جويلية 1954. ولم تتوقف السيريل عند حدود مثل هذه التصريحات" فقد فتحت في مارس 1952 أبوابها بروكسل أمام الكاتب العام للاتحاد فرحات حشاد الذي عقد ندوة صحفية بمعية قادة المنظمة الدولية وأعلن فيها حق الشعب التونسي في تقرير المصير وأكد على ضرورة عودة المفاوضات فوراً حول هذه المسألة بين الحكومة الفرنسية والشعب التونسي"³.

كما "أن النقابات الأمريكية التي تتمتع بمكانة هامة داخل السيريل هي التي كانت تساند بدون تردد الحركة النقابية التونسية، وهي التي ساعدت على تطور موقف المنظمة الدولية. فلقد استقبلت الجامعة الأمريكية للشغل ومنظمة النقابات الصناعية بالولايات المتحدة الأمريكية فرحات حشاد استقبال الأبطال عندما زار نيويورك في سبتمبر 1951"⁴.

وهكذا فقد ركز الوطنيون التونسيون دعايتهم في اتجاه الرأي العام العالمي الغربي، وتقادوا كل أنسياق وراء بعض الأطروحات المُنادية بمعاداة الولايات المتحدة الأمريكية، ورفضوا التعامل مع المُعسكر الشيوعي، والمشاركة في حملاته المناهضة للغرب، وبالخصوص المناهضة للسياسة الأمريكية. وقد كانت رحلة الزعيم فرحات حشاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر 1951 للمشاركة في مؤتمر الاتحاد الأمريكي للشغل، المُنعقد بـ "سان فرانسيسكو" خير دليلا على ذلك.

وقد رافق الزعيم بُورقيبة حشاد، وكان قد سبقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1946، فقاماً بجولة دعائية للقضية التونسية، توقفت بهما بـ "واشنطن" و"نيويورك". وقد مهدت هذه الرحلة لاستقرار ممثل الحركة الوطنية بالعاصمة الأمريكية ممثلاً في شخص "الباهي الأدم" على رأس مكتب تونسي للتحرر الوطني.

وتواصل الدعم النقابي لتونس، فكان أن طالب "المجلس التنفيذي للاتحاد الأمريكي للشغل" AFL في فيفري 1952 بالاستقلال الداخلي لتونس داخل الاتحاد الفرنسي، ودعا إلى مفاوضات مع القوى الديمقراطية بقيادة الحبيب بُورقيبة، لتحقيق المسار نحو استقلال كامل، في نطاق النضال المشترك الذي يجب أن يجمع القوى الديمقراطية التونسية وفرنسا ضد الشيوعية. ومن أجل الحرية والسلام بالعالم"⁵.

¹ نفس المرجع.

² نفس المرجع، ص 145.

³ نفس المرجع، ص 136.

⁴ نفس المرجع، ص 137.

⁵ فرحات عثمان، حفريات حول دور الحركة النقابية...، سبق ذكره، ص 14.

ولا شك أن مثل هذا الدعم من طرف النقابات الأمريكية، وبخاصة "الاتحاد الأمريكي للشغل" AFL، كان له التأثير الكبير على مواقف الصحافة الأمريكية من القضية التونسية. وأيضاً توجهات سياسة واشنطن نفسها. ولتبيين قيمة هذا الدور الأمريكي، لا بأس من التذكير هنا أن العدد الكبير من وجوه الصحافة الفرنسية في تلك الفترة، كان يلقب فرحات حشاد بالأمريكي، خاصة بعد أن قضى أسابيع طويلة سنة 1952 بالولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن القضية التونسية، وتقوية الضغط النقابي على الأمم المتحدة. حيث طالبت تونس بإدراج شكوى ضد فرنسا أمام مجلس الأمن.

(2) الضغط النقابي على الأمم المتحدة وإدراج شكوى ضد فرنسا أمام مجلس الأمن:

إعتبر قادة الحركة الوطنية التونسية أن تأييد الولايات المتحدة الأمريكية للقضية التونسية ورقة ضغط هامة وفاعلة، لا يجوز لهم بأي حال من الأحوال إهمالها أو التفریط فيها. وقاموا بكل ما في وسعهم لإقناع الإدارة الأمريكية بضرورة إعادة ترتيب علاقاتها مع فرنسا. وأبدوا تعاطفاً مع العالم الحر. وبذلك تمكنوا تدريجياً من تركيز علاقات متينة مع الإدارة الأمريكية، وكسب مواقع جديدة وقوية على مستوى الساحة الدولية. ومنها التحرك نحو منظمة الأمم المتحدة. "فقد توجه فرحات حشاد إلى نيويورك التي حل بها يوم 4 أبريل 1952 تلبية لدعوة من قيادة النقابات الأمريكية (AFL-CIO). وهي دعوة لها مغزاها، إذ تزامنت مع الظروف القاسية السائدة بالبلاد التونسية، وأتاحت للأخ فرحات فرصة ثمينة لإجراء إتصالات هامة مع الشخصيات النقابية الأمريكية، وشرح القضية التونسية لهم، ومدّهم بتقارير إضافية عن الوضع المتفجر بتونس سعيًا منه إلى إقناعهم بالتدخل لدى حكوماتهم لنصرة القضية التونسية.

وبفضل هذه الاتصالات، وصلت التقارير إلى المندوبين الدائمين لعدد الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي. ومن حسن الطالع أن مجلس الأمن كان مقرراً أن يعقد في اليوم الموالي جلسته الأولى للنظر في المسألة التونسية الفرنسية¹. مما حتم على فرحات حشاد التمديد في فترة إقامته، وكان الهدف من ذلك شرح القضية التونسية أمام الرأي العام العالمي.

وفي هذا الإطار، عقد فرحات حشاد ندوات صحفية في مختلف الأوساط النقابية والسياسية، شرح أثناءها حقيقة الأوضاع بالبلاد التونسية، معتمداً في ذلك على الحجج والبراهين التي تثبتتها بعض الوثائق، دحض العديد من مزاعم الصحف الفرنسية التي ناصرَت الاستعمار الفرنسي عموماً، وبالبلاد التونسية بشكل خاص.

وتفنت في قلب الحقائق، وإظهار الجملاد في صورة الضحية. "فقد كشف حقائق الممارسات الوحشية، والقمع المتصاعد في البلاد التونسية الذي تمارسه قوات الجيش والأمن الاستعماري، مبرراً أن حكومة الباي اضطرت لتقديم الشكوى المطروحة أمام مجلس الأمن الدولي طبقاً للفقرة 2 من الفصل 35 لميثاق الأمم المتحدة، سعيًا لتخليص الشعب التونسي من براثن الاستعمار.

¹ نفس المرجع، ص10.

وحتّى فرحات على ضرورة توحّي الحوار النزيه. إذ قال "نحن طالبو حقّ مشروع عالمياً. ونحن نرمي من وراء كفاحنا ردّ الأعداء، وفرض السلام. مُعرباً عن استعداد القيادة التّونسيّة للحوار النزيه، إذا جنحت فرنسا إليه بعد خلق الجوّ الملائم لذلك، والكفّ عن الممارسات التّعسفيّة، وإلغاء إجراءات القمع والإبعاد وغيرها. بما يُساهم في تسيير فتح حوارٍ نزيهٍ وناجحٍ بين الطّرفين"¹. وكان لهذه المواقف والتّفسيرات الصّريحة تأثير عميقٌ لدى الشّخصيات النّقابية، ولدى الصّحافة الأمريكيّة التي أدانت الجرائم الوحشيّة الاستعماريّة. وما يُمكن الإقرار به خلال هذه الفترة، هو التّلازم والتّرابط بين قيادات الحركة الوطنيّة التّونسيّة، وكذلك ارتباط العمل النّقابي بتونس بالنشاط السياسي. ولقد تفتّنت الدبلوماسية الأمريكيّة إلى ذلك، فكان أن عملت على النّفاذ إلى أعماق الشعب التّونسي من خلال مُساندة نقابيّه.

ورغم الدّعم اللامشروط من قبل "الاتحاد الأمريكي للشّغل" AFL للشّكوى التّونسيّة، فلقد وقع رفضها في أفريل وصوّتت الولايات المتّحدة الأمريكيّة لصالح فرنسا، ممّا أثار حنق المنظمة الشّغليّة AFL، فعبرت عنه بأقسى العبارات في مؤتمرها الحادي والسّبعين، مبيّنة تضامنها التّام مع تونس حتّى وإن اقتضى ذلك مخالفة السياسة الرّسمية للبلاد. وهكذا، كانت المنظمة الشّغليّة AFL سبّاقة إلى القول بختميّة استقلال تونس، داعية دُون هوادة المُحتلّ الفرنسي للتّحاور، وبدون تأخيرٍ مع الرّعاء التّونسيين.

وكان "إرفين براون"، مُتمثّل الاتحاد بأوروبا، بحقّ من ألدّ أعداء المُحتلين. ورغم ما حاولت السّلطات المُحتلّة فرضه من تعقيداتٍ للحدّ من الاتصالات بين المنظمة الشّغليّة التّونسيّة، ونظيراتها بالخارج، لم يتوقّف التّواصل نظراً لمثل هذه المُساندة من الطّرف الأمريكي.

فكان أن شارك الاتحاد التّونسي للشّغل بوفدٍ في المُؤتمر الثالث للجمعيّة العالميّة للنّقابات الحُرّة CISL، كما أمكن للاتحاد قبول هذه المنظمة والعديد ممّن كان تحت لوائها في مُؤتمره الخامس المُنعقد في جويلية 1954. وكان المُؤتمر فرصةً من ذهبٍ للمنظمة الأمريكيّة AFL، ومُمثّلها بأوروبا "إرفين براون" للهجوم بحدّة من جديد على فرنسا وسياستها القمعيّة العقيمة بالبلاد التّونسيّة. ممّا دَعَم المنظمة الشّغليّة في نضالها لا النّقابي فقط، بل والسياسي. فكان أن أدّى كلُّ ذلك إلى دفع المُحتلّ إلى الحُلُول اليائسة، لعلّه يُخمد ما بدا له فتنةً طارَ شررها وطال ضررها، فتمّ اغتيال فرحات حشّاد.

هكذا فقد ارتبط الاتحاد العام التّونسي للشّغل باتحادات عامّة أخرى في أوروبا وفي الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وفي بقية أرجاء العالم. وجعله ذلك محلّ حُطُورة، واعتبار بالنسبة لفرنسا بشكلٍ خاص، ومن طرف بقية دُول العالم وهيئة الأمم المتّحدة بشكلٍ عام. ومن هنا كان لوقفته الصّريحة الحازمة في صفّ المجموعة الوطنيّة التّونسيّة، كما كان لُنصرتة للقضيّة الوطنيّة التّونسيّة، تأثيرٌ كبيرٌ في الأوساط الفرنسيّة والألميّة، ولهذا فإنّ التاريخ لا يُمكن أن ينسى التأييد الصّريح الصّادر عن هذا الاتحاد لقائد القضيّة الوطنيّة التّونسيّة، وما كان له من فضلٍ عظيمٍ في ترجيح الكفّة في المعركة الأخيرة. فقد كان فرحات حشّاد إلى جانب أهميّة عمله النّقابي، وعلى غرار بُورقيّة حريصٌ على المطالبة بتحقيق الاستقلال للشعب التّونسي.

وقد بين الرّعيم الحبيب بُورقيّة الغاية الأساسيّة من الكفاح الوطني التّونسي بقوله: "لقد كان هدف كفاحنا استرجاع أداة الحُكم، كي نتمكّن بواسطتها من رفع مُستوانا، والسير قُدماً إلى الأمام، والتخلّص ممّا كُنّا نُعانيه من تعاسةٍ وخصاصةٍ وإرهاقٍ... ولئن كانت

¹ نفس المرجع.

مسؤولية حائنا الماضية يتحملها الاستعماريون الذين كانوا يُمَسِّكون بزمام السلطة، فإنه لا بُدَّ لنا ونحن نُقْبِلُ على الإمساك بهذه السلطة، أن ندرك أن المسؤولية ستُحْمَلُ على عاتقنا نحن وحدنا. إذ لم يعد المستعمر مسؤولاً عن تفریط أو خطأ أو فشل. ولهذا يتعين علينا بعد أن حققنا هذا النصر أن نقوم بعمل تنظيمي شامل لكل شؤوننا، ونحافظ على وحدتنا وتمسك بها¹.

هكذا، ومن خلال هذا القول للحبيب بورقيبة، يُمكن أن نستنتج أن هدفُ حلِّ هذه التشكيلات الاجتماعية والسياسية والثقافية التونسية، كان يتمثل أساساً في ضرورة تحقيق الاستقلال. ثم الإمساك بزمام السلطة، وتحمل المسؤولية. ورغم عرقلة فرنسا لمسار الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة البلاد التونسية، والسير بها نحو تحقيق الحكم الذاتي، فإن الخطاب الذي ألقاه "بيار منداس فرانس" في 31 جويلية 1954 كان بمثابة الخطوة الأولى لحل القضية التونسية: فقد جاء رئيس الحكومة الفرنسية "منداس فرانس" إلى تونس وألقى أمام الباي خطاباً مشهوراً أعلن فيه أن فرنسا تعترف بالاستقلال الداخلي لتونس بقيود وشروط يقع ضبطها في اتفاقيات يتم التفاوض في شأنها بين الحكومتين. وعلى هذا الأساس، وفي بداية شهر أوت، تشكلت حكومة الطاهر بن عمار بمشاركة الحزب.

وضمنت من بين أعضائها ثلاثة "وزراء دولة" وهم المنجي سليم والعزیز الجلولي ومحمد المصمودي ممن يشكلون الوفد التفاوضي برئاسة المنجي سليم² الذي مثل خطوة في اتجاه السير بالبلاد نحو الظفر بالاستقلال التام. فإثر هذا الاقتراح الذي قدمه "بيار منداس فرانس"، تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة "الطاهر بن عمار" في أوت 1954.

وقد نجحت هذه الحكومة بعد مفاوضات دامت تسعة أشهر، في توقيع بروتوكول الاستقلال الداخلي بباريس سنة 1955. لكن نتيجة المعارضة الشديدة التي لقيتها اتفاقيات الاستقلال الداخلي، خاصة من طرف "صالح بن يوسف" الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، عمل الوطنيون التونسيون خلال هذه الفترة على إعادة التفاوض مع الحكومة الفرنسية قصد تعديل اتفاقيات 3 جوان 1955 بشكل يُمكن تونس من تجاوز نظام الحكم الذاتي، تُمنح استقلالها التام.

وتوصلت تونس وفرنسا في 20 مارس 1956 إلى التوقيع على اتفاقية تضمنت إنهاء الحماية الفرنسية على تونس التي بدأت منذ عام 1881. واعترفت فرنسا بموجب الاتفاقية الجديدة باستقلال تونس التام مع إبقاء قاعدة بترت للقوات الفرنسية وحق إبقاء بعض القواعد العسكرية على الأراضي التونسية. وفضلاً عن ذلك نصت الاتفاقية على أن تحدد الدولتان أو تتما في دائرة احترام تدابير التكافل الذي يتحقق بحرية و ذلك بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تشترك فيها مصالحها وخاصة في مادي الدفاع والعلاقات الخارجية .

و هكذا ما إن تم الإعلان عن تلك الاتفاقية حتى بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بالاعتراف باستقلال تونس في الثاني والعشرين من الشهر المذكور بواسطة برقية من وزارة الخارجية الأمريكية قدمها القنصل العام الأمريكي في تونس ، الجنرال موريس هيبوز إلى الباي التونسي محمد الأمين باي من 1943 إلى 1957³.

¹ تاريخ الحركة الوطنية التونسية، وثائق 15، الحزب الدستوري الجديد يواجه المحنة الثالثة 1952،...، سبق ذكره، ص 51.

² محمد المستيري، شهادة للتاريخ : ذكريات وتأملات وتعليق حول فترة التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940-1990) وثورة 2010-2011، تونس: دار الجنوب 2011، ص 73.

³ الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة "F"، الشؤون الدبلوماسية والقنصلية والعائلة الحسينية والأوسمة والمعاهدات والقنصليات خلال فترة الحماية (1881-1956). رسائل هنتة موجهة إلى محمد الأمين باي من ملوك ورؤساء بلدان مختلفة بمناسبة استقلال تونس وبرنامج الاحتفال بالذكرى الأولى لعيد الاستقلال ومقالات صحفية تتعلق بإعلان الجمهورية و إلغاء النظام الملكي الحسيني 1956-1957، رقم المحافظة 1، رقم الملف 1، وثيقة عدد 61.

ويظهر أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تولي تونس اهتمام خاص لاسيما فيما يتعلق بمسألة تقديم المساعدات الاقتصادية والتقنية، لأن ذلك من شأنه أن يعطيها فرصة التغلغل السلمي في منطقة شمال إفريقيا، ومن ثم إرساء أسس التحالف الاستراتيجي المعادي للشيوعية.

ورغم حرص قادة الحركة الوطنية التونسية في بداية الحرب الباردة على اتخاذ موقف حيادي من الصراع القائم بين الشرق والغرب، ورفضهم الانخراط في أي تحالف مع إحدى الكتلتين المتصارعتين. لكن سرعان ما تغير موقفهم بعدما أدركوا أن التوازنات الدولية التي فرضتها تطورات الحرب الباردة، تقتضي منهم تحقيق التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية. باعتبارها الحليف التقليدي لفرنسا، والقوة الدولية الوحيدة في تلك الفترة، القادرة على إقناعها بإجراء إصلاحات حقيقية، يتمكن بمقتضاها التونسيون من تحقيق حكمهم الذاتي.

وفي هذا الإطار تتوزل الزيارة التي أداها الزعيم بورقيبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية (أواخر 1946). والتي التقى خلالها بالعديد من السياسيين الذين أظهروا مساندتهم للمطالب التونسية، وأبدوا استعدادهم لمساعدة الوطنيين التونسيين في عرض قضيتهم على منظمة الأمم المتحدة. ورغم مراهنة قادة الحركة الوطنية على تأييد الكتلة الغربية لتسوية قضيتهم. فإن الحكومة الأمريكية لم تتخذ أي موقف رسمي لدعم المطالب التونسية. وحافظت بذلك على مساندتها لحليفتها فرنسا، وغضت الطرف عن تجاوزاتها الاستعمارية، وذلك بالمحافظة على مصالحها الاستراتيجية في منطقة شمال إفريقيا، إضعاف الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية خلال هذه الفترة من فترات الحرب، لن يخدم إلا مصالح الكتلة الشرقية ويدعم المد الشيوعي في هذه المنطقة.

هكذا، لم يكتف الوطنيين التونسيون طيلة فترة الحرب الباردة بتوظيف الصراع القائم بين الشرق والغرب لكسب الدعم لقضيتهم. بل سعوا طيلة هذه الفترة إلى الاستفادة من تأييد المنظمات الدولية (جامعة الدول العربية، ومنظمة الأمم المتحدة). التي تأسست عقب الحرب العالمية الثانية، وأبدت مساندتها لحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

وهو ما دفع بالزعيم الحبيب بورقيبة بالتوجه إلى مصر عقب تأسيس الجامعة العربية في مارس 1945 قصد تبني الجامعة للمطالب التونسية. لكن رغم ما أبدته الدول العربية من استعداد لدعم القضية التونسية، فإن مساندة الجامعة العربية للقضية التونسية كانت محدودة. فهي لم تمنح بلدان شمال إفريقيا عضويتها، وذلك تحت تأثير بريطانيا المنحازة لحليفتها فرنسا في خصوص هذا الملف. وظل حق العضوية حكراً على الدول العربية المستقلة.

وأمام محدودية مساندة جامعة الدول العربية للقضية التونسية، عمل الوطنيون خلال هذه الفترة، على إدراج قضيتهم في جدول أعمال مجلس الأمن الدولي. وذلك خلال شهر أبريل 1952.

لكن انتهت الجلسات المخصصة لدراسة إمكانية إدراج القضية التونسية في جدول أعمال مجلس الأمن برفض أعضاء المجلس النظر في هذه القضية، والتوصية بإيجاد اتفاق مشترك بين التونسيين والفرنسيين. وذلك نتيجة الموقف السلبي للدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة من القضية التونسية وتحيزها الواضح لحليفتها فرنسا.

وأمام تصاعد سياسة القمع الفرنسية بتونس، وبفضل مساندة الدول العربية والآسيوية للقضية التونسية، نظرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في هذه القضية، وذلك خلال الفترة المتراوحة بين ديسمبر 1952 وديسمبر 1954.

وقد اكتفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بإصدار جُملةٍ من اللوائح الأممية التي أقرت بشرعية هدف التونسيين الرامي إلى تحقيق حكمهم الذاتي الذي يجب أن يتم في إطار التوافق والتفاوض بين الحكومتين الفرنسية والتونسية.

يمكن أن نستخلص أن الحرب العالمية الثانية ساهمت في تضرر الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، على جميع المستويات الاقتصادية والعسكرية، وخاصةً منذ هزيمتها أمام ألمانيا النازية في جوان 1940، وإمضاء معاهدة الصلح معها. كما كان للتحويلات السياسية التي شهدتها العالم عقب الحرب العالمية الثانية، وأثناء فترة الحرب الباردة، دورٌ كبير في عجز الدولة الحامية فرنسا، عن معالجة جُلّ القضايا المطروحة، على مستوى الساحة السياسية التونسية. من ذلك فشلها في التصدي للأزمة الاقتصادية والاجتماعية الحادة، التي عصفت بالإيالة التونسية عقب الحرب العالمية الثانية.

وهكذا، فقد ازدادت نقمة الوطنيين التونسيين تجاه السلطات الفرنسية، رغم محاولات الإصلاح التي قامت بها الحكومة الفرنسية. لكن هذه التغييرات التي طرأت على الحياة السياسية الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، والتي أضعفت إلى حدٍ كبير نفوذها الاستعماري، جعلها في وهنٍ سياسي واقتصادي لا مثيل له، أدى بها إلى اللجوء إلى الولايات المتحدة الأمريكية، للحصول على الدعم الاقتصادي لمواجهة آثار الحرب.

وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوقوف إلى جانب فرنسا، من خلال ضمها إلى "مشروع مارشال"، و"الميثاق الأطلسي". وكان دعمها لفرنسا مشروعاً دائماً بعدم تمكين الأحزاب اليسارية من الوصول إلى السلطة في باريس، وكذلك من أجل الحفاظ على المصالح الغربية في شمال إفريقيا. فهذا الوهن السياسي الذي أصبحت عليه فرنسا، من ذلك فشل تجربتها في الهند الصينية، جعلها تُسارع في طلب العون من حلفائها الغربيين لمواجهة المد الشيوعي في مستعمراتها الإفريقية.

واقترحت عليهم دمج اقتصاديات المستعمرات الإفريقية في الاقتصاد الأوروبي، ولتحقيق ذلك فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإدماج البلاد التونسية في المخططات الأمريكية. مثل مخطط "مشروع مارشال" و"معاهدة حلف شمال الأطلسي" عام 1949. وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مطالبة بتقلم العون الاقتصادي لفرنسا ومستعمراتها في شمال إفريقيا.

وفي هذا الإطار تميّزت السياسة الأمريكية تجاه منطقة المغرب العربي، وخاصةً بالبلاد التونسية بالتناقض. فمن جهة تعمل من أجل الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية. —ومن جهة أخرى كانت تستثمر في المبادئ الأمريكية الداعمة لتقرير المصير لصالح المستعمرات. وهذا ما أدى في أحيانٍ كثيرة إلى ردود فعلٍ فرنسية قوية ضد نشاط الديبلوماسية الأمريكية في المقابل فإن هذه الأحداث والتقلبات التي شهدتها فرنسا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، والتي أضعفت إلى حدٍ كبير نفوذها الاستعماري، كان لها دورٌ هام في إنعاش العمل الوطني بالبلاد التونسية.

حيثُ استغلّ الوطنيون حالة الضعف والوهن التي أصبحت عليها الدولة الحامية، للعودة للنشاط السياسي من جديد. ففي الداخل، وحدّ الوطنيون صفوفهم، وأصبحت الحركة الوطنية التونسية متمسكة بمطلب الاستقلال التام. ولم يقبل الوطنيون أي اتفاق مع فرنسا من شأنه أن يضعف المسار التحرري، فرفضوا إصلاحات الجنرال "ماسط" في فيفري 1945، وإصلاحات الجنرال "جون مونص" في جويلية 1947 نظراً لتمسك هذه الإصلاحات بمبدأ السيادة المزروحة. لم يكتفِ الوطنيون خلال هذه الفترة بتصعيد العمل النضالي داخل البلاد، بل سعوا كذلك إلى التعريف بالقضية التونسية لدى الرأي العام الدولي. فعملوا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على توثيق صلاتهم

بالمهينات الدّوليّة، وبالحكومات العربيّة والأجنبيّة قصد عزل فرنسا على مُستوى السّاحة السّياسيّة الدّوليّة. وتعبئة الرّأي العام ضدّ سياستها الاستعمارية القمعيّة.

وفي هذا الإطار، فقد سعى قادة الحركة الوطنيّة التّونسيّة إلى تدويل القضيّة التّونسيّة عن طريق جامعة الدّول العربيّة بالقاهرة، وجمعيّة الأمم المتّحدة بنيويورك. فسعوا في البداية إلى كسب تأييد الجامعة العربيّة لقضيتهم واعتبروا أنّ هذه المنظّمة الدّوليّة ستتمكّن من توحيد صفوف البلدان العربيّة. وستولّي الدّفاع عن قضايا التحرّر الوطنيّ التي تهتمّ بمختلف الدّول العربيّة الخاضعة للاستعمار. واقتصر موقفها من هذه القضايا على التّناديد بالسياسة الاستعمارية في هذه البلدان. فلم تمنح الجامعة العربيّة حقّ العضويّة لبلدان المغرب، وظلّ هذا الحقّ حكراً على الدّول العربيّة المستقلّة. وأمام محدوديّة مساندة الدّول العربيّة للقضيّة التّونسيّة، عمل الوطنيّون التّونسيّون خلال فترة الخمسينات على تدويل قضيتهم عن طريق منظّمة الأمم المتّحدة، وكسب أنصار لها في الأوساط التحرّرية، والمناهضة للاستعمار. مع المراهنة على التّحالف مع المُعسكر الغربيّ في إطار الحرب الباردة. وذلك عن طريق توظيف الضّغط الأمريكيّ على السّياسيّة الاستعمارية الفرنسيّة.

وقد تمكّن الحزب الحرّ الدّستوريّ الجديد، بواسطة مكاتب الإعلام التي بعثها في باريس ولندن وواشنطن ونيويورك والقاهرة وبغداد ودمشق، من تعبئة الرّأي العامّ الأوروبيّ والآسيويّ والأمريكيّ والسوفيّاتيّ، وذلك لإدراج القضيّة التّونسيّة في جدول أعمال الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة.

لكنّ المعارضة الفرنسيّة لتدخل منظّمة الأمم المتّحدة، لتسوية المسألة التّونسيّة من جهة، وتمام فرنسا في الحلف الأطلسي من جهة أخرى، أفشلا مساعي الوطنيّين التّونسيّين لتسوية قضيتهم عن طريق المنظّمة الأمميّة. واكتفت هذه الأخيرة بالمصادقة على جملة اللوائح الأمميّة خلال الفترة المتراوحة ما بين (ديسمبر 1952-ديسمبر 1954). والتي أقرّت بشرعيّة هدف التّونسيّين الرّامي إلى تحقيق حكمهم الذاتيّ الذي يجب أن يتمّ في إطار التّوافق، والتّفاوض بين الحكومتين التّونسيّة والفرنسيّة.

وفي نهاية المطاف، يُمكن الإقرار بأنّ تأثير الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة من ناحية، وحركة تصفية الاستعمار من جهة ثانية، وتوظيف الحرب الباردة من ناحية ثالثة. كانت بمثابة العوامل المُساعدة التي استغلها الوطنيّون التّونسيّون للضّغط على الدّولة الفرنسيّة حتّى تضع حدّاً لسياستها القمعيّة. وحتّى تسعى بصفة حديّة إلى تسوية المسألة التّونسيّة.

وتتصاعد المقاومة الوطنيّة من الدّاخل خلال فترة الخمسينات، أُجبرَ رئيس الحكومة الفرنسيّة "بيار منداس فرانس" على تقديم تنازلات، تمثّلت في منح تونس استقلالها الدّخليّ فحسب. وذلك عقب الإمضاء على اتفاقيات الحكم الذاتيّ (3 جوان 1955).

ورغم ما نتج عن هذه الاتفاقيات من اختلاف في وجهات النظر بين الوطنيّين التّونسيّين، وتطور هذا الخلاف حتّى أصبح بمثابة الصّراع بين مؤيدين لهذه الاتفاقيات ومعارضين لها. استؤنفت المُفاوضات التّونسيّة الفرنسيّة خلال شهر فيفري 1956. والتي انتهت بامضاء بروتوكول 20 مارس 1956، الذي ارتقت بموجبه البلاد التّونسيّة إلى الاستقلال التّام.

قائمة المصادر و المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- أحمد رهدار، الإستعمار المنتشر "نحو نظرية معرفة لفهم زمن ما بعد الإستعمار في الإستغراب"، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، 2018 .
- عمر يحيى أحمد، استراتيجيات الصراع الدولي في منطقة القرن الإفريقي، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2015.
- تحليل أحمد خليل، معجم المصطلحات السياسية و الدبلوماسية، بيروت: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1999.
- حسام الدين جاد الرب، معجم المصطلحات السياسية و الدبلوماسية و الاقتصادية، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011.
- حمد إسماعيل الطوير، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث بالوطن العربي وإفريقيا وآسيا وأوروبا والأميركتين، الرباط: منشورات تانيت، الطبعة الأولى، 1997 .
- علي محمد محمد الصلابي، موسوعة كفاح الشعوب، "كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى وسيرة الأمير عبد القادر" بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، 2015.
- عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، الجزء الثالث، احتلال المدينة الجزائرية، ترجمة لحسن زغدار، الجزائر: منشورات تالة، 2007.
- يحيى الغول، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال "جذو والحماية الفرنسية"، الجزء الثالث، تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 2007.
- فرانسوا جورج دريفوسور ولامار كسوريمون بودوفان، موسوعة تاريخ أوروبا العام: أوروبا من عام 1789 حتى أيامنا، ترجمة حسين حيدر، مراجعة أنطوان الهاشم، بيروت، باريس: منشورات عويدات، الطبعة الأولى، 1995.
- عبدالعزيز عتيق، نحو تحرير المستعمرات إفريقيا في كفاحها ضد الاستعمار، ترجمة عبدالعزيز عتيق، بيروت: دار المعارف، 1958 .
- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1991.
- أحمد سويلم العمري، معجم العلوم السياسية الميسر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.
- فردريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت: أكاديميا، 2001.
- محمد علي العويني، العلوم السياسية دراسة في الأصول والنظريات والتطبيق، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1988.
- عبد السلام بن حميدة، الحركة الوطنية النقابية الشغيلة بتونس، 1924-1956، ترجمة جماعية، الجزء الثاني، تونس: نشر دار محمد علي الخامي، الطبعة الأولى، 1984 .
- عبد الواحد المكحي، فرحات حشاد المؤسس الشاهد - القائد الشهيد، تقديم حسين العباسي، تونس: دار صامد للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2012.
- أحمد خالد، الزعيم فرحات حشاد، الجزء الثاني، تونس: منشورات زحارف، 2007، ص114.

- عميرة علية الصغير، كرونولوجيا لأهم الأحداث النضال العمالي في تونس وواقعهم بين 1881-1956، أعمال المؤتمر الأول حول فرحات حشاد والحركة الوطنية والنضال الوطني، تونس: مؤسسة التميمي، 2002، ص104.
- عبدالواحد المكئي، فرحات حشاد المؤسس الشاهد...، سبق ذكره ص108.
- عميرة علية الصغير، كرونولوجيا لأهم الأحداث النضال العمالي في تونس وواقعهم 1881-1956،...، سبق ذكره، ص106.

المصادر الأرشيفية:

- الارشيف الوطني التونسي، السلسلة "F"، الشؤون الدبلوماسية والقنصلية والعائلة الحسينية والأوسمة والمعاهدات والقنصليات خلال فترة الحماية (1881-1956).
- رسائل هتنة موجهة إلى محمد الأمين باي من ملوك ورؤساء بلدان مختلفة بمناسبة استقلال تونس وبرنامج الاحتفال بالذكرى الأولى لعيد الاستقلال ومقالات صحفية تتعلق بإعلان الجمهورية و إلغاء النظام الملكي الحسيني 1956-1957، رقم الحافظة 1، رقم الملف 1، وثيقة عدد 61.
- تاريخ الحركة الوطنية التونسية، وثائق 15، الحزب الدستوري الجديد يواجه المحنة الثالثة من 1952 إلى 1956، تاريخ الاستقلال، خطاب المجاهد الأكبر أمام إطارات الاتحاد العام التونسي للشغل 12 جوان 1955، تونس: نشر وزارة الإعلام، المطبعة الرسمية، 1985.
- الحركة الوطنية التونسية (وثائق 11): الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثالثة: 1950-1951، تونس: وزارة الأعلام، 1984، ص46.

الشهادات:

- أحمد المستيري، شهادة للتاريخ: ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940-1990) وثورة 2010-2011، تونس: دار الجنوب 2011، ص73.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Jean Michèle, Paul Cointe, Dictionnaire Historique de la France sous l'Occupation, Paris : Taillandier, 2000, p.486.
- Michel Mourre, Dictionnaire de l'histoire, Paris : éditions Gilbert la brune, 1981, p. 668.
- Robert -D- Cantor, Contemporary international Politics, Jordan Book center, 1989, p. 518.
- Vladimir Lénine, L'impérialisme stade suprême du capitalisme, Moscou : éditions du Progrès, 1988.
- Mohamed Lotfi Chaibi, Les Socialistes Français et la Politique de décolonisation de la Tunisie (1945-1956), Tunis : Faculté des sciences humaines et sociales, 1989, p 163.

Beyond the Scene: The Complex Realities of the Gaza Genocide

Azhar Khaled FarajAllah / PhD researcher / Ankara Yildirim Beyazit University

The Gaza Strip is 41 kilometers long, 6 to 12 kilometers wide, and has a total area of 365 square kilometers. The Gaza Strip is home to approximately 2 million Palestinians, making the population density remarkably high, comparable to that of Hong Kong. The majority of Palestinians in Gaza, which contains eight refugee camps, are descendants of refugees who fled or were expelled from the Israeli-occupied area after the 1948 Arab-Israeli War. Sunni Muslims make up the majority of Gaza's population, with a Palestinian Christian minority. Gaza's annual population growth rate is 1.99% (2023 est.), making it the 39th highest in the world.

The city fell into the hands of Israel after 1967, to remain under occupation for 27 years and suffer from Israeli neglect like the rest of the occupied Palestinian Arab cities. The occupation authorities confiscated common areas of Gaza's lands and established many settlements on them.

The area of the Israeli settlements in Gaza Strip was approximately 155 square kilometers, and as for the block surrounding Gaza City, which is the northern block, the settlements that are connected to Israel are distributed via transverse roads that ensure easy communication, including:

Erez Settlement: Established in 1968 AD directly on the northern border of the Gaza Strip.

Eli Sinai Settlement: Located 1 km east of the seashore, completely adjacent to the northern border of the Gaza Strip, it is an agricultural settlement established in 1983 to accommodate a number of settlers who were evacuated from Sinai following the Egyptian-Israeli peace agreement.

Nisanit Settlement: Located 5 km east of the beach, it is also an agricultural settlement established in 1982 to accommodate a number of settlers who were evacuated from Sinai.

Netzarim Settlement: Established in 1972 to divide the Gaza Strip into two parts, north and south. It is located 1 km east of the beach, 1 km west of the main road, and 4 km south of Gaza. Due to the large area of this settlement, its distinguished location

south of Gaza City, and the problems resulting from this settlement, it became a settlement bloc in its own right.

In 1987, the residents of Gaza City became involved early in the first Palestinian Intifada. The Unified National Leadership of the Intifada distributed weekly bulletins in the streets of Gaza with a schedule for the strike accompanied by daily protests against Israeli patrols in the city. In the demonstrations, tires were burned in the streets, and crowds threw stones and Molotov cocktails at the occupation soldiers. The Israeli army responded with tear gas and rubber bullets. Schools in Gaza City were forcibly closed, gradually reopening for a few hours. Arrests were carried out outside homes, and curfews and travel bans were imposed, which Palestinians saw as collective punishment. In response to the school closures, home-schooling sessions were organized to help students catch up on missed material, which became one of the few symbols of civil disobedience. The Israeli occupation forces withdrew from the Gaza Strip on August 15, 2005, by decision of Israeli Prime Minister Ariel Sharon, after their establishment 38 years ago. After that, 21 settlements in the Gaza Strip and 4 settlements in the West Bank were dismantled. However, Israel maintained a blockade of Gaza by land, sea and air. After Hamas won a large number of seats in the Palestinian parliament in the elections, many scattered skirmishes broke out between elements of the Fatah and Hamas movements, and the matter reached its peak in mid-June 2007, when Hamas took control of the entire Gaza Strip and its security and governmental institutions.

Dozens of Palestinians in the Gaza Strip participated in several marches in support of Al-Aqsa Mosque, which is being repeatedly raided by Israeli settlers. The marches, which were organized by institutions and organizations working for Jerusalem, including the "Association of Palestinian Scholars" and the "Jerusalem Committee in the Legislative Council in Gaza City", toured and stopped in front of the headquarters of the Ministry of Endowments and Religious Affairs, west of the Strip.

The march participants raised banners, some of which read "Al-Aqsa is the honor and faith of the nation", and "The banner of Al-Aqsa will not fall even if our arms are amputated."

Ahmed Abu Halabiya, head of the Jerusalem Committee in the Legislative Council in Gaza City (run by Hamas and dissolved by the Palestinian Constitutional Court in 2018), said: "Jewish groups are preparing to organize the largest waves of attacks on Al-Aqsa Mosque, storm it, and violate its sanctity during the holiday season." He

added, in a speech on the sidelines of his participation in the march: "The occupation has on its agenda making Al-Aqsa Mosque an open field for performing prayers, rituals and religious rites, with talk returning to dividing it temporally and spatially." He added that "the political, legal, security and religious components of the (Israeli) occupation all meet at one goal, which is to impose full Jewish sovereignty over Al-Aqsa and consolidate the oppression over it."

He called on the Palestinians to "tighten their travels to Al-Aqsa and stay there, especially during the Jewish holidays and confront the Zionist intruders," calling on the Palestinian factions to "defend it."

He called on the scholars of the Arab and Islamic nation to "educate the peoples to rise up in defense of the holy places and Al-Aqsa," adding: "The Arab and Islamic masses, bodies and associations must show solidarity with Al-Aqsa by launching activities and demonstrations." He also appealed to Jordan, which has religious authority over the holy places in the city of Jerusalem, to "deter the occupation that is infringing on its religious responsibilities towards Al-Aqsa."

Earlier on Sunday, Israeli settlers stormed the courtyards of Al-Aqsa Mosque under heavy police guard, coinciding with the start of their holidays. The Jewish holidays begin with Rosh Hashanah on September 25 and end on October 16 with the Feast of Tabernacles. In recent days, right-wing Israeli groups have called for intensified raids on Al-Aqsa Mosque, to which Palestinian activists responded by calling for "traveling to the mosque" and holding a sit-in there. Since 2003, the Israeli police have allowed settlers to storm Al-Aqsa Mosque through the Mughrabi Gate, in the western wall of the mosque, without the approval of the Islamic Waqf Department, which demands an end to the raids. The raids on the mosque increase during Israeli holidays.

With all these incursions and the occupation's desecration of Al-Aqsa Mosque, the people of Gaza revolted to support Al-Aqsa Mosque, and this led to many wars, as the Strip was exposed to many Israeli attacks, some of which were assassinations of Palestinian resistance leaders and some of which turned into wars, as the Gaza Strip went through many wars from 7 to 8 wars, as Israel declared the Gaza Strip a hostile entity in September 2007, and in October of the same year it imposed a comprehensive siege on it with the aim of ending Hamas' rule in the Strip and eliminating the Palestinian national resistance and preventing it from bombing Israel with missiles, as in the 2008-2009 war, Israel's goal was to reach the place where the resistance was hiding the Israeli prisoner Gilad Shalit, but it did not succeed in doing

so except through the Wafa al-Ahrar deal. The attacks on the Gaza Strip and the wars continued, and the Palestinian resistance was growing in strength and developing its weapons and military capabilities, as it started with stones in the first intifada until it reached missiles.

Gaza blockade:

The Gaza Strip has been subject to a stifling blockade imposed by Israel since Hamas took control of the Gaza Strip in the summer of 2007, which includes preventing or rationing the entry of fuel, building materials, and many basic goods, and preventing deep-sea fishing.

The long and stifling blockade has resulted in the shutdown of all factories and an increase in the unemployment rate to exceed 80%, becoming the highest unemployment rate in the world, in addition to a severe shortage of medicines and all medical supplies, and the death of about 400 patients in just 9 months due to their inability to travel for treatment in other countries or due to the lack of equipment and medicines necessary for their treatment. The construction movement has also been completely halted, which has increased the crisis for the owners of homes destroyed in the war on Gaza, which number more than 4,100 homes and apartments.

Regarding the issue of exports from Gaza, the Israeli authorities agreed, under the agreement on movement and access that it signed with the Palestinian Authority in September 2005, to allow 400 trucks to leave Gaza daily. Despite this agreement, the number of trucks allowed to leave is very small, in addition to the Israeli authorities preventing the export of Gazan products to the West Bank, where they are exported to other countries, as only small quantities of fruits, vegetables and furniture are allowed to be exported. It is worth noting that in 2014, the Israeli authorities allowed only three trucks to leave the Gaza Strip per week, compared to 240 trucks that were allowed to leave before the imposition of the blockade in 2006. The number of trucks allowed to leave the Gaza Strip in 2014 is estimated at half the weekly average of trucks that were allowed to leave the Gaza Strip before the blockade, and with regard to the agricultural sector in the Strip, it decreased in 2014 to about 2.7% of what it was before the blockade.

Rafah Crossing: The Rafah Crossing is located on the Egyptian border with the Gaza Strip, and is the only land crossing that allows Palestinians to exit the Strip to Egypt and from there to all countries of the world. Before the complete Israeli withdrawal

from the Strip, the crossing was completely under Israeli administration. After the Israeli withdrawal, the Palestinian National Authority took over and Israel stipulated the presence of European observers. After the power struggle between Fatah and Hamas, which ended with Hamas deciding the situation in its favor, Hamas security forces took over. Problems arose between Hamas and Egypt due to the Egyptian government's rejection of Hamas's control over Gaza, and the crossing was partially closed to open only two days a week. After the Israeli attacks on one of the ships breaking the siege that was carried out by private European institutions and the killing of 9 Turks by the Israeli occupation army, Egyptian President Hosni Mubarak ordered the crossing to be opened permanently in 2010. After the Egyptian revolution and the fall of the Mubarak regime, the crossing was fully opened in 2011 without any restrictions, and the movement of passengers proceeded smoothly, and the arbitrary deportation system for Palestinian passengers was abolished, which angered the Israeli government, which sent the director of Israeli intelligence, Amos Gilad, to meet with the director of Egyptian intelligence. After their meeting, the crossing was closed for four days, giant wooden poles were placed, and dozens of Egyptian soldiers were deployed to prevent passengers from storming the crossing gate under the pretext of maintenance work. After that, the crossing was opened, but partially, as the Egyptian side does not allow more than 250 people to pass daily, in addition to a large list of people from the Gaza Strip who are prohibited from entering Egyptian territory or passing through it.

Electricity Crisis

Due to the blockade imposed on the Gaza Strip due to Israel not allowing sufficient quantities of fuel to enter, a serious crisis arose in the form of power outages, and the crisis reached varying peaks in which electricity was cut off for periods of up to 16 hours a day or more, and even the only power station stopped completely for periods in 2008, and the Palestinian dispute exacerbated the problem due to disagreements over collecting electricity bills, which prompted citizens to rely on electric generators.

The use of electric generators caused many casualties among the residents of the Gaza Strip, between dead and wounded and material damage, due to the danger of dealing with highly flammable fuel. Or due to problems in ventilation of the exhaust fumes from them, and the number of deaths due to small electric generators exceeded hundreds. The power outage also affects aspects of life in Gaza in terms of its

connection to the outside world, the spoilage of food supplies in it, and material losses for business owners and shops.

The electricity crisis in the Gaza Strip is constantly renewed as a result of the National Consensus Government imposing a "blue" tax on the fuel needed to operate the only power station in the Gaza Strip.[52] In normal conditions, the number of hours of electricity supply is 8 hours compared to 8 hours of disconnection. When the crisis reoccurs, the power station is forced to stop working due to its inability to purchase fuel at the new price after the tax, so the number of hours of supply becomes 6 hours compared to 12 hours of disconnection, which casts a disastrous shadow over various aspects of life in the besieged Strip. The Government of National Accord exempts Gaza from the tax for limited periods, which threatens to renew the crisis every time the government reimposes this tax. The chronic shortage of electricity has worsened the situation in the Gaza Strip over the past years. With the cessation of Egyptian fuel smuggling through the border tunnels, the number of hours of operation of the only power station in Gaza has decreased, which has affected various aspects of life. The greatest damage was to the health sector, which relies mainly on electricity to operate sensitive medical devices and monitor heart patients, forcing hospitals to postpone some urgent surgeries. The insufficient electricity supply has led to further water shortages in homes and to water treatment plants reducing their cycles, as they rely mainly on electricity to operate their pumps. Some Gazans have had to use unsafe backup generators that the poor cannot afford to cover the gap caused by the continuous power outages.

The Al-Aqsa Flood War

Given the Judaization and desecration of Al-Aqsa Mosque, and the siege that the people of Gaza have been subjected to for more than 17 years, the Palestinian resistance factions, led by Hamas, took a very large military step by breaching the barrier and launching a ground attack on the Gaza envelope in the early hours of the morning of October 7, 2023, where it was announced that the operation was in response to the Israeli violations in the courtyards of Al-Aqsa Mosque, and the attacks of Israeli settlers on Palestinian citizens in Jerusalem, the West Bank, and the occupied interior. The Al-Aqsa Flood operation began through a large-scale missile attack launched by the resistance factions, as thousands of missiles were directed towards various Israeli settlements from Dimona in the south to Hod Hasharon in the north and Jerusalem in the east. This coincided with a ground invasion by the

resistance via four-wheel drive vehicles, motorcycles, gliders, and others into the towns adjacent to the Strip, which are known as the Gaza envelope. Gaza, [106] where they took control of a number of military sites, especially in Sderot, reached Ofakim, stormed Netivot, and engaged in violent clashes in the three settlements and in other settlements. They also captured a number of soldiers and civilians and took them to Gaza, in addition to seizing a group of Israeli military vehicles. On October 9, the Israeli occupation army announced that it had regained control of all the towns that the Palestinian resistance factions had taken over in the Gaza Strip envelope, with some scattered skirmishes continuing. Israeli Defense Minister Yoav Galant announced the beginning of what he called a comprehensive siege on Gaza, including a ban on the entry of food and fuel.

The Israeli occupation army launched a military operation against the Gaza Strip, called Operation "Iron Swords", and began with an intensive air strike on the Strip. The military operation quickly turned into a war that lasted for about a year and two months. The Israeli occupation committed the most horrific crimes and murders of Palestinian citizens in Gaza, which has so far resulted in nearly 42,000 martyrs. Israel is following various policies to eliminate the Palestinians, including killing, displacement, homelessness, starvation, destruction of infrastructure, and cutting off electricity and water. Life in the Gaza Strip has become non-existent and unfit due to the absence of security and safety, the massive destruction, and the lack of food, electricity, water, and basic necessities of life. The occupation authorities have also separated the north of the Strip from its south, and starved the people as a collective punishment for what happened on October 7. Netanyahu's goal has now become clear, which is to end the Palestinian presence. The Israeli authorities are destroying the spirit of resistance and breaking its will by assassinating its leaders, as great leaders in the Hamas movement were assassinated such as Saleh al-Arouri, Ismail Haniyeh, Yahya Sinwar and many others, as a message to the people that we will kill anyone who tries to fight us. I can go on to narrate the sequence of developments of the major events of the genocidal war on Gaza:

**** 2023:**

- October 7: The Surprise Attack

- Hamas launched a double attack that included the launch of about 5,000 rockets and the infiltration of armed men into Israeli settlements and military sites adjacent to the Strip (known as the Gaza Envelope, which includes 3 sites and 7 settlements),

followed by the infiltration of elements from other Palestinian factions, as Muhammad Deif, the commander-in-chief of the "Qassam Brigades", announced the start of "Al-Aqsa Flood" in response to the Israeli attacks in the West Bank and Al-Aqsa Mosque, which resulted in the killing of 1,200 Israelis and the injury of 5,431.

- The Israeli army responded with initial raids in an operation called "Iron Swords", while Netanyahu said that Israel was in a "state of war", coinciding with the tightening of the siege imposed since mid-2006 by closing all crossings and borders.

- October 8: Hezbollah Enters the War

Hezbollah fires rockets towards areas in northern Israel, while the army responds by bombing southern Lebanon. The mutual attacks continue, as the party and Palestinian factions link the cessation of the bombing to ending the war of extermination on Gaza.

October 13: Evacuation of Gaza

- Israel warned residents of the Gaza and northern Gaza governorates, where about 1.2 million Palestinians live, to evacuate their homes and head to the southern Gaza Valley area.

October 17: The "Baptist" massacre

More than 500 Palestinians were killed in an Israeli bombing that targeted the vicinity of the Arab Baptist Hospital in Gaza. After the army officially claimed responsibility for the bombing, it deleted its statement and disavowed its responsibility following the widespread international outrage it caused.

October 19: The Houthis Enter the War

- The Houthi group entered the war, launching missiles and drones from Yemen and intercepting them, while later confirming that its attacks would continue until the genocidal war on Gaza stops.

- October 21: First Aid Convoy

The first aid convoy entered Gaza, including 20 trucks, most of which were carrying medical and food supplies, after 13 days of tight siege. Later, the entry of aid continued to be scarce, not exceeding 100 trucks per day, at a time when the Strip was receiving about 600 trucks of health and humanitarian supplies per day before the outbreak of the war.

- October 27: Beginning of the Ground Operation

The Israeli ground operation began in the northern governorate and extended to Gaza and the central and southern governorates in the following weeks and months, under the pretext of releasing prisoners and eliminating Hamas's military power.

- October 31: Jabalia Massacre

The Israeli army bombed a crowded residential neighborhood in Jabalia camp, killing and wounding 400 Palestinians, most of them children, while detailed figures on the number of dead and wounded were not available.

- November 15: The First Storming of "Al-Shifa"

- For 10 days, the Israeli army stormed the Al-Shifa Medical Complex in Gaza City after a week-long siege and raids targeting its surroundings, with allegations of the existence of tunnels that were later refuted, while patients and premature babies were killed during the operation, and no official figures were issued regarding their numbers.

- November 17: Famine

UNRWA announced that the Palestinians of Gaza and the north were "on the brink of starvation" as they resorted to eating animal feed and grass at the time, due to Israel preventing the arrival of relief aid except in very small quantities, as death from starvation threatens about 800 thousand people there, amid the ongoing cycle of starvation and thirst against them. - November 18: Al-Fakhoura massacre

The Israeli army bombed a school housing thousands of displaced people in Jabalia camp, killing 200 Palestinians, according to official Palestine TV.

- November 24: Temporary Truce

With Qatari, Egyptian and American interventions, a temporary four-day truce began between Israel and Hamas, which was extended for two additional days, then one day; during which a temporary ceasefire was established, prisoners were exchanged, and humanitarian aid was brought into the Strip.

- December 3: Ground Operation in KhanYunis

The Israeli army begins a ground operation north of Khan Yunis (south), claiming that the Hamas leadership headquarters is located in the city, threatening to evacuate several neighborhoods, which were then housing displaced people who came from Gaza and the north after the army classified it as a "safe zone", while it withdrew on April 7, 2024.

- December 15: Israeli Prisoners Killed by "Friendly Fire"

The Israeli army announced that it had killed 3 detainees held by Hamas by mistake, during the battles taking place in the Shuja'iyya area east of Gaza City.

- December 29: "Genocide" Case

South Africa filed a case against Israel before the International Court of Justice, accusing it of committing "genocide", and was later joined by 7 other countries.

- On January 26, 2024, the court ordered Tel Aviv, under the case, to take "measures to prevent acts of genocide against the Palestinians and to improve the humanitarian situation in Gaza."

**** 2024**

- January 3: Assassination of al-Arouri

Israel assassinated Saleh al-Arouri, deputy head of the Hamas political bureau, in a bombing that targeted the movement's headquarters in a residential area on one of the busiest streets in the Lebanese capital, Beirut.

- February 15: First Raid on Nasser Medical Complex

The Israeli army stormed Nasser Central Hospital in Khan Yunis, south of the Gaza Strip, for 10 days, during which it killed dozens of displaced Palestinians, medical staff and patients inside the hospital, and arrested hundreds of displaced people in addition to carrying out operations to destroy and bomb buildings and various departments in the hospital.

- February 29: "Flour Massacre"

The Israeli army opened fire on hundreds of Palestinians as they gathered south of Gaza City waiting for aid on Rashid Street, leaving 118 dead and 760 wounded, while

the number of starvation deaths rose to 400 and 1,300 wounded during a new attack on March 12 against Palestinians waiting for aid in the "Kuwait Roundabout" area.

- March 8: The Sea Pier

US President Joe Biden announced that he had instructed his army to establish a temporary port (sea pier) near the coast of Gaza, to bring in humanitarian aid to the Gaza and North Governorates under Israeli supervision. It was put into operation on May 17. It stopped working and was withdrawn on July 10, without providing 1 percent of the needs of the Strip amid accusations that it was being used for military purposes.

- March 18: Second Raid on Al-Shifa Hospital

The Israeli army stormed Al-Shifa complex for the second time for 14 days before withdrawing, revealing horrific scenes of widespread destruction to its buildings, and the burial of Palestinian bodies, including women, in mass and individual graves, some of which were found decomposed, burned or dismembered.

- March 24: Second Raid on Nasser Medical Complex

The Israeli army stormed Nasser Medical Complex and occupied it for about two weeks (it left on April 7). The government media office in Gaza confirmed that the army executed hundreds of Palestinians inside it, saying that they found a mass grave containing martyrs who were alive before the raid.

- March 25: Ramadan Ceasefire Resolution

For the first time since the outbreak of the Israeli war, the UN Security Council adopted a resolution for an immediate ceasefire in Gaza during the month of Ramadan, but Israel did not commit to implementing it.

- March 26: Hamas's Second-in-Command Claimed to have been Assassinated

The Israeli army claimed to have assassinated Marwan Issa, the deputy commander-in-chief of the Qassam Brigades, in a bombing in the central Gaza Strip two weeks ago, while Hamas and Qassam did not comment on the matter.

- April 2: Killing of Employees of the "World Kitchen"

Israel killed 7 employees of Australian, Polish, British, American, Canadian and Palestinian nationalities in an airstrike targeting a convoy of the "World Kitchen" organization in the city of Deir al-Balah in the central Gaza Strip, despite their coordination with the army, which was met with Arab and international condemnation.

- April 9: Turkey, Israel and Trade Relations

In response to the Israeli genocide in Gaza, the Turkish Ministry of Trade restricted the export of 54 products to Israel, while on May 2 it announced "stopping these transactions, which include all products"; After Tel Aviv ranked 13th among the countries to which Turkey exported its products in 2023.

- April 13: The First Iranian Attack

In the first attack from its territory on Israel against the backdrop of escalating tensions due to the war of extermination raging in Gaza, Iran launched 350 missiles and drones at Israel, in response to a missile attack by the latter that targeted the consular section of the Tehran embassy in Damascus at the beginning of the same month.

- May 6: Operation in Rafah despite International Warnings

The Israeli army announced the start of a military operation in Rafah, ignoring international warnings of the repercussions of this on the lives of displaced Palestinians in the city, while the next day it took control of the Rafah border crossing with Egypt, and most of its residents were displaced.

- May 24: Israel Ordered to Stop its Operations in Rafah

The International Court of Justice orders Israel to stop its military operations in Rafah, following a petition submitted by South Africa.

- May 26: Rafah Massacre

Israeli fighter jets bombed a camp for displaced persons in Al-Mawasi in Rafah city with several missiles, committing a massacre that resulted in the killing of 45 Palestinians, including 23 women and elderly people, and about 249 injured.

- May 29: Control of "Philadelphia"

The Israeli army announced operational control (by fire) of the Philadelphi axis on the border between the Gaza Strip and Egypt, while it had taken military control of it with the presence of its vehicles on June 7.

- May 31: Biden's Proposal

US President Joe Biden said in a speech at the White House that "Israel has presented a 3-stage proposal, including a complete ceasefire, an Israeli withdrawal from all areas, a prisoner exchange, and reconstruction."

On July 2, Hamas agreed to the proposal based on Biden's vision, before Netanyahu turned against it and added new conditions.

- June 8: Nuseirat Massacre

274 Palestinians, including 64 children and 57 women, were killed in a massacre committed by Israeli forces after heavy artillery and air strikes targeted the Nuseirat camp (central), in an operation to free 4 Israeli prisoners, which was met with Arab, regional and international condemnations.

- June 10: Draft Resolution Supporting Biden's Proposal

The UN Security Council adopted draft resolution No. 2735 supporting President Biden's proposal for a ceasefire in Gaza, which he announced on May 31.

- June 25: 95 Percent Hungry

The Integrated Food Security Phase Classification issues a report stating that 95 percent of Palestinians in the Gaza Strip are suffering from varying degrees of famine.

- July 11: The Philadelphia Crisis

Netanyahu's condition that the Israeli army remain in "Philadelphia" under the pretext of preventing "arms smuggling" to Hamas, was one of four conditions for accepting the ceasefire deal, a major turning point at the beginning of this crisis that fundamentally caused the negotiations to falter and no solution to be reached, despite Egyptian and American rejection of it.

- July 13: The first Mawasi massacre in KhanYunis

The Israeli army launched airstrikes on the camps for displaced persons in the "Nas" area, killing 90 Palestinians and wounding 300 others, as Israel claimed to have

targeted "(the commander-in-chief of the Qassam Brigades) Muhammad al-Deif and his deputy Rafi Salama," which Hamas denied.

- July 31: The Assassination of Haniyeh

Israel assassinated the head of the Hamas political bureau, Ismail Haniyeh, with a missile attack that targeted his residence in Tehran, the day after he participated in the inauguration ceremony of the new Iranian president, Masoud Pezeshkian, amidst multiple condemnations and warnings of regional escalation.

- August 6: Sinwar Named Hamas Leader

Hamas announced the selection of its leader in Gaza, Yahya Sinwar, as head of its political bureau, succeeding Haniyeh.

- August 10: The Massacre of the Followers

More than 100 Palestinians were killed and dozens more were injured in an Israeli airstrike that targeted them while they were performing dawn prayers at the "Tabi'in" school, which houses displaced people in Gaza City.

- August 12: An Israeli Prisoner was Killed

Al-Qassam announced the killing of an Israeli prisoner and the serious wounding of two others in two separate incidents in which two soldiers assigned to guard them opened fire on them in retaliation, saying that one of the soldiers learned of the killing of his two children in a massacre in Gaza and killed one of the prisoners.

- August 16: Agreement to Reduce Gaps

The United States presented a new proposal to reduce gaps between Israel and Hamas, which a joint statement by Egypt, Qatar and the United States said was "consistent with the principles presented by Biden on May 31," but Hamas said it did not include commitment to what was agreed upon on July 2.

- August 18: Thousands of Bodies Evaporate

In a shocking statement, the Civil Defense Authority in Gaza announced that it had monitored the "evaporation of 1,760 bodies", of which they found no trace due to the Israeli army's use of internationally prohibited weapons, and that they were not

registered in the relevant records. They also indicated that 8,240 bodies had been forcibly disappeared, and their fate is unknown since the outbreak of the war.

- August 20: Reducing the "Safe Zone"

The UN agency "UNRWA" warned that Israel had reduced what it calls the "safe zone" in Gaza to only 11 percent of the area of the Strip, following its reduction in the city of Khan Yunis.

- August 20: Recovering the Bodies of 6 Israeli Prisoners

The Israeli army announced the recovery of the bodies of 6 of its prisoners who had been held in Gaza since October 7 in a joint operation with the General Security Service "Shabak".

- August 28: Major Operation in the West Bank

The Israeli army launched a military operation in Jenin and Tulkarm in the northern West Bank, described as the "largest" in two decades, lasting 10 days in the first city and 48 hours in the second.

- August 30: Israel Approves Remaining in Philadelphia

The Israeli Security and Political Affairs Council (the Cabinet) approved the continued presence of army forces in Philadelphia as part of any planned prisoner exchange and ceasefire agreement, which sparked criticism from Israeli political and security levels.

- September 9: Gaza without Schools

The new school year began in schools in the occupied West Bank without the Gaza Strip, whose students are deprived of school for the second year in a row due to the genocidal war waged by Israel.

- September 10: Second Massacre in Mawasi KhanYunis

The Israeli army bombed the tents of displaced people in the Mawasi area west of KhanYunis, killing 40 Palestinians and wounding 60 others, in addition to dozens of missing persons.

The massacres in Gaza are still ongoing, without any intervention from any concerned international body. Here, all masks fall, the masks of human rights, international law,

the United Nations and many others. Whatever does not apply to Gaza, all its masks fall.

The Position of Arab and Islamic Countries towards What Is Happening in Gaza

All Arab and Islamic countries reject the Israeli attacks on Gaza, but everything that Arab leaders say is just ink on paper, as there is no real action to deter Israel from its war massacres and genocide in Gaza. The latest announcement was the Arab-Islamic summit chaired by Mohammed bin Salman in Riyadh on November 11 of this month, as the summit aimed to follow up on the results and recommendations of the previous summit, continue ceasefire efforts, facilitate the delivery of urgent humanitarian aid, in addition to discussing the continued escalation of Israeli aggression on the Palestinian territories and Lebanon. The Saudi Press Agency (SPA) said about the summit that it aims to "unify positions and pressure the international community to move seriously to stop the ongoing attacks and find sustainable solutions that guarantee stability and peace in the region." The Palestinian people in the Gaza Strip need the concerted efforts of Arab and Islamic nations to end the war and obtain their legitimate rights. They also need the concerted efforts of Arab people as we knew them before the events of the Arab Spring. The Arab nation needs to wake up from its deep sleep and defend the Palestinian cause, which is the cause of every honorable and free Muslim, and not the cause of the Palestinian alone.

The hopes of Palestinians in Gaza are shaped by decades of hardship, war, and the struggle for self-determination. Amid the relentless blockade and periodic wars, Gazans continue to dream of a future where they can live in peace, free from the cycles of violence that have defined their existence for so long. For many, this means the realization of a sovereign Palestinian state, with Gaza as a vital part of it, where they can enjoy security, dignity, and access to basic services like healthcare, education, and clean water. Yet, the hopes of Gazans are also deeply intertwined with their desire for an end to occupation and for justice for the suffering they have endured. While many see the path to peace through negotiations and a two-state solution, others are disillusioned by the lack of progress and increasingly turn to resistance, believing that their only chance for liberation lies in their collective strength. Despite the difficult circumstances, there remains a sense of resilience and unity in Gaza, with many believing that a peaceful and prosperous future is possible, even if it seems distant. Our message is clear as the sun, our cause is just as a sword, and our people, all our people, are a support for the resistance. To the heroes of the

resistance, continue on your path. May God make your steps firm and grant you victory over your enemy, for victory is inevitable, for it is the true promise of God. Long live a free Arab Palestine, long live the resistance, long live the struggling Palestinian people, long live Gaza, long live Gaza.